



اهداءات ٢٠٠١

الدكتور / القطيع محمد طلبة

القاهرة

كتاب الشعب

مكتبة
الأستاذ الدكتور محمد الخطيب
في دار محمد زكريا وشايع محمد قطيب
المعادي
١٩٧٧ هـ - سنة ١٤٠٠

نفس القرآن العظيم

للحافظ ابن كثير

٧٧٤-٧٠٠ هـ

تحقيق

عبد العزيز غنيم محمد أمجد شور محمد إبراهيم البنا

المجلد الثاني

٩

الشعب

طبع في دار النشر في القاهرة
١٩٧٧ هـ - ١٤٠٠

الهدى : فقال أبو هريرة : قدام . كاشفة بن محسن الأسدي يرفع قبة (١) عليه فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهم أجمله منهم : ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم فقال : « سبقك بها عكاشة (٢) .

حديث آخر : قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا يحيى بن عثمان ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا أبو حنيفة ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخلون من أمي سيمون ألفاً - أوسهاالة ألف - أخذ بعضهم بيض ، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة » ، ووجهه على صورة اقتصر ليلة الهدى .

أخرجه البخاري ومسلم جميعاً . عن قتبة عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل ، به (٣) .

حديث آخر : قال مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبيرة فقال : « أياكم رأى الكوكب الذي انقضى البارحة ؟ قلت : أنا ؛ ثم قلت : أما إن لم أكن في صلاة ، ولكني لئذ غبت ؛ قال : « فما صنعت ؟ قلت : « استرقبت ؛ قال : « فما جعلك على ذلك ؟ قلت : « حديث حدثناه الشعبي . قال : « وما حدثكم الشعبي ؟ [قلت : « حدثنا عن يزيد بن الحبيب الأسدي أنه قال : « لا رغبة إلا من عين أوحمة (٤) . فقال : « قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حُرِّقَتْ عَلَى الْأَمِّ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّقِيطُ ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا رَجُلٌ فِي سَوَادٍ عَظِيمٍ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُنْشِئُ ، فَقِيلَ لِي : « هَذَا مُوسَى مُوسَى ، وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْآخِرِ ، فَظَنَنْتُ ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : « أَنْظِرْ إِلَى الْآخِرِ ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : « هَذَا أَمْتُكَ وَسَمَّيْتُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَلَا عِلَابَ ، ثُمَّ تَهْتَفُ فَنَدْخُلُ مِثْلَهُ ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عِلَابَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : « فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : « فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وَلَدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَشْكُرُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَذَكَرُوا أَسْأَاءَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَا الَّذِي تَخْشَوْنَ فِيهِ ؟ فَأَجَبُوهُ . فَقَالَ : « هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْغَبُونَ وَلَا يَسْتَرْغَبُونَ وَلَا يَطْغَبُونَ ، وَعَلَى رِجْلِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . قَدَامَ عَكَّاشَةَ بَنِي مُحَسَّنٍ فَقَالَ : « ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ . قَالَ : « أَنْتَ مِنْهُمْ : ثُمَّ قَامَ [رَجُلٌ] آخَرُ فَقَالَ : « ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ . قَالَ : « سَبَقَكَ بِهَا عَكَّاشَةُ (٥) .

وأخرجه البخاري عن أسيد بن زيد ، عن هشيم وليس عنده . ولا يرقون (٦) .

حديث آخر : قال أحمد : حدثنا زَوْجُ بْنُ حَبِيبَةَ . حدثنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر حديثاً ، وفيه : فسجد أول زمرة ووجههم كاتقهم ليلة الهدى .

(١) التمرة - يفتح كسر . شله غطلة من مآزر الأعراب .

(٢) مسلم ، كتاب الإيمان : ١ / ٣٦ . ١٣٧ .

(٣) مسلم ، كتاب الإيمان : ١ / ٣٧ .

(٤) الحمة : سم كل فيه يلدغ أو يلسع .

(٥) مسلم كتاب الإيمان : ١ / ١٣٧ ، ١٣٨ ، وميزر البخاري ، كتاب الطب : ٧ / ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٦) البخاري ، باب الرقاة : ٨ / ١٤٠ .

سبحون ألفاً ، لا محاسبون : ثم الذين يلونهم ، كأضيأ نجيم في السماء ، ثم كللك (١) . وذكر بقيته ، رواه مسلم من حديث رُوِّحَ ، غير أنه لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم .

حديث آخر : قال الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنن له : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد ، سمع أبا أمامة الجاهلي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وعنفوني أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حَقَّيات (٢) من مَكَّنَّيات رُبِّهِ عز وجل » .

وكذا رواه الطبراني من طريق هشام بن عمار ، عن إسماعيل بن عياش ، به . وهذا إسناد جيد .

طريق أخرى عن أبي أمامة : قال ابن أبي عاصم : حدثنا حميد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر ، عن أبي اليان الهوزني - واسمه عامر بن عبد الله بن لُحَيٍّ - عن أبي أمامة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وعني أن يُدْخِلَ الجنة من أمي سبعين ألفاً بغير حساب . قال يزيد بن الأنخسر : والله ما أولئك في مُثُك يا رسول الله إلا مثل اللباب الأصهب (٣) في اللباب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن الله وعني سبعين ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً ، ووافني ثلاث حَقَّيات .

وهذا أيضاً إسناد حسن .

حديث آخر : قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام ، سمع أبا سَلَمَةَ يقول : حدثني عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربي عز وجل وعني أن يُدْخِلَ الجنة من أمي سبعين ألفاً بغير حساب ، ثم يشكم كل ألف سبعين ألفاً ، ثم يحشي ربي ، عز وجل ، بكتيبة ثلاث حَقَّيات . فذكر عمر وقال : إن السبعين الأول يشكمهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم ، وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر .

قال الحافظ الفياض المقدسي في كتابه صفة الجنة : لا أعلم لهذا الإسناد حلة . والله أعلم .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا هشام - يعني الدستوائي - حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن حلال بن أبي ميمونة ، حدثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال : أئبنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالكديد - أو قال بقُدَيْد - ففكر فحدثنا ، وفيه : ثم قال : وعني ربي ، عز وجل ، أن يُدْخِلَ الجنة من أمي سبعين ألفاً بغير حساب ، وإلى لأرجو أن لا يدخلوها حتى تَتَوَّعُوا أَنَّهُمْ ومن صلح من أزواجكم وفريادكم ساكنين في الجنة (٤) قال الفياض : وهذا عني على شرط مسلم .

(١) مسند أحمد : ٣ / ٢٨٣

(٢) حثيات جمع حثية ، وهي القرعة باليه . والحديث كتابية عن المبالغة في الكثرة ، وإلا فلا يده ولا حي ، تعالى الله عن ذلك .

(٣) الأصهب : الذي يملأ لونه صهبة ، وهي حمرة يملؤها سواد .

(٤) مسند أحمد : ٤ / ١٦ .

حديث آخر : قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الضمر بن أنس ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمي أربعمائة ألف . قال أبو بكر . زدنا يا رسول الله . قال : والله هكذا . فقال عمر : حسبك يا أبا بكر . فقال أبو بكر : سمعني ، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلها . فقال عمر : إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكف واحد . قال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق عمر .

هذا الحديث بهذا الإسناد انفرد به عبد الرزاق ، قاله الضياء . وقد رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني

حدثنا محمد بن أحمد بن غنم ، حدثنا إبراهيم بن الميثم الكندي ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا أبو هلال ، عن قتادة ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وعدني ربّي أن يدخل الجنة من أمي مائة ألف . قال أبو بكر : يا رسول الله زدنا قال : وهكذا — وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك — قلت : يا رسول الله ، زدنا . فقال عمر : إن الله قادر أن يدخل الناس الجنة بشفعة واحدة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق عمر .

هذا حديث غريب من هذا الوجه وأبو هلال اسمه : محمد بن سليم الراسبي ، بصرى .

طريق أخرى عن أنس : قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي ، حدثنا حميد ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يدخل الجنة من أمي سبعون ألفا . قالوا : زدنا يا رسول الله . قال : [لكل رجل سبعون ألفا ، قالوا : زدنا . وكان على كتيب —] قال : هكذا ، وشايدته . قالوا : يا رسول الله ، أئمتد اقمم دخل النار بعد هذا . وهذا إسناد جيد ، رجاله ثقات ، ما عدا عبد القاهر بن السري ، وقد مثل عنه ابن معين ، قال : صالح .

حديث آخر : روى الطبراني من حديث قتادة ، عن أبي بكر بن أنس ، عن أبي بكر بن عمر عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله وعدني أن يدخل من أمي ثلاثمائة ألف الجنة . قال عمر : يا رسول الله ، زدنا . فقال هكذا بيده . فقال عمر : يا رسول الله ، زدنا . فقال عمر : حسبك ، إن الله إن شاء أدخل الناس الجنة بشفعة — أو بشفعة واحدة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق عمر (١) .

حديث آخر : قال الطبراني : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام أن سمع أبا سلام يقول : حدثني عبد الله بن عامر ، أن قيس الكندي حدث أن أبا سعيد الأنصاري حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن ربّي وعدني أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفا بغير حساب ، ويشفع كل ألف سبعين ألفا ، لم يثنى ربّي ثلاث حركات بكفيه . كلما قال قيس ، قلت لأبي سعيد : أئت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، بأذى ، ووعاء قلبي . قال أبو سعيد : فقال — يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم — : وذلك إن شاء الله عز وجل يستوعب مهاجرين أمي ، ويؤتي الله بقيته من أربابنا .

وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن صسكر ، عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده ، مثله . وزاد : قال أبو سعيد (٢) : فحسب ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعين ألف ألف .

(١) الحديث في جميع الروايات : ١٠ / ٤٠٠ ، ويقول السيوطي : « رواه الطبراني » وأبو بكر بن عمر لم يره ، وفيه رجاله في الصحيح .

(٢) أورد ابن الأثير الحديث في ترجمة أبي سعد الأنصاري ، ويقال : أبو سعيد ، في باب الكف : ٥ / ٢٠٩ .

حديث آخر : قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا هاشم بن مرقد الطبراني ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضميم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والذي نفس محمد بيده ليهيئننَّ منكم يوم القيامة إلى الجنة مثل الليل الأسود ، زُمرة جميعها ينتخبون الأرض ، يقولون : لا لئكة : لم جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الأنبياء » (١) ٤ . وهذا إسناد حسن .

نوع آخر من الأحاديث الدالة على فضيلة هذه الأمة وشرفها بكر امتها على الله ، وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إلى لأرجو أن يكون من يتبعني من أمي يوم القيامة ربع الجنة . قال : فكبرنا . ثم قال : أرجو أن يكونوا ثلث الناس . قال : فكبرنا . ثم قال : أرجو أن تكونوا الشُّطْر » .

وهكذا رواه عن روح ، عن ابن جريج ، به . وهو على شرط مسلم .

ولبت في الصحيحين من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فكبرنا . ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ فكبرنا . ثم قال : إلى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة » .

طريق أخرى عن ابن مسعود : قال الطبراني : حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني الحارث بن حصيرة (٢) ، حدثني القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود (٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : كيف أنتم وثلثها ؟ قالوا : ذلك أكثر . قال : كيف أنتم والشرط لكم ؟ قالوا : ذلك أكثر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهل الجنة عشرون ومائة صف ، لكم منها ثمانون صفا » .

قال الطبراني : تفرد به الحارث بن حصيرة (٢) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا خزاز بن مرة أبو ستان الشيباني ، عن عمار بن دثار ، عن ابن بريدة ، عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أهل الجنة عشرون ومائة صفت ، هذه الأمة من ذلك ثمانون صفا » .

وكذلك رواه عن عفان ، عن عبد العزيز ، به . وأخرجه الترمذي من حديث أبي ستان ، به وقال : هذا حديث حسن . ورواه ابن ماجه من حديث سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرقد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، به (٤) .

(١) جميع الزوائد : ١٠ / ٤٠٤ . ويقول السيوطي : « رواه الطبراني ، وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش ، وهو ضعيف » .

(٢) في المخطوطة : حسين . ينظر خلاصة التعقيب .

(٣) في المسح الصغير : ١ / ٣٤ ، : حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده .

(٤) سنن ابن ماجه : الحديث رقم : ٤٢٨٩ ، كتاب الزهد ، باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني أحمد بن رزيق الطبراني عن حبيب بن سليمان بن عبد الرحمن النخعي عن حذيفة بن خالد بن يزيد الجعفي عن حذيفة بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « وأهل الجنة عشر ذوات » سيف ، ليمان منها من أبقى » -

نورد به خالد بن يزيد الهجلی ، وقد تكلم فيه ابن حدى^(۱) ،

حديث آخر : قال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا موسى بن عمار ، حدثنا هاشم بن عمار ،
حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان ، عن أبي عمرو ، عن أبيه عن أنس ، عن أمية بن أبي حمزة ، قال : لما نزلت : ﴿ كُنْتُمْ الْأَوَّلِينَ ﴾ وَكُنْتُمْ
الْآخِرِينَ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنْتُمْ رِجَالُ الْحَيَّةِ ، أَنْتُمْ ثَلَاثَةُ أَهْلِ الْحَيَّةِ ، أَنْتُمْ نَصَفُ أَهْلِ الْحَيَّةِ » .
أَنْتُمْ ثَلَاثَةُ أَهْلِ الْحَيَّةِ » .

وقال عبد الرزاق: أخبرنا متيسر عن ابن عثاس عن أبيه عن ابن خزيمة عن أبي الله عنه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من الآخرون الأعداء يوم القيامة» عن أول الناس دخولاً الجنة: «يُتْبَعُ أُولَئِكَ ثَلَاثَةٌ» أوتوا الكتاب من قبلنا وأوليتهم من بعدهم، فهذه الثلثة من المؤمنين، فهذه اليوم للمؤمنين، الناس لنا فيه فتح، غدا اليهود الصابري بعد قد .

رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فروحا بنحوه . ورواه مسلم أيضا عن طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة » ونحن أول من يدخل الجنة . وذكر تمام الحديث ،

حديث آخر : روى البخاري في الأكراد من حديث عبد الله بن محمد بن حليل ، عن الزهري ، عن مسجد بن المسيب ، عن رين الخطاب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله : «إن الجنة حُرِّمت على الأكياء كلهم حتى أدخلوها ، وحُرِّمت على الأم حتى تدخلوها أمي » .

ثم قال : فترد به ابن حنبل ، عن الزهري ، ولم يروه عنه سواء . وفرد به زهير بن محمد ، عن ابن حنبل ، وفرد به حماد بن أبي سلمة ، عن زهير .

وقد رواه أبو أحمد بن علي الحافظ فقال : حدثنا أحمد بن الحسين بن إسحاق ، حدثنا أبو بكر الأعمش عن عبد بن أبي حنيفة ، حدثنا أبو حفص التميمي - يعني عمرو بن أبي سلمة - حدثنا صبيحة البجلي ، عن زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الزهري .

ورواه الألباني : حدثنا أبو العباس المصنف ، أخبرنا أبو سعيد عبد الملك بن محمد ، أخبرنا أحمد بن موسى التميمي : حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا صهبة بن عبد الله ، عن زهير بن محمد ، عن ابن مهدي ، ١٩

(١) في بيان الإحسان عن ابن عمر ٦٤٧ / ٧ : « إسناده كلها لا يخرج عليها إلا إسناداً ولا معاً ، ولم يوردوا »
 بل قالوا : « وهو معنى صحيح »

فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا التناء عليهم وللدخ لم كما قال قتادة : بَلَّغْنَا أَنْ عَمِرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي حِجَّةٍ حَجَّهَا رَأَى مِنَ النَّاسِ سُرْعَةً (١) قَرَأَ هَذِهِ آيَةَ : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ سَرَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ فَلْيَكُودْ شَرَطَ اللَّهُ فِيهَا . رواه ابن جرير .

ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين منهم الله بقوله : (كانوا لا يتناهون عن منكر ضلوه) .. الآية . ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم ، فقال : (ولو آمن أهل الكتاب) ، أي : بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) ، أي : قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ، وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والمعيان .

ثم قال تعالى ضرباً عبادةً للمؤمنين ومباشراً لهم أن النصر والتفكر لم على أهل الكتاب الكفرة الملحدين ، فقال : (لن يضرركم إلا أذى وإن يقاتلكم يولوكم الأذى ثم لا يصرون) . وهكذا وقع ، لأنهم يوم غير أنزلهم الله وأرغم أنفهمهم وكذلك من قبلهم من عبادة الملحنة بنى ليقناع وبني النصير وبني قريظة ، كلهم أنزلهم الله ، وكذلك التصاري بالشام كسرحم الصحابة في غير ما موطن ، وسليهم مملك الشام أهد الأبدن ودحر الداهرين ، ولا تزال عصاة الإسلام قائمة بالشام حتى يزل حيسى ابن مريم وهم كذلك ، ويحكم عليه السلام بشرع محمد ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخويز ، ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام .

ثم قال تعالى : (ضربت عليهم الذلة أينما نجفوا إلا بحيل ولا يحيل من الله وحيل من الناس) ، أي : أزلهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون . (إلا بحيل من الله) ، أي : بلمة من الله ، وهو حكمة الذلة لم وضرب الجزية عليهم ، وإزاهم أحكام الذلة (وحيل من الناس) ، أي : أمان منهم لهم ، كما في الشهادات والمهادن والأسير إذا أسند واحد من المسلمين ولو امرأة ، وكلها حيد ، على أحد قولي العلماء .

قال ابن عباس : (إلا يحيل من الله وحيل من الناس) أي : يبعد من الله وعهد من الناس ، هكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والفسحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، والربيع بن أنس .

وقوله : (وباعوا بنفس من الله) أي : أئزموا فالتزموا بنفس من الله ، وهم يستحقونه . (وضربت عليهم المسكنة) ، أي : أئزموها فلدوا وشرعا . ولهذا قال : (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق) ، أي : وإنما جعلهم على ذلك الكبير والبنى والحسد ، فأعطيهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبداً ، متصلاً بهذه الآخرة ، ثم قال تعالى : (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ، أي : إنما حسمكم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله وقبضوا لذلك - أنهم كانوا يكفرون بالصبيان لأوامر الله ، عز وجل ، والشيطان لما حصى الله ، والاعتداء في شرع الله ، فبالحا بالله من ذلك ، والله المستعان .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب (٢) حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ، عن سليمان الأحمر ، عن إبراهيم ، عن أبي عمر الأزدى ، عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي ، ثم يقوم صوف يقتلهم أكثر النهار .

(١) كلما في غلوطنا ، وفي تفسير الطبري ٧ / ١٠٢ : رمة سيرة . وفسرت الرمة - بكسر اللج - بأنها سورة ادج .

(٢) قال عنه أبو حاتم في المرح ٤ / ٢ / ٢٣٧ : « روى عن أبي داود الطيالسي . » كتبت عنه بأصلها ، وهو لغة .

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مَنِ أَهْلُ الْكِتَابِ أَمَةٌ قَانِعَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (١) ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْقَدَرِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢)
﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ تَغْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤) ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ
فِيهَا صَاعٌ مُبَارَبَةٌ خَرَّتْ قَوْمًا ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمَا وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٥)

قال ابن أبي نجيب : زعم الحسن بن يزيد السجلى (١) ، عن ابن مسعود في قوله تعالى : (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة) ، قال : لا يستوى أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وهكذا قال السدى ، ويؤيد هذا القول الخطيب الذى رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢) :

حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى قالا : حدثنا شيان ، عن حاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود قال : أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المشاء ، ثم خرج إلى المسجد ، فإذا الناس ينتظرون الصلاة ، قال : أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم . قال : وأنزلت هذه الآيات : (ليسوا سواء من أهل الكتاب) إلى قوله : (والله عليم بالمتقين) .

والله هو من كتب من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره ورواه العوفى عن ابن عباس : أن هذه الآيات نزلت ليعين آمن من أجار أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيدة وطلحة بن سبيعة وأسيد بن سبيعة وغيرهم .
أى : لا يستوى من تقدم ذكرهم بالهم من أهل الكتاب [وهؤلاء الذين أسلموا ، ولهذا قال تعالى : (ليسوا سواء) ، أى : ليسوا كلهم على حد سواء ، بل منهم المؤمن ومنهم المُنْجِر ، ولهذا قال تعالى : (من أهل الكتاب أمة قائمة) ، أى : قائمة بأمر الله ، مطيعة لأمره ، متبعة نبي الله . (قائمة) يعنى مستقيمة (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) ، أى : يقومون الليل ، ويكثرون التهجيد ، ويتلون القرآن في صلواتهم (يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) . وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أتول إليكم وما أتول إليهم خصامين لله) الآية . وهكذا قال حاصم : (وما تظفوا من خير فلن يكفروه) (٣) ، أى : لا يضيع عند الله بل يجزيكم به أوفر الجزاء . (والله عليم بالمتقين) ، أى : لا يخفى عليه عمل عامل . ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا .

ثم قال تعالى خبراً عن الكفرة المشركين بأنه (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) أى لا يرد عنهم بأمر الله ولا طلبه إذا أرادهم بهم (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

(١) في الأصول : الحسن بن أبي يزيد التميمي . ينظر الجرح . ٤٢ / ٢ / ١ .

(٢) عن سنده أسعد ، الحديث رقم : ٣٧٦٠

(٣) قال أبو حنبل في البحر المحيط ٣ / ٣٦ : « قرأ للناس وابن عمر وابن كثير وأبو بكر بالله لهما على الخطاب » ينفذ في قوله تلك (وما تظفوا من غير نبي تكفروه) .

ثم ضرب مثلا لـ بغيته الكفار في هذه النار - قاله جاهد والحسن ، والسدى - فقال تعالى : (مثل ما يفتقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريع نجر) ، أي : برد شديد - قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبهر وقادة والحسن ، والفضالة ، والريح بن أنس ، وغيرهم . وقال عطاء : برد وجليد . وعن ابن عباس أيضا وجاهد (فيها صر) ، أي : نار . وهو يرجع إلى الأول ، فإن البرد الشديد - صيحا الجليد - يحرق الزروع والنار ، كما يحرق الشيء بالنار (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكه) ، أي : لحرثه ، يعني بذلك السعة إذا نزلت على حرث قد آن جده أنه أو حصاه لم يدرته وأهدت ما فيه من ثمر أو زرع ، فلحبت به وأفسدته ، فمد منه صاحبه أخرج ما كان إليه . فذلك الكفار يحرق الله نوابه أعمالهم في هذه الدنيا وثمرتها كما أذهب ثمره هذا الحرق بلوب صاحبه . وكذلك هؤلاء يتوهموا على غير أصل وصل غير أساس ، (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) .

وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْذَرُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَمِلْتُمْ قَدْ بَيَّتَ الْقَبْضَاءُ مِنْ أَدْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ هَكَذَا هُمْ أَوْلَا بِمَا كَيْبَرْتُمْ مِنْ دُونِكُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ حَتَّى يُهْلِكَ وَلَا أُفْرَكُوا وَلَا يَخْرُجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا نَحْنُ بِكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا خَلَا عَصْرًا عَلِيمٌ أَنْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَغْفِظٌ فَأَلْقُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْغَيْظِ قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَالَمُ بَدَايَ الْفَسَادِ ﴿١٧﴾ إِنْ تَسْكُرْ حَسَنَةً نَسُوهَا وَإِنْ تَسْكُرْ سَيِّئَةً تَقْرُوهَا بِهَا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَيَتَّقُوا لَا يُضْرَكْ حَتَّى يَكُونَ مِنْكُمْ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ يَأْكُلُونَ ﴿١٨﴾

يقول تبارك وتعالى لأهل عبادة المؤمنين عن النقاد للناقين بظالة ، أي : يُطْلَقُون على سرائرهم وما يفسرونها لأعدائهم ، وللناقون بجهنم وطاقاتهم (١) لا يألون المؤمنين خبالا ، أي : يستعنون في مخالفتهم وما يفسرهم بكل ممكن ، وما يستليونه من المكر والخديعة ، ويردون ما يثبت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم . وقوله : (لا تخلصوا بظالة من دونكم) ، أي : من غيركم من أهل الأديان ، وبظالة الرجل : هم خاصة أهله الذين يظلمون على داخلته أمره .

وقد روى البخاري والنسائي وغيرهما ، من حديث جماعة ، منهم : يونس ، ويحيى بن سعيد ، وموسى بن حبة ، وابن أبي حنيفة - عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن ابن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما يهت الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بظالان : بظالة تأمره بالنهي ونهضه عليه ، وبظالة تأمره بالسوء ونهضه عليه . وللمصوم من عصم (٢) الله » .

وقد رواه الأوزاعي ومعاوية بن سلام ، عن الزهري ، عن أبي سلمة [عن أبي هريرة مرفوعا ، ينحوه . فيحتمل أنه عند الزهري ، عن أبي سلمة] عنهما . وأخرجه النسائي عن الزهري أيضا . وعلقه (٢) البخاري في صحيحه فقال :

(١) في المخطوطة : بظالهم .

(٢) الصحيح ، باب القدر : ٨ / ١٥٢ .

(٣) الصحيح ، كتاب الأحكام : ٩٦ / ٩ .

وقال عبيد الله بن أبي جعفر ، عن صفوان بن سليم ، عن أبي سلمة ، عن أبي أيوب الأنصاري : ذكره : فيحمل أنه عند أبي سلمة عن ثلاثة من الصحابة ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو أيوب محمد بن الزوان ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن أبي حيان التميمي ، عن أبي الزبائج ، عن ابن أبي السحابة قال : قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن هاهنا خلعا من أهل المدينة ، حافظ كاتب ، فلو اختلفه كتابا ؟ قال : قد اختلفت إنا بطانة من دون المؤمنين .

في هذا الأثر مع هذه الآية دلالة على أن أهل اللمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة ، التي فيها اصطلاح على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التي يختص أن يشعروا إلى الأعداء من أهل الحرب ، ولهذا قال تعالى : (لا يأتونكم خيلا وقد واعدتم) .

وقد قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا إسماعيل بن إسرائيل ، حدثنا هشيم ، حدثنا العوام ، عن الأزهري عن راشد قال : كانوا يأتون أنسا ، فإذا حدثتهم يحدث لا يرون ما هو ، أتوا الحسن - بنى البصري - فيفسره لم قال : فحدثت ذات يوم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تستشيروا بنار المشركين ، ولا تتشوا في خواتمكم حريا ، فلم يندروا ما هو ، فأثروا الحسن فقالوا له : إن أنسا حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تستشيروا بنار الشرك ولا تشوا في خواتمكم حريا . فقال الحسن : أما قوله : لا تشوا في خواتمكم حريا : محمد صلى الله عليه وسلم : وأما قوله : لا تستشيروا بنار الشرك ، يقول : لا تشيروا للمشركين في أموركم ، ثم قال الحسن : تصديق ذلك في كتاب الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تخطوا بطانة من دونكم) .

هكذا رواه الحافظ أبو يعلى ، رحمه الله ، وقد رواه الثعالبي عن مجاهد بن موسى ، عن هشيم ، ورواه الإمام أحمد ، عن هشيم بإسناده مذكور ، من غير ذكر تفسير الحسن البصري .

وهذا التفسير فيه نظر ، ومعناه ظاهر : لا تشوا في خواتمكم حريا ، أي : خطب عرب ، كذا يشابه لئلا يشاها من النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان يقفه محمد رسول الله ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أنه نهي أن يقف أحد على يقفه . وأما الاستقامة بنار المشركين ، فمعناه : لا تقاربهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم ، بل تهاكدهوا منهم وهاجروا من بلادهم ، ولهذا روى أبو داود . لا تراءى نارهم ، وفي الحديث الآخر : من جامع للمشرك أو سكن معه ، فهو مثله ، فحصل الحديث على ما قاله الحسن ، رحمه الله ، والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر ، والله أعلم .

ثم قال تعالى : (قد بكت البغضاء من أورهاهم وما غطي صدورهم أكبر) ، أي : قد لاح على صفتهم وجوههم ، وغلت ألتهم من العلوة - مع ما هم مشغولون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله - ما لا يغطي مثله على لبيب حافل ، ولهذا قال : (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) .

وقوله تعالى : (ها أنتم أولاد تبوءونهم ولا تحبونهم) ، أي : أنتم - أي المؤمنون - تبوءون التناقض بما يظهرون لكم من الإيمان ، فحبوهم على ذلك وهم لا يحبونكم ، لا باطنا ولا ظاهرا (وتؤمنون بالكتاب كله) ، أي : ليس عندكم في فهمه منه شك ولا ريب ، وهم عندكم بالشك والريب والميرة .

وقال محمد بن إسحاق : خلقني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبلة ، عن ابن عباس : (وتؤمنون بالكتاب كله) ، أي : بكتابتهم وكتابتهم ، وبما مضى من الكتاب قبل ذلك ، وهم يكفرون بكتابتهم ، فأنتم أحق بالبغضاء لهم ، منهم لكم . رواه ابن جرير .

(وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضنوا عليكم الأنامل من الغيظ) . والأنامل : أطراف الأصابع ، قاله قتادة . وقال الشاعر :

أودَّ كما ، ما بلى حكتي ويقتي • وما حمت كمتي أنملي السخري

وقال ابن مسعود ، والسدي ، والريعي بن أنس : الأنامل الأصابع .

وهذا شأن المنافقين يظهرهم للمؤمنين الإيمان والوعدة ، وهم في الباطن غلاف ذلك من كل وجه ، كما قال تعالى : (وإذا خفوا عضنوا عليكم الأنامل من الغيظ) وذلك أشد الغيظ والحقد ، قال الله تعالى : (قل : موتوا بغيظكم ، إن الله عليم بذات الصدور) ، أي : مهما كنتم تحسبون عليه المؤمنين ويغيبكم ذلك منهم ، فاعلموا أن الله مستم لعمته على عباده المؤمنين ومكتل دينه ، ومثل كلمته ومظهر دينه ، فلو أنتم بغيظكم (إن الله عليم بذات الصدور) ، أي : هو عليم بما تلطوى عليه ضائركم ، ولكنته سر الركن من البغضاء والحسد والغفل المؤمنين ، وهو مجازيكم عليه في الدنيا بأن يريكم خلاف ما تؤمنون ، وفي الآخرة بالطلب الشديد في النار إلى أنتم خاللون فيها ، فلا خروج لكم منها .

ثم قال : (إن تمسكتم حسنة نسوهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) . وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه إذا أصاب المؤمنين عصب ، ونصر وتأييد ، وكثروا وعز أنصارهم ، ساء ذلك المنافقين ، وإن أصاب المسلمين سيئة ، أي : جنب - أو أميل عليهم الأعداء ، لا الله في ذلك من الحكمة ، كما جرى يوم أحد - فرح المنافقون بذلك ، قال الله تعالى مخاطباً عباده المؤمنين : (وإن تصبروا وسقوا لا يضركم كيهم شيئا) .. الآية ، يرشدكم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكند الصغار ، باستعمال الصبر والتمسك ، والتمسك كل من الله الذي هو محيط بأعدائهم ، فلا حول ولا قوة لهم إلا به ، وهو الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . ولا يقع في الوجود شيء إلا بقديره ومشيته ، ومن توكل عليه كفاه .

ثم حُشِرَ تعالى في ذكر قصة أحد ، وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين . والتمييز بين المؤمنين والمنافقين وبيان صبر الصابرين ، فقال تعالى :

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَافِئَتَانِ مِنْكَ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٢﴾ وَلَقَدْ صَرَّفَرُ اللَّهُ يُبَدِّلُ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَأَقْبَحُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَسْكُرُونَ ﴿١٦٣﴾

المراد بهذه الرواية يوم أحد عند الجحوم ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة . والسدي وغير واحد . وعن الحسن البصري : المراد بذلك يوم الأحزاب . رواه ابن جرير ، وهو غريب لا يعول عليه .

وكانت وقعة أحد يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة . قال [قتادة] : لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال . وقال عكرمة . يوم السبت النصف من شوال ، فلهذا أُعطي .

وكان سببها أن المشركين حين قُتِل من قتل من أشرفهم يوم بدر ، وسكنت العير بما فيها من التجارة التي كانت مع أبي سفيان ، فلما رجع فمكثهم^(١) إلى مكة قال أبناء من قُتِل وروساء من بني لؤي سفيان : ارضد هذه الأموال لتناك عهد ، فأنفقوها في ذلك ، وجمعوا الجُمُوع والأحايِش وأقبلوا في قِريب من ثلاثة آلاف ، حتى تزلوا قريبا من أحد لقاء المدينة ، فعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ، فلما خرج منها صلى على رجل من بني النجار ، فقال له : مالك بين عمرو^(٢) واستشار الناس : أخرج إليهم أم نمكت بالمدينة ؟ فأشار عبد الله بن أبي بلقاس بالمدينة ، فإن أقاموا أقاموا بشر مشغيب ، وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورواهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خالين . وأشار آخرون من الصحابة بمن لم يشهد بدرا بالخروج إليهم ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لأمة^(٣) وخرج عليهم ، وقد نكس بعضهم وقالوا : لعلنا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فشت أن نمكت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ينبتني لئني إذا ليس لأمة أن يرجع حتى يسكن الله له .

فسار عليه السلام في ألف من أصحابه فلما كان بالشوط^(٤) رجع عبد الله بن أبي في ثلث الجيوش مضطربا ، لكونه لم يرجع إلى قوله^(٥) ، وقال هو وأصحابه : لو علم اليوم قتالا لاحتماكم ، ولكننا لا نراكم ثلاثون اليوم .

واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سارا حتى نزل الشئب من أحد في صدوة الوادي . وجعل ظهره وصكره إلى أحد وقاله : لا يقاتلن أحد حتى تأمره بالقتال .

وتبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال وهو في سبالة من أصحابه ، وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أن يبي حمر بن عوف ، والرماة يومئذ خمسون رجلا ، فقال لهم : انضربوا^(٦) لحيل عنا ، ولا تؤمنن من قبلكم ، واقرموا مكانكم إن كانت القوة لنا أو علينا ، وإن رأيتموها تتخلقنا الطير فلا تهرحوا مكانكم .

وظاهر^(٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ، وأعطى القواء مضطرب بن حمر أنما بني عبد الدار . ولجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اللذان يومئذ ولجأ آخرون ، حتى أصابهم يوم اختلفت يده هذا اليوم بقرين من صتين .

(١) أي جهاتهم الثلاث .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢ / ٦٣ .

(٣) الشوط : يستأن كان بالمدينة ، بينها وبين أحد (مراد الإصلاح) .

(٤) لو كان هذا التحليل سببا لبقي بين لظانه دام يتجاور المدينة ، ولكنه في الحقيقة أراد أن يفعل الوهن الضل على أنفس القوم ، فنادى في ذلك ليجد طلبا هذه الغاية بعد تحرك الجيش ، والله أعلم .

(٥) أي : أخطأوا عنا بالليل .

(٦) أي : ليس دوما فرق دوح .

وقبعت قريش وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائة فرس قد جكّبوها (١) ، فجهلوا على ميمنة أشيل عاتل بن الوليد ، وحل الميرة حكرمة بن أبي جهل ودفعوا إلى بني عبد الدار اللواء . ثم كان بين الفريقين مباحثات تفصيله في مواضع عند حله الآيات ، إن شاء الله تعالى .

وهذا قال تعالى : (وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد القتال) أي يهتّم لهم منازلهم ويجعلهم مهمّة وميسرة وحثّ أمرهم . (والله سميع عليم) ، أي : صبيح لا تقولون ، عليم بما لكم .

وقد أورد ابن جرير ما هنا سوّالا ، حاصله : كيف يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم سار إلى أحد يوم الجمعة بعد الصلاة ، وقد قال الله : (وإذ أخذت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد القتال) ؟ ثم كان جوابه عنه : أن غدوه ليوتهم مقاعد إنما كان يوم السبت أول النهار .

وقوله : (إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا) .. الآية ، قال البغوي : حدثنا عيسى بن عبد الله ، حدثنا سفيان قال : قال عسّرو : سمعت جابر بن عبد الله يقول : فيما نزلت : (إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا) .. الآية ، قال : هن الطائفتان بنو حارثة وهو سكمّة ، وما نحيب - وقال سفيان مرة . وما يسترق - أنها لم تَنزَلْ ، تقول الله تعالى : (والله وليهما) (٢) .

وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة ، به . وكذا قال ضمر واحد من السلف : (إنهم بنو حارثة وهو سكمّة ، وقوله : (وقد نصركم الله يندر وأنتم أذلّة ، فاقوا الله لملككم تشكرون) ، أي : يوم يدر ، وكان في جملة والفق السابع عشر من شهر رمضان ، من سنة اثنين من الهجرة ، وهو يوم القرقان الذي أوحى الله فيه الإسلام وأمله ، ودمغ فيه لشرك وخرب محله ، مع قلة عدد المسلمين يومئذ ، فإنهم كانوا للأحقاف وثلاثة عشر رجلا ، فيهم فرسان وسبعون بهرا ، والباقيون مشاة ، ليس معهم من المعدّات جميع ما يحتاجون إليه . وكان العدو يومئذ ما بين التسعة إلى الألف في سوابغ الحديد والبرّيق (٣) والمعدّة الكاملة والخيول المسومة والحكّى الزائد ، فأوحى الله رسوله ، وأظهر وجهه وتزيّله ، ويهّض وجه النبي وقبيله ، وأوحى الشيطان وجهه ، ولهذا قال تعالى - سمعنا حلّ عباد المؤمنين وحزبه الملقن : (وقد نصركم الله يندر وأنتم أذلّة) ، أي : قليل عددكم ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله ، لا بكثرة العدد والعدد ، ولهذا قال في الآية الأخرى : (ويوم حين إذ أصهتكم كثركم فلم تكن عنكم شيئا) (لغور دحييم) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن مياك [قال] : سمعت عياضا الأحمري قال : شهدت البرموك وعلينا خمسة أمراء : أبو عبيدة ، يزيد بن أبي سفيان ، وابن حسّنة ، وعاتل بن الوليد ، وعياض - وليس عياض هذا الذي حدثت سمّاكا - قال : وقال عمر رضي الله عنه : إذا كان قتال طليكم أبو عبيدة . قال : فكيفنا إليه : (٤) لأنه جالس إلى الموت ، واستمددته ، فكذب إلينا : إنه قد جافق كتابكم تسقّم وتنبئ ، وإن أدلكم حل

(١) يعني : أبعدها إلى جهنم ، ويهيم ليعملونها إذا أبا بعض جهنم أو قتل

(٢) البغوي ، كتاب التفسير : ٤٧ / ٦ .

(٣) يعني : واستمددته ، وهي المروعة .

(٤) جالس من الجليان والازدياد .

من هو أحر نصرأ ، وأحصن جنتأ : الله عز وجل ، فاستصروه ، فإن حملأ صلى الله عليه وسلم قد نصر يوم بدر في أقل من عديكم ، فإذا جاءكم كتابي فقاتلوه ولا تراجسوا . قال : قاتلتهم فهزمتهم أربعة فراسخ ، قال : وأصبنا أولأ ، فثأرنا ، فأشار علينا حياض أن نعطى عن كل ذى رأس عشرة . قال : وقال أبو عبيدة : مع يراهنى ؟ قال شاب : أنا ، إن لم تنضب . قال : فسبه ، فرأيت عبيدتي إلى عبيدة تنفزان (١) وهو يحمله . حل فرس صوى (٢) .

وهذا إسناد صحيح . وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديثه بثقة ، عن شريك ، بنحوه ، وإسناده الحافظ الضياء المقدسي في كتابه .

وبدر محلة بين مكة والمدينة ، تعرف بئرها ، مشوية إلى رجل حفرها يقال له : بدر بن الناريين ؛ قال الشعبي : بدر بئر لرجل يسمى بدرأ :
وقوله : (فأتوا الله لعلكم تشكرون) ، أى : تهمون بطاعته .

إِذْ تَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَتَىٰ يَكْفِيكَرَ أَنْ يُدْعَرَ رَبُّكُمْ يَلَنَّةَ الْاَلِفِ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُزَلِّينَ ﴿١﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا
وَتَشْقُوا وَيَأْتِوكُم مِّن قُورِهِمْ هَلَّا يُدْعَرَ رَبُّكُمْ بِحَمَّةِ الْاَلِفِ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿٢﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا
بُشْرَىٰ لِّكُلِّ وَلِيٍّ لِّتُطْمَئِنُّ قُلُوبُكُمْ بِهِ . وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٣﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿٤﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظُلُمُونَ ﴿٥﴾ وَلِلَّهِ
مَافِ السَّمٰوٰتِ وَمَافِ الْأَرْضِ يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾

انقطع المفسرون في هذا الوحد : هل كان يوم بدر أو يوم أحد ؟ حل قولين :

أحدهما : أن قوله : (إذ تقول المؤمنون) متعلق بقوله : (ولقد نصركم الله بدر) . وروى هذا عن الحسن البصري ، وعامر الشعبي ، والريح بن أنس ، وغيرهم . واختاره ابن جرير .

قال عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله : (إذ تقول المؤمنون أن يكفيكم أن يدركم بهم ثلاثة آلاف من الملائكة) ، قال : هذا يوم بدر . ورواه ابن أبي حاتم ، ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسحاق ، حدثنا وهيب عن داود ، عن حازم - يعنى الشعبي - : أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كثر بن جابر سبب المشركين ، فشق ذلك عليهم ، فأنزل الله : (أن يكفيكم أن يدركم بهم ثلاثة آلاف من الملائكة متزليين) إلى قوله : (مسومين) . قال : فبلغت كثرأ الفرعة ، فلم يد المشركين ولم يد الله (الله) المسلمين بالخمسة .

(١) تنزلان : أى نصركان بثقة والفتحة : للفر المفسرود .

(٢) سبأه : ٤٩/١ .

وقال الربيع بن أنس : أمد الله للمسلمين بألف ، ثم صاروا ثلاثة آلاف ، ثم صاروا خمسة آلاف .

إذ قيل : فما الجمع بين هذه الآية - على هذا القول - وبين قوله تعالى في قصة بدر : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين إلى قوله : (إن الله عزيز حكيم) ؟ الجواب : أن التخصيص على الألف هاهنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فافوقها ، لقوله : (مُرْدَفِينَ) (١) ، بمعنى يَرْدُ قُبْهَمُ عِرْهِمُ وَيَتَّبِعُهُمُ الْوَيْفُ آخِرُ مَطْلَعِهِمْ . وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران . فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من [أن] قتال الملائكة إنما كان يوم بدر ، والله أعلم ، قال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف .

القول الثاني : أن هذا القوم متملكن بقوله : (وإذ حدوث من أهلك يبرئ للمؤمنين مفاعد للقتال) ، وذلك يوم أُحُد . وهو قول مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والزهري ، وموسى بن عقبة وعيرم . لكن قالوا : لم يحصل الإمداد بخمسة الآلاف ، لأن المسلمين فروا يومئذ - راد عكرمة : ولا بالثلاثة الآلاف ، لقوله : (بل إن نصبروا ونفقوا) ، فلم يصبروا ، بل فروا ، فلم يعلوا بحملكم واعد .

وقوله : (بل إن نصبروا ونفقوا) ، يعني : نصبروا على مصابرة عدوكم ، وتقوى وتطهروا أمرى :

وقوله : (ويأتوكم من فورهم هذا) ، قال الحسن ، وقتادة ، والربيع ، والسدي : أي من وجههم هذا . وقال مجاهد ، وعكرمة ، وأبو صالح : أي من خلفهم هذا . وقال الضحاك : من غضبهم ووجههم . وقال الحري عن ابن عباس : من صفرهم هذا . ويقال (٢) : من غضبهم هذا .

وقوله : (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسويين) ، أي : معلمين بالسبا .

وقال أبو إسحاق السبكي ، عن حارثة بن مسروق ، عن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، قال : كان سبا الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض ، وكان سيّاهم أيضا في نواصي شيلهم .

رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا هبة بن خالد ، حدثنا حاد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة في هذه الآية : (مسويين) قال : بالمهين (٣) الأحمر .

وقال مجاهد : (مسويين) ، أي : محدثة أمرها ، معلمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذنان الخيل .

وقال الحري ، عن ابن عباس ، قال : أتت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم مسويين بالصوف ، فسوّم محمد وأصحابه أنفسهم وغيرهم على سيّاهم بالصوف .

وقال عكرمة وقتادة : (مسويين) ، أي : سبا القتال . وقال مكيحول : (مسويين) بالمهين .

(١) هذه قراءة الفصح وجماعة من أهل المدينة ، يفتح اللام من (مردفين) ويأتى السبعة والحسن ومجاهد بكسرهما . (البحر المحيط لأبي حيان : ٤/٤٦٥) .

(٢) في تفسير الطبري ١٨٢/٧ : « ويقال - يسي عن غير ابن عباس - بل هو ، من غضبهم هذا .

(٣) المهين ، الصوف المصبوغ ألواناً .

وروى ابن مَرْثُوبه ، عن حديث عبد القدوس بن حبيب ، عن حطاب بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : (سميع) ، قال : مطيع . وكان سببا للملائكة يوم بدر عامهم سود ، ويوم حنين) عامهم حُمْر ،

وروى من حديث حصين بن غارق ، عن سعيد ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : لم تَلال للملائكة إلا يوم بدر :

وقال ابن إسحاق : حدثني مَنْ لَا أَنَّهُمْ عَنْ مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كان سببا للملائكة يوم بدر عَسَاكِمَ يَبُضُّ لَدُنْهُمْ لَوْنُهَا فِي ظُهُورِهِمْ ، ويوم حنين عامهم حُمْرًا . ولم تُضرب للملائكة في يوم سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون [فيما سواه من الأيام] (١) عِدَّةً أَوْ مَعْدَةً لَا يَبْضُرُونَ .

ثم رواه عن الحسن بن عمار ، عن الحكم ، عن مِقْسَم عن ابن عباس ، فذكر نحوه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الأحمسي ، حدثنا وكيع ، حدثنا هشام بن عروة ، عن يحيى بن جابر : أن الربيع رضي الله عنه - كان عليه يوم بدر عمامة صفراء مُتَجَبِّجًا بِهَا ، فزلت للملائكة عليهم عامهم صُفْرًا .

رواه ابن مَرْثُوبَة من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الربيع - فذكره .

وقوله : (وما جعله الله إلا بشرى لكم وتطمئن قلوبكم به) ، أي : وما أَوَّلُ الله للملائكة وأعلمكم بأمرنا إلا بشارة لكم وتطمئن قلوبكم وتطمئن ، وإلا فإِنَّمَا النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، الذي لو شاء لاتنصر من أخصائه بدونكم ، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم ، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال : (ذلك لو يشاء الله لاتنصر منهم ، ولكن ليبينوا بضعكم بعض ، والمؤمن قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم - سيديهم ويصلح بهم - ويدخلهم الجنة عرفها لهم) . ولهذا قال ما هنا (وما جعله الله إلا بشرى لكم وتطمئن قلوبكم به وما انتصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) ، أي : هو ذو النزة التي لا ترام ، والحكمة في قدره والإحكام .

ثم قال تعالى : (ليقطع طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، أي : أمركم بالجهاد والجلاد ، لا له في ذلك من الحكمة في كل تقدير . ولهذا ذكر جميع الأقسام للملكة في الكفار المجاهدين - صار (ليقطع طرفًا) . أي : ليهلك أمة (من الذين كفروا) أو يكتهم أي : يخرجهم ويردهم فيظلمهم لئلا يبالغوا في قتالكم ما أرادوا ، ولهذا قال : (لو يكتهم ليقطعوا) ، أي : يرجعوا (يفتكبون) ، أي : لم يحصلوا على ما أَسْتَوْا .

ثم اعترض بجملة دلت على أن الحكم في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له ، فقال : (ليس لك من الأمر شيء) ، أي : بل الأمر كله لي ، كما قال : (إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) . وقال : (ليس عليك هداه) ولكن الله يهدي من يشاء . وقال : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مِنْ أَحْيَاءٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) .

اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَلَاطَتَكَ عَلَى مُصْطَرٍّ وَاجْلِهَاجَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَى يَوْسُفَ . يَجْهَرُ بِذَلِكَ ، وَكَانَ يَقُولُ - فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ فِي صَلَاةِ النَّجْرِ - : اللَّهُمَّ الْمَنْ فَلَانَا وَفَلَانَا لِأَحْيَاءِ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) .

وقال البخاري : قال حُمَيْدٌ وَثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : شَجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَقَالَ : كَيْفَ يُكَلِّمُ قَوْمٌ شَجَّوا نَبِيَّهُمْ ؟ . فَرُتِلَ : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) .

وقد أسند هذا الذي حكاه البخاري رحمه الله (١)

وقال البخاري : فِي غُرُوةٍ أُحَدٌ : حَدَّثَنَا بِجِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ - أَشْجَرًا مَبْعُوثًا ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ ، فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ النَّجْرِ - : اللَّهُمَّ الْفَلَانُ وَفَلَانَا وَفَلَانَا . بَعْدَ مَا يَقُولُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) الْآيَةَ .

وعن حفظة بن أبي سليمان قال : سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو حُلَّ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَسُهَيْلَ بْنَ عُرْوَةَ ، وَالْخَارِثَ بْنَ هِشَامٍ ، فَرُتِلَ : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظَالُونَ (٢) .

هكذا ذكر هذه الزيادة البخاري معلقة برسلة ، وقد نقلت مستندة متصلة في مستند أحمد متصلة ألفا ،

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، حَدَّثَنَا حَمِيدٌ ، عَنْ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفِّرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَكُفِّجَ فِي جِهَتِهِ (٣) حَتَّى سَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ ، عَزَّ وَجَلَّ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ ظَالُونَ) .

انفراد به مسلم (٤) ، فرواه [عَنْ] الْقُتَيْبِيِّ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سُلَيْمَةَ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ - فَلَذَكَرَهُ .

وقال ابن جرير : حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، حَدَّثَنَا [بِجِي] بْنُ وَاضِحٍ ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ وَائِلٍ ، عَنْ مَطَرٍ ، عَنْ قُتَادَةَ قَالَ : أَصَابَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُفِّرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ، وَفُرِقَ حُلَّجُهُ ، وَفُزِعَ عَلَيْهِ دُرْعَانٌ ، وَالدَّمُ يَسِيلُ ، فَرَأَى بِهِ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حَلِيفَةَ ، فَأَجْلَسَهُ وَسَمِعَ مِنْ وَجْهِهِ ، فَأُفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ : كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) . الْآيَةَ .

وكذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قُتَادَةَ - بِنَحْوِهِ ، وَلَمْ يَقُلْ : فَأُفَاقَ (٥) .

(١) ينظر الحديث الذي رواه الإمام أحمد وسلم فيما يأتي .

(٢) صحيح البخاري : غُرُوةٍ أُحَدٌ : ١٢٧/٥ .

(٣) في المخطوطة : وَجْهَهُ . وللحديث من المست : ٩٩/٢ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير : ١٧٩/٥ .

(٥) تفسير الطبري : ١٩٧/٧ ، ١٩٨ .

ثم قال تعالى : (والله مآل السموات ومآل الأرض) ، أى : الجميع ملك له ، وأهلها عبيد بين يديه (ينظر ابن يشاء ويطلب من يشاء) ، أى : هو المتصرف فلا مُتَكَبِّحَ لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، والله غفور رحيم .
يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٨﴾ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنِيتَيْنِ الْغَيْظِ وَالْعَالَيْنِ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمِن بَغْيِ الذَّنْبِ ؕ إِنَّا اللَّهُ وَلَا يَبْصُرُونَ مَا فَعَلُوا ۖ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ناعيا عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضغاث مضاعفة ، كما كانوا يقولون في الجاهلية - إذا حل أجل الدين - : إما أن يمضي وإما أن يربي . فإن قضاءه وإلا زاده في المدة وراثة الآخر في القدر ، وهكذا كل حام ، فرما تضاعف القليل حتى يصير كثيرا مضاعفا (١) .

وأمر تعالى عباده بالتقوى لهم فليعلموا في الأولى والأخرى ، ثم توعدهم بالنار وحلهم منها ، فقال : (واتقوا النار التي أعدت للكافرين . وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحموا) .

ثم تنبههم إلى المباداة إلى فعل الشيرات والمسارة إلى نيل القُرْبَات ، فقال : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) ، أى : كما أعدت النار للكافرين . وقد قيل : إن معنى قوله : (عرضها السموات والأرض) - تنبها على الساع طولا ، كما قال في صفة فرش الجنة : (بطاقتها من يسترق) ، أى : لما فلنك بالظهار ؟ . وقيل : بل عرضها كطولها ، لأنها تية تحت العرش ، والشيء المُنْتَبِ والمُسْتَدِير عَرْضُهُ كطولهِ . وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح . إذا سألتم الله الجنة فاسألوهُ القردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنتهى تنجراتها أرفع الجنة ، وسفعتها عرش الرحمن (١) .

وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحديد : (سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) . الآية .

وقد رويتنا في مسند الإمام أحمد : أنَّ هرقل كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم : إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سبحانه الله ! فأين الليل إذا جاء النهار ؟ .

وقد رواه ابن جرير فقال : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني مسلم بن خالد ، عن أبي شبيب ، عن سعيد بن أبي راشد ، عن يلى بن مرة قال : لقيت التترخي رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر ،

شيخا كبيرا قد فسدت ، قال : قلمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هيركل ، فنكول الصحيفة رجلاً عن يساره . قال قلت : من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا : معاوية . فإذا كتاب صاحبي : « إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، فأين النار ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صبيحان الله ! فأين الليل إذا جاء النهار ؟ » .

وقال الأصمى ، وسفيان الثوري ، وشعبة - عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب : أن ناساً من اليهود سألوهم عن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال عمر : « أرايتهم إذا جاء الليل أين النهار ؟ وإذا جاء النهار أين الليل ؟ فقالوا : لقد نزعتم مبتليها من التوراة .

رواه ابن جرير من الثلاثة الطرق (١) ، ثم قال : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا أبو ثعلبة ، حدثنا جعفر بن يونس ، أنبأنا يزيد بن الأصم : أن رجلاً من أهل الكتاب قال : يقولون : (جنة عرضها السموات والأرض) ، فأين النار ؟ فقال ابن عباس : أين يكون الليل إذا جاء النهار ، وأين يكون النهار إذا جاء الليل ؟

وقد روي هذا مرفوعاً ، فقال البرزالي : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا للمغيرة بن سلمة أبو هشام ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم ، عن عتبة بن يزيد الأصم ، عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرايت قوله تعالى : (جنة عرضها السموات والأرض) ، فأين النار ؟ قال : « أرايت الليل إذا جاء ليس كل شيء » ، فأين النهار ؟ قال : « حيث شاء الله . قال : وكذلك [النار تكون] حيث شاء الله عز وجل .

وهذا يحتمل معنيين ، أحدهما : أن يكون للمعنى في ذلك : أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار أن لا يكون في مكان ، وإن كنا لا نعلمه ، وكذلك النار تكون حيث يشاء الله عز وجل ، وهذا أظهر كما تقدم في حديث أبي هريرة ، عن البرزالي .

الثاني : أن يكون للمعنى : أن النهار إذا تفتش وجه العالم من هذا الجانب ، فإن الليل يكون من الجانب الآخر ، فكذلك الجنة في أعلى حليتين فوق السموات تحت العرش ، وعرضها كما قال الله ، عز وجل : (كعرض السموات والأرض) ، والنار في أسفل سافلين ، فلا تفتني بين كونها كعرض السموات والأرض ، وبين وجود النار ، والله أعلم .

ثم ذكر تعالى صيغة أهل الجنة ، فقال : (الذين ينفقون في السراء والضراء) ، أي : في الفسحة والرخاء ، والمكنت (٢) والمكثرة ، والصحة والمرض ، وفي جميع الأحوال ، كما قال : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) . والمعنى : أنهم لا يشغلهم أمر من طاعة الله تعالى والإنفاق في مراضيه ، والإحسان إلى خلقه من قرباتهم وغيرهم بأنواع البر .

(١) تفسير الطبري : ٧/٢١٠ - ٢١٧ .

(٢) المكنت ، هو الأمر الذي تشغل له ، وتشغل فيه ، عكس المكثرة .

وقوله : (وَالْكَافِرِينَ الْيَغْيَاءَ وَالْبَاقِينَ مِنَ النَّاسِ) ، أى : إذا ثار بهم النفيظ كظموه ، بمعنى : كتموه فلم يعملوه ، وعفوا مع ذلك عن أساء إليهم . وقد ورد في بعض الآثار : يقول الله تعالى : «ابن آدم ، اذكرني إذا غضبت ، أذكرك إذا غضبت ، فلا أهلكك فيمن أهلك» .

رواه ابن أبي حاتم .

وقد قال أبو يعلى في مسنده : حدثنا أبو موسى التميمي (١) ، حدثنا عيسى بن شعيب الضرير أبو الفضل ، حدثنا الربيع بن سليمان الجبزي (٢) ، عن أبي عمرو بن أنس بن مالك ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ ، ومن غَضَّ نَسَاءَهُ سَرَّ اللَّهُ حَوْرَهُ ، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عله » .

هذا حديث غريب ، وفي إسناده نظر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا مالك ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : ليس الشديد بالصرعة (٣) ، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (٤) .

وقد رواه الشيخان من حديث مالك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله - هو ابن مسعود ، رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أيكم مكالٌ وارثه أحب إليه إليه من ماله [قال] ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنت أحد إلا مكاله أحب إليه من مال وارثه . قال : اعلما أنه ليس منكم أحد إلا مالٌ وارثه أحب إليه من ماله [١٥] ما لك من مالك إلا ما قدمت ، وما لك ما أخرت . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تحذون فيكم الصرعة ؟ قلنا : الذي لا تنصره الرجال . قال قال : لا ، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تصدون فيكم الرقوب (٦) ؟ قال : قلنا : الذي لا ولد له . قال : لا ، ولكن الرقوب الذي لم يقدم من ولده شيئاً .

أخرج البخاري (٧) الفصل الأول منه وأخرج مسلم أصل هذا الحديث من رواية الأعمش ، به .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت حروة بن عبد الله الجعفي يحدث عن أبي حصبة ، أو ابن حصبة ، عن رجل شهد النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال : قدرون ما الرقوب ؟

(١) هو محمد بن المنذر الحافظ ، أبو موسى المنزي البصري الزم (ميزان الإحتلال : ٢٤/٤ ، وخلاصة التلخيص : ٢٠٠) .

(٢) في الاضطحة : أنبجى . ووليت من البرج والتصيل : ٤٦٤/٢/١ .

(٣) الصرعة - ينضم الصلاد وضع الرء - : القنوى إلى لا يطلب .

(٤) مسند أحمد : ٢٣٦/٢ . وسلم ، كتاب البر ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب : ٣٠/٨ .

(٥) من مسند أحمد : ٣٨٢/١ .

(٦) الرقوب و اللقنة : الرجل والمرأة إذا لم يمشي شواوند .

(٧) صحيح البخاري ، باب ما جاء في الرقائق : ١١٦/٨ .

قالوا الذي لا ولد له . قال : (الرقوب كل الرقوب) الذي له ولد فانه ، ولم يُقَدِّم منهم شيئا . قال : تدرون ما المبعوك ؟ قالوا : الذي ليس له مال . قال النبي صلى الله عليه وسلم : [المبعوك كل المبعوك ^(١)] الذي له مال ، لمات ولم يُقَدِّم منه شيئا . قال : ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما الصُّرعة ؟ قالوا : الصرع قال : فقال صلى الله عليه وسلم : [الصرعة كل الصرعة] الذي يفضبه فيشتد غضبه ، ويحمر وجهه ، ويشعر شعره ، فيصرع غشيبه ^(٢) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا هشام — هو ابن عروة — عن أبيه ، عن الأحنف بن قيس عن حم له يقال له : جارية بن قدامة السعدي : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قل لي قولاً ينفعني وأتقيل عليّ ، لعل أبيه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تنفضه ؛ فأعاد عليه حتى أحاد عليه مرارا ، كل ذلك يقول : لا تنفضه ^(٣) .

وكما رواه عن أبي معاوية ، عن هشام — به : ورواه عن يحيى بن سعيد القطان ، عن هشام — به : أن رجلا قال : يا رسول الله ، قل لي قولاً وأتقيل حكيّ لعملي أقبله ؛ قال : لا تنفضه .

الحديث انفرد به أحمد :

حديث آخر : قال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رجل : يا رسول الله ، أوصني . قال : لا تنفضه . قال الرجل : ففكرت حين قال صلى الله عليه وسلم ما قال ، فإذا انفضت يجمع الشر كله .

انفرد به أحمد ^(٤) :

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا داود بن أبي هند عن [ابن] أبي حرب ^(٥) بن أبي الأسود ، عن أبي الأسود ، عن أبي ذر قال : كان يسقى حل حوض له ، فجاء قوم قالوا : أيكم يورد على أبي ذر ويغضب شعرات من رأسه ؟ فقال رجل : أنا . فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فذقه ، وكان أبو ذر قائما فجلس ، ثم اضطجع ، فقيل : له : يا أبا ذر ، لم جلست ثم اضطجعت ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا : إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإذا ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع .

ورواه أبو داود ^(٦) ، عن أحمد بن حنبل بإسناده ، إلا أنه وقع في روايته : عن أبي حرب ، عن أبي ذر ، والصحيح : ابن أبي حرب ، عن أبيه ، عن أبي ذر — كما رواه عبد الله بن أحمد . عن أبيه

(١) عن مسند أسد : ٣٦٧/٥ .

(٢) في المسند : يصرعه غشيبه .

(٣) مسند أحمد : ٣٤/٥ .

(٤) مسند أحمد : ٣٧٣/٥ .

(٥) في الموطأ : عن ابن حرب ، وفي المسند : ١٥٢/٥ . عن أبي حرب .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الأدب : ٤٤٩/٤ .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد : حدثنا أبو وال الصنعاني قال : كنا جلوسا عند عروة ابن عبد إذ دخل عليه رجل ، فكلّمه بكلام أغضب ، فلما أن غضب ، ثم عاد إلينا وقد توضأ فقال : حدثني أبي ، عن جدي عطية - هو ابن سعد السعدي ، وقد كانت له صحة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الشيطان وإن الشيطان خليك من النار ، وإنما تعلقنا النار بلاء ، فإذا اغضبك أحدكم فكيتوا فاستأجروا» (١) .

وهكذا رواه أبو داود (٢) من حديث إبراهيم بن خالد الصنعاني ، عن أبي وال الصنعاني المراسي الصنعاني ، قال أبو داود : أراه عبد الله بن يحيى .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا نوح بن جهموة السلمي ، عن مقاتل بن حيان ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أنظر معسرا أو وضع له فإياه الله من ديج جهنم ، ألا إن حمل الجنة حزن يربو - ثلاثا - ألا إن حمل النار سهل يسهر» (٣) والسعيد من وى اللهن ، وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكتلمها عبد ما كتلمتها عبد الله ، إلا ملأ جوفه إيمانا ..

انقرده به أحمد ، إسناده حسن ليس فيه مجروح ، ومثله حسن (٤) .

حديث آخر في معناه : قال أبو داود : حدثنا عتبة بن مكرم ، حدثنا عبد الرحمن - يعني ابن مهدي - عن بشر - يعني ابن منصور - عن محمد بن عجلان ، عن سويد بن وهب ، عن رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كظم غيظا وهو قادر على أن ينقله مكره الله أنما وإيمانا ، ومن تركه ليس ثوب جمال وهو يقدر عليه قال بشر : أحسبه قال : «تواضعا» - كساه الله حلفه الكرامة ، ومن روج (٥) الله كساه الله لاج للآل .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا سعيد ، حدثني أبو مَرْحُوم ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كظم غيظا وهو قادر على أن ينقله ، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الجور شاء . (٦) .

ورواه أبو داود (٧) ، والترمذي ، وابن ماجه من حديث سعيد بن أبي أيوب - به . وقال الترمذي : حسن غريب .

(١) مسند أحمد : ٢٢٦/٤ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب : ٢٤٩/٤ .

(٣) السيرة : الأرض البينة القربة . شبه النصبة في سهرتها على مرتكبها بالأرض البينة التي لا مردة فيها ولا مشقة .

(٤) مسند أحمد : ٢٢٧/١ .

(٥) عن سنن أبي داود ، كتاب الأدب : ٢٤٨/٤ ، وفي المصنوعة : ومن توجّه كساه الله تلج للآل . والمثبت من سنن أبي داود .

(٦) مسند أحمد : ٤٤٠/٣ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الأدب : ٤٤٨/٤ ، وابن ماجه ، كتاب الزهد ، الحديث رقم ٤١٨٦ ، ١٤٠٠ ، صفة

الأحرف : ياب كظم الغيظ : ١٦٥/٦ ، ١٦٦ .

حديث آخر : قال : عبد الرزاق : أخبرنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل من أهل الشام - يقال له : عبد الجليل - عن عم له ، عن أبي هريرة في قوله تعالى : (والكاظمين الفيت) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كظم غيظا ، وهو يقدر على إنفاقه ماله الله أمنا وإعانا . رواه ابن جرير .

حديث آخر : قال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن محمد بن زياد ، أخبرنا يحيى بن أبي طالب ، أخبرنا علي بن ابن حاصم ، أخبرني يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يخرج جسد من جرة أفضل أجرا من جرة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله » .

وكذا رواه ابن ماجه (١) عن بشر بن عمار ، عن حماد بن سكرة ، عن يونس بن عبيد ، به .

قوله : (والكاظمين الفيت) ، أي : لا يبدون غضبيهم في الناس ، بل يكونون عنهم شرم ، ويحبسون ذلك عند الله عز وجل . .

ثم قال : (والعافين عن الناس) ، أي : مع كف الشر يفرقون عن ظلمهم في أنفسهم ، فلا يبي في أنفسهم متوجدة على أحد ، وهذا أكل الأحوال ، ولهذا قال : (والله يحب المتستين) . فهذا من مقامات الإحسان .

وفي الحديث : « ثلاث أخسيم عليهن : ما تنقص ماله من صلة ، وما زاد الله عبداً بهنو إلا عزا ، ومن تواضع لله رفعة الله (٢) » .

وروى الحاكم في مستدركه من حديث موسى بن عبيدة ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة التكريتي ، عن عبيدة بن الصامت ، عن أبي بن كعب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سره أن يشرف له البيتان ، وترفع له الدرجات فليحلف عن ظلمه ، ويحلف عن حرمه ، ويحلف عن قتلته » .

ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . وقد أورده ابن مردويه من حديث علي ، وكعب بن عجرة ، وأبي هريرة ، وأم سلمة ، بنحو ذلك . وروى عن طريق الفحيحلي ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول : أين المنافقون عن الناس ؟ هلما إلى ربكم ، وعكوا أجودكم ، وحتى على كل امرئ مسلم إذا عفا أن يكتمل الجنة » .

وقوله تعالى : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ، ذكروا الله فاستغفروا للخطيئة) ، أي : إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا همام بن يحيى ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن أبي عسرة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن رجلا أذنب ذنبا ، فقال : رب إني أذنت ذنبا فأظفره

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، الحديث رقم ٤١٨٩ ، ٤١٩٠ ، ٤١٩١ .

(٢) ينظر صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب استصحاب المسلم والمسلمة ، ٢١/٨ .

فقال الله : عبدي صلب فلما ، فلم أن له ربا يفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي . ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب إلى صلبك ذنبا فاغفره . فقال تبارك وتعالى : علم عبدي أن له ربا يفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي . ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب ، إلى صلبك ذنبا فاغفره لي : فقال عز وجل : حكم عبدي أن له ربا يفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب ، إلى صلبك ذنبا فاغفره . فقال عز وجل : عبدي علم أن له ربا يفر الذنب ويأخذ به ، أشهدكم أنني قد غفرت لعبدي ، فليعمل ما شاء (١) .

أخرج في الصحيح من حديث إسحاق بن أبي طلحة ، نحوه (٢) :

حديث أنس : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالا : حدثنا زهير ، حدثنا سعد الطائي ، حدثنا أبو المكدلة - مولى أم المؤمنين - سمع أبا هريرة ، قلنا : يا رسول الله ، إذا أبتك رقت قلوبنا ، وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقتك أعجبنا الدنيا وشئنا النساء (٣) والأولاد ، فقال : لو أنكم تكونون على كل حال ، على الحال التي أنتم عليها حنئ ، لصاححكم الملائكة بأعضهم ، وفارقتكم في بيوتكم ، ولو لم تلذّبوا لجاه الله بقرم يذنبون كي يفر لهم . قلنا : يا رسول الله ، حدثنا عن الجنة ، ما بناؤها ؟ قال : لبنة ذهب ، ولبنة فضة ، وسلاطيل المسك الأذفر ، وحصباءها اللؤلؤ والياقوت ، وتربها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا يتأس ، وغلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابه . ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يعمل على القمام وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وحزني لأنصر لك ولو بعد حين (٤) .

ورواه الترمذي وابن ماجه من وجه آخر عن سعد ، به .

ويؤكد الرغبه وصلاة ركعتين عند التوبة ، لا رواه الإمام أحمد بن حنبل :

حدثنا وكيع ، حدثنا مسمر ، وسفيان - هو الثوري - عن عثمان بن المغيرة الثقفي ، عن علي بن ربيعة ، عن أسماء ابن الحكم القرظي ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفسي الله بما شاء منه ، وإذا حدثني [عنه] غيري استحللته ، فإذا حلف لي صلفته . وإن أبا بكر رضي الله عنه حدثني [وصلى أبو بكر - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من رجل يذنب ذنبا فيؤثما فيحسن - الوضوء - قال مسمر : فيصلي . وقال سفيان : ثم يصلي ركعتين - فيستغفر الله عز وجل [لا غفر له] » (٥) .

كلما رواه علي بن المديني ، والحميدي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وأهل السنن ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي والدارقطني ، من طرق ، عن عثمان بن المغيرة ، به . وقال الترمذي : هو حديث حسن . وقد ذكرنا طريقه والكلام عليه مستقصى في مسند أبي بكر الصديق ، وبالجمله فهو حديث حسن ، وهو من رواية أمير المؤمنين علي بن

(١) مسند أحمد : ٢/٢٩٦ ، وما أتته ابن كثير ليه بعض اختصار ، وفي المسند : هام من يحيى .

(٢) مسلم : كتاب التوبة : ٨/٩٩ .

(٣) أبي : قلوبنا .

(٤) مسند أحمد : ٢/٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(٥) مسند أحمد : ١/٢٠١ ، ١٠ . وابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة ، الحديث رقم ١٣٩٥ : ٤٤٦ .

أبي طالب ، عن خليفة النبي أبي بكر الصديق ، رضى الله عنهما . وما يشهد لصحة هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيُتْبَغ - لو : فيُسْبِغ - الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فُتِحَتْ له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » .

وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه : أنه توضأ لم وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يُعَدَّتْ فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه » (١) .

قد ثبت هذا الحديث من رواية الأئمة الأربعة المتفاهة الراشدين ، عن سيد الأولين وآخرين ، ورسول رب العالمين ، كما دل عليه الكتاب المبين ، من أن الاستغفار من الذنب ينفع العاصين .

وقد قال عبد الرزاق : أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : بلغني أن إيليس حين نزلت (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا للنسبهم) . الآية ، بكى .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا مسحُز بن حون ، حدثنا عثمان بن مطر ، حدثنا عبد القور ، عن أبي مُصَبِّرة (٢) عن أبي رجاء ، عن أبي بكر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار ، فأكثروا منها ، فإن إيليس قال : أهلكتم الناس بالذنوب ، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكهم بالأهواء ، فهم يحسبون أنهم مهملون .

عثمان بن مطر وفيه ضعيفان .

وروى الإمام أحمد في مسنده ، من طريق عمرو بن أبي عمرو (٣) وأبي الخيثم المتوفى (٤) ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال إيليس : يا رب ، وحررتك لا أزال أجري [جارك] (٥) ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله : وعزى وجلالى ولا أزال أخضر لهم ما استغفرونى .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن الحنفى ، حدثنا حُمر بن أبى علفقة ، سمعت أبا بكر يحدث عن ثابت ، عن أنس قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ، أذنبت فلاناً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أذنبت فاستغفر ربك [قال : طأني استغفر ، ثم أعود فأذنب . قال : فإذا أذنبت فمَدَّ فاستغفر ربك] . فلما في الرابعة فقال : استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور .

(١) مسلم ، كتاب الطهارة ، باب غسل الوضوء والصلاة عليه : ١٤٠/١ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٢) في المخطوطة : أبي نصر ، وهو مسلم بن حبيب ، روى عن أنس بن مالك ، وأبي رجاء البجلي . ينظر الجرح والتهديد : ١٨٨/١/٤ ، وميزان الاعتدال : ١٠٥/٤ ، ٥٧٩ .

(٣) المسند : ١/٣ .

(٤) المسند : ٢٩/٣ ، ٧٦ .

(٥) من المسند : ٢٩/٣ .

وهذا حديث قريب من هذا الوجه :

وقوله : (ومن يفرغ الذنوب إلا الله) ، أي : لا يفرغها أحد سواه ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا عماد بن مصعب ، حدثنا سلام بن مسكين ، ولليبارك ، عن الحسن ، عن الأسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بأسير فقال : اللهم إني أتوب إليك ولا أئوب إلى محمد . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : حُرِّفَ الْحَقُّ لَأَحَدِهِ (١) .

وقوله : (ولم يُصروا على ما فعلوا وهم يعملون) ، أي : تابوا من ذنوبهم ، ورجعوا إلى الله عن قريبه ، ولم يستمروا على المنصبة يصنعوا عليها غير مقلعين عنها ، ولو تكرّر منهم الذنب تابوا عنه ، كما قال الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله في مسنده :

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل وغيره قالوا : حدثنا أبو يحيى عبد الحميد الحماني ، عن عثمان بن واقد ، عن أبي ثصبيرة ، عن مولى لأبي بكر ، عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أصر من استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة .

ورواه أبو داود (٢) ، والترمذي (٣) ، والبخاري في مسنده ، عن حديث عثمان بن واقد — وقد وثقه يحيى بن معين — به ، وشيخه أبو ثصبيرة الواسطي واسمه مسلم (٤) بن عبيد وثقه الإمام أحمد وابن حبان ، وقول علي بن المديني والترمذي : ليس إسناد هذا الحديث بذلك . فالظاهر إنما لأجل جهالة مولى أبي بكر ، ولكن جهالة مثله لا تفسر ، لأنه تاهي كبير ، ويكتفيه لسيعة إلى الصديق ، فهو حديث حسن ، والله أعلم .

وقوله : (وهم يعملون) ، قال مجاهد وعبد الله بن هبّيد بن عَمْرٍ : (وهم يعملون) أن من تاب تاب الله عليه ، وهذا كقوله تعالى : (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) ، وكقوله : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) ، ونظائر هذا كثيرة جداً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا جرير ، حدثنا حبان — هو ابن زيد الشَّرْعِي — عن عبد الله بن عَمْرٍو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال — وهو على المنبر — : « ارحموا تُرحموا ، واضفروا ينفركم ، ويل لأكماع القول ، ويل للمُصرين الذين يصبرون على ما فعلوا وهم يعلمون » .

فردّه أحمد رحمه الله (٥) .

(١) مسند أحمد : ٣٤٥/٣ .

(٢) سنن أبي داود ، باب الاستغفار : ٨٤/٢ .

(٣) نسخة الأخرى : كتاب الدعوات : ٤١٠/٤ .

(٤) في المخطوطة : مسلم . وقد سبق التبريت به .

(٥) مسند أحمد : ١٦٥/٢ . والأكماع : جمع قمح ، بكسر القمح كقلمع ، وهو الإلء الذي يترك في دحوس القروص تذاً بالأمات من الأثرية . شبه أكماع الذين يستمعون القول ولا يمتنعون ويحفظونه ويعلمون به ، بالأكماع التي لا تبي شيئاً ما يفرح فيها ، فكانه يفرحها عجزاً ، كما يفرح الشراب في الأكماع الجواراً .

ثم قال تعالى - يَتَذَكَّرْهُمْ لَعَلَّ يُصْغَوْا مِنْهُ يَخْلَعُونَ - (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنتان) ، أى : جزاؤهم على هذه الصفات مغفرة من الله وجنتان (تجرى من تحتهما الأنهار) ، أى : من أنواع المشروبات (خالعين فيها) ، أى : ما كثر فيها (وتعم أجور العاملين) مدح تعالى الجنة .

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٠٠﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٠١﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنْ يَمْسَسْكَ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلَهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَخْلُدَ مُنْكَرُهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٤﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقُولَ قَدْ رَأَيْنَاهُ ۚ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٠٦﴾

يقول تعالى غاطبا عباده المؤمنين الذين أصيبوا يوم أحد ، وقتل منهم سبعون : (قد عكست من قبلكم سُنَنٌ) ، أى : قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء ، ثم كانت العاقبة لهم والنصرة على الكافرين . ولهذا قال : (فاسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذِبِينَ) .

ثم قال : (هذا بيان للناس) ، يعنى : القرآن فيه بيان للأمر على جليئتها ، وكيف كان الأمر للأعْلَمِ مع أعدائهم (١) . (وهدى وموعظة) ، يعنى : القرآن فيه خَيْرٌ ما قبلكم و (هُدًى) لقلوبكم و (موعظة) ، أى : زاجر ثم قال مسلما للمؤمنين : (ولا تهنوا) ، أى : لا تضعفوا بسبب ما جرى ، (ولا تحزنوا وأنتم الأعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ، أى : العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون .

(إِنْ يَمْسَسْكَ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ) ، أى : إِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَمَّاجَكُمُ جِرَاحٌ وَقُتِلَ مِنْكُمْ طَائِفَةٌ ، هَذَا أَصَابُ أَعْدَائِكُمْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مِنْ قَتْلِ وَجَرَا حِ ، (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ) ، أى : لُتُيْلَ حُلِيِّكُمْ الْأَعْدَاءُ لَارَةً ، وَإِنْ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لَكُمْ لَنَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَكْمِ . ولهذا قال تعالى : (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) قال ابن عباس : فى مثل هذا لتزرى ، أى : من يصبر على مناجزة الأعداء ، ويخلد منكم شهداء) ، يعنى : يُمْشِكُونَ فى سِيْلِهِ ، وَيُبْذَرُونَ مَهْتَجِهِمْ فى مَرْضَاتِهِ . (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) ، أى : يَكْفُرُ عَنْهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ، إِنْ كَانَ لَهُمْ ذُنُوبٌ . وَإِلَّا رُفِعَ لَهُمْ فى دَرَجَاتِهِمْ بِحَسَبِ مَا أَصَابُوا بِهِ . وقوله (وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) ، أى : فُلْهِمْ إِذَا ظَفَرُوا بِتَحَوٍّ وَبَطَرُوا ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ دَعْوِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ وَمَحْقِهِمْ وَفَتْحِهِمْ .

ثم قال : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) ، أى : أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمْ تُبْذَرُوا بِالْقَتْلِ وَالشَّدَادَةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فى سُورَةِ الْبَقَرَةِ : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمْ يَأْتِكُمْ مِثْلُ الْقَالِينَ)

(١) يفهم من أوجزه المفسر فى معنى هذه الآية أن القرآن الكريم دعا المسلمين إلى دراسة تاريخية واجتماعية للأذى السابقة ، يبرهنوا أسباب القوة فيفسدوا بها ، وأسباب الضعف فيجعلوا بها ، فإن هذه الحياة أشبه ما تكون بقصة تتكرر نفسها بين الحقبة والحقة ، والحين والحين .

خلوا من قبلكم منهم البأساء والضراء وزلزلوا الآية وقال تعالى : (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الآية . ولهذا قال هاهنا : (ألم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ، أي : لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله ، والصابرين على مقارنة الأعداء .

وقوله : (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ، فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) ، أي : قد كنتم - أيها المؤمنون - قبل هذا اليوم تمنون لقاء العدو وتحرقون عليهم ، وتودعون منازلهم ومصابرهم ، فما قد حصل لكم الذي تستبتموه وطلبتوه ، فلو كنتم فاعلوا وصابروا .

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمنوا لقاء العدو ، وسروا الله المافية ، فإذا لقيتموه فاصبروا واطمئنا أن الجنة تحت ظلال السيوف (١) » .

ولهذا قال : (قد رأيتموه) ، يعني : الموت ، شاهدتموه في لمان السيوف وحدّ الأسنة ، واشتباك الرماح ، وصفوف الرجال القتال .

والفلكلون يبرون من هنا بالتخييل ، وهو مشاهدة ماليس بحسوس كالخسوس ، كما تتخيل الشاة صدقة الكبيش ، وعلادة الدلب .

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ مَآثٌ أَوْ قُتِلَ أَنْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ عَقَبَيْكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١١٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَنُفِثْ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فَنُفِثْ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١١١﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْعَاسِرِينَ ﴿١١٢﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَإِيتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١١٣﴾ فَفَاتَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٤﴾

لا أنزمت من أنزمت من المسلمين يوم أحد ، وقتل من قتل منهم ، إنادي الشيطان : ألا إن محمداً قد قتل . ورجع ابن قتيبة إلى المشركين فقال لهم : قتلتم محمداً . وإنما كان قد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففشيح في رأسه ، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس ، واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، وجوزوا عليه ذلك ، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام ، فحصل وهن وضعف وتأخر عن القتال ، ففي ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) ، أي : له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه .

قال ابن أبي نجيع ، عن أبيه : أن رجلا من المهاجرين مَرَّ على رجل من الأنصار ، وهو يَتَشَحَّطُ (١) في دمه ، فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - قد قتل ؟ فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قُتِلَ فقد بَلَغَ ، فقاتلوا عن دينكم ، فترى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) .

رواه البيهقي في دلائل النبوة .

ثم قال تعالى منكرا عن من حصل له فِتْنَةٌ : (أَذَانٌ مَاتَ لَوْ قُتِلَ انْقَلَبَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) ، أي : وجعتم الله ففترى ، (ومن يقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) ، أي : الذين قاموا ببطاحة وقاتلوا عن دينه ، واليهوا رسول له حيا وميتا ،

وكذلك ثبت في الصحيح والمسانيد والسنن ، وغيرها من كتب الإسلام ، من طريق متعددة يُعَدُّ الْقَتْلُ ، وقد ذكرت ذلك في مُسْتَدَي الشَيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ الصَّادِقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن عُقَيْل ، عن ابن شهاب ، أن عُبَيْرَ بْنَ صُلَيْمٍ : أَنَّ حَالَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنَةِ السُّنَّحِ (٢) حَتَّى نَزَلَ فدخل المسجد ، فلم يَكُنْ النَّاسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى حَالَةٍ ، فَنِيَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَشَفِّ بِثَوْبٍ حَبِيرَةٍ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ أَكَبَ عَلَيْهِ وَقَبَّلَهُ وَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَنْتَ وَلِيٌّ . وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَيْنِ ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مَتَتْهَا .

وقال الأثرقي : وَحَدَّثَنِي أَبُو صُلَيْمٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَهُوَ يُحَدِّثُ (٣) النَّاسَ فَقَالَ : اجْلِسْ يَا هَرَمُ (فَأَبَى عُرْوٌ أَنْ يَجْلِسَ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكَوا صُمَرَ) (٤) ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَمَا بَعْدَ ، مَنْ كَانَ يَبْكُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَبْكُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَتَّى لَا يَمُوتَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) إِلَى قَوْلِهِ : (وسيجزي الله الشاكرين) . قَالَ : فَوَاللَّهِ لَكُنَّا النَّاسَ لَمْ يَطْمَئِنَّا أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَلَقَاهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّهُمْ ، فَمَا سَمِعَهَا يَشْرِي النَّاسَ إِلَّا تَلَاهَا .

وَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ السَّبِيحِ أَنَّ صُمَرَ قَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَتَعَبَّرْتُ حَتَّى مَا تَلَّنِي رَجُلًا ، وَحَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ (٥) .

(١) أي يتشحط فيه ويترغ .

(٢) السُّنَّحُ - بضم سكون - : موضع بللجنة ، كان به منزل أبي بكر رضي الله عنه .

(٣) في الصحيح : يكلم .

(٤) من الصحيح .

(٥) صحيح البخاري ، باب من رضى النبي صلى الله عليه وسلم وولاه : ١٧/٦ . ومعنى هذه الثلاثة أن تأخير هذه الآية قد كُتِبَ عَلَيْهَا عَلَى نَفْسِ الْفَرَسِ حَتَّى كَانَهُمْ لَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهَا مِنْ قَبْلِ ، وَلَيْسَ كَمَا نَهَى بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ عَمَّا مِنْ أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ ثَرَاءً بَلْ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مِنْ بَيْنَاتِ الْكَلَامِ أَبِي بَكْرٍ .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا عمرو بن حاد بن طلحة التستادي ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن سالك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُ عَلَى أَقْبَابِكُمْ) ، والله لا نقبل على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله لئن مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَأَكْفُلَنَّ عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ حَتَّى أَمُوتَ ، والله لئن لَأُخَوِّدَ ، ووليته ، وابن عمه ، ووارثته ، فمن آمن به مني ٧ .

وقوله : (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) ، أي : لا يموت أحد إلا بقدر الله ، وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له ، ولما قال : (كتابا مؤجلا) ، كقوله : (وما يُعَسَّرُ من مُعَسَّرٍ ولا يُنْقَصُ من عُسْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) ، وكقوله : (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) .

وهذه الآية فيها تشجيع للجناء ، وترغيب لهم في القتال ، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه ، كما قال ابن أبي حاتم : .

حدثنا العباس بن يزيد العبدي قال : سمعت أبا معاوية ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صهيبان (١) قال : قال رجل من المسلمين - وهو حُجْرُ بن عدى - : ما عتصم أن تهربوا إلى هؤلاء العدو هذه التلقة ٢ - يعني دجلة - (ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) ، ثم أقدم فرسه دجلة ، فلما أقدم أقدم الناس ، فلما رآهم العدو قالوا : ديوان (٢) . فهيروا .

وقوله : (ومن يرد ثواب الدنيا نؤمه منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤمه منها) ، أي : من كان عمله الدنياء فقط نال منها ما قدره الله له ، ولم يكن له في الآخرة نصيب ، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها مع ما قسم له في الدنيا ، كما قال : (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤمه منها وما له في الآخرة من نصيب .) (وقال تعالى : (من كان يريد العاجلة حسبكنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا .) ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكورا) . وهكذا قال هاهنا : (وستجزى الشاكرين) ، أي : سنعطيه من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعلمهم .

ثم قال تعالى - مسلماً للمسلمين عما كان وقع في قلوبهم يوم أحد - : (وكأين من نبي قُتِلَ معه ربيون كثير) ، قيل : معناه : كم من نبي قُتِلَ وقتل معه ربيون من أصحابه كثير . وهذا القول هو اختيار ابن جرير ، فإنه قال : (وأما الذين قرحوا (قُتِلَ معه ربيون كثير) فلهم قالوا : إنما عني بالقتل النبي وبص من معه من الربيون دون جميعهم ، وإنا نبي الرحمن والضمم عن نبي من الربيون بمن لم يقتل .

قال : ومن قرأ (قاتل) فإنه اختار ذلك لأنه قال : لو قتلوا لم يكن لقوله : (لها وهوا) وجه معروف ، لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهتوا ولم يضفوا بعد ما قتلوا .

ثم اختار قراءة من قرأ (قُتِلَ معه ربيون كثير) ، لأن الله عاتب بهذه الآيات والى قبلها من أنهم يوم أحد ،

(١) في المخطوطة : عبيان . يظهر الجرح لآل أبي حاتم : ١٠٣٨٢٩١ .

(٢) الديوان : الشيطان ، وهي كلمة سرية .

وتركوا القتال ، أو سمعوا الصائح يصيح : « إن عمداً قد قتل » . فسلم الله على فرارهم وتركهم القتال فقال لهم : (أفإن مات أو قتل) أي المؤمنون ارتدتم من دينكم وانقلبتم على أعقابكم (١) ؟

وليل : وكم من نبي قتل بين يديه من أصحابه ربيون كثير ، وكلام ابن إسحاق في السيرة يقتضى قولاً آخر قال : أي وكأين من نبي أصابه القتل ، ومعه ربيون ، أي : جامعات ، فاهتوا بعد نبيهم (٢) ، وما ضفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك الصبر ، والله يحب الصابرين) .

لجمل قوله : (معه ربيون كثير) - حالاً ، وقد تَصَرَّ هذا القول "السهيل" (٣) ويألف فيه ، وله اتجاه ، لقوله : (فاهتوا لما أصابهم) . الآية ، و كذلك حكاية الأمور في مغازبه ، عن كتاب محمد بن إبراهيم ، ولم يقل غيره :

وقرأ بعضهم : (قاتل معه ربيون كثير) ، قال سفيان الثوري ، عن حاتم ، عن زرّ ، عن ابن مسعود (ربيون كثير) ، أي : الوف .

وقال ابن عباس ، وجاهد ، وسعيد بن جبّير ، وعكرمة ، والحسن ، وقاعدة ، والسدي ، والربيع ، وعطاء الخراساني : الربيون الجموع الكثيرة .

وقال عبد الرزاق ، عن منسّم ، عن الحسن (ربيون كثير) ، أي : حله كثير ، وصح أيضاً : حله صبر أبرار أقياد .

وحكى ابن جرير ، عن بعض نحاة البصرة : أن الربيون هم الذين يمشون الرب ، عز وجل ، قال : ورد بعضهم (١) عليه قال : لو كان كذلك لقبل ربيون ، ففتح الراء .

ولك ابن زيد : الربيون : الأتباع ، والرعية ، « والربايون : الولاة » (٢) ، فاهتوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضفوا وما استكانوا . قال قاعدة ، والربيع بن أنس : (وما ضفوا) يقتل ليبيهم (وما استكانوا) ، يقول : لما ارتدوا عن بصرهم ولا عن دينهم ، أن قاتلوا على ما قاتل عليه بي الله حتى لحقوا بالله .

(١) تفسير الطبري ٢٦٤/٧ ، ويمنه : « ثم أعبرهم ما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم ، وثقل لهم و حلا فلم كانوا أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلهم فملوكه إذا قتل ليبيهم ، من الملقى على مناج ليبيهم ، والقتال على دينه أجداء دين الله ، عن نحو ما كانوا يملكون مع ليبيهم ، ولم تهتوا ولم تصفوا ، كما لم يصفى الذين كانوا قبلهم من أهل العلم والبرهان من أتباع الأنبياء إذا قتل ليبيهم ، ولكنهم صبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم » .

(٢) في السيرة ١١٢/٢ : فاهتوا لقتل ليبيهم .

(٣) قال السهيل في الرضى الأثني ١٤٩/٢ : « ارتفع (ربيون) حل تفسير ابن إسحاق بالابتداء ، والجملة : في موضع لعل من التفسير في (قتل) وحلأ أصح التفسيرين ، لأنه قال : (فاهتوا لما أصابهم) أي ما ضفوا » .

(١) هم بعض نحوي الكوفة : تفسير الطبري ٢٦٥/٧ .

(٢) تفسير الطبري ٢٦٩/٧ .

وقال ابن عباس (وما استكاثوا) : تخشعوا . وقال السدي بن زيد : وما ذلوا العلوم ،
وقال محمد بن إسحاق ، وقادة ، والسدي : أي ما أصابهم ذلك حين قُتل لبيهم .

(والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا افر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وليت اعدائنا انصروا على
النوم الكافرين) ، أي : لم يكن لهم حجة (١) إلا ذلك .

(فأتاهم الله ثواب الدنيا) ، أي : النصر والظفر والمالقة (وحسن ثواب الآخرة) ، أي : جمّع لهم ذلك مع هذا ،
(والله يحب المحسنين) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن يُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١١١﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ
الْمُنْصِرِينَ ﴿١١٢﴾ سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَفْرَسُوا بِأَلَلَّهِ مَا لَهُ يَنْزِلُ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ
وَيُسْـَٔئِلُ النَّفْلِيِّينَ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ أَخَذْتُمُ بِوَاثِهِ حَقًّا إِذَا قِيلَتْ لَهُ تَنْزَعُوا فِي الْأَرْضِ
وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَأْمُورِينَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْلِغَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِذْ تَصِفُونَ وَلَا تُلَوِّنُ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ
فِي أَمْرِكُمْ فَأَتْبَبُكُمْ عَمَّا يُغْمِرُ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١٥﴾

يَحْذَرُ تعالى عباده المؤمنين من طاعة الكافرين والمنافقين ، فإن طاعتهم تودي بهم إلى الدنيا والآخرة ، ولهذا
قال : (إن طيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتقلبوا خاسرين) .

ثم أمرهم بطاعته وموالاه ، والاستماتة به ، والله كل عليه ، فقال : (بل الله مولاكم وهو خير المنصرين) ،

ثم بشرهم بأنه سيأتي في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم ، بسبب كفرهم وفكرهم ، مع ما ادعوه لهم في النار
الآخرة من العذاب والقتل ، فقال : (ستلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أفرسوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وماؤاهم النار ويُسْـَٔئِلُ النَّفْلِيِّينَ) .

وقد ثبت في الصحيحين (١) ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت خمساً لم
يُعطَينَ أحدٌ من الأنبياء قبلي : نُصِرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأُحِلَّت
لي الغنائم ، وأُعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه [خاصة] ويبعث إلى الناس عامة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي حنيفة عن سليمان - يعني النبي - عن سيار ، عن أبي أمامة : أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : فُضِّلَني [وفي] حل الأنبياء - أو قال : على الأمم - بأربع : [قال] أُرْسِلْتُ إلى الناس

(١) المجهول : العلق والغنائم .

(٢) البخاري : باب التيمم ، ٩١/١ ، ٩٤ ، ومسلم : كتاب المساجد ، ١٢٢٢ .

كافة ، وجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَطَهْرًا ، فَأَيُّهَا أُدْرِكَتْ رَجُلًا مَعَ أُمِّي الصَّلَاةُ فَتَنَّهُ مَسْجِدُهُ وَطَهْرُهُ ، وَتُسَبِّحُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ يَقْلُحُ فِي قُلُوبِ أَهْلَانِي ، وَاحِلٌ لِي الْفَتَانُ (١) :

ورواه الترمذي من حديث سليمان التيمي ، عن سَيَّارِ الْقُرْتُبِيِّ الْأُمَوِيِّ مَوْلَاهُ اللَّحْمِيُّ - سَكَنَ الْبَصْرَةَ - عن أَبِي أَمَامَةَ صَدَقَ بِنِ هِجْلَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - به . وقال : حسن صحيح .

وقال سعيد بن منصور : أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث : أن أبا يونس حدثه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نصرت بالرعب على العدو .

ورواه مسلم من حديث ابن وهب .

وروى الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي هريرة ، عن أبيه أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَعْطَيْتُ خَصَا (٢) » بعثت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا ، وأجبت لي الدعاء ولم يُعَلَّ لِي مَنْ كَانَ لِي لِي ، ونصرت بالرعب شهرا ، وأعطيت الشفاعة ، وليس من نبي إلا وقد سال شفاعة ، وإنِّي اختُبِرْتُ شَفَاعَتِي ، ثم جعلتها لمن مات لا يترك بالله شيئا .
فرد (٢) به أحمد .

وروى المَوْثِقُ ، عن ابن عباس في قوله : (سَنَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّعْبَ) ، قال : ذلك الله في قلب أبي سفيان الرعب ، فرجع إلى مكة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن أبا سفيان قد أصاب منكم طوطا ، وقد رجَّع وقد ف الله في قلبه الرعب .

رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِآذَنِهِ) . قال ابن عباس : وعدهم الله النصر .

وقد يستدل بهذه الآية على أحد القولين المتقدمين في قوله : (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ : أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ بِرِجْمٍ ثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ . بَلْ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدَّكُمْ بِرِجْمٍ خَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) : أن ذلك كان يوم أُحُد ، لأن عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل ، فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام ، فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة ، تأخر الوعد الذي كان مشروطا باليات والطاعة ، ولهذا قال : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ) ، أي : أول النهار (إِذْ تَحُسُّونَهُم) ، أي : تقطعونهم (بِآذَنِهِ) ، أي : بسلطانه لما يكمل عليهم . (حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ) ، وقال ابن جرير : قال ابن عباس : انقل الجين ، (وتنازعتم في الأمر وعصيتهم) كما وقع الرماة (من بعد ما أراكم ما تحبون) وهو الظفر منهم ، (منكم من يريد الدنيا) ، وهم الذين رغبوا في المثل حيا

(١) مسند أحمد : ٢٤٨/٥ ، ومثقه الأصبهاني ، كتاب السير ، ١٥٩/٥ ، ١٦٠ . ومسلم : كتاب المساجد ، ٦٤/٢ .

(٢) لا يورثك اختلاف هذه الأحاديث في تحديد ما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهاله ، فإن المد لا مفهوم له وما امتاز به نبيها عليه السلام كثير لا ينحصر في هذه الآية ولا في هذه الخمسة التي نص عليها هذا الحديث والى قوله .

(٣) مسند أحمد : ٤١٦/٤ .

وأول المغزاة (ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) ثم أدامهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم (ولقد عفا عنكم) أي: غفر لكم ذلك الصنيع، وذلك - والله أعلم - لكثرة عدد العدو وعددهم، وقلة عدد المسلمين وعددهم.

قال ابن جرير: قوله: (ولقد عفا عنكم)، قال: لم يستأصلكم. وكذا قال محمد بن إسحاق، ورواهما ابن جرير (والله ذو فضل على المؤمنين).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد (١) الله عن ابن عباس أنه قال: ما نصر الله في موطن كما نصر يوم أحد. قال: فأنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: بين وبين من أنكر ذلك كتاب الله، إن الله يقول في يوم أحد: (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسوهم بإذنه)، يقول ابن عباس: والحس: القتل. (حتى إذا غلظتم وتنازعتم في الأمر، وعصيتهم من بعد ما أراكم ما يحبون، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة). الآية، وإذنا حتى بهذا الرماة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في موضع، ثم قال: احملوا ظهورنا، فإن راحمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن راحمونا قد ختمنا فلا تتركونا. فلما غشم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (٢) حسكر المشركين أكبت الرماة جميعا [دخلوا] في السكركم يهيمون، ولقد أثلت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهمم هكذا - وشبك بين يديه - وانتشروا، فلما أثل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففزع بعضهم بفضا وانتشروا، وقُتل من المسلمين ناس كثير، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أول النهار، حتى قُتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة، وجعل المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يفلحوا - حيث يقول الناس - النار، إنما كان تحت المهراس، وصاح الشيطان: قُتل محمد فلم يشك فيه أنه حق، فما زلنا كذلك ما تشك أنه حق، حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعلتين، نعرفه بتكفته إذا مشى - قال: ففرحتا حتى كأنه لم يُصعبنا ما أصابنا - قال: ففرق نحونا وهو يقول: لا تغضب الله على قوم حموا وجه رسول الله. ويقول مرة أخرى: اللهم إنه ليس لهم أن يعلو لنا. حتى انتهى إلينا، فكنت ساحة، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: احمل حبل، مرتين - يعني كفته - أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: يا رسول الله، ألا أجيبه؟ قال: بلى قال: فلما قال: احمل حبل. قال عمر: الله أصل وأجل. فقال أبو سفيان: قد أنصبت عينها ضاد عنها، أو: فعمال! فقال: أين ابن أبي كبشة، أين ابن أبي قحافة، أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله، وهذا أبو بكر، وهذا أنا ذا عمر. قال: فقال أبو سفيان: يوم يوم بدر، الأيام دول، وإن الحرب سجال. قال: فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وفتلاكنا في النار. قال: إنكم ترحمون ذلك، قد غيبتا إذا وغسرتا. ثم قال أبو سفيان: إنكم ستجدون في فتلاككم صلكة، ولم يكن ذلك من رأي سرائرنا. قال: ثم أدركته حمية الجاهلية فقال: أما إن كان ذلك لم تكفه.

هذا حديث غريب، وسياق حبيب، وهو من مرسلات ابن عباس، فإنه لم يشهد أحدا ولا أبوه (٣).

(١) في المخطوطة: عن أبي عبد الله. والصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوطة: وألحوا.

(٣) سنة أحد ٢٨٧/١ ٢٨٨.

وقد أخرجهم للحاكم في مستلوكه من أبي النصر الفقيه ، عن عثمان بن سعيد ، عن سليمان بن داود بن حلي بن عبد الله ابن عباس - به (١) . وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، والبيهقي في دلائل النبوة ، من حديث سليمان بن داود الهاشمي - به ، ولهذه شرواحه في المصباح وغيرها ، فقال الإمام أحمد :

حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا عطاء ابن السائب ، عن الشعبي ، عن ابن مسعود قال : إن السماء كن يوم أحد ، تحكف المسلمين ، يُجهزون على جرحى المشركين ، فلو حكفت يومئذ رجوت أن أبرد : أنه ليس أحد منا يريد الدنيا ، حتى أنزل الله عز وجل : (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) فلما عاين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعصموا ما أمروا به ، أئرد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة : سبعة من الأنصار ورجل من قريش ، وهو عاصمهم ، فلما رجعوه [قال : رحيم الله وجكلاً ردهم عنا . قال : فقام رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتى قتل ، فلما رجعوه] أيضاً قال : رحيم الله رجلاً ردهم عنا . فلم يزل يقول ذا حتى قُتل السبعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه : ما أنصفنا أصحاباً .

فجاء أبو سفيان فقال : امكُ هبيل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله أعلَى وأجل . فقالوا : الله أعلَى وأجل . فقال أبو سفيان : لنا العزَى ولا عزَى لكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله مولانا ، والكلaron لا مولى لهم . ثم قال أبو سفيان : يوم قال أبو سفيان : يوم يوم بدر ، يوم علينا ويوم لنا ، ويوم نُسكأ ويوم نُسر ، حنظلكم جُنظلكم ، وفلان بفلان ، وفلان بفلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا سواء . أما قتلاتا فحياء يرضون ، وفلاكُم في النار يسكُبون . قال أبو سفيان : قد كان في القوم منكك ، وإن كانت لحنٌ غير مكأ منا (٢) ، ما لوت ولا نيتٌ ، ولا أحببت ولا حرمت ، ولا سافى ولا صرفى . قال : فظفروا فلذا حمزة قد بكر بطلته ، وأعطت هنة كبدته فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلت شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : ما كان الله ليُدخل شيئاً من حمزة في النار .

قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة فصكلى عليه ، وجرىه برجل من الأنصار فوثب إلى جنبه فصل عليه ، فركع الأنصاري وترك حمزة ، ثم جرىه بأخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى [عليه] ، ثم ركع وثرك حمزة ، حتى صكلى عليه يومئذ سبعين صلاة .

فرد به أحمد (٣) أيضاً .

وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : كتبنا للمشركين يومئذ ، وأجست النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة ، وأمر عليهم عبد الله - يعني بن جهمير - وقال :

(١) المستلوك : ٢٩٦/٢ .

(٢) للآ : الملقوة .

(٣) للسند : ٤١٢/٢ ، ٤١٢ .

لا تبرحوا ، إن رأيتموها ظهوراً عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهوراً علينا فلا تبعوهم . فلما قُتِلَ هُودُ ، قالوا : يا أيها النصارى ، قد بدت خلافتهم ، فاعلموا يقولون : الغنمية الغنمية . فقال عبد الله : عهد [إلى] النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا . فأبوا ، فلما أبوا صرف وجوههم ، فأصيب سبعون قتيلاً ، فأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قد قُتِلُوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك صمْرَ نفسه قال : كَذَبْتَ يا عدو الله ، قد أبى الله لك ما يحزنك . فقال أبو سفيان : اعلُ هُبَل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لاجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعل وأجل . فقال أبو سفيان : لنا المَرْءى ولا عَرْءى لكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لاجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : يوم يوم بدر ، والحرب سجال ، ويجدون مثلكم لم أمر بها ولم تسؤى .

فرد به البخاري (٢) ثم رواه عن صمْر بن خالد ، عن زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن الجراء ، بنصروه (٣) . وسأى بأُسْتَد من هذا .

وقال البخاري أيضاً : حدثنا حَبِيدُ اللَّهِ بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان يوم أُحُدْ هُزِمَ للمشركون ، فصرخ إبليس : أي عباد الله ، انصرفكم . فترجعت أولادهم فاجتمعَتْ هي وأخراهم ، فَبَصُرَ حَدِيقَةً فإذا هو بأبيه الببان ، فقال : أي عباد الله ، أبي . أبي . [قال] : قالت : فوالله ما احتججُوا حَتَّى تَلَكُوا ، فقال حديفة : يضر الله لكم . قال عروة : فوالله ما زِلْتُ في حديفة بقية غير حتى لقي الله عز وجل (٤) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عَمِيْدُ بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جَدِّهِ أَنُزَيْرِ بن العوام قال : والله لقد رأيْتُ أنظر إلى خَدَمٍ [هند] (٥) وحوالياتها مشتمرات هوارب مادنو أنخلعن كثير ولا قليل ، ومالت الرماة إلى السكرك حين كشفنا القوم عنه ، يريدون النهب وتعلوا ظهورنا للخيال فأتتنا من أدبارنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتِلَ . فانكفأنا (٦) وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ، حتى ما يدنو منه أحد من القوم .

قال محمد بن إسحاق : فلم يزل لواء المشركين صريماً ، حتى اضلعه صمْرَة بنت عقبة الحارثية ، فدفنوه لقريش

(١) يشهدون : ينفذون .

(٢) الصحيح ، غزوة أحد : ١٢٠/٥ ، ١٢١ .

(٣) الصحيح ، كتاب التفسير : ٤٨/٦ .

(٤) الصحيح ، غزوة أحد : ١٢٥/٥ . وفي مكان : حتى لقي الله ، حتى غش بالله .

(٥) عن سيرة ابن هشام : ٧٧/٢ . وانضم ، جمع غنمة - يندمغمت - وهي الخيل .

(٦) انكفأنا : رجعنا .

فلا تأوا (١) به . وقال السدي عن عبد خير قال : قال (٢) عبد الله بن مسعود ، قال : ما كنت أرى أن أحداً من أصحاب رسول الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى تزلت فينا ما نزل يوم أحد (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) . وقد روى من غير وجهه عن ابن مسعود ، وكذا روى عن عبد الرحمن بن عوف وأبي طلحة ، رواه ابن مردويه في تفسيره .

وقوله : (لم صرفكم عنهم ليطيّبكم) . قال ابن إسحاق : حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، أحد بني هدي بن النجار قال : انتهى أنس بن النضر ، حمّ أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المهاجرين والأنصار ، قد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما غلبكم ؟ فقالوا : قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل (٣) .

وقال البخاري : حدثنا حسان بن حصان ، حدثنا محمد بن طلحة ، حدثنا حميد ، عن أنس بن مالك : أن حمة — يعني أنس بن النضر — غاب عن بدر فقال : غيبت عن أول قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنني أشفهني الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرتد الله ما أجدت ، فلي يوم أحد ، فهزم الناس ، فقال : اللهم إني أعتذر إليك عما صنع هؤلاء — يعني المسلمين — وأبرأ إليك مما جاء به للشركون ، فتقدم بسيفه فكسى سعد بن معاذ فقال : أين يا سعد ؟ إني أجد ربح الجنة دون أحد . فبقي فكبت ، لما حُرِف حتى عركته أخته بيانه بدماء وبشع ولثون من طلبة وضربة ورمية بهم .

هذا لفظ البخاري (٤) وأخرجه مسلم من حديث ثابت عن أنس — نحوه ،

وقال البخاري : حدثنا عidan ، أخبرنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال : جاء رجل حج البيت ، فرأى قوما جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء قريش . قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاه فقال : إني سألك عن شيء فحدثني . قال : أنشدك بحجة هذا البيت أتلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال : نعم . قال : فتعلّمته تغيب عن بدر فلم يشهدنا ؟ قال : نعم . قال : ففعلّم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدنا ؟ قال : نعم . [قال] : فكبر ، فقال ابن عمر : نعال لا تخبرك ولأبين لك مما سألني عنه . أما فراكه يوم أحد فأشهد أن الله حقا عنه ، وأما تكذيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت مريضة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهّحه . وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلم يكن أحد أحزّ بطن مكة من عثمان لبسته مكانه ، فبعت عثمان ، فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة . قال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى : هذه يد عثمان . فضرب بها على يده ، فقال : هذه يد عثمان أذهب بها الآن مكد (٥) .

(١) لا تأوا به : اتفوا حوله .

(٢) مكانة في الخطوة : حدة جواب . ينظر تفسير الطبري : ٢٩٥/٧ .

(٣) سيرة ابن هشام : ٨٢/٧ .

(٤) صحيح البخاري ، غزوة أحد : ١٢٢/٥ . وفي الخطوط مكان بينه : بيايه . وقال الحافظ في فتح الباري ٢٥٠/٧ : موحدتين وثنتين بينهما ألف . وقد أخرجه مسلم في كتاب الإمامة ، باب ثبوت البيعة لعمه : ٤٦ ، ٤٥/٦ .

(٥) الصحيح ، غزوة أحد : ١٢٥/٥ ، ١٢٦ .

لم يرواه البخاري من وجه آخر عن [أبي] عروة عن عثمان بن عبد الله بن موهب (١) :

وقوله : (إذ تصعدون ولا تلون على أحد) ، أى : صرفكم عنهم (إذ تصعدون) أى : فى الجبل هاربين من أعدائكم .

وقرأ الحسن وقتادة : (إذ تصعدون) ، أى : فى الجبل . (ولا تلون على أحد) أى : وأنتم لا تلون على أحد من الدخش والخوف والرهبة ، (والرسول يدعوكم فى أنكراكم) ، أى : وهو قد خلفتموه وراء ظهركم يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء ، وإلى الرجعة والعودة والكره .

قال السدي : لما شكك المشركون على المسلمين بأحد فزموهم ، دخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها ، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : «إلى عباد الله ، إلى عباد الله» . فذكر الله صمودهم على الجبل ، ثم ذكر دُعاء النبي صلى الله عليه وسلم لإياهم فقال : (إذ تصعدون ولا تلون على أحد) ، والرسول يدعوكم فى أنكراكم) :

وكذا قال ابن عباس ، وقتادة ، والربيع ، وابن زيد :

وقد قال عبد الله بن الزبير يذكرك هزيمة المسلمين يوم أحد فى قصيدته - وهو مشرك بعد لم يسلم - الذى يقول فى أولها :

يا شرابة البين أسمنتت لقل . إنما تنطق شيئا قد فعل (٢)

إن الخير والشر عندي . وكلا ذلك وجه وقيل (٣)

إلى أن قال :

تبنت أفياسى يدر شهيدوا . جزع الخوارج من وقع الأسر (٤)

حين حكت بهن بركها . واستحتر القتل فى عبد الأهل (٥)

ثم عتقوا عند ذاكم وكسا . رقص الحفان يملو فى الجبل (٦)

فلقتا الفتح من أفرانهم . وعدنا ميل يدر فاعتدل

الطفان : صغار النمل

(١) الصحيح ، منقلب المهاجرين : ١٨/٥ .

(٢) قد نزل : أى فرغ منه (الروى الألف : ١٥٧/٢) .

(٣) الذى : الناية . والقتل - بفتح - : المراجعة والمقابلة (شرح الصيرة للشافى : ٢٤٥) .

(٤) الأسر : الرماح .

(٥) البرك - يفتح فسكون - : الصدور . واستحتر : أفتت . وجع الأهل : هو حية الأكليل ، فلفظ الله .

(٦) الرقص : مضى سريع .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أفرد في اثني عشر رجلاً من أصحابه ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ابن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق أن البراء بن عازب قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير قال : ووضحهم موضعاً وقال : إن رأيتمونا نتخلفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم [وإن رأيتمونا ظهورنا على السدود أو أطانهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم] قال : فهزموهم . قال : فانا والله رأيت النصارى يستعدون على الجبل : وقد [بدت] أسوفهم وتخلخلهم رماة ثيابهم ، فقال أصحاب عبد الله : الفتيمة ، أي قوم الفتيمة ، ظهر أصحابكم فما تتفكرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيت ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : إنا والله لتكافين الناس فكنتصين من الفتيمة : فلما أروهم صرخت وجوههم فأتوا منزمتين ، فذلك الذي يدعوه الرسول في أحرامه ، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلاً ، فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً . قال أبو سفيان : أتى القوم محمد ؟ أتى القوم محمد ؟ أتى القوم محمد ؟ - ثلاثاً - قال : فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيئوه ، ثم قال : أتى القوم ابن أبي حشافة ؟ أتى القوم ابن أبي حشافة ؟ أتى القوم ابن أبي حشافة ؟ أمأ هؤلاء قد قتلوا ، وقد كُفيتهم . فما ملك عمر نفسه أن قال : كلبت والله يا عدو الله ، إن اللين حذقت لأحياه كلهم ، وقد بكى لك ما يسوءك . فقال : يوم يوم بدر . والحرب سيحالك ، إنكم ستجلبون في القوم مكرهات لم آس بها ولم تسوئ : ثم أخذ يرتجز ، يقول : املْ هَيْكَلٌ ، املْ هَيْكَلٌ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيئوه ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أمل وأجل . قال : لنا المزمز ولا حمزى لكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيئوه ؟ قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم (١) .

وقد رواه البخاري من حديث زهير بن معاوية مختصراً ، ورواه من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق بأسط مع هذا ، كما تقدم (٢) . والله أعلم .

وروى البيهقي في دلائل النبوة من حديث حمادة بن عترة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : إنهم الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد الجبل فلقبهم المشركون فقال : ألا أحد هؤلاء ؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله : فقال : كما أنت باطلحة . فقال رجل من الأنصار فانا يا رسول الله ، فقاتلته ، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقي معه ، ثم قتل الأنصاري فلقوه فقال : ألا رجل هؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله ، فقال رجل من الأنصار : فانا يا رسول الله ، فقاتلته وأصحابه يصعدون ، ثم قتل فلقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله الأول فيقول طلحة : فانا يا رسول الله ، فيجسه ، فيستأذنه رجل من الأنصار لئلا يأذن له ، فيقاتل مثل من كان قبله ، حتى لم يبق معه إلا طلحة فمَشَرَتْهُمَا

(١) مسند أحمد : ٢٩٣/٤ ، وما أثبت بين الأقوال منه .

(٢) رواية زهير في الصحيح ، باب فضل الجهاد والسير : ٧٩/٥ ، ٨٠ ، ورواية إسرائيل في باب غزوة أحد : ١٢٠/٥ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ملوكه فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصعبت ألامه ، فقال : حس (١) فقال رسول الله . لو قلت : باسم الله ، وذكرت اسم الله ، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك ، حتى تكسج بك في جو السماء ، ثم صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم مجتمعون .

وقد روى البخاري ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن إسماعيل ، عن نيس بن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة ضالة وفيها النبي صلى الله عليه وسلم - يعني يوم أحد .

وفي الصحيحين من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي عثمان النهدي قال : لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام ، إلى قاتل فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخير طلحة بن عبيد الله وسعد ، عن حديثهما (٢) وقال حنبل بن مسلمة عن علي بن زيد وثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أورد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، فلما رجعوا (٣) قال : من يردم عنا وله الجنة - أي : وهو رفيقي في الجنة ؟ فقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل ، ثم رجعوا أيضا ، فقال : من يردم عنا وله الجنة ؟ فقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل . فلم يزل كذلك حتى قُتل السبعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه : ما أنصفنا أصحابنا . رواه مسلم عن حنبل بن خالد ، عن حنبل بن مسلمة ، به نحوه (٤) .

وقال الحسن بن حرق : حدثني مروان بن معاوية ، عن هاشم بن هاشم الزهري ، قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : لئن كنت في رسول الله صلى الله عليه وسلم ككأنه يوم أحد وقال : أرم ذللك أبي وأمي . وأخرج البخاري ، عن عبد الله بن محمد ، عن مروان بن معاوية (٥) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني صالح بن كيسان ، عن بعض آل سعد ، عن سعد بن أبي وقاص : أنه رمى يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوالى للنبل ويقول : أرم ، فذللك أبي وأمي ، حتى إنه ليتوالى السهم ليس له تصل ، فإرم به .

ولبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه ، عن حنبل ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : رأيت يوم أحد من بين النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين ، عليهما ثياب بيض ، يقاتلان عنه أشد القتال ، ما راجها قبل ذلك اليوم ولا بعده ، يعني : جبريل وميكائيل عليهما السلام .

وقال أبو الأسود ، عن حمزة بن الربيع قال : كان أنبي بن خكف ، أخو بني جشم ، قد حلف وهو بمكة ليكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفته قال : بل أنا أقتله ، إن شاء الله ،

(١) حس : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما منه وأسرته غلة كالجمرة والقرية ونحوها .

(٢) صحيح البخاري ، باب مناب المهاجرين : ٢٧/٥ . وفي فتح الباري ٥/٧ : « قوله : » في بعض تلك الأيام » يريد يوم أحد . وقوله : « عن حديثهما » يعني : أنهما مدلا بذلك .

(٣) أي : قريروا منه .

(٤) صحيح مسلم ، باب غزوة أحد : ١٧٨/٥ .

(٥) الصحيح ، غزوة أحد : ١٢٤/٥ .

(٦) من صحيح البخاري ، غزوة أحد : ١٢٤/٥ . ويظهر صحيح مسلم ، كتاب الفضائل : ٧٢٧/٧ .

فَمَا كَانَ يَوْمَ أُثُلِ أَبِي فِي الْحَلِيدِ مُكْتَمًا، وَهُوَ يَقُولُ : لَأُجِيبَنَّ إِنْ نَجَا مُحَمَّدٌ : فَمَحَلَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِيدُ تَحْلِيهِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ مُصْطَفَى بْنُ حُصَيْنٍ ، أَخُو بَنِي عَبْدِ النَّبَارِ ، يَكْنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ ، فَقَتَلَهُ مَصْعَبُ بْنُ حُصَيْنٍ ، وَأَبْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرْقَرَةً (١) أَيْ بَنِي خُطَفٍ مِنْ فُرَجَانَةٍ بَيْنَ سَابِقَةِ الدَّرَجِ وَالْبَيْضَةِ ، وَطَعَنَ فِيهَا بِحِرْطِهِ ، فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ فَرْسِهِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَعْنِهِ دَمٌ ، فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ فَاحْمَلُوهُ وَهُوَ يَخْرُجُ خَوَارِ الْقَوَدِ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا لَجَزَعَكَ [هُوَ] خَدَشَ ؟ فَذَكَرَ لَهُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا أُثُلُ أَبِيئَا : ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ قَتَلَنِي يَوْمَهُ لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي بَعَثَ بَاهِلِي خِي الْمَسْجَكَزَ أَتَوْنَا أَجْمَعُونَ . فَاتَتْ إِلَى النَّارِ فَسَقَطَ لِأَصْحَابِ الْحِمْرِ .

وقد رَوَاهُ مُوسَى بْنُ عُثْبَةَ فِي مُقَابَلِهِ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ بِمِثَرِهِ .

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : لَمَّا اسْتَبَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَعْبِ ، أَدْرَكَهُ أَيْ بَنِي حُكَيْتٍ وَهُوَ يَقُولُ : لَأُجِيبَنَّ إِنْ نَجِيتُ فَقَالَ الْقَوْمُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَتَحَلَّطُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مَنَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَدْعُوهُ فَلَمَّا دَنَا تَنَاطَلَ رَسُولُ اللَّهِ الْخَرْبَةَ مِنْ الْخَارِثِ بَيْنَ الصَّمَةِ ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ مَا ذَكَرَ لِي : فَلَمَّا أَعْلَمُوا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ انْطَضَى بِهَا انْطَافَاةً ، تَطَايَرَتْ عَنْهُ تَطَايِيرُ الشَّعْرِ (٢) مِنْ ظَهْرِ الْبَهِرِ إِذَا انْتَضَى ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَعَنَ فِي عَقَبِهِ طَعْنَةً تَكَادُ (٣) مَنَا مِنْ فَرْسِهِ (٤) مَرَلُوا .

وَذَكَرَ الرَّاقِشِيُّ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَكْرِ ، عَنْ عَبْدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ حَاصِمِ بْنِ حُمَورٍ بْنِ قُتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بَيْنَ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي نَحْرٍ ذَلِكَ .

قَالَ الرَّاقِشِيُّ : وَكَانَ ابْنُ حُمَورٍ يَقُولُ : مَاتَ أَبِي بَيْنَ خُطَفٍ بَيْنَ رَابِعٍ ، فَلَمَّا لَجَسَ بِطَلْقِ رَابِعٍ بَعْدَ حَتْمِي مَعَ الْبَلْبِ إِذَا أَنَا بِنَارٍ تَأْجَحُّ ، فَهَبْتُهَا ، فَلَمَّا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا فِي سِلْسَلَةٍ يَحْتَلِبُهَا يَبِيجُ بِهِ الْعَطَشُ ، وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ : لَا تَسْتَفْ ، فَلَمَّا هَذَا قَتَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَذَا أَيْ بَنِي خُطَفٍ .

وَبُذِيتُ فِي الصَّبِيحِينَ (٥) ، مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّزَاقِ ، عَنْ مَحْمُودٍ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْهَبٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَلَمَّا بَلَغُوا رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ جَيْتٌ بِشِيرٍ إِلَى دُبَابِ حَيْثِيَّةٍ - وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَتَّقُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ صَبَاحٍ قَالَ : اِشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَيْدَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ دَسَّوْا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) الْقَرْقَرَةُ : مَقْدَمُ الْخُلُقِ فِي أَهْلِ الْعَسْرِ .

(٢) الشَّعْرُ - بَعْضُ الْفَيْنِ وَبَعْضُ الْفَيْنِ - : جَمْعُ شَعْرَةٍ ، وَهِيَ ذَهَابُ زُرْقٍ أَوْ حُمْرٍ عَلَى حُلِّ الْإِبِلِ وَرَاهِبٍ وَوَلَدِهَا أَيْ هَدِيدَةٍ .

(٣) تَكَادُ : تَقَلَّبُ مِنْ فَرْسِهِ ، لَيْسَلٌ يَتَسَرَّجُ .

(٤) سِجَّةُ ابْنِ هَمَّامٍ : ٨٤/٢ .

(٥) سِجَّةُ ابْنِ هَمَّامٍ : ٨٤/٢ ، وَالْبُخَارِيُّ ، وَفَرَّقَهُ أَحْمَدُ : ١٢٩٦٥ .

الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال عمار بن إسحاق بن يسار رحمه الله : أصيبت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج في وجهه ، وكلمت شفته ، وكان الذي أصابه حبة بن أبي وقاص .

لهذه صالحي بن كيسان ، عن حماد ، عن سعد بن أبي وقاص قال : ما حترصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل حبة بن أبي وقاص وإن كان ما علمته لسيء الخلق ، مبعثاً في قومه ، وقد كفاني فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخذ غضب الله على من دعى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا ميمون بن أبي حمزة ، عن حماد بن الجزي ، عن ميمون : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على حبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كثر رباحيته ودعى وجهه فقال : اللهم لا تمل عليه الحول حتى يموت كافراً ، فاحال عليه الحول حتى مات كافراً إلى التار .

وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جببر قال سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها ، كل ذلك يصير عنه ، ولقد رأيت عبدالله بن شهاب الزهري يقول يومئذ : دلوني على محمد ، لا تجرت إن نها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ليس معه أحد ، ثم جاوزه ، فعاتبه في ذلك صفوان ، قال : والله ما رايه ، لحلف بالله إنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة فمأخذنا وما قدنا على قتل ، فلم نخلص إلى ذلك .

قال الواقدي : وأثبتت حديثاً أن الذي رمى في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن قميصة ، والذي دعى شفته وأصاب رباعية حبة بن أبي وقاص :

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أنبأني عن يحيى بن طلحة ، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال : ذلك يوم كُله لطلحة ، ثم ألقا يحدث قال : كنت أول من جاء يوم أحد ، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دونه - وأراه قال : حمصة - قال : قلت : كن طليحة ، حيث فاني ما فاني ، فقلت : يكون رجلاً من قومي أحب إلي ، وبني وبين المشركين رجلاً لأمره ، وأنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يخطف المشي خطفاً لا أسفطه ، فإذا هو أبو حبيدة ابن الجراح ، فأتيتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه ، وقد دخل في وجهه حلقتان من حلقتي العنق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليك صاحبكم . يريد طلحة ، وقد عرف ، فلم تلتفت إلى قوله ، قال : ودعيت لأن أترج ذلك من وجهه ، قال أبو حبيدة : أقسمت عليك بغيري لما تركني . فركه ، فكره أن يتناولها بيده فيؤذي النبي صلى الله عليه وسلم ، فآذم (٢) أهلها بغيره فاستخرج إحدى الحلقتين ، ووقت ثيابه مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع ، قال : أقسمت عليك بغيري لما تركني ، قال : ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، فوقعت ثيابه الأخرى مع الحلقة ، فكان أبو حبيدة رضي الله عنه أحسن الناس حدثاً ، فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتينا

(١) البخاري طرود أحد : ١٢٩/٥ .

(٢) أرم : ده .

مالحة في بعض تلك الجفكار (١)، فإذا به يضح ويبسج أو أقل أو أكثر من طعنات ربيكة وضربة ، وإذا قد قُطِعَتْ إصبه ، فأصلحنا من شأنه .

ورواه المصنف بن كُتَيْب (٢) والطبراني ، من حديث إسحاق بن يحيى به : وعد المصنف : فقال أبو عبيدة : أفلعلك يأبأ بكر إلا تركني ؟ فأخذ أبو عبيدة السهم بغية ، فبجل يَنْقُذُهُ (٣) كراهية أن يؤخّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استل السهم بديه فبدت ثبة أبي عبيدة .

وذكر تمامه ، واختاره المافظ الشيباني [للتقدم] في كتابه . وقد ضمتف حل بن المنبجي هذا الحديث من جهة إسحاق ابن يحيى هذا ، فإنه تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان ، وأحمد ، ويحيى بن معين ، والبخاري ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، وعبد بن سعد ، والثعالبي وغيرهم .

وقال ابن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث : أن صُورَ بن السائب حدثه : أنه بلغه أن مالكا أبا [أي :] سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد منصرف الجرح حتى أفاقه ولاح أبيض ، فقبل له : مَجَّةً : فقال : لا ، والله لا أجهأ أبدا . ثم أخبر بقاتل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة ، فليُنْظَرْ إلى هذا . فاستشهد (٤)

وقد ثبت في الصحيحين من طريق عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد : أنه سئل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جرح [وجهه] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكسرت رِجَاهُ تَهْ ، وهُكِمَتْ الهَيْبَةُ على رأسه فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تفعل الدم ، وكان عيسى يسكب عليها بالمسحوق فلما رأت فاطمة أن لئام لا يزيدُ الدم إلا كثرة ، أخذت قطعةً حبيبر فطرحته ، حتى إذا صار رماحا ألصقته بالجرح ، فاستمك الدم (٥) .

وقوله : (فَاذْكُرُوا لَهُمْ) أي : فإذراكم غمما على قسم كما حرق العرب : ثلث بني فلان ، وقولته على بني فلان قال ابن جرير : وكلما قوله : (وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُلُوعِ النَّخْلِ) [أي : حل جلوع النخل] قال ابن عباس : الدم الأول بسبب المفزعة وحسن قيل : قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، والثاني : حين عظام المشركين فوق الجبل ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : والله لم أن يملوتاه .

وعن عبد الرحمن بن حوف : فدم الأول بسبب المفزعة ، والثاني حين قيل : قُتِلَ محمد صلى الله عليه وسلم ، كذا ذلك عظامهم من المفزعة .

(١) الجدار : جمع جفرة - يمشي مشكوك - وهي : الحفرة .

(٢) هو المافظ أبو سعيد الشافعي ، صاحب المسند ، وحدث ما رواه أبو زرعة ، روى عن عيسى بن أسد البجلي ، وهو ثقة ، توفي سنة ٣٢٥ (السير للهيبي : ٢٤٢/٢) .

(٣) يَنْقُذُهُ : يحرره .

(٤) ينظر أسد الغابة : ٢٨١/٤ .

(٥) من صحيح مسلم ، غزوة أحد : ١٧٨/٥ . وينظر البخاري ، غزوة أحد : ١٧٠/٥ . هذا والحديث في الصحيحين مرده عن يعقوب بن أبي حازم ، وينظر فتح الباري : ٢٦١/٧ .

رواه ابن مرفوعه ، وروى عن عمر بن الخطاب نحو ذلك . وذكر ابن أبي حاتم من قتادة نحو ذلك أيضا .

وقال السدي : ألم الأول بسببه ما فاتهم من الغنمة والفتح ، والثاني بإشراف العدو عليهم .

وقال محمد بن إسحاق (فأتاكم غياض) ، أي : كثرت بعد كرب ، قتل من إخوانكم ، وهلكوا جلودكم عليهم ، وما وقع في أنفسكم من قتل [من قال] (١) قتل نبيكم ، فكان ذلك متابعا عليكم غياض .

وقال عباد بن قتادة : ألم الأول ما صابهم قتل محمد ، والثاني ما أصابهم من القتل والجراح . وعن قتادة والربيع بن أنس حكاه .

وهو السدي : الأول ما فاتهم من الغنم والغنمة ، والثاني إشراف العدو عليهم وقد تقدم هذا من السدي .

قال ابن جرير : وأول هذه الأقوال بالصواب قول من قال : فأتاكم غياض (فأتاكم بضم كيم أيها المؤمنون بمرمان الله إياكم خيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ - بعد الذي أراكم في كل ذلك ما يحسون - بمعصيتكم وبكم ، وخلافكم أمر النبي صلى الله عليه وسلم - ثم ظنكم أن نبيكم قد قتل ، وميل العدو عليكم بعد ظنونكم منهم) (٢)

وقوله : (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) ، أي : على ما فاتكم من الغنمة والظفر بملوككم ، (ولا ما أصابكم) من القتل والجراح قاله ابن عباس ، وعبد الرحمن بن عوف ، والحسن ، وقاتدة ، والسدي . (والله خير بما تعملون) .

ثم أتاكم عليكم من بعد ألقى أمة تعاسيتمون ما فية منكم وطاعة قد أمرتهم أنفسهم بظنونهم بالله غير الحق ظن الجاهليين يقولون هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لك من الأمر شيء ما قبلنا منها قل لو كنتم في يوتركم لبرز آل أبي نبيط عليهم السلام إلى مضاجعهم وليعطي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴿١١﴾ إن الذين تولوا منكم يومئذ الذين آمنوا بالله وأقاموا الصلوة ولم يسموا الله باسم ربهم يقولون ما لا ينبغي لهم أن يقولوا وولوا منكم من بعد ذلك أولئك الذين طغوا فاستفحلوا عليهم أمرهم فاقول الله عز وجل ولقد عصوا الله عنهم ﴿١٢﴾ إن الله غفور رحيم ﴿١٣﴾

يقول تعالى مستثناة على عباده لما أئزلكم عليهم من السكينة والأمنه ، وهو الناس الذي غشيتهم وهم مستكتمون (٣) السلاح في حاكهم وعظمهم ، والناس في مثل تلك الحال دليل على الأمان ، كما قال تعالى في سورة الأحقاف ، في قصة بدر : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) (٤) منه . الآية

(١) مع التفسير الطبري : ٣١١/٧ .

(٢) أي : بعد هزيتكم وفراكم منهم ، ينظر تفسير الطبري : ٣١٢/٧ .

(٣) أي لا يسموا الله - بفتح فسكون - وهي : الدعاء .

(٤) هذه قراءة جليل وابن عيسى وابن عمرو وابن كثير (البحر المحيط لأبي حيان : ٤٦٧/٤) .

وقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو نعيم وكيع، عن سليمان، عن حاتم، عن أبي ذؤيب، عن عبد الله بن مسعود قال: التماس في القتال من الله، وفي الصلاة من الشيطان.

وقال البخاري: قال لي حكيمة، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: كنت فيمن تحشاه الناس يوم أُحد، حتى سقط سبني من يدي مرارا، يسقط وأتله، ويسقط وأتله.

وهكذا رواه في المازي (١) معلقا. ورواه في كتابه التفسير مستنكاً عن شيان، عن قتادة، عن أنس، عن أبي طلحة قال: خشيتنا الناس ونحن في مصافتنا يوم أُحد. قال: فجعل سبني يسقط من يدي وأتله، ويسقط وأتله (٢). وقد رواه الترمذي (٣) والنسائي والحاكم، من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبي طلحة قال: وضعت رأسي يوم أُحد، وجعلت أنظر ومانتهم يومئذ أحد إلا يجد تحت حفيته (٤) من الناس.

لفظ الترمذي، وقال: حسن صحيح.

ورواه النسائي أيضا، عن محمد بن المنذر، عن خالد بن الحارث، عن أبي كنية، عن ابن أبي عمير، كلاما عن حميد، عن أنس قال: قال أبو طلحة: كنت فيمن أتى عليه الناس - الخبيث وهكذا روي عن الربيع وعبد الرحمن بن حوف، رضي الله عنه.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الحسين محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك الخزازي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيان، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك: أن أبا طلحة قال: خشيتنا الناس ونحن في مصافتنا يوم أُحد، فجعل سبني يسقط من يدي وأتله، ويسقط وأتله، قال: والطائفة الأخرى المناقون ليس لهم هم إلا أنفسهم، أجبين قوم وأرعتهم، وأخذ كل الحق (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) كذبة، أهل شك وريب في الله، حر وجل.

هكذا رواه هذه القراءة، وكانها من كلام قتادة رحمه الله، وهو كما قال: فإن الله حر وجل يقول: (ثم أوفوا إليكم من الهدى التي أمسكتكم لها منكم) يعني أهل الإيمان واليقين والنيات والموكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله سينصر رسوله ويثبت له مأموله، ولهذا قال: (وطائفة قد أهنتهم أنفسهم) يعني: لا يشعرون الناس من القتل والجرع والخوف (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)، كما قال في الآية الأخرى: (بل نشتم أن له ينقلب الرسول والمؤمنون إلى آلهم أيبا). إلى آخر الآية. وهكذا هؤلاء، احتضوا أن للمشركين لا ظهورا تلك الساحة أنها البهجة، وأن الإسلام قد باد وأتله، ولهذا شأن أهل الريب والفك إذا حصل أمر من الأمور القلبية، حصل لهم هذه الظنون الشنيعة.

(١) الصحيح، قراءة أمه: ١٢٧/٥.

(٢) الصحيح، كتاب التفسير: ٤٨/٦.

(٣) علة الأحاديث، كتاب التفسير: ٢٥٨/٥، واللمعة، كتاب التفسير: ٢٩٧/٢.

(٤) الخبيث: القرس إذا كان من جله.

ثم لعبر تعالى عنهم أنهم (يقولون) في تلك الحال : (هل لنا من الأمر من شيء) قال الله تعالى : (قل إن الأمر كله لله يخوفون في أنفسهم مالا يبدون لك) . ثم فسّر ما أخفوه في أنفسهم بقوله : (يقولون لو كان لنا مع الأمر شيء ما قلنا هاتنا) أي : يسرون هذه المقالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق بن يسار : حدثني يحيى بن حبيب بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير : لقد رأيته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا ، أرسل الله علينا النجم ، فإنا منا مع وجل إلا ذقته في صدره ، قال : فوافقه إلى أن سمع قول مصعب بن عمير ، ما أسمعه إلا كالعلم ، (لو كان لنا مع الأمر شيء ما قلنا هاتنا) : فحفظتها منه ، وفي ذلك أنزل الله : (لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا هاتنا) لقوله مصعب : وواه ابنه أبي حاتم .

قال الله تعالى : (قل لو كنتم في يوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) ، أي : هذا قدر مقدر من الله عز وجل وحكم حتم لا مرد له ، ولا مئasse منه .

وقوله : (وليتلى الله ما في صدوركم ، وليمحص ما في قلوبكم) ، أي : يخبركم بما جرى عليكم ، وليميز البهيث من الطيب ، ويظهر أمر المؤمنين ولتناق الناس في الأموال والأعمال ، (والله علم بلمات الصدور) أي : بما يخطئ في الصدور مع السرار والفساخر .

ثم قال : (إن الذين تولوا منكم يوم اتقى الجمعان إنما استلمه الشيطان ببض ما كسبوا) أي : يبض فلوهم السائلة ، كما قال بعض السلف : إن من أبواب الحسن الحسن بها ، وإن من جزاء السيئة السيئة بها .

ثم قال تعالى : (ولقد حفا الله عنهم) ، أي : حتما كان منهم من القراء (إن الله غفور رحيم) ، أي : بغير الذنب ويعلم عن خلقه ، ويتجاوز عنهم ، وقد تقدم حديث ابن عمر في شأن حيان ، رضي الله عنه ، وتولية يوم أحد ، وأن الله حفا عنه مع حفا عنهم ، عند قوله : (ولقد حفا عنكم) ، ومناسبة ذكره هاتنا :

قال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، عن حاسب ، عن شقيق ، قال : قال عبد الرحمن بن أبي حوف الوليد بن عتبة : فقال له الوليد : مالي لوالك جفوت أمير المؤمنين حيان ؟ فقال له عبد الرحمن : أبله أنه لم أفر يوم حنين - قال حاسب : يقول يوم أحد - ولم أتكلف عن يدر ، ولم أترك سعة حر ، قال : فاطلق فخبر ذلك حيان ، قال : فقال : أما قوله : إنه لم أفر يوم حنين فكيف يخبرني بذلك حفا الله عنه ، فقال : (إن الذي تولوا منكم يوم اتقى الجمعان إنما استلمه الشيطان ببض ما كسبوا) ولقد حفا الله عنهم) وأما قوله : إنه تخلصت يوم يدر فإنه كنت أمضى وكنت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت ، وقد ضرب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، ومع ضرب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم فقد شهيد . وأما قوله : إنه لم أترك سعة حره فإنه لا يطيقها ولا هو ، فإنه حفا به بلال (١) .

(١) سنة أحمد : ٦٨/١ ، ٧٥

وهذا القول مستجد صدوره من عبد الرحمن بن حوف ، فقد بايع حيان وهو يفرق الله له تخلف في يدر وفر في لحد ، وكنت حيرة بمداينة منتهى وهو له بايعه على السمل سنة الفينين لا سنة حر وجدها . ثم إن المسلمين يروا يوم أحد ولم يبرح نبي صل الله عليه وسلم غير خمسة نفر ، فكيف يبر ابن حوف حيان تضاً ومع فيه أكثر المسلمين . ويبدو لي أن هذا الاتهام كاذب مما أنفق بهنن لتبسيم مساره في أمين الناس ، وأن ابن حوف لم يشارك فيه .

يُنَاسِبُ الَّذِينَ آمَنُوا لَانُكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لَإِخْوَانُهُمْ إِذَا ضَرُّوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِدَدًا مِمَّا تَوَلَّوْا وَمَا تَتَلَوْنَهَا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٥﴾ وَلَهُنَّ قُلُوبٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَنَّهُمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَهُنَّ مَنَّمْ أَوْ قَطَمٌ لِّإِلَى اللَّهِ يُحْشَرُونَ ﴿١٥٧﴾

ينبغي تعالى عبادة المؤمنين من مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد ، الدالّ عليه قولهم من إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار وفي الحروب: لو كانوا تركوا ذلك لا أصابهم ما أصابهم . قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَانُكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لَإِخْوَانُهُمْ) أي : من إخوانهم (إِذَا ضَرُّوا فِي الْأَرْضِ) أي : صافروا للتجارة ونحوها (أَوْ كَانُوا غُرَى) أي : في الفزو (لَوْ كَانُوا عِدَدًا) أي : في البلد (مَا تَوَلَّوْا) أي : ما تَوَلَّوْا في السفر ولا تَطْلُقُوا في الفزو .

وقوله : (لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ) أي : يخلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موهم وقتلهم ثم قال تعالى ردا عليهم : (وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ) أي : بيده الخلق وإليه يرجع الأمر ، ولا يَمُتُ أَحَدٌ وَلَا يَمُتُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ وَقَدَرِهِ ، ولا يُزَادُ في عمر أَحَدٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أي : وعلمه وبصره لائق في جميع مخلقه ، لا يخفى عليه من أمورهم شيء .

وقوله : (وَلَهُنَّ قَطَمٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَنَّهُمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) تضمنت هذا أن القتل في سبيل الله والموت أيضا وسيلة إلى نيل رحمة الله وعونه ورضوانه ، وذلك بخير من البقاء في الدنيا وتجمع حظاها الثاني . ثم أخبر بأن كل من مات أو قتل فصوره ومرجهه إلى الله عز وجل ، فيجزيه بحسبه ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، قال : (وَلَهُنَّ مَنَّمْ أَوْ قَطَمٌ لِّإِلَى اللَّهِ يُحْشَرُونَ) .

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنِيتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٨﴾ إِنْ يَنْصَرِفْمْ أَلَيْسَ لَكَ بِأَلَمٌ لِّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ قُلْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِفُ عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٥٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُنَّ لَهُ بَيِّنَاتٌ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ أَفَنِي اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ إِنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا تَوْفِيقَهُمْ وَنَسِيَ الْمَصِيرَ ﴿١٦١﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٦٢﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْ سَلَاسِلِي مُبِينٍ ﴿١٦٣﴾

يقول تعالى غاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم بتا عليه وعلى المؤمنين في الآلا به قلبه على أمته ، الذين لأمره ، التاركين لفرجه ، وأطاب لهم قظه : (فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنِيتَ لَهُمْ) أي : أي شيء جعلك لهم لئلا لولا رحمة الله بك ورحمته .

قال قتادة (فيا رحمة من الله أنت لم) ، يقول : يا رحمة من الله أنت لم : وواع صفة (١) ، والعرب تصليها بالمرحة
كقوله : (فيا أنفسهم ميتهم) ، وبالتكررة كقوله : (عما قليل) وهكذا هاتان قال : (فيا رحمة من الله أنت لم) ،
أي : يا رحمة مع الله :

وقال الحسن البصري : هذا حُكْوُ محمد صلى الله عليه وسلم به الله به .

وعنه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
وحوث وحيم) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حنيفة ، حدثنا محمد بن زياد ، حدثني أبو راشد الخبراني قال : أخط
ييدي أبو أمامة الباهلي وقال : أخط ييدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا أمامة ، إن من المؤمنين من يلين
في قلبه .

القرء به أحمد (٢) .

ثم قال تعالى : (ولو كنت فتلاً غلبت القلب لا تففسوا من حركك) ، الفت : الغلب ، المراد به هاتنا غلبت الكلام ،
قوله بعد ذلك : (غلبت القلب) ، أي : لو كنت سيء الكلام لاقى القلب عليهم لا نقضوا عنك وتركوك ، ولكن الله
جمعهم عليك ، والأمر جليلك لم تألفا قلوبهم ، كما قال عبد الله بن عمرو : إنه رأى صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في للكتب المقتضة : أنه ليس بفت ، ولا غلب ، ولا مستجاب في الأسواق ، ولا يجرى بالسيرة السيرة ، ولكن يفتو
ويصيح (٣) .

وروي أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي ، أن أبا بشر بن عبيد التماري ، حدثنا حصار بن عبد الرحمن ،
عن المسعودي عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله أمرني بعبادة الناس
كما أمرني بإقامة للقرائن» .
حديث قريب .

ولمنا قال تعالى : (ما عفت عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشاور أصحابه في الأمر إذا حدثت ، تطييباً لقلوبهم ، ليكونوا فيما يفتو له أنشط لم [كما] شاورهم يوم بدر في الذهاب
إلى المعير ، فقالوا : يا رسول الله ، لو استعزبت بنا عرفت البحر قطعناه معك ، ولو سرت بنا إلى يترك الضماد لسرنا
معك ، ولا تقول لك كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاتنا قاعدون ، ولكن [نقول] :
اذهب ، فنحن معك وبه يديك وعن يمينك [وعن يمينك مقاتلون] .

وشاورهم أيضاً : أين يكون المترك ؟ حتى أشار المنذر بن عسمر المصنق ليومت (٤) ، بالتقدم إلى أمام القوم ،

(١) يعني زائدة في الكلام .

(٢) المسند : ٢٦٧/٥ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الفتح : ١٦٩/٦ ، ١٧٠ ، وصند أحمد : ١٧٤/٢ .

(٤) أحسن إلى كذا : أسرع إليه . وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلدن مثله : «أنت يومت» ، أي : إن الدنيا

أسرعت به وسارعت إلى مصره . ينظر سيرة ابن هشام ، حيث يتر موعة : ١٨٣/٢ ، والنهاية لابن الأثير : مادة حق .

وشاورهم في أحد أن يفتدق في المدينة أو يخرج إلى العدو ، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم ، فخرج إليهم .
وشاورهم يوم اختلف في مصالحة الأحزاب بثلث غار للمدينة حامط فأتى عليه ذلك السعد أن سعد بن معاذ وسعد بن
هبة ، فترك ذلك .

وشاورهم يوم المدينة في أن يميل على ذكرى المشركين ، فقال له الصديق : إنا لم نجئ قتالاً أحد وإنما جئنا
معتزين ، فاجابه إلى ما قال .

وقال عليه السلام في قصة الإفك : أشيروا عليّ معشر المسلمين في قوم أبغوا أهل (١) ورسولهم ، وأبغى الله
ما علمت على أهل من سوء ، وأبغىهم من - والله - ما علمت عليه إلا خيراً .

واستشار علياً وأسامة في فراق عائشة رضي الله عنها .

فكان يشاورهم في الحروب وغيرها . وقد اختلف الفقهاء : هل كان ذلك واجباً عليه أو من باب التنبه لطبائف
قلوبهم ؟ على قولين .

وقد لال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادي ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر ،
حدثنا سعيد بن [أبي] مريم ، أنبأنا صفيان بن حبيبة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس في قوله (وشاورهم
في الأمر) ، قال : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٢) ،
وهكلا رواه الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : ثلث في أبي بكر وعمر ، وكأنا حوكرية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووزيرة وأبوى المسلمين .

وقد روى الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الحميد ، عن شهاب بن حبيب ، عن عبد الرحمن بن شهاب أنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر : لو اجتمعتا في مشورة ما خالفكما (٣) .

وروى ابن مردويه ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزم؟
قال : « مشاوره أهل الرأي ثم اتباعهم » .

وقد قال ابن ماجة : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن أبي بكير ، عن شيان ، عن عبد الملك بن ضمر ،
عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المستشار موثق (٤) » .

ورواه أبو داود والترمذي ، وحسنه الترمذي من حديث عبد الملك بن ضمر بأبسط منه .

ثم قال ابن ماجة : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أسود بن عامر ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي
عمرو الشيباني ، عن أبي مسعود (٥) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المستشار موثق » . تفرد به .

(١) الاين - يقع فسكره - : التهمة ، وأبغوا أهل : اتهموا .

(٢) المستدرک : ٧٠/٣ .

(٣) مسند أحمد : ٢٢٧/٤ .

(٤) سنن ابن ماجة ، كتاب الأدب ، الحديث رقم : ٣٧٤٥ : ١٢٢٣ .

(٥) في المخطوطة : ابن مسعود ، ينظر سنن ابن ماجة : الحديث رقم : ٣٧٤٦ .

وحدثنا أبو بكر ، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وحل بن هاشم ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي الزهر ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا استشار أحدكم أخاه فليشتر عليه » . فترد به أيضا (١١) وقوله : « فإذا حُزمت فتوكل على الله » ، أى : إذا شاورتهم فى الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه (إن الله يحب المتوكلين) .

وقوله : « (إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يتخذكم لمن ذا الذى ينصركم من بعده ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) » وهذا كما تقدم من قوله : « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » . ثم أمرهم بالتوكل عليه ، فقال : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

وقوله : « (وما كان لئى أن يتوكل) » قال ابن عباس ، وبجاهد ، والحسن ، وغير واحد : ما يتوكل لئى أن يتوكل .

وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبي ، حدثنا المسيب بن واضح ، حدثنا أبو إسحاق الزهرى ، عن سفیان [عن] خُصيف عن حكيم عن ابن عباس قال : فقلوا طليقة يوم بدر فقالوا : لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها . فأنزل الله : « (وما كان لئى أن يتوكل) أى يحون .

وقال ابن جرير ، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا خُصيف ، حدثنا مِقْسَم ، حدثنى ابن عباس أن هذه الآية : « (وما كان لئى أن يتوكل) » نزلت فى طليقة حمراء فُقدت يوم بدر ، فقال بعض الناس : أخذها . [قال] فأُفكروا فى ذلك ، فأنزل الله : « (وما كان لئى أن يتوكل) » ومن يتوكل يأت بما غل يوم القيامة » .

وكلا رواه أبو داود ، رحمه الله ، والترمذى جميعا ، عن قتبية ، عن عبد الواحد بن زياد - به . وقال الترمذى : حسن غريب (١٢) . ورواه بعضهم عن خُصيف ، عن مِقْسَم - بهى مرسل .

وروى ابن مردويه عن طريق أبي عمرو بن العلاء ، عن بجاهد ، عن ابن عباس قال : أنهم المتأفكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بهى فُقد ، فأنزل الله ، عز وجل : « (وما كان لئى أن يتوكل) » .

وقد روى من غير وجه عن ابن عباس نحو ما تقدم . وهذه تبرة له - صلوات الله وسلامه عليه - عن جميع وجوه الحياة فى أداء الأمانة وتقسيم التهمة وغير ذلك .

وقال العوفى عن ابن عباس : « (وما كان لئى أن يتوكل) » ، أى : بأن يتقسم لبعض السرايا ويرك بعضا . وكلا قال الضحاك .

(١١) انتهى رقم : ٢٧٤٧ من كتاب الأدب .

(١٢) سنن أبي داود ، كتاب الحروف : ٤ / ٣١ . ومجلة الأحرف ، كتاب التفسير : ٨ / ٢٥٩ .

وقال محمد بن إسحاق : (وما كان نبي أن يزل) بأن يترك بعض ما أنزل إليه فلا يلغيه أمه .
وقرأ الحسن البصري وطاوس ، ومجاهد ، والنسائي (وما كان نبي أن يَنْكُلَ)^(١) بضم الياء أي : يَنْكُلُ ،

وقال قتادة والريعي بن أنس : نزلت هذه الآية يوم بدر ، وقد شكَّ بعض أصحابه . ورواه ابن جرير عنها ، ثم
جكى عن بعضهم أنه قرأ هذه الآية بمعنى يَنْكُلُ بالتحالفة .

ثم قال تعالى : (ومن يَنْكُلْ يات بما غل يوم القيامة) ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) ، وهذا تهديد
شديد ووحد أكيد . وقد رجعت السنة بالنهي عن ذلك أيضا في أحاديث متعددة :

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الملك ، حدثنا زهير - يعني بن محمد - عن عبد الله بن محمد بن عتيق ، عن عطاء بن
يسار . عن أبي مالك الأشجعي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم [قال] : أعظم النول عند الله ذراع من الأرض ؛
تجدون الرجلين جركين في الأرض - أو في الدار - فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعا ، فإذا انقطع طوقه
من سبع أرضين إلى يوم القيامة (٢) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن خزيمة ، عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد ،
عن عبد الرحمن بن جبر . قال : سمعت المستورذ بن شداد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
من وكس لنا حملا وليس له منزل فليخذ مثلا ، أو ليست له زوجة فليزوج ، أو ليس له خادم فليخذ خادما ، أو ليس
له دابة فليخذ دابة ، ومن أصاب شيئا سوى ذلك (٣) فهو غال .

هكذا رواه الإمام أحمد (٤) ، وقد رواه أبو داود بسند آخر وساق آخر فقال :

حدثنا موسى بن مروان الرقي ، حدثنا المعاني ، حدثنا الأوزاعي ، عن الحارث بن يزيد ، عن جبر بن كعب ، عن
المستورذ بن شداد . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كان لنا حاملا فليكتب زوجة ، فإن لم يكن
له خادم فليكتب خادما ، فإن لم يكن له مسكن فليكتب مسكنا . قال : قال أبو بكر : أشبهت أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : من أخذ غير ذلك فهو غال ، أو سارق (٥) .

قال شيخنا الحافظ المزي : ورواه جعفر بن محمد القتيبي ، عن موسى بن مروان فقال : عن عبد الرحمن بن
جُبَيْر . يدل : جُبَيْر بن القبر ، وهو أشبه بالعنواب :

(١) قرأ ابن عباس وابن كثير وأبو حمزة وحامد : « أن يزل » بفتح الياء وهم الذين ، من غل منها القائل . وقرأ ابن
مسعود وراق السبعة : « أن يزل » بضم الياء وفتح اللين منها المفعول . (البحر المحيط : ١٠١ / ٣) .

(٢) سنة أحمد : ١٤٠ / ٤ .

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح ذلك القائل على أنه أبرء أو بعض أبرء ، وإلا فإن الانتفاع بالأموال العامة من غير حق
علا لا يجوز في القرية ، والله أعلم .

(٤) سنة أحمد : ٢٢٩ / ٤ . وفي الخطوط : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن خزيمة ، حدثنا ابن خزيمة ، واللهيت
من السنة

(٥) سنن أبي داود : كتاب الخراج والإمارة : ١٢٤ / ٢ .

حديث آخر : قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا حفص بن بشر ، حدثنا يعقوب القُصَبي ، حدثنا حفص بن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أفرقن أحدكم ياتي يوم القيامة يحمل شاة لها رغاء ، فينادي : يا محمد ، يا محمد . فأقول : لا أملك [لك] من الله شيئا ، قد بلغتك . ولا أفرقن أحدكم [ياتي] يوم القيامة يحمل جملا له رغاء ، فيقول : يا محمد ، يا محمد . فأقول : لا أملك لك من الله شيئا ، قد بلغتك . ولا أفرقن أحدكم ياتي يوم القيامة يحمل فرسا له حِمَحِمَة ينادي : يا محمد ، يا محمد . فأقول : لا أملك لك من الله شيئا ، قد بلغتك . ولا أفرقن أحدكم ياتي يوم القيامة يحمل [قنصا (١)] من آدم ، ينادي : يا محمد ، يا محمد . فأقول : لا أملك لك من الله شيئا ، قد بلغتك .

لم يروه أحد من أهل الكتب الستة .

حديث آخر قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، سمع عروة يقول : أخبرنا أبو حميد الساعدي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له : ابن النخعي على الصدقة ، فجاءه فقال : هذا لكم وهذا أهلي . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال : وما بال عامل نبه فيجيء فيقول : هذا لكم وهذا أهلي . ألا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أهلي إليه أم لا ؟ والذي نفس محمد بيده لا ياتي أحد منكم منها بشيء إلا جاء به [يوم القيامة] على رجليه إن كان مبيتا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تقيقر ، ثم رفع يديه حتى رأينا طرفه ليضمهما ثم قال : اللهم هل بلغت فلا تالوا (٢) .

ورواه حشام بن عروة : قال أبو حميد : بَصُرْتُ حِينَ وَصَّعَ أَذَى وَصَلُوا زَيْدَ بْنِ ثَابِتٍ .

أخرجه من حديث سفيان بن عيينة (٣) . وحده البخاري : وسلا زيد بن ثابت . ومن غير وجه عن الزهري ، ومن طريق من حشام بن عروة ، كلاهما عن عروة ، ي .

حديث آخر قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا إسماعيل بن عتيق ، عن يحيى بن سعيد ، عن عروة بن الزبير ، عن أبي حمزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذا يا أيها الخوفا » .

وهذا الحديث من أفراد أحمد (٤) ، وهو صحيح الإسناد ، وكأنه مختصر من الذي قبله ، والله أعلم .

حديث آخر قال أبو حمزة القزويني في كتاب الأحكام : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو أسامة ، عن داود بن زويد الأودي ، عن المغيرة بن شريك ، عن ليس بن أبي حازم ، عن معاذ بن جبل قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن ، فلما سرت أرسل في أنرى فتحدثت ، قال : أئمرى لم بعث إليك ، لا فديين شيئا بغير إلفي فإنه شركوك ، (ومن يظن بأن ما ظل يوم القيامة) ، لهذا دعوتك ، فامض لملكك .

(١) مكتبته يخاص في المضافة ، ولكتبت عن تفسير المغيرة : ٧ / ٣٥٨ ، ويقول ابن الأثير في النهاية : « أي جلدأ يابس » .
وقيل : أودق لفظة البالية ، وهو إشارة إلى الحياة في القنينة أو غيرها من الأفعال .

(٢) المسند : ٥٠ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) البخاري : كتاب الميعة : ٣ / ٢٠٩ ، وكتاب الإيمان والظهور : ٨ / ١٦٢ ، وكتاب الأحكام : ٨ / ٨٨ ، ٩٥ .

مسلم كتاب الإمارة : ١١ / ١٢٠ .

(٤) المسند : ٥٠ / ٢٢٤ .

هذا حديث حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ، وفي الباب عن عيسى بن حمزة ، وإبراهيم ، والمستورد بن شداد ، وأبي حمزة ، وابن عمر (١) .

حديث آخر قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عتبة ، حدثنا أبو حنيفة بن عيسى بن سعيد التميمي ، عن أبي زرعة ابن عمر بن جرير ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فذكر الفلوك فتمطه وعظم أمره ، ثم قال : لا ألقين أحدكم يوم القيامة على رقبته بغير له رُغاه فيقول : يا رسول الله ، أخشى . فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً ، قد أبلغك . لا ألقين أحدكم يوم القيامة على رقبته بغير له رُغاه فيقول : يا رسول الله ، أخشى . فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً ، قد أبلغك . لا ألقين أحدكم يوم القيامة على رقبته بغير له رُغاه فيقول : يا رسول الله ، أخشى . فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً ، قد أبلغك . لا ألقين أحدكم يوم القيامة على رقبته بغير له رُغاه فيقول : يا رسول الله ، أخشى . فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً ، قد أبلغك .

المرجاء (٢) من حديث أبي حنيفة ، به .

حديث آخر قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، حدثني عيسى ، عن عيسى بن حمزة الكندي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس ، من عمل لنا [منكم] عملاً ، ففككتنا به مخيضاً فما فوقه فهو حُكْلٌ يأتي به يوم القيامة . قال : قال رجل من الأنصار أسود - قال سبحانه : هو سيد بن حادة - كأنه أنظر إليه ، فقال : يا رسول الله ، أبل عني عملي . قال : وما ذلك ؟ قال : سمعتك يقول كذا وكذا . قال : وأنا أقول ذلك الآن . من استعملناه على عمل فكُببَتْ قبليه وكثيره ، فما لولاه أنه عمله ، وما لئله أنه اتبعه (٣) .

وكذا رواه مسلم ، وأبو داود ، عن طرق من إسماعيل بن أبي خالد .

حديث آخر قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا أبو إسحاق التكري ، عن ابن جريج ، حدثني مهرة رجل من آل أبي رافع ، عن الفضل بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبي رافع قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر رُبُّماً ذهب إلى بني عبد الأشهل فيحدث معهم حتى ينحدر المغرب ، قال أبو رافع : فيينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعاً إلى المغرب إذ مر بالبقيع فقال : أت لك .. أت لك مريب ، [كبر فيه خرجه (٤)] وتأخرت [وغلنت] أنه يريدني ، فقال : مالك ؟ أمش ، قال قلت : أحدثت حديثاً يا رسول الله ؟ قال : وما ذاك ؟ قلت : أفككت بني قال : لا ، ولكن هذا قبر فلان ، يتعقنه ساعياً على آل فلان ، فكلَّ تيمرة قد رُج الآن مظهرها من لار (٥) .

(١) نسخة الأحرار : ٥٦٤ / ٤ ، ٥٦٥ .

(٢) المسند : ٤٢٦ / ٢ ، وفيه أنه ابن كثير بن حصص . والله روى البخاري في كتاب الجهاد : ١٨٩ ، ومسلم في كتاب الإمارة : ٦٠ / ٦ .

وأراد بالرفق ماعليه من الحقوق المكتوبة في الرفق ، وغفوها .

(٣) المسند : ١٩٢ / ٤ ، ومسلم في كتاب الإمارة : ١٢ / ٦ ، وأبو داود ، كتاب الأضحية ، الحديث رقم ٣٥٨١ .

٣٥١ ، ٣٥٠ .

(٤) من المسند ، ومكانها بيان في الأصل .

(٥) المسند : ٣٩٢ / ٦ ، والنبذة : كل شاة ضلقة من مأثر الأمراء .

حديث آخر: قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن سالم الكوفي الملقب - وكان بمكة - حدثنا حبيب بن الحسن الأعمش، عن القاسم بن الوليد، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجد، عن عباد بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ البيرة من جنب البير من المنى، ثم يقول: «صلى فيه إلا مثل ما لأحدكم، إياكم والفكوك»، فإن الفلوك يخرج على صاحبه يوم القيامة، أدوا الخيط والمخيط وما فرق ذلك، وجاهدوا في صيل الله القريب والبعيد، في الحضر والسفر، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، إنه ليتبى الله به من المم والمم، وألبوا أحدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم».

وقد روى ابن ماجه بضمه من الملقب - به (١).

حديث آخر: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وهو العياط والمخيط، فإن الفلوك حار وبار وشكر على أهله يوم القيامة» (٢).

حديث آخر: قال أبو داود: حدثنا حبان بن أبي شبة، حدثنا جرير، عن مطرف، عن أبي الجهم، عن أبي مسعود الأنصاري قال: بعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعياً ثم قال: «انطلق - أيا مسعود - لا ألف لك يوم القيامة خير على ظهرك بغير من إيل الصدقة له وخاء قد شكته. قال: إنا لا نطلق. قال: إنا لا أكثر حكت».

فرد به أبو داود (٣).

حديث آخر: قال أبو بكر بن مَرْحُومَة: أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن حبان بن أبي شبة، أنبأنا عبد الحميد بن صالح أنبأنا أحمد بن حبان، عن حاتم بن مَرْحُومَة، عن ابن بَرْحَة، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الحجر يُرمَى به [في] آفة جهنم فيهوى سبعين ألفاً ما يبلغ تحتها، ويؤكل بالفكوك فيقلب معه، ثم يقال لمن حكت الله به، فذلك قوله: (ومن ينزل يأت بما خل يوم القيامة)».

حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثني سمك الحنفي أبو زميل، حدثني عبد الله بن عباس، حدثني عُمَرُ بن الخطاب قال: «لا كان يومٌ خير أبول نكر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: فلان شهيد وفلان شهيد. حتى أتوا على رجل قالوا: فلان شهيد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا، إنه وأبيه في النار في بؤرة حكتها - أوجعته - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يا ابن الخطاب] إنجب فتك في الناس، إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. قال فخرجت فتأديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٤).

وكذا رواه مسلم، والترمذي من حديث عكرمة بن عمار به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الملقب، الحديث رقم ٢٥٤٠ : ٨٤٩. من قوله: «ألبوا أحدود».

(٢) سنن أحمد: ٢ / ١٨٤. والشارح: القريب، والبار.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الإمارة، الحديث رقم ٢٩٤٧ : ١٣٥/٣.

(٤) مسند أحمد: ١ / ٣٠. ومسلم، كتاب الإيمان، باب فلفظ تحرك الفلوك: ١ / ٧٥.

حديث آخر : قال ابن جرير : حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، حدثنا أبو ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عُبَادَةَ مُصَدِّقًا ، فقال لِيَاكَ يَا سَعْدُ أَنْ تَحْيِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحِمْرِ حِمْلِهِ لَهُ رُغَاءٌ قَالَ : لَا أَخْلُهُ وَلَا أُبَيِّ بِهِ . فَأَضَاهُ .
ثم رَوَاهُ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ اللَّهُ ، عَنْ نَافِعٍ - بِهَمْزٍ -

حديث آخر قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، حدثنا صالح بن محمد بن زائدة ، عن سالم بن عبد الله : أنه كان مع سلمة بن عبد اللّٰه في أرض الروم ، فوجد في متاع رجل عُكُوفًا : قال : فسأل سالم بن عبد الله فقال : حدثني أبي عبد الله ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من وجدتم في متاعه عُكُوفًا فاعرقوه - قال : وأحسبه قال : واضربوه قال : فاعرق متاعه في السوق ، فوجد فيه مصحفًا ، فسأل سالمًا ، فقال : بهمه وتصدقني بيمته (١) .

وهكذا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ خَرِيزٍ عَنْ عَبْدِ الْأَكْبَدِ رَوَاهُ - زَادَ أَبُو دَاوُدَ : وَأَبُو إِسْحَاقَ التِّرْمِذِيُّ - كَلَامًا عَنْ أَبِي وَاقِدٍ الْبَصْرِيِّ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ بْنِ زَائِدَةَ - بِهِ :

وقد قال علي بن المديني رحمه الله والبخاري وغيرهما : هذا حديث منكر من رواية أبي واقد هذا ، وقال الترمذي الصحيح أنه من فتوى سالم فقط ، وقد ذهب إلى القول بمتنفي هذا الحديث الإمام بن حبان رحمه الله ومن تابعه مع أصحابه ، وخالفه أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، والجمهور فقالوا : لا يعرق متاع الكفار ، بل يوزر لغيره منه ، وقال البخاري : وقد استمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة على النكاح ، ولم يعرق متاعه ، والله أعلم .

طريق أخرى عن عمر : قال ابن جرير : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث : أن موسى بن جبير حدثه : أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصاري حدثه : أن عبد الله بن أبيس حدثه : أنه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يوما الصلوة فقال : ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غُلُوفَ الصَّلَاةِ : « من غل منها بغير أو شاة » ، فإنه يحمله يوم القيامة ؟ قال عبد الله بن أبيس : بلى .

ورواه ابن ماجه (٢) ، عن عمرو بن سواد ، عن عبد الله بن وهب - به -

ورواه الأموى عن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن يونس بن صيد ، عن الحسن قال : خضوة النكاح أن يعرق وحله ويحرق على ما فيه .

ثم روى عن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن حنبل بن عطاء ، عن أبيه ، عن علي قال : النكاح يجمع وحله فيحرق ويحله دون حد .

(١) مسنده أسبه : ٢٢ / ١ ، وسنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، الحديث رقم ٢٧١٣ ، ٢٧١٤ ، ٢ / ٦٩ وفي هذا الحديث نظر ، فإن التفسير في قوله « فاعرقوه » ، إن كان مائة على المثلول ، فكيف أتى سالم ببيع المصحف والتصدق بيمته ، وإن كان مائة على المثل فكيف يؤمر بإسراعه وقد نهي عن التخليص بالنار .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الزكاة ، باب ما جاء في عمال الصدقة ، الحديث رقم ١٨١٠ ، ٥٧٩ ، وفي المتن « ورواه ابن ماجه عن عمر بن سواده » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، أنبأنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن جابر بن مالك قال : أمر بالمصاحف أن تقرأ قال : فقال ابن مسعود : من استطاع منكم أن يتكلم مصحفاً فليخه ، فإنه من خل شيئا جاء به يوم القيامة ثم قال : فقرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة أفأترك ما أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

وروى وكيع [في تفسيره] عن شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم ، قال : لما أمر بتحرير المصاحف قال عبد الله : يا أيها الناس خلوا المصاحف ، فإنه من شك يأت بما خل يوم القيامة ، ولم التكل المصحف (٢) . يأتى به أحكمكم يوم القيامة .

وقال داود بن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضم غنمة أمر بلالا فينادي في الناس : فيسبحون ثم يأتهم فيخمسهم ويكسمهم ، فجاء رجل يوما بعد النداء بزمام من شعر فقال : يا رسول الله ، هلنا كان ما أصبنا من الغنمية . قال . أسمت بلالا ينادى ؟ ثلاثا ، قال : لم . قال : فما منك أن تجيب به ؟ فاحتلر إليه ، فقال : كذا ، أنت تجيب به يوم القيامة ، فلن أهلكه منك (٣) .

وقوله : (أفن اتبع رضوان الله كمن ياد يستحق من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) ، أي : لا يسوى من اتبع رضوان الله فيما شرعه ، فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه وأجيره من زبيل عقابه ، ومن استحق غضب الله وألزم به ، فلا عهد له معه ، ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير .

وعنه لما نظائر في القرآن كثيرة كقوله تعالى : (أفن يعلم أن أولئك إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) وقوله : (أفن وعدناه وعدا حسنا فهو لآتيه كن مصناه متاع الحياة الدنيا) الآية .

ثم قال : (هم دَرَجَاتٌ عند الله) . قال الحسن البصري وعمد بن إسحاق : يعني : أهل الخير وأهل الشر درجات . وقال أبو حنيفة والكناسي : منازل ، يعني : متفاوتون في منازلهم ودرجاتهم في الجنة ، ودرجاتهم في النار ، كما قال تعالى : (ولكل درجات مما عملوا . . الآية) ولهذا قال : (والله بصير بما يعملون) ، أي : وسوف يفهم إياها ، لا يظلمهم شيئا ولا يزيحهم شرا ، بل يجازى كلا بعمله .

وقوله : (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) ، أي : من جنسهم لينتصروا من غماتهم ورسولهم وبجالتهم والانتفاع به ، كما قال تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) ، أي : من جنسكم . وقال تعالى : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) وقال تعالى : (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويعشون في الأسواق) . وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إنكم منكم) فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسول إليهم منهم .

(١) مسند أحمد : ١ / ٤١٤ .

(٢) حرمت هذه الآية القائلون بحدس تفرق بين ما لا كان مصحفا لغيره ، وأيدتها في ذلك البيهقي . لما قرأ ابن مسعود هذا المصحف لما أمر بتحريره .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب ١٢٤ .

بحيث يمكنهم غلبته ومراجسته في فهم الكلام [منه] ، ولعلنا قال : (يطر عليهم آياته) ، ينى : القرآن (ويذكرهم)
أى : بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتركوا نفوسهم وتطهر من النجس والغبث التى كانوا متلبسين به في حال
فركهم وجاهليتهم ، (ويملهم الكتاب والحكمة) ، ينى : القرآن والسنة (وإن كانوا من قبل) أى : من قبل هذا
الرسول (لئى ضلال مبين) ، أى : لئى ضل و جهل ظاهر جلى بين لكل أحد .

أَوْ لَعَنَّا أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥١﴾
وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِإِنَّ اللَّهَ وَلِعِلَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ وَلِعِلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَحَالَفُوا قَاتِلُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اتَّقُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قَالَا لَا تَتَّبِعْتُمْ هُمْ فَالْكَفَرُ يَوْمَئِذٍ اقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ وَقَفُوا هَهُمْ
مَالِكِينَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٥٣﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِأَخَوْتِهِمْ وَقَعَلُوا لَوْ أِطَاعَرْنَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَأَدِرُوا عَنْ
أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٤﴾

يقول تعالى : (أو لعا أصابكم مصيبة) وهى ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين منهم (قد أصبتم عليها)
ينى : يوم بدر ، لأنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلا وأسروا سبعين أسيرا (قلم أئى هذا) أى : من أين جرى علينا
هذا ؟ (قل هو من عند أنفسكم)

قال ابن أبى حاتم : ذكره أبى ، أبا ناس أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا قُرقاد أبو نوح ، حدثنا حكرمة بن عمار ، حدثنا [
صهيب] الحنفى أبو زُمَيْل ، حدثنا ابن عباس ، حدثني صُمر بن الخطاب قال : لما كان يومُ أحد من العام القتل ، حو قوا
بما صنعوا يوم بدر من أتعلم القديك ، قتل منهم سبعون وقر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، وكُسرَت رِباعيته
وحُشمت البيضة حل رأسه ، وسال الدمُ حل وجهه (١) ، فأنزل الله عز وجل : (أو لا أصابكم مصيبة قد أصبتم عليها
قلم أئى هذا قل هو من عند أنفسكم) بأعظم القديك .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عبد الرحمن بن غزوان وهو قُرقاد أبو نوح بإسناده ولكن بأطول منه وكذا قال
الحسن البصرى .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسن ، حدثنا إسماعيل ابن علية عن [ابن] حو ، عن محمد ، عن
عبيدة (ح) قال سُنَيْد - وهو حسن - : وحدثني حجاج عن جرير ، عن محمد ، عن عبيدة ، عن علي بن رضى الله
عنه قال : جاء جرير بن علية السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا عبيد ، إن الله قد كره ما صنع قومك في أتعلم الأسارى
وقد أرك أن تخبرهم بين أمرين ، إما أن يكتموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا القديك ، حل أن يشكلك منهم

(١) متن أحمد : ٣٠ / ١ ، ٣١ .

(٢) هذا تأويل مرجوح للغاية ؛ فإن أحد المسلمين القديك من أسرى يتركهم اجتهاداً ، والمخبة مأجور وإن انعطأ . صحيح أ
الله حبيب فيه ، ولكنه ومنهم بالفترة ، والمرجع في تأويل هذه الآية أنها تهون عليهم مصابهم في أحد ، ولذا كره أنهم قد انزلوا
بالشركين مثله في بدر ، وإن ما أصابهم [لما كان بسبب ما كسبه أيديهم من مصائبهم أسر لهم صلى الله عليه وسلم] .

حدثهم . قال : فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم ، قالوا : يا رسول الله ، حشاؤنا وإنه لنا ديد . (١) فلما هم كثر حتى به حل قتال عدولا ، ويستشهد منا عدتهم ، فليس في ذلك ما لكره ٢ قال : قتل مثلهم يوم أحد سبعون رجلا ، حدة أسارى أهل بدر .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث أبي داود الحمصاني ، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن سليمان بن سعيد ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين - به . ثم قال الترمذي : حسن غريب لا يخرجه إلا من حديث ابن أبي زائدة ، وروى أبو أسامة عن هشام نحوه . وروى عن ابن سيرين عن عبيدة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل (٢) . وقال محمد بن إسحاق ، وابن جرير ، والريعي بن أسد ، والسدي (قل هو من عند أنفسكم) : أي بسبب عصيانكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم نصيبكم ، يعني بذلك الرماة (إن الله على كل شيء قدير) ، أي أو يضل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا مشككة لحكمه .

ثم قال تعالى : (وما أصابكم يوم التقى الجمعان ليلاذن الله) ، أي : فراركم بين يدي عدوكم وقطعهم لجماعة منكم وجراحهم لأخرين ، كان قضاء الله وقدره ، وله الحكمة في ذلك (وليعلم المؤمنين) : أي : الذين صبروا وقهروا ولم يترفلوا (وليعلم الذين نافقوا) وليعلم شتم المنافقين (قالوا : لو لم تعلم قاتلا لآيئناكم) يعني : أصحاب عبد الله بن أبي بن سلول الذين رجسوا منه في أثناء الطريق فأتبعهم من أتبعهم من المؤمنين يمرضونهم حل الإياب والقتال والمساعدة ، ولهذا قال : (أو ادفعوا) : قال ابن عباس ، وحكمة ، وسيد بن جبتر ، والشمس ، وأبو صالح ، والحسن ، والسدي : يعني كثروا سواد المسلمين : وقال الحسن بن صالح : ادفعوا بالدهاء . وقال غيره : وابطلوا ، ففعلوا قاتلهم : (لو لم تعلم قاتلا لآيئناكم) ، قال مجاهد : يعني لو لم أنكم لتقون حربا لآيئناكم ، ولكن لا تقرون قتالا .

قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، وعمد (٣) بن يحيى بن جابر ، وعاصم بن عمر ابن قتادة ، والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن محمد بن معاذ ، وغيرهم من حفاظنا كلهم قد حدثت قال : شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني حيث خرج إلى أحسنى ألف رجل من أصحابه - حتى إذا كان بالشوط - يعني أحول المدينة - أمان عن عبد الله بن أبي بن سلول يظن الناس ، وذلك : أطاعهم فخرج وعصاني ، والله ما تدري علام تقتل أنفسنا هاتما أيها الناس ، فرجع عن أئمة من الناس من قومه من أهل التناق وأهل الرعب ، وأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حزام لمؤيدين سكة ، فترك : أياهم ، أذكرهم الله أن يخلوا (٤) فيبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم . قالوا : لو لم أنكم لتقاتلوا المسلمين ولكنا لا نرى أن يكون قتال : فلما استصموا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أيديكم الله أعداء الله ، سيقتلهم الله حكيم . ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في تفسير الطبري ٧ / ٣٧٦ : لا يلائم .

(٢) نسخة الأخرى : كتاب السير : ١٨٥ / ٥ ، وفي المطبوعة : من حديث ابن داود الغصيري ، وأبو داود هذا

هو عمر بن سعد ، ينظر الجرح والتعديل : ١ / ١١٢ .

(٣) في المطبوعة : ومن محمد . . .

(٤) في نسخة ٢ - ٩٤ : ألا تقاتلوا .

قال الله تعالى : (هم الكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) . استدلوا به على أن الشخص قد تغلب به الأحوال ، فيكون في حال أقرب إلى الكفر ، وفي حال أقرب [إلى] الإيمان ، لقوله : (هم الكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) .

ثم قال : (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) ، يعني : أنهم يقولون القول ولا يتقنون صحته ، ومنه قولهم هذا (لو تعلم قتالا لايتصاكم) ، فإنهم يتحققون أن جنبا من المشركين قد جاءوا من بلاد بعيدة ، يتحرقون على المسلمين بسببه ما أصيب من سرائهم يوم بدر ، وهم أضعاف المسلمين ، أنه كان بينهم قتال لعمالة : ولما قال الله تعالى : (وانه أعلم بما يكتمون) . وقوله : (الذين قالوا لإخوانهم وقتلوا لو أسألوها ماقتلوا) ، أي : لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ماقتلوا مع من قتل . قال الله تعالى : (قل فادعوا من أنفكم الموت إن كنتم صادقين) ، أي : إن كان السعد يتسلم به الشخص من القتل والموت ، فنهى ، أنكم لا تموتون ، والموت لابد آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة ، فادعوا من أنفكم الموت إن كنتم صادقين .

قال مجاهد ، عن جابر بن عبد الله : قلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سريته .

وَلَا تَحْسَبِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴿١٥٦﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٥٧﴾ يَسْتَبِشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْقُرْآنُ الَّذِينَ لَا حِسَابُ لَهُمْ وَاتَّقُوا آجِرَ عَظِيمٍ ﴿١٥٩﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا نَحْسِبُ أَنَّ اللَّهَ وَمَا وَعَدَ ﴿١٦٠﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لِمَنْ جَاءَهُمْ سَوَاسٍ وَمِنْهُمْ مَن مَّاتَ وَهُوَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٦١﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٢﴾

غير تعالى عن الشهداء بأفواههم وإن قتلوا في هذه الدار ، فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار .

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن مزروق ، حدثنا عمر بن يونس ، عن عكرمة ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق عن أبي طلحة ، عن أبي أنس بن مالك عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أوسلهم نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل بدر معركة قال : لأدري أربعين أو سبعين . وعلى ذلك لما حارب بن الطفيل الجعفي ، فخرج لوطك التثرت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتوا غارا مشرفا على الماء قتلوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يطلع رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم [أهل هذا الماء ؟] قال : أركاه ابن ملحان الأنصاري - أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم - فخرج حتى أتى [حيا منهم] (١) فاختبأ أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بدر معونة ، إلى رسول الله إليكم ، إلى أهدان لاله لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فالتوا بالله ورسوله . فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج مع الفخ الآخر . فقال : الله أكبر ، فوثق ورب الكعبة . فأتوا أرواحهم حتى أتوا أصحابه في النار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل

وقال إسحاق : حدثني أنس بن مالك : أن الله أنزل فيهم قرآنا : « يعلوا عنا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضُوا حَتَا وَرَحِمْنَا عَنَّا » ثم سبخت فرحمت بعد ما قرأناه زَمَنًا وأنزل الله : (ولا تحسبن اللعين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

وقد قال الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه : حدثنا محمد بن عبد الله بن نُمَيْر ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عبد الله بن مَرْثَدَة ، عن مسروق قال : سألتنا عبد الله عن هذه الآية : (ولا تحسبن الذين قُتِلُوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال : أما إنَّنا قد سألنا عن ذلك فقال : « أرواحهم في جُوف طير خُضِرَ لها قناديل مُكَلَّفة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم ليلة كَافَّة فقال : هل تشعرون شيئا ؟ فقالوا : أي شيء تشعرون ونحن تسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يارب ، نريد أن نرُد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا (١) .

وقد روى نحوه عن أنس وأبي سعيد

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نفس يموت ، لها عند الله خير ، يسرها أن ترجع إلى الدنيا إلا الشهيد إلاه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لا يرى من فضل الشهادة » .

القرود (٢) به مسلم من طريق حماد .

حديث آخر قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبد الله اللخمي ، حدثنا سليمان بن محمد بن علي بن ربيعة السلمي ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : [أما] علمت أن الله أحيا أباك فقال له : نعم (حلى) . فقال له : أريد إلى الدنيا ، فأقبل مرة أخرى فقال : [إلى قبض] [الحكم] أنهم إليها لا يرجعون (٣) ، انفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن أبا جابر - وهو عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري رضى الله عنه - قتل يوم أحد شهيدا . قال البخاري : وقال أبو الوليد ، عن شعبة عن ابن المنكدر [قال] سمعت جابرا قال : لما قُتل أبي جعلت أبكي وأكثف ألحوب عن وجهه . فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهون ، والبي صلى الله عليه وسلم لم ينته . وقال الثوري صلى الله عليه وسلم : لا تبكيه - أو : ماتبكيه - ما زالت لللائكة تُظَلِّفُ بأصبعها حتى رفع (٤) . وقد أسندوه هو ومسلم والنسائي من طريق آخر عن شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : لما قُتل أبي يوم أحد ، جعلت أكثف ألحوب عن وجهه وأبكي . . . وذكر تمامه نحوه .

(١) مسلم ، كتاب الإمامة ، باب في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة : ٣٩ ، ٣٨ / ٦ .

(٢) مستد أحمد : ٣ / ١٢٦ ، وينظر صحيح مسلم ، كتاب الإمامة ، باب فضل الشهادة : ٣٥ / ٦ .

(٣) مستد أحمد : ٣ / ٣٦١ ، وفي المختصر في سننه ، حدثنا سليمان بن محمد بن علي بن ربيعة السلمي . والوصاب ماثبتة

عن مسنده ، وينظر المبرج : ٤ / ١ / ٢٧٠ .

(٤) البخاري ، غزوة أحد : ١٣٩ / ٥٠ . وينظر باب الجنائز : ١٠٢ / ٢ ، وباب فضل الجهاد : ٢٦ / ٤ ، وانظره

مسلم في فضائل الصحابة : ٧ / ١٥٢ . والشمس : كتاب الجنائز : ٤ / ١١ ، ١٢ ، وأحمد في مسنده : ٣ / ٢٩٨ ، ٣٠٧

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثنا إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد ، عن أبي الزبير المكي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أصيب إيمانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلا يجدوا طيبه مشربهم وما كلهم ، وحسن متقلبهم قالوا : يا ليت إيماننا يعلمون ما صنع الله لنا ، فلا يتركه و! في الجهاد ، ولا يتركوا من الحرب ، قال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم . فأتوا الله عز وجل هؤلاء الآيات : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) وما بعدها » :

وكذا رواه (١) أحمد ، وكذا رواه ابن جرير عن يونس ، عن ابن وهب ، عن إسماعيل بن عتيبة عن محمد بن إسحاق به . ورواه أبو داود والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس للكرة ، وهذا كذا .

وكذا رواه سفیان الثوري ، عن سالم الأحمسي ، عن سعيد بن جببر عن ابن عباس :

وروى الحاكم في مستدركه من حديث أبي إسحاق القرظي ، عن سفیان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه :

وكذا قال قتادة ، والربيع ، والفضالة ، إنما نزلت في قتلى أحد :

حديث آخر : قال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا هارون بن سليمان ، أنبأنا علي بن عبد الله بن أبي أنبأنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشر بن الناقة الأنصاري ، (٧) سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش ابن الصمة الأنصاري ، قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاهب يوم قتاله : يا جابر ، مالي أراك مهتما ؟ قال قلت : يا رسول الله استشهد أبو وترك دينا وحيالا قال : فقال : ألا أخبرك ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفضا . - قال علي : الكفاح للمواجهة - قال : سئلي أصله . قال : أسألك أن أزد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل : إنه سبق مني القول أنهم إليها لا يرجعون : قال : أي رب فأبلغ من ورائي . فأنزل الله : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) : الآية .

ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سليل الأنصاري ، عن أبيه ، عن جابر - به نحوه - وكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة ، من طريق علي بن الملقى - به .

وقد رواه البيهقي أيضا من حديث أبي عبادة الأنصاري وهو عيسى بن عبد الرحمن بن شاذان عن أبيه عن جابر ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر : يا جابر ، ألا أهلك ؟ قال بلى ، يهلك الله بالخير : قال : هلك

(١) مسند أحمد ١ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ . وسنن أبي داود : كتاب الجهاد المحدث رقم ٢٥٢٠ ، ٣ / ١٥ ، والمصنف :

كتاب الجهاد ٢ / ٨٨ ، وكتاب التفسير : ٢٩٧ / ٢ .

(٧) في النسخة : ابن جابر بن عبد الله . ينظر الجرح : ١٣٢ / ١ / ٤

أن الله أحب إليك قال : تَمَنَّيَ عَلَى مَدْيِ مَا شِئْتَ أَصْطَكُ . قال : يا رب ، ما مديتك حتى مبادلتك . أتني عليك أن تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأَقَاتِلَ مَعَ نَبِيِّكَ ، وَأَقَاتِلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى . قال : إنه سلف مني أنه إليها [لا] يرجع .

حدثني أحمد : قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري ، عن حمود بن لجيد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على باوق نهر يباب الجنة ، في ثبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكثرة وعشيا .

نورد به أحمد (١) ، وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب حدثنا عبد الرحمن بن سليمان ، وعبيدة ، عن محمد بن إسحاق - به . وهو إسناده جيد .

وكان الشهداء أقسام : منهم من تسرح أولوسهم في الجنة ، ومنهم من يكون على هذا النهر يباب الجنة ، وقد جعل أن يكون متى سرحهم إلى هذا النهر فيجسمون هناك ، وينتدو عليهم برزقهم هناك ويراح ، والله أعلم - وقد روي في مسند الإمام أحمد حديثا فيه الإشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضا فيها ، وتأكل من ثمرها ، وترى ما فيها من الثمرة والسرور ، وتشاهد ما أعده الله لها من الكرامة ، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم ، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذهب للجنة ، فإن الإمام أحمد رحمه الله رواه عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ، عن مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله ، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تَسْمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَمْلِكُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَمُوتُ ، قَوْلُهُ : « طَائِرٌ » ، أَيْ : « طَائِلٌ » .

وفي هذا الحديث : إن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة (٢) :

ولما أرواح الشهداء فكانا تقدم في حواصل طير خضر ، فهي كالكرائب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين لأنها طير بأقنصها ، فسأل الله الكريم الملائكة أن يثبتن على الإيمان .

وقوله : (فَرَحِينٌ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ) إلى آخر الآية ، أي : الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند الله ، وهم فَرَحُونٌ بما هم فيه من النعمة والبطوة ، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يَتَكَدَّمُونَ عليهم ، وأهم لا يخافون ما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه ورثتهم .

قال محمد بن إسحاق (ويستبشرون) أي : ويستبشرون بملوك من خلفهم (٣) من إخوانهم حل ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم .

(١) مسند أحمد ١ / ٢٦٦

(٢) مشق في ١ / ٢٨٨ .

(٣) كذا في المطبوعة ، وفي نسخة ابن هشام ٢ / ١١٩ : « بملوك من خلفهم من إخوانهم » وفي تفسير الطبري ٧ / ٢٩٧ .

« بملوك من خلفهم » .

قال السدي : يُرثي الشهيد بكتاب فيه : يَتَذَمُّ عليك فلان يوم كذا وكذا ، ويَتَذَمُّ عليك فلان يوم كذا وكذا ،
فَيَسْتَرْبِطُ بِكَ كما يَسِرُّ أهل الدنيا بعلوم خُباياهم (١).

وقال سعيد بن جبيرة : لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة والشهادة قالوا : يا ليت إخواننا الذين في الدنيا
يظنون ما عرفناه من الكرامة ، فإذا شهدوا القتل ياتروها بأنفسهم ، حتى يَسْتَشْهَدُوا فيصيحوا ما أصبنا من الخير .
فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرهم ومأم فيه من الكرامة ، وأعجبهم أي [ربهم أن] قد أثرت على نبيكم
وأعبرته بأمركم ، وما أنتم فيه ، فاستبشروا بذلك ، فذلك قوله : (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من عظيمهم)
في الآية .

وقد ثبت في الصحيحين عن أنس ، رضى الله عنه ، في قصة أصحاب بدر موقعة السيوف من الأنصار الذين قتلوا في
خدمة واحدة وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلهم ، يدعى عليهم ويلعنهم ، قال أنس : يترك فيهم قرآن قراءته
حتى رفع : (أن يأتوا حاتمة أنا قتيلا ربنا ، فرضى حات وأرضانا) .

ثم قال : (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين) . قال محمد بن إسحاق : استبشروا
وسرورا لما حاتوا من وفاء للمؤدبين وجعل الثواب .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم ، سواء الشهداء وغيرهم ، وكلما
ذكر الله فضلا ذكر به الأنبياء وثوابا أعطاهم إلا ذكر ما أعطى الله المؤمنين من بعلهم .

وقوله : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) . هذا كان يوم حَمْرَاء الأسد ، وذلك أن
المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كثروا راجعين إلى بلادهم ، فلما استمروا في سيرهم تَنَدَّبُوا لَمْ لَا تَمْسُوا على
أهل المدينة وجعلوها القبضة .. فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تَدَبَّ للمسلمين إلى الدَّهَابِ ورامهم ليرجعهم
ويُرْجِعهم أن يَمَّ فَوْكًا وجعلنا ، ولم يَأْذَنَ لأحد سوى من حَضَرَ الرِّقعة يوم أحد ، سوى جابر بن عبد الله رضى الله
عنه .. لا سَدَّكَرَه .. فالتفت المسلمون على ما بهم من الجراح والإلحاح طامعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن حَمْرَاء ، عن حَكْرَةَ قال :
لما رجع المشركون من أحد قالوا : لا محمدا نقتل ، ولا الكواصب أردقم ، بشيا صنعتم ، أرجوا . فسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك ، فكتب للمسلمين فالتفتوا حتى بلغ حمراء الأسد .. أو : برأى عيينة .. الشك من سفيان . قال
المشركون : أرجع من قابل . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت نمد غزوة ، فانزل الله عز وجل (للذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) .

ودواه ابن مَرْدَوَيْهِ من حديث محمد بن منصور ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن حَكْرَةَ ، عن أبي
عباس - قد ذكره -

وقال محمد بن إسحاق : كان يومَ أحد يومَ السبت للنصف من شوال ، فلما كان الغد مع يوم الأحد لستَ عشرةَ ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذنٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج منّا أحد إلا أحد حنجر يرمي بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان حنكيتي على أنحرقت لي صبح وقال : يا بُنَيَّ ، إته لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجلن فيهن ، ولست بالذي أبورك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ، فتخلف على أخوالك ، فتخلفن عليهن ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه . وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم لينظروا به قوة ، وإن الذي أصابهم لم يؤهبهم عن حلهم .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن عكرمة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلاً مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل ، كان شهد أحدًا قال : شهدتُ أحدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخي ، فرجنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو ، كنتُ لأخيتي - أو قال لي - : أتقوتنا فزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله ما لنا من ذابئة لركبها ، ومامنا إلا جريح تكيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنتُ أيسر جراحاً منه ، فكان إذا غلب حملته عكبة (١) [ومثلي عكبة] (٢) حتى انتهت إلى ما انتهى إليه المسلمون .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها : (الذين استجابوا لله والرسول) الآية ، قالت لعروة : يا ابن أخي ، كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما ، لما أصاب يومَ أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يومَ أحد ، وانصرف عنه للشركون ، خاف أن يرجعوا فقال : من يرجع (٣) له أئثم ؟ فالتفت منهم سبعون رجلاً ، فيهم أبو بكر والزبير رضي الله عنهما .

وهكذا رواه البخاري مفرداً به ، بهذا السياق . وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن الأصم ، عن عباس الدوري ، عن أبي النصر ، عن أبي سعيد الخدري ، عن هشام بن عروة - به ، ثم قال : صحيح (٤) ولم يخرجاه . كذا قال .

ورواه أيضاً من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبيه ، عن عروة قال : قالت لي عائشة : [يا بُنَيَّ] إن أهلك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح . ثم قال : صحيح (٥) على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وروي ابن ماجه ، عن هشام بن عكر ، وهدية بن عبد الوهاب عن سفيان بن عيينة ، عن هشام بن عروة به وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الطيمدي في مسنده عن سفيان (٦) - به .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر من أصل كتابه ، أنبأنا سفيان ، أنبأنا عبد الله بن الزبير ، أنبأنا سفيان ، أنبأنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن كان أبوك لحيتي الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أبو بكر والزبير ، رضي الله عنهما .

(١) الباقية : القرية التي : يتنكر بها الحبل .

(٢) من سيرة بن هشام : ٢ / ١٠١ .

(٣) في صحيح البخاري فزوة كذا : ١٣٠ / من يطلب . . .

(٤) المستدرک : ٢ / ٢٩٨ .

(٥) المستدرک : ٣ / ٣٦٣ .

(٦) ابن ماجه : للمنفعة ، الحديث رقم ١٧٥ : ٥٦ .

ورُئِيَ هذا الحديث خطأ عطف من جهة إسناده ، فحاشاه رواية الثقات من وكفاه حل حاشاه كما لاحظناه ، ومن جهة معناه ، فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة ، وإنما كانت عائشة لعروة بن الزبير ذلك لأنه أبى لعنهما أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سعد ، حدثني أبي [حدثني] حمزة ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن الله قلب في قلب أبي سفيان الرضي يوم أحد بعد ما كان منه ما كان ، فرجع إلى مكة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرأاً ، وقد رجح ، وقلقت له في قلبه الرعب » ، وكانت وقعة أحد في شوال ، وكان التجار يفتقدون المدينة في ذي القعدة ، فيزولون يحدو الصبر في كل سنة مرة ، ولهم قنوم بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المؤمنين القرح ، واشتكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، واشتد عليهم الذي أصابهم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذب الناس لينطلقوا معه ، ويستبشروا ما كانوا متبشرين ، وقال : « إنما يرحلون الآن فيأثرون الحج ولا يفلحون حل مثلها حتى حام مقبل » . فجاء الشيطان فغرت أوليائه فقال : إن الناس قد جدوا لكم ، فأن عليه الناس أن يتبعوه ، فقال : « إنى ذاهب وإن لم يتبعني أحد » . لأخضض الناس (١) ، [فالتب] معه أبو بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان ، وحلى ، والزبير ، وسعد ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وحليفة بن أبيان ، وأبو حنيفة بن الجراح في سبعين رجلاً ، فساروا في طلب أبي سفيان ، فظفروه حتى بلغوا الصفراء (٧) فأولاه الله (٨) الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح .. الآية .

ثم قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على البادية ليلياً .

قال ابن هشام : واستعمل حل المدينة أين لم يكونوا فأتاهم بالآتين والفتاة والأرياء ، ثم رجع إلى المدينة : وقد مر به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر - مبدئ بن أبي مبدئ الخراسي ، وكانت غزاة مسلمهم ومشركونهم حبيبة (٩) - نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بجماعة ، صمكتهم (١٠) معه ، لا يحشون عنه شيئاً كان بها ، ومعد يومئذ مفركة ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد حزّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولقد كنا أن الله حالاك فيهم . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بجماعة حمراء الأسد ، حتى أتى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالرواح ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا : أصبتا حدّ أصحابه وقادتهم وأمرائهم ، ثم رجع قبل أن تستأصلهم : فتكثرت حل بقتهم فتكثرت عن منهم . فلما رأى أبو سفيان ميلاً قال : ما وراثة يا محمد ؟ قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحركون عليكم هرباً ، قد اجتمع معكم من كان يخلف عنه في يومكم ، ولقدوا حل ما صنعوا فيهم من الحشنى عليكم شيء لم أر مثله قط . قال : ويحك . ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترحل حتى ترضى

(١) ينظر تفسير الطبري : ٧ - ٤٠٢ .

(٢) ولدى الصفراء من ناحية المدينة ، وهو راد كنه الروح والنفق في طريق الخيل .

(٣) حية الرجل : موضع سره .

(٤) يعني : انقلبهم معه .

لواصي الغليل - قال : فوالله لقد أجمعت الكثرة عليهم لتستأصل بقيتهم . قال : فإني أتأكد من ذلك . ووالله لقد حملني ما رأيته على أن قلت فيهم آياتاً من شمر ، قال : وما قلت ؟ قال قلت :

كَادَتْ تَهْدِي مِنْ الْأَصْوَاتِ رَاحَتِي إِذْ سَاكَتِ الْأَرْضُ بِالْجَرْدِ الْآبَائِلِ (١)
تَرَدَّى بِأَسْنَدٍ كَرَامٍ لَا تَنْقَابُهُ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِجْلُ مَتَاعِيلِ (٢)
فَنَظَلْتُ حَذَوًا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَالِكَةً لَمَّا سَمِعُوا بِرَيْسٍ غَيْرِ مَتَعْلُولِ (٣)
قُلْتُ : وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ قَادِكُمْ إِذَا تَقَطَّعَتِ الْبَطْطَةُ بِالْجِيلِ (٤)
إِنِّي لِلْغَيْرِ لِأَهْلِ الْهَسَلِ ضَاحِكَةٌ لَكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَقُولِ (٥)
مَنْ جَيْشٍ أَحْمَدٌ لَا يَنْشُرُ تَقَابِلَهُ وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أُنْزِلَتْ بِالْقَبْلِ

قال : فإني ذلك أبا سفيان ومن معه .

وسر به ركب من بني عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون مني بمحمد رسالة أو ملكم بها إليه ، وأحسب لكم هذه غنماً زيباً بمكان إذ وأقيتموها ، قالوا : نعم . قال : فإذا وافقتموه فاعبروه أنا لك أجمعت لنسب إلي وإلى أصحابه لتستأصل بقيتهم ، فرأى الركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بغيره الأمد ، فاعبروه باللي قال أبو سفيان وأصحابه ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . وذكر ابن هشام من أبي حنيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه رجوعهم : والذي نفسي بيده قد سوفتكم لهم حجارة لو صيغوا بها لكانوا كأسى للذهب (٦) .

وقال الحسن البصري [في قوله] : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) : إن أبا سفيان وأصحابه أصابوا مع المسلمين ما أصابوا ورجعوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبا سفيان قد رجع . وقد قلب الله في قلبه ، فمن يشتدب في قلبه ؟ فقام النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر وعثمان ، وعلى ، ولأس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فاتبعهم ، فبلغ أبا سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم يطلبه ، فلو هربا من القبح فقال : وكذا محمد ولكم من الجبل كلها وكلنا ، وأخبرهم أني قد جمعت لهم جموعاً ، وأنني راجع إليهم . فجاء القبح فاعبروا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانزل الله هذه الآية .

- (١) كادت تبه : كادت تسقط لحول ما رأته من أصوات إبليس وكثرته ، والجرد : انقيل الساق والآبائيل : الجاهل .
- (٢) تردي : تسرح . واللقاء : القصار . والميل : جمع أميل ، وهو الذي لأوجهه ، وقيل : هو الذي لأخره .
- (٣) فَنَظَلْتُ حَذَوًا لَا يَنْقَابُهُ : وهو الذي لأوجهه ، والماتيل : الذين لأصلاحهم .
- (٤) سَمِعُوا بِرَيْسٍ غَيْرِ مَتَعْلُولِ : سمعوا : سموا : طوا وأوتوا .
- (٥) تَقَطَّعَتِ الْبَطْطَةُ بِالْجِيلِ : انقطعت : انقطعت وأرغبت : السبل من الأرض ، والجبل : الصنف من الناس ، وفي القرون الألف ١٤٤/٢ بالغليل . وابن حزم في البيت هو أبو سفيان .
- (٦) إِرْبَةٍ : الخرم ، وأراد بأهل السبل قريشاً ، لأنهم أهل مكة ، ومكة بلد حرام ، والفاضية : البقرة ، والإرابة : الغنم ، والوعش : ذئالة الناس وأصلحهم .
- (٧) ميرة ابن حزم : ١٠٤/٢ ، ١٠٤ .

وهكذا قال حكيمه ، وقادة وغير واحد : إن هذا السياق نزل في شأن وحمراء الأسد ، وقيل : نزلت في بئدر الموحدة (١) ، والصحيح الأول .

وفوه : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فإدم إيماناً) : الآية أى : الذين توعدكم الناس [بالجمع] وخشيتوهم بكثرة الأعداء ، لما أكثروا لذلك ، بل توكلوا على الله واستعانوا به (وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) .

قال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس ، أنزه قال : حدثنا أبو بكر ، عن أبيه حميد ، عن أبيه الفتح ، عن ابن عباس : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، قلنا إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، وقلنا محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : وإن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فإدم إيماناً ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل (٢) .

وقد رواه النسائي ، عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم وهارون بن عبد الله ، كلاهما عن يحيى بن أبي بكر ، عن أبي بكر وهو بن عباس - به . والصحيح أن الحاكم رواه (٣) من حديث أحمد بن يونس - به ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ثم رواه البخارى عن أبي عثمان مالك بن إسماعيل ، عن إسرائيل ، عن أبيه حميد ، عن أبيه الفتح ، عن ابن عباس قال : كان أكثر قوله إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار : (حسبنا الله ونعم الوكيل) (٤) .

وقال عبد الرزاق : قال ابن عيينة : وأسنده زكريا ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن عمرو قال : هي كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقى في البئان (٥) رواه ابن جرير .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا إبراهيم بن موسى الثوري ، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن زياد السكري ، أنبأنا أبو بكر بن عباس ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له يومئذ : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم . فأنزل الله هذه الآية .

وروى أيضاً بسنده عن محمد بن حبيب الله الرافعي ، عن أبيه ، عن جده أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم وجهه علياً في تكبره في طلب أبي سفيان ، فلقبهم أعرابي من غزاة فقال : إن القوم قد جمعوا لكم . قالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . فنزلت فيهم هذه الآية .

(١) قال أبو حيان في البحر المحیط ٣ / ١٧٠ : وقيل : الاستعانة كانت من العام القليل ، به قصة أحد ، حيث ترواه أبو سليمان ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان ، فأرعب وبداه الرجوع . . .

(٢) الصحيح ، كتاب التفسير : ٤٨ / ٦ .

(٣) المستدرک : ٢ / ٢٩٨ .

(٤) الصحيح ، كتاب التفسير : ٤٨ / ٦ ، ٤٩ .

(٥) في تفسير البخارى ٧ / ٤١٢ : في النار .

ثم قال ابن مردويه : حدثنا دحرج بن أحمد ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، أنبأنا أبو خيثمة مصعب بن سديد ، أنبأنا موسى بن أبيخ ، عن الأعشى ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل » :

هذا حديث شريف من هذا الوجه :

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حيوة بن شريح وإبراهيم بن أبي العباس قالا : حدثنا بكيع ، حدثنا جبر بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن سيف ، عن عوف بن مالك أنه حدثهم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قنع بين رجلين ، فقال القضي عليه لا أدير ، حسبى الله ونعم الوكيل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ردوا على الرجل » . فقال : ما قلت ؟ قال قلت : حسبى الله ونعم الوكيل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكف ، فإذا عليك أمر قل : حسبى الله ونعم الوكيل (١) » :

وكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث بقة بن جبر ، عن خالد ، عن سيف - وهو الشافى - ولم ينسب - عن عوف بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسباط ، حدثنا معترف ، عن عطية ، عن ابن عباس [في قوله : (فإذا كفر في القنور)] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أنتم أصحاب القرن قد التفتت القرن وحسب جهته ، يسمع من يرمي فيخف ؟ فقال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : لما نقول ؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا (٢) .

وقد روى هذا من غير وجه ، وهو حديث جيد ، وروينا عن أم المؤمنين عائشة وزينب رضى الله عنهما أنهما تفاخرا فقالت زينب : زوجني الله وزوجكن أهابليكن : وقالت عائشة : نزلت برادق من السماء في القرآن : فسكنت ما ، زينب : ثم قالت : كيف قلت حين ركبنا راحلة صفوان بن المطلب ؟ فقالت قلت : حسبى الله ونعم الوكيل . فقالت زينب : قلت كلمة للمؤمنين .

ولما قال تعالى : (فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يستسئهم سوء) ، أى : لا توكفوا على الله كلام ما استسئهم وردد عنهم بأمر من أراد كيدهم ، فرجعوا إلى بلدهم (بنعمة من الله وفضل لم يستسئهم سوء) مما أضمر لم عندهم (واليهما رجعوا) قال الله وفضل عظيم .

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو بكر بن داود الواعد ، حدثنا محمد بن نعيم ، حدثنا بشر بن الحكم ، حدثنا بشر بن عبد الله بن رزين ، حدثنا سفيان بن حسين ، عن يعلى بن سلم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله الله تعالى : (فاقبلوا بنعمة من الله وفضل) ، قال : النعمة أنهم سلكوا ، والفضل أن همأ مرت وكان في أيام الموسم - فاشترأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فربح فيها مالا ، فقسمة بين أصحابه :

(١) المست : ٢٤ / ٦ ، ٢٥ ، وأبو داود ، كتاب الآفة ، الحديث رقم ٣٦٢٧ / ٤ ، ٣١٣ .

(٢) مسند أحمد : ٢٤٦ / ١ ، وما بين قوسين من المسند .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قوله : (الَّذِينَ قَالَ لَمْ يَأْتِ الْإِنْسَانُ بِشَيْءٍ) : قال : [هذا] أبو سفيان ، قال محمد بن علي بن مسلم : مررت بك يد ، حيث قطع أصحابنا . قال محمد بن علي بن مسلم : « حسي » . فالتحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لوحده حتى نزل يدراً ، فوافقوا السوق فيها وابتنوا خلفك قول الله عز وجل : (فَاتَّخِذُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَعْصِهِمْ سِوَهُ) .. الآية . قال : وهي غزوة بدر الصغرى .

رواه ابن جرير ، وروى [أيضاً] عن القاسم ، عن الحسن بن علي بن فضال ، عن ابن جريج قال : « عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لوحده إلى سفيان ، فدخلوا بالقرى المشركين ويسألونهم عن قریش ، فيقولون : قد جمعوا لكم ، يكدونهم بذلك ، يريدون أن يرحمهم ، فيقول المؤمنون : (حسبتنا الله ونعم الوكيل) حتى قتلوا يدراً ، فوجدوا أسرارها غالية لم يتنازعهم فيها أحد ، قال : رجُلٌ من المشركين فاعتبر أهل مكة بنيل محمد ، وقال في ذلك (١) »

تَقَرَّرْتُ لَكُمْ مَبِى مِنْ حَيْدِى مُحَمَّدٌ . وَحَسْبُكُمْ مَثْنُوكًا كَالْمُتَّجِدِ .
وَأَتَّخَذْتُ مَا قَدْ بَدَّ مَوْحِدِ .

ثم قال ابن جرير : هكذا أنشدنا القاسم ، وهو خطأ ، وإنما هو :

قَدْ تَقَرَّرْتُ مِنْ رَفَقَتِي مُحَمَّدٌ . وَحَسْبُكُمْ مِنْ يَتَرَبِّ كَالْمُتَّجِدِ
تَهْوَى عَلَى دِينِ أَبِيهَا الْأَكْبَدِ . قَدْ جَمَعْتُ مَا قَدْ بَدَّ مَوْحِدِ
وَمَاءَ ضَمْنَانٍ لَهَا ضَمْنَى الْفَدِ . (٢)

ثم قال تعالى : (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) ، أى : يخوفكم أوليائه ، ويوهمكم أنهم ذوي باسٍ وقوة عظيمة ، قال الله تعالى : (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) ، إذا سول لكم وأوهمكم فهو قولوا على والجهنم إلى ، فإنا كاليكم ولا نمركم عليهم ، كما قال تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) ، إلى قوله : (قُلْ : حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) ، وقال تعالى : (قَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) ، وقال تعالى : (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ) ، وقال تعالى : (كَتَبَ اللَّهُ لَأُولَئِينَ أَنَا وَرَسُولِي إِن اللَّهَ قَرِى مَوْلَى) ، وقال : (وَلَيَبْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَبْصُرُهُ) ، وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصِرُوا اللَّهَ فَيُصْرِكُمْ) .. الآية ، وقال تعالى : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) يوم لا يطلع الظالمين ملتحدين ولم الله ولم سوء الناس)

(١) الآيات في تفسير الطبري : ٤١١/٧ .

(٢) الآيات في سورة ابن هشام مسبوقة إلى مبه بن أبي عبد القزاس : ٢١٠/٧ ، وينظر تفسير الطبري : ٤١٢/٧ .
والسيرة : نوع جيد من تمر المدينة ، والمنجيد : الزبيب الأسود . والذين : آداب والمادة ، والآلة : الآدم ، وهذه : موضع قرب مكة . وضعتان : جبل على طرف المدينة من مكة .

وَلَا يَجُزُّكَ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ فِي الْكُفْرِ لَهُمْ أَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطْلًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَسْرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥١﴾ وَلَا يَجْنِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا تَحِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا تَحِلُّ لَهُمْ لِيُزَادُوا فِي إِيمَانِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٥٢﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيهِ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَسَوْفَ يَكْفُرُ آبَاؤُكُمْ عَنِ الْكُفْرِ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ يَتَّبِعُونَ مَسْجِدَ أَنْتُمْ أَنْتُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لِمَنْ بَلَّ هُوَ رُسُلُهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُقُوهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرَاتُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٥٣﴾

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) ، وذلك من شدة حرصه على الناس كان يحزنه مهادنة الكفار إلى مخالفة العناد والشقاق ، فقال تعالى : لا يحزنك ذلك (لهم) لن يضروا الله شيئا ، يريد الله أن لا يجعل لهم حطلا في الآخرة) ، أى : حكمته فيهم أنه يريد بحشيتهم وقدرته أن لا يجعل لهم نصيبا في الآخرة (ولهم عذاب عظيم) .

ثم قال تعالى ضربا من ذلك إخبارا موقرا : (إن الذين أسروا الكفر بالإيمان) ، أى : استبدلوا هذا (لن يضروا الله شيئا) ، أى : ولكن يضرون أنفسهم (ولهم عذاب أليم) .

ثم قال تعالى : (ولا يحسن الذين كفروا إنما تحل لهم خير لأنفسهم ، إنما تحل لهم ليزدادوا إيمانا ولهم عذاب مهين) ، كقوله تعالى : (أخصيئوا إنما ندمهم به من مال وبنين . فسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون . وكقول : (فلوفى ومن يكلمهم بهذا الحديث ، مستطيرجهم من حيث لا يعلمون) . وكقول : (ولا تمنعبنك أموالكم وأولادكم إنما يريد الله ليذهبهم بها في الحياة الدنيا وحق أنفسهم وهم كافرون (١)) .

ثم قال تعالى : (ما كان الله ليضل المؤمنين على ما أنت عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) ، أى : لا بد أن يعقد سببا من الخبيث ، يظهر فيه وليه ، ويفتضح فيه عدوه . يعرف به المؤمن الصابر ، والمتلق الفاجر . يعنى بذلك يوم أحد الذى لصحن به المؤمنين ، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجعلهم وطاعهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهتك به ستر المنافقين ، فظهر خائنهم وكفروهم عن الجهاد وغيابتهم لله ورسوله ولهذا قال : (ما كان الله ليضل المؤمنين على ما أنت عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) .

قال مجاهد : مَيَّزَ بينهم يوم أحد ، وقال قتادة : مَيَّزَ بينهم بالجهاد والمجيرة . وقال السدي : قالوا : إن كان محمد صادقا فكيف أخبرنا عن يوم من منا ومن يكفر . فأقول : (ما كان الله ليضل المؤمنين على ما أنت عليه حتى [يميز الخبيث من الطيب]) ، أى : (٢) حتى [يمتزج المؤمن من الكافر .

(١) يريد المنسرب هذا الاستعداد أن يقول : إن إلهة الكافرين هو إلههم بالآلوه واليهين وكافة مع أهلية الخلقة ، وليس في هذا خير لهم ، وإنما هو طريقهم إلى الإثم الذى لا نهاية له سوى السلب المين .

(٢) من تفسير التبري : ٤٧٦/٧ .

وروى ذلك كله ابن جرير :

ثم قال : (وما كان الله ليُطْلِعَكُم على الغيب) ، أى : أتم لا تعلمون غيب الله فى خلقه حتى يُمَيِّزَ لَكُمْ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ ، أولا ما يقصد من الأسباب الكاشفة عن ذلك .

ثم قال : (ولكن الله يجزي من رسله من يشاء) ، كقوله : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) .

ثم قال : (فآمنوا بالله ورسوله) ، أى : أطيعوا الله ورسوله واتبعوا فيما شرح لكم (وإن يؤمنوا وتشتوا لكم أمر عظيمة) .

وفيه : (ولا يحسن الذين يضلون بما آتاهم الله من فضله هو غير العلم ، بل هو شر لهم) ، أى : لا يحسن الخلل أن جمعه المال بضمه ، بل هو مستخرجة عليه فى دينه -- وربما كان -- فى دلياه .

ثم أنسب بحال أمر ماله يوم القيامة فقال : (سيطوفون ما يحلوا به يوم القيامة) ، قال البخارى :

حدثنا عبد الله بن مسير ، سمع أبا النضر ، حدثنا عبد الرحمن -- هو ابن عبد الله بن دينار -- عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل أن له شجعا أفرح له زبيبتان ، يَطْرُقُهُ يوم القيامة ، يأخذ بلبعض مَتْنِهِ -- يعنى ببدنه -- يقول : أنا ماله ، أنا كثر له ثم تلا هذه الآية : (لا يحسن الذين يضلون بما آتاهم الله من فضله هو غير العلم بل هو شر لهم) ، إلى آخر الآية .

فرد به البخارى (١) دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق الليث بن سعد ، عن محمد بن جبلان ، عن القشع بن حكيم ، عن أبي صالح -- به .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا حجين بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن مسر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الذى لا يؤدى زكاة ماله يَمُتْكُلُ الله له ماله يوم القيامة شجاعا أقرح له زبيبتان ، ثم يُلْزَمُه يَطْرُقُهُ ، يقول : أنا كثر له أنا كثر له) (٢) .

وهكذا رواه النسائى عن الفضل بن سهل ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة -- به ، ثم قال النسائى : ورواية عبد العزيز ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أثبت من رواية عبد الرحمن ، عن أبيه عبد الله بن دينار ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة .

قلت : ولا منافاة بينهما ، فقد يكون عند عبد الله بن دينار من الوجهين ، والله أعلم . وقد ساقه الحافظ أبو بكر بن مردويه من غير وجه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . ومن حديث محمد بن أبي حميد ، عن زياد النملى ، عن أبي هريرة -- به .

(١) كتاب التفسير : ٢٩/١ . والقشع -- يمشى المشى وكسر ما -- : الحية الكبر ، وقيل : الحية مطلقاً .

(٢) سنن أحمد : ٩٨/٢ .

حدث كثر قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن جامع ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع يجهه ، يمتد منه وهو يجهه فيقول : أنا كترك . ثم قرأ عبد الله مصنفاته من كتاب الله : (سيطرون ما غفرا به يوم القيامة) (١) .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، من حديث سفيان بن حية ، عن جامع بن أبي راشد ، زاد الترمذي : وعبد الملك بن أحمد ، كلاهما عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن عبد الله بن مسعود - به - ثم قال الترمذي : حسن صحيح ، والله روه الحاكم في مستدركه ، من حديث أبي بكر بن عياش وسفيان الثوري ، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود - به - ورواه ابن جرير من غير وجه ، عن ابن مسعود - موقوفا .

حدث كثر : قال الحافظ أبو سهل : حدثنا أمية بن بسطام ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معاذ بن أبي طلحة ، عن ثوبان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من ترك هذه كثيرا دخل له شجاع أقرع يوم القيامة له زيبتان ، يجهه ويقول : من أنت ؟ وبك . فيقول : أنا كترك الذي عكفكتَ بذلك فلا يزال يجهه حتى يلقاه به فيفلسها ، ثم يجهه سائر جسده . إسناده جيد قوى ولم يخرجوه .

والله روه الطبراني عن جرير بن عبد الله البجلي . ورواه ابن جرير وابن مسعود عن حديث يهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ولا يأت الرجل مولاه فيسأله من فضل ماله عنده ، فيمنه إياه ، إلا دعي له يوم القيامة شجاع يكتسك (٢) فضله الذي منع . لفظ ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن المثنى ، حدثنا عبد الأمل ، حدثنا داود ، عن أبي قزحكة ، عن رجل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من شيء وسم يأتى فاحسبه ، فسأله من فضل جملة الله عنده ، فيبذل به عليه ، إلا أعترج له من جهنم شجاع يكتسك ، حتى يملأه .

ثم رواه من طريق آخرى عن أبي قزحكة - واسمه حجير (٣) بن بيان - عن أبي مالك النخعي موقوفا . ورواه من وجه آخر عن أبي قزحكة مرسلا .

وقال الترمذي عن ابن عباس : أولئك في أهل الكتاب الذين يسلولوا بما في أيديهم من الكتب المتزلة أن يبيعوها .

رواه ابن جرير . والصحيح الأول ، وإن دخل حذا في معناه . وقد يقال : هذا أولى بالخبر ، والله أعلم .

وفيه : (والله ميراث السموات والأرض) ، أي : (فأنفقوا عما جعلكم مستخفين فيه) ، فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله عز وجل . فقدموا لكم من أموالكم ما يتحكم يوم محادكم (والله عما تعملون خير) ، أي : بينا بينكم وضائركم .

(١) مسند أحمد : ٣٧٧/١ ، والسنن : كتاب الزكاة : ١١/٥ ، ونبذة الأسماء : كتاب التفسير : ٣٦٢/٨ ، وابن ماجة : كتاب الزكاة ، الحديث رقم ١٧٨٤ : ٥٦٨/١ ، والمستدرک : كتاب التفسير : ٢٩٨/٢ .

(٢) الخطيب : تحريك السنان في التفسير .

(٣) في المخطوطة : حجير . وهو تلميذ الترمذي : ٤٢٤/٧ ، وليس . أبو قزحكة كنية حجير . ما عاين كنية سويد . وهو بشر المرح : ٢٢٥/٢/١ .

[illegible]

وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٩﴾

قال سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : لما نزل قوله : (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) قالت اليهود : يا محمد ، ائتمرك ربك . يستألك عباده القرض ؟ . فأقول الله : (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) . الآية رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم .

وقال محمد بن إصحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن حكومة أنه حدثه عن ابن عباس رضي الله عنه قال : دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت للدراس ، فوجد من يهود أناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له : فنحاص وكان من علمهم وأخبارهم ، ومعه خبرٌ يقال له : أشبع . فقال أبو بكر : ويحك يا فنحاص : اتق الله وأسلم ، فوالله إنك تعلم أن محمدًا رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عند الله ، فليجئوه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل . فقال فنحاص : والله يا أبا بكر - ما بنا إلى الله من حاجة من فقر ، ولأنه إلينا فقير . ما ننصره إليه كما ينصر إليه ، ولأنه لا أغنياء ، ولو كان هنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم . ينهاكم عن الربا . ويشتغلونه . ولو كان غنياً ما أسطنا للربا (١) فنفسب أبو بكر رضي الله عنه ، فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : والذي نفسي بيده لو لا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله فكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين ، فلهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبصر ما صنع لي صاحبك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما حدثك على ما صنعت ؟ قال يا رسول الله : إن عدو الله قد قال قولا عظيماً زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء . فلما كان ذلك غضبتُ فما قال ، فضربت وجهه فوجد ذلك فنحاص وقال : ما قلت ذلك . فأنزل الله فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر : (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) .. الآية .

رواه ابن أبي حاتم .

[illegible]

(١) عن سيرة ابن هشام : ٥٣٩/١ ، والتلخيص الطبري : ٤٤٢/٧ .

لَهُ قَسَبَتْهُ أَنْ تَرَكَ نَارَ مِنَ السَّمَاءِ تَأْكُلُهَا ، قَالَ ابْنُ حِبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُهُمَا : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (قُلْ لَدَّ جَاهِكُمْ رَسُلٌ مِنْ قَبْلِ بِالْيَنَاتِ) ، أَيْ : بِالْحَبِيجِ وَالْبَرَاهِينِ (وَيَا لَيْلَى قُلْتُمْ) ، أَيْ : وَيَتَارُ تَأْكُلُ الْفَرَابِينَ الْمُشْبِلَةَ (فَلَمْ تَقْتَنُومِ) ، أَيْ : فَلَمْ تَقَابِلْتُنَّوَهُمْ بِالْكُتَيْبِ وَالْمَخَافَةِ وَالْمَانَعَةِ وَتَقْتَنُومِ (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أَنْتُمْ تَقْبَعُونَ الْخَقَّ وَتَقْدَارُونَ الرِّسْلَ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُسَلِّمًا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنْ كُنْتُمْ كَذِبُونَ فَهَذَا كُتَيْبٌ رَسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْيَنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكَتَابِ لِلنَّبِيِّ أَيْ : لَا يَسْئَلُكَ (١) تَكْذِيبُ هَؤُلَاءِ لَكَ ، فَكَانَ أَسْوَدُ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الرِّسْلِ الَّذِينَ كُتِبُوا مَعَ مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْيَنَاتِ وَهِيَ الْحَبِيجُ وَالْبَرَاهِينُ الْهَامِطَةُ (وَالزُّبُرُ) وَهِيَ الْكُتُبُ لِلتَّقَاتِ مِنَ السَّمَاءِ ، كَالصَّحُفِ الْمُنْتَزِلَةِ عَلَى الرِّسْلِينَ (وَالْكَتَابِ لِلنَّبِيِّ) أَيْ : الْبَيِّنِ الرَّوَاضِحِ الْجَلِيلِ .

كُلُّ نَفْسٍ ذَا قَمَّةٍ الْمَوْتُ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُلْ زُجِرَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَاتَرُوا حَيَاةَ الْفَنَاءِ إِلَّا مَتَّعَ الْغُرُورِ ﴿١٥٥﴾ * لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِكُمْ ذَمًّا لَكُمْ أَنْتُمْ كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٥٦﴾

يُزَيَّرُ تَعَالَى بِعِبَادِهِ حَامِدًا بِسَمِّ جَنَّتِهِ الْخَلِيقَةِ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذَا قَمَّةٍ الْمَوْتُ ، كَقَوْلِهِ : كُلٌّ مِنْ حَالِيهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهٌ وَبِكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، فَهُوَ تَعَالَى وَجْهَهُ هُوَ الْإِلَهِيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ يَمُوتُونَ ، وَكُلُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ وَحْدَةً لِلرُّسُلِ ، وَيُتَرَدَّدُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْقَهَّارُ بِالْإِعْمَةِ وَالْبَقَاءِ ، فَيَكُونُ آخِرًا كَمَا كَانَ أَوَّلًا .

وَهَذِهِ آيَةٌ فِيهَا تَعْرِيفُ لَجَمِيعِ النَّاسِ ، لِأَنَّهُ لَا يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ حَتَّى يَمُوتَ ، فَإِذَا انْقَضَتْ الْمُدَّةُ وَفُتِحَتْ السَّقْفَةُ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَجَرَدَ مَا مِنْ صُلْبِ آدَمَ وَانْقَضَتْ الْقَرِيبَةُ - أَتَمَّ اللَّهُ الْقِيَامَةَ وَجَازَى الْمُخْلَاقَ بِأَعْمَالِهِمْ جَلِيلًا وَحَقِيرًا هَ كَثِيرًا وَقَلِيلًا ، كَبِيرًا وَصَغِيرًا ، فَلَا يَنْظُرُ أَحَدًا مِثْلَ خُزْءٍ ، وَلِهَذَا قَالَ : (وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزِيزِ الْأَوْسِيُّ حَدَّثَنَا [حُلَيْ بْنُ أَبِي حُلَيْبٍ] عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ حُلَيْ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَبِيهِ (٢) ، عَنْ [حُلَيْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمْ يَتَوَقَّعْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَادَتِ النَّصِيَّةُ ، جَاءَهُمْ أَنْ يَسْمَعُونَ حَسْبَهُ وَلَا يَرَوْنَ شَخْصَهُ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ قَلْبِيَّةٍ وَرَحِمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ (كُلُّ نَفْسٍ ذَا قَمَّةٍ الْمَوْتُ ، وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) . إِنْ فِي اللَّهِ حُزْنٌ مِنْ كُلِّ مَصِيبَةٍ ، وَخُفْلًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَدَرَكًا مِنْ كُلِّ نَاقِصَةٍ ، فَيَا قَهَّارُ ، وَلِيَا قَارِعَا ، فَإِنَّ الْمَصِيبَ مِنْ حَرَمِ الْقُرْبَى ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَحَمْدُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : فَأُخْبِرَنِي أَنَّ حُلَيْ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : أَتَدْرُونَ مِنْ هَذَا ؟ هَذَا الْخُفْرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقَوْلُهُ : (قُلْ زُجِرَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ قَدْ تَلَزَّ) أَيْ : مِنْ جَنَّتِ النَّارِ وَجَاءَ مِنْهَا وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، قَدْ تَلَزَّ كُلِّي الْقَوْلُ :

(١) حَدَّثَهُ النَّبِيُّ ، حَمِيدًا : أَتَزَمُّهُ وَكَرِهَهُ .

(٢) مَا بَيْنَ الْقُرَيْشِينَ سَطَرٌ مِنَ الْأَسَدِ ، وَاللَّيْلَةُ مِنَ الْمَطْبُوعَةِ ، وَكَانَ فِي طَعْمِهِ : حُلَيْ بْنُ أَبِي حُلَيْبٍ ، فَأَخْبَرَنِي بِهَذَا مِنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي حَاتِمٍ : ١٩٧/١٤٢ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا محمد بن عمرو بن حنبل ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرموا إن شئتم » (فن زجره عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) .

هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه (١) بدون هذه الزيادة ، وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من حديث حميد (٢) بن عمرو هذا : ورواه ابن مرفوعة من وجه آخر قال :

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيى ، أنبأنا حميد بن مسعدة ، أنبأنا عمرو بن حل ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها . قال : ثم تلا هذه الآية : (فن زجره عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) .

ولقد تم (٣) عند قوله تعالى : (ولا تخونن إلا وأنتم مسلمون) ما رواه الإمام أحمد عن وكيع ، عن الأصم ، عن زيد ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يزحرج عن النار وأن يدخل الجنة ، فليتركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » (٤) .

وقوله : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الفرور) تصغيراً لشأن الدنيا ، وتحفيزاً لأمرها ، وأنها دنية قليلة لا قيمة ، كما قال تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة غير وأبقي) . وقال تعالى : (وما أولئك ممن فنى فتاح الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله غير وأبقي) وفي الحديث : « والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يتخشب أحدكم إصبه في اليوم فليتنظرم ترجع إليه » (٥) ؟

وقال قتادة في قوله : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الفرور) هي متاع ، هي متاع ، متروكة ، أو شئت — والله الذي لا إله إلا هو — أن تصمحل من أهلها ، فخلوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله .

وقوله : (لهلون في أموالكم وأنفسكم) كقوله : (وليتلوكنكم فئى من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأفئى والشرات) إلى آخر الآيتين . أى : لابد أن يتلوا المؤمن في شئ من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله ، ويتلوا المؤمن على قدر دينه ، إن كان في دينه صلابه زيد في الهلاه (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أفئى كئبراً) ، يقول تعالى للمؤمنين عند مكثهم قبل المنيعة قبل وقعة بدر ، «سكتاً لم عما نللم من الأفئى من أهل الكتاب والمشركين ، وأسراً لم بالصبر والصفف والنفى يفرج الله — فقال : (وإن تصبروا وتمتوا فإن ذلك من عزم الأمور)

(١) البهاري : به انشاق : ١٤٤/٤ .

(٢) المستدركه : كتاب التفسير : ٢٩٩/٢ .

(٣) ينظر آية : ١٠٢ من هذه السورة .

(٤) سعد أسد : ١٩١/٢ .

(٥) سنن ابن ماجة : كتاب الزهد ، الحديث رقم ٤١٠٨ : ١٣٧٦/٢ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو إيمان ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة ، عن الزهري ، أن عمر بن الخطاب قال : إن أسامة بن زيد أخبرني قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يطوفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى ، قال الله (ولتسمن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول في الشرف ما أمره الله به ، حتى أذن الله فيهم .

هكذا رواه مختصراً ، وقد ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية مطولاً فقال : حدثنا أبو إيمان ، أنبأنا شعيب ، عن الزهري أن عمر بن الخطاب قال : إن أسامة بن زيد أخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتأول في الشرف ما أمره الله به ، حتى أذن الله فيهم . أسامة بن زيد ورواه ، يعود مسند بن حبان في بني الحارث بن الخزرج ، قبل وفاة بدر ، قال : حتى مر بجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلوك ، وذلك قبل أن (١) يسلم عبد الله بن أبي ، فلما في المجلس اختلط من المسلمين والمشركين ، عهدت الأولان واليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما خشيتم المجلس عهدت (٢) الدابة عتسرت عهدته بن أبي أنه يرداه وقال : لا تغفروا علينا : فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وقف ، فترك لأصحابه إلى ما قاله عز وجل ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبي : أيا المرء ، إنه لا أحسن مما تقول ، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا . أوجع إلى رحلك ، فمن جملك فأقصص عليه . فقال عبد الله بن رواحة : بلى يا رسول الله ، فأخشيت به في مجالسنا فلما لحقت ذلك فاستبى المسلمون والمشركون واليهود حتى كانوا يتكلمون ، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يفتشهم حتى سكنوا ، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته ، فأسر حتى دخل على سعد بن حبان ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حبيب - يريد عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا . فقال سعد : يا رسول الله ، اصف عنه واصفح فوالله الذي أتوك عليك الكتاب لقد جاءه الله بالحق الذي أتوك عليك ، وقد اصطلح أهل هذه البهيمية (٣) على أن يتوجوه ويخصبوه بالمصابة ، فلما أبلغ الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شريكاً ، فذلك الذي فعل به ما رأيت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه يهفون عن المشركين وأهل الكتاب ، كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى ، قال الله تعالى : (ولتسمن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) : الآية ، وقال تعالى : (وكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) : الآية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأول في الشرف ما أمره الله به ، حتى أذن الله فيهم ، فلما خزا رسول الله صلى الله عليه وسلم يداً ، فقتل الله [أي] صناديد كفار قريش ، قال عبد الله بن أبي : أين سكوت ومن معه من المشركين وعهد الأولان : هذا أمر قد توجته ، فما يتأول الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام وأسلموا (٤) .

(١) فكية : أي كساء خيل منسوب إلى كساء - ينضح الماء والثلج - وهي بالغة مشهورة على مرتعين من المدينة .

(٢) أي : قيل أن يظهر الإسلام .

(٣) المصابة : القيل الذي كثيره الكفاية . وخرطى .

(٤) البهيمية : بجملة التفسير : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في رواية مكبراً . والعمري تسمى المدة .

والقرى البطار .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، ٥٠/٦ .

قصص الصبيان والصبايا

- والدكتور محمد يوسف حسن
لحن كل قصة ٢ قروش
- صديقي الحقيقي
شجرة الريحان
ميد التوابه يوسف
- ابو زيد الهلالي
مغامرات لطيف
رحلة ذئب
الهدايا المسحورة
الكلب والحصان
الأمير الصنوبر
الفتاحات القردة
- ابراهيم شعراوى
- السلام التردد
الاطفال الضعفة
لطب وأرباب
الصبيان النظم
الفيلم للتصوير
مغامرات فتاتون
الرفاق الأربعة
الأمير والمغامر
الحيول الطائرة

من الدين آل ياسين

سليم حكيم

مراجعة : عيسى سليمان

مكتبات الشعب

- الجود الأول ٢٥ قرضا
- مقدمة ابن خلدون
للويز محمد الرحمن بن خلدون
٧ كتب - ١٠ قروش للكتاب
حديث موسى بن هشام
للاستاذ محمد المولى
- ٢ كتب - ١٠ قروش للكتاب
نفس الأحلام
للدكتور عبد المصطفى بندر والأستاذ
احمد المصطفى
- كفيلة ودفعة
للشاعر الفيلسوف بيديا
١٠ قروش
- ٢٠ كتابا - ١٠ قروش
للاستاذ رشدي صالح
روحات الفنان بيكار
- ٢٠ قروش للكتاب
فن تربية الطفل
مفردون لايبر ، وجون اليرسون
- ٢٠ قروش
فن الطهي
للسيد بسيمة زكي ابراهيم
- ٢٥ قروش
فن التفصيل والحياكة
للسيدة بشينة الكركاوي
- اشغال الصوف « التريكو » ١٠ قروش
للسيدة بشينة الكركاوي
- قصة السموات والأرض ١٠ قروش
للدكتور محمد جمال الدين الفندي

- القرآن الكريم
تفسير ابن كثير ٩٠ قروش للكتاب
للمصنف الفخر
- ٧ كتب - ١٠ قروش للكتاب
نفس القرطبي
- لايبي ميد الله محمد بن احمد
الاسمى القرطبي
- ٨٠ كتابا - ١٠ قروش للكتاب
نفس الجليلي
- للمؤمنين بطلان الدين محمد بن
احمد المولى وجبال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السويدي
- ٦ كتب - ٥٠ قروش
نفس جزء ٥
- ١٥ قروش
للمعلم الشيخ محمد ميمده
- نفس جزء ثمانية
للاستاذ الشيخ عبد القادر العزري
- صحيح البخاري
- جميع ابي عبد الله محمد بن
اسماعيل البخاري
- ٢٢ كتابا - ١٠ قروش للكتاب
الام ٥٠ كتابا - ٢٠ قروش للكتاب
- للمعلم ابي عبد الله محمد بن
ادريس الشافعي
- الفتاوى على المذهب الاربعة

- قديم الشيخ عبد الوهاب خلاف
- ٤ كتب - ٨٠ قروش للكتاب
الوطا ٧ كتب - ١٠ قروش للكتاب
- جميع ما له من آراء
للمعلم المفسر لآلاف القرآن الكريم
وشرح الاستاذ محمد قزاق
- ميد الباني
- ١٠ كتب - ٥٠ قروش للكتاب
١٠ قروش
- محمد تيمم البز
- لايبي هشام
- نوح البلاطة
- لبيدنا على كرم الله وجهه . شرح
الامام الفخر محمد ميمده
- ٦ كتب - ١٠ قروش للكتاب
دائرة تصارف الاسماوية
- احمد ابراهيم زكي
نور محمد واحمد المصطفى
والدكتور عبد الحميد بونس
- سمر البند ٢٠ قروش
- احياء علوم الدين
للمعلم ابي حامد النوراني
- ١٦ جزءا - ٢٠ قروش للجزء
السند القافية في معرفة الصحابة
- لحن الدين بن الاثير
- سمر البند ١٠ قروش
- نور ١٩١٩
- للاستاذ عبد الرحمن الراس
- ٤ كتب - ١٠ قروش للكتاب
في اقطاب ثورة ١٩١٩
- للاستاذ محمد الرحمن الراس

مجلات مكتبات الشعب

- للمصنف الفخر
- تجليد عادي ٨٠ قرضا
- تجليد آنيق ١٠٠ قروش
- تجليد فاخر ٢٠٠ قروش
- احياء علوم الدين
- تجليد آنيق ٤ مجلدات ٥٠٠ قروش
- علم جنبي
- تجليد فاخر ٤ مجلدات ٢٠٠ ١١
- السند القافية في معرفة الصحابة
- الجلد الأول ٦ اعداد
- تجليد آنيق ٩٠ قرضا
- تجليد فاخر ١٦٠ قرضا
- الف ليلة وليلة
- تجليد آنيق ٢ مجلد ٢٥٠ قرضا
- تجليد فاخر ٢ مجلد ٦٠٠ قروش
- لك يا سيدي
- مجلد يقدم :
- اشغال الصوف والتريكو
- فن التفصيل والحياكة
- فن تربية الطفل
- تجليد آنيق ١٠٠ قروش
- تجليد فاخر ٢٧٥ قرضا

- نفس القرطبي
- تجليد آنيق ٨ مجلدات
- ٥٠ جنيها و ٤٠ قرضا
- تجليد فاخر ٨ مجلدات ٢٤ جنيها
- نفس الجليلي
- مجلد آنيق ٩٠ قرضا
- مجلد فاخر ١٦٠ قرضا
- صحيح البخاري
- تجليد آنيق ٢ مجلدات ٣٠٠ قروش
- تجليد عادي ٤ مجلدات ٢٢٠ قرضا
- الفتاوى على المذهب الاربعة
- تجليد آنيق ٧٠ قرضا
- تجليد فاخر ٢٤٠ قرضا
- الوطا
- تجليد آنيق ١٠٠ قروش
- تجليد فاخر ٢٧٠ قرضا
- للمعلم المفسر لآلاف القرآن الكريم
- تجليد آنيق ١٢٥ قرضا
- تجليد فاخر ٢٠٠ قروش
- نوح البلاطة
- تجليد آنيق ٩٠ قرضا
- تجليد فاخر ١٦٠ قرضا
- دائرة تصارف الاسماوية
- تجليد آنيق كل مجلد ٨ اعداد
- ١١٥ قرضا

فكان من قام بحق ، أو لم يعرفه ، أو نبى من منكر ، فلا بد أن يؤذى ، فإنه دواء إلا الصبر لله ، والاستعانة بالله ، والرجوع إلى الله ، عز وجل

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُغِضَ قُلُوبُهُمْ ۖ فَسَأَلْنَا الَّذِينَ يُبَيِّنُونَهُ عَنْهُ وَنُبَيِّنُ لَهُمُ الَّذِينَ يُضِلُّونَ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُنْفِقُونَ كَثِيرًا وَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ وَيَحْمِلُونَهُ فِي إِنْجَارِهِمْ ذَٰلِكُمْ فَجَاءَهُم بِغَتَابٍ مِّنْ عَمَلِهِمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَنْزَلَ فِيهِمُ الْفُرْقَانَ ۚ وَلَٰكِن كَثُرَتْ أَفْوَاجُ النَّاسِ ۚ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۚ

هذا توبيخ من الله وتوبيخ لأهل الكتاب ، الذين أخذ عليهم العهد على الأمة الأكياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن ينهوا بذكره في الناس ليكونوا على أحسنه من أمره ، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكتموا ذلك وصرفوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالنون الطفيف ، والحظ الدقيق السخيف ، فبغضت الصفقة صلتهم ، وبغضت الية بينهم .

وفي هذا تحذير ، العلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم ، فعل العلماء أن يدلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا ما شئت ، قد ورد في الحديث السري من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجم من نار » (١) .

وقوله تعالى : (لأحسن الذين يفرحون بما آتوا ويحزون أن يحمدوا عالم يفعلوا) الآية ، يعني بذلك المرائع المتكبرين بما لم يفعلوا ، كما جاء في الصحيحين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ادعى دعوى كاذبة ليكثر بها لم يزد الله إلا غلا (٢) . وفي الصحيح : « المتشجع بما لم يفعل كلابس ثوبي زور » (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني ابن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره : أن مروان قال : أذهب يارافع - ليؤايبه - إلى ابن عباس رضي الله عنه قل : فإن كان كل امرئ مثا فرح بما آتى ، وأحب أن يحمد بما [لم] يفعل - مكدًا ، لتعطين أجمعون ؟ فقال ابن عباس : وما لكم واهل ؟ إنما تولت هذه في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتموه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبغض قلوبهم) (لأحسن الذين يفرحون بما آتوا ويحزون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) الآية . وقال ابن عباس : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء ، فكتموه وأخبروه بغيره فضر جوا قد أرواه أن [قد] أخبروه بما سألتهم عنه ، واستصعدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما آتوا من كتابهم ما سألهم عنه (٤) .

(١) ابن ماجه ، للشيخ ، الحديث رقم ٢٦٦ ، من ٩٨ ، رسته أسد عن أبي هريرة : ٢٩٦/٢ ، ٤٩٩ .

(٢) مسلم ، كتاب الإيمان : ٧٢/١ .

(٣) البخاري ، كتاب النكاح : ٤٤/٢ ، ٤٥ . ومسلم ، كتاب النكاح : ١٦٨ ، ١٦٩ ، وثلاثة الأخرى ، كتاب

الفرج : ١٨٢/٦ ، رسته أسد عن عائشة : ١٦٧/٦ .

(٤) السنن : ٢٩٨/١ .

وقوله : (فلا تحسبنهم خفافاً من الطلب) يقرأ بالفتح (١) على غلبة المقرد ، وبالياء على الإخبار عنهم ، أي : لا تحسبون أنهم ناعون من الطلب ، بل لابد لهم منه . ولهذا قال : (ولهم عذاب أليم) .

ثم قال : (وقد ملك السموات والأرض ، ولقد على كل شيء قدير) ، أي : هو مالك كل شيء ، والقادر على كل شيء فلا يحجزه شيء ، فهاجروه ولا تخافوه ، واحملوا نعمته وشعبه ، فإنه العظيم الذي لا أحسن منه ، القدير الذي لا أنكره .

إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ الْإِنسَانِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الْفِرْتِ بِذِكْرِ اللَّهِ
فِيمَا وُعِدُوا عَلَىٰ أَجْوَدِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِعِلْمٍ سَبَّحَكَ
قَبْلَنَا عِلَابَ الْآثَارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن يَدْعُلُ الْتَارَ قَدْ أَتَعْتَهُمْ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَصْلٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ سَمِعْتَ
مُنَادِيًا بِأَنَادِي الْإِنشَاءِ أَن هَٰؤُلَاءِ رِبِّكَ فَخَلَسُوا رَبَّنَا فَاعْرِضْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٩٣﴾
رَبَّنَا وَهَاتِنَا وَأَهْلَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تَجْعَلْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَخَلِيفَ الْيَمِينِ ﴿١٩٤﴾

قال الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحاق السعري ، حدثنا يحيى الحماني ، حدثنا يعقوب القسي ، عن جعفر بن أبي
 المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : بم جعلكم موسى ؟ قالوا : حصاه
 ويده يشاهدنا ثلثين . وأما النصارى فقالوا : كيف كان موسى ؟ قالوا كان يجرى الأكمة والأبرص ويبيء الموت .
 قالوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا خيرا . فدعا ربه ، فزلزل هذه الآية : (إنا خلق
 السموات والأرض والمخلوقات قبل وأنت لا تدري الأكتاب) ، فليذكروا فيها .

وهذا مستحيل ، فإن هذه الآية ملهية . وسواءم أن يكون الصفا ذهباً كان بحكمة ، والله أعلم .
ومعنى الآية أنه يقول تعالى : (إن في خلق السموات والأرض) أى : حله في ارتقاها واتساعها ، وحله في
انقضاها وكثافتها وانضاضها . وما فيها من الآيات للمشاهدة السقيمة من كواكب سيارات ، وقوابل وبحار ، وجبال
وقفار وأشجار ونبات وزروع وغار ، وحيوان ومعادن ومنافع ، غنقة الألوان والعلوم والروائع والخراس (وانطلاقات
الابل والهار) ، أى : ، ساطعها وتكثورها الطول والقصير ، فطرة بطولها وقصرها ، ثم يبتذلان ، ثم يبطأ
حدا من حدا فطول الذي كان قصيرا ، وقصر الذي كان طويلا ، وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم ، ولهذا قال : (لآيات
لأولى الآباب) ، أى : القول للامة الذكية التي تلوك الأحياء بمقاييسها على جليتها ، وليسوا كالكلم الذين لا يبتذلون
للذين قال الله فيهم : (وكانين من آية في السموات والأرض يَسْرَوْنَ عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن أكثرهم بالله
إلا وهم مشركون) .

(١) في البحر المحيط ١٣٧/٣ : وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا تحسبن) و (يحسبن) بالياء فيما : ووقع ياء يحسبن . . .
 وقرأ حذرة والكناني وحاصم : (لا تحسبن) و (لا يحسبن) بفتح الحاء فيما : عطافا الرسول . . .

ثم وصف تعالى أولي الألباب فقال : (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) كما ثبت في صحيح البخاري عن صخر بن حبيب رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قام ، لم تستطع فسادا ، فإن لم تستطع فعل جنة » (١) أي [لا] يطمون ذكروه في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم (ويذكرون في خلق السموات والأرض) ، أي : يفهمون ما فيهما مع الحكيم الدالة على عظمة الخالق وقدرته ، وعلمه وحكمته ، واحترامه ورحمته .

وقال الشيخ أبو سليمان النراقي : (٢) إنه لا يخرج من ملاقى ، لما يقع بصري على شيء إلا رأيت الله حكيم فيه لعمري ، بولي فيه حبرة : رواء أبي أبي الدنيا في كتابه « التوكل والاحتياط » .

ومن المسج البصري أنه قال : تذكر سبعة خيرة من قيام ليلة : وقال القشيري : قال الحسن : الفكرة مرة لك ربك حسنة لك وسبيلك ، وقال سليمان بن عيسى : الفكرة نور يدخل قلبك . وربما نخل جلا البيت : إذا المرء كانت له ففكرته . « على كل شيء له حبرة » وعن عيسى عليه السلام أنه قال : طوبى لمن كان قلبه تذكر ، وصمته تفكرا ، ونظره عبرا .

وقال لقمان الحكيم : إن طوبى الوحدة ألهم الفكرة ، وطوبى الفكرة دليل على ملوث [باب] الجنة ،

وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم ، وما فهم امرؤ قط إلا عمل ، وقال عمر بن عبد العزيز : الكلام يذكر الله ، عز وجل ، حسن ، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة .

وقال ميثم الأسود : زوروا القبور كل يوم تفكرتم ، وشاهدوا الموقف بقلوبكم ، وانظروا إلى المنصرف بالفريق إلى الجنة أو النار ، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامتها وأطياقتها ، وكان يبكي عند ذلك حتى يرتفع صريحا من بين أصحابه ، لك ذهب عقله .

وقال عبد الله بن المبارك : مر رجل برأهب عند مقبرة ومزلة ، فتداه فقال : بأرأهب ، إن عندك كثرين مع كنوز الدنيا لك فيها معتبر ، كثر الرجال وكثر الأموال .

وعن ابن عمر : أنه كان إذا أراد أن يتماهد قلبه ، يأتي الخربة فيقف على بابها ، فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : (كل شيء هالك إلا وجهه) .

وعن ابن عباس أنه قال : ركعتان مقتصدتان في تفكير ، خير من قيام ليلة والقلب ساه ،

وقال الحسن : يا ابن آدم ، كل في ثلث بطنك . واشرب في ثلثه . ودع ثلثه الآخر تنفخ الفكرة ؛

(١) البخاري ، كتاب الصلاة : ٦٠٢/٢ .

وليس هذا الحديث تفسيراً لذلك ، لأن الصلاة خمس مرة ، وهو أهم منها ، وإنما هو إشارة إلى نوع منه .

(٢) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن حلية الداراني النسي ، من داريا - قرية من نرى الشام - أحد الأبدال ، وكان مدح الظهير زهدا وسلاسا ، وله كلام فني في التصوف والفقه . مات وحيه الله سنة ٢٠٥ . (القير : ٣٤٧/١) وتفسير طبعات الصوفية للناسي : ٢٠) .

وقال بعض الحكماء : من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الفسقة ،
وقال بشر بن الحارث الخافي (١) : لو تفكر الناس في حكمة الله تعالى لما عصوه .

وقال الحسن ، عن حامر بن عبد قيس قال : سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون : إن ضياء الإيمان ، أو نور الإيمان ، الضكر .

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : يابن آدم الضمير ، اتق الله حيث ما كنت ، وكن في الدنيا ضيفا ، والمثل المساجد بيتا ، وعلم عينك البكاء ، وجسدك الصبر ، وقلبك الفكر ، ولا تتم برزق خد .

وعن أمير المؤمنين حمزة بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه بكى يوما بين أصحابه ، فسئل عن ذلك ، قال : ذكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها ، فاهترت منها بما ناكاد شهواتها تنكصني حتى تكاد مراوئها ، ولكن لم يكن فيها حيلة لمن اعتبر إذ فيها مواضع لمن أذكر .

وقال ابن أبي الدنيا : أشد الحسنين بن عبد الرحمن !

نَزَّهَهُ لِلْمُؤْمِنِ الْفَيْتُ	لَكَ الْوُفَى الْعَيْتُ
نَحْنُ كُلٌّ عَلَى غَيْرِ	نَحْنُ كُلٌّ عَلَى غَيْرِ
وَبِئْسَ لِيَ وَغَيْرِهِ	لَهُ تَقْصِي وَمَا فَتَرِ
وَبِئْسَ عَيْشٌ لَكَ كَانَ لِي	قِي لَمْ يَكُنْ مَوْلَى الْفَتَرِ
قِي غَيْرِي مِنَ الْعَيْ	قِي وَظَلِي مِنَ الشَّجَرِ
وَسُرُورِي مِنَ النَّبَا	تِي وَطَيْبِي مِنَ الْخَمَرِ
هَيْبَتِي وَأَهْلَتِي	سِرْمَتِي وَالْخَمَرُ بِالْفَتَرِ
نَحْمَدُ اللَّهَ وَحْدَهُ	إِنِّي فِي ذَا لَمَجَرِ
إِنِّي فِي ذَا لَمَجَرِ	لِلْبَيْبِ إِذَا اعْتَبَرِ

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بخلقاته الفلكة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته ، فقال : (وَكَابُنْ مِنْ آيَةِ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ . وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وبلغ جهالة المؤمنين
(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قائلين : (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا
بَاطِلًا) ، أي : ما خلقت هذا لخلق حقيق ، بل بخلق كجزي اللين أساموا بما حملوا ، ويجزي اللين أحسنوا بالحسنى .
ثم تروه من البعث وخلق الباطل فقالوا : (سبحانك) ، أي : عن أن تخلق شيئا باطلا (فتننا حباب النار) . أي :
يا من خلقت النار وخلق الباطل والعدل ، يا من هو منزَّه عن النقائص والعيوب والبعث ، فتننا من حباب النار عوذك وقوتك
وكيف سنأعمال ترضى بها عنا ، ووقتنا لعمل صالح تهبتنا به إلى جنات النعيم ، ويجبرنا به من عذابك الأليم :

(١) هو أبو نصر بشر بن الحارث المروزي القزويني المروفي بشر الحافي ، سمع من حاد بن زيد وإبراهيم بن سه وطهيتما .
وحي بالعلم ، وقد صفت العلامة في مناقب بشر وكراماته ومائت خمسين سنة ، وتوفي يومئذ سنة ٢٢٧ (هـ) ٢٩٧ ،
وتفسير طبقات الصوفية السلي : ٢١٢ .

ثم قالوا : (ربنا إنك من تدخل النار فقد أضررت) ، أي : أمتته وأظهرت عزبه لأهل الجمع (وما الظالمين من أنصار) ، أي : يوم القيامة لا يجير لهم ملك ولا عهد لهم مما أوردت بهم : (ربنا إننا سمعنا متنادياً يتنادى للإيمان) ، أي : حامداً يدعو إلى الإيمان ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (أن آمنوا بربكم فآمنوا) ، أي يقول : (آمنوا بربكم فآمنوا) أي : فاستجبنا له واثبتناه (ربنا فاضرب لنا خنوبنا) أي : يافعائنا واثباتنا نيك فاضرب لنا خنوبنا ، أي : استرحها (وكفر منا سيئاتنا) ، أي : فيها بيننا وبينك (وتوكلنا مع الأبرار) ، أي : ألحقنا بال صالحين (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك) قيل : معناه : على الإيمان برسلك ، وقيل : معناه : على السنة رسلك . وهذا أظهر .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليان ، حدثنا إسحاق بن عتيق ، عن عمرو بن محمد ، عن أبي حنبل ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صِلَانُ أَحَدِ الْعُرُوسَيْنِ ، يَمُوتُ اللَّهُ مِنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ لَهُمْ » ، ويحدث منها خمسين ألفاً شهادة وفُؤاداً إلى الله ، وبها صفوف الشهداء ، رموسهم مقطعة أو أيديهم ، نخرج (١) أولاهم بما يقولون : (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) فيقول : صدق عيسى ، اخبرهم بنهر اليضة ، فيخرجون متفرقاً أيضاً ، فيسرحون في الجنة حيث شاؤوا (٢)

وهذا الحديث يُعَدُّ من غرائب المستد ، ومنهم من يجعله موضوعاً ، والله أعلم .

(ولا نُخزُّنا يوم القيامة) ، أي : على رسول الملائق (إنك لا تخلف الميعاد) ، أي : لا بد من الميعاد الذي أُعبرت عنه رُسُلُكَ ، وهو القيام يوم القيامة بين يديك :

وقد قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحارث بن سريج (٣) حدثنا المحمدر ، حدثنا الفضل بن عيسى ، حدثنا محمد بن المنكدر ، أن جابر بن عبد الله حدثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « النار والخبزينة تبلغ من ابن آدم في القيامة في اللقائم بين يدي الله ، عز وجل ، ما يحصى العبد أن يؤمر به إلى النار » . حديث غريب .

وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجد ، فقال البخاري ، رحمه الله :

حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن كريب [عن] ابن عباس قال : كنت عند خالي ميمونة ، فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم [مع أهله] ساعة ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر قعدت فنظر إلى السماء فقال : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) : ثم قام فوضأ واستن . فصل إحدى عشرة ركعة ، ثم أذن بـلال فصل ركعتين ، ثم خرج فصل بالناس الصبح (٤)

(١) تلخ : تسيل .

(٢) منه أحده : ٢٢٥/٣ .

(٣) ينظر الجرح والتمثيل : ١/٢٦٦ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب تفسير : ١/٢٦٦ ، وأيضاً : استعمل السواك .

وكلا رواه مسلم (١) عن أبي بكر بن إسحاق الصنعاني ، عن ابن أبي مريم - به - ثم رواه البخاري (٢) من طريق
عن مالك ، عن مخزومة بن سليمان ، عن كريب ، عن ابن عباس أنه بات عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي
خطاته ، قال : فاضطجعت في حُرَّض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمله في طُولها ، فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتصف الليل - أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل - استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من منامه ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده . ثم قرأ المشرَّ الآيات المتواترة من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شَن (٣)
معلقة فوقها منها فأسنَّ وخُصَّوه ، ثم قام يصلي - قال ابن عباس : فتمت فصنعت مثل ما صنع ، ثم ذَهَبْتُ فَمَسَّه
إلى جنبه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدَهُ اليمنى على رأسه ، وأخذ بأُذُنِ اليمنى يَمْتَسِكُهَا ، (٤) فصل
وكعبين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ،
فقام فصل ركعتين خفيفتين ، ثم خَرَجَ فصل الصبح .

وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طريق عن مالك - به - . ورواه مسلم (٥) أيضا وأبو داود من وجوه أخرى ، عن
هزيمة بن سليمان - به - .

طريق أخرى لهذا الحديث عن ابن عباس :

قال أبو بكر بن مَرْذُويه : حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن علي ، أخبرنا أبو يحيى بن أبي مسرة أنبأنا ، عن خالد بن
يحيى ، أنبأنا يونس بن أبي إسحاق ، عن المنهال بن عمرو ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن عبد الله بن عباس قال :
أمرني العباس أن أبيت بال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأستظ حلاله . قال : فصل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتاس صلاة المشاء الآخرة ، حتى إذا لم يبق لي للسجد أحد غيره قام فَرَّي ، فقال : من هنا ؟ عبد الله ؟ قلت : نعم .
قال : فَسَّه ؟ قلت : أمرني العباس أن أبيت بكم الليلة . قال : فالتق الحق . فلما أن دخل قال : افرشني عبد الله ؟ فأتاني
بوسادة من مسوح ، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها حتى سَمِعْتُ خُطْبَةً ، ثم استوى على فراشه فاعلدا ،
قال : فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الْمَاءِ فَقَالَ : سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ . ثلاث مرات ، ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران
حتى ختمها .

وقد روى مسلم (٦) وأبو داود والنسائي ، من حديث علي بن عبد الله بن عباس حديثي ذلك أيضا :

طريق أخرى رواها ابن مَرْذُويه ، من حديث حاصم بن حذيفة ، عن بعض أصحابه ، عن سعيد بن جبْرِ ، عن ابن
عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة بعد ما مضى ليل ، فنظر إلى السماء ، وتلا هذه الآية : (إن في خلقك

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة : ١٨٢/٢ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير : ٥١/٦ ، ٥٢ .

(٣) الشن : القربة ، بكسر السين .

(٤) يفتظها : يذللها ، ليلته من بقية النوم ، وفي رواية أخرى : « فبسلت إذا أنابه يأخذ بضمة لفظ » .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة : ١٧٩/٢ ، ١٨٠ .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة : ١٨٠/٢ .

السّموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات الأولى الأَكْبَابِ) إلى آخر السّورة ، ثم قال : . اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، ومن عيني نوراً ، ومن شألي نوراً ، ومن بين يدي نوراً ، ومن خلفي نوراً ، ومن فوق نوراً ، ومن تحتي نوراً ، وأعظم لي نوراً يوم القيامة .

وهذا الدعاء (١) ثابت في بعض طرق المصحح ، من رواية كُثْرِب ، عن ابن عباس رضي الله عنه :

لم يروى ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد ابن جببر ، عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : هم جاءكم موسى من الآيات ؟ قالوا : عصاه وبده البيضاء لتناظرين . وأتوا النصراني فقالوا : كيف كان عيسى فيكم ؟ قالوا : كان يُبْرِئُ الأَكْمَةَ والأَبْرَصَ ويحيي الموتى . فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً . فدعا به ، عز وجل ، فترلت : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات الأولى الأَكْبَابِ) . قال : فليذكروا فيها .

لفظ ابن مردويه . وقد تقدم سياق الطبراني لهذا الحديث في أول الآية ، وهذا يقتضي أن تكون هذه الآيات مكتوبة ، والمشهور أنها مدنية ، وحليته الحديث الآخر ، قال ابن مَرْدُويه :

حدثنا إسماعيل بن حل بن إسماعيل ، أخبرنا أحمد بن علي الخزازي ، حدثنا شجاع بن أفرس ، حدثنا حشّش بن لُبَاب الواسطي أبو محرم ، عن الكلبي - هو أبو جَنَاق - عن عطاء قال : انطلقت أنا وابن عمر وعُبيد بن صُفَيْرٍ إلى حاتمة رضي الله عنها ، فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب ، فقالت : يا عبيد ، ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال : قوله الشاعر :
رَوْحُهَا لَوْدٌ حَبِيبٌ .

فقال ابن عمر : ذريتنا ، أخبرتنا بأصعب شيء رأيناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبكت وقالت : كل أمره كان حبياً ، أتاني في ليلي حتى مسح جلده جلدي ، ثم قال : ذريني أتعبد لربي . قالت فقلت : والله إنّي لأحب قُربَكَ ، وإنّي أحب أن تعبدَ لربك . فقام إلى القربة فوضأ ولم يكثر صب لباء ، ثم قام يصلي ، فبكي حتى بَلَ لبابه ، ثم سجد فبكي حتى بَلَ الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكي ، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح قالت : فقال : يا رسول الله ، ما يبكيك ؟ وقد خسر الله لك ذنوبك ما تقدم وما تأخر . فقال : وبك يا بلال ، وما ينبغي أن أبكي وقد أنزل عليّ في هذه الليلة : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات الأولى الأَكْبَابِ) . ثم قال : ويل لمن فرأها ولم يفكر فيها .

ولقد رواه عُبَيْد بن حُمَيْد ، عن جعفر بن عون ، عن أبي جناب الكلبي عن عطاء ، بأطول من هذا وأتم سياقاً .

وهكذا رواه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه ، عن همران بن موسى ، عن عثمان بن أبي شيبة ، عن يحيى بن زكريا ، عن إبراهيم بن سويد التميمي ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء قال : دخلت أنا وعُبيد بن عمر على حاتمة - فذكر نحوه .

وهكذا رواه عبد الله بن محمد بن أبي البلياء في كتابه «الفكر والاحتيار» مع شعاع بن أشرس - هـ - ثم قال : حدثني الحسن بن عبد العزيز : سمعت سفيانا يذكر عن سفيان - هو الثوري - رفته قال : من قرأ آخر آل عمران لم يفكر فيها ويكف : يند بأصابه شعرا . قال الحسن بن عبد العزيز : فأنعبرني عبيد بن السائب قال : قيل للأوزاعي : ما غاية الفخر فيهن ؟ قال : يقرؤن وهو يظلهن .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثني قاسم بن هاشم ، حدثنا علي بن عبيد الله ، حدثنا عبد الرحمن بن سليمان قال : سألت الأوزاعي عن أنثى ما يمتثلن به للمسلم من الفخر فيهن وما ينجهن من هذا الويل ؟ فأمرني متنبه ثم قال : يقرؤن وهو يمتثلهن .

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَكُمْ لَمِثْلِ مَنكُم مِّن ذَكَرُوا أَنِّي بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُونَ
وَأَخْرَجُوا مَن دَبَّرَهُمْ وَأَوْفُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتُلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دِخْلُكُمْ جَنَّتْ خَبَرِي
مِن تَحْتِهَا إِلَّا تَنُورُوا بَأْيًا مِّن عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴿١٥﴾

يقول تعالى : (فاستجاب لهم ربهم) ، أي : فاجابهم ربهم ، كما قال الشاعر :
وداع دعا يا من يجيب إلى الندى • فلم يستجبه عند ذلك سجيبة (١)

قال سعيد بن منصور : [حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن سلمة ، رجل من آل أم سلمة ، قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله لا تسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ؟ فأقول الله : (فاستجاب لهم ربهم أن لا أضيع عمل حامل منكم من ذكر أو أنثى) إلى آخر الآية . وقالت الأنصار : هي أول ظمينة قُتِلت علينا ،

وقد رواه الحاكم في مستدرکه من حديث سفيان بن عيينة . ثم قال : صحيح عن شرط البخاري ، ولم يخرجاه (٢)
وقد روى ابن أبي نجيب ، عن حماد ، عن أم سلمة قالت : آخر آية أنزلت (٣) هذه الآية : (فاستجاب لهم ربهم أن لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعثكم من بعض) إلى آخرها . رواه ابن مردويه .

ومعنى الآية أن المؤمنين ذوى الألباب لا سألوا - بما تقدم ذكره - فاستجاب لهم ربهم - حسب ذلك بقاء العقاب ، كما قال تعالى : (وإذا سألك عبادي حنيئاً فلا تقرب ، أجيء دعوة الناس إذا دعاء) فليستجروا لي ولينسوا لي لهم يردون .

(١) الحديث في أمال التتال : ١٤٧ / ١ . وقسير الطبري : ٣٢٠ / ١ ، ٤٨٨ / ٧ .

(٢) المستدرک : ٣٠٠ / ٢ ، وينظر كذلك : ٤١٦ / ٢ .

(٣) لهذا حديث بقوله « آخر آية أنزلت » أي في شأن الهجرة ، وإلا فإن آخر آية لازولا هي قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم أو) (إذا جاء نصر الله والفتح) كل خلاف في ذلك بين المسلمين ، والله أعلم .

وقوله : (أَلَيْسَ هَلْ هَامِلٌ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى) هذا نصير للإجابة ، أَيْ قَالَ لَهُمْ مُجِيبًا لَهُمْ : أَنَّهُ لَا يَضِيعُ هَلْ هَامِلٌ لَدَيْهِ ، بَلْ يَرِيقُ كُلُّ هَامِلٍ بِقِسْطِ حِمْلِهِ ، مِنْ ذِكْرِ أَوْ أَتَى .

وقوله : (يَضِيعُكَ مِنْ بَطْنِي) ، أَيْ : جَمِيعُكَ فِي ثَوَابِي سَوَاءَهُ (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا) أَيْ : تَرَكُوا دَارَ الشَّرْكِ وَأَتَوْا إِلَى دَارِ الْإِيمَانِ وَفَارَقُوا الْأَصْغَابَ وَالْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ وَالْجِيرَانَ ، (وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ) أَيْ : خُلِقُوا لِلْمُفْرَكُونَ بِالْأَذَى حَتَّى أُلْحِقَهُمُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ ، وَهَذَا قَالَ : (أَوْذُوا فِي سَبِيلِ) أَيْ : إِنَّمَا كَانَ ذَنْبُهُمْ إِلَى النَّاسِ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (يُخْرِجُونَ الرِّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) ، وَقَالَ تَعَالَى : (وَمَا تَنصَرُّوا عَنْهُ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْحَرِيرِ الْحَمِيدِ) .

وقوله : (وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا) وَهَذَا أَصْلُ الْقَامَاتِ أَنْ يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيُشْفَرُ جَسَدُهُ ، وَيُفْتَرَّ وَجْهُهُ بِدَمِهِ وَتَرَاهُ ، وَلَدَ لَيْتَ فِي الصَّوْحِ أَنْ رَجُلًا قَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَاحِرًا عَصْبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ ، أَيْكُفَرُ اللَّهُ حَتَّى عَطَايَ ؟ » قَالَ : « نَعَمْ ؟ » ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ قُتِلْتُ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَا قَالَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، إِلَّا الَّذِينَ ، قَالَ لِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) .

وَهَذَا قَالَ تَعَالَى : (لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَبْتُهُمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَاتُ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أَيْ : تَجَرَّى فِي خِلَالِهَا الْأَنْهَارُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَشَارِبِ ، مِنْ لَبَنٍ وَحَسَلٍ وَغَيْرِ وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، بِمَا لَا عَيْنَ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

وقوله : (لَوْ بَايَ مِنْ حِنْدِ اللَّهِ) أَمَّا هُوَ إِلَيْهِ وَنَسَبَ إِلَيْهِ لَيْسَ عَلَى أَنَّهُ عَظِيمٌ ، لِأَنَّ الْعَظِيمَ الْكَرِيمَ لَا يَسْطَى إِلَّا جَزِيلًا كَثِيرًا ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنْ يُمْلِكُ يُمْكُنْ خَرَامًا وَإِنْ يُمْدُ طُ جَزِيلًا [فَإِنَّهُ] لَا يَهْلُكُ

وقوله : (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ) أَيْ : عِنْدَهُ حَسَنُ الْجَزَاءِ لِمَنْ هَلَّ صَلَاتُهُ .

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : ذَكَرَ مِنْ حَبِيبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ : حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، أَخْبَرَنِي حَزْرِيُّ بْنُ هَدَّادٍ : أَنَّ هَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ كَانَ يَقُولُ : يَا أَبَا النَّاسِ ، لَا تَهْمُوا اللَّهَ فِي قَضَائِهِ فَإِنَّهُ لَا يَبْنِي عَلَى مَوْثِقٍ ، فَإِذَا نَزَلَ بِأَحَدِكُمْ شَيْءٌ ، مَا يَنْعَبُ فَتُحْسِنُ حِدَّةُ اللَّهِ ، وَإِذَا أُنْزِلَ بِهِ شَيْءٌ ، مَا يَكْفُرُ فَتُخَفِّرُ وَلِيَحْسَبَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ .

لَا يُفَرِّقُكَ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَلَدِ (١) مَتَّعَ قَلِيلًا ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَرِثَسَ الْإِمَّهَادُ (٢) لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ لَمْ يَفَرِّقْ جَنَّتُ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ عَالِيَيْنَ يَبَا زَلَا مِنْ حِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَلْآبِرَاءِ (٣)

يَقُولُ تَعَالَى : [مَا] حَوْلَهُ الْكَفَّارُ مُتَّفِرُونَ فِيهِ ، مِنَ النِّعَةِ وَالنِّعَةِ وَالسُّرُورِ ، فَهَذَا قَلِيلٌ يَزُولُ هَذَا كُلُّهُ عَنْهُمْ ، وَيَصْبَحُونَ مَرْتَدِّينَ بِأَعْلَامِهِمُ السَّيِّئَةِ ، فَإِنَّمَا تَمَدُّ لَهُمْ فِيهَا هُمْ فِيهِ اسْتَدْرَجًا ، وَجَمِيعٌ مَا هُمْ فِيهِ (مَتَّعَ قَلِيلًا) ، ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ ، وَرِثَسَ الْإِمَّهَادُ .

الله يقول : (وما عند الله عبر للذين كفروا) ، ويقول : (ولا يحسن للذين كفروا أنما على لهم غير لأنفسهم ، إنما على لهم ليزدادوا إلما ، ولم حطب معين) .

وَلَمَّا مَنَّ أَهْلُ الْكِتَابِ عَلَى يَوْمَنُ بِاللَّهِ وَمَا أَتَوَّلَ إِلَيْكُمْ غَنِيصِينَ لِلَّهِ لَا يَسْتَرْوُونَ بِعَاقِبَتِ
اللَّهِ تَحْتًا قَلِيلًا أُولَئِكَ هُمُ أَجْرُهُمْ جَزَاءُ يَوْمَ إِنْ أَفَاقَ مَرِيْعُ الْحَسْبِ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَخْبَرُوا
وَصَابِرُوا وَرَافِعُوا وَأَتَوْهُمُ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾

يُخْبِرُ تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان ، وبما أتزل على عهد ، مع ما هم يؤمنون به من الكتب للظلمة ، وأنهم عاشقون لله ، أي : مطيعون له خاضعون متطوعين بين يديه ، (لا يشفرون بآيات الله لمنا قليلا) أي : لا يكتمون بأيمانهم من البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وذكر صفته ونسبه ومبعثه وصفة أمته ، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوهم ، سواه كانوا هودا أو نصارى . وقد قال تعالى في سورة القصص : (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آتاهم به إله الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتُونَ أجْرهم موزين بما صبروا) . الآية . وقال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) الآية . وقال : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) . وقال تعالى : (ليسوا سواه من أهل الكتاب أمة لائمة يتلون آيات الله آتاهم ليل وهم يسجدون) . وقال تعالى : (قل : آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يكرن ويزيدهم خطوا بهذه الصفات لوجود في اليهود ، ولكن قليلا ، كما وجد في عهد الله بن سلام وأمثاله من آمن من أجيال اليهود ولم يفلتوا خشيعة أنفس ، وأما النصارى فكثير منهم مهتدون ويقادون الحق ، كما قال تعالى : (لتجدن أشد الناس عدوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، وتجدن أفرجهن مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى) إلى قوله تعالى : (فأتاهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) . الآية ، وهكذا قال هاهنا : (أولئك لهم أجْرهم عند ربهم) الآية ، وقد ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه . لما قرأ سورة (كهيعص) بفسرة النجاشي ملك الحبشة ، وعنده البطركة والقساوسة بكى وبكوا معه ، حتى انفضوا لحاهم .

وليت في الصحيحين أن النجاشي لما مات نداء لثي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، وقال : « إن أمتا لكم بالحبيشة قد مات فصعدوا عليه . (١) فخرج إلى الصخرة ، فصعدتهم ، وصل عليه .

وروى ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : لما تولى النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استغفروا لأعيكم . فقال بعض الناس : يأمرنا أن نستغفر لمسيح مات بأرض الحبشة . فترت : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أتزل إليكم وما أتزل إليهم غاشمين لله) . الآية

(١) البخاري ، مناقب الأنصار : ٥ / ٦٤ ، ٦٥ . ورواه البخاري : ١٠٨ / ٧ ، ١٠٩ . ومسلم كتاب الجهاد :

ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن طريق أخرى عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ثم رواه ابن مردويه عن طريق عن حميد ، عن أنس بن مالك بنحو ما تقدم .

ورواه أيضاً ابن جرير من حديث أبي بكر الهذلي ، عن ثقاته ، عن سعيد بن المسيب ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي : « إن أُنْخِمْ أُصْحَمَةُ لَدِمْتُ مَاتَ » فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل كما يصلى على الجنائز فذكر عليه أرماء فقال للثاقفون : يصلى على حليج (١) مات بأرض الحبشة ، فأولئك الله (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) : الآية (٢) .

وقد روى الحافظ أبو عبد الله الحاكم في مستدركه أنبأ أبو الهيثم السلمي بمرور ، حدثنا عبد الله بن علي الفراء ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، حدثنا ابن المبارك [أنبأنا] مصعب بن ثابت ، عن حماد بن عبد الله بن الربيع ، عن أبيه قال : أئذ بالنجاشي عدو من أرضهم ، فجاهد المهاجرين فقالوا : لمجد أن تخروج إليهم حتى قتال ملك ، وترى جراثنا ، ونجزيك بما صممت بنا . قال : لا ، دواء بنصرة الله عز وجل خير من دواء بنصرة الناس وقال : ولقد خلت : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أتوا إليكم وما أولئك لأبيهم ضالعين) الآية . ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن عمرو الرازي ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن رومان ، عن حمزة ، عن عائشة ، رضي الله عنها قالت : لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور (٣) وقال ابن أبي شيبة ، عن حماد : (وإن من أهل الكتاب) يعني مسلمة أهل الكتاب .

وقال حماد بن منصور : سألت الحسن البصري عن قوله تعالى : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) : الآية ، قال : هم أهل الكتاب الذين [كانوا] قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، فاتبعوه وعرّفوا الإسلام ، فأعطاهم الله تعالى أجر الذين : قلبي كانوا عليه من الإيمان قبل محمد صلى الله عليه وسلم وبالله اتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم : وولما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم ،

ولقد أتت في الصحيحين ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّةً وَفَكْرَ مِنْهُمْ : وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِهِ » (٤) ،

وقوله : (لا يفترون بآيات الله ثمناً قليلاً) ، أي : لا يكتسبون ما يابئهم من العلام ، كما فعله الطائفة للرطوبة منهم ، بل يلدنون ذلك جهلاً ، ولهذا قال : (أولئك لهم أجرهم عند ربهم ، إن الله سريع الحساب) .

(١) حليج : الرجل من كفار البهم وغيرهم (التهذيب) .

(٢) ينظر تفسير البقره : ١٧٦ / ٧ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، الحديث ٢٥٢٢ : ١٦ / ٣ . وفيها : كنا نحدث .

(٤) الترمذي ، كتاب العلم ، ٣٥ / ١ ، وكتاب النكاح : ٧ / ٧ .

قال جاهد : (صرح بالنصب) يعني : صرح الإحصاء : رواه ابن أبي حاتم وغيره .

وقوله : (يأبى الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا) . قال الحسن البصري رحمه الله : أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم ، وهو الإسلام ، فلا يكفّ صوته لسراء ولا لقبراء ولا لشدة ولا لرخاء ، حتى يموتوا مسلمين ، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم . وكلما قال خبر واحد من علماء السلف

وأما المراجعة فهي المداومة في مكان العبادة والقيام . وقيل : انتظار الصلاة بعد الصلاة ، قاله ابن عباس وسئل بن حنبل ، وعبد بن كعب القرظي ، وغيرهم .

وروى ابن أبي حاتم حديثاً لم يثبت الذي رواه مسلم والشافعي ، من حديث مالك بن أنس ، عن العلاء بن عبد الرحمن ابن يقظ ، عن مولى الحرورية ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بما يجر الله به العطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره (١) ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا أبو جسيمة (٢) عن علي بن يزيد الكوفي أنها ابن أبي كريمة ، عن محمد بن يزيد ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : أقبل على أبو هريرة يوماً فقال : أنبئني يا ابن أبي نمي فم تزلت هذه الآية : (يأبى الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا) ؟ قلت : لا . قال : أما لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابطون (٣) فيه ، ولكنها تزلت في قوم يصبرون للمسجد ، يصلون الصلاة في مواقيتها ، ثم يذكرون الله فيها ، فليهم أنزلت : (أصبروا) أي : على الصلوات الخمس (وصابروا) أنفسهم وهواهم (ورابطوا) في مساجدهم (واقفوا لله) ليا حليكم (لعلكم تفلحون) .

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن منصور [ابن المبارك] (٤) عن مصعب بن ثابت ، عن خالد ابن صالح ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - بنحوه .

وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب ، حدثني ابن فضال ، عن عبد الله بن سعيد القبري ، عن جده ، عن شرحبيل عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على ما يكثر الذنوب والحطايا ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » .

(١) مسلم : كتاب الطهارة : ١ / ١٥١ ، وفيه بعد الدرجات : « قالوا : بل » يا رسول الله ، قال
والمكاره : جميع مكره ، وهو ما يكره الإنسان ويشق عليه ، والمضى : أن يفرح مع البرد الشديد والليل إلى ما يلي منها
يسأل الله ، أو مع حاجته إلى حلأ الله ، وما أشبه ذلك .

(٢) ١٣٤ .

(٣) عن المستدركه : كتاب التفسير : ٢ / ٣٠١ . ونظر خلاصة التفسير : ترجمة عبد الله بن المبارك : ١٧٩ .

وقال ابن جرير أيضا : حدثني موسى بن سهل الرمي ، حدثنا يحيى بن صالح ، حدثنا محمد بن مهاجر ، حدثني يحيى بن يزيد ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن شرحبيل ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على ما يحسن الله به الخطايا ويكثر به القلوب ؟ قلنا بلى ، يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء في أماكنها ، وكثرة المشط إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » .

وقال ابن مردويه : حدثني محمد بن علي ، أنبأنا محمد بن عبد الله بن السلام البرقي ، أنبأنا محمد بن غالب الأنطاكي أنبأنا حبان بن عبد الرحمن ، أنبأنا الرازي (١) بن نافع ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : وقف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هل لكم على ما يحسن الله به القلوب ويُنظم به الأجور ؟ قلنا : نعم ، يا رسول الله ، وما هو ؟ قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة . قال : وهو قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، فذلك هو الرباط في المساجد وهذا حديث خريف من هذا الوجه جدا .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، حدثني داود بن صالح قال : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن : يابن أنسى ، هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية (اصبروا وصابروا ورابطوا) ؟ قال قلت : لا . قال : إنه — يابن أنسى — لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يُرابط فيه ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة .

رواه ابن جرير ، وقد تقدم سياق ابن مردويه له ، وأنه من كلام أبي هريرة ، قاله أعلم .
وقيل : للراد بالرابطة حاجتا مرابطة النزو في محرم البدو ، وحفظ نفوس الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين ، وقد وردت الأخبار بالترهيب في ذلك ، وذكر كثرة الثواب فيه ، فروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي ، رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » (٢) .

حديث آخر : روى مسلم ، عن سلمان الفارسي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رباط يوم طاعة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه [عمله] الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الشيطان » (٣) ،
حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك ، عن حنيفة بن شريح ، أخبرني أبو حاتم النولاني : أن عمرو بن مالك الجبتي أخبره : أنه سمع فضالة بن عبيد يقول : سمعت رسول الله صلى الله

(١) كذا .

(٢) مسيح البخاري ، باب فضل رباط يوم في سبيل الله : ٢٧/١ .

(٣) مسيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الرباط : ٦ / ٥١٠٠ .

عليه وسلم [يقول] كل ميتة يُقْتَلُ على حمله ، إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ، فإنه يُتَجَسَّى له حمله إلى يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر . (١)

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي من حديث أبي حاتم الخولاني : وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه أيضاً .

حديث آخر : وروى الإمام أحمد أيضاً عن يحيى بن إسحاق وحسن بن موسى وأبو سعيد [قالوا] : حدثنا ابن خزيمة حدثنا مفرح بن هارون سمعت (٢) حبة بن عامر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل ميت يتم على حمله ، إلا للمرابطة في سبيل الله ، فإنه يجرى عليه حمله حتى يبعث ويأمن من القتل . (٣) ،

وروى البخاري بن محمد بن أبي أسامة في مسنده ، عن المقبري وهو عبد الله بن يزيد - به إلى قوله : حتى يبعث - دون ذكر القتل : وابن خزيمة إذا صرح بالحديث فهو حسن ، ولا يبايع ما تقدم من القواعد .

حديث آخر : قال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة في سننه : حدثنا يونس بن عبد الأهل ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أنبأني أبيث ، عن زهرة بن مَعْمَد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من مات مُرابطاً في سبيل الله ، أجرى عليه حمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه ، وأمن [من] الشَّتان ، وبه الله يوم القيامة كما من القترع (٤) .

طريق أخرى : قال الإمام أحمد : حدثنا موسى ، أنبأنا ابن خزيمة ، عن موسى بن وردان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات مرابطاً وقى فتنة القبر ، وأمن من الفزع الآخر ، وغدا عليه وريح برزقه من الجنة ، وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة » (٥) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن عمرو بن حلحلة النخعي ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أم الدرداء ترفع الحديث قالت : من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام ، أجزأت عنه رباط سنة (٦) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا كهس ، حدثنا مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الربيع قال : قال حبان رضي الله عنه وهو يخطب على منبره : إني سَأَلْتُكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) مسند أحمد : ٢٠ / ٦ ، وسنن أبي داود ، كتاب الجهاد : ٩ / ٣ ، ونقطة الأخرى : باب فضائل الجهاد : ٥ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ . ومنه : يتم على حمله ، لا يكتب له ثواب جليد ، وينسى : يزيد ، ويروي : ينسى ، بضم الهمزة وفتح الميم ، والميم : يزداد .

(٢) من مسند أحمد .

(٣) في المسند : ١٥٧ / ٤ ، حتى يبعث الله من وجيل .

(٤) سنن ابن ماجة ، كتاب الجهاد ، باب فضل الرباط في سبيل الله ، الحديث رقم ٢٢٦٧ : ٩٢٤ .

(٥) المسند : ٢ / ٤٠٤ .

(٦) المسند : ٦ / ٣٦٧ . وفي المسند مكان إسحاق بن عيسى : يحيى بن عيسى وهو خطأ . ينظر الخلاصة .

لم يكن بمعنى أن أحدكم به إلا الضم بكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حَرَّسَ لَيْلَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يَتَامٍ لَيْلَهَا وَيَصَامُ نَهَارَهَا (١) » .

وهكذا رواه أحمد أيضا عن ، رَوَّحَ ، عن كهس عن مصعب بن ثابت ، عن عثمان (٢) = . وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن حمَّار ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن مصعب بن ثابت ، عن عبد الله بن الزبير قال : خطب عثمان بن عفان الناس قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي سَمِعْتُ حَتِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْتَهِي أَنْ أَحَدَكُمْ [بِهِ] إِلَّا الضَّمَّ بِكُمْ وَبِصَاحِبِكُمْ ، فَلَيَتَفَتَّرُ مُتَفَتِّرًا لِنَفْسِهِ أَوْلَيْتُكُمْ » . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رابط ليلة في سبيل الله كانت كالف ليلة صيامها وقيامها (٣) .

طريق أخرى عن عثمان : قال الترمذي : حدثنا الحسن بن عيسى الخلال ، حدثنا هشام بن عبد الملك ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثنا أبو حنبل زهره بن محمد ، عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان قال : سمعت عثمان - وهو على المنبر - يقول : إِنِّي كَتَمْتُكُمْ حَتِيبًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرَاهِيَةً تَفَرِّقُكُمْ عَنِّي ، ثُمَّ بَدَأَ أَنْ أَحْكُمَكُمْهُ ، لِيُخْتَارَ امْرُؤٌ لِنَفْسِهِ مَا يَدُلُّهُ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، قال أحمد - يعني البخاري - : أبو صالح مولى عثمان اسمه بَرْكَان . (٤) وذكر غير الترمذي أن اسمه الحارث ، والله أعلم . وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث الليث ابن سعد وعبد الله بن لهيعة وعنه زيادة في آخره فقال - يعني عثمان - : فليرابط امروسيكف شاء ، هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد (٥) .

حديث آخر : قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، حدثنا محمد بن المنكدر قال : مرَّ سَلَمَانَ الْغَارِمِيُّ بِشُرْحَبِيلِ بْنِ السَّمْطِ ، وَهُوَ فِي مُرَابَطَةٍ لَهُ ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيْهِ وَعَلَّ أَصْحَابُهُ فَقَالَ : أَفَلَا أَحَدُكُمْ - يَا بَنِي السَّمْطِ - يُحَدِّثُ سَمْعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ بَلَى . قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ - أَوْ قَالَ : خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرِ وَتَمَّ الْقَبْرِ ، وَتَمَّ لَهُ حَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

نفرد به الترمذي من هذا الوجه ، وقال : هذا حديث حسن (٦) دوى بعض النسخ زيادة : وليس إسناده متصل ، وابن المنكدر لم يذكره مسلم .

قلت : الظاهر أن أحمد بن المنكدر سمعه من شرحبيل بن السمط ، وقد رواه مسلم (٧) وللتأني من حديث مكحول

(١) مسند أحمد : ٦٤/١ ، ٦٥ .

(٢) مسند أحمد : ٦١/١ .

(٣) سنن ابن ماجه : كتاب الجهاد ، باب فضل الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، للحديث رقم ٢٧٢٦ و ٩٢٤ .

(٤) تحفة الأحراف : باب أي الأعمال أفضل : ٣٠٩/٥ ، وبرنامج مكمل بالياء ، وفي النسخة : تركان ، بالفاء . وهو خطأ . ينظر المشتبه : ١١٣ ، وتصدير المشتبه : ١٩٧/١ .

(٥) مسند أحمد : ٦٢/١ ، ٦٥ ، ٧٥ .

(٦) تحفة الأحراف : باب أي الأعمال أفضل : ٣٠٧/٣٠٥/٥ .

(٧) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضل الرِّبَاطِ : ٥١/٥ . والتأني : كتاب الجهاد : ٣٩/٦ .

وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ هُجَيْبٍ ، كَلَامًا مِنْ شَرَحِيلَ بْنِ السَّمْطِ - وَهُوَ حَبِيبٌ - مِنْ سَلِيفِ الْقَارِمْ ، عَنْ ابْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « رِبَاطٌ يَوْمَ لَيْلَةِ نَبِيٍّ مِنْ صِيَامِ شَهْرِ وَيَاقَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ [عَلَيْهِ] الَّذِي كَانَ بِمِثْلِهِ ، وَأَجْرُهُ عَلَيْهِ وَزَكَاةُ ، وَأَمِنْ الْقَتْلَانِ » وَقَدْ تَقَدَّمَ سِيَاقُ مُسَلِّمٍ مُفْرَدًا .

حديث آخر : قَالَ ابْنُ مَاجَةَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَمُرَةَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى السُّلَمِيُّ ، حَدَّثَنَا حُمْرٌ ابْنُ صَبِيحٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُمْرٍ ، عَنْ مَكْحُولٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي كَبْشٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رِبَاطٌ يَوْمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مِنْ وَرَاءِ حُورٍ لِلْمُسْلِمِينَ مُحْتَسِبًا ، مِنْ غَيْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، أَكْثَرُ لُجْرًا مِنْ حِدَادَةِ مِائَةِ سَنَةٍ ، صِيَامُهَا وَتَقَامُهَا . وَرِبَاطٌ يَوْمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مِنْ وَرَاءِ حُورٍ لِلْمُسْلِمِينَ مُحْتَسِبًا ، مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، أَفْضَلُ حَتَّى تَدَّ اللَّهُ وَأَكْثَرُ لُجْرًا - أَرَأَيْتُمْ قَالَ - مِنْ حِدَادَةِ أَلْفِ سَنَةٍ صِيَامُهَا ، وَتَقَامُهَا إِنْ رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَهْلِ سَالَا ، لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ سِنَةٌ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَتُكْتَبُ لَهُ الْخَيْرَاتُ ، وَتُجْزَى لَهُ لُجْرُ الرِّبَاطِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (١) .

هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، بَلْ مُنْكَرٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَحُمْرٌ بْنُ صَبِيحٍ مُتَّهَمٌ .

حديث آخر : قَالَ ابْنُ مَاجَةَ : حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ يُونُسَ الرَّمْلِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ شَاكِرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ خَالِدٍ بْنِ أَبِي طَوِيلٍ ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « حَرُمَتْ لَيْلَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَفْضَلُ مِنْ صِيَامِ رَجُلٍ وَيَاقَامِهِ ، فِي أَهْلِهِ ، أَلْفَ سَنَةٍ : أَلْفَ ثَلَاثَةِ [وَسِتُونَ] يَوْمًا (٢) ، وَالْيَوْمُ كَأَلْفِ سَنَةٍ ، وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ أَيْضًا ، وَسَعِيدُ بْنُ خَالِدٍ هَذَا ضَعُفُهُ أَبُو زُرْعَةَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْخَاءِ ، وَقَالَ الْمُتَّقِيُّ : لَا يَتَّبَعُ عَلَى حَدِيثِهِ . وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ : لَا يَجُوزُ الْإِسْتِغْنَاءُ بِهِ . وَقَالَ الْحَاكِمُ : رَوَى عَنْ أَنَسٍ أَحَادِيثُ مُوضُوعَةٌ .

حديث آخر : قَالَ ابْنُ مَاجَةَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ ، أَنَا أَبُو عَبْدِ الْغَزِيِّ عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَالدَّكَّاءِ ، عَنْ حُمْرِ بْنِ عَبْدِ الْغَزِيِّ ، عَنْ حَقِيقَةَ بْنِ حَامِرِ الْجَهَنِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَحِمَ اللَّهُ حَاكِمَ الْحَرَمِ » (٣) .

فِيهِ انْقِطَاعٌ بَيْنَ حَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْغَزِيِّ وَبَيْنَ حَقِيقَةَ بْنِ حَامِرٍ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَدْرِكْهُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ ،

حديث آخر : قَالَ أَبُو دَاوُدَ : حَدَّثَنَا أَبُو تَوْبَةَ ، حَدَّثَنَا مَعَاوِيَةُ - يَعْنِي ابْنَ سَلَامٍ عَنْ رِيْدٍ - يَعْنِي ابْنَ سَلَامٍ - [أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَامٍ قَالَ] حَدَّثَنِي السُّلَوِيُّ : أَنَّهُ حَدَّثَهُ سَهْلُ بْنُ الْخَنْظَلِيِّ : أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُتَيْنَ [فَاطْنُوا السِّرَ] حَتَّى كَانَتْ عَشِيَّةً ، فَخَضِرَتِ الصَّلَاةُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ قَارِسٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَتَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَمْتُ جَبَلَ كُلًّا وَكَلَّا ، فَإِذَا أَنَا بِوَارِثٍ عَلَى بَكْرَةٍ أَيْبَهُمْ بِطَعْنِهِمْ وَنَعْمَتِهِمْ وَشَالَهُمْ ، [أَجْمَعُوا إِلَى حَتَيْنَ] فَتَجِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : تِلْكَ خِيَمَةُ الْمُسْلِمِينَ خُذُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . لَمْ يَقُلْ : مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ ؟ قَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي مَرْكَدٍ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : فَارْكَبْ فَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ ، فَجَاءَ إِلَى

(١) سَنَنُ ابْنِ مَاجَةَ : كِتَابُ الْجِهَادِ ، بَابُ فَعْلِ الرِّبَاطِ ، وَالحديث رقم ٢٧٦٨ / ٩٢٤ .

(٢) عَنْ سَنَنِ ابْنِ أَبِي مَاجَةَ ، كِتَابُ الْجِهَادِ ، بَابُ فَعْلِ الْحَرَمِ وَالتَّكْبِيرِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالحديث رقم ٢٧٧٠ / ٩٢٥ .

(٣) يَنْتَظِرُ الْمَرْجِعَ السَّابِقَ ، وَالحديث رقم ٢٧٦٩ .

وصول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا يفترون من قبلك الآية . فلما أصبحت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فرجع وكتبت ثم قال : هل أحسنتم فارسمكم ؟ قال رجل : يا رسول الله ، ما أحسنه فكتب بالصلاة ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يصل يلتفت إلى الشعب ، حتى إذا قضى صلاته قال : أبشروا قد جاءكم فارسمكم ، فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب ، فإذا [هو] قد جاء ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبحت طلعت الثمين كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل [تولت الآية ؟] قال : لا ، إلا مصكباً أو قاضى حاجة ، فقال له : أوجبت ، فلا عليك أن لا تعمل بهذا (١) .

ورواه النسائي عن محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحراني ، عن أبي ثوبة وهو الربيع بن النافع به .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب : حدثنا عبد الرحمن بن شريح ، سمعت محمد بن شبيب الرضائي يقول : سمعت أبا حاتم التنجيني . قال الإمام أحمد : وقال غير زيد : أبا علي الجعفي يقول : سمعت أبا ربيعة يقول : كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ، فأتينا ذات ليلة إلى شرك فبهتنا عليه ، فأصابنا برد شديد ، حتى رأيت من يفر في الأرض [حرفة] ، يدخل فيها ويلقي عليه الجيفة - يعني القرص - فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس نادى : من يمرستا في هذه الليلة فادعوا له بدعاء يكون له فيه فضل ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله . فقال : ادعُ فلما : قال : من أنت ؟ فسئني له الأنصاري ، ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء ، فأكثر منه . فقال أبو ربيعة : فلما سمعت ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : أنا ورجل آخر . فقال : ادع . فلدوت . فقال : من أنت ؟ قال : قلت أنا أبو ربيعة : فدعا بدعاء هو دون ما دعا للأنصاري ، ثم قال : حرمت النار على حين سمعت - أو هكت - من خشية الله ، وحرمت النار على حين سمعت له سبيل الله (٢) .

وروي النسائي (٣) عنه : حرمت النار : إلى آخره عن عصمة بن الفضل ، عن زيد بن الحباب به ، وهو المحدث بن مسكين ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن شريح به وأتم ، وقال في الروايتين : عن أبي علي الجعفي .

حديث آخر : قال الترمذي : حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، حدثنا بشر بن حمر : حدثنا شبيب بن زريق أبو شيبة : حدثنا عطاء الخراساني ، عن حنظلة بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حينئذ لا تمسها النار : حين يكت من خشية الله ، وحين يات محرم في سبيل الله » .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، الحديث ٢٥٠٧ ، ١١/٣ ، ١٧ .

(٢) سنن أسد : ٤ / ١٣٤ ، ١٣٥ . ومما فيه بعض إحصار . وما بين القوسين عن المسند . والشرح بالمتحدين .

(٣) سنن النسائي ، كتاب الجهاد ، ١٥ / ٥ . وفيها : سمعت أبا علي الجعفي .

ثم قال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث شُعْبَةَ بْنِ رَزَيْقٍ ، قال : وفي الباب عن عثمان وأبي ربيعة (١) . قلت : وقد قلنا ، والله الحمد .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن شيخان ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن زَيْدَانَ بن سهل بن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس ، رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حَرَسَ من وراء المسلمين في سبيل الله ، متلوها لا بأجرة (٢) سلطان ، لم ير النار بعينيه إلا تسبلة القسَم ، فإن الله يقول : (وإن منكم إلا وادها) .

فرد به أحمد (٣) رحمه الله .

حديث آخر : روى البخاري في صحيحه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : وتعين عبد الدنيا وعبد النعم وعبد الغنمية . إن أعطيت رضى ، وإن لم يعط سخط ، تمنس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتكس ، طوبى لعمري لعميل يبتاع قربة في سبيل الله ، أشمت رأسه ، مشربة قدمه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شتم لم يشتم (٤) .

فهذا ما تيسر ليراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام ، والله الحمد على جزيل الإنعام ، على تعاقب الأوامر والأوامر .

وقال ابن جرير : حدثني المكي ، حدثنا مطرف بن عبد الله المدني ، حدثنا مالك ، عن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة رضى الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف [منهم] ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنه مهما ينزل بعد مؤمن من مشرك شدة يجمل الله بهما فرجا ، وإنه لن يظلم حسرا يسرين ، وإن الله تعالى يقول في كتابه : (يا أيها الذين آمنوا ، اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون) . وقد روى الحافظ ابن عساکر في ترجمة عبد الله بن المبارك ، من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي سكة قال : أمل حكى عبد الله بن المبارك هذه الآيات بطرسوس ، وودعته للخروج ، وأنشدها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة ، وفي رواية سنة سبع وسبعين ومائة .

يا حبيب الحرمين لو أبصرتكَا لعمركم أنك في القيادة تطعُ
من كان يشغيب خذه بجموعه شحورا يملأنا تشغيب

(١) نسخة الأحرش ، باب مسائل الجهاد : ٢٦٨/٥ ، ٢٦٩ . ويقول الحافظ أبو العباس : « أما حديث عثمان فالغربة المأكم وقال : صحيح الإسناد ولعله : « حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام لهاها ويصام لهاها » وأما حديث أبي ربيعة فالغربة أسد ، ورواه قتات ، والسنن أيضا ، والطبراني في الكبير والأوسط ، والمأكم وقال : صحيح الإسناد .

(٢) في المسند : لا بأجرة سلطان .

(٣) مسند أحمد : ٤٣٧/٣ ، ٤٣٨ . وفي هذه الرواية دليل على منة الإسلام بالأعمال القديسة ، لأنها تمل على استلاد القلب بالإيمان ، ولأنها تكون أنه وأسب على المؤمنين غيرها .

(٤) البخاري ، كتاب الجهاد : ٤١/٤ ، ٤٢ .

لَوْ كَانَ يُغْنِيكَ عَنْكَ فِي هَٰذَا رِيحٌ مِّنَ السَّمَاءِ فَكَفَىٰ بِكَ
وَيْحٌ مِّنَ رَبِّكَ وَأَخْبَلَ أَفُلًا مِّنْ مَّكَانٍ لَّيِّنًا
لَّا يَسْتَوِي وَهَبَارَ عِجَالِ اللَّهِ فِي
هَٰذَا كِتَابٍ اللَّهُ يَنْطِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ

قال : فقلت للشَّعْبِيل بن حياض يكتابه في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيانه وقال : صدق أبو عبد الرحيم !
ولصحنى ثم قال : أنت ممن يكتب الحديث ؟ قال قلت : لم . قال : فاكذب هذا الحديث كرامة منك كتاب أبي
عبد الرحمن إلينا . وأمل عكبي الشَّعْبِيل بن حياض :

حدثنا منصور بن المحمر ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة : أن رجلا قال : يا رسول الله ، عكبتني عملا أتاك
به ثواب المجاهدين في سبيل الله . فقال : هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر ، وتصوم فلا تفطر ؟ قال : يا رسول الله ، أنا
أضعف من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ طَوَّعْتُ (١) ظِلَّكَ مَا بَلَغْتَ
المجاهدين في سبيل الله ، أو ما عكمت أن فرس المجاهد تَسْتَقْ (٢) في طوئك ، فيكتب له بذلك الحسنات .

وقوله : (واقفوا الله) . أى : في جميع أموركم وأموالكم . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما ذبح به إلى
الناس : « اتَّقُوا اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتُمْ ، وَاتَّبِعُوا سَبِيلَ الْحَقِّ تَمْتَحِنُهَا » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (٣) .

(لَكُمْ تَفْلَحُونَ) أى : في الدنيا والآخرة .

ولك ابن جرير : حدثني يونس ، أبانا ابن وهب ، أبانا أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظي : أنه كان
يقول في قوله الله عز وجل : (واقفوا الله لَكُمْ تَفْلَحُونَ) واقفوا الله نيا يبي ويهيك ، لَكُمْ تَفْلَحُونَ هذا إذا تَقَدَّمُوا .

آخر تفسير سورة آل عمران ، والله الحمد والمآل ، نسأله الموت على الكتاب والسنة .

(١) أي لو كان ذلك في طاعتك وعمرتك .

(٢) استقر قمرس : هذا لرحمة ولطافة شامة أو شواهد ولا ركب عليه . والمفرد بكسر القم : الحمل .

(٣) مست أسعد : ٧٣٦ / ٥ . وقصة الأسوخ : كتاب الج : ١٢٢ / ٦ .

تفسير سورة النساء

قال العوفي عن ابن عباس: قلت سورة النساء بالمدينة. وكذا روى ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير، وزيد بن ثابت، وروى عن طريق عبد الله بن لهيعة، عن أخيه عيسى، عن حكيمته عن ابن عباس قال: لما قرئت سورة النساء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حشس» (١).

وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو الهيثم محمد بن يعقوب، حدثنا أبو اليعفري عبد الله بن محمد بن شاكر، حدثنا محمد بن بشر الهنكي، حدثنا مسهر بن كدام عن ممن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود [عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٢)] قال: «إن في سورة النساء لحشس آيات ما يسترني أن لي بها الدنيا وما ليها» (إن الله لا يظلم مقال ذرة) (الآيات) «إن تعجبوا كبار ما تهون عنه» الآية، و«إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء»؛ و«لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك الآية (ومن يعمل سوما أو يظلم نفسه، ثم يستنظر الله عهداً غفورا رحماً)» لم قال: هذا إسناد صحيح إن كان عبد الرحمن سمع من أبيه، فقد اختلف في ذلك.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن رجل، عن ابن مسعود قال [في] خمس آيات من النساء: «لهن» «أحب» «إلى» من الدنيا جسيماً: «(إن تعجبوا كبار ما تهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم)»؛ وقوله: «(وإن تلك حسنة يضاعفها)»؛ وقوله: «(إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء)»؛ وقوله: «(ومن يعمل سوما أو يظلم نفسه ثم يستنظر الله عهداً غفورا رحماً)» [وقوله: «(والذين آمنوا بالله ورسوله، ولم يفرقوا بين أحد من رسله أولئك سوف يؤتيتهم أجورهم وكان الله غفورا رحماً)» (٣) رواه ابن جرير. ثم روى عن طريق صالح المري، عن قتادة، عن ابن عباس قال: لما نزلت آيات نزلت في سورة النساء هي خير هذه الأمة بما طلعت عليه الشمس وغربت، أولاهن: «(يريد الله لين لكم وبنيتكم سنن الذين من قبلكم ويوقر الله عليكم والله عليم حكيم)»؛ والثانية: «(والله يريد أن يتوب عليكم، ويريد الذين يتوبون الصواب أن يتوبوا مباهة)»؛ والثالثة: «(يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً)».

ثم ذكر قول ابن مسعود سواء، يعني في الخمسة الباقية.

وروى الحاكم عن طريق أبي نعيم، عن سفيان بن عيينة، عن حبيد الله بن أبي يزيد، عن ابن أبي مليكة: سمعت ابن عباس يقول: [سألت] عن سورة النساء، فإني مررت القرآن وأنا صغير. ثم قال: [هذا حديث] (٤) صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(١) ذكر ابن الأثير في النهاية حديث ابن عباس وقال: «لو أنه لا يوقر مال ولا يزوي من داره». وكأنه إشارة إلى ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من حبس مال الميت لولاة كآبهم إذا كرهوا النساء للبح أو لقة مال حسودهن على الأرواح، لأن أولاده الميت كانوا أول من دين. وإحدى قوله «لا حسس» يجوز أن تكون مضمومة ومفتوحة.

(٢) من المستدرك، كتاب الطهارة، ٢٠٥/٢.

(٣) من تفسير البكري، ٢٥٧/٨.

(٤) من المستدرك، كتاب الطهارة، ٢٠٦/٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

يقول تعالى أمراً خلقه بقوله ، وهي عبادته وحده لا شريك له ، ومُسَبِّحًا لهم على قدره إلى خلقهم بها من نفس واحدة ، وهي آدم عليه السلام (وخلق منها زوجها) ، خلقت من ضِلَعِهِ الأيسر من خلفه وهو قائم ، فاستقبط فرأى ما أصبح ، فليس إليها وألست إليه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن مقاتل ، حدثنا وكيع ، عن أبي حلال ، عن قتادة ، عن ابن عباس قال : خُلِقَتِ المرأة من الرجل ، فبِشْرَ تَهْمَتَهَا (١) في الرجل ، وخلق الرجل من الأرض ، فبِشْرَ نَهْمِهِ في الأرض ، فاحسبوا نساءكم .

وفي الحديث الصحيح : « إن المرأة خلقت من ضِلَعٍ ، وإن أصرج شيء في الضلع أحلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن استعصت بها استعصت بها وفيها عرج » (٢) .

وفوله : (وبث منها رجالا كثيرا ونساء) . أي : وذرا منها ، أي : من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء ، وتفسرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولذاتهم ، ثم إليه يهد ذلك المعاد والمفسر .

ثم قال تعالى : (واتقوا الله الذي تسمعون به والأرحام) أي : واتقوا الله بطاعته وإياه ، قال إبراهيم وعجابه والحسن (الذي تسمعون به) أي : كما يقال أسألك بالله وبالحرم . وقال الضحاك : واتقوا الله الذي به تاملون وتاملون . واتقوا الأرحام أن تقطعوا ، ولكن بتزواها وصلوها ، قاله ابن عباس ، وعجابه وعكرمة ، والحسن ، والضحاك ، والربيع وغير واحد .

وقرأ بعضهم (٣) : (والأرحام) بالتحذف على التفسير في به ، أي تاملون بالله وبالأرحام ، كما قال عجاه وغيره .

وفوله : (إن الله كان عليكم رقيبا) ، أي : هو مراقب لجميع أعمالكم ، ولما لم يكن قال : (والله على كل شيء شهيد) .

وفي الحديث الصحيح : « عبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٤) . وهذا لإرشاد وأمر بمرئ القريب ، ولهذا ذكر تعالى أن [أصل] الخلق من أب وأم واحدة ، ليتخلف بعضهم على بعض ، ويحتسبوا على صفاتهم ، وقد ثبت في

(١) القصة : الحاشية .

(٢) البخاري ، كتاب بدء الخلق : ٤ / ١٦١ . مسلم ، كتاب الرضا : ٤ / ١٧٨ ، وسنة أحمد : ٨ / ٥ .

(٣) قرأ جمهور السبعة بتصب للم ، وقرأ حمزة بجرها ، وهي قراءة التنسي وكتلة والأعشى ، وقرأ أحد أنه لله يريه يفسها .

يعظم البصر المذهب لأي سبيل في ترجمته هذه التقرينات : ٣ / ١٥٧ .

(٤) البخاري ، كتاب الإيمان : ١ / ٢٠٧ . مسلم ، كتاب الإيمان : ١ / ٣١ .

صحيح مسلم، مع حديث جبريل بن عبد الله التيجاني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه أولئك النفر مع مكسر - وهم يجتازون الشار (١) - أي من حريمهم وهم - قام فخطب الناس بعد صلاة الظهر فقال في خطبته : (يا أيها الناس ، اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) حتى ختم الآية . وقال : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتتقوا نفس ما قدمت لند) ثم حثهم على الصدقة فقال : تصدقوا رجل من ديناره ، من درهم ، من صاع بئر ، من صاع قمه ... وذكر تمام الحديث .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن ابن مسعود في خطبة الحاجة ، وفيها لم يقرأ ثلاث آيات هذه منها : (يا أيها الناس اتقوا ربكم) .. الآية .

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَغْلِبُوا عَلَيْهِم بِالْغَلَبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِهِمْ إِنَّكُمْ كَأَنْ حُرُوبًا كَثِيرًا ۖ ﴿١٠﴾ وَلَا تَحْضُمْ أَلْيَدَكُمْ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ فَمَا نَبْتَغُوا مَا مَلَابَ لَكُمْ مِنْ آتِيَاءَ مَتَّعْنِ وَلَكِنَّ يَدَيْكُمْ عَنْ حِفْظِهَا لَا تَدْبُرُوا لَهَا زَاحِدًا أَوْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَتَقُولُوا ۖ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ صَدَقَاتِهِمْ نَحْلَ فَمَا يَبِينُ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ وَمِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَاءً مَّرِيًّا ۖ ﴿١١﴾

بار تعالى يدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحُلُم كاملة موفرة ، وينهى عن أخذها ونسبها إلى أموالهم ، ولما قال : (ولا تغلبوا عليهم بالغلب) . قال سفيان الثوري ، عن أبي صالح : لا تمسجل بالزرق الحرام قبل أن ياتيك الزرق الحلال الذي لدر لك .

وقال سعيد بن جبير : لا تبدلوا الحرام من أموال الناس بالحلال من أموالكم ، يقول : لا يلدروا أموالكم الحلال وتأكلوا أموالهم الحرام .

وقال سعيد بن المسيب وأبو هريرة : لا تمسك مهزولا وتأخذ سبيها .

وقال إبراهيم التيمي والفضالة : لا تعط زانقا وتأخذ جيلا .

وقال السدي : كان أحدهم يأخذ الشاة السبية من غنم اليتيم ، ويجعل فيها مكانا للشاة للهزولة ، ويقول : شاة بشاة ، يأخذ الدرهم الجيد وي طرح مكانه الزيت ويقول : درهم بدرهم .

وفيه : (ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم) . قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ومقاتل بن حيان ، والسدي ، وسفيان بن حسين : أي لا تخلطوها فتأكلوها جميعا .

وفيه : (إنه كان حوبا كبيرا) . قال ابن عباس : أي إنما كبيراً عظيماً

(١) مسلم : كتاب الزكاة : ٨٦ / ٣ ، ٨٧ . وسند أحمد : ٣٥٨ / ٤ ، ٣٥٩ . والدار - بكر التورن - جمع نمر - بناتها - وهي دولة عظيمة من مآزر الأعراب . ويجتازون الشار : لا يسهو بذلك اجنبت التبعين دخلت فيه وهؤلاء الأعراب كانوا قد اجتبروا الشار ، أي يسهووا خلوها من ساطعها ، ولتقلوها أروا من قهرهم .

وقد رواه ابن مردويه ، عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (حُوبًا كَبِيرًا) ؟ قال : إنما كبير . ولكن في إسناده محمد بن يونس الكندي^(١) وهو ضعيف [وهكذا روى عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبلة ، والحسن ، وابن سيرين] ، وقادة والنضلاء ، ومقاتل بن حيان ، وأبي مالك ، ورید بن أسلم ، وابن سنان مثل قول ابن عباس .

وفي الحديث للزوى في سنن أبي داود : « اغفر لنا حوبنا وخطايانا » (٢) .

ورويان ابن مردويه بإسناده إلى واصل ، مولى أبي حنيفة ، عن محمد بن سيرين ، عن ابن عباس : أن أبا أيوب طلق امرأته ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا أيوب ، إن طلاق أم أيوب كان حوبًا ، قال ابن سيرين : الحوب الإثم .

ثم قال ابن مردويه : حدثنا عبد الباقي ، حدثنا بشر بن موسى ، أنبأنا هروثة بن خليفة ، أنبأنا حوف ، عن أنس : أن أبا أيوب أراد طلاق أم أيوب ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن طلاق أم أيوب لحوب ، فأسكتها ، ثم رواه ابن مردويه والحاكم في مستدرکه من حديث علي بن حاصم ، عن حميد الطويل ، سمعت أنس ابن مالك يقول : أراد أبو طلحة أن يطلق أم سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن طلاق أم سلمة لحوب » ، فكتفت ، والنبي : « إن أكلكم أموالكم مع أموالكم إثم عظيم وخطأ كبير فاجتنبوه » .

^٦ وقوله : (وإن عظم ألا تسطوا) الثاني فأنكروا ما طالب لكم من النساء مني : أي : إذا كان هناك حجب أو حرج من قيمة وخلاف أن لا يطعها مهر مطها ، فليجلب إلى ما سواها من النساء ، لأنهن كبر ، ولم يبق في الله عليه .

وقال البخاري : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا همام ، عن ابن جريج ، أنبأنا همام بن حنيفة ، عن أبيه ، عن عاتقة : أن رجلاً كانت له بيمة فأنكحها ، وكان لها عتق . وكان يمسكها عليه ، ولم يكن لها من نفسه شيء فقلت [فيه] : (وإن عظم ألا تسطوا) . أحسبه قال : كانت شركته في ذلك العتق وفي ما (٣) .

ثم قال البخاري : حدثنا عبد البر بن عبد الله ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب قال : أنبأني حنيفة بن القيس أنه سأل عاتقة عن قول الله تعالى : (وإن عظم ألا تسطوا في الثاني) قاله : يا ابن أمية ، هذه البيمة تكون في جبنه وكيها (٤) تدركه في ماله ويمنحبه ملأها وجملها ، فبعد ، كبنتها أن يزوجها بغير أن يمسكها (٥) في صدقتها فيطعها (٦) مثل ما يطعها غيره ، فتعني أن ينكحها إلا أن يمسكها لغيره .

(١) في المطبوعة : محمد بن يوسف . والمثبت من الجرح : ١٢٢/١٢٥ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الطلاق : ١٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير : ٥٢٦ ، والشافعي : النخلة .

(٤) أي : الله يملأها ويملأ ويرمي ذنوبها .

(٥) يمسك : يملك .

(٦) يمس : ويرى أن يمسها .

وَيَبْتَغُوا بِهِنَّ أَهْلِي سُنَّتِهِنَّ" في الصداق ، وأمرُوا أَنْ يَنْكَحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ صَوَاهِنَ . قال حروة : قالت حاشفة : وإن الناس اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، فَأَنزَلَ اللَّهُ : (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ) قالت حاشفة : وقولُ اللَّهِ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى : (وَتُرْغَبُونَ أَنْ تَنْكَحُوهُنَّ) رغبة [أحدكم] عن بيتهم حين تكون قليلة المال والجمال ، فتهاو أن يَنْكَحُوا مِنْ رَغَبُوا فِي مَالِهِ وَجَمَالِهِ مَنْ يَنْتَهَى النِّسَاءَ إِلَّا بِالْقِسْطِ ، مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُمْ إِذَا كُنَّ قَلِيلَاتٍ لِلْمَالِ وَالْجَمَالِ (١) .

وقوله : (مَنِى وَلِلَّاتِ وَرَبِيعَ) . أى : النكحوا ما شفع من النساء [صواهن] إن شاء أحدكم ثنتين ، وإن شاء أربعة ، كما قال تعالى : (جَاعِلٍ لِلنَّكَاحِ رِسَالًا أُولَى أَجْزَعَةٍ مَنِى وَلِلَّاتِ وَرَبِيعَ) . أى : منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ولا ينهى ما هنا ذلك في الملائكة لدلالة الدليل عليه ، بخلاف قصر الرجال على أربع ، فمن هذه الآية كما قاله ابن عباس وجوهود العلماء ، لأن لتمام مقام امتنان وإبادة ، فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع للكره . قال الشافعي : وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المينة عن الله أنه لا يجوز لأحد خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة .

وهذا الذى قاله الشافعي رحمه الله ، يجمع عليه بين العلماء ، إلا ما حكى عن طائفة من الشيعة أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع . وقال بعضهم : بلا حصر . وقد يَتَمَسَّكُ بِبَعْضِهِمْ بِفَعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمْعِهِمْ بَيْنَ أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعٍ إِلَى تِسْعٍ كَمَا بُدِئَ فِي الصَّحَابِيِّينَ ، وَلَمَّا أُحْدِثَ عَشْرَةٌ كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَقْبَاطِ الْبُخَارَى . وقد علقه البخاري ، وقد رويها عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج خمس عشرة امرأة ، ودخل منهن بثلاث عشرة ، واجتمع عنده إحدى عشرة ومات عن تسع . وهذا عند العلماء من نصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأمة ، لا ستذكره من الأحاديث الدالة على الحصر في أربع .

ذكر الأحاديث في ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ومحمد بن جعفر قالوا : حدثنا معمر ، عن الزهري . قال ابن جعفر في حديثه : أبانا ابن شهاب ، عن سالم ، عن أبيه : أن غَيْلَانَ بْنِ سَكْمَةَ التَّمِيمِيِّ أَسْلَمَ وَعِنْدَهُ عَشْرُ نِسَاءٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اخْرُجْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا . فلما كان في عهد عمر طلق نساءه ، وقسم ماله بين بنيهِ ، فبلغ ذلك عمر فقال : إني لأظن الشيطان لما يَسْتَرِقُ مِنَ السَّمِيعِ مَسَّحَ عَيْنَكَ فَقُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ (٢) . ولعلك لا تَحْتَكُمُ إِلَّا قَلِيلًا . وإيم الله لتراجعت نساءك وترجعت في مالك (٣) أولادوكهن منك ، ولأمرن بقرتك فبرجهم ، كما رُبِمَ قَبْرُ أَبِي رَغَالٍ (٤) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطهر : ٦٤ / ٥٤ ، ٥٤ .

(٢) في المخطوطة : في نكاح ، وللتب من السنة .

(٣) في المخطوطة : ولصبر عن مالك ، وللتب من السنة .

(٤) سنة أحمد : ٢ / ١٤ .

وقرأ في ذلك بالخلاف . وهو أبو قتيف ، وكان من غيرة ، وكان الحرم يقع فيه ، فلما خرج منه أصابته القيلة إلى أصابته قومه وما قاله الجوهري من أنه كان دليلاً للبيشة حين ترجعوا إلى مكة ، فأتى في الطريق ، فبرحت به ، وبصر بآبٍ رَغَالٍ الْمُثَلِّقِ فِي الْقَطْمِ وَالشَّوْمِ ، ولما جبره :

إذا ذات القزقة فارجموه • كما رموه قهر أبي رغال

وهكلا رواه الشافعي والترمذي وابن ماجة والدارقطني والبيهقي وغيرهم عن إسماعيل ابن عتيبة وشذوذ يزيد بن زريع وسعيد بن أبي حنيفة ، وسفيان الثوري ، وعيسى بن يونس ، وعبد الرحمن بن عبد الحارث ، وأفضل بن موسى وغيرهم من الحفاظ ، عن معمر بن راشد - مثله إلى قوله : آخر منهن أربعا (١) وباقى الحديث في قصة عمر من أفراد أحمد ، وهي زيادة حسنة وهي مضمومة لا عمل به البخاري هذا الحديث فيما حكاه عنه الترمذي ، حيث قال بعد روايته له : سمعت البخاري يقول : هذا حديث غير محفوظ ، والصحيح ما روى شعبه وغيره ، عن الزهري ، حدثت عن محمد بن سويد التيمي أن غيلان بن سلمة - فذكره . قال البخاري : وإنما حديث الزهري عن سالم عن أبيه : أن رجلا من ثقيف طلق نساءه ، فقال له عمر . لتراجعن فصاحك أو لأرجمن فبكرك كما رجم أبو أبي رغال (٢) ، وهذا التعليل فيه نظر ، والله أعلم . وقد رواه عبد الرزاق ، عن مسمر ، عن الزهري مرسل . وهكلا رواه مالك ، عن الزهري مرسل . قال أبو زرعة : وهو أصح .

قال البيهقي : ورواه حنبل ، عن الزهري : بلغنا عن عثمان بن محمد بن أبي سويد (٣) ، قال أبو حاتم : وهذا وهم ، إنما هو الزهري عن محمد بن سويد (٤) بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكره .

قال البيهقي : ورواه يونس وابن عتيبة ، عن الزهري ، عن محمد بن أبي سويد ، وهذا كما حله البخاري . وهذا الإسناد الذي قلناه من مسند الإمام أحمد رجاله ثقات على شرط الصحيح . ثم قد روي من غير طريق معمر ، بل والزهري . قال الحفاظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو حنبل ، حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي ، حدثنا أبو بريد حمزة بن يزيد الجري ، أخبرنا سيف بن عبيد الله ، حدثنا سرور بن مسخش ، عن أيوب ، عن نافع وسالم ، عن ابن عمر : أن غيلان بن سلمة كان حنثا عشر نسوة فأسلم وأسلمن معه ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يغفر منهن أربعا (٥). هكلا أخرجه النسائي في سننه . قال أبو حنبل : السكت : تفرد به مرار بن مسخش وهو ثقة ، وكذا ثقة ابن معين . قال أبو حنبل : وكذلك رواه السميندغ بن وأهب ، عن سرور .

قال البيهقي : وروينا من حديث يونس بن الحارث [أو الحارث] بن قيس ، وعروة بن مسعود التيمي ، وصفيان بن أمية - يعني حديث غيلان بن سلمة .

-
- (١) نسخة الأصولي ، كتاب النكاح : ٤ / ٢٧٨ . وسنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، الحديث رقم ١٩٥٢ : ١ / ٩٢٨ . وسنن البيهقي ، كتاب النكاح : ٧ / ١٤٩ .
- (٢) نسخة الأصولي ، كتاب النكاح : ٤ / ٢٧٨ ، ٢٧٩ . وهذا لعل من غير دليل لأن روح القانون - وليست نسوة - هي التي ينبغي أن يحرامها الحاكم ، لأن عمل هذا التيمي مباح ، ولكنه منع منه ، لأنه يفسد المقرر بسلامه .
- (٣) سنن البيهقي ، كتاب النكاح : ٧ / ١٨٢ .
- (٤) في المخطوطة ، عن عثمان بن أبي سويد . ولعل السواب ما أجهت ، وينظر الجرح ٢ / ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، فيه : وهذا ابن سويد القهري ، أمير دمشق روى عن القسطنطين بن قيس القهري ، روى عنه ابن شهاب الزهري .
- (٥) سنن البيهقي ، كتاب النكاح : ٧ / ١٨٢ .

فوجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لَوَجَّهَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرهم في مقام العشرة وقد أسلمن معه . فلما أسره بإسك أربع وقرأق سائرهم ذكر على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع بذلك ، وإذ كان هذا في اللوام ، ففي الاستئناف بطريق الأول والأخرى ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

حديث آخر في ذلك : روى أبو حنود وابن ماجة في سننهما ، من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن حميشة بن الشمر ذك - وعند ابن ماجة ، بنت الشمر ذك ، وحكى أبو داود أن منهم من يقول : الشمر ذك بالدال المعجمة - من قيس بن الحارث . وعند أبي حنود في رواية : الحارث بن قيس بن (١) حميرة الأسدي قال : أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت لهن صلى الله عليه وسلم قال : « اخترن منهن أربعاً » .

وهذا الإسناد حسن ، و مجرد هذا الاختلاف لا يضر مثله ، لما للحديث من الشواهد .

حديث آخر في ذلك : قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله في مسنده : أخبرني من سمع ابن أبي الزناد يقول : أخبرني عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن عن عوف بن الحارث ، عن نوفل بن معاوية الديلمي رضي الله عنه قال : أسلمت وعندي خمس نسوة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اختر أربعاً أيتهن شئت وفارق الأخرى » . فمضيت إلى أقدهن صحبة صهر حافر مئى مندستين سنة ، فلفقتهما .

فهذه كلها شواهد بصحة ما قلتم من حديث حنبلان كما قاله الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله .

وقوله : (فإن ظنم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) . أى : فإن خشيت من تعدد النساء أن لا تعدلوا بينهن ، كما قال تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) . فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة ، أو على الجوارى السراى ، فإنه لا يجب قسم بينهن ، ولكن يستحب ، فمن فعل فحسن ، ومن لا فلا حرج (٢) .

وقوله : (ذلك أدنى ألا تعدلوا) . قال بعضهم : أدنى أن لا تكثر عائلتكم ، قاله زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة والشافعي ومحمد بن الله ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى (وإن خفتم حيلة) ، أى : اقرا (فسوف ينهيكم الله من فضله) وقال الشاعر : (٣)

لما يكرى القير مسى غناه • وما يكرى القير مسى مقي يتهل

وتقول العرب : حال الرجل يميل عييلة : إذا افقر . ولكن في هذا التفسير ما هنا نظر ، فإنه كما يخفى كثرة

(١) في المخطوطة : وأن حميرة . ينظر سنن أبي حنود . كتاب الطلاق ، الحديث ٢٢٤١ : ٢ / ٢٢٢ . وسنن ابن ماجة كتاب النكاح ، الحديث رقم ١٩٥٢ : ١ / ٦٢٨ .

(٢) يرى بعض العلماء أن إباحة التعدد قصده مشروطة بمرأاة العدل ، وأن هذا الشرط غير ممكن تحقيقه لقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) (١) أيح في الآية الأولى منع في الآية الثانية : وهو كلام غير سديد ، لأن الأمر بمرأاة العدل إنما هو على قدر الاستطاعة ، وهذا هو ما طالبت به الآية الأولى ، أما العدل المطلق فهو غير مستطاع ، لاسيما العدل في الهوى والهبة ، لأن : سلطان لأحد على القلوب .

(٣) هو لسيح بن الجراح الأوسي ، والبيت في تفسير الطبري : ٥٤٩/٧ .

العائلة من تعداد الخرائر ، كذلك يخفى من تعداد السراوى أيضا (١) . والصحيح قول الجمهور : (ذلك أدنى ألا تتولوا) ، أى : لا تجوروا . يقال : عالى فى الحكم إذا قسّط وظلم وجار ، وقال أبو طالب فى قصيدته المشهورة (٢) :
 بميزان قسط لا يخفى شيعة • له شاهد من نفسه غير حائل
 وقال هشيم : عن أبي إسحاق قال : كتب عثمان بن عفان إلى أهل الكوفة فى شيء عابوه فيه : إني لست بميزان لا أحول . رواه ابن جرير (٣) .

وقد روى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبو حاتم ابن حبان فى صحيحه ، من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن شعيب ، عن عمار بن محمد بن زيد ، عن عبد الله بن عمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم (ذلك أدنى ألا تتولوا) قال : « لا تجوروا » .

قال ابن أبي حاتم : قال أبي : هذا حديث خطأ ، والصحيح : عن عائشة . موقوف »

وقال ابن أبي حاتم : روى عن ابن عباس ، وعائشة ، وجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وأبي مالك وأبي ولين والنخعي ، والشعمي ، والضيack ، وعطاء بن راسان ، وقادة ، والسدي ، ومقاتل بن حيان : أنهم قالوا : لا نغلبوا . وقد استشهد بحكمة رحمته الله ببيت أبي طالب الذى قلناه ، ولكن ما أنشدناه كما هو المروى فى السيرة . وقد رواه ابن جرير ، ثم أنشد جيلنا ، ولطاف ذلك .

وقوله : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) . قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : النحلة : المهر »

وقال محمد بن إسحاق ، عن الثوري ، عن عروة ، عن عائشة : نحلة : فريضة [وقال مقاتل وقادة وابن جرير : نحلة أى : فريضة] . زاد ابن جرير : مساهة وقال ابن زيد : النحلة فى كلام العرب : الواجب ، يقول : لا تنكحها إلا بشيء واجب [هنا] وليس يبنى لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينكح امرأة [إلا بصدق واجب] ، ولا يبنى أن يكون تسمية الصداق كلها بغير حق .

ومضمون كلامهم : أن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حقها ، وأن يكون طيب النفس بذلك ، كما يمنع النجبة ويعطى النحلة طيبا بها ، كذلك يجب أن يعطى المرأة صداقتها طيبا بذلك ، فإن طابت هى له به بعد تسميته أو من شيء . منه فكذلك كله خلا طيبا ، ولهذا قال : (فإن طابت لكم من شيء منته قسأ فكلوه هنيئا مريئا) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن ستان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي [عن صفيان] عن السدي ، عن يعقوب (٤) ابن المغيرة بن شعبة ، عن على قال : إذا اشتكى أحدكم شيئا ، فتنكسأل امرأته ثلاثة دراهم أو نحو ذلك ، للبيت [بها] فضلا ، ثم ليأخذ ماء السماء فيجمع هنيئا مريئا فشافه مباركا .

(١) ليس هذا الامراض مسيحا ، لأن المراتل لم يكن يقضى فى ذلك الزمان بغير شمة الرجل وخمسة ، أما الجوارى فيمكن لسيده أن يلزمهن من الأعمال بما يتكفل له كثيرا من موارد الرزق .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٧٧ . ونعاس بالهد : قدر وكث . والخشيرة : الحب المروف . ويروى : لا يخفى . من أمسى » إذا أنقص ، كما يروى : لا يخفى . من حسن الشعر : إذا أذهبه ، وسنطه تكون شجرة بالصنوبر .

(٣) تفسير الطبري ١/٧٠٠ .

(٤) كلما .

وقال هُشَيْمٌ ، عن سيار ، عن أبي صالح قال : كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقتها دونها ، فنهاهم الله عن ذلك ، وتول : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، عن سفيان عن عبد الحمصي ، عن عبد الملك (١) بن المغيرة الطائي ، عن عبد الرحمن بن البَيْهَقِيِّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) . قالوا : يا رسول الله ، فما الملاق (٢) بينهم . قال : « ما تراضى عليه أهلوهن » .

وقد روى ابن مَرْدُويه من طريق حجاج بن أرطاة ، عن عبد الملك بن المغيرة ، عن عبد الرحمن بن البَيْهَقِيِّ ، عن عمر بن الخطاب قال : سخط رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنكحوا الأباى . ثلاثا ، فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ، ما الملاق بينهم ؟ قال « ما تراضى عليه أهلوهن » .

ابن البَيْهَقِيِّ ضعيف ، ثم فيه انقطاع أيضا .

وَلَا تُزَوُّوا السَّهْمَةَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَكُونُوا سَرَاقًا ۚ وَبَدَارًا أَنْ يَسْكُرُوا وَنَ كَانْ خَبِيرًا فَلْيَسْتَعِفُّوا ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۖ وَكَانَ بِاللَّهِ حَكِيمًا ۝

ينهى تعالى عن تَسْكِينِ السهماء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما ، أى : تهرم بها معاشهم من التجارات وغيرها . ومن هنا يؤخذ الحَجْرُ على السهماء ، وهم أقسام : فتارة يكون الحَجْرُ للصغير ، لأن الصغير مسلوب العبرة . وتارة يكون الحَجْرُ للجنون ، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين ، وتارة يكون الحَجْرُ للفسس ، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله من وفاتها ، فإذا سأل الغرماء الحاكِمَ الحَجْرَ عليه حَجْرَ عليه .

وقد قال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : (ولا تؤموا السهماء أموالكم) ، قال : هم يتنكح النساء . وكلنا قال ابن مسعود ، والحكم بن حَكِيَّة ، والحسن ، والضحاك : هم النساء والصبيان .

وقال سعيد بن جبَر : هم البناى : وقال مجاهد وحكمة وقادة : هم النساء . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن حَسَنَر ، حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا هشام بن أبي العاتكة ، عن حل بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن النساء السهماء إلا اللى أظاحت ليهما » .

ورواه ابن مَرْدُويه مطولا :

(١) في المخطوطة : عبد الله ، وهو خطأ . ينظر الجرح ٣٦٥/٢ .

(٢) الملاق : المهود . جمع ملاق .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن مسلم بن إبراهيم ، حدثنا حرب بن سريج ، عن معاوية بن قرة ، عن أبي هريرة :
(ولا توتروا الشهاء أموالكم) قال : الخدم ، وهم شياطين الإنس وهم الخدم .

وقوله : (وارتزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لم قولوا مبروفاً) . قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس يقول :
لا تَتَمَسَّكُ إِلَى مَالِكَ وَمَا تَوَلَّكَ اللَّهُ وَجَعَلَهُ لَكَ مِمَّشَةً ، فَطَعْنَتْ أَمْرًا لَكَ أَوْ يَتَيْكَ ، ثُمَّ تَنْظُرُ إِلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَلَكِنْ
أَمْسَكَ مَالَكَ وَأَصْلَحْتَهُ ، وَكَانَ أَلَى تَفَقُّ عَلَيْهِمْ مِنْ كَسْوَتِهِمْ وَمَوْتِهِمْ وَرِزْقِهِمْ ،

وقال ابن جرير : حدثنا ابن أبي العزى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن أبي بردة ،
عن أبي موسى قال : ثلاثة يندحون الله فلا يستجيب لهم ، رجل كانت له امرأة سبية الخلق فلم يملكها ، ورجل أعطى
ماله سبكيها ، وقد قال : (ولا توتروا الشهاء أموالكم) ، ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه 111

وقال جاهد : (وقولوا لم قولوا مبروفاً) : يعني في البر والصلة .

وله الآية الكريمة انتظمت الإحسان إلى المائلة ، وَمَنْ نَحْتِ الْحَجَرِ بِالْقَبْلِ ، مِنَ الْإِفْطَاقِ فِي الْكُفَاوِ وَالْإِفْطَاقِ
وَالْكَلَامِ الطَّيِّبِ ، وَتَحْسِينِ الْأَخْلَاقِ .

وقوله تعالى : (وانظروا إليهم) . قال ابن عباس ، وجاهد ، والحسن ، والسندي ، ومقاتل بن حيان : أي اخبروهم
(حتى إذا بلغوا النكاح) ، قال جاهد : يعني الحكم . قال الجمهور من العلماء : البلوغ في الغلام تارة يكون بالحكم ،
وهو أن يرى في منامه ما يتزل به لئلا ينفق الذي يكون منه الولد . وقد روى أبو داود في سننه عن أمير المؤمنين علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولا ينم بعد احتلام ، ولا صمكت يوم إلى
الليل .

وفي الحديث الآخر عن عائشة وغيرها من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رفع القلم
عن ثلاثة : عن العبي حتى يعطى ، وعن التام حتى يستيف ، وعن المجنون حتى يفقه » أو يستكمل خمس عشرة سنة
وأنزلوا ذلك من الحديث الثابت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال : عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم
[يوم أحد] وأنا ابن أربع عشرة ، فلم يجز ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني . قال أمير
المؤمنين عمر بن عبد العزيز لا يله هذا الحديث : إن هذا الفرق بين الصغير والكبير (١)

ولم يظفروا في إثبات الشعر النخس حول الفرج ، وهي الشفرة ، هل تكدر على بلوغ أم لا ؟ هل ثلاثة أمثال ،
يفرق في الثالث بين صبيان المسلمين ، فلا يلد على ذلك لاحتمال المبالغة ، وبين صبيان أهل اللغة فيكون بلوغاً في فهمهم
لأنه لا يصهل بها إلا شرب الجوى عليه ، فلا يمالجها . والصحيح أنها بلوغ في حق الجميع لأن هذا أمر جليل يستوى
فيه الناس ، واحتمال المبالغة بعيد ، ثم قد دلت السنة على ذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، عن عطية القُرطبي

(١) البهري ، كتاب الشهادات ٢٢٢/٢ . وسلم ، كتاب الإمامة : ٢٩/٦ ، ٣٠ .

ورضى الله عنه قال : « عُرِفْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَرِيقَةٍ لَمَّا كَانَ مِنْ أُنْبَيْتٍ لَقُلْتُ ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِئْكَ عَنْكَ مِنْهُ ، فَكُنْتُ لَيْسَ لَمْ يُنْبِئْتُ ، فَكُنْتُ سَوِيًّا (١) » .

وقد أخرجنا أهل السنن الأربعة بسنده ، وقال الترمذي : حسن صحيح : وإنما كان كذلك لأن سعد بن معاذ رضى الله عنه كان قد حكم عليهم بقتل لقائلة وسبق القرية .

وقال الإمام أبو حنيد القاسم بن سلام في كتاب القريب : حدثنا ابن حلية ، عن إسماعيل بن أمية ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن عمر : أن خلافاً أجهر جارية في شهره ، فقال عمر رضى الله عنه انظروا إليه . فلم يوجد أنبت ، فذكرنا عنه الحديث : قال أبو حنيد : أجهرها أي : فلها ، والافتحار أن يقول : فطعت بها وهو كاذب ، فإن كان صادقاً فهو الافتحار ، قال الأزهري في شهره :

فيح يمثلي نبت الفتاة . إما أجهاراً وإما إجهاراً (٢)

وقوله : (فإن أستم منهم رشداً فادخلوا إليهم أموالكم) : قال سعيد بن جبهر : يعني صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم . وكذا روى عن ابن عباس ، والحسن البصري ، وغير واحد من الأئمة . وهكذا قال الفقهاء من بلغ الغلام منسجماً لديه ، وماله الفلك الحجير عنه ، فيسلم إليه ماله الذي تمت بدوليه بطريقه (٣) .

وقوله : (ولا تأكلوا أموالاً يديها أن يكبروا) : انتهى تعالى عن أكل أموال التي من غير حاجة ضرورية لإسرافها ومباذرة قبل بلوغهم :

لم قال تعالى : (ومن كان خبيهاً فليصنف) : من كان في خبيته عن مال اليتيم فليصنف عنه ، ولا يأكل منه شيئاً قال الشعبي : هو عليه كالميتة والدم (٤) .

(ومن كان قهراً فليأكل بالمعروف) :

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الأشيخ ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : (ومن كان خبيهاً فليصنف) : قلت في مال اليتيم ،

وحدثنا الأشيخ وعارون بن إسحاق قالا : حدثنا حيلة بن سليمان ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : (ومن كان قهراً فليأكل بالمعروف) : قالت : قلت في مال اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه إذا كان محتاجاً أن يأكل منه .

(١) مسند أحمد : ٣١٠/٤ ، ٣١١/٥ ، ٣١٢ . ومجلة الأسوس : كتاب السير : ٧٠٨/٥ . وابن حبان : كتاب المظنن : الحديث رقم ٢٥٤١ : ٨٤٩/٢ .

(٢) لقيت في اللسان : مادة جهر ، وروى .

(٣) من هذا أن يرفع اليتيم ليطعم لا يمكنه دفع أمواله إليه ، بل لابد مع ذلك من أن يرفع من القرعة .

(٤) أي : أنه حرام عليه ولا يباح له إلا أنه الإصرار ويقدر الحاجة للميتة .

وحديث أبي ، حديث محمد بن سعيد الأصبهاني حديثا على بن مسهر ، عن همام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : أتت هذه الآية في والي اليتيم (ومن) كان غنيا فليستف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) بقدر تمامه عليه .

ورواه البخاري عن إسحاق بن عبد الله بن ثُمَيْم (١) ، عن همام — به .

قال الفقهاء : أنه أن يأكل ثلث الأمرين : أجرة ماله أو قدر حاجته . ولتظنوا : هل يرد إذا أيسر ؟ هل قولك . أحدهما : لا ، لأنه أكل بأجرة ماله وكان فقيرا . وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعي : لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل : وقد قال الإمام أحمد :

حديثا عبد الوهاب ، حديثا حسين ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رجلا سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ليس لي مال ولا يتيم ؟ فقال : « كَلْ » من مال يملكه غير مسرف ولا ميلر ولا تأكل مالا ، ومن غير أن تي مالا — أو قال : « قدى ماله » — شك حسين (٢) :

وقال ابن حاتم : حديث أبو سعيد الأشج ، حديثا أبو خالد الأحمر ، حديثا حسين الكلابي ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن عندي بيتا عنده مال — وليس عنده شيء ما — أأكل من ماله ؟ قال : « بالمعروف غير مسرف » :

ورواه أبو داود (٣) ، والشافعي ، وابن ماجه من حديث حسين للعلم — به .

وروى أبو حاتم ابن حبان في صحيحه ، وابن مردويه في تفسيره من حديث يعلى بن مهران ، عن جعفر بن سليمان عن أبي حنبل المزناز ، عن مرو بن دينار ، عن جابر : أن رجلا قال : يا رسول الله فليأكل من ماله ؟ قال : « ما كنت ضاربا منه . ولك ، غير واق ماله ماله ، ولا تأكل منه مالا » :

وقال ابن جرير : حديث الحسن بن يحيى ، أخبرنا حماد الرزاق ، أخبرنا القوري ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد قال : جاء أخراقي إلى ابن عباس فقال : إن في حميري أيتاما ، وإن لم يلا ولي إيل ، وأنا أمتع في إيل وأقصر . فماذا عمل لي من أيتاما ؟ قال : إن كنت تبني بيوتها وتعتنق جربها ، وتلو طحونها ، وتنفق عليها ، فأعرب غير مُفسر يذل ، ولا تأكله في الحلب (٤) .

ورواه مالك في موطئه ، عن يحيى بن سعيد — به .

(١) في المخطوطة : عن عبد الرحمن بن نير . ينظر التفسير : كتاب النسخ : ٤٦٩ .

(٢) نسخة : ١٨٦/٣ . ينظر رقم ٧٠٧٢ . والمقال : الجلب .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الوصايا : ١١٥/٣ . وابن ماجه كتاب الوصايا : الحديث ٢٧١٨ : ٩٠٧/٢ .

(٤) (أمتع في إيل) أي أتمم الفتاة لمن يتبع بلبيها أو غيرها زمانا ثم يردها . وأقصر : أي أعبر البحر فركب . وهذا البحر : بلاد الشام — بغير الماء — وهو القفران : بهاء به من البحر . ولط الخوض : غلة الطبق . وفيه : لأكله في الحلب : فيه

وهذا القول وهو عدمُ إلهه البطل يقول عطاء بن أبي رباح ، وعكرمة ، وإبراهيم النخعي ، وعطية القرق ، والحسن البصري .

والثاني : ثم ، لأن مال اليتيم على الخطر ، وإنما أبيع للحاجة ، ليرد بذلك كآكل مال الغير المضطر عند الحاجة .

وقد قال أبو بكر ابن أبي الدنيا : حدثنا ابن خزيمة ، حدثنا وكيع ، عن سليمان وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب قال : قال عمر رضي الله عنه : إني أنزلت نفسي من هلال لئال بمنزلة والي اليتيم ، إن استغنيت استغففت وإن احتجت استغفرت ، فإذا أسرتُ قضيت .

طريق أخرى : قال سعيد بن منصور : حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : قال لي عمر رضي الله عنه : إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم ، إن احتجت أغلقت منه ، فإذا أسرتُ رددته . وإن استغنيت استغففت .

إستناد صحيح ، وروى البيهقي عن ابن عباس نحو ذلك . وهكذا رواه ابنُ أبي حاتم من طريق عن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (ومن كان قهراً فليأكل بالمعروف) يعني : القرض . قال : وروى عن حنيفة ، وأبي العالية ، وأبي وائل ، وسعيد بن جبشير - في إحدى الروايات - ومجاهد ، والضحاک ، والسندي نحو ذلك . وروى من طريق السدي ، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : (فليأكل بالمعروف) قال يأكل بثلاث أصابع (١) .

ثم قال : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا ابن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : (ومن كان قهراً فليأكل بالمعروف) ، قال : يأكل من ماله ، يقول على يمينه ، حتى لا يحتاج إلى مال اليتيم . قال : وروى عن مجاهد وميمون بن مهران في إحدى الروايات والحكم نحو ذلك .

وقال حاتم الشعبي : لا يأكل منه إلا أن يضطر إليه ، كما يضطر إلى الميتة ، فإن أكل منه قضاه . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن وهب : حدثني نافع بن أبي نعيم التكريدي قال : سألت يحيى بن سعيد الأنصاري وربيعة عن قول الله : (ومن كان قهراً فليأكل بالمعروف) . فقالا : ذلك في اليتيم ، إن كان قهراً أنفق عليه بقدر فقره . ولم يكن قولاً منه شيء .

وهذا بعيد من السياق ، لأنه قال : (ومن كان غنياً فليستغف) . يعني : من الأولياء (ومن كان قهراً) أي : منهم (فليأكل بالمعروف) ، أي : بالي هي أحسن ، كما قال في الآية الأخرى : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالي هي أحسن حتى يبلغ أشده) ، أي : لا تقربوه إلا مصلحين له ، وإن احتجتم إليه أكلم منه بالمعروف .

وقوله : (فإذا دفعتم إليهم أموالهم) يعني يرد بلوغهم الحلم وإيتائهم الرشد ، فيحتل ستمهم أموالهم ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم (فاشهدوا عليهم) ، وهذا أمر الله تعالى للأولياء أن يشهدوا على الأيتام إذا بلغوا الحلم وسلموا إليهم أموالهم ، لتلا يقم من بعضهم جُحود وإكثار لا يقضه وسلمه .

ثم قال : (وكفى بالله حسيباً) . أى : وكفى بالله عاصياً وهيباً ورقيباً على الأولاد في حال نفهم للأيتام ، وحال تسليمهم للأموال : هل هي كاملة موفرة ، أو مقصورة منهجسة ملغطة مروج حسابها مئلس أمورها ؟ الله عالم بالهالكه . ولما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا أيها الناس ، إن أراكم فبيها ، وإن أحببتم الله ما أحببتم أنفسى ، لا تأتسروا على اثنين ، ولا تكلمن ما لم يأمركم » (١) .

فَرَجُلٍ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ① وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ② وَيَحْشِشَ الَّذِينَ لَوْ رَزَقُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَيْعًا حَفَظُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ③ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى غُلًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ④

قال سعيد بن جبير وقادة : كان المشركون يحلون المال لرجال الكبار ، ولا يورثون النساء ولا الأيتام شيئا ، فأمر الله : (الرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) . الآية ، أى : الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى ، يسعون في أصل الورثة وإن توارثوا بحسب ما فرض الله لكل منهم ، بما يملك به إلى الميت من قرابة ، أو زوجية ، أو ولاء . فانه (حكمة كاشفة للنسب . وقد روى ابن مردويه عن طريق ابن هزكمة (٢) ، عن سليمان التوري ، عن عبد الله بن محمد بن حنبل ، عن جابر قال : جاءت أم كعبة (٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إن ابنتين ، وقد مات أبوهما ، وليس لهما شيء . « . فأنزل الله تعالى : (الرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) — الآية وسأني حلما الحديث عند آتئ الميراث يساقى كثر ، والله أعلم .

وقوله : (وإذا حضر القسمة) الآية . قيل : المراد : وإذا حضر قسمة الميراث ذؤو القربى ممن ليس يورث (واليتامى والمساكين) فكثير فنبخ (٤) لم من القسمة نصيب ، وأن ذلك كان واجبا في ابتداء الإسلام . وقيل : يستحب . وانعظفوا : هل هو منسوخ أم لا ؟ على قولين ، فقال البيهقارى : حدثنا أحمد بن حنبلنا أخبرنا عبيد الله الأصبغى ، عن سفيان ، عن الشيباني ، عن حكرمة ، عن ابن عباس : (وإذا حضر القسمة أولو القربى اليتامى والمساكين) قال : هي منسوخة ، وليست بمنسوخة . فانه سفيان عن ابن عباس (٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا عبيد بن النعمان ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن ميسم ، عن ابن عباس قال : هي قائمة بعمل بها .

(١) مسلم ، كتاب الإمارة : ٧/٦ .

(٢) حرارهم بن حرمة . ينظر ميزان الإحسان : ٧٢/١ .

(٣) ينظر أسد الغابة : ٦١١/٥ .

(٤) ربيع له : أسماء طهه غير كعبه .

(٥) الصحيح ، كتاب التفسير : ٥٤/٦ .

وقال الثوري ، عن ابن أبي لجبيح ، عن جاهد في هذه الآية ، قال : هي واجبة على أهل الميراث ، ما طابت به أنفسهم . وهكذا روى عن ابن مسعود ، وأبي موسى ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وأبي العالية ، والشعبي ، والحسن ، وابن سيرين ، وسعيد بن جبشير ، ومكحول ، وإبراهيم التيمي ، وعطاء بن أبي رباح ، والزهرى ، وعيسى بن يونس ، أنها واجبة .

وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج ، عن إسماعيل ابن عتبة ، عن يونس بن عبيد عن محمد بن سيرين قال : ولي عينة وصية ، فأمر بشاة للبعث ، فأطعم أصحاب هذه الآية ، وقال : لولا هذه الآية لكان هذا من مالي . وقال مالك في يروى عنه من التفسير في جزء مجموع ، عن الزهرى : أن عروة أعطى من مال مصنفه حبره ثمن ماله . وقال الزهرى : وهي عكسة .

وقال مالك ، عن عبد الكريم ، عن جاهد قال : هو حق واجب ما طابت به الأنفس .

ذكر من ذهب إلى أن ذلك أمر بالوصية لهم

قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج ، أخبرني ابن أبي مليكة : أن أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، والقاسم بن عبد الله : أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه عبد الرحمن وعائشة حبة قالوا : فلم يصدق في الدار مسكينة ولا خالصة إلا أعطاه من ميراث أبيه - قالوا : وتلا : (وإذا حضر القسمة أولو القربى) . قال القاسم : فذكرت ذلك لابن عباس فقال : ما أصاب ، ليس ذلك له ، إنما ذلك إلى الوصية ، وإنما هذه الآية في الوصية يريد ليث يوصي لهم .
رواه ابن أبي حاتم (١) .

ذكر من قال : إن هذه الآية منسوخة بالكلمة

قال سفيان الثوري ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : (وإذا حضر القسمة) قال : منسوخة .

وقال إسماعيل بن مسلم للكني ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن أبي عباس قال في هذه الآية : (وإذا حضر القسمة أولو القربى) : نسخها الآية التي بعدها (يوصيكم الله في أولادكم) .

وقال الحنفى ، عن ابن عباس في هذه الآية : (وإذا حضر القسمة أولو القربى) : كان ذلك قبل أن تنزل القرآن . فأقول الله بذلك القرآن ، فأعطى كل ذي حق حقه ، فجعلت الصدقة فيما سمي القربى .
رواه ابن ماجة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء ، عن ابن عباس قوله : (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين) : نسخها آية الميراث ، فجعل لكل إنسان نصيبه مما ترك الوالدان والأقربون - مما ترك منه لو كفر .

وحديثنا أسيد بن عاصم، حدثنا سعيد بن عامر، عن همام، حدثنا قتادة، عن سعيد بن المسيب أنه قال: إنها منسوخة، كانت قبل الفرائض، كان ما ترك الرجل من مال أعطى منه اليتيم والفقير والمساكين وفوى القربى إذا حضرُوا القسمة، لم يسع بعد ذلك، نسخها الموارث، فألحق الله بكل ذي حق حقه، وصارت الوصية من ماله، يوصي بها الولي قرائته حيث يشاء.

وقال مالك، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب: هي منسوخة، نسخها للموارث والوصية؛ وهكذا روى عن حكرمة، وأبي الشفاء، والقاسم بن عمدة، وأبي صالح، وأبي مالك، وزيد بن أسلم، والشافعية، وعطاء الخراساني، ومقاتل بن حيان، وربيعة بن أبي عبد الرحمن: أنهم قالوا: إنها منسوخة. وهذا ملهـب جـمهور الفقهاء: والأئمة الأربعة وأصحابهم.

وقد اختار ابن جرير ما هنا قولاً غريباً جداً، وحاصله: أن معنى الآية مثله (وإذا حضر القسمة) أي: وإذا حضر قسمة مال الوصية أولو قرائته الميت (فأزقوهم منه وفروا) لثبتي والمساكين إذا حضروا (قولا معروفا)، هذا مضمون ما حوله بعد طُول العبارة والتكرار، وفيه نظر، والله أعلم (١).

ولقد لال المولى عن ابن عباس (وإذا حضر القسمة): وهي قسمة الميراث: وهكذا قال غير واحد، والمعنى على هذا لا على ما سلكه أبو جعفر ابن جرير، رحمه الله، بل المعنى أنه إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرائة الذين لا يتركون، واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل، فإن أنفسهم تنوق إلى شيء منه، إذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذ، وهم بالموت لا شيء يعطون، فأمر الله تعالى - وهو القموف الرحيم: أن يرضخ لهم شيء من الوستط يكون لهم بهم وصلة عليهم، وإحصاناً إليهم، وجبراً لكسرهم. كما قال الله تعالى: (كلوا من ثمره إذا أثمر وآثروا حقه يوم حصاده) وذم اللغو يقولون المال غنية، غشية أن يطلع عليهم الماويج وذو القاعة، كما أخبر عن أصحاب الجنة (إذا أقسموا ليعرضنهن مصعبين) أي: بليل. وقال: (فاطلقوا وهم يتخافون. أن لا يلمظنها اليوم عليكم مسكين) (لنمر الله عليهم ولكافرين أمثالها). فمن جحد حق الله عليه حاقبه في أمر ما يملكه، ولما جاء في الحديث: «ما خالطت [الصلة] مالا إلا أفسدته» (٢) أي: منعها يكون سبب محاق ذلك المال بالكلية.

وقوله: (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم) الآية. قال حل بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هنا في الرجل يتخلف الموت، فيسهم الرجل يوصي بوصية تفر بورثته، فأمر الله تعالى الذي يسهم أن يتقى الله، ويوقه ويسدده الصراب، ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم التضيعة.

وهكذا قال مجاهد وغير واحد، وثبت في الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل حل مسدوداً بين أبي ولصاح يوده قال: يا رسول الله، إلى ذى مال ولا يرثي إلا ابنة، ألا تصلى بطني مالي؟ قال: لا. قال: فالتشطرو؟

(١) تفسير الطبري ١٧/٨.

(٢) قال الشيخ أحمد شاكر في حصة التفسير ١١٥/٣: «رواه البخاري في التاريخ الكبير ١٨٠/١ في ترجمة عبد بن حبان الجسبي، وإسناده صحيح...»

قال : لا : قال : ثالث ؟ قال : الثالث ، والثالث كثير ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك أن تكر ورثك أخياء خيبر من أن تكرهم حالة يتكفون الناس (١) :

وفي الصحيح أن ابن عباس قال : لو أن الناس خضعوا من الثالث إلى الرابع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الثالث ، والثالث كثير (٢) .

قال الفقهاء : إن كان ورثة الميت أخياء لمصحب الميت أن يستوفى الثالث في وصيته ، وإن كانوا فقراء استحب أن ينقص الثالث .

وقيل : المراد بقوله : (وليشع اللين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليقوا الله) في مباشرة أموال اليتامى (ولا يأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) :

حكاه ابن جرير من طريق المعنوي ، عن ابن عباس : وهو قول حسن ، يتأيد بما بعده من التهديد في أكل مال اليتامى ظلماً ، أي : كما يجب أن تعامل ذريعتك من يهلك ، فعامل الناس في ذريعتهم إذا وليتهم . ثم أعلمهم أن من أكل مال يميم ظلماً إنما يأكل في بطنه ناراً ، ولهذا قال : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) : أي : إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب ، وإنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة . ولدت في الصحيحين (٣) من حديث سليمان بن بلال ، عن ثور بن زيد ، عن سالم أبي النقيث ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : واجتنبوا السبع لوطات . قيل : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والفتوى يوم الرحط ، وقذف المحصنات المؤمنات الفاحشات .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبيدة ، أخبرنا أبو عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد التميمي ، حدثنا أبو هارون التميمي عن أبي سعيد الخدري قال : لنا : يا رسول الله ، ما رأيت ليلة أسرى بك ؟ قال : « انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير ، رجال كل رجل له مشفران كمشفرى البهر ، وهو موكَّل بهم رجال يفتكون لحاء أحدهم ، ثم يجهاد بصفرة من نار فتختلف في أحدهم حتى يخرج من أسفله ولم تخوار وصراخ قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً .

وقال السدي : يمت أكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامه وأنه وعينه ، يهره من رآه يأكل مال اليتيم .

(١) صحيح البخاري ، كتاب لغير الله ، ١٨٧/٨ ، وصلى : كتاب الوصية : ٧٢/٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الوصية : ٧٢/٥ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الوصايا : ١٢/٤ . وكتاب الميراث : ٢١٧/٨ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان :

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِمَنْ مَرَّ بِهِ : حَدِّثْهُ إِصْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَمْرٍو ، حَدَّثَنَا حَقِيقَةُ بْنُ مُكْرَمٍ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْمُنْظَرِ ، عَنْ نَافِعٍ بْنِ الْحَارِثِ [عَنْ أَبِي يَزِيدَ] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : [يَمُتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْقَوْمُ مِنْ تَبَوُّعِهِمْ أَنْوَاعَهُمْ] نَارًا . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ :] إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا [الْآيَةَ .

رواه ابن أبي حاتم ، عن أبي زرعة ، عن عتبة بن مكرم . واخرجه أبو حاتم بن حبان في صحيحه ، عن أحمد بن
 حل بن النضر ، عن عتبة بن مكرم .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو عامر الهذلي ، حدثنا عبد الله بن جعفر الزهرى ، عن حنظلة بن محمد ، عن المقبرى ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرج مال الفضيحة ، المرأة واليتيم ، أى : أوصيكم باحتجاب ما لها .

وتقدم في سورة البقرة (١) من طريق صلاه بن السائب، عن سيد بن جبير، عن ابن عباس قال: **أُتِيَ آلُ اللَّهِ (١) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُ الْيَتَامَى ظُلْمًا**، الآية، انطلق من كان عنده يتييم، فزول طعامه من طعامه، وشراؤه من شراؤه، فحصل بفضل الشيء قَبْحَتَيْسُ له خفي يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلِ إِصْلَاحٌ لِمَ خَبَرُ)**، قال: فاستطاعوا طعامهم بطعامهم، وهراجهم بشراهم.

يُؤَيِّدُكُمْ اللَّهُ إِذْ أَتَيْتُمْكُمْ بِالْحَقِّ مُبْلِغِينَ فَإِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ قَوْمٌ مُتَّقِينَ فَعَلَيْكُمْ مَا تَرَكْتُمْ مِنْ كُنُفٍ أَنْتُمْ كَانْتُمْ وَجَدْتُمْ فَهَا الْيَصْفُ وَلَا يَبُولُ لَكُمْ وَجَدْتُمْهَا أَلَسْ مَا تَرَكْتُمْ فِي كُنُفٍ أَنْتُمْ كَانْتُمْ فَهَذَا وَدِدُهُ وَأَبَاؤُهُ فَلَا يَلُمُهُمْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَإِنْ كَانَ لَهُمْ إِخْوَةٌ أَلَسْ مِنْهُمْ بَعْدَ رِصَصِهِ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ أَوَدُنُّ أَعَابًا وَكُرْ وَأَبَاؤُكُمْ كُرْ لَا تَعْرُونَ لَهُمْ الْأَرْبَ لَكُمْ نَعْمًا فَرِصَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝

هذه الآية الكريمة والتي بعدها والآية التي هي خاتمة هذه السورة من آيات علم القرائن ، وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاث ، ومن الأحاديث الواردة في ذلك مما هي كالنفس للذك . ولقد كثر منها ما هو متعلق بتفسير ذلك ، وأما تقرير المسائل ونصب الخلاف والأدلة ، والهجاء بين الأئمة ، فوضعه كتاب الأحكام ، فاق للمعان .

وقد ورد الترجيح في تسليم القرائض ، وهذه القرائض الخاصة من أم ذلك . وقد روي أبو داود وابن ماجه ، مع حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي ، عن عبد الرحمن بن رافع التميمي ، عن عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاسم ثلاثة ، وما سوى ذلك فهو غفيل : آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة حادثة » (٢) :

(۱) قسماً : ۳۷۱٪ و ۳۷۵ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب القمار ، الحديث : ٢٨٨٥ ، ١١٩/٣ ، وسنن أبي ماجه ، المصنف ، الحديث رقم : ٧١٢١٠ .

ومن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة، تعلموا القرائن وعلموه إله نصف العلم، وهو يُعْطَى، وهو أول شيء يُنْفَرُحُ من أمي».
رواه ابن (١) ماجة، وفي إسناده ضعف. وقد روى من حديث عبد الله بن مسعود وأبي سعيد، وفي كل منهما نظر، قال ابن عيينة: إنما سَمِيَ القرائنَ نصفَ العلم، لأنه يُعْطَى به الناس كلهم.

وقال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام: أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني ابن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: عاين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في بني سَكَمَةَ ماضين، فوجدني النبي صلى الله عليه وسلم لا أحفلُ شَيْئاً، فدعا بعماء فوضأ منه، ثم رَضَ عَتِيَّ، فألقته فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فقلت (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) (٢).

وكذا رواه مسلم والنسائي، من حديث حجاج بن محمد الأعمش، عن ابن جريج (٣) به، ورواه الجماعة كلهم من حديث سفيان بن عيينة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر.

حديث آخر عن جابر في سبب نزول الآية قال الإمام أحمد: حدثنا زكريا بن هادي، حدثنا حبيب الله - هو ابن صَمْرُو الرَّقْمِي - عن عبد الله بن محمد بن حنبل، عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتِلَ أبوهما بمكة في أحد شهيداً، وإن ههنا أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالا، ولا يُشْكِحَانِ إلّا ولهما مال؛ قال: فقال: يقضى الله في ذلك. قال: فزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صَمْمَةَ فقال: أحط ابنتي سعد الثلاثين، وأمهات المدن، وما بقي فهو لك (٤).

وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة، عن طريق، عن عبد الله بن محمد بن حنبل - به. قال الترمذي: ولا يعرف إلا من حديثه.

والظاهر أن حديث جابر الأول إنما قول بسبب الآية الأخيرة من هذه السورة كما سيأتي، فإنه إنما كان له إذ ذلك أنصوات، ولم يكن له بنات، وإنما كان يروث كلاله، ولكن ذكرنا الحديث هاهنا تبعاً للبخاري، رحمه الله، فإنه ذكره هاهنا. والحديث الثاني عن جابر أخيه يتناول هذه الآية، والله أعلم.

قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين). أي: يأمركم بالعدل فيهم، فإن أهل الجاهلية كانوا يحملون جميع الميراث للذكور دون الإناث، فأمر الله تعالى بالنسوية بينهم في أصل الميراث، وفاوت بين الصنفين، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة الثقة والكلفة ومعاونة التجارة والتكسب ونجس اللشعة، فتناسب أن يُعْطَى ضعفُ ما تُعْطَى له الأنثى.

(١) سنن ابن ماجة، كتاب القرائن، الحديث رقم ٢٧١٩، ٩٠٨/٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير: ٥٤/٦، ٥٥.

(٣) مسلم، كتاب القرائن: ٦٠/٥.

(٤) سنن أحمد: ٣٥٢/٢، ونسخة الأوسى، كتاب القرائن: ٢٦٧/٦، ٢٦٨. وابن ماجة، كتاب القرائن، الحديث

رقم ٢٢٢٠، ٩٠٨/٢، ٩٠٩ وابن داود، كتاب القرائن، الحديث ٢٨٩١، ١٢٠/٣.

وقد استنبط بعض الأكفيا (١) من قوله تعالى : (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) - أنه تعالى أرحم بملكته من الوالد بولده ، حيث أوصى الوالدين بأولادهم ، فلم أنه أرحم بهم ، منهم ، كما جاء في الحديث الصحيح وقد رأى امرأة من النبي تلور حل ولها ، فلما وجنته أشلته فألقته بصدرها ولزمته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أترون علم طارسة ولها في النار وهي تقدر على ذلك ؟ قالوا : لا يا رسول الله » قال : « فوالله أرحم بعباده من علم يولدها » (٢) .

وقال البخاري هاهنا : حدثنا محمد بن يوسف ، عن ابن زريق ، عن ابن أبي سجيح ، عن حماد ، عن ابن عباس قال : كان لئال فولد ، وكانت الرخصة قولها : « فسيخ الله من فلك ما أحب » فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبين لكل واحد منهما السمن والثلث ، وجعل لزوجته الثمن والرابع ، ولزوج الفطر والرابع (٣) .

وقال القرني ، عن ابن عباس قوله : (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وذلك أنه لما نزلت القرائن التي فرض الله فيها ما فرض ، فولد للذكر والأنثى والأبين ، كرهها الناس أو بعضهم وقالوا : نعطى المراء الرابع أو الثمن . ونعطى البنت النصف ، ونعطى الغلام الصغير : وليس أحد من هؤلاء يقاتل القوم ، ولا يجوز الفتية : . استكروا عن هذا الحديث لئلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينه ، أو لقوله له ليفتر . فقال بعضهم : يا رسول الله نعطى الجارية نصف ما ترك أبوها ، وليس تركه القرم ، ولا قتال القرم . ونعطى الصبي الميراث وليس بنى شيئاً . . وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية ، لا يطلون الميراث إلا لمن قاتل القوم ، ويطلوه الأكبر فالأكبر .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير أيضا .

وقوله : (لمن كن لساء فوقه انتخب ظهن ثلثا ما ترك) : قال بعض الناس : قوله (فوق) زائدة ولغيره فإن كن لساء الثنتين ، كما في قوله : (فاعسوا فوق الأحقاد) : وهذا غير مسلم لا هنا ولا هناك ، فإنه ليس في القرآن شيء زائد لا ثالثة فيه . وهذا ممنوع ، ثم قوله : (ظهن ثلثا ما ترك) لو كان المراد ما قاله فقال : فلما ثلثا ما ترك : وإنما استعبد كون الثلثين للبتين من حكم الانتخب في الآية الأخيرة ، فإنه تعالى حكم فيها للانتخب بالثلاث : وإذا ورت الأعطاء الثلثين فلأن يرث البنتان الثلثين بطريق الأولى . وقد قدم في حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم لابي سعد بن الربيع بالثلثين ، فلعل الكتاب والسنة حل ذلك ، وأيضا فإنه قال : (وإن كانت واحدة فلها النصف) : فلو كانت للبتين النصف لئس عليه فلما حكم به الواحدة على الفرادى حل على أن البتتين في حكم الثلاث والله أعلم .

(١) هو الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١) قال في كتابه « القرائن » وشرح آيات القرصية في القرآن الكريم ، ورواه ١ ، ٢ : « ثم أنشأ الأولاد إليهم بقوله : (أولادكم) . ومعلوم أن الولد ثلثة ألكية . وذلك موجب الرحمة الشديدة ، فبح أنه أنشأ الأولاد إليهم جعل القرصية لنفسه دونهم ، لئلا حل أنه لرائ وأوسم بالأولاد من آبائهم ، ألا ترى أنه لا يسر أن يقول لبيه لأبيه : « أوصيك في أولادك » لأن أبا الولد أرسم بهم ، فكيف يوصيه غيره بهم ، وإنما المصروف أن يقول : « أوصيك بولدي غيري » فلما قال الله تبارك وتعالى : « يوصيكم الله في أولادكم » علم أن وجه الأولاد أوسم بالأولاد من الوالدين لهم ، حيث أوصى بهم ولهم . وسلك الحديث الذي ذكره ابن كثير .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأدب : ٩/٨ - وسلم : كتاب الفتوى : ٩٧/٨ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح : ٥٥/٦ .

وقوله : (ولا يره لكل واحد منهما السمس) إلى آخره ، الأبوان لما في الميراث أموال :

أصلها : أن يجهزا مع الأولاد ، فيفرض لكل واحد منهما السمس ، فإن لم يكن البيت إلا بنت واحدة ، فرض لها النصف ، وللأبوين لكل واحد منها السمس ، وأصل الأب السمس الآخر بالنكاح ، فيجمع له والحالة هذه بين هذه الفرض والنكاح :

الحال الثاني : أن يفرق الأبوان بالميراث ، فيفرض للأم والحالة هذه الثلث - وأصل الأب الباقي بالنكاح النصف ، ويؤكد أنه أصل حتى ما فرض للأم ، وهو الثلثان ، فلو كان معها - والحالة هذه - زوج أو زوجة أصل الزوج النصف والزوجة الربع . ثم اختلف العلماء : ما تأخذ الأم بعد فرض الزوج والزوجة حل ثلاثة أقوال :

أحدا : أنها تأخذ ثلث الباقي في المساكين ؛ لأن الباقي كله جميع للميراث بالنسبة إليهما . وقد جعل الله لها نصيب ما جعل للأب . فأخذ ثلث الباقي وأصل الأب لثبه . وهو قول عمر وعثمان ، وأصح الروايتين عن علي . وبه يقول ابن مسعود وزيد بن ثابت ، وهو قول الفقهاء السبعة ، والأئمة الأربعة ، وجمهور العلماء رحمهم الله .

والقول الثاني : أنها تأخذ ثلث جميع المال لمسلم قوله : (فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فأخذة الثلث) . فإن الآية أهم من أن يكون معها زوج أو زوجة أولا ؛ وهو قول ابن عباس : وروى عن علي ، ومعاذ بن جبل - نحوه . وبه يقول شريح وعلود بن علي الطائفي ، واعتزله الإمام أبو الحسين محمد بن حيد الله بن الباق البصري (١) ، في كتابه « الإيجاز في علم الفرائض » :

وهذا فيه نظر ، بل هو ضعيف ، لأن ظاهر الآية إنما هو إذا استبعد جميع التركة ، فلما في هذه المسألة فيأخذ الزوج أو الزوجة الفرض ، ويبقى الباقي كله جميع التركة ، فتأخذ الله كما تقدم .

والقول الثالث : أنها تأخذ ثلث جميع المال في مسألة الزوجة ، فإنها تأخذ الربع وهو ثلاثة من الألف عشر ، وتأخذ الأم الثلث وهو أربعة ، فيبقى خمسة للأب . ولما في مسألة الزوج فتأخذ ثلث الباقي ؛ فلا تأخذ أكثر من الأب لو أعطت ثلث المال ، فتكون المسألة من ستة : الزوج النصف ثلاثة وللأم ثلث ما بقي وهو سهم ، وللأب الباقي بعد ذلك وهو سهمان . ويحكم هذا عن محمد بن سيرين رحمه الله ، وهو قول مركب من القولين الأولين ، موافق كلاً منهما في صورة وهو ضعيف أيضا ؛ والنسب الأول ، والله أعلم .

والحالة الثالث من أموال الأبوين ، وهو اجتماعهما مع الإخوة ، وسواء كانوا من الأبوين ، أو من الأب ، أو مع الأم ، فإنهم لا يفرقون مع الأب شيئا ، ولكلهم مع ذلك يحجبون الأم عن الثلث إلى السمس ، فيفرض لها مع وجودهم السمس ، فإن لم يكن وارث سواها وسوى الأب أصل الأب الباقي .

وحكم الآخرين بما ذكرناه حكم الإخوة عند الجمهور ، وقد روى البيهقي من طريق شعبك مولى ابن عباس عن أبيه عباس أنه جعل حل عثمان فقال : إن الآخرين لا يفرقون الأم عن الثلث ، قال الله تعالى : (فإن كان له إخوة)

(١) في الخبر الثاني ٨٠٧/٣ ، ٨١ ، قال الخطيب : انتهى إليه علم الفرائض ، وصنف فيها كتابا ، توفي سنة ٤٠٧ هـ .

الأخوان ليسا بلسان قولك إنيرة . قال عثمان : لا أستطيع [تفسير] ما كان قبل ومضى في الأمصار وتوارث به الناس .
وفي صحة هذا الأمر نظر ، فإن شعبة (١) هنا تكلم فيه مالك بن أنس ، ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس للحب
إليه أصحابه الأصحاب به ، وللقول منهم خلافه .

وقد روى عبد الرحمن بن أبي الرقاد ، عن خارجة بن زيد ، عن أبيه أنه قال : الأخوان تسمى إنيرة ، وقد أفرقت
لهذه المسألة جزءاً على حدة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز بن المنيرة ، حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد ، عن ثقاته قوله :
(فإن كان له إنيرة فلأنه السُّنُس) : أشروا بالأم ولا يثرون ، ولا يصحبها الأخ الواحد من الثلث ويصحبها ما فوق ذلك ،
وكان أهل العلم يثرون أسمهم إنما صحبوا أنهم من الثلث أن أباهم على إنكسهم وقتته عليهم دون أنهم .

وهذا كلام حسن . لكن روى عن ابن عباس بإسناد صحيح أنه كان يرى أن السُّنُس الذي صحبه من أنهم يكون
لهم ، وهذا قول شاذ روي عن جرير في تفسيره قال :

حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال :
السُّنُس الذي صحبته الإنيرة الأم لهم ، إنما صحبوا أنهم منه ليكون لهم دون أبيهم .

ثم قال ابن جرير : وهذا قول مخالف لجميع الأمة ، وقد حدثني يونس ، أخبرنا سليمان ، أخبرنا ، عن عمرو ،
عن الحسن بن محمد ، عن ابن عباس أنه قال : الكلال من لا ولده ولا ولد .

وقوله : (من بعد وصية يوصي بها لوذين) أجمع العلماء سلفاً وخلفاً : أن الله ينفذ من الوصية ، وذلك عند
إيمان الناس منهم من سوى الآية الكريمة . وقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وأصحابه الطائفة ، عن
حديث أبي إسحاق ، عن الحارث بن عبد الله الأحور ، عن علي بن أبي طالب قال : إنكم ترون (مع بعد وصية
يوصي بها لوذين) وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين قبل الوصية ، وإن أحياناً بين الأم يثرون دون
العتلات ، يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه (٢) . ثم قال الترمذي : لا يثرون إلا من حديث الحارث الأحور ،
وقد تكلم فيه بعض أهل العلم ،

قلت : لكن كان حافظاً للقرائن محتجاً بها وبإسناد (٣) ، قاله أحرم .

وقوله : (الأبلاك) وبالأول لا تكون أبهم أقرب لكم نعماً . أي : إنما قرشنا للأنباء والأبناء وصاوتها بين الكل في
أصل الميراث على خلاف ما كان عليه الأمر في الجاهلية ، وعلى خلاف ما كان عليه الأمر في اعتناء الإسلام من كونه لما

(١) حر شعبة بن يحيى ، وقيل : ابن دنيار . مولى ابن عباس . قال أحمد : ما به بأس . وقال السفي : ليس بالقرين . وقال
مالك : ليس بقرين ولا تأمنه عنه شيئاً . وقال يحيى : لا يكتب حديثه . (ميزان الاعتدال : ٢٧٤/٢) .

(٢) سنة أحمد : ١٤٤/١ . وثقة الأصبغى ، كتاب القرائن : ٢٧١/٥ . وستن ابن ماجه : كتاب القرائن : ١٤٤/٢ .
وقد ٢٧٢/٢ : ٩١٥/٢ . وذكر الطائفة : هم الإنيرة لأب ولأبهم فيه .

(٣) ينظر ميزان الاعتدال : ٥٧٧/١٢٥/١ .

فولك والوالدين الوصية كما تقدم عن ابن حبان ، وإنما نسخ الله ذلك إلى هذا ، فرفض قولاهم وعللهم بصيهم ، لأن
 الإنسان قد يأبى النفع للغير أو الأخرى أو ما ، مع أبيه مالا يأبىه من أبه ، وقد يكون بالكس ، فهذا قال :
 «بأبكم وأبائكم لا تدرون أبهم أقرب لكم نعماً» : أى : كان النفع متوقع ومرجو من هذا ، كما هو متوقع ومرجو من
 الآخر لهذا فرفضنا لهذا وعللنا ، وسأولنا بين التسميع في أصل الميراث ، والله أعلم .

وقوله : (فرضة من الله) أى : هذا الذى ذكرناه من تفصيل الميراث ، وإعطاء بعض الورثة أكثر من بعض -- هو فرض من الله حكمه وقضاه ، والله حليم حكيم الذى يضع الأشياء فى مواضعها ، ويصلح كل ما يستحقه بحسبه ، ولهذا قال : (إن الله كان عليها حكيما) .

• وَلَكِنْ لَيْسَ فِيمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • فَإِنْ كَانَ لَكُمْ مِنَ الْمَالِ الْغَنَاءُ فَلْيُصَوِّرُوا لَهُمْ • وَأَنْ كُنْتُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لَكُمْ لِكُلِّ ذَكَرٍ لَكُمْ مِثْلُ نَثْوٍ مِنْهُمَا فَإِنْ فَازُوا بِهِمْ فَقَدْ حَبِطَ الْحَقُّ عَلَى أَكْثَرِ النَّاسِ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ لَا بَصِيرَةٌ • وَلَكِنْ يَسْمَعُونَ سَوَاءً وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ • فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ لِيَكُنْ لَكُمْ كِتَابٌ مِنْ رَبِّي يَدْفَعُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَيُفْصِلُ بَيْنَهُمُ الْفِتْنَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ الْفِتْنَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ • وَلَكِنْ لَيْسَ فِيمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • فَإِنْ كَانَ لَكُمْ مِنَ الْمَالِ الْغَنَاءُ فَلْيُصَوِّرُوا لَهُمْ • وَأَنْ كُنْتُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لَكُمْ لِكُلِّ ذَكَرٍ لَكُمْ مِثْلُ نَثْوٍ مِنْهُمَا فَإِنْ فَازُوا بِهِمْ فَقَدْ حَبِطَ الْحَقُّ عَلَى أَكْثَرِ النَّاسِ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ لَا بَصِيرَةٌ • وَلَكِنْ يَسْمَعُونَ سَوَاءً وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ • فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ لِيَكُنْ لَكُمْ كِتَابٌ مِنْ رَبِّي يَدْفَعُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَيُفْصِلُ بَيْنَهُمُ الْفِتْنَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ الْفِتْنَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ • وَلَكِنْ لَيْسَ فِيمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ •

يقوله تعالى : ولكم - أيها الرجال - نصيب مما ترك آباؤكم إذا متُّن عن غير ولد ، فإن كان له ولد فلكم الربع مما تركن من بعد يومئذ بما أولعن . وقد تقدم أنه التين مقدم على الوصية ، وهذه الوصية في الميراث ، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء ، وسكن أولاد التين وإن سفلوا حكم أولاد الصلب .

ثم قال: (ولحق الربح بما تركتم) إلى آخره، وسواء في الربح أو الثمن الزوجة والزوجان الأختان والثلاث والأربع
بشركهن فيه.

وقوله : (مع بعد وصية) إلخ الكلام عليه كما تقدم .

وقوله : (وإن كان رجل يورث كلالة) : الكلالة : مشتقة من الإكليل ، و [هو] الذي يحيط بالرأس مع جواربه ، والمراد هنا مع يورثه مع حرافيه لا أصوله ولا فروعه ، كما روى الشعبي عن أبي بكر الصديق : أنه سئل عن الكلالة ، فقال : أولئك فيها يرثون ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فهو ومن الشيطان ، والله ورسوله بريان منه .
الكلالة من لا ولده ولا والده ، فلما ولي عمر بن الخطاب قال : إنني لا أستحي أن أعالف أباً يكرهه رأي رآه .
وهذه أبي حمزة وغيره .

وفاك ابن أبي حاتم، رحمه الله، في تفسيره: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد (1)، حدثنا سليمان بن عمرو،

(١) قال ابن أبي ساتم في المخرج ٢/٢٠٧ : ٢٠٨ : وروى عن سليمان بن عيسى ، سمعت معراج ابن سفيان وخمس وخمسين
مروا صلوحة لفة .

فصل في صورة النساء

١١٢

عن طاووس قال سمعت عبد الله بن عباس يقول : كنت أقرأ كتابي هذا بمنى بن الخطاب ، فسمعت يقول : القوم ما قلت ، وما قلت قال : الكلافة من لا ولد له ولا والد .

وهكذا قال علي بن إبي طالب حين سمعه ، وصحح عن غير وجه عن عبد الله بن عباس ، ولينين ثابت : وه يقول الشعبي وقتني ، والحسن البصري ، وقادة ، وجابر بن زيد ، والحكم . وه يقول أهل القبلة والكرامة والبصرة . وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف ، بل جميعهم ، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد . وورد فيه حديث مرفوع : قال أبو الحسین بن القلان : وقد روى عن ابن عباس ما يخالف ذلك ، وهو أنه من لا ولد له ، والصحيح منه الأول ، ولعل الروي ما فهم منه ما أراد .

وقوله : (وله أخ أو أخت) أي من أم ، كما هو في قراءة بعض السلف ، منهم سعد بن أبي وقاص ، وكذا شرحنا أبو بكر الصديق لما رواه قتادة عنه ، (فلكل واحد منهما السنين ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) .

ولمعة الأم يخالفون بقية القوم من وجوه ، أحدها : أنهم يرون من من أدلوا به وهي الأم ، الثاني : أن ذكرهم وأنثاهم سواء ، الثالث : أنهم لا يرون إلا إنا كان سيئتهم ينزوت كلاله ، فلا يرون مع أب ، ولا جد ، ولا ولد ، ولا ولد ابنه الرابع : أنهم لا يؤمنون على الثلث ، وإن كثر ذكرهم وأنثاهم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو موسى ، حدثنا أبو وهيب ، أخبرنا يونس ، عن الزهري قال : فني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ميراث الإخوة من الأم بينهم ، للذكر مثل الأنثى : قال محمد بن شهاب الزهري : ولا يرى عمر رضي الله عنه حكم بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الآية التي قال الله تعالى : (فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) .

وختلف العلماء في المسألة للفرقة ، وهي : زوج ، وأم أو جنة ، والثاني مع ولد الأم وولد أو أكثر مع ولد الأبوين . بل قول الجمهور الزوج النصف ، وللأم أو الجدة السنين ، ولولد الأم الثلث ، ولغيرهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو إخوة الأم .

وقد وقت هذه المسألة في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فأعطى الزوج النصف ، والأم السنين ، وجعل الثلث لأولاد الأم ، فقال له أولاد الأبيين : يا أمير المؤمنين ، حب أن أيا لا كان حمارا ، السا مع أم طحينة ؟ وفتركتهم .

وصحح التشريع عنه وعن أمير المؤمنين عثمان ، وهو إحدى الروايتين عن ابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبو عباس ، رضي الله عنهم . وه يقول سعيد بن المسيب ، وشريح القاضي ، ومسروق ، وطاوس ، وعاصم بن سريته ، وإبراهيم التيمي ، وعمر بن عبد العزيز ، والزهري ، وشريك ، وهو ملحق بالأم ، والقاضي ، وإسحاق بن راهويه .

وكان من بين من طالب لا يشرك بينهم ، بل جعل الثلث لأولاد الأم ، ولا فيه لأولاد الأبوين ، ولما قلده . لأنهم عصبة ، وقال وكيع بن الجراح : لم يختلفت عنه في ذلك ، وهذا قول أبي بكر بن كريب وأبي موسى الأشعري ، وهو .

للمشهور عن ابن عباس ، وهو ملقب بالشعي وابن أبي ليلى ، وأبي حنيفة ، وأبي يوسف ، وعبد بن الحسن ، والحسن بن زياد ، وزفر بن الحَكَل ، والإمام أحمد بن حنبل ، ويحيى بن آدم ونعيم بن حماد ، وأبي ثور ، ودلود بن علي الظاهري ، واختاره أبو الحسين بن البان القرظي ، رحمه الله ، في كتابه « الإيجاز » .

وقوله : (من بعد وصية يوصي بها أودين خير مضار أي : لتكون وصيته على العبد ، لا على الإضرار والجور والحيف بأن يحرم بعض الورثة ، أو يقصه ، أو يزيده على ما قدر الله له من القريضة حتى سعى في ذلك كان كثر ضاراً الله في حكمته وقسمته ، ولهذا قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو التضر المثنى الهراذلي ، حدثنا عَمْرٍو بن المغيرة ، عن دلود بن أبي هند ، عن حكمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الإضرار في الوصية من الكبار » .

وكذا رواه ابن جرير من طريق عَمْرٍو بن المغيرة هذا ، وهو أبو حفص بصري سكن المصيصية ، قال أبو القاسم ابن عساکر : ويعرف بمثنى الساكن . وروى عنه غير واحد من الأئمة . وقال فيه أبو حاتم الرازي : هو شيخ . وقال علي ابن أبي حمزة : هو مجهول لا أمر له . لكن رواه الثنائي في سننه عن علي بن حجر ، عن علي بن مسهر ، عن داود بن أبي هند ، عن حكمة ، عن ابن عباس ، موقوفاً : « الإضرار في الوصية من الكبار » . وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج ، عن خالد بن حبيب ، عن داود بن أبي هند . ورواه ابن جرير من حديث جماعة من الحفاظ ، عن داود ، عن حكمة ، عن ابن عباس موقوفاً . وفي بعضها : ويقرأ ابن عباس (غير مصلح) .

قال ابن جريج (١) : والصحيح الموقوف .

ولهذا اختلف الأئمة في الإقرار بالورث : هل هو صحيح أم لا ؟ على قولين : أحدهما : لا يصح لأنه مظنة التهمة أن يكون قد أوصى لمبصية الإقرار وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله قد أحصى كل ذي حق حقه ، فلا وصية لوارث » (٢) . وهذا ملقب بأبي حنيفة ومالك ، وأحمد بن حنبل ، والقول القديم الثاني رخصهم المذهب في الجليل إلى أنه يصح الإقرار . وهو ملقب طائوس ، وعطاء ، والحسن ، وعمر بن عبد العزيز ، وهو المختار لأبي عبد الله البخاري في صحيحه . واحتج بأن رافع بن خديج أوصى أن لا تكشف القرارية عما ألقى عليه بابها قال : وقال بعض الثقات لا يجوز إقراره لسوء الظن به للورثة (٣) ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث . وقال الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فلم يخصص وارثاً ولا غيره :

التي مذكورة .

ففي كان الإقرار صحيحاً معاً بما لا في نفس الأمر جرى فيه هذا الخلاف ، ومتى كان حيلة وسيلة إلى زيادة بعض الورثة ولقصان بعضهم ، فهو حرام بالإجماع وينص هذه الآية الكريمة : (خير مضار وصية من الله ، والله عليم خليم) ،

(١) كلما في خطوبته . وفي سائر النسخات : قال ابن جرير . ولم أجد في تفسير عمه بن جرير القبري .

(٢) تحفة الأحرار ، كتاب الوصايا : ٣٠٩/٦ . وسنن ابن ماجة ، كتاب الوصايا ، المجلد ٢٧١٣ : ٩٠٥/٢ .

(٣) مكانه في المخطوطة : بالورثة . وللتبني من صحيح البخاري ، كتاب الوصايا : ٥/٤ .

فَكَانَ حُدُودَ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَرَارُ الْأَعْلَى ﴿١٥﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَذَكَّرْ بِحُدُودِ اللَّهِ نَارِ اللَّهِ كَانَتْ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾

أى : هذه الفرائض والمقادير التى جعلها الله الورثة بحسب قرآنهم من الميت وأحباهم إليه وقدمه له عند علمه ،
هى حدود الله فلا تتعدوها ولا تجاوزوها . ولما قال : (ومن يطع الله ورسوله) أى : فيها فلم يزد بعض الورثة ولم ينقص
بعضاً بحيلة ووسيلة ، بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمه (ينسخه جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك
الفرز العظيم) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ينخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) أى : لكونه غير ما حكم
الله به وضاد الله في حكمه . وهذا إما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به ، ولما يجازيه بالإمالة في الطلب
الأسلم المقسم .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن [عن أبيه] (١) عن أنس بن مالك ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ، فإذا أوصى ، حانت في وصيته ، فيختم بشر عمله ، فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة ، فيموت في وصيته ، فيختم له بشر عمله فيدخل الجنة » قال لم يقول أبو هريرة : اتروا إن شئتم (تلك جملته) إلى قوله (عبادي)

قال أبو داود في باب الإضرار في الوصية من ستة : حدثنا حَبْدَكُ بن عبد الله أن أُمِّيراً عبد الصمد ، حدثنا بن حنبل ، حدثنا الأعمش بن عبد الله بن جابر الجُدَدَانِي ، حدثني شَهْرُ بن حَوْثَب ، أن أبا هريرة حدثه أن أُمِّيراً عبد الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا الرجل ليمس أُمِّراً (٢) بطاعة الله ستين سنة ، ثم حضرها الموت فَيُتَمَكَّنُ في الوصية ، فتجب لها الثار ، وقال : قرأ على أبي هريرة من ما هنا : (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار) حتى يهلك : (ذلك القول العظيم) .

وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عبد الله بن جابر الجعفي به ، وقال الترمذي (٣) : حسن هريج .
وسابق الإمام أحمد أنه وأكمل .

وَالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ الْفُرْقَانُ ۖ مَنْ لَسَا يَكُرْ فَاسْتَقْبَلُوا طَلَبَهُنَّ أَرْبَعَةَ يَنْكُرَ فَإِنْ تَشَاءُوا فَلْيَبْكُوا فِي الْحَيَاتِ ۖ إِنَّ
يَعْتَمِدُنَّ الصَّوْتِ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ يَبْتَغِي بَيْتَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۖ فَإِنْ تَابُوا وَأَسْلَمُوا فَامْرُؤُهُمْ عَتَمًا
يَوْمَ اللَّهِ كَانَ تَوَابًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾

كان الحكم في ابتداء الإسلام أن للمرأة إذا زنت قُتِلَت زانِياً بالية العادة ، حبست في بيت فلا تُمكن من الخروج

(١) من حيث أحد : ٢٧٨/٢ .

(٢) في متى أبي داود ، المحدث ٢٨٦٧ / ٣ / ١١٢ : والمرأة .

(٣) نسخة الأحرف ، كتابا الوصايا : ٣٠٤/٦ ، ٣٠٤ ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الوصايا ، الطبعة ١٧٧٠ : ٩٠٧/٢ .

منه إلى أن تموت ، ولهذا قال : (واللاذ يأتين القاحشة) يعني الزنا (من نساكنكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت لأرجل الله من سيلا) . فالسبيل الذي جملته الله هو التمسك لذلك .

قال ابن عباس كان الحكم كذلك ، حتى أنزل الله سورة التور فتمسخها بالجلد ، أو بالرجم .

وكذا روى عن حكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وعطاء الخراساني ، وابن صالح وقتادة ، وزيد بن أسلم ، والفضالة : أنها منسوخة ، وهو أمر متفق عليه .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن حنبلان بن عبد الله الرقاشي ، عن عبادة بن الصامت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي أثر عليه وكُربٌ لذلك فترتد وجهه ، فأنزل الله عز وجل عليه ذات يوم ، فلما سرى عنه قال : « خلوا عني » ، قد جعل الله من سيلا : الثيب بالثيب ، والبكر بالبكر ، بالثيب جلد ماله ، وورجم بالحجارة ، والبكر جلد ماله ثم نفي سنة (١) .

وقد رواه مسلم وأصحاب السنن من طرق عن قتادة عن [الحسن] عن حنبلان ، عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه : « خلوا عني ، خلوا عني » ، قد جعل الله من سيلا البكر بالبكر جلد ماله وتفرغ هام ، والثيب بالثيب جلد ماله والرجم . وقال الثوري : هذا حديث حسن صحيح (٢) .

وهكذا رواه أبو داود الطيالسي ، عن مبارك ابن فضالة ، عن الحسن ، عن حنبلان بن عبد الله الرقاشي ، عن عبادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي عُرِفَ ذلك في وجهه لما أنزلت : (أرجل الله من سيلا) . فلما أرتفع الوحي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلوا خلوا » ، قد جعل الله [من سيلا] البكر بالبكر جلد ماله ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد ماله وورجم بالحجارة .

وقد روى الإمام أحمد أيضاً هذا الحديث عن وكيع بن الجراح حدثنا الفضل بن دلم عن الحسن عن قبيصة بن حريث ، عن سلمة بن المحقق قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلوا عني ، خلوا عني » ، قد جعل الله من سيلا ، البكر بالبكر جلد ماله ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد ماله والرجم .

وكذا رواه أبو داود (٣) معلولاً من حديث الفضل بن دلم ، ثم قال : وليس هو بالخالص ، كان قصاصاً بواسط .

حدثني أحمد : قال أبو بكر بن مَرْدَوَيْهِ : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عباس بن حنبلان ، حدثنا أحمد ابن داود ، حدثنا عمرو بن عبد التفار ، حدثنا إسحاق بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن أبي بن كعبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البكران يجلدان ويغنيان ، والثيبان يجلدان ويرجمان ، والشيطان يرجان » .

(١) مستد أسد : ٣١٨/٥ . ومسلم ، كتاب الخلود : ١١٥/٥ . وكرب : أسابه الكرب وهو الملقه . وتفرغ : تفرغ .

(٢) تحفة الأحرف : كتاب الخلود : ٧٠٩/٤ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الخلود ، الحديث ٤٤١٧ : ٤٤٤/٤ . والله .

هذا حديث غريب من هذا الوجه . وروى الطبراني من [طريق] ابن لبيعة ، عن أخيه عيسى بن لهيعة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لا تزلت سورة النساء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحسبن بعد سورة النساء .

وقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلى القول بمتنفي هذا الحديث ، وهو الجمع بين الجلد والرجم في حق النبي الزاني ، وذهب الجمهور إلى أن النبي الزاني إنما يرجم قطع من غير جلد ، قالوا : لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم مازرا والغلمية واليهوديين ، ولم يجلدهم قبل ذلك ، فدل على أن الجلد (١) ليس بجم ، بل هو منسوخ على قومهم ، والله أعلم . وترويه : (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما) . أي : واللذان يأتيان القاحشة فآذوهما . قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وغيرهما : أي بالشم والتعبير ، والضرب بالنعال ، وكان الحكم كذلك حتى نسخ الله بالجلد أول الرجم .

وقال عكرمة ، وعطاء والحسن ، وعبد الله بن كثير : نزلت في الرجل والمرأة إذا زنيا ،

وقال السدي : نزلت في النسيان قبل أن يتزوجا .

وقال مجاهد : نزلت في الرجلين إذا فعلا ، لا يكتفى ، وكأنه يريد القواط ، والله أعلم .

وقد روى أهل السنن ، من حديث عمرو [بن أبي عمرو] عن (٢) عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رأيهوه يعمل حتمك قوم لو طافوا القامل وللقول به (٣) » .

وقوله : (فان تابا وأصلحا) أي : أقبلوا وتزحوا عما كانوا عليه ، وصححت أهلها وحسن (فأمرضوا عنها) . أي : لا تصرفها بكلام فيجهد بعد ذلك ، لأن الغالب من الذنب كمن لا ذنب له . (إن الله كان توابا رحيمًا) . وقد ثبت في الصحيحين : إذا زلت أمة أحدم فكليجسد لها الجسد ولا يتركب عليها (٤) أي : ثم لا يجرها بما صنعت بعد الجسد ، الذي هو كفارة لا صنعت .

إِنَّمَا أَتُوبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ وَلَيْسَ أَتُوبَةُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ أَن يَشْفَعَتْ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا لَّيًّا ﴿٢١﴾

يقول تعالى إنما يتقبل الله التوبة عن عمل السوء بجهالة ، ثم يتوب ولو قبل معاذة للترك روحه قبل الفرفة .

قال مجاهد وغير واحد : كل من حصى الله خطأ أو حسنا فهو جاهل حتى يتخرج من الذنب .

وقال قتادة عن أبي العالية : أنه كان يحدث : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : [كل]

قلب أصابه حد فهو بجهالة . ورواه ابن جرير .

(١) في المخطوطة : الرجم .

(٢) عن الترمذي : وابن ماجة .

(٣) نسخة الأحرش : كتاب الخمر : ٢١/٥ . وصح ابن ماجة ، كتاب الخمر ، الحديث ٢٥٦١ : ٢٥٦٢ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الخمر : ٢١٢/٨ .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء حصي به فهو جهالة ، حياءً كان أو غيره .

وقال ابن جريج : أخبرني عبد الله بن كثير ، عن جاهد قال : كل حامل بمصيبة الله فهو جاهل حين عملها . قال ابن جريج : وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه .

وقال أبو صالح [عن ابن عباس] : من جهلكه عمل السوء :

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (لم يتوبون من قريب) . قال : ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت ، وقال الضمك : ما كان دون الموت فهو قريب . وقال قتادة والسدي : مادام في صحته . وهو مروي عن ابن عباس وقال الحسن البصري : (لم يتوبون من قريب) : ما لم يتوبوا . وقال حكرمة : الدنيا كلها قريب ،

ذكر الأحاديث في ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن حياش ، وعصام بن خالد ، قالوا : حدثنا ابن تزيان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن جابر بن كعب ، عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يتفرغ » (١) . ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان - به ، وقال الترمذي : حسن غريب . وروى عنه صفه ابن ماجه ، عن عبد الله بن عمرو . وهو وهم ، إما هو عبد الله بن عمرو بن الخطاب .

حديث آخر عن ابن عمر ، قال أبو بكر بن مرفوع : حدثنا محمد بن معمر . حدثنا عبد الله بن الحسن الخراساني حدثنا يحيى بن عبد الله الباقلي (٢) ، حدثنا أيوب بن نعيم الحلبي قال : سمعت عطاء بن أبي رباح قال : سمعت عبد الله بن عمر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد مؤمن يترك قبل الموت بشهر إلا قبل الله منه ، وأدنى من ذلك ، وقبل موته يوم وساعة ، يعلم الله منه التوبة والإخلاص إليه إلا قبل منه » .

حديث آخر : قال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، أخبرنا إبراهيم بن ميمون ، أخبرني رجل من مشحان - يقال له : أيوب - قال : سمعت عبد الله بن عمر (٣) يقول : من تاب قبل موته بعام تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بجمعة تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه ، ومن تاب قبل موته [ساعة] تيب عليه ، فقلت له : إنما قال الله : « إنما توبة حل الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » فقال : إنما أحدثك ما سمعت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) مسند أحمد ، ١٣٢/٢ . ونسقة الأعرشي ، كتاب الدعوات ، ٢١/٩ . وابن ماجه ، كتاب التوبة ، الحديث ٤٢٥٣ . ١٤٢٠ هـ .

ومما يفرغ : ما لم تبلغ الروح إلى المقدم ، يعني : ما لم يتبين بالموت ، فإن التوبة بعد التيقن بالموت لم يصبها ، لقوله تعالى : (ولست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال : إني تبت الآن . ولا الذين يموتون وهم كفار) .

(٢) في المنقولة : القابل . والكتيب من المصحح ١٦٤/٢/٣ ، قال ابن أبي حاتم : من باب له .

(٣) الحديث رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو ، ٢٠٦/٢ . ومشحان : غلظ بالحق .

وهكذا رواه أبو الوليد البجلي ، وأبو عمر الخزازي ، وأبو حاتم المتكفي ، عن شعبة .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا حُصَيْن بن محمد ، حدثنا محمد بن مَطْرَف ، عن زيد بن أسلم ، عن مِهْدِ الرِّحْمَنِ بْنِ الْيَسْمَعِي قال : اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أحدهم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت يوم » . فقال الآخر : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال : وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم » فقال الثالث : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بثلثي يوم » . قال الرابع : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال : وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يقبل توبة العبد مالم يُخترْ غيرُ بضعه » (١) . وقد رواه سعيد بن منصور ، عن الدَّرَاوَرْدِيِّ ، عن زيد بن أسلم ، عن مِهْدِ الرِّحْمَنِ بْنِ الْيَسْمَعِي ، فذكر قريباً منه .

حديث آخر : قال أبو بكر بن مردويه : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا عمران بن مِهْدِ الرِّحْمَنِ ، حدثنا عثمان بن المظفر ، حدثنا حوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يقبل توبة عبده مالم يخره » .

أحاديث في ذلك مسألة

قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن حوف ، عن الحسن قال : بلغني أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَلَمَ يُخْتَرْهُ » (٢) ،

هذا مرسل حسن ، عن الحسن البصري ، رحمه الله .

آخر : قال ابن جرير أيضاً ، رحمه الله : حدثنا ابن بشار . حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن العلاء بن زياد ، عن أبي أيوب بشير بن كعب أن أبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يقبل توبة العبد مالم يُخترْهُ » . وحدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الأمل ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عباد بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر مثله .

آخر آخر : قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو داود حدثنا عمران ، عن قتادة قال : « كما عه أنس بن مالك وثم أبو قلابة ، فحدثنا أبو قلابة قال : إن الله تعالى لا ينظر إلى العبد سأل التَّظَنُّرَةَ فقال : وحزتك وجلالك لا أخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح . فقال الله : وحزى لا آمنه التوبة مادام فيه الروح »

(١) مسند أحمد : ٤٢٥/٣ .

(٢) تفسير الطبري : ٩٦/٨ .

(٣) في المخطوطة : لا أسر . والمثبت من تفسير الطبري : ٩٥/٨ .

وقد ورد هذا في حديث مرفوع ، رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق حمز بن عمار (١) وأبي الليثيم البجلي (٢) كلاهما مع أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال إيليس ، عزتك لأزاولن أخرجهم مادامت أرواحهم في أجسادهم . قال الله ، حروجل ، وحزول ، ولجلال : لأزاولن أخرجهم ما استقروا » .

فقد دلت هذه الأحاديث على أن من تاب إلى الله حروجل وهو يرجو الحياة فإن توبته مقبولة ، ولهذا قال تعالى (فأولئك يوجب الله عليهم وكان الله حليماً حكيماً) . فلما تم وقع الإياس من الحياة وطاين الملك وحشرت الروح في الحلق وهاج بها الصدر ، وبغت الحلقوم وغرقت النفس صاعدة في الفكأصم (٣) للالوية مقبلة حيث ولات حبب مناص ، ولهذا قال : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) . وهذا كما قال تعالى (فكذبوا وأياسوا قالوا آتينا بالله وحده) الآيتين ، وكما حكم تعالى بعدم توبة أهل الأرض إذا حابوا لقسمي طالعة من مغربها كما قال : (يوم يأتي بعض قبوت ربك لا يضيئ قسماً إيمانها لم تكن آمنت من قبل . لو كسبتنني في إيمانها هرباً) الآية ، وقوله : (ولا الذين يموتون وهم كفار) يعني أن الكافر إذا مات على كفره وفكره لا يفسد الله ولا توبته (٤) ، ولا يقبل منه توبة ولو عمل الأرض .

قال ابن عباس ، وأبو العلاء ، والريبع بن أنس : (ولا الذين يموتون وهم كفار) قالوا : قوله في أهل الكفر . وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن خالد ، حدثنا عبد الرحمن (٥) بن ثابت بن لحيان قال : حدثني أبي ، عن مكحول (٦) عن حمز بن عمار [عن أسامة (٧) بن سلمان] أن أبا هريرة حدثهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يهلل جوده جوده - أو يهنر ليله - ما لم يقع الحجاب . قيل : وما وقع الحجاب ؟ قال : [أن (٨) يخرج النفس وهي مشركة » . ولهذا قال : (أولئك أعطوا لهم حداً أليماً) ، أي : موجعاً شديداً مقبلاً .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْ تَرَوْا الْقِسَاءَ رُحْمًا وَلَا تَفْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ وَفَتْحَةٌ مَيْمَنَةٌ وَمَا يُرْوَاهُ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ فَصَحَّ أَنْ تَكُونُوا شُعْبًا وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۖ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِطَاعًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا تَأْخُذُوا بِهِنَّ وَإِنْ أَتَيْتُمْ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيُطْلَقْ ۖ وَلَا تَسِيحُوا مَا بَيْنَكُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مِنَ الْقِسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۝

قال البخاري : حدثنا محمد بن مقاتل ، حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا الشيباني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس

(١) سنة أسد : ٢١/٢١ .

(٢) سنة أسد : ٢٩/٢٢ .

(٣) الفكأصم : جمع فأكص ، وهي اللحم بين الرأس والرقبة .

(٤) يعني لا تقبله توبته من الموت .

(٥) في الخطوط : عبد الرحمن أن ثابت . وهو خطأ .

(٦) في السنة : ١٧٤/٢ من مكحول بن أبي نعيم . وهو خطأ . وفي ميزان الإختلاف ٢٢٨/٢ : « حمز بن عمار » . حدثته

مكحول ، لا يابى من حمز . وفي نفس الصفحة من للسنة رواية أخرى على السواء .

(٧) من السنة .

— قال الغياثي : وذكره أبو الحسن السوكي ، ولأنه ذكره إلا عن ابن عباس — : (يا أيها الذين آمنوا لا يصل لكم أن تروا النساء كثرها) . قال : كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أئق بأمراته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاءوا لم تزوجوها [وإن شاءوا لم يزوجوها] فهم أئق بها من أهلها ، فتركه هذه الآية في ذلك :

مكلا رواه البخاري (١) وأبو داود ، والنسائي ، وابن مردويه ، وابن أبي حاتم ، مع حديث أبي اسحاق الشيباني — واسمه سليمان بن أبي سليمان — من عكرمة ، وعن أبي الحسن السوكي واسمه عطاء ، كوفي أصبى ، كلاما عن أبي حسان بن علي :

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن محمد بن ثابت المزني ، حدثني علي بن حسين ، عن أبيه ، عن يزيد النخعي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : (لا يصل لكم أن تروا النساء كثرها ولا تمشواهن فتلعبوا بهن ما يحبون إلا أن يأتين بخاصة ميتة) . وذلك أن الرجل كان يرث امرأة من قريته ، فيتمسكها حتى تموت أو تتركه إليه صداها ، فأحكم الله تعالى من ذلك ، أي لم يبق من ذلك (٢) .

فرد به أبو داود ، وقد رواه غير واحد عن ابن عباس بنحو ذلك ، قاله وكيع عن صفوان ، عن علي بن زيد ، عن ميسم ، عن ابن عباس : كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي عنها زوجها فجاء رجل فأتى عليها لوطاً ، كان أئق بها ، فترك : (يا أيها الذين آمنوا لا يصل لكم أن تروا النساء كثرها) (٣) .

وروي عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا يصل لكم أن تروا النساء كثرها) : قال : كان الرجل إذا مات وترك جارية ، أتى عليها حميمه لوطه ، فلعبها مع الناس : لأن كانت جميلة تزوجها ، وإن كانت دمية حبسها حتى تموت فيرتها (٤) .

وروي الولقي عنه : كان الرجل من أهل المدينة إذا مات حميم أحدم أتى لوطه من امرأته ، فوطئ نكاحها ولم ينكحها أحد غيره وحبسها [عنده] حتى تغتسل منه بغلبة . فأثرت الله : (يا أيها الذين آمنوا لا يصل لكم أن تروا النساء كثرها) .

وقال زيد بن أسلم في الآية : كان أهل يربب إذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورثت امرأته من يرث ماله ، وكان يمسكها حتى يرثها ، أو يزوجها من أراد ، وكان أهل تهامة يسمي الرجل صبية المرأة حتى يطلقها ، ويشرط عليها أن لا تنكح إلا من أراد حتى تغتسل منه يعض ما أصطاعا ، فنبى الله المؤمنين من ذلك : رواه ابن أبي حاتم .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا موسى بن إسحاق ، حدثنا علي بن المنذر : حدثنا محمد بن كاسم ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن أبيه قال : لا توفرو

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير : ٥/٦٠ . وأبو داود ، كتاب النكاح ، الحديث رقم ٢٠٩٨ ، ٢٢٤٦ ، ٢٢١٠ .

(٢) أبو داود ، كتاب النكاح ، الحديث رقم ٢٠٩٠ ، ٢٢١٢ .

(٣) تفسير البخاري : ١٠٨/٨ .

(٤) المصدر السابق : ١٠٩/٨ .

أبو تيس بن الأسلم أراد ابنة أن يزوجه امرأته ، وكان لم ذلك في الجاهلية ، فأقول الله : (لا يحل لكم أن تزوها أنفسكم) .

ورواه ابن جرير (١) من حديث محمد بن فضيل - به - ثم روى من طريق ابن جرير قال : أنبأني عن أبي عطاء أن أهل الجاهلية كانوا إذا ملك الرجل وترك امرأة حبسها أهلها على الصبي يكون لهم ، فزلت : (لا يحل لكم أن تزوها أنفسكم) .

قال ابن جرير : وقال جاهد : كان الرجل إذا تزوج كان ابنة لحن يأمراه ينكحها ، إن شاء ، وإلا لم يكن ابنها ، أو ينكحها من شاء إن شاء أو ابن لحنه .

قال ابن جرير : وقال حكيم : زلت في كَيْتَيْشَة بنت ممن بن عاصم بن الأوس توفى عنها أبو تيس بن الأسلم ، فسكن عليها ابنه ، فجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، لا أنا ورثت زوجي ، ولا أنا تركت فأنكح :: فزلت هذه الآية (٢) .

وقال السدي عن أبي مالك : كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها ، جاء وليه فأتى عليها فوطأ . فإن كان له ابن صغير أو لم يحسبها حتى يشب أو تموت غيرها ، فإن هي اغتسلت فأثت أهلها ولم يأت عليها فوطأ بها ، فأقول الله : (لا يحل لكم أن تزوها أنفسكم) .

وقال جاهد في الآية : كان الرجل يكون في حجره البتية هو يلى أمرها فيحبسها رجاء أن تموت امرأته ، فيزوجها أو يزوجه ابنة . رواه ابن أبي حاتم . ثم قال : وروى عن الشعبي ، وعطاء بن أبي رباح ، وأبي جابر ، والفساح ، والزهري ، وعطاء الزهراني ، ومقاتل بن حنبل - نحو ذلك .

قلت : والآية تم ما كان يفعله أهل الجاهلية وما ذكره جاهد ومن وافقه . وكل ما كان فيه نوع من ذلك ، والله أعلم . وقوله : (ولا تغفلون لغيرهم ما آتيتهم) ، أي : لا تغفلون في البشارة لفركك ما أصابها أو بعضه أو حقاً من حقوقها عليك ، أو شيئاً من ذلك على وجه القهر لما والاضطهاد .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (ولا تغفلون) . يقول : ولا تقهرهم (لغيرهم) يعني ما آتيتهم) ، يعني الرجل تكون له امرأة وهو كاره لصحبها ، ولها عليه مهر فيفسد ما آتيتهم (٣) .

وكذا قال الفساح ، وقطادة . وانظره ابن جرير .

وقال ابن المبارك وعبد الرزاق (٤) : أنبأنا ميمون قال : أنبأني سمك بن الفضل ، عن ابن أبي شيبة قال : زلت ما كان الآباء إحصاءاً في أمر الجاهلية ، والآخرى في أمر الإسلام . قال عبد الله بن المبارك ، يعني قوله : (لا يحل لكم أن تزوها أنفسكم) في الجاهلية (ولا تغفلون) في الإسلام .

(١) تاريخ الطبري : ١٠٥/٨ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٦/٨ .

(٣) المصدر السابق : ١١١/٨ .

وقوله : (إِنْ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِخَافِقَةٍ مَيْتَةٍ) : قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والفسح ، والحسن البصري ، وعبد بن سيرين ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وحفصه الثوري ، والفسح ، وأبو قلابة ، وأبو صالح ، والسدي ، وزيد بن أسلم ، وسعيد بن أبي حنيفة : يعني بذلك القوا . يعني إذا زلت لك أن تسترجع منها الصلابة التي أحياها وتضاجعها حتى تتركه لك وتعالها ، كما قال تعالى في سورة البقرة : (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مَا آتَيْتُمُوهُمْ فَتُمْصِتُوا) : الآية .

وقال ابن عباس ، وعكرمة ، والفسح : الخافقة الميتة : الطير والحيوان .

واختار ابن جرير أنه يسم ذلك كله : القوا ، والحيوان ، والطيور ، ويكنى الإنسان ، وغير ذلك (١) .

يعني أن هذا كله يُسَمَّى مضاجعاً حتى تُتركه من حيا أو يمشيه ويأخذه ، وهذا جيد ، والله أعلم ، ولقد علمنا رواد أبو داود مرفوعاً به من طريق يزيد الحموي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : (لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مَا آتَيْتُمُوهُمْ) : فليسوا يمشونه ليطهروا يمشي ما آتاهم من حيا أو يمشيه ويأخذه ، فذلك أن الرجل كان يمشي امرأته حتى يتركها ، فيمشيها حتى تموت أو ترد إليه صلتها ، فحكم الله عن ذلك ، أي من غير ذلك .

قال عكرمة والحسن البصري : وهذا يقتضي أن يكون السياق كله كان في أمر الجماعية ، ولكن ليس الملبوس من قبله في الإسلام .

قال عبد الرحمن بن زيد : كان السمل في قريش بمكة يتكبح الرجلُ للمرأة الشريفة لطلبها لا لوفقه ، فيطلبها حل أن لا تُزَوَّجَ إلا بأفقه ، فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد ، فإذا خطبها لخطيب فإن أصحبه ولو فيه أن لا ولا خطبها . قال : فهذا قوله : (وَلَا تَضْلُوهُنَّ لَمَحْوِرَاتٍ يَمْشِي مَا آتَيْتُمُوهُنَّ) : الآية (٢) .

وقال مجاهد في قوله : (وَلَا تَضْلُوهُنَّ لَمَحْوِرَاتٍ يَمْشِي مَا آتَيْتُمُوهُنَّ) : هو كالسمل في سورة البقرة (٣) .

وقوله : (وَحَاشَرُوهُمْ بِالْمُغْرَفِ) . أي : طَيَّبُوا أَمْرَكُمْ لِمَنْ وَحَسَّنُوا أَمْرَكُمْ وميثاقكم بحسب قدركم ، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله ، كما قال تعالى : (وَلَمْ يَمْلِكْ أَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْكُمْ بِمُغْرَفٍ) : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غيركم غيركم لأهل » (٤) . وكان من اعتلله صلى الله عليه وسلم أنه جعل كعشرة دأب البشر ، يناديهم الله ، ويخطف بهم ويوسمهم نقتة ، وبضابط لسانه ، حتى إنه كان يسابق حافضة أم المؤمنين يعود إليها بذلك . قالت : سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ، وذلك قبل أن أحمل اللحم ، ثم سأته به ما حملت اللحم فسبقني ، قال : وهذا بذلك (٥) . ويجمع نسائه كل ليلة في بيت إلى بيت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) التفسير الكبير : ١١٨/٨ .

(٢) المصدر السابق : ١١٣/٨ .

(٣) المصدر السابق : ١١٣/٨ .

(٤) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، الحديث رقم ٢٥٩٠ : ٢١/٣ ، ٢٢ : ٢٣٦/١ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، الحديث رقم ٢٥٩٠ : ٢١/٣ ، ٢٢ : ٢٣٦/١ .

عليه وسلم ، فيأكل معهن المشاء في بعض الأحيان ، ثم تصرف كل واحدة إلى منزلها ، وكان يتم مع المرأة من لسانه في شعار واحد (١) ينزع عن كفيه الرجل ويتم بالإنزال ، وكان إذا صلى المشاء يدخل منزله يتسخر مع أهله قليلا قبل أن يتم يزأنهم بذلك صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ،

ولأحكام عشرة النساء وما يتعلق بتفصيل ذلك موضعه كتاب الأحكام ، والله الحمد .

وقوله تعالى : (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا) . أي : فعسى أن يكون صبركم مع إيساككم من كراهتهن فيه غير كبير لكم في الدنيا والآخرة . كما قال ابن عباس في هذه الآية : هو أن يحتبط عليهما ، فيزقي منها ولدا ، ويكون في ذلك الولد غير كبير ، وفي الحديث الصحيح : لا يترك مؤمن مؤمنة ، إن سخط منها خلقا رفيضا ، فبها أكرم (٢) .

وقوله : (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيت إحداهن قسطا فلا تأخذوا منه شيئا إلا أعطوه بهن) . وإنما ميثا . أي : إذا أردت أن يشارك امرأة ويستبدل مكانها غيرها ، فلا تأخذن مما كان أصدق الأولى شيئا ولو كان قسطا من مال .

وقد قلنا (٣) في سورة آله مران للكلام على القسط بما فيه كفاية من إجماع علماء .

وفي هذه الآية دلالة على جواز الإزداد بالمال البزيل ، وقد كان حمر بن الخطاب لبي من كثرة الإزداد ، ثم رجع عن ذلك قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا سلمة بن حلقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبت عن أبي المجاهد السلمي قال : سمعت حمر بن الخطاب يقول : ألا لا تأخذوا في صدق النساء ، فأنها لو كانت مكرومة في الدنيا لو تولى عند الله كاف ثولاكم بها لبي صلى الله عليه وسلم ، ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من لسانه ، ولا أصدق امرأة من يده أكثر من اثني عشرة أوقية ، وإن كان الرجل ليطلب بصدقة امرأة حتى يكون لها حذوة في نفسه ، وحتى يقول : كلفئت إليك حكتن القرية (٤) ، ثم واه أحمد وأهل السنن مع طرق ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي المجاهد - واسمه حرم بن مسيب البصري - وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح (٥) .

طريق أخرى عن عمر : قال الملقظ أبو يعل : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن أبي إسحاق ، حدثني محمد بن عبد الرحمن ، عن المجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : ركب عمر بن

(١) القدر : ما يلبس على شعر الجسد .

(٢) سلم : كتاب الرضا : ١٧٨/٤ . ومعه أحد : ٣٢٩/٢ - عن أبي هريرة . ولا يترك : أي لا يهتبعها .

(٣) ينظر : ١٥ / ٢ .

(٤) مرق القرية : حبلها الذي تعلق به . يقول : لقد فصلت لأبيك كل شيء حتى حبل القرية . ويروى : جهشت إليك كما يروى : مرق القرية . والمثنى : إلى فصلتك وسارت إليك وأصبحت لك مرق القرية وهو ملوكا والمحدث يرواه أحد في السنة ٢٠/١ ، ٢١ .

(٥) نسخة الأسدي : كتاب الفتن : ٢٥٦/٤ .

للخطاب منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيا الناس ، ما أكثركم في صدق النساء : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وإنما الصدقات فيها بينهم أربعة أجزاء درهم فما دون ذلك .. ولو كان الأكثر في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقهم إليها . فلا أمرتكم ما زاد رجل في صدقات امرأته على أربعة أجزاء درهم : قال : ثم نزل ، فاعتز به امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين ، تهتبت للناس أن يزبدوا النساء صدقاتهم على أربعة أجزاء درهم ؟ قال : نعم ، فقالت : أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال : ولئى ذلك ؟ فقالت : أما سمعت الله يقول : (وآتيتهم إحداهن قنطاراً) الآية . قال : قال : اللهم غفراً ، كل الناس ألقه من عمر . ثم رجع فركب للبر فقال : إني كنت نبيكم أن تريدوا النساء في صدقاتهن على أربعة أجزاء درهم ، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب^(١) قال أبو يعلى : [وأظنه] قال : فمن طابت نفسه ليعطى .

إسناده جيد قوى .

طريق أخرى : قال ابن المنذر : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن قيس بن ربيع ، عن أبي حصيب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : قال عمر بن الخطاب : لا تقالوا في مهر النساء : فقالت امرأة : ليس ذلك لك يا عمر ، إن الله تعالى يقول : (وآتيتهم إحداهن قنطاراً من ذهب) : قال : وكل ذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود (فلا يعمل لكم أن تأخذوا منه شيئاً) فقال عمر : إن امرأة خاصمت عمر فتمتعت به .

طريق أخرى عن عمر فيها إقطاع : قال الزبير بن بكار : حدثني عن مصعب بن عبد الله ، عن جدي قال : قال عمر بن الخطاب : لا تريدوا في مهر النساء ، وإن كانت بنت ذى الفؤاد - يعني يزيد بن الحبش الحارثي^(٢) - فن زكأت أقيمت فريضة في بيت المال . فقالت امرأة من صفة النساء طويلة ، في أنها فطس : ما ذلك لك ؟ قال : ولم ؟ قالت : لأن الله قال : (وآتيتهم إحداهن قنطاراً) الآية : فقال عمر : امرأة أصابت ورجل أضل .

وهذا قال منكراً : (وكيف تأخذوا به وقد افضى بفسكم إلى بعض) : أى : وكيف تأخذوا بالصدق من المرأة وقد أفضيت إليها وأفضت إليك .

قال ابن عباس ، وعجماء ، والسدي ، وشير واحد : يعنى بملك الجماع .

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمتأخرين بعد فراغهما من لائحتهما : الله يعلم أن أحدكما كاذب . فهل منكما تائب . ثلاثاً ، فقال الرجل : يا رسول الله ، مالى .. يعنى ما أصغلتها ، قال : لا مال لك . إن كنت صدقت [عليها] فهو بما استحللت من فرجها . وإن كنت كذبت عليها فهو أبعد لك منها^(٣) .

وفي سنن أبي داود وغيره عن بصرة بن أكثم^(٤) أنه تزوج امرأة بكراً في خطبتها فأذا هي حامل من امرأة أخرى ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له : ففتن لها بالصدق وقرق بينهما ، وأمر بجلدها ، وقال : الولد عبد لك .

(١) الأثر في المهر للخطوب : ١٣٢/٢ .

(٢) كذا ، وهو في أسد الغابة ١٧٦/٢ : أنس بن نزيه بن قهاد . وكان يقال له ذو النصة لنبهة كانت يجلبه ، وكان كذبه لا يمين بها ، وقد وصفه حل اللبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) البخارى ، كتاب الطلاق : ٦٩/٧ ، ٧١ ، وسلم ، كتاب الممان : ٢٠٧/٤ .

(٤) مكانة في الخطوب : مسندة بن أبي بصيرة . ولانتهت عن سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، والإسباة ١٦٥/١ .

فالمصدق في مقابلة البضع ، ولما قال تعالى : (وكيف تأخضوا وقد ألقى بكم قبلاً) .

وقوله : (وأعلن منكم ميتاً غليظاً) روى عن ابن عباس وعجم ، وصمد بن جبر : أن المراد بذلك القدر .
وقال صفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ابن عباس في قوله : (وأعلن منكم ميتاً) قال : قوله :
إسلك معروف أو تسريح [بإحسان] .

قال ابن أبي حاتم : وروى عن حكيم ، وعجم ، وأبي المالية ، والحسن ، وكثادة ، ويحيى بن أبي كثير ، والفضالة
والسدي - نحوه .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس في الآية : هو قوله : أأخذعون بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن
بكلمة الله . فان كلمة الله هي الشهد في الخطبة : قال : وكان لما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به
قال له : جعلت أمك لا تجوز لم خطبة حتى يشهدوا أنك حلي ورسول .

رواه ابن أبي حاتم : وفي صحيح مسلم ، عن جابر في خطبة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيها :
« وصنعوا بأمانه ، فأنكم أخذعون بأمان [الله] واستحللتم فروجهن بكلمة الله (١) » ،

وقوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) الآية : يحترم تعالى زوجات الآباء لكرمة لهم ، وإحساناً
وأخيراً أن قولاً من هذه ، حتى إنها تنحرم على الابن بمجرد العقد عليها ، وهذا أمر جامع عليه .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا قيس بن الربيع عن أنس بن سؤد ، عن
حلي بن ثابت ، عن رجل من الأنصار قال : يا نبي الله صلى الله عليه وسلم - يعني ابن الأسلم - وكان من صلحي الأنصار ، فخطب
إني قيس أسير ، قالت : إنما أهلك ولداً وأنت من صلحي قومك ولكن آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره
فأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أبا قيس توفي : فقال : غيراً : ثم قالت : إن ابنة قيساً خطيبي وهو
من صلحي قومه : وإنما كنت أملك ولداً ، فأقري ؟ فقال لها : أقرجي إلى بيتك : قال : فزلت عنه الآية (ولا تنكحوا
ما نكح آباؤكم من النساء) الآية .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا حسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن حكيم في قوله :
(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف) . قال : قلت في أبي قيس بن الأسلم ، خلف على أم
عبد الله بنت صخر (٢) ، وكانت تحت الأسلم أبيه - وفي الأسود بن خثعم وكان خلف على ابنة أبي طلحة بن
عبد المطلب بن عبد الله بن عبد المطلب ، وكانت تحت أبيه خلف - وفي طلحة ابنة الأسود بن المطلب بن أسد كانت تحت
أمية بن خلف ، فخلف عليها صفوان بن أمية .

(١) مسلم : كتاب الحج : ٤١/٤ .

(٢) في المتن : أم عبد صخرة . ينظر أمه الثانية ، ما ترجمه : ٦٠١/٥ وتفسير الطبري : ١٣٢/٨ .

وقد زعم السبيل أن نكاح نساء الآباء كان معمولاً به في الجاهلية ، ولعلنا قال : (لإمامنا سلف) : كما قال : (وأن نجسوا بن الأخنبن إلا ما قد سلف) . قال : وقد فعل ذلك كنانة بن خزيمة ، تزوج بامرأة أبيه ، فأولعها به النضرين كنانة قال : وقد قال صلى الله عليه وسلم : ولدت من نكاح لا من سفاح : قال : ففعل على أنه كان سابقاً لهم ذلك فإن أراد أن ذلك كان عتقهم بملونه نكاحاً فما بينهم ، فقد قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله الهجري ، حدثنا قُرَباد ، حدثنا ابن حبيبة عن عمرو ، عن حكمة ، عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يُحترمون ما حرم الله ، إلا امرأة الأب والجمع بين الأخنبن ، فأئزول الله : (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) (وأن نجسوا بن الأخنبن) وهكذا قال صطاء وقفاة . ولكن فيما نقله السبيل من قصة كنانة نثر ، والله أعلم ، وحل كل تقدير فهو حرام في هذه الأمة ، مُبْتَدِعُ غَايَةِ التَّبَعِ ، ولعلنا قال : (إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سيلاً) . ولعلنا قال : (ولا تقربوا القراش) ما ظهر منها وما بطن) . وقال : (ولا تقربوا القراش لأنه كان فاحشة وساء سيلاً) : قراذ هامة : (ومقتاً) : أي : بفساً ، أي هو أمر كبير في نفسه ، ويؤدى إلى مقت الآين أباه بعد أن يتزوج بامرأته ، فإن الطالب أن من تزوج بامرأة يفيض من كان زوجها قبله ، ولعلنا حرمت أمهات المؤمنين على الأمة لأنهن أمهات ، لكنهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو كالأب ، بل حقه أعظم من حق الآباء بالإجماع ، بل حبه مقدم على حبه النفوس صلوات الله وسلامه عليه . وقال عطاء بن أبي رباح في قوله : (ومقتاً) أي : عجت الله عليه (وساء سيلاً) أي : وبس طريقاً لمن سلكه الناس ، فإن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه ، فيقتل ، ويصير ماله فيئاً لبيت المال ، كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن ، من طريق ، عن البراء بن عازب ، عن عائله أبي بردة - وفي رواية : ابن عمر - وفي رواية : عن حماد بن عمار ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده أن يقطعه ويأخذ ماله ، وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا أشعث ، عن عيسى بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : سرق حمي الحارث بن عَصْرٍ (١) ، ومعه لواء قد قنعه له النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له : أي حم ، أي يخطئه الله ؟ قال : يعني إلى رجل تزوج امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه .

مسألة

وقد أجمع العلماء على تحريم من وطئها الأب يتزوج أوملته أو بشبهة أيضاً ، واعتصموا جميعاً بأثرها بشبهة دونه الجماع ، أنظر إلى ما لا يصلح له النظر إليه منها لو كانت أجنبية : فمن الإمام أحمد رحمه الله أنها تحرم أيضاً بذلك ، وقد روى ابن حساكر في ترجمة خبيص الحصني مولى معاوية [قال] : اشترى لمعاوية جارية يشفاه جميلة ، فأدخلها عليه مجردة وببده قضيب ، فبسل يجرى به إلى متاعها ويقول : هذا للماع لو كان له متاع ! انصحب بها إلى يزيد بن معاوية . ثم قال : لا ، ادع لي ربيعة بن عمرو الجرمي - وكان قتيلاً فلما دخل عليه قال : إن هذه أنبت بها مجردة ، فأرأيت منها ذلك وذلك ، ولأن أردت أن أبشع بها إلى يزيد . فقال : لا تصل يا أمير المؤمنين ، فانها لا تصلح له . ثم قال : ليضم ما رأيت . ثم قال : ادع لي عبد الله بن مسعدة القناري : فذكرته ، وكان أعم شليل الأمة ، فقال : هؤلاء هذه ، يمتسح بها وذلك : قال : وكان عبد الله بن مسعدة هذا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته فاطمة فرأته ثم أعتقه ، ثم كان بعد ذلك مع معاوية من الناس حل حل ، رضي الله عنه .

(١) في المغيرة : حم . - ينظر منه أحد : ٧٩٧/٤ . ولقد انبأ : ٥٠٦/١ . مصنفنا .

حَرَّمَ عَلَيْكَ أُمَّهُكَ وَابْنَتَكَ وَأَخُوكَ وَعَشْرَتُكَ وَحَظَّتْكَ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهُنَّ
الَّتِي أُرْسِعَتْكَ وَأَخَوَاتُكَ مِنَ الرِّسْعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَائِكَ وَوَبَنَاتُكَ الَّتِي فِي حُرْمٍ مِمَّنْ نِسَائِكَ الَّتِي
دَخَلْتُمْ بَيْنَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ وَحَلِيلُ آبَائِكَ الَّذِينَ مِنْ أَسْلَابِكَ وَأَنْ يَجْمَعُوا بَيْنَ
الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِذَا لَكُمْ مَوَارَاةُ ذَكَرْنَا أَنْ يَتَنَفَّسُوا بِأَمْوَالِكُمْ مَحْصِنِينَ هِيَ مَحْصِنَةٌ لَهَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ
فَعَاثَرُوهُنَّ الْبُحْرَيْنِ فَرِيضَةٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيَا تَزَوَّجْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنْ كَانَ طَلِيقًا حَكِيمًا ﴿٦﴾

هذه الآية الكريمة، هي آية تحريم الحرام من النسب، وما يتبعه من الرضاخ والحرام بالصهر، كما قال ابن أبي حاتم :
حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان بن حبيب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن
حساس قال : حُرِّمَتْ عليكم سبع نساء ، وسبع صهرا ، وقرأ : (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) الآية .
وحدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن
عُثْمَانَ مَوْلَى ابْنِ حَاسٍ ، عن ابن حَسَّاسٍ قَالَ : يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ، ثم قرأ : (حرمت عليكم
أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وأخوانكم ومحظاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) فهذه النسب .

وقد استدل جمهور العلماء على تحريم المخلوقة من ماء الزنا عليه بعموم قوله تعالى : (وبناكم) فأنها بنت فتدخل
في العموم ، كما هو ملحق ابن حنيفة ، ومالك ، وأحمد بن حنبل . وقد حكى عن الشافعي شيء في إباحتها ، لأنها
ليست بنتا شرعية ، فكما لم تدخل في قوله تعالى : (يوصيكم الله في أولادكم) فأنها لا تراث بالإجماع ، فكذلك
لا تدخل في هذه الآية ، والله أعلم .

وقوله : (وأخوانكم الذين أُرْسِعْتُمْ وأخواتكم من الرضاخ) أي كما يحرم عليكم أمك التي ولدتك ، كذلك يحرم
عليك أمك التي أُرْسِعْتُمْ ، ولهذا روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث مالك بن أنس ، عن عبد الله بن أبي
بكر بن عبد بن عمرو ، عن عسرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « إِنْ الرِّضَاعَ تَحَرَّمَ مَا تَحَرَّمَ الْوِلَادَةُ » (١) . وفي لفظ مسلم : ويحرم من الرضاخ ما يحرم من النسب ،

وقد قال بعض الفقهاء : كما يحرم بالنسب يحرم بالرضاخ إلا في أربع صور . وقال بعضهم : ست صور ، هي
مذكورة في كتب القروع ، والتحقيق أنه لا يستثنى شيء من ذلك ، لأنه يوجد مثل بعضها في النسب ، وبعضها إنما يحرم
من جهة الصهر ، فلا يرد على الحديث شيء أصلا البتة ، والله الحمد .

ثم اعلموا الأئمة في حدة الرضاخ المحرمة ، فلهذه ظاهرون إلى أنه يحرم مجرد الرضاخ لعموم هذه الآية . وهذا
قوله مالك ، ويمكن من ابن عمر ، وإليه ذهب سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والزهري .

(١) البخاري ، كتاب الرضاخ : ١٧/٧ ، ١٣ ، ومسلم ، كتاب الرضاخ : ١٦٧/٤ .

وقال آخرون : لا يحرم أقل من ثلاث رضعات ، ثبت في صحيح مسلم ، عن طريق هشام بن عروة (١) عن أبيه ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحترم المصّة والمصتان » :

وقال قتادة : عن أبي الخليل ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أم الفضل قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحرم الرضعتان ولا المصتان » وفي نسخة أخرى : « لا يحرم الإملجة ولا الاملاجان » (٢) ، رواه مسلم .

وعن ذهب إلى هذا القول الإمام أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو يعيد ، وأبو ثور ، ويحيى عن علي ، وعائشة ، وأم الفضل ، وابن الزبير ، وسليمان بن يسار ، وسعيد بن جبير ، وحدهم الله :

وقال آخرون : لا يحرم أقل من خمس رضعات ، لا يثبت في صحيح مسلم عن طريق مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن حمزة (٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت [كان] في أولك من التركاة عشر رضعات مطومات يحرمن ، ثم نسخن بغير مطومات ، فوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعني فيما قرأ من التركاة .

وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة — نحو ذلك .

وفي حديث سهل بنت سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نرضع سائلا مولد أبي حنيفة خمس رضعات (٤) وكانت عائشة تأمر من يريد أن يدخل عليها أن يرضع خمس رضعات . وبهذا قال القاضي رحمه الله وأصحابه ، ثم لم يلزم أنه لابد أن تكون الرضاعة في سن الصغير هذه الخواص على قول الجمهور . وكذا قلنا الكلام على هذه المسألة في سورة البقرة ، عند قوله : (يرضعن أولادهن حولن كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (٥) .

واختلفوا : هل يحرم لبن الفحل ، كما هو قول جمهور الأئمة الأربعة وغيرهم ؟ وإنما يخص الرضاع بالأم فقط ؟ ولا يمتد إلى ناضية الأب كما هو لبعض السلف ؟ على قولين ، نحرر هذا كله في كتاب « الأحكام الكبرى » :

وقوله : (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن) فان لم تكونوا دخلن بهن فلا جناح عليكم . أما أم المرأة فانها محرمة بمجرد العقد على ابنتها ، سواء دخل بها أو لم يدخل . وأما الزوجة وهي بنت المرأة فلا تحرم بمجرد العقد على أمها حتى يدخل بها ، فان طلق الأم قبل الدخول بها جاز له أن يتزوج بنتها ، ولهذا قال : (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن) ، فان لم تكونوا بهن فلا جناح عليكم في تزويجهن ، فهذا خاص بالربائب وحدهن :

(١) كذا ، والذي في صحيح مسلم : ١١٦/٤ من طريق عبد الله بن الزبير عن عائشة ، عبد الله بن الحارث عن أم الفضل . ١١٧/٤ .

(٢) مسلم ، كتاب الرضاع : ١٦٧/٤ . هذا وللمص والمصتان . أما الإملجة والإرضاع فهو مثل للرضع ، والإملجة والإرضاع للمرة .

(٣) في المتن : عن عروة . ينظر مسلم ، كتاب الرضاع : ١١٧/٤ .

(٤) سنن أحمد : ٣٠١/٦ ، ٣٥٦ .

(٥) ينظر : ٤١٦/١ .

وقد فهم بعضهم حود النسيء إلى الأسماء الربانية فقال : لا تحرم واحدة من الأم ولا البنت بمجرد العقد على الأخرى حتى يدخل بها ، قوله : (فإن لم تكونوا عظم بين فلا جناح عليكم) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن يثار ، حدثنا ابن أبي حنيفة وعبد الأمل ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن خلاص بن حسن ، عن علي بن رضى الله عنه ، قال : رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها ، أتزوج أمها ؟ قال : هي بمنزلة الزينة .

وحدثنا ابن يثار ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن زيد بن ثابت قال : إذا طلق الرجل امرأة قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوج أمها .

وفي رواية عن قتادة ، عن سعيد ، عن زيد بن ثابت أنه كان يقول : إذا ماتت جده وأبوك (١) ميراثا كره أن يتكف على أمها ، فإذا طلقها قبل أن يدخل بها كان طلاقه .

وقال ابن المنذر : حدثنا إسحاق ، عن عبد الرزاق ، عن ابن جريج قال : أنصرت أبو بكر بن خلص ، عن مسلم ابن حبيب الأجدع أن بكر بن كنانة أنصره أن أباه أنكحه امرأة بالطائف قال : فلم أجابها حتى توفى حسنى عن أمها ، وأمها خلت مال كثير ، فقال ابن : هل لثقت أمها ؟ قال : نسأت ابن عباس وأنصرت له خبر ؟ قال : أنكح أمها . قال : نسأت ابن عمر قال : لا تنكحها : فأنصرت ابن مالك ابن عباس وما قال ابن عمر ، فكذب إلى معاوية وأنصرت في كتابه ما قال ابن عمر وابن عباس فكذب معاوية : إن لا لأهل ما حرّم الله ، ولا لأحرّم ما لأهل . وأنت وذلك وأنصاه سواها كثير ، فلم يره ولم يأنذنى ، فانصرفت ابن عن أمها فلم ينكحها .

وقال عبد الرزاق : أنصرتا مسير ، عن مالك بن الفضل ، عن رجل ، عن عبد الله بن الزبير قال : الزينة والأهواء لا بأس بها إذا لم يدخل بالمرأة .
وفي إسناده رجل منهم لم يسم .

وقال ابن جريج : أنصرت حكمة بن عاصم (٢) أن يجامعاً قال له : (وأسماء نساكم وربكم اللاتي في حجوركم) لو ادجما الفحوق جميعاً ، فهذا القول مروى كما ترى عن علي ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وجامع وابن جبير وابن عباس ، وقد توفقت فيه معاوية ، ولعبت إليه من الشامية أبو الحسن أحمد بن محمد بن الصائغى ، فما قلته الرافعى عن القاهسى .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر بن محمد بن هارون بن حنّارة (٣) ، حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن حكمة ، عن ابن عباس : أنه كان يقول إذا طلق الرجل امرأة قبل أن يدخل بها أو ماتت لم يحل له أمها ، أنه قال : إنها مبهمة ، ذكرها .

(١) في النسخة : لثقت . ولكتبت عن تفسير الطبري : ١٤٥/٨ .

(٢) في النسخة : بن علي . وهو خطأ . ويظهر تفسير الطبري : ١٤٥/٨ .

(٣) في النسخة : حمدا . ولكتبت عن إخراج : ٨٨٨/١/١ .

ثم قال : وروى عن ابن مسعود ، وعمران بن حصين ، وصعق ، وطائس ، وحكمة ، وصطاء ، والحسين ، ومكحول وابن سيرين ، وقادة ، والزهري - نحو ذلك وهذا ملحق بالأئمة الأربعة والقهاء السبعة ، وجمهور الفقهاء قديماً وحديثاً وقد الحمد ولله .

قال ابن جرير^(١) والصبواب : أني قول من قال : « الأم من المبهعات » ، لأن الله لم يشترط مبهون النكول كما شرط ذلك مع أمهات الرقاب ، مع أن ذلك أيضاً إجماع من الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به مشقة عليه ، وقد روى بذلك أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر خبر أن في إسناده نظراً ، وهو ما حدثني به للنبي ، حدثنا جابر بن موسى ، حدثنا ابن المبارك ، أنبأنا الملقى^(٢) بن الصباح ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا نكح الرجل المرأة فلا يخل له أن يتزوج أمها . دخل باليت لولم يدخل ، وإذا تزوج الأم فلم يدخل بها لم يطلقها ، فإن شاء تزوج الإبه .

ثم قال : وهذا الخبر ، وإن كان في إسناده ما فيه ، فإن في إجماع الحجة على صحة القول به مستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره .

وأما قوله : (وربكم إلا في جواركم) : فجمهور الأئمة على أن الآية حرام سواء كانت في حجر الرجل لولم تكن في حجره ، قالوا : وهذا الخطاب خرج [مخرج] النال ، فلا مفهوم له [كقوله تعالى] : (ولا تكرر هو أفعالكم على البلاد إن أردت خصماً) .

وفي الصحيحين أن أم حبيبة قالت : يا رسول الله انكح أني بنت أبي سفيان - وفي لغة مسلم : عزة بنت أبي سفيان - قال : لو تخين ذلك ؟ قالت : نعم ، لتست لك بمسكنية ، ولتحب من شاركني في غير أني : قال : فإن ذلك لا يخل لي . قالت : فانا نكحتك أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة . قال : بنت أم سلمة ؟ قالت : نعم قال : إنها لولم تكن ربي في حجرى مسكنة لي ، إنها لبت أني من الرضاة ، لو ضحني وأسلمة ثوبية فلا تخرجن عليّ بئانكن ولا تخرجن^(٣) . وفي رواية البخاري : « إن لولم أتزوج أم سلمة ما حل لي » .

فجعل للشاط في التحريم مجرد تزوجه أم سلمة وحكم بالتحريم لذلك ، وهذا هو ملحق الأئمة الأربعة والقهاء السبعة وجمهور الفقهاء والمفسرين . وقد قيل بأنه لا يحرم الربية إلا إذا كانت في حجر الرجل ، فإما لم تكن كذلك فلا يحرم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أنبأنا هشام - يعني ابن يوسف - عن ابن جريج : حدثني إبراهيم بن حديد بن ربيعة ، أنبأني مالك بن أنس بن الحفان قال : كانت عدي امرأة فوفيت ، وقد ولدته لي ، فوجدت عليها ، فظنني حل لي أني طالب قال : مالك ؟ قلت : وفيت للمرأة . قال حل : لما أبه ؟ قلت : نعم ، وهي بالطلاق . قال : كانت في حجرى ؟ قلت : لا ، هي بالطلاق قال : فأنكحها . قلت : فأين قول الله : (وربكم إلا في جواركم) قال : إنها لم تكن في حجرى ، إنما ذلك إذا كانت في حجرى .

(١) في القطر : ابن جريج . ينظر تفسير الطبري .

(٢) في القطر : ابن النجاشي . ينظر تفسير الطبري : ١٤٦/٨ .

(٣) في القطر : كتاب النكاح : ١٤٧/١٠ . وكتاب الطهارة : ٨٧/٧ . ومسلم وكتاب الرضاة : ١٢٥/٤ و ١٢٦ .

هذا إسناده قوي ثبت إلى علي بن أبي طالب ، عن شرط مسلم ، وهو قوله خريب جلدًا ، وإلى هذا ذهب داود بن علي الظاهري وأصحابه : وحكا أبو القاسم الرافعي عن مالك رحمه الله : واختاره ابن حزم ، وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله اللخمي أنه مرّسٌ هذا عن الشيخ الإمام أبي الشيخ ابن تيمية رحمه الله فاستشكله ، وتوفت في ذلك ، والله أعلم .
وقال ابن المنذر : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا الأثرم ، عن أبي حنيفة قوله : (لا نكح في حجركم) قال : في بيوتكم .

وأما الربيعة في ملك البين فقد قال الإمام مالك بن أنس ، عن ابن شهاب : أن عمر بن الخطاب سئل عن المرأة وبينها من ملك الجميع نوطاً إسحاشاً بعد الأخرى؟ فقال عمر : ما أحب أن أغبرها جميعاً (١) . يريد أن أطأها جميعاً .
مالك يجيب : وهذا مقطوع .

وقال سنيد بن خلاد في تفسيره : حدثنا أبو الأحوص عن طارق بن عبد الرحمن ، عن قيس قال : قلت لأبي حنيفة : أبيع الرجل حل امرأة وابنتها مملوكيه له ؟ قال : أحتهما آية وحرمتها آية ، ولم أكن لأفعله .

قال الشيخ أبو حنيفة بن عبد البر ، رحمه الله : لا خلاف بين العلماء أنه لا يصل لأحد أن يملك امرأة وابنتها من ملك البين ، لأن الله حرّم ذلك في النكاح ، قال : (وأما ما سألتم وربانيكم اللذان في حجركم من النكاح) وملك الجميع ثم لم ينجس ، إلا ما روي عن عمر وأبي حنيفة ، وليس علي ذلك أحدٌ مع أمة الفتوى ولا مع تهمهم . وروى هشام بن قنادة : بنت الربيعة وبنت ابنتها لاتصلح وإن كانت أسفل بطون كثيرة . وكذا قال قنادة عن أبي العالية .

ومضى قوله تعالى : (اللذان دخلن برحمتك) : أي : لكحرموه . قاله ابن حنيفة وغير واحد .

وقال ابن جرير عن حماد : هو أن يهدى إليه فيكلف ويغسل ويجلس بين رجلها . قلت : أرايت إن فعل ذلك في بيته أهلها ؟ قال : هو سوء ، وحسبه قد حرّم ذلك عليه ابنتها .

وقال ابن جرير (٢) : وفي إجماع الجميع حل أن تحلوة الرجل بأمرائه لا يجرّم ابنتها عليه إذا طلقها قبل منسبها ومباشرتها ، أو قبل الفتر إلى فرجها بشهوة ، ما يندح على أن منى ذلك هو الوصول إليها بالجماع .

وقوله : (وحلال أبنائكم اللذين من أصلا بكم) : أي : وحرمت عليكم زوجات أبنائكم اللذين ولدوا لكم من أصلا بكم ، يهتزم بذلك عن الأمعاء اللذين كانوا يتبنونهم في الجاهلية ، كما قال تعالى : (فلا تقضى زيد منها وطرا زوجانها لكيلا يكونوا على اللزمتين حرج في أزواج آدمياتهم) الآية .

وقال ابن جرير : سألت هشام عن قوله : (وحلال أبنائكم اللذين من أصلا بكم) قال : كنا نحدث ، والله أعلم . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نكح امرأة زيد ، قال للشركون بمكة في ذلك ، فأولاه الله : (وحلال أبنائكم اللذين من أصلا بكم) وقوله : (وما جعل آدمياتكم أبنائكم) . وقوله : (ما كان عهد أبأ أحد من رجالكم) .

(١) للموطأ ، كتاب النكاح ، الحديث رقم ٥٣٨/٢٠٣٣ .

(٢) في المنهاج : ابن جرير . وهو خطأ . ينظر الطهطا : ١٤٨/٨ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد بن أبي بكر القدي ، حدثنا الجرح بن الحارث ، عن الأشعث ، عن الحسن بن محمد أن هؤلاء الآيات مبهمات : (وحلال أبتاكم) (ولهايات نساكم) : ثم قال : وروى عن طلوس وإبراهيم والفرجى ومكحول نحو ذلك .

قلت : معنى مبهمات : أى حامة في المذخور بها وغير المذخور ، فنحرم بمجرد العقد عليها ، وهذا مفتى عليه . فان قيل : فمن أين يحرم امرأة ابنته من الرضاة ، كما هو قول الجمهور ، ومن الناس من يحكي إيجابها وليس من صلبه ؟ فالجواب من قوله صلى الله عليه وسلم : « يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ » ،

وقوله : (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) . : الآية ، أى : وحرم عليكم الجمع بين الأختين معاً في التزويج ، وكذا في ملك اثنين إلا ما كان منكم في جاهليكم قد حضوا من ذلك وحضوا : فدل على أنه لا مشوية فيها يستقبل ولا استثناء فيها سلف ، كما قال : (لا يلقون فيها لولت إلا الولة الأولى) ، فدل على أنهم لا يلقون فيها للولت أبداً . وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة قديماً وحديثاً على أنه يحرم الجمع بين الأختين في النكاح ، ومن أسلم وعنه أختان غير ، فيمسك إحداها ويطلق الأخرى لا محالة : قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لمية عن أبي وهب الجيثاني عن النضر بن عدي عن أبيه قال : سألت وعدي امرأة أن أختان ، فأسرفه النبي صلى الله عليه وسلم أن أطلق إحداها (١) .

ثم روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه ، من حديث ابن لمية : وأخرجه أبو داود (٢) والترمذي أيضاً من حديث يزيد بن أبي حبيب ، كلاهما عن أبي وهب الجيثاني . قال الترمذي : واسمه ديلم بن الهوش ، من الفضل بن فروز الديلمي ، عن أبيه - ب - . وفى لفظ الترمذي : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اختر أيتها شته » . ثم قال الترمذي هذا حديث حسن .

وقد رواه ابن ماجه أيضاً باسناد آخر فقال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي وهب الجيثاني عن أبي غراش الرعيثي قال : قلت لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدي أختان تزوجتها في الجاهلية ، فقال : « إنا رجعت فطلق إحداها » .

قلت : فيحتمل أن أبا غراش هذا هو الفضل بن فروز ، ويحتمل أن يكون غيره ، فيكون أبو وهب قد رواه من اثنين ، عن فروز الديلمي ، والله أعلم .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن يحيى بن محمد بن يحيى ، حدثنا أحمد بن يحيى الخزاز ، حدثنا هيثم بن خارجة ، حدثنا يحيى بن إسحاق ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن رزيق (٣) بن حكيم ، عن كثير بن مرة ، عن الديلمي قال قلت : يا رسول الله ، إن نكحت أثنين ؟ قال : « طلق أهما شته » .

(١) مسند أحمد : ٢٢٢/٤ . وسنن ابن ماجه : كتاب النكاح ، الحديث ١٩٥١ / ١ / ٦٢٧ . ومطبعة الأموي : كتاب النكاح : ٢٧٩/٤ - ٢٨٠ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب النكاح .
(٣) في الأصول : قد بن حكيم . ولم نجد له المصواب ما أثبتناه . انظر تهذيب التهذيب : ٢٧٣/٣ . والبرج : ٥٠٤/٢/١ .

فالتعليق المذكور أولاً هو الضحك بن فيروز النبطي ، قال أبو زرعة النخعي : كان يصحب عبد الملك بن مروان والشافع هو أبو فيروز النبطي ، رضي الله عنه ، وكان من جملة الأمراء باليمن الذين وكّلوا قتل الأسود العنسي المتني له الله .

وأما الجمع بين الأخيخ في ملك اليعرب فحرام أيضاً لسوم الآية ، وقال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو زرعة ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حاد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عبد الله بن أبي حنيفة - أوجه (١) عن ابن مسعود : أنه مثل من الرجل يجمع بين الأخيخ ، فكرهه ، فقال له - يعني السائل : يقول الله عز وجل : (إلا ما ملككم أبائكم) : فقال له ابن مسعود : ويسرك مما ملكك عينك ؛

وعلمنا هو المشهور عن الجمهور والأئمة الأربعة وغيرهم ، وإن كان بعض السلف قد توقف في ذلك ؛ قال الإمام مالك ، عن ابن شهاب ، عن قيسمة بن ذؤيب : أن رجلاً سأل حنبل بن حبان عن الأخيخ في ملك اليعرب ، هل يجمع بينهما ؟ قال حنبل : أحسبها آية وحرمها آية ، وما كنت لأصنع ذلك ، فخرج من عنده فلي رجلاً من أصحاب النبي صل الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال : لو كان لي مع الأمر شيء ثم وجدت أحداً فعل ذلك لجلسته نكالا قال مالك : قال ابن شهاب : لولا علي بن أبي طالب ؛ قال : ويلنفي عن الزبير بن العوام مثل ذلك (٢) .

قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر النخعي رحمه الله في كتابه الاستبصار : إنما كفي قيسمة بن ذؤيب عن علي بن أبي طالب ، لصحبه عبد الملك بن مروان ، وكانوا يستقلون ذكره على بن أبي طالب رضي الله عنه .

ثم قال أبو عمر ، رحمه الله ، حدثني خلف بن أحمد ، رحمه الله ، قراة حليفاً أن خلف بن مطرف حدثهم ، حدثنا أيوب بن سليمان وسعيد بن سليمان وحمد بن عمر بن لياة قالوا : حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا أبو عبد الرحمن لقري ، عن موسى بن أيوب النخعي ، حدثني حماد بن عمار قال : سألت عيسى بن أبي طالب قلت : إن لي أخاً ما ملكك يعني ، اغتلت إحدىهما سرية فولدت لي أولاداً ، ثم وطئت في الأخرى ، فما أصنع ؟ فقال علي رضي الله عنه : بحق التي كنت تخطأ ثم تخطأ الأخرى : قلت : فإن ناساً يقولون : بل تزوجها ثم تخطأ الأخرى . فقال علي : أرأيت إن طلقها زوجها وأمرت منها أليس ترجع إليك ؟ لأن تخطأ أسلم لك ؛ ثم أخذ علي بيدي فقال لي : إنه يحرم عليك ما ملكك يعني ما يحرم عليك في كتاب الله عز وجل من الحرائر إلا العمد - أوقال : إلا الأربع - ويحرم عليك من الرضاع ما يحرم عليك في كتاب الله من النسب .

ثم قال أبو عمر : هذا الحديث رحمة (٣) [و (٤)] لم يصب الرجل من أنصى المشرق أو المغرب إلى مكة غيره لما خابت

رحلته .

(١) كذا ، ولم أجد « حلية » ، ينظر البحر : ١٢٤/٢ ، والتهذيب : ٣١٢/٥ .

(٢) الموطأ : كتاب التنكح الحديث رقم ٣٤ : ٢ / ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

(٣) في الخسوف : هذا الحديث رجل . والمعنى : أن هذا الحديث يساوي رحلة عنه من عرف نفسه . وقد زدت « لو » ليعظم الكلام . وهذا الأثر مذكور في الفهرست : ١٢٩/٢ ، ١٣٧ وفي سقط .

(٤) من غير المنع : ١٣٧/٢ .

قلت : وقد روى عن علي نحو ما تقدم من عثمان ، وقال أبو بكر بن مردويه :

حدثنا محمد بن أسعد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن العباس ، حدثني محمد بن عبد الله بن المبارك القرظي ، حدثنا عبد الرحمن بن خرزوان ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال [علي] عن ابن عباس : حرمتها آية ولحنتها آية - يعني الأختين - قال ابن عباس : يحرمهن على قرابتي منهن ، ولا يحرمهن [علي] (١) قرابة بعضهن من بعض - يعني الإمام - وكانت الجاهلية يحرمون ما تحرمون إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين ، فلما جاء الإسلام أنزل الله : (ولا تنكحوا آبائكم من النساء إلا ما قد سلف) (٢) وأن يهيموا بين الأختين إلا ما قد سلف - يعني في النكاح .

ثم قال أبو عمر : روى الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن سلمة ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن ابن مسعود قال : يحرم [من الإمام ما يحرم] من الحرائر إلا الممد . وعن ابن سيرين والشعبي مثل ذلك .

قال أبو عمر ، رحمه الله : وقد روى مثل قول عثمان عن طائفة من السلف ، منهم : ابن عباس ، ولكنهم اختلف عليهم ، ولم يلتفت إلى ذلك أحد من فقهاء الأمصار والحجاز ولا بالمرق ولا ماوراءهما من المشرق ولا بالغام ولا المغرب ، إلا من شد من جهتهم باتباع الظاهر ونكح العباس ، وقد ترك من يميل ذلك ما اجتمعت عليه ، وجماعة القهاء مطلقون على أنه لا يهل للجمع بين الأختين بملك اليمين في الوطء ، كما لا يهل ذلك في النكاح . وقد أجمع المسلمون على أن معنى قوله : (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) . . إلى آخر الآية : أن النكاح وملك اليمين في هؤلاء كلهن سواء ، فكلهن يجب أن يكون نظراً وتقياساً للجمع بين الأختين وأمهات النساء والبنات . وكذلك هو عند جمهورهم ، وهم الحجة الصحيح بها من مخالفتها وهذا منها ، والله المأمود .

وقوله : (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) . أي : وحرمت عليكم من الأجنبيات [المحصنات] وعن الزوجات (إلا ما ملكت أيمانكم) . يعني : إلا ما ملكنكموهن بالسبي ، فإنه يهل لكم وطؤهن إذا استبرأتموهن فان الآية قرئت في ذلك :

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان - هو الثوري - عن عثمان بن عيسى ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيد الخدري قال : أصبنا نساء من سبي أو طاس ، ولهن أزواج ، فكرهنا أن تقع عليهن ولهن أزواج ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم ، فتركت هذه الآية : (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) ، فاستعطفنا إيهاباً فزوجهن :

وهكذا رواه الترمذي (٣) عن أحمد بن منبج ، عن هشيم - ورواه النسائي من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، كلاهما عن عثمان بن عيسى . ورواه ابن جرير من حديث أشعث بن موالي ، عن عثمان بن عيسى - ورواه مسلم (٤) في صحيحه من حديث شعبة ، عن قتادة ، كلاهما عن أبي الخليل صالح بن أبي مريم ، عن أبي سعيد الخدري - فذكره وهكذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة عن أبي الخليل ، عن أبي سعيد ، عن أبي سعيد الخدري - فذكره

(١) منه أحد : ٧٢/٣ . وما بين القوسين .

(٢) تحفة الأحرار ، كتابه التفسير : ٣٧١/٨ .

(٣) مسلم ، كتاب الفرائض : ١٧١/٤ .

وقد روى من وجه آخر عن أبي الخليل ، عن أبي حنيفة ، عن ابن سيد قال الإمام أحمد :

حدثنا ابن أبي حنيفة ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي حنيفة ، عن ابن سيد الخنزي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا سيابا يوم أوطاس ، لمن أزواج من أهل الشرك ، فكان أن أساء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا وثأموا من غشيان قال : قُتِلَتْ هذه الآية في ذلك (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) (١) .

وهكذا رواه مسلم (٢) وأبو داود والترمذي من حديث سعيد بن أبي حنيفة - زاد مسلم : وشعبة : ورواه الترمذي من حديث همام بن يحيى ، ثلاثهم عن قتادة ، بإسناده نحوه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، ولأعلم أن أحدا ذكر أبا حنيفة في هذا الحديث إلا ما ذكر همام عن قتادة . كما قال . وقد تابعه سعيد وشعبة ، والله أعلم .

وقد روى الطبراني من طريق القضاة عن ابن عباس : أنها قُتِلَتْ في سيابا غير ، وذكر مثل حديث أبي سعيد . وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن بيع الأمة يكون طلاقا لها من زوجها ، لأنها بعموم هذه الآية ، قال ابن جرير : حدثنا ابن منبج ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : أنه سُئِلَ عن الأمة تبايع ولما زوج ؟ قال : كان عبد الله يقول : بيعها طلاقا ، ويحل هذه الآية (والمحصنات مع النساء إلا ما ملكت أيمانكم) ،

وكذا رواه سفیان بن منصور - ومغيرة والأعمش ، عن ابن عباس ، عن ابن مسعود ، قال : بيعها طلاقا . وهو مقطوع وقال سفیان الثوري ، عن حماد ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود قال : إذا بيعت الأمة ولما زوج فسيدها أحق ببيعها .

ورواه سعيد ، عن قتادة قال : إن أبي بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وابن عباس قالوا : بيعها طلاقا . وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ابن حنيفة ، عن خالد ، عن حكيم ، عن ابن عباس قال : طلاق الأمة ستة : بيعها طلاقا ، وهبتها طلاقا ، وحيثها طلاقا ، وبراءتها طلاقا ، وطلاق زوجها طلاقا (٣) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب قوله (والمحصنات من النساء) قال : هن (٤) ذوات الأزواج ، حرّم الله لكاحهن إلا ما ملكت يمينك ، فبيعهن طلاقا : قال معمر : وقال الحسن مثل ذلك .

وهكذا رواه سعيد بن أبي حنيفة ، عن قتادة ، عن الحسن في قوله (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) قال : إذا كان لها زوج فبيعهن طلاقا .

وقال حوف ، عن الحسن : بيع الأمة طلاقا ، وبيعته طلاقا .

(١) مسند أحمد : ٨٤/٢ .

(٢) مسلم : كتاب الرضا : ١٧٠ : ١٧١ . وصححه أبي داود ، كتاب الفكاك : ٢٤٧/٢ . والترمذي ، كتاب الفكاك : ١١٠/٦ .

(٣) للذكر في الرواية حس لا ست . وينظر تفسير الطبري : ١٥٧/٨ .

(٤) في المتن : هذه . وكتب من تفسير الطبري : ١٥٦/٨ .

فهذا قول هؤلاء من السلف ، وقد خالفهم الجمهور قديماً وحديثاً ، فرأوا أن بيع الأمة ليس حلالها ، لأن للشرع نائب عن البائع ، والبائع كان قد أخرج من ملكه هذه اللصة وباعها مسلوقة عنها ، واعتدوا في ذلك على حديث بريدة المرفوع في الصحيحين وغيرهما ، فإن حاشية أم المؤمنين لشرعها وتجزأت عنها ، ولم ينسخ لكاحصان زوجها ميتاً بل غيرها النبي صلى الله عليه وسلم بين النسخ والبقاء ، فاختارت النسخ ، وقسمتها مشهورة (١) . فلو كان بيع الأمة حلالها كما قال هؤلاء لا غيرها النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما غيرتها ذلك على بقاء النكاح ، وأن المراد من الآية للتسيات فقط ، والله أعلم .

وقد قيل المراد بقوله : (والمحصنات من النساء) يعني العائلات حرام عليكم حتى تملكونا عصمتهم بنكاح وشهود ومهور وولي واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً . حكاه ابن جرير عن أبي العالية وطائفة وغيرهما . وقال عسمر وعبيدة (والمحصنات من النساء) مائة الأربع حرام عليكم إلا ما ملكت أيمانكم .

وقوله (كتاب الله عليكم) . أي : هذا التحريم كتاب كتبه الله عليكم ، فاقضوا كتابه ، ولا تخرجوا عن حدوده ، واقرءوا أمره وما فرضه .

وقد قال حبيدة وعطاء والسدي في قوله : (كتاب الله عليكم) : يعني الأربع .

وقال إبراهيم : (كتاب الله عليكم) يعني ما حرّم عليكم .

وقوله : (وأحل لكم ما وراء ذلكم) أي ما حل من ذكر من المحارم من لكم حلال ، قاله عطاء وغيره . وقال حبيدة والسدي : (وأحل لكم ما وراء ذلكم) ما دون الأربع . وهذا بعيد ، والصحيح قوله عطاء كما تقدم . وقال قتادة : (وأحل لكم ما وراء ذلكم) يعني ما ملكت أيمانكم .

ولهذه الآية هي التي احتج بها من احتج على تحليل الجميع بين الأصحب ، وقوله من قال : أطلعتما آية وحرمتما آية وقوله : (أن تصوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) أي : تحصيلوا بأموالكم من الزوجات إلى أربع أو لست وأربع ما شئتم بالطريق الشرعي ، ولهذا قال (محصنين غير مسافحين) :

وقوله : (ما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة) أي : إذا فستمتعون من فاتوهن مهرهن فله مقابلته ذلك ، كقوله : (وكيف تأخذونه وقد أفضى بهنكم إلى أنفسهن) . وكقوله : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) . وكقوله : (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتاكمهن شيئاً)

وقد استدل بعموم هذه الآية على نكاح المصاة ، ولا شك أنه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام ، ثم نسخ بعد ذلك . وقد ذهب الثعالبي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيع ثم نسخ ، ثم أبيع ثم نسخ [مرين . وقال لا أكثر من ذلك وقال أكثر من ذلك : إنما أبيع مرة ، ثم نسخ مرة ، ثم نسخ ولم يفتح بعد ذلك]

(١) البخاري ، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام : ٢٠٠/٢ . وكتاب اللقاة : ٩٢/٧ . ومسلم ، كتاب النكاح :

ولقد رَوَى من ابن عباس وطائفة من الصحابة القولُ بابطانها للضرورة ، وهو رواية من الإمام أحمد بن حنبل وجهم الله تعالى ، وكان ابن عباس ، وأبي بن كعب ، وسعيد بن جبير ، والسدي يقرعون : (لما استتمت به منهن إلى أجل مسمى فأتوهن ليجوزهن فريضة) . وقال مجاهد : تزلت في نكاح للثة ، ولكن الجمهور على خلاف ذلك ، والمعلة ما ثبت في الصحيحين ، من أمير المؤمنين على بن أبي طالب قال : نهي النبي صلى الله عليه وسلم من نكاح للثة ، وعن حماد بن الحارث الأحملي يوم حيدر (١) . ولهذا الحديث ألفاظ مقررته هي في كتاب : « الأحكام » .

وفي صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة عن معبد الجعفي ، عن أبيه : أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة قال : يا أيها الناس ، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سيئه ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا (٢) وفي رواية لمسلم في حجة الوفاة ، وله ألفاظ موضحها كتاب : « الأحكام » .

وقوله : (ولا جناح عليكم فيما تراضين به من بعد الفريضة) : مَنْ حَسَلَ هذه الآية على نكاح للثة إلى أجل مسمى قال : فلا جناح عليكم إذا انقضى الأجل أن تراضوا على زيادة به وزيادة للجبل (٣) .

قال السدي : إن شاء أربابها من بعد الفريضة الأولى - يعني الأجر الذي أصابها على ثمنه بها - قبل القضاء الأجل بينهما ، فقال : أتبع مثله أبشأ بكلها وبكلها ، فإزداد قبل أن يستبرأ زوجها يوم تنقض للثة ، وهو قوله : (ولا جناح عليكم فيما تراضين به من بعد الفريضة) .

قال السدي : فإذا انقضت للثة فليس له عليها سبيل ، وهي منه بريئة ، وعليها أن تستبرأ ما في زوجها ، وليس بينهما ميراث ، فلا يرث واحد منهما صاحبه .

ومن قال : بالقول الأول جعل معناه كقول : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) : الآية . أي : إذا فرضت لها صدقا فأبرأته منه ، أو من شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن حيد الأعلى ، حدثنا المتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : زعم الحارثي أن رجلا كانوا يفرغون للهر ، ثم عسى أن يترك أحدكم المرأة ، فقال : (ولا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضين به من بعد الفريضة) يعني إذا وضعت لك منه شيئا فهو لك سائق ، وانحصر هذا القول ابن جرير ، وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس (ولا جناح عليكم فيما تراضين به من بعد الفريضة) والراضى أن يتوبها صدقاتها ثم يفرها . يعني أنه المقام أو القراق .

وقوله : (إن الله كان عليا حكيا) مناصبه ذكر جلين الوصفين بعد شرح هذه الحرمات ،

(١) البخاري ، كتاب النكاح : ١٦/٧ . ومسلم ، كتاب النكاح : ١٣٤/٤ .

(٢) مسلم ، كتاب النكاح : ١٣٢/٤ .

(٣) يعني زيادة في الأجل ، وزيادة في الأجر .

وَمَنْ لَّمْ يَسْتَلْعِ مِنكَ طَوْلًا أُنِيجَ الْمُحْصَنَاتُ الْمُؤْمِنَاتُ فَمِنْ مَلَكَتْ أَمَانَتُكُمْ مِنْ قَبْلِ تَكْرِ الْعَمَلِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنكِحُوهُمْ بِأَنْ أَعْلَمُوا وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ عَصَمَتِ
غَيْرُ مُسْتَحَبَاتٍ وَلَا مُنْطَبَاتٍ أَخَذَانِ فَإِذَا أَحْسَنَ فَإِنَّهُنَّ بِفَلْحَةٍ مُطْلِقِينَ نَصَفًا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ
مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَفِيَ أَعْتَتَ مِنكَ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٥

يقول : ومن لم يستجد (طولا) أى : سعة وقادرة (أن ينكح المحصنات المؤمنات) أى الحرائر :

وقال ابن وهب : أخبرني جده الجبار ، عن ربيعة : (ومن لم يستلع منكم طولا أن ينكح المحصنات) قال ربيعة :
الطول المرى ، ينكح الأمه حتى إذا كان هواد فيها . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

ثم شرح يشنع على هذا القول ويترده : (لما ملكت أمانتكم من حياتكم المؤمنات) أى : فتزوجوا من إماء المؤمنين
اللاتي يملكن المؤمنين ، ولهذا قال : (من حياتكم المؤمنات) : قال ابن عباس وغيره : فليكن من إماء المؤمنين
وكذا قال السدي ومقاتل بن حيان :

ثم اعترض بقوله : (والله أعلم بإيمانكم ببعضكم من بعض) : أى : هو العالم بمخالفات الأمور وسرائرها ، وإنما لكم
أبها الناس الظاهر من الأمور .

ثم قال : (فانكحوا من بائن أعلان) . فليكن على أن السيد [هو] ولي أمته لا تزوج إلا بأذنه ، وكذلك هو ولي عبده
ليس لبيده أن يتزوج إلا بأذنه ، كما جاء في الحديث : «أبنا عبد تزوج بغير إذن مولاه فهو حرام» . أى ذلك :

فإن كان مالك الأمة [امراة] تزوجها من زوج المرأة بأذنها ، كما جاء في الحديث : «لا تزوج المرأة [للمرأة]
ولا المرأة نفسها [فإن الزانية هى التى تزوج نفسها] (١) .

وقوله : (وأتوهن أجورهن بالمعروف) . أى : وادفعوا مهورهن بالمعروف ، أى : عن طيب نفس منكم ،
ولا يهتسوا به شيئا لستهنهاتهن ، لكونهن إماء مملوكات .

وقوله : (عصمت) . أى : حفاظ من الزنا لا يتطليهن ، ولهذا قال : (غير مسافحات) ، ومع الزواني اللاتي
لا يمتن من أحد أرادهن بالمعصية .

وقوله : (ولا مضطرات أنطان) قال ابن عباس : المسافحات ، من الزواني المائعات ، حتى الزواني اللاتي
لا يمتن أحدا أرادهن بالمعصية : (ومضطرات أنطان) : حتى : أخلاء .

وكذا روى عن أبي هريرة ، وعبد ، والشمسي ، والضحك ، وعطاء الخراساني ، ويحيى بن أبي كثير ، ومقاتل
ابن حيان ، والسدي ، قالوا : أخلاء . وقال الحسن البصري : يحيى الصديق . وقال الضحاك أيضا (ولا مضطرات أنطان)
ذات الخليل الواحد ، لقراءة (٢) به ، نهي الله عن ذلك : حتى تزوجها ما دامت كذلك .

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، الحديث ١٨٨٢ : ١٠٥/١ : ٦٥٦ .

(٢) في تفسير الطبري ١٩٥/٨ : للمفسر ٩ . عن السمر .

وقوله : (فَاَحْصَنَ) قَالَ ابْنُ قُيَاسَةَ فَلْيَنْصِفْ مَا عَلَى الْمُصَنِّاتِ مِنَ الْعُلَاقِ (اختلف القراء في (أَحْصَنَ) قَرَأَهُ بَعْضُهُمْ بِضَمِّ الْمِزَّةِ وَكسر الصاد ، مَنَى لَا لَمْ يَسْمُ قَاعِلُهُ . وَفُتْرِيهِ يَفْتَحُ الْمِزَّةَ وَالصَّادُ فَضْلٌ لِأَزْمٍ (١) . ثُمَّ قِيلَ : مَنَى الْقَرَامِطِيُّ وَاحِدٌ . وَاسْتَخَفُّوا فِيهِ عَلَى قَوْلَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِحْصَانِ هَامَتِ الْإِسْلَامَ . رَوَى ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَأَنَسَ ، وَالْأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَ ، وَزَيْدَ بْنَ حُبَيْشٍ ، وَسَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ ، وَصَلَّاهُ ، وَابْنُ أَبِي نَضْرَةَ ، وَالشَّعْبِيُّ ، وَالسَّائِي . وَرَوَى نَحْوَهُ الزُّهْرِيُّ عَنْ حُرَيْرِ بْنِ الْمُسْطَابِ ، وَهُوَ مُتَقَطِعٌ . وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ فِي رِوَايَةِ الرَّبِيعِ ، قَالَ : وَإِنَّمَا قُلْنَا اسْتِدْلَالًا بِالسَّيِّئَةِ وَاجْتِمَاعِ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي ذَلِكَ حَدِيثًا مَرْفُوعًا ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْجَنِيدِ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَبَدٍ الرَّحْمَنُ ابْنُ حَبَدٍ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ أَبِي حَبَدٍ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَاَحْصَنَ) قَالَ : إِحْصَانُهَا إِسْلَامُهَا وَحِفَاظُهَا . وَقَالَ : الْمُرَادُ بِهَا هَامَتِ التَّزْوِيجِ ، قَالَ : وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : وَهُوَ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ .

قُلْتُ : وَلَوْ اسْتَدَّاهُ ضَعْفٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَسْمُ ، وَلَا يَقُومُ بِهِ حِجَّةٌ .

وَقَالَ الْقَاسِمُ وَسَلَمٌ : إِحْصَانُهَا : إِسْلَامُهَا وَحِفَاظُهَا .

وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِهَا هَامَتِ التَّزْوِيجِ : وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَجَاهِدٍ ، وَهَكْرَمَةَ ، وَمُطَاوَسَ ، وَسَعِيدَ بْنِ جُبَيْرٍ ، وَالْحُسَيْنِ : وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمْ : وَقَتْلَهُ أَبُو عَلِيٍّ عَلَى الطَّبْرِيِّ فِي كِتَابِهِ الْإِيضَاحِ عَنْ الشَّافِعِيِّ ، فَيَا رِوَاهُ أَبُو الْحَكَمِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ عَنْهُ . وَقَدْ رَوَاهُ لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ جَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ : إِحْصَانُ الْأَمَةِ أَنْ يَنْكَحَهَا الْحَرُّ ، وَإِحْصَانُ الْعَبْدِ أَنْ يَنْكَحَ الْحُرَّةَ . وَكَلَّمَ رَوَى ابْنُ أَبِي طَالِحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَرِوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ وَالشَّعْبِيِّ .

وَقِيلَ : مَنَى الْقَرَامِطِيُّ مَنَابِيحَ . فَنَ قَرَأَ أَحْمَدُ بَضْمَ الْمِزَّةِ ، فَرَادَهُ التَّزْوِيجُ ، وَمَنْ قَرَأَ أَحْصَنَ يَفْتَحُهَا ، فَرَادَهُ الْإِسْلَامَ : لِحَظَرِهِ الْإِمَامَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنَ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ، وَقَرَّوهُ وَنَصَرَهُ .

وَالْأَطْلَحُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِحْصَانِ هَامَتِ التَّزْوِيجِ ، لِأَنَّ سِيَاقَ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَكَ مَا لِي وَمَنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْكَ طَرَا أَنْ يَنْكَحَ الْمُصَنِّاتِ لِلْمُؤَنَّنَاتِ لَمَّا مَلَكَتْ أَعْيَانُكُمْ فَيَتَانِكُمْ يَوْمَئِذٍ أَعْلَمُ . وَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ سَيَاقُهَا كَلَامُهَا فِي تَقْدِيرَاتِ الْمُؤَنَّنَاتِ ، فَصَبَّحْنَا أَنَّ الْمُرَادَ يَقُولُهُ : (فَاَحْصَنَ) أَيَّ تَزْوِيجٍ ، كَمَا فَسَّرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَنْ تَبِعَهُ .

وَعَلَى كُلِّ مَنِ الْقَوْلَيْنِ إِشْكَالٌ عَلَى مَلْجَبِ الْجُمْهُورِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنْ الْأَمَةُ إِذَا زُتْ فَلْيُحَايِلْ خُسْرًا جَلَسَتْ ، صَوَاهُ كَانَتْ مُسْلِمَةً أَوْ كَافِرَةً ، مَزُوجَةً أَوْ يَكْرًا ، مَعَ أَنَّ مَفْهُومَ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا حُدُودَ عَلَى غَيْرِ الْمُصَنِّةِ مِنْ زَنَا مِنَ الْإِمَامِ . وَكَهَذَا اخْتَلَفَتْ أَجْمَاعُهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَمَّا الْجُمْهُورُ فَقَالُوا : لَا شَكَّ أَنَّ الْمُنْطَرِقَ مُقَدِّمٌ عَلَى الْقَهْرِ ، وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ هَامَةٌ

(١) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيدِ ٢٢٤/٢ : وَفَرَأَ حِزَّةً وَكَاسَفَتْ : لَحَسَنَ ، مَهْيَا لِقَاعِلُ ، وَهِيَ السَّيِّئَةُ مَهْيَا لِقَاعِلُ .

في إقامة الحد على الإماء ، قلعتهما على مفهوم الآية ، فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه ، عن علي رضي الله عنه : أنه خطب فقال : يا أيها الناس أتنبأوا على أرفقائكم الحد من أحسنّ منهم ومن أبخسّهم ، فكان أمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت فأمرق أن أجلبها ، فإذا هي حليث عهد بنحاس ، فخطبت إن جلبتها أن ألقها ، ففكرت فلك الله فلي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أحسنت الركا حتى تمّال (١) .

وعند عبد الله بن أحمد ، عن غير أبيه : فإذا تمّالت (٢) من نفسها حدّها حسبي .

ومن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا زنت أمة أحكم فبيع زناها ، فليجلدها الحد ولا يترّب عليها ، ثم إن زنت الثانية فليجلدها الحد ولا يترّب عليها ، ثم إن زنت الثالثة فحين زناها ، فليهما ولو يجل من فتره (٣) .

ولمسلم : إذا زنت ثلاثا فليعاقب في الرابطة .

وقال مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سفيان بن عيسى ، عن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة المخزومي (٤) قال : أشرق حسرت بن الخطاب في فتية من قريش ، فجلدها ولاء من ولاء الامارة (٥) [حسبي حسبي في الزلأ] .

الجلاب الثاني : جواب من ذهب إلى أن الأمة إذا زنت ولم تحبص فلا حد عليها ، وإنما تضرب تأديبا ، وهو المنكح من حد الله بن عباس رضي الله عنه ، وإليه ذهب طائفة ، وسعيد بن جبير ، وأبو هريرة ، فلقم بن سلام ، وداود بن علي الظاهري في رواية عنه : وعصمتهم مفهوم الآية : وهو من مفاهيم الفطري ، وهو حجة عند أكثرهم فهو مقدم على العموم عندهم . وحديث أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحبص ؟ قال : إن زنت فجلدها ، ثم إن زنت فاجلدوها ، ثم يحررها ولو بغلير . قال ابن شهاب : لا أخرى أبعد الثالثة أو الرابعة .

لمخرجاه في الصحيحين (٦) ، وعند مسلم قال ابن شهاب : الضمير الجليل .

قالوا : فلم يؤكّد في هذا الحديث عدد كما وقت في المصنف بنصف ما حل المصنّف من العذاب ، فوجب الجمع بين الآية والحديث بذلك ، والله أعلم .

وأصح من ذلك ما رواه سعيد بن منصور ، عن سفيان ، عن مسمر ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ،

(١) مسلم ، كتاب المفرد : ١٢٥/٥ . وحسن قال : الأصل : تمّال . يقال : تمّال الرشي : إذا فزع الشاة .

(٢) تمّالت : طهرت .

(٣) البخاري ، كتاب المفرد : ٢١٣/٨ . ومسلم ، كتاب المفرد : ١٢٣/٥ ، ١٢٤ . والترمذي : التمهيد والتمهيد .

(٤) في الفطرية : عن عبد الله بن عباس أن أبا ربيعة المخزومي قال : وللتبت من اللوط ، ويظهر البغض ١٢٥/٢/٢ .

(٥) من اللوط ، كتاب المفرد : الحديث ١٦ : ٨٢٧/٢ .

(٦) البخاري ، كتاب المفرد : ٢١٢/٨ . ومسلم ، كتاب المفرد : ١٢٤/٥ .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس على أمة حد حتى تحصن - أوحى - خروج - (١) ، فافا
أحصنت خروج فعلها تصبف ماعل الخصومات » .

وَلَدَرَوَاهُ ابْنُ عُرَيْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْرَانَ الْعَابِدِيِّ ، عَنْ صَفْيَانَ - بِهِ مَرْفُوعًا - وَقَالَ : وَضَعَهُ خَطْلًا ، إِذَا هُوَ
 مِنْ قَوْلِ ابْنِ جَابِرٍ وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْرَانَ ، وَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَهُ ابْنُ عُرَيْبَةَ .

قالوا: وحدثني علي وعمر قضايا أحياناً، وحدثني أبي مرة مع أبيه: أجرة!

أحدنا : أن ذلك محمول على الأمة المزوجة جميعاً بالله وبين هذا الحديث ،

[illegible]

أربع ، أنه لا يعد أن يضيء الرواة [أطلق لفظ الحديث للحديث على الجسد ، لأنه] كان الجسد أحفظه أنه ، أحد أو أنه
أطلق لفظ الحديث على التعاد ، كما أطلق الحديث على ضرب [من زنى من الرضى بمشككاً محل فيه ماله فإخراج . وعلى جلد
من زنى بأمة امرأة إذا أفضت له فيها ماله ، وإنما ذلك تزيير وقادى عند من يراه كالإمام أحمد وغيره من السلف .
وإنما الحديث الحقيقي (٣) هو جلد الفكر ماله ، ورجع القيد أو اللطاف ، والله أعلم .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ (١) فِي التَّحْقِيقِ : حَدَّثَنَا ابْنُ لُقَيْظٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ حَمْرُو بْنِ مَرْثَدَةَ :
أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ يَقُولُ : لَا تُضْرِبُ الْاِمْرَأَةَ إِذَا زَلَّتْ مَالِمُ لِرُجُوعِ :

وهذا إسناده صحيح عنه ، ولم يصب غريب إن أراد أنها لا تغرب أصلاً لاحقاً ، وكأنه أخذ بفهم الآية ولم يلقه الحديث ، وإن كان أراد أنها لا تغرب حقاً ، ولا يفتي غريبها تأديماً ، فهو كقول (هـ) ابن عباس ومن تبعه في ذلك ، والله أعلم .

فجواب الثالث أن الآية دلت على أن الأمة المحصنة تحدد نصف حد الحرية، فأما قبل الإحصان فمومات الكتاب والسنة شاملة لما في جلوسها مائة، كقوله تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة). وكحديث عبادة بن الصامت؛

(١) في الخطورة : أو من تزوج . ولعل السوابق ما أفتاه .

(٢) في المظاهرات : عليهم عليها الحد . وفي الخلوة : عليها الحد . وانتهت من حديث أبي هريرة المتكتم .

(٢) في الخطوة ١ ، وأما نحن في رواية تقرير الله الحقيقي ...

(٤) في الخطوة : وفي روى ابن ماجه وجرير . ولم يجد الاثر في متن ابن ماجه : ينظر تفسير الطبري : ٢٠١/٨ .

(٥) في الخطوة : يكون كوكب ابن عباس .

علموا حتى ، علموا حتى قد جعل الله لمن سبلا ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والكيه جلد مائة ورجمها بالحجارة . والحديث في صحيح مسلم (١) وغير ذلك من الأحاديث .

وهذا القول هو المشهور عن داود بن علي القناري ، وهو في غاية الضعف ، لأن الله تعالى إذا كان أمر بجلد المصيبة من الإمام بنصف ما حل الحرة من العذاب وهو خمسون جلدة ، فكيف يكون حكمها ليل الإحصان أحد مئة بعد الإحصان وقاعدة الشريعة في ذلك عكس ما قال ، وهذا الشارع عليه السلام يسأله أصحابه من الأمة إذا زنت ولم تحسن ، فقال : اجلدوها . [ولم يقل مائة] فلو كان حكمها كما قال داود ، لوجب بيان ذلك لم ، لأهم إنما سألوا عن ذلك لعدم بيان حكم جلد المائة بعد الإحصان في الإمام ، وإلا فافقائه في قوله : « ولم تحسن » لعدم الفرق بينهما لو لم تكن الآية تركت ، لكن لا علموا حكم أحد الحكيمين سألوا عن حكم الحلال الآخر ، فبینه لم : كما في الصحيحين أنهم لا سألوه عن الصلاة [عليه] ، فذكرها لم لم قال : « والسلام ما قد علمتم » (٢) . وفي لفظ لا أقول الله قوله : « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسلياً » قالوا : هذا السلام عليك قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟ وذكر الحديث (٣) ، وهكذا هذا السؤال .

الجواب الرابع عن مفهوم الآية جواب أبي ثور فإن من ملحه ما هو أخرب عن قول داود من وجوه ، وذلك أنه يقول : فإذا أحصين فإن عليهن نصف ما حل المصنات والزوجات [وهو] الرجم ، وهو لا يتناصف ، فيجب أن ترجم الأمة المصيبة إذا زنت ، وأما ليل الإحصان فيجب جلدها خمسين . فخطأ في فهم الآية وماليت المشهور في الحكم . بل قد قال أبو عبد الله الشافعي رحمه الله : ولم يختلف المسلمون في أن لا رجم على عاتق في الزنا ، وذلك لأن الآية دللت على أن عليهن نصف ما حل المصنات من العذاب ، والآلف واللام في المصنات العهد ، ومع المصنات المذكورة في أول الآية : (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المصنات) والمراد من الحر الرقيق ، من غير تعرض لتزويج غيره ، وقوله : (نصف ما حل المصنات من العذاب) يدل على أن المراد من العذاب التي يمكن نصفه ، وهو الجلد لا الرجم ، والله أعلم .

ثم قد روى الإمام أحمد تصدي في [رد] ملحد أبي ثور من رواية الحسن بن سعد عن أبيه أن صيفة كانت قد زنت برجل من الخمسة ، فزنت خلافا ، فادعاه فزاني . فأنصبا إلى حثان فرفعهما إلى حل بين أبي طالب ، فقال حل ، أنصبا فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : الرد فرائي . وقاموا الحبر ، وجلدها خمسين خمسين (٤) .

وقيل : بل المراد من المفهوم [التنبيه بالأحل] على [الأدنى] أي : إن الإمام على التصدي مع الحر الرقيق المحدث وإن كان محصنات ، وليس عليهن رجم أصلا ، لا قبل النكاح ولا بعده ، وإنما عليهن الجلد في الحائض بالنسبة ، قال ذلك صاحب الإفصاح عن الشافعي ، فها رواه ابن عبد الحكم ، عنه . وقد ذكره البيهقي في كتاب النفوس والأفكار ، وهو يهدى من لفظ

(١) مسلم ، كتاب الطهارة : ١١٥/٥ .

(٢) مسلم ، كتاب الصلاة : ١٦/٣ .

(٣) البيهقي ، كتاب التفسير ، سورة الأحزاب : ١٠١/٦ .

(٤) للمصنف : ١٠٤/١ .

الآية : لَأَنَّا اسْتَعْلَمْنَا نِصْفَ الْخَلْقِ مِنَ الْآيَةِ لَا مَعَ سَوَاهَا ، فكيف يفهم منها التخصيص فيها علما ؛ وقال : بل أريد بأنها في حاكم الإحصان لا يتم الخلد عليها إلا الإمام ، ولا يجوز لسيدها إقامة الخلد عليها والحالة هذه - وهو قول في مذهب الإمام أحمد رحمه الله - فأما قول الإحصان قلة خلقه ، والحد في كمال الموضوع نصف حد الحرة ، وهذا أيضاً بعيد ، لأنه ليس في لفظ الآية ما يدل عليه .

ولولا هذه لم تذكر ماحكم الإمام في التخصيص ، ولوجب دخولهم في عموم الآية في تكثير الحد مائة أو وجهم ، كما ثبت في التلخيص عليه ، وقد تقدم مع حكى أنه قال : أنها لتأني أتيوا على أركانكم الحد من أصحابهم ومن لم يصحبه و عموم الأحاديث المقتضية ليس فيها تفصيل بين المروجة وغيرها ، لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا زلت أمة أحدكم فبهق زناها فليجلدها الحد ولا يترتب عليها » ،

ملخص الآية : أنها إذا زلت أفعال : أحدها تجلد خمسين قبل الإحصان وبعده ، وهل تشقي ؟ فيه ثلاثة أقوال : أنها لتني عنه ؛ ولتأني لا تني عنه مطلقاً ؛ ولتأني لا تني نصف سنة وهو نفي نصف الحرية . وهذا الخلاف في مذهبه . والثاني ، وأما أبو حنيفة فاستدل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا زلت أمة أحدكم فبهق زناها فليجلدها الحد ولا يترتب عليها » ، وإن شاء فعله وإن شاء تركه في حق الرجال والنساء ، وعند مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا زلت أمة أحدكم فبهق زناها فليجلدها الحد ولا يترتب عليها » ، وأما للنساء فلا ، لأن ذلك مضاد لما رواه ، وماورده فهو مع النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا زلت أمة أحدكم فبهق زناها فليجلدها الحد ولا يترتب عليها » ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا زلت أمة أحدكم فبهق زناها فليجلدها الحد ولا يترتب عليها » ، وذلك خصوصاً بالنهي ، وهو أن المقصود من النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مفقود في نفي للنساء ، والله أعلم ،

وقال أن الأمة إذا زلت تجلد خمسين بعد الإحصان ، وتضرب تأديباً غير محمودة بعده محصور ، وقد تقدم ما رواه ابن جرير عن سعيد بن جبش : أنها لا تضرب قبل الإحصان ، وإن أراد نفيه فيكون ملحقاً بالتأويل ، وإلا فهو كالتوكيد الثاني .

قوله الآخر : أنها تجلد قبل الإحصان مائة وبعده خمسين ، كما هو المشهور عن داود ، وأضعف الأقوال (١) : أنها تجلد قبل الإحصان خمسين وترجم بعده ، وهو قول أبي ثور ، وهو ضعيف أيضاً . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ،

وقوله : « خلقه لمن خلقه لثقتكم » : أي : إنما يحاج لكناح الإمام بالشرط المقتضية أن خاضت على نفسه الوقوع في القتل ، وشن عليه الصبر من الجوع ، وعتت بسبب ذلك كله فصيتت بتزوج الأمة ، وإن ترك تزوج الأمة ، وجاهد نفسه في الكف عن القتل ، فهو غير له ، لأنه إذا تزوجها جاء أولاده أرقاء [لسيدها] إلا أن يكون الزوج حراً ، فلا تكون أولاده منها أرقاء في قوله قدّم لثقتكم ، ولهذا قال : « وإن تصبروا خير لكم والله خفور رحيم » ،

(١) البخاري : كتاب الطهارة ٢١٢/٨ . ومسلم : كتاب الطهارة ١١٥/٥ .

(٢) في المشرقة : وهو أنه .

ومن هذه الآية الكريمة استدل جمهور العلماء في جواز نكاح الإماء ، على أنه لا بد من علم الطول لنكاح الحرائر ومن عتق الفتاة ، لما في نكاحهن من منسدة ورق الأولاد ، ولما فيهن من الذبابة في العلول عن الحرائر اليهن . وخالف الجمهور أبو حنيفة وأصحابه في اشتراط الأمرين ، فقالوا : متى لم يكن الرجل مزوجاً بحرة جاز له نكاح الأمة المؤمنة والكنانية أيضاً سواء كان واجداً للطول لحرة أم لا ، وسواء خاف من قبله أم لا ، وعدمهم لها ذهبوا إليه بقوله تعالى : (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) .. أى الصفات ، وهو يعم الحرائر والإماء ، وهذه الآية عامة ، وهذه أيضاً ظاهرة في دلالة [على ما قاله] الجمهور ، والله أعلم .

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيبَ الَّتِي فِي قُلُوبِكُمْ وَيُتَوَبَّعَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥٨﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتَوَبَّعَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُعْمِلُوا مِثْلًا عَظِيمًا ﴿١٥٩﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وِثْرَافَ الْإِنْسَانِ ضَعِيفًا ﴿١٦٠﴾

غير تعالى أنه يريد أن يبين لكم - أيا المؤمنين - ما أحل لكم وحرم عليكم ، مما تقدم ذكره [في] هذه السورة وشرها ، (ويذهبكم ستن الذين من قبلكم) يعنى : طرائفهم الحسنة واتباع شرائعهم التي يبعثها ويرضاها (ويتوب عليكم) [أى من الآثم والمحارم (والله عليم حكيم) أى في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله وقوله (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن يعملوا ميثلاً عظيماً) أى : يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والوثاقاة (أن يعملوا) يعنى : من الخلق إلى الباطل (ميثلاً عظيماً . يريد الله أن يخفف عنكم) أى : في شرائعه وأوامره ونواحيه [وما يلقوه لكم] ولهذا أباح الإماء بشرطه ، كما قال مجاهد وغيره (وخلق الإنسان ضعيفاً) فتابسه التخفيف لضعفه ، في نفسه وضعف عزمه وجمته .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن طلوس ، عن أبيه : (وخلق الإنسان ضعيفاً) قال : في أمر النساء . وقال وكيع : يذهب عقله عندهن .

وقال موسى الكاظم عليه الصلاة والسلام : لنبينا صلوات الله وسلامه عليه ليلة الإمبراء حين مر عليه راجعاً من عند سدرة المنتهى فقال له : ماذا فرض عليك ؟ فقال : أمرني بمحسين صلاة في كل يوم وليلة . فقال له : أرجع إلى ربك فأسأله الضعيف ، لأن أمك لا تطيق ذلك ، فإني قد بلوت الناس قبلك على ما هو أقل من ذلك لسجراً ، وإن أدركت أضعت أبنائها وأبصاراً وقلوباً . فرجع فوضع حشراً ، ثم رجع إلى موسى فلم يزل كذلك حتى بقيت لحساً (١) ... الحديث

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ وَالْبَيْطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِمَّنْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٦١﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَغُلَبًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٢﴾ إِنْ يَخْتَضِرُوا حَكَمًا مُتَبَعًا مِنْهُ فَسَوْفَ اللَّهُ يَنْزِلُ بِهِ سُلْطَانٌ مِنْ سَمَاءٍ كَمَا نَزَّلْنَا بِقَوْلِهِ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيبَ الَّتِي فِي قُلُوبِكُمْ وَيُتَوَبَّعَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦٣﴾

نبي تبارك وتعالى عبادة المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل ، أى : بتواطع المكاسب التي هي غير شرعية ، كأثوار الربا والقمار ، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل ، وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعى مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا ، حتى قال ابن جرير :

(١) صحيح البخارى ، كتابه بدء الخلق : ١٣٤/٤ ، باب من سأل عن الأصناف : ٦٨/٥ ، ٦٩ . ومسلم ، كتاب الإيمان : ١٠١/١ ، مسند أحمد : ١٤٩/٣ ، ٢٠٨/٤ ، ٢٠٩ .
هذا ولزاد المنصر لهذا الحديث لبيان الضعف جهته العلم في الإنسان ، لا بالنسبة لقضاء خاصة .

حدثني ابن المني ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا داود ، عن حكرمة ، عن ابن عباس - في الرجل يشتري من الرجل القرب يقول : إن رغبته أغلظته وإلا رددته [وردت] معه حرهما ، قال : هو الذي قال الله عز وجل : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن حرب الموصلي (١) ، حدثنا ابن فضيل ، عن داود الأودي (٢) عن عامر عن طلحة ، عن عبد الله قال : إنها محكمة ، ما نسخت ، ولا تنسخ إلى يوم القيامة .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قال المسلمون : إن الله قد نبأنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، والظلم هو أفضل الأموال ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد ، فكيف نقاس ! فأثر الله بعد ذلك : (ليس على الأعمى حرج) .. الآية

وقوله : (إلا أن تكون تجارة عن تراض مكرم) قرئ : تجارة بالرفع وبالنصب ، وهو استثناء مقطوع ، كأنه يقول لا تصاطروا الأسباب المحرمة في اكتساب الأموال ، لكن التجار المشروعة متى تكون عن تراض من البائع والمشتري فالعاملون وليسوا بها في تحصيل الأموال ، كما قال تعالى : (ولا تنقضوا الأمانات التي حرم الله إلا بالحق) . وكقوله : (يلوغون فيها الموت إلا الموت الأول) .

ومن هذه الآية الكريمة استحج الشافعي على أنه لا يصح البيع إلا بالقبول ، لأنه يدل على التراضي ، بخلاف المعاطاة فإنها قد لا تدل على الرضا ولا بد ، وخالف الجمهور في ذلك مالك وأبو حنيفة وأحمد وأصحابهم ، فراءوا أن الأكوال كما تدل على التراضي ، وكذلك الأكوال تدل في بعض المحال قطعا ، فصحبوا بيع المعاطاة [مطلقا] ، ومنهم من قال : يصح [في المضمرات] ، وفيها يمد التاميم ، وهو احتياط نظر من عوفي للمذهب ، والله أعلم .

قال مجاهد : (إلا أن تكون تجارة عن تراض مكرم) [فيما أو] عطاء يعطيه أحد أحمدا . ورواه ابن جرير . قال : وحدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن القاسم ، عن سليمان [الجمحي] عن أبيه ، عن ميمون بن مهران قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : البيع عن تراض ، والخييار بعد الصفقة ، ولا عمل لمسلم أن يفش (٣) مسلما . هذا حديث مرسل .

ومن تمام التراضي إثبات خيار للرجل ، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (البيعان بالخيار ما لم يتخيرا (٤) . وفي لفظ البخاري : إذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يخرقا (٥) .

وزعم إلى القول يقتضي هذا الحديث الشافعي ، وأحمد ، وأصحابهم ، وجمهور السلف والخلف . ومن ذلك مشروعية خيار الشرط بعد العقد إلى ثلاثة أيام ، بحسب ما يبين فيه مال البيع ، ولو إلى سنة في القرية ونحوها ، كما هو المشهور

(١) في المخطوطة : المولى ، وللتب من المرح :

(٢) في المخطوطة : الأدي . ينظر التذييل : ١٨٢/١/٣ .

(٣) في المخطوطة : يفسر . وللتب من تفسير الطبري : ٢٢١/٨ .

(٤) البخاري ، كتاب البيوع : ٨٢/٢ ، ٨٤ ، وصلى : كتاب البيوع : ٩/٥ ، ٩٠ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب البيوع : ٨٤/٢ .

من مالك، رحمه الله. وصحوا بين المعاطاة مطلقاً، وهو قول في ملعب الشافعي، ومنهم من قال: يصبح بيع المعاطاة في الخفريات فيما بعده الناس، وهو اختيار طائفة من الأصحاب.

وقوله: (ولا تقتلوا أنفسكم) أي: بارتكاب محارم الله وتماطى معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل (إن الله كان بكم رحيمًا). أي: فيما أمركم به، ونهاكم عنه.

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا يزيد بن أبي حبيب، عن صمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عمرو بن العاص، رضي الله عنه، أنه قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل قال: (احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغسلت أن أهلك، فقيمت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح) [قال]: فلما قمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له، فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب! قال قلت: يا رسول الله، إلى احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغسلت أن أهلك، فذكرت قول الله: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا)، فقيمت ثم صليت. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً (١).

وهكذا رواه أبو داود من حديث يحيى بن أيوب، عن يزيد بن أبي حبيب - به - ورواه أيضا عن محمد بن أبي سلمة، عن ابن وهب، عن ابن لهيعة وحمز بن الحارث، كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب، عن حماد بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير المصري، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، عنه، فذكره نحوه. وهذا، والله أعلم، أشبه بالصواب.

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد البلخي، حدثنا عماد بن صالح بن سهل البلخي، حدثنا حبيب الله بن عمر القولوري، حدثنا يوسف بن خالد، حدثنا زياد بن سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له، فدعاه فسأله عن ذلك، فقال: يا رسول الله، خفت أن يقتل البرد، وقد قال الله تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم) .. الآية قال: فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم لورد ابن مردويه عند هذه الآية للكرعة من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومن قتل نفسه بحبله فحبلته في يده، ينجأ بها يطلعه يوم القيامة في نار جهنم جالداً مضطرباً فيها أبداً، ومن قتل (٢) نفسه بسم، لسمه في يده يتحصاه في نار جهنم جالداً مضطرباً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو مردود في نار جهنم جالداً مضطرباً فيها أبداً.

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين (٣)، وكذلك رواه أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه، وعن أبي قلابة، عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) مسند أحمد: ٢٠٤/٢٠٤، وسنن أبي داود: كتاب الطهارة: ٩٢/١.

(٢) في الخطوة: يده قتل كلمة غير واضحة. ومبارة صحيح البخاري: ومن نحس بها. وفي الخطوة أيضاً به كلمة «بسم» تردى به.

(٣) البخاري: كتاب الطب: ١٨١/٧، ومسلم كتاب الإيمان: ٧٢/١.

« من قتل نفسه بشيء عليه به يوم القيامة (١) ». وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من طريق أبي قلابة . وفي الصحيحين من حديث الحسن ، عن جندب بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان رجل من كان قبلكم وكان به جرح ، فأخذ سكيناً فخر بها يده ، فأرقأ الدم حتى مات ، قال الله عز وجل : عبدى يادرنى بقضه ، حرمت عليه الجنة (٢) .

ولهذا قال الله تعالى : (ومن يفعل ذلك عدونا وظلماً) . أى : ومن يتماطى ما نهاه الله عنه متعمداً فيه ظالماً في تماطيه ، أى : علماً بتحرمة معاصره على انتهاكه (سوف نصلية ناراً) .. الآية . ولهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، فكليحذر منه كل عاقل لبيب عن آتئ السبع وهو شهيد .

وقوله : (إن يجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) .. الآية . أى : إذا اجتنبتم كبائر الآثام التى نهىم عنها [كلرنا عنكم صفات الذنوب ، و [أدخلناكم الجنة . ولهذا قال : (وتدخلكم مدنلاً كرماء) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا مؤمل بن هشام ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا خالد بن أيوب ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس (٣) : الذى بلغنا من ربنا ، عز وجل ، ثم لم نخرج له عن كل أهل ومال أن يجاوز لنا عما دون الكبائر ، يقول الله : (إن يجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) .. الآية .

وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة ، فلنذكر منها ما تيسر ، قال الإمام أحمد :

حدثنا هشام ، عن بغيرة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن قزح الضبي ، عن سلمان الفارسي قال : قال لى النبي صلى الله عليه وسلم : « أتدري ما يوم الجمعة ؟ » قلت : هو اليوم الذى جمع الله فيه أبأكم . قال : لكن أدري ما يوم الجمعة ، لا يظهر الرجل فيحسن طهوره ، ثم يأئ الجمعة فينصت حتى يقضى الإمام صلاته ، إلا كان كفارة له ما بينه وبين الجمعة المقبلة ، ما اجتنبت المقتلة (٤) . وقد روى البخارى من وجه آخر ، عن سلمان نحوه (٥) .

وقال أبو جعفر بن جرير حدثني الحنفى ، حدثنا أبو صالح ، حدثني الليث ، حدثني خالد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن لسم الميمس ، أخبرني جيهب مولى العتورى أنه سمع من أبي هريرة وأبي سعيد يقولان : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : « والذى نفسى بيده - ثلاث مرات - ثم أكتب ، فأكتب (٦) كل رجل منا يكره ، لا مدرى على ماذا حلف عليه ثم رفع رأسه ووجهه البشرى ، فكان أحب إلينا من حمر النعم » فقال : « ما من عبد يعمل الصلوات الخمس ، ويعوم رمضان ، ويخرج الزكاة ، ويجتنب الكبائر الستة ، إلا قضت له أبواب الجنة ، ثم قيل له : ادخل بسلام » .

(١) مسند أحمد : ٣٣/٤ .

(٢) سلم ، كتاب الإيمان : ٧٥/١ .

(٣) في المخطوطة : أنس بن من . وليس في الصحابة من يدعى بهذا الاسم ، وفي مطبوعات التفسير : عن أنس رفته قال : كرم فر مثل الذى بلغنا ...

(٤) مسند أحمد : ٤٣٩/٥ . ومن رواية أخرى : ٤٤٠/٥ .

(٥) البخارى ، كتاب الجمعة : ٩/٢ .

(٦) أكب لى : أشغل كل منهم بالكلام .

وحكنا رواه النسائي (١) والحاكم في مستدركه، من حديث الليث بن مسعود رواه الحاكم أيضا وابن حبان في صحيحه، من حديث عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي علاله، هـ. ثم قال الحاكم: صحيح على شرط القضاة، ولم يخرجاه.

تفسير هذه السبع

وذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد، عن سالم أبي القيث، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع اللواتي قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، وقتل النفس [التي حرم الله] إلا بالحق، والسحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والقول يوم الفرج، وقذف المحصنات المؤمنات الفاجرات» (٢).

طريق أخرى عنه: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد (٣) بن حنبل، حدثنا أبو هريرة، عن عثمان بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الكبائر سبع، أولها الإشراف بالله، ثم قتل النفس بغير حقها، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، إلى أن يكبر، والقول من الفرج، ورمى المحصنات، والافتلاب إلى الأعراب بعد الهجرة».

فالسبع على هذه السبع بأسماء كبائر لا يضي ما عداهن، إلا عند من يقول بمفهوم القبح، وهو حديث عند عدم القرينة، ولا سيما عند قيام التلليل بالمتطوق على عدم المفهوم، كما ستورده من الأحاديث المتضمنة من الكبائر غير هذه السبع، فمن ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه حيث قال:

حدثنا أحمد بن كامل القاضى إملاء، حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد، حدثنا معاذ بن هاني، حدثنا حريص بن شداد، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن عبد الحميد بن سنان، عن عبيد بن حمير، عن أبيه يحيى - حشيرة بن قتادة - رضى الله عنه أنه حدثه - وكانت له صحبة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع: «ألا إن أولياء الله الصالحين من يكتم الصلوات الخمس التي كتبت عليه، ويصوم رمة أن يحسب صومه، يرى الله عليه حق، ويضلي زكاة ماله يحسبها، ويجنب الكبائر التي نهي الله عنها، ثم إن رجلا سأله فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: قس: الشرك بالله، وقتل نفس مؤمن بغير حق، وفراغ يوم الفرج، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال بيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا، ثم [قال] (٤): لا يموت رجل لا يعمل هؤلاء الكبائر، ويقدم الصلاة ويؤتي الزكاة، إلا كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في دار [أبوها مصارع] (٥) من نعمه».

(١) التلاني، كتاب تركاة: ٨/٥.

(٢) صحيح البخارى، كتاب الوصايا: ١٧٧٤، ومسلم، كتاب الإيمان: ١٤٧١.

(٣) كذا، ولم نجد له بن حنبل.

(٤) من المستدرك: ٥٩٧١.

(٥) مكانه في الصورة: صفاتها، والمكتبة من المستدرك.

وهكذا رواه الحاكم مطولا وقد أخرجه أبو داود والترمذي (١) مختصرا من حديث معاذ بن هاني - به - وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ميسرة . ثم قال الحاكم : رجاله كلهم يثق بهم في الصحيحين إلا عبد الحميد بن ستان . قلت : وهو حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث ، وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات ، وقال البخاري : في حديثه نظر .

وقد رواه ابن جرير ، عن سليمان بن ثابت (٢) الجعفي ، عن سلم بن سلام (٣) ، عن أيوب بن عتبة ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عبيد بن حمير ، عن أبيه ، فذكره . ولم يذكر في الاستناد : عبد الحميد بن ستان ، فالحق أعلم .

حديث آخر في معنى ما تقدم : قال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا أحمد بن يوسف ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن الوليد ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال : لا أقسم ، لا أقسم . ثم نزل قال : أبشروا ، أبشروا ، من صلى الصلوات الخمس ، واجتنب الكبائر السبع ، نودي من أبواب الجنة : ادخل . قال عبد العزيز : لا أعلمه إلا قال : سلام . قال المطلب : سمعت من سأل عبد الله بن عمرو : أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر من ؟ قال : نعم : وحقوق الوالدين ، وإشراك بالله ، وقتل النفس ، وقذف المحصنات ، وأكل مال اليتيم ، والقرار من الزحف ، وأكل الربا .

حديث آخر في معناه : قال أبو جعفر بن جرير في التفسير : حدثني يعقوب ، حدثنا [ابن] علقمة ، أن عمر بن الخطاب ابن عريقا عن طيسة (٤) بن مياس قال : أتت [من] التَّجْدَات (٥) ، فأصبت ذنوبيا لا أراها إلا من الكبائر ؟ فقلت ابن عمر : قلت له : إلى أصبت ذنوبيا لا أراها إلا من الكبائر . قال : ما هي ؟ قلت : أصبت كذا وكذا ، قال : ليس من الكبائر . قلت : وأصبت كذا وكذا . قال : ليس من الكبائر قال : بشيئ لم يسمه طيسة - قال : هي سبع وسأحدثكم عليا : الإشراك بالله ، وقتل النفس بغير حقها ، والقرار من الزحف ، وقذف المحصنة ، وأكل الزبا وأكل مال اليتيم ظلما . وإلحاد في المسجد الحرام : [والذي] يستحضر ، ويكاه الوالدين من العقوق . قال زياد : وقال طيسة لما رأى ابن عمر : فرق (٦) . قال : أخاف النار أن تدخلها ؟ قلت : نعم . قال : ويجب أن تدخل الجنة ؟ قلت : نعم . قال : أحيي والداك ؟ قلت : نعم . قال : فوالله لئن أنت ألتفت لما الكلام ، وأطعمتها الطعام ، لتدخلن الجنة ما اجتبت الموجبات .

طريق أخرى : قال ابن جرير : حدثنا سليمان بن ثابت الجعفي (٧) الواسطي ، حدثنا سلم بن سلام ، حدثنا أيوب بن عتبة ، عن طيسة بن حلي التهمدي قال : أتيت ابن عمر وهو في ظل أراك يوم حرة ، وهو يصب الماء على رأسه ووجهه ،

(١) سنن أبي داود ، كتاب الوصايا ، ١١٧/٢ ، ونجدة الإحوف ، كتاب اليهود ، ٣ .

(٢) في الطبري ٢٤١/٨ = سليمان بن ثابت الترمذي .

(٣) في المطبوعة : سلم بن سلام . ينظر كترجيع السابق .

(٤) في المطبوعة : طيسة . وهو خطأ . ينظر تفسير الطبري ٢٣٩/٨ ، والتملص .

(٥) التبعات : قوم من الخوارج .

(٦) فرق : جرح .

(٧) في تفسير الطبري ٢٤٠/٨ = التهمدي .

قلت : أخبرني عن الكيأر ؟ قال : هي سمع : قلت : ما هي ؟ قال : الإشراف بالله ، وتلك المصيبة — قال قلت : قبل القتل (١) ؟ قال : نعم وَرَّعْتُمَا ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُؤْتَمَةِ ، وَالْقِرَارُ مِنَ الرِّحْفِ ، وَالسَّحَرُ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَا لَيْتِمُ ، وَخُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِلْحَادُ بَالَيْتِ الْحَرَامِ ، قَبْلَتُكُمْ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا .

هكذا رواه من حديث الطبريقين موقوفًا ، وقد رواه علي بن الجعد عن أيوب بن حنيفة ، عن طيلة بن حل قال : أتيت ابن عمر حشية حرفة ، وهو تحت ظل أراكمة ، وهو يصب الماء على رأسه ، فسأله عن الكيأر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هُنَّ سَبْعٌ : قال قلت : وما هنَّ ؟ قال : الإشراف بالله وتلفت المصيبة — قال قلت : قبل الدم ؟ قال : نعم ورنمًا : وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُؤْتَمَةِ ، وَالْقِرَارُ مِنَ الرِّحْفِ ، وَالسَّحَرُ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَا لَيْتِمُ ، وَخُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَإِلْحَادُ بَالَيْتِ الْحَرَامِ قَبْلَتُكُمْ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا .

وكذا رواه الحسن بن موسى الأشيب ، عن أيوب بن حنيفة الجاني — وفيه ضعف — والله أعلم .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا زكريا بن عيسى ، حدثنا بقرية ، عن عمر بن سعد (٢) ، عن خالد بن معدان : أن أبا رهم السعدي حدثهم ، عن أبي أيوب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جحد الله لا يشرك به شيئًا ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وصام رمضان ، واجتنب الكيأر ، فله الجنة — أو دخل الجنة — فيأله رجل : ما للكيأر ؟ فقال : الشراكة بالله ، وَقَتْلُ النَّفْسِ مُسْلِمَةً ، وَالْقِرَارُ يَوْمَ الرِّحْفِ » .

ورواه أحمد أيضًا ، والنسائي ، من غير وجه ، عن بقرية

حديث آخر : روى الحافظ أبو بكر ابن مردويه في تفسيره ، عن طريق سليمان بن داود البجلي — وهو ضعيف — عن الزهري عن أبي بكر بن محمد [بن حنبل] عن حماد ، عن أبيه ، عن جده قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن كتابًا فيه الفرائض والسنن والديارات ، وبعث به مع عمرو بن حزم ، قال : وكان في الكتاب : « إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة : إشرافك بالله ، وقتل النفس المؤتمنة بغير حق ، والقِرَارُ في حبل الله يوم الرِّحْفِ ، وحقوق الوالدين ، وروى المصنف ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم » .

حديث آخر فيه ذكر شهادة الزور : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبه ، حدثني حبيب الله بن أبي بكر (٣) قال : سمعت أنس بن مالك قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر — أو سئل عن الكبائر — فقال : « والشركة بالله » ، وقتل النفس ، وحقوق الوالدين . وقال : ألا أنبئكم بأكثر الكبائر ؟ [قال] : قول الزور — أو شهادة الزور . [قال شعبه : أكبر ظني أنه قال : شهادة الزور] (٤)

(١) في المخطوطة : قتل النفس . والمثبت من المرجع السابق . وينظر الآثار الثلاثة .

(٢) في المخطوطة : يحيى بن سعيد . وهو خطأ . ينظر المصنف ١٣/٥ ، ١١٤ . والمصنف ، وتبسيط اللغوي ١٦٠١ .

(٣) في المخطوطة : محمد بن أبي بكر . وهو خطأ . ينظر المصنف ١٣١/٢ ، ١٣٢ . وفيه الله خطأ . أخيه أنس بن مالك (المصنف) .

(٤) ما بين القوسين من المصنف .

أخرجاه من حديث (١) شعبة، به: وقد رواه ابن مَرْدَوَيْهِ من طريقين آخرين من أنس، بنحوه،

حديث آخر أخرجه الشيخان أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود (٢)، عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أتيتكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله، وحقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس فقال: - ألا وشهادة الزور، ألا وتوكف الزور؟ فلا زال يكرر ما حتى قلنا: ليه سكت.

حديث آخر فيه ذكر قتل الولد، وهو ثابت في الصحيحين، عن عبد الله بن مسعود قال: «قلت: يا رسول الله، أي اللب أعظم؟» وفي رواية أكبر - قال: أن يمسك الله تدأ وهو عطفك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية الله يطمئنه منك - قلت: ثم أي؟ قال: «إني أنزاني حيلة جارك، ثم قرأ: (والذين لا يندحون مع الله إلهاً آخر) - إلى قوله - (إلا من تاب)» (٣).

حديث فيه ذكر شرب الخمر: قال ابن أبي حاتم: أخبرنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، حدثني أبو صبر: أن رجلاً حدثه عن حماد بن حزم أنه سمع عبد الله بن مسعود بن العاصي [وهو بالحجر] بمكة، وسئل عن الخمر، فقال: والله إن عظيماً عند الله للشيء مثل يكتب في هذا المقام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلعنهم فسأله، ثم رجع فقال: سأله عن الخمر فقال: هي أكبر الكبائر، وأم القواش، من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وعالته ومعه.

خريب من هذا الوجه

طريق أخرى رواها الحافظ أبو بكر بن مَرْدَوَيْهِ من حديث، عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن داود بن صالح، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وأناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم أجمعين - جلسوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا أعظم الكبائر، فلم يكن عندهم ما يتهوّن إليه، فأرسلوا إلى عبد الله بن مسعود (٤) بن العاصي أسأله عن ذلك، فأخبر أن أعظم الكبائر شرب الخمر، فأنتهم فأخبرهم، فأذكروا ذلك، فوثبوا إليه حتى أتوه في داره، فأخبرهم أنهم حدثوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مكياً من بني إسرائيل أخذ رجلاً فغيره بين أن يشرب خراً، أو يقتل نفسه، أو يترأى، أو يأكل لحم غنم، أو يقتله. فأخبر شرب الخمر. وإله لا شرها لم ينتج من شيء أراده منه، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا جيباً: «ما من أحد يشرب [خراً] إلا لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، ولا يموت [أحد] وفي مثاقفه منها شيء - إلا حرم الله عليه الجنة، فإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية».

(١) البخاري، كتاب الأدب: ٤/٨، هـ. ومسلم كتاب الإيمان: ٦٤/١.

(٢) في الموطأ: بكر. الحديث رواه البخاري في كتاب الأدب: ٤/٨. ومسلم في كتاب الإيمان: ٦٤/١.

(٣) البخاري، كتاب الأدب: ٩/٨. ومسلم، كتاب الإيمان: ٦٣/١، ٦٤.

(٤) وإنما أرسلوه إلى عبد الله بن عمرو خاصة - وهم كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - لأن عبد الله كان يكتب ما يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، وقد استأذنه في ذلك فأذنه له، والله أعلم.

هذا حديث غريب من هذا الوجه جداً ، وداود بن صالح هذا هو الثمار الملقب مولى الأكماس ، قال الإمام أحمد : لا أرى به بأساً . وذكره ابن حبان في الثقات ، ولم أر أحداً جرحه .

حديث آخر عن عبد الله بن عمرو فيه ذكرُ اليمين الغموس : قال الإمام أحمد :

حدثنا [محمد بن جعفر] ، حدثنا شعبة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكبر الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، أو قتل [النفس] - شعبة الشاك - واليمين الغموس (١) » رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث شعبة - زاد البخاري (٢) وحيان ، كلاهما عن فراس - به :

حديث آخر في اليمين الغموس ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني الليث بن سعد ، حدثنا هشام بن سعد ، عن محمد بن زيد بن مهاجر بن ثعلبة التيمي ، عن أبي أمامة الأنصاري ، عن عبد الله بن أنس الجهمي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أكبر الكبائر الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس ، وما حلفت حالاً بالله يمين صبر فأدخل فيها مثل جناح البعوضة ، إلا كانت وكفة في قلبه إلى يوم القيامة » وهكذا رواه أحمد (٣) في مسنده ، وعبد بن حميد في تفسيره ، [كلاهما] عن يونس بن محمد المؤدب ، عن الليث بن سعد - به - وأخرجه الترمذي (٤) عن عبد بن حميد : لم قال : وهذا حديث حسن غريب وأبو أمامة الأنصاري هذا هو ابن طلبة ، ولا يعرف اسمه . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : وقد رواه عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب ، عن محمد بن زيد ، عن عبد الله ابن أبي أمامة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن أنس : فراده عبد الله بن أبي أمامة .

قلت : هكذا وقع في تفسير ابن مردويه وصحيح ابن حبان ، عن طريق عبد الرحمن بن إسماعيل ، كما ذكره شيخنا ، فتح الله في أجله .

حديث آخر عن عبد الله بن عمرو ، في التحبب إلى همم الوالدين : قال ابن أبي حاتم :

حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي ، حدثنا وكيع ، عن مسر وسفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو - رحمه سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ووقفه مسر على عبد الله بن عمرو - قال : « من الكبار أن يشتم الرجل والديه » قالوا : وكيف يشتم الرجل والديه ؟ قال : « يشتم الرجل أباه الرجل ليسب أباه » وسبب أمه ليسب أمه .

وقد أخرج هذا الحديث البخاري عن أحمد بن يونس ، عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

-
- (١) سنة أحد : ٢٠١/٢ . وصحيح البخاري : كتاب الإيمان والنذور : ١٧١/٨ ، ونسخة الأحرشي : كتاب الطهارة .
تفسير سورة النساء : ٤٧٤/٨ .
(٢) البخاري ، كتاب استنابة المرتدين : ١٧/٩ .
(٣) سنة أحد : ٤٩٥/٣ . وبين السبر : هي التي أكرم صاحبها نفسه بها .
(٤) نسخة الأحرشي : تفسير سورة النساء : ٣٧٣/٨ ، ٣٧٤ .

«إن من أكبر الكبار أن يلعن الرجل ولديه. قالوا: وكيف يلعن الرجل ولديه؟ قال: يسب الرجل أباه الرجل عيسبة أباه، ويسب أمه عيسبة أمه» (١).

وهكذا رواه مسلم في حديث سليمان وهمة وي زيد بن الحاد، ثلاثهم عن سعد بن إبراهيم - به مرفوعاً بنحوه - وقال الترمذي: صحيح.

وليت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سباب المسلم فسوق» وقوله كثير (٢).

حديث آخر في ذلك: قال ابن أبي حاتم، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، حدثنا زهير بن محمد، عن الملاة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أكبر الكبار عرض الرجل للمسلم، والسبتان والسب».

هكذا روى هذا الحديث، وقد أخرجه أبو داود في كتاب الأدب من سننه، عن جعفر بن مسافر، عن عمرو بن أبي سلمة، عن زهير بن محمد، عن الملاة، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أكبر الكبار استطلاع المرأة في عرض رجل مسلم بغير حق، ومن الكبار السبتان بالسب» (٣).

وكذا رواه ابن مردويه عن طريق عبد الله بن الملاة بن زهير (٤)، عن الملاة، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم - لذكر مثله.

حديث آخر فيه ذكر الجمع بين الصلاتين من غير علم، قال ابن أبي حاتم:

«حدثنا أبي، حدثنا نعيم بن حباد، حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن حنن، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من جمع بين الصلاتين من غير علم، فقد أتى باباً من أبواب الكبار» (٥). وهكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن أبي سلمة عيسى بن خنكف، عن المعتمر بن سليمان، به. ثم قال: حنن هو أبو علي الرحبي، وهو حنين بن قيس، وهو ضعيف عند أهل الحديث، ضعفه أحمد وغيره (٦).

وقد روى ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا إسماعيل ابن عتيبة، عن خالد الخذاء، عن حميد ابن حلان، عن أبي قتادة - يعني الطوسي - قال: قرئ علينا كتاب عمر: من الكبار جمع بين الصلاتين - يعني بغير علم - والقرار من الحرف، والنتيجة.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب: ٣/٨. ومسلم، كتاب الإيمان: ١/٦٤٤، ونسخة الأحمد، كتاب البر: ٢٨/٦.

(٢) البخاري، كتاب الأدب: ١٨/٨. ومسلم، كتاب الإيمان: ١/٥٧، ٥٨.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب: ٢٦٩/٤.

(٤) في المخطوطة: زيد. وللمت عن الجرح: ١٢٨/٢/٣.

(٥) وذلك لأن الجمع من غير علم طريق إلى التهاون الذي يؤدي إلى ترك الصلاة بالكلية، وترك الصلاة من الكبار، بل إن من الأمة من عدم كفرًا، واستدل على ذلك بقوله تعالى: (وأتموا الصلاة وآتوا الزكاة ولا تكونوا من المفركين).

(٦) نسخة الأحرشي، كتاب الصلاة: ١/٥٦١، ٥٦٢.

وهذا إسناده صحيح : والفرع أن إذا كان الزميد فيمن جمع بين الضالين كالظهور والعصر ، فعدا أو تأخيراً ، وكذا المغرب والعشاء هما من شأنه أن يجمع بسبب من الأسباب الشرعية ، فإذا تعاطاه أحد بفرد شيء من تلك الأسباب يكون مرتكباً كبيرة ، فإذا ظنك بمن يترك الصلاة بالكلية ! ولهذا روى مسلم في صحيحه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة ^(١) » وفي السنن عنه ، عليه السلام ، أنه قال ، العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر ^(٢) . وقال : « من ترك صلاة العصر فقد خبط غوطه ^(٣) » . وقال : « ومن فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ^(٤) » .

حديث آخر فيه : اليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي حاتم النخيل ^(٥) ، حدثنا أبي ، حدثنا أبي ، حدثنا شيبه بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متكباً فدخل عليه رجل فقال : ما الكبار ؟ قال : « الشرك بالله ، واليأس من روح الله » ، [والقنوط من رحمة الله] ، والأمن من مكر الله ، وهذا أكبر الكبائر ،

وقد رواه البراء ، عن عبد الله بن إسحاق المطار ، عن أبي حاتم النخيل ، عن شيبه بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما الكبار ؟ قال : « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله عز وجل » .

وإن إسناده نظر ، والأشبه أن يكون موقوفاً ، فقد روى عن ابن مسعود نحو ذلك ، قال ابن جرير :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مطرف ، عن وبرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الطفيل قال : قال ابن مسعود : أكبر الكبائر الأثر بالله ، والإيأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله .

وكذا رواه من حديث الأعمش وأبي إسحاق ، عن وبرة ، عن أبي الطفيل ، عن ابن مسعود . ثم رواه من طريق عدة ، عن أبي الطفيل ، عن ابن مسعود . وهو صحيح إليه بلا شك .

حديث آخر فيه سوء الظن بالله ، قال ابن مردويه :

حدثنا محمد بن إبراهيم بن بشار ، حدثنا أبو حاتم بكر بن هيدان ، حدثنا محمد بن مهاجر ، حدثنا أبو حذيفة البخاري ، عن محمد بن حنبلان ، عن ثافة ، عن ابن عمر أنه قال : أكبر الكبائر سوء الظن بالله ، عز وجل . حديث غريب جداً .

(١) مسلم : كتاب الإيمان ، عن جابر بن عبد الله : ١ / ٦١ ، ٦٢ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، الحديث : ١٠٧٩ / ١ - ٣٤٦ .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الصلاة ، الحديث : ٦٩٤ / ١ - ٢٢٧ . وصححه أحد ، عن يرويه : ٣٦١ / ٥ .

(٤) مسلم : كتاب المساجد ، ٥١١ / ٢ .

(٥) كذا في أوله .

حديث آخر فيه التعرّب بعد الهجرة (١) ، قد تقدم في رواية عُمَرُو بن أَبِي سلمة [عن أبيه] عن أبي هريرة مرفوعاً قال أبو بكر ابن مرّة كوفي : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن وهدين ، حدثنا قُتَيْبَةُ بن خالد الحراني ، حدثنا ابن أبي عمير عن يزيد بن أبي حبيب ، عن محمد بن سهل بن أبي حنيفة ، عن أبيه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الكفار سبع ، ألا تسألوني عنهن ؟ الشرك بالله ، وقتل النفس ، والفرار يوم الحزف ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وقلب الحصنة ، والتعرب بعد الهجرة » .

وفي إسناده نظر ، ورفقه غلط فاحش ، والصبواب ما رواه ابن جرير :

حدثنا نعيم بن المنصور ، أخبرنا يزيد ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن سهل بن أبي حنيفة ، عن أبيه قال : إني لفي هذا المسجد - مسجد الكوفة - وعلى رضى الله عنه يتخطب الناس على المنبر ، فقال : يا أيها الناس ، الكفار سبع : فأصابع الناس ، فأصابعها ثلاث مرات ، ثم قال : ثم لا تسألوني عنها ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ، ما هي ؟ قال : « الشرك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقلب الحصنة ، وأكل مال اليتيم ، والفرار يوم الحزف ، والتعرب بعد الهجرة » . فقلت لأبي : يا أبت ، التعرّب بعد الهجرة ، كيف خلقها لنا ؟ قال : ثلثا بيني ، وبها أعظم من أن يهاجر الرجل ، حتى إذا وقع فيه في شيء . ووجب عليه الجهاد [خلع ذلك من عنقه] فرجع أحراراً كما كان .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا أبو معاوية - يعني شيبان - (٢) عن منصور ، عن هلال ابن يساف ، عن سلمة بن قيس الأشجعي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « ألا إنما من أربع أن لا يشركوا بالله شيء ، ولا تقفوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا » . قال : فما أنا بأشبع عليهن مني ، إذ سمعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم رواه أحمد (٣) أيضاً والتمأى وابن مرفوعة ، من حديث منصور ، بإسناده مظهر .

حديث آخر تقدم من رواية عُمَرُو بن المغيرة (٤) ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الإسرار في الرخصة من الكبائر » . والصحيح ما رواه غيره ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال ابن أبي حاتم : وهو الصحيح عن ابن عباس ، من قوله .

حديث آخر في ذلك ، قال ابن جرير :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنا عباد بن عباد ، عن جعفر بن الزبير ، عن التميمي ، عن أبي أمامة أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا الكبائر وهو متكئ . فقالوا : الشرك بالله ، وأكل مال

(١) أي الرجوع إلى سكنى البداية كالأعرابي .

(٢) في المخطوطة : مثله . وهو خطأ ، ينظر التلخيص : والمجلد : ٣٣٩/٤ .

(٣) المتن : ٣٣٩/٤ .

(٤) في تفسير الآية رقم ١٢ من هذه السورة ، وفي قوله تلك : (ولكم نصف ما ترك لأولادكم ...) .

اليتيم ، وافرار من الزحف ، وقلع الحصنة ، وحقوق الوالدين ، وقول الزور ، والفلوك ، والسر ، وأكل الربا .
 قال رسول الله صلى الله عليه : فأين يحملون (الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) ؟ إلى آخر الآية .
 في إسناده ضعيف ، وهو حسن .

ذكر أقوال السلف في ذلك

قد تقدم ما روى عن أمير المؤمنين ع ، وعلى رضي الله عنهما في ضمن الأحاديث المذكورة : وقال ابن جرير :
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عسكينة ، عن ابن عون ، عن الحسن : أن ناسا سألوا عبد الله بن عمرو ع
 فقالوا : نرى أشياء من كتاب الله ، أمر أن يعمل بها ، لا يعمل بها ، فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك ؟ فقدم وقموا
 معه ، فلقبه (١) عمر رضي الله عنه ، فقال : متى قدمت ؟ فقال : متدكلا وككلا قال : أي إذن قدمت ؟ قال : فلا أدرى
 كيف رد عليه . قال : يا أمير المؤمنين ، إن ناسا لقروني بمصر فقالوا إنا نرى أشياء من كتاب الله ، أمر أن يعمل بها فلا
 يعمل بها ، فأحبوا أن يلتزموا في ذلك . قال : اجتمعهم لي . قال : فاجتمعهم له . قال ابن عون : أظنه قال : في بهو -
 فاعل أدانهم رجلا فقال : نشدك بالله وبحق الإسلام عليك ، أقرأت القرآن كله ؟ قال : نعم . قال : فهل أحصيته (٢)
 في نفسك ؟ قال : اللهم لا . قال : ولو قال : نعم ، لحصنته . قال : فهل أحصيته في بصرك ؟ فهل أحصيته في لفظك ؟ هل
 أحصيته في أمرك (٣) ؟ لم تبصهم حتى أتى على آخرهم . قال : فكذلك عمر أمه . أتكلّفونه أن يقيم الناس على كتاب الله ؟
 قد علم ربنا أنه ستكون لنا سيئات . قال : وتلا : (إن يجتنبوا كبار ما تنهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم) الآية . ثم قال :
 هل علم أهل المدينة - أو قال : هل علم أحد - بما تلتسم ؟ قالوا : لا . قال : لو علموا لو حفظت بكم .

إسناده حسن ومتم حسن ، وإن كان من رواية الحسن عن عمر ، وفيها انقطاع ، إلا أن مثل هذا اشتهر فتكفى شهره .
 وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيري - حدثنا علي بن صالح ، عن عثمان
 ابن المغيرة ، عن مالك بن جوين (٤) ، عن علي رضي الله عنه قال : للكبار الإشراف بالله ، وقتل النفس ، وأكل مال
 اليتيم ، وقلع الحصنة ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، والسر ، وحقوق الوالدين ، وأكل الربا ،
 ورفاق الجماعة ، وبكت الصفقة .

وتقدم عن ابن مسعود أنه قال : أكبر الكبائر الإشراف بالله ، واليأس من روح الله ، والتقنوط من رحمة الله ، والأمن
 من مكر الله ، عز وجل .

وروى ابن جرير ، من حديث الأعمش ، عن أبي الضحى ، من مسروق - والأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ،
 كلاهما عن ابن مسعود قال : الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية منها . ومن حديث سفيان الثوري وشعبة ، عن

(١) في المخطوطة : قلني . والكتب من تفسير الطبري : ٢٥٥/٨ .

(٢) يعني : هل أسبغت به وحفظت وقتت بما أمر به .

(٣) كما في مخطوئتنا ، وفي تفسير الطبري : في أمرك .

(٤) يقال أيضا : مالك بن الجرد . ينظر الجرح : ٢٠٧/١٤ .

عن عاصم بن أبي النجود ، عن زو بن حَبِيش ، عن ابن مسعود قال : الكباير من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية منها . ثم تلا : (إن يحبوا كباير ما تهون عنه) .. الآية .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا للثر بن شاذان ، حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا صالح بن حيان ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : أكبر الكباير : الشرك بالله ، وحقوق الوالدين ، ومنع فضل الماء بعد الري ، ومنع طروق الفضل إلا بعمل .

وفي الصحيحين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكثرة . وفيهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم : رجلٌ حلّ فضل ماء بالقتلة عنه ابن السبيل (١) . وذكر الحديث بتمامه .

وفي مسند الإمام أحمد ، من حديث حمّاد بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده مرفوعاً : « من منع فضل الماء وفضل الكباير منه الله فضله يوم القيامة » (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسين بن محمد بن شعبة (٣) الواسطي ، حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : ما أخذ على النساء من الكباير . قال ابن أبي حاتم : يعني قوله : (حلّ أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن) .. الآية .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن حلبة ، حدثنا زياد بن عرق ، عن معاوية بن قرة قال : أينما أُنس من مالك ، فكان فيما حدثنا قال : لم أر مثل الذي بلغنا عن ربنا تعالى ، لم نخرج له من كل أهل ومال . ثم سكنت حديثاً ثم قال : والله ما كلّفنا (٤) ربنا أهون من ذلك ، لقد تجاوز لنا عما دون الكباير ، فالتا ولها ، ثم تلا : (إن يحبوا كباير ما تهون عنه) الآية .

أقوال ابن عباس في ذلك

روى ابن جرير ، من حديث العنبر بن سليمان ، عن أبيه ، عن طاوس قال : ذكروا عند ابن عباس الكباير فقالوا : هي سبع فقال : هي أكثر من سبع وسبع - قال سليمان (٥) : فما أدري كم قاما [من] مرة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن طاوس قال قلت لابن عباس : ما فسح الكباير ؟ قال : هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع .

ورواه ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن جرير ، عن ليث ، عن طاوس قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : رأيت الكباير السبع إلى ذكرهن من الله ؟ ما هن ؟ قال : هن إلى السبعين أدنى منهن إلى سبع .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ٢/٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ١/٧٢ .

(٢) مسند أحمد : ١٧٩/٢ .

(٣) في المسطرة : ضحية . ينظر المرح : ٦٥/٢/١ .

(٤) في المسطرة : والله ما خلقتنا . وهو تحريف . ينظر تفسير الطبري : ٢٥٦/٨ .

(٥) نص الطبري ٢٤٥/٨ : « قال : فما أدري » . حيث ذكر سليمان .

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن طاوس، عن أبيه قال: قيل لآلئ بن جاسم الكباير سبع؟ قال: من إلى السبعين أقرب. وكل ذلك قال أبو المالية الراعي، رحمه الله.

وقال ابن جرير: حدثنا المثنى، حدثنا أبو حليفة، حدثنا شبل، عن قيس بن سعد، عن سعيد بن جبيرة، أن رجلاً قال لآلئ بن جاسم: كم الكباير؟ سبع؟ (١) قال: هي إلى سيمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار. وكل ما رواه ابن أبي حاتم، عن حنث شبل - به.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن جاسم في قوله: (إن يجتبروا كباير ما تنهون عنه) قال: الكباير كل ذنب عظمه الله بتار أو غضب أو لعت أو عذاب. ورواه ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا ابن فضيل، حدثنا شيب، عن حكيم، عن ابن جاسم قال: الكباير: كل ما وعد الله عليه التارك كبيرة. وكل ما قال سعيد بن جبيرة، والحسن البصري.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عليه، أخبرنا أيوب، عن محمد بن سيرين قال: ثبت أن ابن جاسم كان يقول: كل ما سعى الله عنه كبيرة - وقد ذكرت الطرقة، قال: هي المنتزة.

وقال أيضاً: حدثنا أحمد بن حازم، أخبرنا أبو نعيم، حدثنا عبد الله بن ممدان (٢)، عن أبي الوليد قال: سألت ابن جاسم عن الكباير فقال: هي: كل شيء عصى الله فيه فهو كبيرة.

أقوال التاجين

قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عليه، عن ابن حو، عن حماد قال: سألت صبيحة عن الكباير، فقال: الإشرار بالله. وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها. وفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم بغير حقه وأكل الربا واليهتان. قال: ويقولون: أصراية بعد هجرة - قال ابن حو: قتلت حماد: فالسحر؟ قال: إن اليهتان يجمع شرهما.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن حيد الشحارقي، حدثنا أبو الأحوص سلام بن سالم، عن أبي إسحاق، عن صبيحة ابن عمير قال: الكباير سبع، ليس منهن كبيرة إلا وفيها آية من كتاب الله: الإشرار بالله منهن: (ومن يشرك بالله فكأنما ثمر من الساء فضخقه الطير أو نوى به الريح). و (إن الذين يأكلون أموال اليتيم ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً). و (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس). و (الذين يؤمنون بالغفلات المؤمنات). والفرار من الزحف: (يا أيها الذين آمنوا إذا قُتِلَ منكم فتيقنوا زحفاً).. الآية، والتعرب بعد الهجرة: (إن الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى). وقتل المؤمن: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها).. الآية.

(١) نص البكري ٢٤٥/٨: «سبع هي».

(٢) في تفسير البكري ٢٤٦/٨: «به الله بن ممدان».

وكلا رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي إسحاق ، عن حبيب ، بنحوه :

وقال ابن جرير : حدثنا المنفى ، حدثنا أبو حنيفة ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي تيجان ، عن عطاء - يعني ابن أبي رباح - قال الكبار سبع : قتل النفس ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، ورعى المحسنة ، وشهادة الزور وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن مغيرة قال : كان يقال ستم أبي بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، من الكبار .

قلت : وقد ذهب طائفة من العلماء إلى تكثير من سب الصحابة ، وهو رواية عن مالك بن أنس ، رحمه الله . وقال محمد بن سيرين : ما أظن أحدا ينتقص (١) أبيا بكر ، وعمر ، وهو يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه الترمذي ، وقال ابن أبي حاتم أيضا : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عبد الله بن عباس ، قال زيد بن أسلم في قول الله عز وجل : (إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه) : من الكبار : الشرك ، والكفر بآيات الله ورسله ، والسحر ، وقتل الأولاد ، ومن دعا قتلدا أو صاحبة ، ومثل ذلك من الأعمال ، والقول الذي لا يصلح معه عمل ، وبما أكل ذنب يصلح معه دين ، - يقبل معه عمل فإن الله يفر السيئات بالحسنات .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : (إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه) . الآية : إنما وعد الله المخفرة لمن اجتنب الكبار ، وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : واجتنبوا الكبار ، وسددوا ، وأبشروا .

وقد روي ابن مردويه عن طريق عن أنس ، وعن جابر مرفوعا : « شفاعتي لأهل الكبار من أمي » . ولكن في إسناده من جميع طرقه ضعف ، إلا ما رواه عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شفاعتي لأهل الكبار من أمي » . فإنه إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقد رواه أبو عيسى الترمذي منفردا به من هذا الوجه ، عن عباس المتنبري ، عن عبد الرزاق ثم قال هذا : حديث حسن صحيح (٢) . وفي الصحيح شاهد له ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذكر الشفاعة : « أئرونها المؤمنين المتقين ؟ لا ، ولكنها الخاطئين المتلوذين » (٣) ، وقد اختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة ، فمن قال : هي ما عليه حد في الشرع . ومنهم من قال : هي ما عليه وعيد مخصوصه من الكتاب والسنة . وقيل غير ذلك .

قال أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرازي ، في كتابه الشرح الكبير الشهير ، في كتاب الشهادات منه : ثم اختلف الصحابة رضى الله عنهم ، فمن يذهب في الكبار ، وفي الفرق بينها وبين الصغار وبعض الأصحاب في تفسير الكبيرة وجوه ٤ :

- (١) في المخطوطة : يهضم . والمثبت من سنن الترمذي ، ينظر تحفة الأحوص ، كتاب المناقب : ١٧٢/١٠ ومضى ينتقص : يقع فيه ويهضم .
- (٢) تحفة الأحوص ، كتاب صفة القليلة : ١٢٧/١٠ ، ١٢٨ .
- (٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، الحديث ٤٣١١ : ١٤٤١/٢ . ومسته أحد : ٧٥/٢ .

أسماء : أنها المصيبة المراجعة للحد .

والثاني : أنها المصيبة التي يلحق صاحبها الوحيد الشديد بقصص كتاب أو سنة . وهذا أكثر ما يوجد لهم ، وهو أن الأول أبيل ، لكن الثاني أقوى لما ذكره عند تفسير الكبار .

والثالث : فالعلماء الحرميون في الإرشاد وغيره : كل جريمة تبيح بقتل أكثر من مرتكبها بالدين ورقة الشهادة فهي مبطله العدالة .

والرابع : ذكر القاضي أبو سعيد المروى أن الكبيرة كل قتل نفس الكتاب على عمره ، وكل مصيبة توجب في جنسها حداً من قتل أو غيره ، وترك كل رخصة مأموراً بها على الفور ، والكلية في الشهادة ، والرواية ، واليمين .

هذا ما ذكره على سبيل الضبط .

ثم قال : وفصل القاضي الرويان فقال : الكبار سبع : قتل النفس بغير الحق ، والزنا ، والوطء ، وشرب الخمر ، والسرقة ، وأخذ مال خصماً ، والقتل : وزاد في الغافل ، على سبع المذكورة : شهادة الزور ، وأضيأت إليها صاحب المدة : أكل الربا ، والإططار في رمضان بلا علم ، واليمين الفاجرة ، وقطع الرحم وحقوق الوالدين ، والفرار مع الفرج ، وأكل مال اليتيم ، والضيقة في الكيل والوزن ، وتقديم الصلاة على وقتها ، وتأخيرها عن وقتها بلا علم . وغربت المسلم بلا حق ، والكلية على النفس صل الله عليه وسلم حداً ، وسب أصحابه ، وكيد الشهادة بلا علم ، وأخذ الرشوة ، والقيادة بين الرجال والنساء ، والسماحة عند السلطان ، ومنع ترك الصلاة ، وترك الأجر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ، ونسيان القرآن بعد تعلمه ، وإسراق الحيوان بالثار ، وامتناع المرأة مع زوجها بلا سبب ، واليأس من رحمة الله ، والأمن من مكر الله ، ويقال : الرخصة في أهل السلم وحملته القرآن . وما بعد من الكبار : الظهار ، وأكل لحم الخنزير ، والنية إلا عن ضرورة :

ثم قال القاضي : ولوقوف مجال في بعض هذه المصائب .

قلت : وقد صنف القاضي في الكبار مصنفات ، منها ما جمعه شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي [الذي] بالغ نحواً من سبعين كبيرة ، وإذا قيل إن الكبيرة ما توجد الشارع عليها بالثار خصوصاً ، كما قال ابن عباس وغيره ، وتنبع ذلك ، اجتمع منه شيء كبير ، وإذا قيل : كل ما نهي الله عنه فكثير جداً ، والله أعلم .

وَلَا تَتَّبِعُوا مَا أَفَضَ اللَّهُ بِهِ مِنْ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ فَرِيقًا مِمَّنْ كَفَرُوا
وَسُئِلُوا أَنْ يَمُوتُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٥﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن جابر قال : قال أم سلمة : يا رسول الله ، يزور الرجال ولا يزور ، ولنا نصيب من ميراث : فأنزل الله عز وجل : (وَلَا تَتَّبِعُوا مَا أَفَضَ اللَّهُ بِهِ مِنْ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ) (٥٥) .

ورواه الثوري عن ابن أبي عمير ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أم سلمة أنها قالت : قلت : يا رسول الله ... فذكره وقال : غريبه (١) ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ... أن أم سلمة قالت ...

ورواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وابن مردويه ، والحاكم في مستدركه (٢) ، من حديث الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، لا قتال فنشهد ، ولا قطع المرات فترلت : (ولا تكتنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، الرجال نصيب مما اكتسبوا والنساء نصيب مما اكتسبن) ثم نزلت : (أني لا أصعب حامل منكم من ذكر أو أنثى) .

ثم قال ابن أبي حاتم : وكلا روى سفيان بن عيينة ، يعني عن ابن أبي نجيح (جهلا القظ . وروى يحيى القطان ووكيع ابن الجراح ، عن الثوري) ، وعن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أم سلمة قالت قلت : يا رسول الله ... وروى عن مقاتل بن حيان وعصميف نحو ذلك .

وروى ابن جرير من حديث ابن جريج ، عن عكرمة ومجاهد أنها قالا : نزلت في أم سلمة :

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن شيخ من أهل مكة قال : نزلت هذه الآية في قول النساء : ليتنا الرجال فتجاهدنا كماجاهلون ، ونزوي في سبيل الله ، هو رجل .

وقال ابن أبي حاتم أيضا : حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية ، حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، حدثني أبي (٣) ، حدثنا الأعمش بن إسماعيل ، عن جعفر ، يعني ابن أبي المغيرة - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في (ولا تكتنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الرجال نصيب مما اكتسبوا والنساء نصيب مما اكتسبن) . قال : أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبي الله ، فذكر مثل حظ الأنثيين ، وشهادة امرأتين برجل ، فتحن في العمل هكذا ، إن عملت امرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة . فأئذ الله هذه الآية : (ولا تكتنوا) ، فإنه عمل مني ، وأنا صنعته .

وقال السدي : قوله : (ولا تكتنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) فإن الرجال قالوا : « نريد أن يكون لنا من الأجر القسمة على أجر النساء ، كما لنا في السهام سهران . وقالت النساء : « نريد أن يكون لنا أجر مثل أجر الرجال الشهداء ، فإننا لا نستطيع أن نقاتل ، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا » فأنى الله ذلك ، ولكن قال لهم : سلوني من فضل ، قال : ليس يرضى الدنيا .

وقد روى عن قتادة نحو ذلك : وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله : (ولا تكتنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) قال : ولا يتحنن رجل فيقول : « ليت لو أن لي مال غلات وأهلك » أو « ليتني الله عن ذلك » ، ولكن ليسأل الله من فضله :

(١) نص الثوري ، كما في نسخة الأحرشي ، تفسير سورة النساء ٣٧٧/٨ : « هذا حديث مرسل ، ورواه بعضهم ... » .

(٢) المستدرک : ٣٠٥/٢ : ٣٠٦ .

(٣) ينظر التلخيص : ٣٠٠/٢ : ٣٠٠ .

وكذا قال محمد بن سيرين والحسن والضحاك وطاعة بحر ذلك ، وهو الظاهر من الآية ، ولا يرد على هذا ما [ثبت] في الصحيح : « لاحد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على حكيكته في الحق ، فيقول وجعل ! لو أن لي مثل ما لقان لعلمت مثله . فهما في الأجر سواء » (١) فإن هذا شيء « غير ما نبت الآية » منه وذلك أن الحديث يحض على نفي مثل نعمة هذا ، والآية نهت عن نفي حَبْنِ نعمة هذا ، فقال : (ولا كنتموا ما فضل الله به بضمك على بعض) ، أي : في الأمور الدنيوية ، وكذا الدينية أيضا لحديث أم سلمة ، وابن عباس . وهكذا قال طاعة بن أبي رباح : « قلت في النهي عن نفي ما لقان ، وفي نفي النساء أن يكن رجالا فيفرون . رواه ابن جرير .

ثم قال : (الرجال نصيب مما اكتسبوا والنساء نصيب مما اكتسبن) أي : كل له جواره على عمله بحسبه ، وإن هبوا فغير ، وإن شرا فغير . وهو قول ابن جرير (٢).

وقيل : المراد بذلك في الميراث ، أي : كل يرث بحسبه . رواه الترمذي (٣) عن ابن عباس .
ثم أرشدني إلى ما يصلحهم فقال : (واسطوا الله من فضله) : لا كنتموا ما فضل به بضمك على بعض ، فإن هذا أمر هضم ، والضم لا يجدي شيئا ، ولكن سلوني من فضل أعطكم ، فإنني كرم وهابة .
وقد روي الترمذي وابن مردويه من حديث حماد بن واقد : « سمعت إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله من فضله » ، فإن الله يحب أن يسأل ، وإن أفضل العادة انتظار للفرج » .

ثم قال الترمذي : « كذا رواه حماد بن واقد ، وليس بالحافظ ، ورواه أبو ثعلبة ، عن إسرائيل ، عن حكيم بن جبير ، عن رجل ، عن أبي ذبي ، صلى الله عليه وسلم . وحديث أبي ثعلبة أنه يكون أصح » (٤).

وكذا رواه ابن مردويه من حديث وكيع ، عن إسرائيل ، ثم رواه من حديث قيس بن الربيع ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله من [فضله ، فإن الله] يحب أن يسأل ، وإن أحب عباده إليه الذي يحب الفرج » .

ثم قال : (إن الله كان بكل شيء عليا) أي : هو علم عن يستحق الدنيا ليعطيه منها ، ويعني يستحق الثغر ليقفرو ، وعلم عن يستحق الآخرة فيكتفيه لأعماله ، ويعني يستحق الخللان فيخلطه عن تعالى الغير وأسبابه . ولهذا قال : (إن الله كان بكل شيء عليا) .

وَلِكُلٍّ جَنَّةٌ مِّنْ لِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ . وَالَّذِينَ هَدَىٰ آلُكُمْ فَتَأْوَهُمْ فَقَاؤُهُمْ تَجْعِيلٌ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾

قال ابن عباس ، وجاهد ، وسعيد بن جبيرة ، وأبو صالح وكثافة ، وزيد بن أسلم ، والسدي والضحاك ، ومقاتل

(١) ينظر البخاري ، كتاب الزكاة : ١٢٤/٢ ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، الحديث ٤٢٢٨ ، ١٤١٢/٢ .
وتحفة الأوسى ، كتاب الزهد : ٦١٦/٦ . وقوله : « فهما في الأجر سواء » . من كلام الرسول .

(٢) تفسير الطبري : ٢٦٧/٨ .

(٣) كذا في مشهورنا ، وفي الطبري : القرائل .

(٤) تحفة الأوسى ، كتاب الحديث : ٢٢/١٠ ، ٢٢ .

ابن حيان ، وغيرهم في قوله : (ولكل جعلنا مولى) أى : ورة . وعن ابن عباس في رواية : أى عصبة . قال ابن جرير : والعرب تسمى ابن المولى ، كما قال الفضل ابن عباس :

مَهْلًا بَيْنَ عَصَمَتَا مَهْلًا مَوَالِيًا • لَا تُظْهِرُنْ لَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا^(١)

قال : ويعنى بقوله : (بما ترك الوالدان والأقربون) من تركه والديه وأقربيه من الميراث ، فتأويل الكلام : ولكلهم أباها الثامن - جعلنا عصبة يرثونه عما ترك والدهاء وأقربوه من ميراثهم له .

وقوله : (والذين عاققت أمثالكم) أى : والذين عاققتهم بالآيمان الموكلة - أنهم وهم - فأتواهم نصيبهم من الميراث ، كما وعدوهم في الآيمان المظلمة ، إن الله شاهد بينكم في تلك اليهود والمعادنات . وقد كان هذا في ابتلاء الإسلام ، ثم نسخ بعد ذلك ، وأمرنا أن يفرأ من عاقبتنا ، ولا يُنْشَرُوا بعد نزول هذه الآية معاقدة .

قال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد ، حدثنا أبو أسامة ، عن إدريس ، عن طلحة بن مسعود ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس : (ولكل جعلنا مولى) قال : ورة ، (والذين عاققت أمثالكم) ، كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصارى ، دون ذوى رحمته ، للأخوة التى آتى الله صلى الله عليه وسلم بينهم ، فلما نزلت : (ولكل جعلنا مولى) نسخت ، ثم قال : (والذين عاققت أمثالكم) فأتواهم نصيبهم) من النصير والرفادة والتصبية ، وقد ذهب الميراث ويوصى له .

ثم قال البخارى : سمع أبو أسامة إدريس ، وسمع إدريس عن طلحة^(٢) ،

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا إدريس الأودي ، أخبرني طلحة بن مسعود ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس في قوله : (والذين عاققت أمثالكم) .. الآية ، قال : كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث للمهاجري الأنصارى ، دون ذوى رحمته ، بالأخوة التى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ، فلما نزلت هذه الآية : (ولكل جعلنا مولى عما ترك الوالدان والأقربون) نسخت . ثم قال : (والذين عاققت أمثالكم) فأتواهم نصيبهم) ،

وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج - وعثمان بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : (والذين عاققت أمثالكم) فأتواهم نصيبهم) فكان الرجل قبل الإسلام يعاقد الرجل ، يقول : ترثني ولرثك . وكان الأحياء يتعاقبون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل حلف كان في الجاهلية أو عقد أدركه الإسلام ، فلا يزيده الإسلام إلا شدة ، ولا عقد ولا حلف في الإسلام . فسقطها هذه الآية : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) .

(١) البيت في الكامل لم يرد : ١١١٢ . والظاهر : وله . وفي الكامل .

• لا تظهِرُنْ لَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا •

(٢) كذا في المخطوطة ، ويقول أبو حيان في البحر المحيط ٢٣٨/٢ : وقرأ الكوفيون : «عقدت» بخفيف التناف من غير ألف ، وشد التناف جزء من رواية حل بن كبة ، والباقيون «عاقبت» بألف .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير : ٥٥/٦ .

ثم قال : وروى عن سعيد بن المسيب ، وعجم ، وعطاء ، والحسن ، وسعيد بن جبر ، وأبو صالح ، والشعبي ، وسليمان بن يسار ، وعكرمة ، والبدلي ، والفضلك ، وقادة ، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا : هم الخلفاء .
وقال الإمام أحمد حدثنا حبان ، حدثنا شريك [عن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - ورواه - قال : ما كان من حلف في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا حلة وشلة (١)] .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن شريك ، عن سمك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وحدثنا أبو كريب ، حدثنا مصعب بن المقدم ، عن إسرائيل بن يونس ، عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حلف في الإسلام ، وكل حلف كان في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شلة » وما يسرى أن في حشر النعم وأنى نقصت الحلف الذي كان في دار النوبة (٢) . هذا فقط ابن جرير .

وقال ابن جرير [أيضا] : وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علكة ، عن عبد الرحمن [بن إسحاق عن الثوري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن] بن عوف (٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شهدت حلف اللطيفين (٤) » ، وأنا غلام مع صموئيل ، فاحب أن لي حمر النعم وأنى أنكثته » ، قال الثوري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يصب الإسلام حلقا إلا زاده شلة » . قال : « ولا حلف في الإسلام : وقد ألف النبي صلى الله عليه وسلم بين قريش والأصنام » .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن بشر بن لقنض عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الثوري ، عن أبيه (٥) .
وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أنبأنا معوية ، عن أبيه ، عن شعبة بن التمام ، عن نيس بن حاصم : أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف ، قال فقال : « ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به » ، ولا حلف في الإسلام » . وكذا رواه أحمد عن هشيم (٦) .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن داود بن أبي حيد الله ، عن ابن جندعان ، عن جندب ، عن أم سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا حلف في الإسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شلة » .
وحدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ومولاه صلى الله عليه وسلم قال : « لا حلف في الإسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شلة » ، وحدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : « لا كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة عام افتتح قام خطيبا في الناس فقال : يا أيها الناس ، ما كان من حلف في الجاهلية ، لم يزد الإسلام إلا شلة ، ولا حلف في الإسلام » .

(١) مسند أحمد : ٣٢٩/١ - وما بين القوسين سقط عن خطوطنا .

(٢) حبر التميمي ، غير الإيلى وأسبغها على الموابر .

(٣) ما بين القوسين سقط عن خطوطنا ، وقد أثبتناه عن الطبري : ٢٨٦/٨ .

(٤) سموا بذلك لأنهم طابت أنفسهم بصرة للظلم ، وإسلاء كل ذي حق حقه ، وقيل : لأنهم هموا بالهدم في إزاء ملوكه بالطيب قبل الصلوة ويرام هذا الحلف .

(٥) مسند أحمد : ١٩٠/١ .

(٦) مسند أحمد : ٦١/٥ . ومما يعلقه على الرواية .

ثم رواه من حديث حسين المعلم ، وعبد الرحمن بن الحارث ، عن عمرو بن شعيب ، به .
وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا ابن نمير وأبو أسامة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن
أبيه ، عن جابر بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حلف في الإسلام ، وأما حلف كان في الجاهلية
لم يرد الإسلام إلا شدة (١) .

وهكذا رواه مسلم ، عن عبد الله بن محمد ، وهو أبو بكر بن أبي شيبة ، بإسناده ، مظه . ورواه أبو داود (٢) من عثمان
بن محمد بن أبي شيبة عن محمد بن بشر وابن نمير وأبي أسامة ، ثلاثتهم عن زكريا - وهو ابن أبي زائدة - بإسناده ، مظه ،
ورواه ابن جرير من حديث محمد بن بشر ، به . ورواه الشافعي من حديث إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن زكريا ،
عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع بن جابر بن مطعم ، عن أبيه ، به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم قال : أخبرني ، عن أبيه ، عن شعبة بن القوام ، عن عيسى بن عاصم : أنه
سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف . فقال : وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ، ولا حلف في الإسلام (٣) .
وكذا رواه شعبة ، عن مغيرة - وهو ابن مقسم - عن أبيه ، به .

وقال محمد بن إسحاق ، عن دلوذ بن الحصين قال : كنت أقرأ على لم سعد بنت [محمد بن] (٤) الربيع ، مع ابن ابنتها
موسى بن سعد - وكانت بنته في حجر أبي بكر - فقرأت عليها : (والذين عاهدت أيمانكم) فقالت : لا ، ولكن :
(والذين عقدت أيمانكم) . قالت : إنما نزلت في أبي بكر وإبنة عبد الرحمن ، حين أتى أن سلم ، فحلف أبو بكر أن
لا يورثه ، فلما سلم حين حمل على الإسلام بالسيف أمر الله أن يورثه نصيبه .

رواه ابن أبي حاتم ، وهذا قول غريب ، والصحيح الأول ، وأن هذا كان في ابتداء الإسلام يترافعون بالحلف ،
ثم نسخ وبني تأخير الحلف بعد ذلك ، وإن كانوا قد لبسوا أن يورثوا بالعقود والعهود ، والحلف الذي كانوا قد عاهدوه
قبل ذلك تقدم في حديث جابر بن مطعم وغيره من الصحابة : لا حلف في الإسلام ، وأما حلف كان في الجاهلية لم يرد
الإسلام إلا شدة (٥) .

وهذا نص في الرد على من ذهب إلى التواتر بالحلف اليوم ، كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ، ورواية من
أحمد بن حنبل ، رحمه الله .

والصحيح قول الجمهور ومالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه ، ولهذا قال تعالى : (ولكل جعلنا مولى ما ترك
الوالدان والأقربون) ، أي : ورثته من أقربائه من أبيه وأخيه ، ثم يورثه دون سائر الناس ، كما ثبت في الصحيحين ،
عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ولحقوا القرائن بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر (٦) . أي :

(١) مسند أحمد : ٨٢/٤ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب القرائن : ١٢٩/٣ .

(٣) مسند أحمد : ٦١/٥ .

(٤) من الإسماعية ، باب الكفر : ٤٣٧/٤ .

(٥) وأما أهل الإسلام الخلف ، لأن المسلمين قد صاروا بالإسلام شمة واحدة ، يسي بها أطعام ، وهم جميعاً يده على
من موافق ، وإنما أقر ما كان منها في الجاهلية ، لأن الولاء بالعقود ما نزل الأمر به في القرائن ، على جهة أن لا تنقض بأفراد
المسلمين أو جماعاتهم .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب القرائن : ١٨٨/٨ ، ومسلم ، كتاب القرائن : ٥٩/٥ .

انسموا للميراث على أصحاب القروض الذين ذكرهم الله في آتئ القراض ، لما بني بعد ذلك فأعطوه العسبة ، وقوله :
(والذين عاهدت أيمانكم) أى : قبل نزول هذه الآية فأتوهم نصيبهم ، أى من الميراث ، فلما حلف عكيد بعد ذلك
فلا تأثير له .

ولقد قيل : إن هذه الآية نسخت الحلف في المستقبل ، وحكم للماضي أيضا ، فلا تراوت به ، كما قال ابن أبي حاتم :
حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا إدريس الأودي ، أخبرني طلحة بن مُعترف ، عن سعيد بن جبيرة
عن ابن عباس : (فأتوهم نصيبهم) قال : من التصر والتعسبة والرفادة ، ويوصى له ، وقد ذهب للميراث ،
ورواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن أبي أسامة . وكذا روى عن جاهد ، وأبي مالك ، نحو ذلك .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله : (والذين عاهدت أيمانكم) قال : كان الرجل يعاهد الرجل ، أيهما مات
ورثه الآخر ، فأتول الله : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى
" أوليائكم معروفا) . يقول : إلا أن يوصوا لأوليائهم الذين عاهدوا وصية فهو لم جناز من لث مال [الميت] ، وذلك
هو المعروف .

وهذا نص غير واحد من السلف : أنها منسوخة بقوله : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مع
المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) .

وقال سعيد بن جبيرة : (فأتوهم نصيبهم) . أى : من الميراث . قال : وحائد أبو بكر مولى قورث . رواه ابن جرير .
وقال القرطبي عن سعيد بن المسيب : أنزلت هذه الآية في الذين كانوا يجتنون رجلا غير أبنائهم ، ويورثونهم ،
فأتول الله فيهم ، فجعل لهم نصيبا في الوصية ، ورد للميراث إلى المولى في ذى الرحم والتعسبة وأبى الله المدعين ميراثا من
أرحامهم وبناهم ، ولكن جعل لهم نصيبا من الوصية . رواه ابن جرير .

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله : (فأتوهم نصيبهم) أى : من التصر والتعسبة والمعرة ، لا أن المراد : فأتوهم
نصيبهم من الميراث . حتى تكون الآية منسوخة ، ولا أن ذلك كان حكما لم ينسخ ، بل إنما دلت الآية على إلغائه بالحلف
المعقود على التصر والتعسبة فقط ، فهي محكمة لا منسوخة .

وهذا الذى قاله فيه نظر ، فإن من الحلف ما كان على المناصرة والمباينة ، ومما كان على الإرث ، كما حكاه غير
واحد من السلف ، وكما قال ابن عباس : « كان المهاجرون يرث الأصباري دون قراباته وذوى رحمه ، حتى نسخ ذلك »
فكيف يقول إن هذه الآية محكمة غير منسوخة (١) ؟ والله أعلم .

(١) ينظر تفسير الطبري : ٢٨٨/٨ ، ٢٨٩ ، وجمعة الطبري : ١٩٢/٣ ، ١٩٣ ، فقه حنبلي المختار من رد ابن كثير
هذا بما يفيد في قضية النسخ .

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ وَمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَمِمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَلَا يَسْتَلْتُمْ عَنْهُنَّ مَا خَصَّ اللَّهُ بِمَا خَفِيَ اللَّهُ وَالَّذِي تَحْمِلْنَ كُفُوهُنَّ لَتَشَوْنَنَّ فِئْتَهُنَّ وَالْجُرُودُ فِي الْمَصَاحِجِ وَأَضْرِبُوهنَّ فَإِنْ أُلْحِمْكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٥٥﴾

يقول تعالى : (الرجال قوامون على النساء) أى : الرجل قَيِّمٌ على المرأة ، وهو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومودّها إذا اعوجّت (ما فضل الله بعضهم على بعض) أى : لأن الرجال أفضل من النساء ، والرجل خير من المرأة ، ولهذا كانت الثوبة غنمة بالرجال ، وكذلك الملك الأعظم ، لقوله صلى الله عليه وسلم : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة . (رواه البخارى (١) من حديث عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبيه . وكنا منصب القضاء وغير ذلك .

(وما أنفقوا من أموالهم) أى : من المهور والنفقات والكلف التى أوجبها الله عليهم من فى كتابه وستة نيه صلى الله عليه وسلم ، فالرجل أفضل من المرأة فى نفسه ، وله الفضل عليها والإفضال ، فناسب أن يكون قَيِّمًا عليها ، كما قال تعالى : (والرجال عليها درجة) الآية .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : (الرجال قوامون على النساء) . يئى : أمراء ، عليها أن تطيعها فيما أمرها به من طاعته ، وطاعته : أن تكون حسنة إلى أمه حافظته ماله . وكذا قال مقاتل ، والسدى ، والضحك .

وقال الحسن البصرى : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستعلمه على زوجها أنه لطمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انصاص فأقول الله عز وجل : (الرجال قوامون على النساء) .. الآية فرجعت بغير قصاص .

رواه ابن جرير (٢) وابن أبى حاتم ، من طرق ، عنه . وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة ، وابن جرير والسدى ، وأورد ذلك كله ابن جرير . وقد أسنده ابن مردويه من وجه آخر فقال :

حدثنا أحمد بن على التستالى ، حدثنا محمد بن عبد الله المصفى ، حدثنا محمد بن محمد الأشعث ، حدثنا موسى بن إسماعيل ابن موسى بن جعفر بن محمد ، حدثني أبى ، عن جندى ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن عيسى قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من الأنصار بامرأة له ، فقالت : يا رسول الله ، إن زوجها فلان بن فلان الأنصارى ، وإنه ضربها فأثر في وجهها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك له . فأقول الله : (الرجال قوامون على النساء) أى : قوامون على النساء فى الأدب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أردت أمراً أو أراد الله غيره » .

وقال الشعبي فى هذه الآية : (الرجال قوامون على النساء) أى فضل الله بعضهم على بعض (وما أنفقوا من أموالهم) . قال : الصداق الذى أعطاهما ، ألا ترى أنه لو قلنا لاحتها ، ولو قلته جككت .

وقوله : (فالنساء) أى : من النساء (فانتات) قال ابن عباس وغير واحد : يئى مطيعات لأزواجهن (حافظات للجب) .

(١) صحيح البخارى ، كتاب الفتن : ٧٠/٩ .

(٢) فى المصنوعة : ابن جرير . ويظهر تفسير البصرى : ٢٩١/٨ ، ٢٩٢ .

وقال السدي وغيره: أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله،

وقوله: (بحفظ الله) أي: المحفوظ من حفظه.

قال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا أبو صالح، حدثنا أبو معشر: حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غير النساء امرأة إذا نظرت إليها سركك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها وماله». قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (الرجال قوامون على النساء) ... إلى آخرها.

ورواه ابن أبي حاتم، عن يونس بن عصب، عن أبي داود الطيالسي، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، عن سعيد المقبري: به مثله سواء.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن سعيد (١) الله بن أبي جعفر: أن ابن قارظ أخبره: أن عبد الرحمن بن حوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا صلت المرأة غشمها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» (٢).

أقره به أحمد من طريق عبد الله بن قارظ، عن عبد الرحمن بن حوف.

وقوله: (واللاتي يخافون نشوزهن) أي: والنساء اللاتي يخافون أن ينشذن على أزواجهن، والنشوز: هو الانزعاج، فالمرأة النازية هي التي تفرقة على زوجها، بالتزكية لأمره، بالحرمة عنه، بالميلفة له. ففي ظهر له منها أمارات النشوز فليغلظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته، وحرّم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقها عليها» (٣). وروى البخاري، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه، لعنتها للملائكة حتى تصبح» (٤). ورواه مسلم، بلفظه: «إذا باتت المرأة حاكمة فراش زوجها، لعنتها للملائكة حتى تصبح» (٥). ولهذا قال تعالى: (واللاتي يخافون نشوزهن فاستولن) :

وقوله: (واصبروهن في المضاجع) قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: المجران: أن لا يجمعها، ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره. وكلما قال غير واحد، وزاد آخرون: منهم: السدي، والفسحاك، وعكرمة، وابن عباس في رواية: «ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدنها».

(١) في المطبوعة: عبد الله. والمثبت من المسند: ويظهر التباين: ٥/٧، ٦.

(٢) مسند أحمد: ١٩١/١.

(٣) سنن أبي داود، كتاب النكاح: ٢٤٤/٢. ونسخة الأصبهاني، كتاب الرضا: ٣٢٣/٤. وابن ماجه، كتاب النكاح، الحديث ١٨٥٢: ٥٩٥/١. ومسنده أحمد، عن عبد الله بن أبي أوفى: ٣٨١/٤. وعن معاذ بن جبل: ٢٢٧/٥، ٢٢٨، وعن عائشة رضي الله عنها: ٧٦/٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق: ١٤٠/٤، ١٤١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب النكاح: ١٥٣/٤، ١٥٧.

وقال علي بن أبي طلحة أيضا ، عن ابن عباس : سقطها ، فإن هي قبلت وإلا هجرها في المصباح ، ولا يكلمها من غير أن يقر نكاحها ، وذلك عليها شديد :

وقال مجاهد ، والثعلبي ، وإبراهيم ، وعبد بن كعب ، ومقسم ، وقنافة : الهجر : هو أن لا يضاجعها .
وقد قال أبو داود : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا جاد ، عن جلي بن زيد ، عن أبي حنيفة الرقاشي ، عن حماد بن أبي عبد الله عليه وسلم قال : « فإن عظم نفوذهن فاهجروهن في المصباح » . قال جاد : يعني النكاح (١) .

وفي السنن والمسند من معاوية بن حيدة القشيري أنه قال : يا رسول الله ، ما حق امرأة أحدنا قال : أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسرها إذا اكسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبض ، ولا تهجن إلا في البيت (٢) .

وقوله : (واضربوهن) أي : إذا لم يردن بالوطء ولا بالمهران ، فلكن أن تضربوهن ضربا مبرحا ، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع : « واقتوا الله في النساء ، فإنهن عندكم حواء ، ولكم عليهن أن لا يطعنن فوقكم أحدنا تكرهونه ، فإن فعلن [ذلك] فاضربوهن ضربا مبرحا ، ولعن [عليكم] دزقهن وكسوتهن بالمعروف » (٣) .

وكذا قال ابن عباس وغير واحد : ضربا مبرحا . قال الحسن البصري : يعني ضرب مؤثر . وقال الفقهاء : هو أن لا يكسر فيها حضوا ولا يؤثر فيها شيئا .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يهجرها في المصباح ، فإن قبلت وإلا فقد آذنت الله لك أن تضرب ضربا غير مبرح ، ولا تكسر لها عظما ، فإن قبلت وإلا فقد حلفت منكم بها القدية .

وقال سفیان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر ، عن أبياس بن عبد الله بن أبي ذؤيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تضربوا إماء الله . ضجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذكرت النساء على أزواجهن . فرخص في ضربهن ، فأطاف بال رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولقد أطاف بال محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ، ليس أولئك بخياركم » .

رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود - يعني أبا داود الطيالسي - حدثنا أبو حنيفة ، عن داود الأودي ، عن عبد الرحمن المشلي (٥) ، عن الأشعث بن قيس قال : ضبقت عمر ، فتأولت إمرأته فضرها ، وقال : يا أشعث ، احفظ

(١) سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب في ضرب النساء : ٢٤٥/٢ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب في حق المرأة على زوجها : ٢٤٥/٢ . وصححه أحمد : ٤٤٧/٤ ، ٥٠٢/٥ . ومعنى لا تقبض : لا تفلط : قبض الله وجهها .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحج : ٤١/٤ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب النكاح : ٢٤٥/٢ . وصححه ابن ماجه ، كتاب النكاح ، الحديث ٦٨٩٥ : ١/٦٢٨٦٢٨ .

ومعنى ضربت النساء : اجتزأت وتجزن .

(٥) في المتن : للمبتلى . وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، ينظر الخلاصة ، والمقدمة : ٢٠/١ .

عن ثلاثة حكمتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسأل الرجل : فم ضرب امرأته ، ولا تلم إلا على ولده . ونسب
الثالث .

وكذا رواه أبو داود والشمسائي وابن ماجه ، من حديث عبد الرحمن بن مهدي ، عن أبي عروانة ، عن داود الأودي - به
وقوله : (فإن أطعتم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي : فإذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منها ، مما أباحه
الله له منها ، فلا سبيل له عليها بعد ذلك ، وليس له ضربها ولا هجرانها .

وغروته : (إن الله كان حليما كريما) تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب ، فإن الله الحلي الكبير وليهن
وهو يهتم عن ظلمهن وبغى عليهن .

(١٧) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأِمْسِكُوا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهِمَا إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ
عَلِيمًا خَبِيرًا (١٨)

در الحال الأول ، وهو إذا كان الثور والفرس من الزوجة ، ثم ذكر الحال الثاني وهو : إذا كان الثور من الزوجين
قال تعالى : (وإن خفتم شقاق بينهما فامسكوا من أهله وحكما من أهلها) .

قال الفقهاء : إذا وقع الشقاق بين الزوجين أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ، ينظر في أمرها ، ويعتق الظالم منهما من
الظلم ، فإن تناهى أمرها وطالت خصومتها بعت الحاكم ثقة من أهل المرأة وثقة من قوم الرجل ، ليجمعا وينظر في أمرها ،
ويصلا ما فيه المصلحة مما يريانه من التصريق أو التوفيق . وتنفذ الشارع إلى التوفيق ، وكلما قال : (وإن يريدا إصلاحا
يوفق الله بينهما) .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أمر الله عز وجل ، أن يبعثوا رجلا صالحا من أهل الرجل ورجلا مثله من
أهل المرأة ، فينظران أيهما المسيء ، فإن كان الرجل هو المسيء حجبا عنه امرأته وقصروه (١) على الثقة ، وإن كانت
للرأة هي المسيئة قصروها على زوجها ومنعوا الثقة : فإن اجتمع رأيهما على أن يفرقا أو يجمعا فأمرهما جاز ، فإن رأيا أن
يجمعا فرضى أحد الزوجين وكزه ذلك الآخر ، ثم مات أحدهما فإن الذي فرضى يرث الذي كزه ، ولا يرث الكاره
الراضي . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن عكرمة بن خالد ، عن ابن عباس قال : بعت أنا ومعاوية
حكينا - قال معمر : بلغني أن عثمان بينهما ، وقال لها : إن رأيت أن يجمعا جمتها ، وإن رأيت أن تفرقا فرقتها .

وقال : أثبانا ابن جريج ، حدثني ابن أبي مليكة ، أن حكيل بن أبي طالب تزوج فاطمة بنت حبة بن ربيعة فقالت :
تصبر إلى وأفق عليك : فكان إذا دخل عليها قالت : أين حبة بن ربيعة وشية بن ربيعة ؟ قال : على يسارك في النار إذا
دخلت . فشدت عليها ثيابها فبكت عثمان ، فذكرت له ذلك ، فضحك وأرسل ابن عباس ومعاوية ، فقال ابن عباس :
لأفرق بينهما . قال معاوية : ما كنت لأفرق بين شيخين من بني عبد مناف ، فأثابهما فوسداهما فداخعا عليهما أبرأهما .
فرجما .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن حبيدة قال : شهدت عليا وجماعته امرأة وزوجها ، مع كل واحد منهما فينام (١) من الناس ، فخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما ، فقال علي للحكيمن : أتدريان ما عليكما ؟ [إن عليكما] إنا وأبينا أن نجسهما جميعا : فقالت للمرأة : وضيت بكتاب الله لي وعلي . وقال الزوج : أما الفرفة فلا : فقال علي : كلبت ، والله لا أبرح حتى ترضى بكتابي الله ، حر وجل ، لك وعليك .

رواه ابن أبي حاتم ، ورواه ابن جرير ، عن يعقوب ، عن ابن حلبة ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن حبيدة ، عن علي - مثله - ورواه مع وجه آخر ، عن ابن سيرين ، عن حبيدة ، عن علي - به .

وهذا مذهب جمهور العلماء : أن الحكيمن إليهما الجمع والفرقة ، حتى قال إبراهيم النخعي : إن شاء الحكيمان أن يفترقا بينهما بطلقة أو طلاقين أو ثلاث فلا ، وهو رواية عن مالك .

وقال الحسن البصري : الحكيمان يحكان في الجمع ولا يحكان في التفريق ، وكلما قال قتادة ، وزيد بن أسلم . وبه قال أحمد بن حنبل ، وأبو ثور ، وداد ، ومأظم قوله تعالى : (إن يريدنا إصلاحا يوفق الله بينهما) ولم يذكر التفريق .
وأما إذا كانا وكيلين من جهة الزوجين ، فإنه يمتنع حكمهما في الجمع والفرقة بلا خلاف .

وقد اختلف الأئمة في الحكيمن : هل هما منصوبان من عند الحاكم ، فيحكان وإن لم يرض الزوجان ، أو هما وكيلان من جهة الزوجين ؟ حل قولين : فالجمهور على الأول ، لقوله تعالى : (فابئنا حكما من أهله وحكما من أهلها) فسماها حكيمن ، ومن شأن الحكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه ، وهذا ظاهر الآية ، والجديد من مذهب الشافعي ، وهو قول ابن حنيفة وأصحابه .

الثاني منهما ، بقول من رضى الله عنه الزوج - حين قال : أما الفرقة فلا - قال : كلبت ، حتى تقر بما أقرت به . قالوا فلو كانا حاكين لما انقض إلى إقرار الزوج ، والله أعلم .

قال الشيخ أبو حنيفة : وأجمع العلماء على أن الحكيمن - إذا اختلف قولها - فلا مرة يقول الآخر ، وأجمعوا على أن قولها نافذ في الجمع وإن لم يוכלهما الزوجان ، واختلفوا : هل ينقض قولها في الفرقة ؟ ثم حكى عن الجمهور أنه ينقض قولها فيها أيضا . .

وَأَعْبَدُوا اللَّهَ وَلَا تَسْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِأُولَئِكَ إِنِ احْسَنَّا وَبَدَلْنَا الْقُرْنَيْنِ وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارَ ذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْجَارَ الْبُغْضِ وَالصَّاحِبَ بِالْغَنِيِّ وَابْنَ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ غَفُلًا كَغُفْلِ الْغَوْرَةِ ﴿٥٥﴾

يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له ، فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآفات والحالات ، فهو المستحق منهم أن يوحده ، ولا يشركوا [به شيئا] من مخلوقاته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذ :
« أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . » ثم قال : أتدري ما حق

العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ أن لا يعلمهم^(١) ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين ، فإن الله سبحانه جعلهما سببا لخروجه من العلم إلى الوجود ، وكثيرا ما يقرن الله سبحانه بين حياته والإحسان إلى الوالدين ، كقوله : (أن اشكروا لوالدك) وكقوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) .

ثم عطف على الإحسان إلى الوالدين الإحسان إلى الأقرباء من الرجال والنساء ، كما جاء في الحديث : « الصلوة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة »^(٢) .

ثم قال : (واليتامى) وذلك لأنهم قد قدوا من يقوم بمصالحهم ، ومن ينفق عليهم ، فأمر الله بالإحسان إليهم والمخبر عليهم .

ثم قال : (والمساكين) وهم الخواص من ذوى الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفائتهم ، فأمر الله بمساعدتهم بما تم به كفائتهم وقول به ضرورتهم . وسيأتي الكلام على الفقير والمسكين في سورة برادة .

وقوله : (والجار ذى القربى والجار الجنب) . قال على بن أبى طلحة ، من ابن عباس : (والجار ذى القربى) يعنى الذى يملك ويهتبه قرابة ، (والجار الجنب) الذى ليس يملك ويهتبه قرابة ، وكذا روى عن عكرمة ، وعجاءة ، وميمون بن مهران ، والفسطاطك ، وزيد بن أسلم ، ومقاتل بن حيان ، وقاعدة .

وقال أبو إسحاق عن ثورث البكالى في قوله : (والجار ذى القربى) يعنى : المسلم (والجار الجنب) يعنى اليهودى والنصرانى ذروه ابن جرير ، وابن أبى حاتم .

وقال جابر الجعفي ، عن الثمالي ، عن على وابن مسعود : (والجار ذى القربى) يعنى المرأة ، وقال عجاهة أيضا في قوله : (والجار الجنب) يعنى الرقيق في السر .

وقد وردت الأحاديث بالصوابا بالجار ، فذكر منها ما يفسر ، والله المستعان :

الحديث الأول ، قال الإمام أحمد ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن حماد بن محمد بن زيد ، أنه سمع [أباه] عمدا يحدث ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيروته »^(٣) .

أخرجه في الصحيح من حديث حماد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر - به -

الحديث الثاني ، قال الإمام أحمد ، حدثنا سفيان ، عن داود بن شابر ، عن عجاهة ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيروته »^(٤) .

روى أبو داود (٥) والترمذي نحوه ، عن حديث سفيان بن عيينة ، عن بشير بن إسماعيل - زاد الترمذي : وداه به -

(١) صحيح البخارى ، كتاب الرقاق : ١٣٠/٨ ، ١٣١ .

(٢) تحفة الأحرى ، كتاب الزكاة : ٣٢٤/٣ ، ٣٢٥ . وابن ماجة ، كتاب الزكاة ، الحديث ١٨٤٤ ، ٥٩١/١ .

ومسند أحمد عن سليمان بن طسر : ١٨ ، ١٧/٤ ، ٢١٤ .

(٣) مسند أحمد : ٨٥/٢ ، وما بين القوسين منه . والبخارى ، كتاب الأدب : ١٢/٨ . ومسند ، كتاب البر : ٣٧/٨ .

(٤) مسند أحمد : ١٩٠/٢ . وفي المطبوعة : عن عبد الله بن عمر .

(٥) سنن أبى داود ، كتاب الأدب : ٣٣٨/٤ ، ٣٣٩ . وخطبة الأحرى ، كتاب البر : ٧٢/٦ ، ٧٣ ، ٧٤ .

وفي المطبوعة : عن عجاهة وصاحفة . وللمبته عن الترمذي .

ابن شاذبان - كلاهما عن مجاهد: **يَوْمَ نَمُوتُ** قَالَ الترمذى : حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روى عن مجاهد عن عائشة وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم :

الحديث الثالث عنه ، قال أحمد أيضا : حدثنا عبد الله بن يزيد ، أخبرنا حيوة ، أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحنظلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **وغير الأصحاب عند الله خير من لصاحبه ، وغير البجار عند الله خير من لجاره** (١) .

ورواه الترمذى عن أحمد بن محمد ، عن عبد الله بن المبارك ، عن حيوة بن شريح - به وقال : حسن غريب .

الحديث الرابع : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن حبان بن وقاعة عن جسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **ولا يشع الرجل دون جاره** . فرد به أحمد (٢) .

الحديث الخامس : قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان ، حدثنا محمد ابن سعد الأنصاري ، سمعت أبا ظبية الكلبي ، سمعت المقداد بن الأسود يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه . **[ما تقولون في أئمة ؟ قالوا : حرمة القوم ، فهو حرام إلى يوم القيامة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يزي الرجل بمشرك نساء أيسر عليه من أن يزي بامرأة جاره . قال : ما تقولون في السرة ؟ قالوا : حرمة الله ورسوله فهي حرام . قال : لأن ينزق الرجل من عشرة آيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره** (٣) .

فرد به أحمد ، وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن مسعود : قلت : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : **وأن تجعل لكما وهو خلقك** . قلت : ثم أي ؟ قال : **وأن تقتل ولدك خشية أن يطغى مملكة** . قلت : ثم أي ؟ قال : **وأن تزاني** حلية جارك (٤) .

الحديث السادس : قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد أخبرنا هشام ، عن حفصة ، عن أبي العالية ، عن رجل من الأنصار قال : **وأخرجت من أهل أريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا به قائم ورجل معه متبل عليه ، فظننت أن لها حاجة - قال الأنصاري : لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعلت أرتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول القيام ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله : لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرتي لك من طول القيام ، قال : ولقد رأيت ؟ قلت : نعم . قال : أئدرى من هو ؟ قلت : لا . قال ذلك جبريل ، ما زال يوصيني بالبجار حتى ظننت أنه سيورثه . ثم قال : أما إنك لو سلمت عليه رد عليك السلام** (٥) .

الحديث السابع : قال عبد بن حميد في مسنده : حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا أبو بكر - يعني (٦) المذني - عن جابر بن عبد الله قال : **جاء رجل من العوالي ورسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يصليان حيث يصل على**

(١) مسند أحمد : ١٦٧/٢ ، ١٦٨ ، ومجلة الأحاديث ، كتاب البر : ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ .

(٢) مسند أحمد : ٥٤/١ ، ٥٥ .

(٣) مسند أحمد : ٨/٦ ، وما بين القوسين عنه .

(٤) صحيح البخاري ، تفسير سورة البقرة : ٢٢/٦ . ومسلم ، كتاب الإيمان : ٦٣/١ .

(٥) مسند أحمد : ٣٢/٥ .

(٦) أبو بكر هذا هو الفضل بن جابر ، ينظر المخرج : ٦٦/٢/٣ .

الجنة ، فلا تصرف قال الرجل : يا رسول الله ، من هذا الرجل الذي رأيت منك ؟ قال : ولد رأيت ؟ قال : نعم . قال : لقد رأيت غيرا كثيرا ، هذا جبريل ساقط يوصي بالجنة حتى يموت أنه يبره . »

فرد به من هذا الوجه ، وهو شاهد للذي قبله .

الحديث الثامن : قال أبو بكر البزار : حدثنا عبيد الله بن محمد أبو الربيع البخاري حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فليك ، أخبرني عبد الرحمن بن الفضل ، عن خطاه الخراساني ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجيران ثلاثة : جاره حق واحد ، وهو أدنى الجيران حقا ، وجاره له حقان ، وجاره له ثلاثة حقوق ، وهو أفضل الجيران حقا . فأما الذي له حق واحد فجاره مشترك لا رحم له ، له حق الجوار ، وأما الذي له حقان فجاره منكم ، له حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذي له ثلاثة حقوق فجاره مسلم ذو رحم ، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم . »

قال البزار : لا أعلم أحدا روى عن عبد الرحمن بن الفضل إلا ابن أبي فليك .

الحديث التاسع : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي هريرة ، عن طلحة بن عبد الله عن عائشة : أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : « أين لي جاريتان ، قال : أيهما أحبتي ؟ قال : إلى أقربهما منك بابا ، (١) »

ورواه البخاري عن حديث شعبة ، به .

وقوله : (وللصاحب بالجنب) قال الثوري ، عن جابر الجعفي ، عن النعمي ، عن علي وابن مسعود ألا : هي المرأة .

وقال ابن أبي حاتم : وروى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وإبراهيم النخعي ، والحسن ، وسعيد بن جبلة - في إحدى الروايات - نحو ذلك .

وقال ابن عباس ومجاهد ، وعكرمة ، وقادة : هو الرقيق في السفر . وقال سعيد بن جبير : هو الرقيق الصالح . وقال زيد بن أسلم : هو جانيبك في الحضر ، ورفيقك في السفر .

وأما (ابن السيل) فمن ابن عباس وجاهة هو : الضيف .

وقال مجاهد ، وأبو جعفر الباقري ، والحسن ، والفضالة ، ومقاتل : هو الذي يمر عليك بجواز في السفر .

وهذا أظهر ، وإن كان مراد مقاتل بالضيف : لئلا في الطريق ، فهما سواء ، وسبأ الكلام على أبناء السيل في سورة يرمة ، وبالله التوفيق وعليه التكلان .

وقوله : (وما ملكت أيمانكم) وصية بالأزواء لأن الرقيق ضعيف الحيلة (٢) ليس في أيدي الناس ، ولما ثبت أن

(١) سنة أحد : ١٧٥/٦ . وصحيح البخاري : كتاب الشفعة : ١١٥/٣ .

(٢) في الخطوط : الجنية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يرضى أنه في مرض الموت يقول: « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم »: فحصل يرحمها حتى ما يفيض بها لسانه (١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا بقة، حدثنا يحيى بن سعد، عن خالد بن معدان، عن المتقدم بن معد يكربة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة »: [وما أطعمت ولذلك فهو لك صدقة]، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة (٢).

ورواه الترمذي من حديث بقة، وإسناده صحيح، والله الحمد.

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال لتهرمان (٣) له: هل أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا، قال: فانطلق فأعطهم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « كفي بالمرء إذا أن يحبس عن ملك قوتهم ». رواه مسلم (٤).
وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « للمملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيقه » رواه (٥) مسلم أيضا.

وعنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « وإذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يشجكسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين، فإنه وكفى جرة وعلاجه ».

أخرجناه وقتله البخاري (٦)، وسلم: « فليقلعه معه فليأكل، فإن كان الطعام مشكوكا قليلا فكثيف في يده أكلة أو أكلتين » (٧).

وعن أبي ذر، رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « هم إخوانكم غنوكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ما يأكل، وليلبسه ما يلبس، ولا تكفرهم ما يلبسهم، فإن كلفتموه فأعثرهم » أخرجناه (٨).

وقوله: (إن الله لا يحب من كان غفلا غفورا) أي: غفلا في نفسه، مصحبا متكبيرا، غفورا على الناس، يرى أنه غير منهم، فهو في نفسه كبير، وهو عند الله حقير، وعند الناس يفيض.

قال جاهد في قوله: (إن الله لا يحب من كان غفلا) يعني: متكبيرا (غفورا) يعني: يتكبر ما أعطى، وهو لا يشكر الله عز وجل. يعني: يفسر على الناس ما أعطاه الله من نعمه، وهو قليل الشكر لله على ذلك.

(١) مسند أحمد: ٧٨/١ من حل رضى الله عنه، ١١٧/٢ من أسد بن مالك، ٦/٢٩٠، ٣١١، ٣١٥، ٣٢١، ٣٢٢ من أم سلمة. ورواه ابن ماجه في كتاب الوصايا، الحديث رقم ٢٦٩٨، ٢٦٩٩، ٢٧٠٠، ٢٧٠١، وفي كتاب البخاري الحديث رقم ١٦٢٥، ٥٩١/١.

وسمى ما يفيض بها لسانه، ما يفيض على الإصباح بها.

(٢) مسند أحمد: ١٣١/٤. وما بين القوسين عنه.

(٣) لتهرمان: هو كاهن من الرسل والحافظ لما تحت يده والقيام بأمر الرجل. وهي كلمة فارسية.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الزكاة: ٧٨/٢.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الأيمان: ٩٢/٥، ٩٤.

(٦) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة: ١٠٩/٧.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الأيمان: ٩٤/٥، والإكفة: القفة.

(٨) البخاري: كتاب الإيمان: ١٤/١، وسلم: كتاب الأيمان: ٩٢/٥، ٩٣.

وقال ابن جرير : حدثني القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد أبي رجاء الهزري قال : لا نجد سبيء الملكة (١) إلا وجدته غتالا فخورا . وتلا : (وما ملكت أيمانكم) .. الآية - ولا حاقا إلا وجدته جبارا شقيا . وتلا : (وبرأى برأى ولم يجلي جبارا شقيا) .

وروي ابن أبي حاتم ، عن العوام بن حوشب ، مثله في المختار الصحوح . وقال :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا الأسود بن شيبان ، حدثنا يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف : كان يلغى من أبي ذر حديث كنت أشهى لقائه ، فلقيته قلت : يا أبا ذر ، بلغني أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم : (إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة) قال : أجل ، فلا إناحي (٢) أكذب على خليلي ، ثلاثا . قلت : من الثلاثة الذين يبغض الله ؟ قال : المختار الصحوح ، أو ليس يحلونه عندكم في كتاب الله المنزل ؟ ثم قرأ الآية : (إن الله لا يحب

من كان غتالا فخورا (٣) .

وحدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسحاق ، حدثنا وهيب بن خالد (٤) ، عن أبي تيمية عن رجل من بكةجيم قال : قلت يا رسول الله ، أوصني . قال : (ياك وإسبال الأزار ، فإن إسبال الأزار من المخيلة ، وإن الله لا يحب المخيلة (٥) .

الَّذِينَ يَخْلَوْنَ بِإِيمَانٍ وَيَكْتُمُونَ مَا أَنشَأَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَبْغُضُونَ أَمْوَالَهُمُ رِيعًا لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ يَوْمَ عَلَيْهَا

يقول تعالى ذمًا للذين يخلون بأموالهم أن يتفقوا فيها أمرهم الله به - من ير الوالدين ، والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين ، والجار ذي القربى ، والجار الجنب ، والمساكين بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم من الأرقام ولا ينفقون حق الله فيها ، ويأمرون الناس بالبخل أيضا . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وأي ذاء أدوا من البخل (٦) ؟ . وقال : (ياكم والشيء فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة ففعلوا ، وأمرهم بالهجر فهجروا (٧) .

وقوله : (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) فالبخل جحود لنعمة الله عليه لا تقهر عليه ولا تبين ، لاق الله ولا في مليه ، ولا في إعطائه وبخله ، كما قال تعالى : (إن الإنسان لربه لكوند . وإنه على ذلك لشهيد) أي : حاله وشيأه ، (وإنه يحب الخلو لشديد) وقال هاهنا : (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ، ولهذا نزل عليهم بقوله : (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) . والذكر هو السر والتضيعة ، فالبخل يسر نعمة الله عليه ويكتمها ويحدها ، فهو كافر لئتم الله عليه .

(١) سبيء الملكة - بنتحات ، هو الذي يسيه صبيبة المالك .

(٢) في المخطوطة : إناحي . والمثبت من المتن .

(٣) الحديث رواه أحمد في مسنده : ١٧٦/٥ من يزيد من الأسود بن شيبان بإسناده ، وما ذكره ابن كثير من ابن أبي حاتم فيه انحصار .

(٤) في المخطوطة : وهيب بن خالد . ينظر المخرج : ١٣٦/١/٤ ، ٣٤/٢/٤ ، ٣٥ .

(٥) الحديث رواه أحمد في مسنده : ٦٤/٥ من طعان ، عن وهيب ، بإسناده .

(٦) مسند أحمد عن جابر بن عبد الله : ٣٠٧/٣ ، ٣٠٨ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الزكاة : ١٣٣/٢ ، ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو : ١٥٩/٢ ، ١٦٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ .

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَمَرَ شَيْئاً نَسَمَ عَلَى عَبْدِ أَحَبُّ أَنْ يَنْظُرَ أَثَرَهُ عَلَيْهِ» (١). وفي الدعاء النبوي: «وَجِئْنَا شَاكِرِينَ لِمَنْعِكَ مَتْنِينَ بِمَا عَلَيْكَ قَاتِلِيهَا - وَيُرْوَى: قَاتِلِيهَا - وَأَتَمَّهَا عَلَيْنَا» (٢).

وقد حمل بعضُ السلف هذه الآية على عمل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم، من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكتبهم ذلك، ولهذا قال: (وَأَحْبَبْنَا الْكَافِرِينَ عَلَيْنَا مَهِينًا). ورواه ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة بن سعيد بن جابر، عن ابن عباس (٣). وقاله مجاهد وغير واحد.

ولا شك أن الآية محملة لذلك، والظاهر أن السياق في البخل بالمال، وإن كان البخل بالعلم داخلًا في ذلك بطريق الأولى، فإن سياق الكلام في الإخفاق على الأكلاب والضمطاء، وكلها الآية التي بعدها، وهي قوله: (الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَهْلَهُمْ يَرْهَوْنَهُمُ الْغَنَى) فكسر المسكين للمؤمنين وهم البخلاء، ثم ذكر الباذلين للمؤمنين الذين يقصدون إعطائهم السمتة وأن يمدحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه الله، وفي الحديث الذي فيه الثلاثة الذين هم أول من تسجر بهم النار، وهم العلم والغزاة والفتن المرامون بأهاليهم، يقول صاحب المال: ما تركت من شيء أحب أن يفتن فيه إلا أنفقت في سبيله. فيقول الله: «كَلِمَتٌ أَوْ إِنَّمَا أُرْذِلَتْ أَنْ يَقَالَ: جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ (٤)». أي: قد أخذت جزاءك في الدنيا وهو الذي أردت بهلكه.

وفي الحديث: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمَنْدَى: إِنَّ أَبَاكَ رَامَ أَمْرًا فَلَيْتَهُ» (٥).

وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عبد الله بن جندب: «أَيُّ حُلٍ يَنْهَى عَنْ إِتْفَاقِهِ وَأَعَاتِلَهُ؟» قَالَ: لَا، إِنْ لَمْ يَمُتْ يَوْمًا مِنَ النَّهْرِ: وَبِأَفْزَى حُلِي عَطِيفِي يَوْمَ الدِّينِ» (٦).

وهذا قال: (وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) .. الآية، أي: إنما حملهم على صنيعهم هذا التقيح وعدولهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطان، فإنه سول لهم وأمل لهم، وقاربهم فحسن لهم التتابع (ومن يكن الشيطان له قريبًا فساه قريبًا). ولهذا قال الشاعر (٧):

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسْكَ عَنْ قَرِينِهِ • فَكُلَّ قَرِينٍ بِالْقَارِنِ يَتَّقَدِرُ

ثم قال تعالى: (وَمَا نَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) .. الآية، أي: وأنى شيء يكرههم لو سلكوا الطريق الحميدة، وعدلوا عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان بالله، ورجاه موعوده في الدار الآخرة لمن أسكنه، ولا وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجه إلى محبة الله ورضاه.

(١) انظر مسند أحمد: ٤/٣١١/٢.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة: ٢٥٤/١. وقوله: وَيُرْوَى قَاتِلِيهَا. عن عضد شطنا وليس في المتن.

(٣) تفسير الطبري: ٣٥٣/٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان: ٤٧/٦. وخطة الأوصاف، كتاب الزهد ومسند أحمد: ٢٢٢١/٢.

(٥) مسند أحمد: ٢٥٨/٤.

(٦) مسند أحمد: ١٢٠/٦.

(٧) الشاعر هو علي بن زيد. والبيت في تفسير الطبري: ٣٥٨/٨.

وقوله : (وكان الله بهم عليا) أي : وهو علم بنيانهم الصالحة والفاصلة ، وعلم من يستحق الشرف من منهم فيوهه ويلهمه رشده ويفضله لعمل صالح يرضى به عنه ، وعن يستحق الخللان والطرده عن الجناح الأعظم الإلهي ، الذي من طرده عن باب قدح جاب وعصر في الدنيا والآخرة ، صياداً بالعلم من ذلك .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَظْهِرْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿١١﴾ يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَصْحَابُ الرُّسُلِ لَوْ كُنْتُمْ تُبْصِرُونَ الْآرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿١٢﴾

يسير تعالى أنه لا يظلم عبدا من عباده يوم القيامة مقال حجة عرسل ولا مقال ذرة ، بل يوفيهما له ويضاضها له إن كانت حسنة ، كما قال تعالى : (ونضع للوازين القسط) ... الآية . وقال تعالى غضباً عن قتبان أنه قال : (يا أيها إن لك مقال حجة من عرسل فكن في صخرة لو في السموات أو في الأرض يا أيها الله) .. الآية . وقال تعالى : (يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مقال ذرة شراً يره) .

وفي الصمحين ، من حديث زيد بن أسلم ، من عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل ، وفيه : فيقول الله عز وجل : « ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مقال حجة عرسل من إيمان ، فأخرجوه من النار . وفي لفظ : « أخذوا أدنى أدنى مقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار فيخرجون غللاً كثيراً » ثم يقول أبو سعيد : اقرعوا إن شئتم : (إن الله لا يظلم مقال ذرة) .. الآية (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو حميد الأشجعي ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن هارون بن عتبة عن عبد الله بن الساجي عن زاذان قال : قال عبد الله بن مسعود : يوقى بالهدم والأمة يوم القيامة ، فينادي مناد هل من موسى الأولين والآخرين : هل خلل بن فلان ، من كان له حق فليأت إلى حقه . فخرج المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو أخيها أو زوجها [ثم قرأ] (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) . فينظر الله من حقه ما يشاء ، ولا ينظر من حقوق الناس شيئاً ، فينصب الناس فينادي : هل فلان بن فلان ، من كان له حق فليأت إلى حقه . فيقول : رب ، فثبتت الدنيا ، من أين أوتيتهم حقوقهم ؟ قال : خلوا من أعماله الصالحة ، فأعطوا كل ذي حق [حقه] بقدر ملكته لأن كان ولياً لله ، فتشغل له مقال ذرة ، ضاضها الله له حتى يسلخه [بها] الجنة ، ثم قرأ علينا : (إن الله لا يظلم مقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) قال : ادخل الجنة ، وإن كان عبداً شقيقاً لملك الملك : رب فثبتت حسنته ، وبني طالوت كثير ؟ فيقول : خلوا من سيئاتهم فأضفرها إلى سيئاته ، ثم صكوا له صكاً إلى النار .

ورواه ابن جرير من وجه آخر ، عن زاذان - به نحوه . وليفض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا فضيل - يعني ابن مرزوق - عن حنظلة بن عوف ، حدثني عبد الله بن عمر قال : نزلت هذه الآية في الأعراب : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثلها) . قال رجل : فإلهما جرير

يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : ما هو أفضل من ذلك : (إن الله لا يظلم مقال ذرة إن تلك حسنة يضاعفها ويوت من لده أجرًا عظيمًا) .

وحدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني عبد الله بن لبيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد ابن جبير في قوله : (وإن تلك حسنة يضاعفها) فأما المشرک فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ، ولا يخرج من النار أبدًا ؛ وقد استدلل له بالحدیث الصحيح أن العباس قال : يا رسول الله ، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ، فهل نفعه بشيء ؟ قال : نعم ، هو في ضحضاح من نار ، ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار (١) .

وقد يكون هذا خاصا بأبي طالب من دون الكفار ، بدليل ما رواه أبو دلود الطيالسي في سننه : حدثنا عمران ، حدثنا قتادة ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله لا يظلم المؤمن حسنة ، يثاب عليها الرزق في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بها في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة » (٢) .

وقال أبو هريرة ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقاتدة والضحاك ، في قوله : (ويوت من لده أجرًا عظيمًا) يعني الجنة .

وقال الإمام أحمد ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا سليمان - يعني ابن المغيرة - عن علي بن زيد ، عن أبي حنن قال : بلغني عن أبي هريرة أنه قال : بلغني أن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة . قال : فقصني أني انطلقت حاجا أو معتمرا ، فلقيت قلت : بلغني أنك حديث أنك تقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة ؟ قال أبو هريرة : لا ، بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله من وجل [يعطيه] ألف حسنة . ثم تلا : (يضاعفها ويوت من لده أجرًا عظيمًا) . فن يقدره قدره ؟ (٣)

ورواه الإمام أحمد فقال : حدثنا يزيد ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد ، عن أبي حنن قال : أثبت أبا هريرة قلت له : بلغني أنك تقول : إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة ؟ قال : وما أعجبك من ذلك ؟ فوالله لقد سمعت - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - كلما قال أبي - يقول : إن الله ليضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة (٤) .

علي بن زيد في أحاديثه بكثرة ، فوالله أعلم .

وقوله : (فكيف إذا جنتا من كل أمة شهيد وجنتا بك على هؤلاء شهيدي) . يقول تعالى - غير أن من هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه : فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة وحين يحيى من كل أمة شهيد - يعني الأنبياء عليهم السلام ؟ كما قال تعالى : (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) .. الآية . وقال تعالى : (ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم) .. الآية .

(١) صحيح البخاري : ٦٥/٥ .

(٢) الحديث رواه أحمد في مسنده ، عن يزيد ، عن همام بن يحيى ، عن قتادة : ١٢٣/٢ ، ٢٨٣ ، وعن عبد الصمد ، عن همام بن قتادة : ١٢٥/٢ .

(٣) مسند أحمد : ٥٢١/٥ ، ٥٢٢ . وما بين القوسين سقط من المخطوطة ، وأثبت من المسند .

(٤) مسند أحمد : ٢٩٦/٢ .

قال البخاري : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن حبيدة ، عن عبد الله ابن مسعود قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ على . قلت : يا رسول الله ، أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم ، إنني أحب أن أسمعه من غيري . فقرأت سورة النساء . حتى أتيت إلى هذه الآية : (فكيف إذا جئتنا من كل أمة بشهيد فوجئت بك على هؤلاء شهيداً) قال : حسبك الآن . فإذا حيته للرفاق (١) .

ورواه هو وسلم أيضاً من حديث الأعمش - به (٢) . وقد روي من طرق متعددة عن ابن مسعود ، فهو مقطوع به عنه . ورواه أحمد من طريق أبي حيان ، وأبي رزين ، عنه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، حدثنا الصلت بن مسعود الجعفرى ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا يونس بن محمد بن فضالة الأنصاري ، عن أبيه قال - وكان أبي ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم في بني ظفر ، فجلس على الصخرة التي في بني ظفر اليوم ، ومنه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وتاس من أصحابه ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً قراء ، فأتى على هذه الآية : (فكيف إذا جئتنا من كل أمة بشهيد فوجئت بك على هؤلاء شهيداً) . فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اضطرب لحياه وجنباه ، فقال : يارب ، هلم شهدتك على من آتاه بين ظهريه ، فكيف بمن لم آره ؟ .

وقال ابن جرير : حدثني عبد الله بن عبد الزمري (٣) ، حدثنا سفيان ، عن المسعودي ، عن جعفر بن عمرو بن حريث [عن أبيه] عن عبد الله - هو ابن مسعود - (فكيف إذا جئتنا من كل أمة بشهيد) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شهيد عليهم ما حدثتهم فيهم ، فإذا توفيتم كنت أنت الرقيب عليهم .

وأما ما ذكره أبو عبد الله القرطبي في التذكرة : حيث قال : باب ما جاء في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته : قال : أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا رجل من الأنصار ، عن المنهال بن عمرو ، حدثه أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : ليس من يوم إلا تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وحضية ، فيعرفهم بأسمائهم (٤) وأعمالهم ، فذلك شهيد عليهم ، يقول الله تعالى : (فكيف إذا جئتنا من كل أمة بشهيد فوجئت بك على هؤلاء شهيداً) (٥) فإنه أثر ، وفيه انقطاع ، فإن فيه رجلاً مبهما لم يسم ، وهو من كلام سعيد بن المسيب لم يرفعه . وقد قبله القرطبي فقال بعد إيراد [قد تقدم] (٦) : أن الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس ، وعلى الأتقياء والآباء والأمهات يوم الجمعة : قال : ولا تعارض ، فإنه يحصل أن يخص نبينا عما يعرض (٧) عليه كل يوم ، ويوم الجمعة مع الأتقياء عليهم السلام .

وقوله : (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض) أي : لو انتشقت وبلغتهم ، مما يرون من أحوال الموقف وما يحل بهم من الخزي والقضيعة والتوبيخ ، كقوله : (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) .. الآية

(١) صحيح البخاري ، فضائل القرآن : ٢٤١/٦ .

(٢) صحيح مسلم ، باب فضل أسبغ التراب : ١٩٥/٢ . ١٩٦ .

(٣) في المخطوطة : محمد بن عبد الله الزمري . والمثبت من تفسير الطبري ، وينظر الجرح لابن أبي حاتم : ١٦٣/٢/٢ .

(٤) في التذكرة : بسمهم .

(٥) التذكرة في أحوال الموق ولعوا الآخرة : ٢٩٤ .

(٦) من التذكرة .

(٧) في التذكرة : أن يخص نبينا عليه السلام يعرض كل يوم ...

وقوله : (ولا يكتنون الله حديثاً) أخبر عنهم بأنهم يتبرعون بجميع ما ملوهُ ، ولا يكتنون منه شيئاً ؛

قال ابن جرير : [حدثنا ابن حبان] (١) : حدثنا حكام ، حدثنا عمرو ، عن مطرف ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير قال : أتى رجل ابن عباس فقال : سمعت الله عز وجل يقول - يعني إخباراً عن المشركين يوم القيامة - أنهم قالوا : (والله ربنا ما كنا مشركين) . وقال في الآية الأخرى : (ولا يكتنون الله حديثاً) . فقال ابن عباس : أما قوله : (والله ربنا ما كنا مشركين) فلهزم لا رلوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا : تمالوا فلتسجد ، فقالوا : (والله ربنا ما كنا مشركين) . فحنم الله على أفواههم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم (ولا يكتنون الله حديثاً) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : أشياء تختلف حل في القرآن . قال : ما هو ؟ أشك في القرآن ؟ قال : ليس هو بالشك ، لكن اختلاف ؛ قال : فهات ما اخطف عليك من ذلك . قال : أسمع الله يقول : (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا واقربنا ما كنا مشركين) وقال : (ولا يكتنون الله حديثاً) ؛ فقد كتموا ! فقال ابن عباس : أما قوله : (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) فلهزم لا رلوا يوم القيامة أن الله لا يفر إلا لأهل الإسلام ، ويفر الذنوب ولا يفر شركا ، ولا يتعامله ذنب أن يفره جسد المشركون ، فقالوا : (والله ربنا ما كنا مشركين) رجاء أن يفر لم . فحنم الله على أفواههم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يصلون ، فشد ذلك : (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتنون الله حديثاً) ؛

وقال جرير (٢) عن الضمك : إن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال : يا ابن عباس ، قول الله : (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتنون الله حديثاً) وقوله : (والله ربنا ما كنا مشركين) ؟ فقال له ابن عباس : إنني أصبك فمت من عند أصحابك قلت : ألتقي حكى ابن عباس مثابه القرآن . فلما رجعت إليهم فأخبرهم أن الله جامع الناس يوم القيامة في بقع واحد ، فيقول المشركون : إن الله لا يقبل من أحد شيئاً إلا بمن وحده ، فيقولون : تمالوا تمك (٣) فيسلم فيقولون : (والله ربنا ما كنا مشركين) . قال : فحنم الله على أفواههم ، وتكلمت جوارحهم ، فشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين . فشد ذلك نغوا لو أن الأرض سويت بهم (ولا يكتنون الله حديثاً) . رواه ابن جرير .

يَكُنَّ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَقْرَأُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَا يَنْصِبُونَ فَرَمَوْهُمَا بِمَشِيئَتِهِمْ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا

يعني تعالى حياده المؤمنين عن فعل الصلاة في حال السكر ، الذي لا يدري منه للصل ما يقول ، وعن قربان عليها - وهي المساجد - الجنب ، إلا أن يكون اجتازاً من باب إلى باب من غير مكث وقد كان هذا قبل تحريم الخمر ، كما دل

(١) من تفسير الطبري : ٣٧٤/٨ ، ويظهر تهليل التهليل ، ترجمة حكام بن مسلم : ٤٢٧/٢ .
(٢) كذا في مخطوئتنا . وفي تفسير الطبري : ٣٧٤/٨ : « وقال الزبير عن الضمك » . هذا وجويز بن سيد الأصبهاني من التمسك بن مزاحم . ويظهر تهليل التهليل : ١٢٢/٢ .
(٣) كذا ثبت في مخطوئتنا . وهو موافق لتفسير الطبري : ٣٧٤/٨ . والمضى : تمالوا فكلمت فتقول غير ما كنا نعتد .

الحديث الذي ذكرناه في سورة البقرة (١) ، عند قوله : (يسألك عن الخمر والميسر) .. الآية ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاها حل عمر ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر يانا شافيا . فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر يانا شافيا . فكانوا لا يشربون الخمر في أوقات الصلوات فلما نزل قوله : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) إلى قوله : (فهل أنتم متبهون) — فقال عمر : انتهينا ، انتهينا .

وفي رواية إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو (٢) — وهو ابن شرحبيل — عن عمر بن الخطاب في قصة تحريم الخمر ، فذكر الحديث وفيه : فزلت الآية التي في النساء : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) . فكان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قامت الصلاة ينادي : أن لا يقربن الصلاة سكران (٣) . لفظ أبي خلود .

وذكروا في سببه نزول هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم :

حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو خلود ، حدثنا شعبة ، أخبرني سفيان بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال : نزلت في أربع آيات : صنع رجل من الأنصار طعاما ، فدعا أناسا من المهاجرين وأناسا من الأنصار ، فأكلوا وشربوا حتى سكرنا ، ثم انصرفنا ، فوضع [رجلنا] نحى بغير ففكرز به (٤) أنه سعد ، فكان سعد مكرورا الأنف ، وذلك قبل أن تحرم الخمر ، فزلت : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) .. الآية .

والحديث بطوله عند مسلم (٥) من رواية شعبة : ورواه أهل السنن إلا ابن ماجه ، من طريق عن سفيان ، به ؛ مصيب آخر قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله البشتكي ، حدثنا أبو جعفر ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السكي ، عن علي بن أبي طالب قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما ، فدعانا وسقانا من الخمر ، فأعطيت الخمر منا ، وحضرت الصلاة فقلعوا فلانا — قال : قل يا أيها الكافرون ، ما أبعد ما تعبدون ، ونحن نعبد ما تعبدون : فأقر الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) .

هكذا رواه ابن أبي حاتم ، وكلما رواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن عبد الرحمن البشتكي — به ، وقال :

حسن صحيح (٦)

(١) ينظر : ٣٧٢/١ ، وقد مضى تفريع الحديث .

(٢) في المخطوطة : عمر . وهو عمرو بن شرحبيل المحدث أبو مهران ، يروي عن عمر وعنه إسحاق السبيعي وغيره .

(٣) تهذيب التهذيب : ٤٧/٨ .

(٤) من أبي داود ، كتاب الأضحية : ٣٢٥/٣٠١ ، وفيها : « ألا لا يقربن »

(٥) فروع : جرحه وحقه .

(٦) سلم ، كتاب فضائل الصحابة : ١٢٧٠/١٢٧/٧ . وسنة أحد : ١٨١/١ ، ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٧) تحفة الأعراف ، تفسير سورة النساء : ٢٨٠/٨ . وفيه : هذا حديث حسن غريب صحيح .

وَقَدَرُوهُ اَبِي جَرِيرٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ بَخَّارٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، عَنْ سَعْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ حُصَيْنٍ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ اَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، مَنْ حَلَّى : اَنَّهُ كَانَ هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَرَجُلٌ آخَرُ شَرِبُوا الْخَمْرَ ، فَضَلَّى بِهِمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُرْآنًا : **قُلْ يَا الْكَافِرُونَ** فَنُظِمَ فِيهَا : **قُرْآنًا** (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) ، وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّيَّمَنِيُّ ، مَنْ حَدَّثَ الثَّوْرِيُّ — هـ —

ورواه ابن جرير أيضا ، عن ابن حميد ، عن جرير ، عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : كان حكي في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عبد الرحمن بن حوف ، فطمعوا بأنهم يضر قشروا منها ، وذلك قبل أن يحرم الخمر ، فحضرت الصلاة قدموا حلياً ثم أجم : (قل يا أيها الكافرون) ، فلم يقرأها كتابي ، فأنزل الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا لا تقرأوا الصلاة وأنتم سكارى) (١) .

ثم قال حدثني الثوري، حدثنا الحجاج بن المهنا، حدثنا جاد، عن صهيب بن السائب، عن عبد الله بن حبيب - وهو أبو عبد الرحمن السلمي - أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشرباً، فدعا قرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فصل بهم المغرب، قرأ : قل يا أيها الكافرون : أعبد ما تعبدون ، وأنتم عابدون ما أعبد ، وأنا عابد ما أعبد : لكم دينكم ولي دين ، فاتخذ الله عز وجل هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا لا تهرؤا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) :

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الذين آمنوا لا تهرؤا الصلاة وأنتم سكارى) - وفيه أن رجلا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى ، قيل أن يحرم السكر ، قال الله : (لا تهرؤا الصلاة وأنتم سكارى) :- الآية . رواه ابن جرير ، وكذا قال أبو زرعة ومجاهد وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات فيسبح في حرم السكر .

وقال الضحاك في قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) : لم يضمن بها سكر الخمر ، إنما عني بها سكر النوم ، وراه بن جرير وابن أبي حاتم .

ثم قال ابن جرير : والصواب أن المراد سكر الشراب : قال : « ولم يتوجه النهي إلى السكران الذي لا يفهم الخطاب ، لأن ذلك في حكم المجنون ، وإنما حوطب بالنهي التمثيل الذي يفهم التكليف . »

هذا حاصل ما قاله ، وقد ذكره غير واحد من الأصوليين ، وهو أن الخطاب توجه إلى من يفهم الكلام ، دون السكركان اللذين لا يدري ما يقال له ، فإن فهم شرط التكليف . وقد يحصل أن يكون المراد المريض بالذهن من السكران بالكلية ، لكنهم مأمورين بالصلاة في الخمسة الأوقات من الليل والنهار ، فلا يتمكن شارب الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائما ، والله أعلم ، وعلى هذا فيكون كقولهم تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) وهو الأمر لم يتأخر لموت على الإسلام وللدوامه على الطاعة لأجل ذلك .

وقوله : (حتى علموا ما يقولون) حللنا أحسن ما يقال في حد السكران : أنه الذي لا يرى ما يقول ، فإن الغصود فيه تخطيط في القراءة وحكم التبيرة ومشوحوه فيها ، وقد قال الإمام أحمد :

(١) لم نجد في ما طبع من تاريخ الطبري .

حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نسس أحدكم وهو يميل فليصرف ظمئ حتى يعلم ما يقول (١) انفرد بإخراجه [البخاري دون مسلم] (٢) ، ورواه هو والثاني من حديث أيوب ، به ؛ وفي بعض ألفاظ الحديث : فله يلعب يستغفر فيسب نفسه .

وقوله : (ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تتصلوا) : قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن الدمشقي ، أخبرنا أبو جعفر الرزقي ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس في قوله : (ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تتصلوا) قال : لا تدخلوا المسجد وأنتم جنبه إلا عابري سبيل ، قال : تمر به مرأ ولا تجلس ثم قال : وروى عن عبد الله بن مسعود ، وأنس ، وأبي عبيدة ، وصعيد بن المسيب ، وأبي القحط ، وعطاء ، ومجاهد ، ومسروق ، وإبراهيم النخعي ، وزيد بن أسلم ، وأبي مالك ، وعمر بن دينار ، والحكم بن حنيفة ، وهكرمة ، والحسن البصري ، وعبيد بن سعيد الأنصاري ، وابن شهاب ، وقاعدة — نحو ذلك .

وقال ابن جرير : حدثني القتي ، حدثنا أبو صالح ، حدثني الليث ، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن قول الله عز وجل : (ولا جنبا إلا عابري سبيل) ، أن رجلا من الأنصار كانت أبيهم في المسجد ، فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون عرا إلا في المسجد ، فأثروا الله : (ولا جنبا إلا عابري سبيل) .

ويشهد لصحة ما قاله يزيد بن أبي حبيب ، رحمه الله ، ما ثبت في صحيح البخاري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ملأوا كل غسوة في المسجد إلا غسوة أبي بكر » (٣) .

وهذا قاله في آخر حياته صلى الله عليه وسلم ، علم أنه أن أبى بكر رضى الله عنه سبيل الأمر بعده ، وبحاج إلى الدخول في المسجد كثيرا للأمر المهمة فيما يصلح للمسلمين ، فأمر بعد الأبواب الشارحة إلى المسجد إلا بابه ، رضى الله عنه ؛ ومن روى : (إلا باب حكيمة) (٤) كما وقع في بعض السنن ، فهو خطأ ، والصحيح ما ثبت في الصحيح . ومن هذه الأيقحة كثير من الأئمة حل أنه يحرم على الجنب الليث في المسجد ، ويجوز له المرور ، وكلنا الحائض والنفساء أيضا في معناه ؛ إلا أن بعضهم قال : يمنع مرورهما لاحتمال التلوث . ومنهم من قال : إن أمنت كل واحدة منها التلوث في حال المرور جاز لها المرور وإلا فلا .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا وليي الخمر من المسجد قلت : إلى حائض . فقال : إن حيفتك ليست في ذلك . (٥) وله عن أبي هريرة مثله — فيه دلالة على جواز مرور الحائض في المسجد ، والنفساء في معناه ، والله أعلم .

(١) مسند أحمد : ١٥٠/٣ .

(٢) في المطبوعة : الفرزدق بإخراجه مسلم . والليث من ملحوظات كتاب زه رواه البخاري في كتاب الوضوء : ١٦٢/١ . والثاني : كتاب الطهارة والفصل . حل أن في صحيح مسلم باباً في « أمر من نس في صلته أو استنجم عليه القرآن » ، وفي هذا الباب روايتان من عبد العزيز بن صبيح عن أنس في من هذا الحديث ، وفيه من عائشة : « إذا نس أحدكم في الصلاة فليترك حتى يلعب به لثوم فإن أحدكم إذا صلى ، وهو ناسي لعله يلعب يستغفر فيسب نفسه » ينظر : ١٨٩/٢ ، ١٩٠ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة : ١٢٦/١ . ومسند أحمد عن ابن عباس : ٢٧٠/١ .

(٤) مسند أحمد عن ابن عباس : ٢٢١/١ ، وعن زيد بن أرقم : ٣٦٩/٤ .

(٥) مسلم ، كتاب الحيض : ١٦٨/١ . والخمرة بالماء : السجدة الصغيرة مقدار ما يسجد عليه .

وروى أبو خلدود من حديث أنس بن علفة البصري ، عن جصرة بنت دجاجة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إني لأحبل للمسجد الحائض ولا جنب** (١) . قال أبو مسلم الخطابي : ضمت هذا الحديث جماعة وقالوا : أنس مجهول ؛ لكن رواه ابن ماجه من حديث أبي الخطاب الفجيري ، عن محدوج النحل ، عن جصرة ، عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم - به (٢) . قال أبو ذؤعة الرازي : يقولون : جصرة ، عن أم سلمة ، والصحيح جصرة عن عائشة :

فأمام رواه أبو حنيفة الترمذي ، من حديث سالم بن أبي حفصة ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **يا علي ، لا يحل لأحد [أن] يجتنب في هذا المسجد** غيري وغيرك (٣) . - فإنه حديث ضعيف لا يثبت فإن سألنا هذا متروك ، وشيخه عطية ضعيف ، والله أعلم .

قول أنس في معنى الآية ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا المثلث بن شاذان ، حدثنا حميد الله بن موسى ، أخبرني ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن زيد بن حبيب ، عن علي : (ولا جنبنا إلا عابري سبل) . قال : لا يشرب الصلاة ، إلا أن يكون مسافرا تصيبه الجنابة ، فلا يجد للماء فيصلي حتى يجد الماء .

ثم رواه من وجه آخر ، عن المنهال بن عمرو ، عن زرارة ، عن علي بن أبي طالب ، فذكره : قال : وروى عن ابن عباس في إحدى الروايات ، وسعيد بن جبيرة ، والقصاصك - نحو ذلك .

وقد روى ابن جرير من حديث وكيع ، عن ابن أبي ليلى ، [عن المنهال] (٤) ، عن عباد بن عبد الله عن زبدي بن حبش - عن علي ، فذكره . ورواه من طريق العوفي وأبي ميجلز ، عن ابن عباس ، فذكره . ورواه من سعيد بن جبيرة ، وعن مجاهد ، والحسن بن مسلم ، والحكم بن عتيبة وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن ، مثل ذلك ، وروى من طريق ابن جرير ، عن عبد الله بن كثير قال : **كنا نسمع أنه في السفر** .

ويستشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن ، من حديث أبي قلابة ، عن عمرو بن بشار أن من ابن خرق قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« الصعيد الطيب طهور للمسلم ، وإن لم يجد للماء عشر جيجع فافا وجبت للماء فأمسسه بشرتك فإن ذلك »** (٥) غير .

ثم قال ابن جرير - بعد حكاية القولين : والأولى قول من قال : (ولا جنبنا إلا عابري سبل) : إلا يجتاز طريق فيه ، وذلك أنه قد بين حكم المسافر إذا علم للماء وهو جنب في قوله : (وإن كنتم مرضى أو على سفر) . إلى آخره ، فكان معلوما بذلك أن قوله : (ولا جنبنا إلا عابري سبل حتى تنقشوا) [لو كان (٦)] معناه بالمسافر لم يكن لإعادة ذكره في قوله : (وإن كنتم مرضى أو على سفر) معنى مفهوم ، وقد مضى حكم ذكره قبل ذلك ، فإذا كان ذلك كذلك ،

(١) سنن أبي خلدود ، كتاب الطهارة : ٦٥/١ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الطهارة ، الحديث ٦٤٥ و ٢١٢/١ .

(٣) تحفة الأعراف ، كتاب اللباس : ٢٢٢/١٠ .

(٤) من تفسير الطبري : ٣٧٩/٨ .

(٥) مسند أحمد : ١٨٠/٥ . وفي المسند بدل « عمرو بن بشار » بـ « علي بن بشار » وهو خطأ . وقد روى أحمد هذا الحديث أيضا في ١٠٥/٥ . قال : من عمرو بن بشار ، عن زرارة ، عن أبي ذر .

(٦) من تفسير الطبري : ٢٨٥/٧ .

فَأُولَ الْأَيَّةِ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا لِلْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ مَصْلِحِينَ فِيهَا وَأَنْتُمْ مَكْرَاهٍ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ، وَلَا تَقْرَبُوا أَيْضًا جَنِبًا حَتَّى تَقْتَضُوا ، إِلَّا جَاهِرِي سَبِيلَ . قَالَ : وَالْمَاهِرُ السَّبِيلُ : لِيُخْتَارَ مَرًّا وَقَطْعًا : يُقَالُ مَتَّ : هُوَ حَبْرٌ هَذَا الطَّرِيقَ فَذَاكَ أَمْرُهُ جَاهِرًا وَجَوْرًا . وَمَتَّ قِيلَ : هُوَ جَرَّ فَلَانَ النَّهْرَ : إِذَا قَطَعَهُ وَجَاوَزَهُ : وَمَتَّ قِيلَ لِلثَّلَاثَةِ الْقُوَّةِ عَلَى الْأَسْفَارِ : هِيَ حَبْرٌ لَسْفَارٍ [وَصَبْرٌ لَأَسْفَارٍ (١)] قُوَّتُهَا عَلَى قَطْعِ الْأَسْفَارِ .

وهذا الذي نصره هو قول الجمهور ، وهو الظاهر من الآية ، وكأنه تعالى نهي عن تمايل الصلاة على هيئة ناقصة تتألف منصوبها وعن التحول إلى عليها على هيئة ناقصة ، وهي الجنابة للمباعدة للصلاة وخلوها أيضا ، والله أعلم .

وقوله : (حَتَّى تَقْتَضُوا) دليل لا ذهب إليه الأئمة الثلاثة : أبو حنيفة ومالك والشافعي ، أنه عزم على الجنبة للكث في المسجد حتى يقتضوا أو يجتمعوا ، إن علم لئلا ، أو لم يقدر على استعماله بطريقة ، وذهب الإمام أحمد إلى أنه متى نوض الجنبة جاز له الكث في المسجد ، والروى هو وسعيد بن منصور في سننه بإسناد صحيح : أَنَّ الصَّاعِبَةَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ :

حدثنا عبد العزيز بن محمد — هو الدوادوري — عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار قال : رأيت رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم يجيئون إذا توضأوا وضوء الصلاة : وهذا إسناد على شرط مسلم ، فافقه أعلم .

وقوله : (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْمَطَاةِ أَوْ لَأَسَمَ النَّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَا يَحْتَاجُونَ فَوَضَعُوا يَدَيْهِمْ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ عَلَى الطَّرِيقِ أَوْ عَلَى الْمَنْجَلِ أَوْ عَلَى الْوُجْهِ) ، فهو الذي يخاف منه من استعمال الماء فواته عضو أو شيء أو تطويل الفرس ، ومن النساء من جَوَّزَ التَّيْمِيمَ بمجرد المرض لمعوم الآية . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو حسان مالك بن إسماعيل ، حدثنا قيس بن عُبَيْدٍ عن جهماد بن قولة : (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى) ، قَالَ : تَزَلَّتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، كَانَ مَرِيضًا فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقُومَ فَيَتَوَضَّأَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ فَيَتَوَضَّأَ لَهُ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَأَتَى اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ .

هذا مرسى . والسر معروف ، ولا فرق فيه بين الطويل والقصير .

وقوله : (أَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْمَطَاةِ) ، الْمَطَاةُ : هُوَ الْمَكَانُ الْمَطْمُنُ مِنَ الْأَرْضِ ، كَتَّى بَلَكَ عَنْ التَّخَوُّطِ ، وَهُوَ الْحَدُّ الْأَخْفَرُ .

ولما قوله : (أَوْ لَأَسَمَ النَّسَاءَ) قرئ : « لَأَسَمَ » و« لَأَسَمَ » واختلف القسرون والأئمة في معنى ذلك ، على قولين : أحدهما : أَنَّ ذَلِكَ كِتَابَةٌ مِنَ الْجَاعِ اقْبُولُهُ تَمَالٍ : (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَوَضَعْتُمْ يَدَيْكُمْ) وَقَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَاكْمُلِينَ مِنْ هَذِهِ تَطْهِيرًا) ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا أَبُو صَيْدٍ الْأَنْجِيُّ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : (أَوْ لَأَسَمَ النَّسَاءَ) قَالَ : الْجَاعُ . وَرَوَى عَنْ جُلَى ، وَأَبِي بَنٍ كَسْبَ ، وَجَاهِدَ ، وَمَالُوسَ ، وَالْحَسَنَ ، وَصُهَيْبَ بْنَ عَمْرِو ، وَسَعِيدَ بْنَ جَبْرِ ، وَالْأَشْعَثِيَّ ، وَفَقْدَةَ ، وَمُقَاتِلَ بْنَ حِيانٍ — نَحْوُ ذَلِكَ .

وقال ابن جرير : حَدَّثَنَا حَمِيدُ بْنُ مَسْعُودٍ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي بَشَرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، قَالَ : ذَكَرُوا الْمَسَّ ، فَقَالَ نَاسٌ مِنَ الْمَوْلَى : لَيْسَ بِالْجَاعِ . وَقَالَ نَاسٌ مِنَ الرَّبِّ : الْجَمَسُ الْجَمَاعُ : قَالَ : فَأُثْبِتَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمَوْلَى وَالرَّبِّ اخْتَفَوْا فِي الْمَسِّ ، فَقَالَتِ الْمَوْلَى : لَيْسَ بِالْجَاعِ : وَقَالَتِ الرَّبِّ :

الجاء . قال : من أتى الفريقين كنت ؟ قلت : كنت من الموالى . قال : خُلب فريقُ الموالى ، إن العس والمس والمباشرة : الجاء ، ولكن الله يَكْنِي ما شاء .

ثم رَواه عن ابن بشار ، عن خنجر ، عن شعبة - به نحوه . ثم رَواه عن غير وجه عن سعيد بن جبيرة - نحوه . ومثله قال : حدثني يعقوب ، حدثنا هشيم قال [حدثنا] أبو بشر ، أخبرنا سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : العس والمس والمباشرة : الجاء ، ولكن الله يَكْنِي ما يشاء . حدثنا عبد الحميد بن بيان ، أنبأنا إسحاق الأزرق ، عن سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن بكر بن عبد الله ، عن ابن عباس [قال : للامسة : الجاء ، ولكن الله كَرَّمَ يَكْنِي ما يشاء . وقد صح عن غير وجه ، عن عبد الله بن عباس] أنه قال ذلك . ثم رَواه ابن جرير عن بعض من حكاه ابن أبي حاتم عنهم .

ثم قال ابن جرير : وقال آخرون : ضى الله بذلك كلَّ لَس ، بيد كان أو يفرها من أعضاء الإنسان ؛ وأوجبوا الوضوء حل كل من مس بشيء من جسده شيئاً من جسده مفضياً إليه .

ثم قال : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن غارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود قال : العس مادون الجاء .

وقد رَواه عن طرق متصلة عن ابن مسعود بمثله . وروى من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : القبلة من لَس ، وفيها الوضوء .

وقال : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أنبأني حبيب الله بن عمر ، عن نافع : أن ابن عمر كان يوضأ من قُبلة المرأة ، ويرى فيها الوضوء ، ويقول : هي من العس .

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً من طريق شعبة ، عن غارق ، عن طارق ، عن عبد الله قال : العس مادون الجاء .

ثم قال ابن أبي حاتم : وروى عن ابن عمر ، وعبيدة ، وأبي حنبل النهدي وأبي عبيدة - يعني ابن عبد الله بن مسعود - وعاصم الشعبي ، وثابت بن الحجاج ، وإبراهيم التيمي ، وزيد بن أسلم نحو ذلك .

قلت : وروى مالك ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه أنه كان يقول : قبلة الرجل امرأته وجسده بيده من اللامسة ، فمن قبَّل امرأته أو جسدها بيده فعليه الوضوء (١) .

وروى الحافظ أبو الحسن الطبراني عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نحو ذلك . ولكن رويتنا عنه من وجه آخر : أنه كان يقبل امرأته ، ثم يعلى ولا يتوضأ . قال لؤي عن عتقة ، فيحمل ما قاله الوضوء إن صح عنه على الاستحباب ، والله أعلم .

والقول بوجوب الوضوء من لمس هو قول الشافعي وأصحابه ومالك والمشهور عن أحمد بن حنبل رحمهم الله ، قال ناصر حله المقالة : قد قرئ في حله الآية ولاستهم وولستهم ، والعس يطلق في الشرع على الجنس باليد قال تعالى : (ولو تزنا عليكم كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم) ، أي مسوه وقال صلى الله عليه وسلم لما ز - حين

(١) الموطأ ، كتاب الطهارة ، الحديث رقم : ٦٤٠

أقر باثنا عشره بالرجوع عن الإقرار - لذلك قلت لو لمست (١) ، وفي الحديث الصحيح : « وولد زناها الحسن (٢) » . وقالت عائشة رضي الله عنها : « كل يوم لأرسل الله صلى الله عليه وسلم يطوف علينا ، فيقبل ويلمس (٣) » ، ومنه ما ثبت في الصحيحين : أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع اللباس (٤) ، وهو يرتجح إلى الجس باليد على كلا التفسيرين قالوا : ويطلق في اللغة على الجس باليد ، كما يطلق على الجوع ، قال الشاعر :

• وَلَمْسٌ كَفَى كَهْ أَطْلَبُ الْفَيْسَى •

واستأنوا أيضا بالحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن مهزيب وأبو سعيد قالا : حدثنا زائدة ، عن عبد الملك بن عمير - وقال أبو سعيد : حدثنا عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله ، ما تقول في رجل أتى امرأة لا يعرفها ، فليس بأي الرجل مع امرأته شيئا إلا [قد] أتاه منها ، غير أنه لم يجامعها ؟ قال : فأقول الله عز وجل هذه الآية : (أَمِ الصَّلَاةُ طَرَفُ الْبَهَارِ وَزُفَا مِنْ الْبَيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْرِكُنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرُ لِلذَّاكِرِينَ) قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترضأ ثم صل » . قال معاذ فقلت : يا رسول الله ، أله خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ قال : « بل للمؤمنين عامة » (٥) .

ورواه الترمذي من حديث زائدة - به ، وقال : ليس بمشتمل (٦) ، وأخرجه النسائي من حديث شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسل .

قالوا : فأمره بالوضوء لأنه لمس المرأة ولم يجامعها ، ولجيبه بأنه متقطع بين أبي ليلى ومعاذ ، فإنه لم يلقه ، ثم جعل أنه إذا أمره بالوضوء والصلاة التوبة ، كما تقدم في حديث الصديق : « ما من عبد يلبس ثيابا يتوضأ ويصلي ويكسب إلا خفر الله له . » الحديث ، وهو مذكور (٧) في سورة آل عمران عند قوله : (ذَكُرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِلذَّنْبِ) الآية :

ثم قال ابن جرير : ولولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : « عني الله بقوله : (وَلا تَلْمِزُوا النَّسَاءَ الْجَمَاعَ حُدُودَ شِرْكِهِنَّ مِنْ مَعَالِي الْحَسَنِ ، لَصَحَّةُ الْحَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَبَّلَ بَعْضَ نِسَائِهِ ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ » ثم قال : حدثني بذلك إسماعيل بن موسى السدي [قال] : « أخبرنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثم يقبل ، ثم يصلي ولا يتوضأ (٨) » .

ثم قال : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن حبيب ، عن عروة ، عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قبَّلَ بَعْضَ نِسَائِهِ ، ثُمَّ مَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ ، قُلْتُ : مِنْ هِيَ إِلَّا أَنْتِ ؟ فَضَحِكَتْ .

(١) سنة أحمد عن ابن عيسى : ٢٣٨/١ .

(٢) سنة أحمد عن أبي هريرة : ٣٤٩/٢ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب النكاح : ٢٨ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة : ١٠٢/١ ، ١٠٣ ، وكتاب البيوع : ٩١-٩٢ ، وسلم ، كتاب البيوع : ٢٠٢/٥ .

(٥) سنة أحمد : ٢٤٤/٥ .

(٦) نسخة الأحسن ، تفسير سورة هود : ٥٣٦/٨ ، ٥٣٧ .

(٧) تقدم في : ١٠٣/٢ ، ١٠٤ .

(٨) تفسير الطبري : ٣٩٦/٨ .

وهكذا رواه أبو داود (١) والترمذي ، وابن ماجه ، عن جاعة من مشايخهم ، عن وكيع — به —
ثم قال أبو داود : روى عن الثوري أنه قال : ما حدثنا حبيب إلا عن عروة للثوري ، وقال يحيى القطان لرجل : احك
معي أن هذا الحديث شيء لا شيء (٢) :

وقال الترمذي : سمعت البخاري يضعف هذا الحديث وقال : حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة (٣) ،
وقد وقع في رواية ابن ماجه : عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلى بن عمدة الطائفي ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن
حبيب بن أبي ثابت ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة .

وأبلغ من ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : وهذا نص
في كونه عروة بن الزبير ، وشهد له قوله : من هي إلا أنت ففسحت (٤) .

لكن روى أبو داود ، عن إبراهيم بن عبد الطالقاني ، عن عبد الرحمن بن مغراء ، عن الأعمش قال : حدثنا أصحاب
لنا عن عروة للثوري ، عن عائشة (٥) — فذكره ، والله أعلم :

وقال ابن جرير أيضا : حدثنا أبو زيد عمر بن شبَّه (٦) عن شهاب بن عباد ، حدثنا مثل (٧) من حل ، عن ليث ،
عن حطاه ، عن عائشة — وعن أبي روق ، عن إبراهيم التيمي ، عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينال
مني القيلة بعد الوضوء ، ثم لا يبعد الوضوء :

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن أبي روق المسكاني ، عن إبراهيم التيمي ، عن عائشة : أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبَّل ثم صل ولم يوضأ (٨)

رواه أبو داود والسنائي من حديث يحيى القطان — زاد أبو داود : وابن مهدي — كلاهما عن سفيان الثوري ، به —
ثم قال أبو داود ، والسنائي : لم يسمع إبراهيم التيمي من عائشة (٩) :

وقال ابن جرير أيضا : حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، حدثني أبي ، حدثنا يزيد بن سنان ، عن عبد الرحمن الأوزاعي ،
عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أم سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم ، ثم
لا يفطر ، ولا يحدث وضوءا :

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٤٦/١ . وتحفة الأحقاف ، كتاب الطهارة : ٢٨١/١ . وسنن ابن ماجه ،
كتاب الطهارة ، الحديث ٥٥٢ : ١٦٨/١ .

(٢) سنن أبي داود : ٤٦/١ .

(٣) تحفة الأحقاف : ٢٨٥/١ .

(٤) التي أماننا الآن في المسند : ٢١٠/٦ رواية حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن الزبير ، ولعلنا لسننوك رواية هشام
عن أبيه لما يستقبل .

(٥) في الخطوبة : من عروة . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٦) في الخطوبة : أبو زيد عن عمر بن شبة . وهو خطأ ، ينظر تفسير الطبري : ٣٩٧/٨ ، والمختلصة .

(٧) في الخطوبة : مثل بن حدى . وهو خطأ ، ينظر المختلصة .

(٨) مسند أحمد : ٢١٠/٦ .

(٩) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٤٥/١ .

وقال أيضا : حدثنا أبو كريب ، حدثنا حفص بن غياث ، عن حجاج ، عن عمرو بن شعيب (١) ، عن زينب السهمية عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان يَسْكَبُ لم يصل ولا يتوضأ .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن محمد بن فضيل ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن زينب السهمية ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) - به

وقوله : (فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) استنبط كثير من الفقهاء من هذه الآية : أنه لا يجوز التيمم لماء لئلا يهد تكلبه في طلبه فلم يجده جاز له حيثن التيمم ، وقد ذكروا كيفية الطلب في كتب الفروع ، كما هو مفرد في موضعه ، كما هو في الصحيحين ، من حديث عثمان بن حصين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا سحرا لم يصل في القرم ، قال : يا فلان ، ما منعك أن تصل مع القوم ؟ ألسنت برجل مسلم ؟ قال : بلى ، يا رسول الله ، ولكن أصابني جنابة ولا ماء ، قال : عليك بالصعيد ، فانه يكتيك (٣) .

ولهذا قال تعالى : (فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) فالتيمم في الله هو : التقصد ترك الرب : تيممه لله بحفنه ، أي : قصدك : ومنه قول امرئ القيس (٤) :

ولا رأيت أن المنيّة وردّها • وأن الحصى مع محبة أئمنها دأما

تيممت العين التي عند ضارح • يفيء عليها القبي (٥) صرمتها طام

والصعيد قيل : هو كل ما صد حل وجه الأرض ، فيدخل فيه التراب : [والرمل ، والشجر ، والحجر ، والنبات] وهو قول مالك . وقيل : ما كان من جنس التراب [فيخص التراب والرمل والطين ، والقثرة ، وهذا ملح أب حنيفة ، وقيل : هو التراب فقط . وهو ملح الشامي وأحمد بن حنبل وأصحابها ، وأحسبوا بقوله تعالى : (فتصيح صعيدا زقا) ، أي : ترابا أملس طيبا ، وما ثبت في صحيح مسلم ، عن حنيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وفضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفونا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا ، وجعلت تربها لنا طهورا إذا لم نجد الماء (٦) وفي لفظ : وجعل ترابا لنا طهورا إذا لم نجد الماء » قالوا : فخصص الطهورة بالتراب في مقام الامتنان ، فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه ،

(١) في الاطوية : عمرو بن سمية . وهو خطأ ، ينظر تفسير الطبري : ٣٩٧/٨ .

(٢) مسند أحمد : ٦٤/٦ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التيمم : ٩٦/١ ، ٩٧ .

(٤) ديوانه : ٤٧٥ . ولسان العرب : مادة « خرج » : ورواية البيت الأول فيها : ولا رأيت أن القريفة وردّها • وأن العياض من ثراصها طام

(٥) في الديوان : يفيء عليها النمل .

وضارح : اسم موضع ، والمرقص : عقب أحمر ينشئ للماء ، فإذا كان في جوانبه فهو الماطب ، يقال : ماء مرصق . وطام : مرثع .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب المساجد : ١٢٤/٢ ، ١٢٤ .

والطبيب هاجتا قيل : الحلال : وقيل : الذي ليس بنجس ، كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا ابن ماجه ، مع حديث أبي قلابة عن عمرو بن بجدان ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصديق الطبيب طهور للعلم ، وإن لم يجد لواء حشر صحيح » ، فإذا وجده فليسمه بشتره ، فإن ذلك خير » (١) .

وقال الترمذي : حسن صحيح : وصححه ابن حبان أيضا ، ورواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن أبي هريرة . وصححه الحافظ أبو الحسن الطائفي : وقال ابن عباس : أطيب الصديق تراب الحرث : رواه ابن أبي حاتم ، ورفعه ابن مردويه في تفسيره .

وقوله : (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) : التيمم بذلك عن الوضوء في التطهر به ، لا أنه بدل منه في جميع أعضائه ، بل يكفي مسح الوجه واليدين فقط بالإجماع ، ولكن اعطف الأئمة في كيفية التيمم على أقوال :

أحما — وهو ملحظ الشافعي في الحديث : أنه يجب أن يمسح الوجه واليدين إلى المرفقين بضريرته ، لأن لفظ اليدين يصدق إطلاقها على ما يبلغ للكفين ، وعلى ما يبلغ المرفقين ، كما في آية الوضوء ويطلق ويراد بها ما يبلغ الكفين ، كما في آية السرقة : (فاقطع يديهما) قالوا : وحمل ما أطلق هاجتا على ما قيد في آية الوضوء أولى جامع الطهوية وذكر بعضهم ما رواه الدارقطني ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التيمم ضربتان : ضربة للوجه ، وضربة اليدين إلى المرفقين » ولكن لا يصح لأن في أسانيد ضعفاء لا يثبت الحديث بهم . وروى أبو داود عن ابن عمر — في حديث — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يديه على الحائط ومسح بها وجهه ، ثم ضرب ضربة أخرى فمسح ذراعيه (٢) .

ولكن في إسناده محمد بن ثابت السبدي ، وقد ضعفه بعض الحفاظ ، ورواه غيره من الثقات فرفقوه على فعل ابن عمر ، قال البخاري وأبو زرعة وابن حنبل : وهو الصواب : وقال البيهقي : رُفِعَ هذا الحديث منكر .

واحج الشافعي بما رواه حماد بن إبراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عبد الرحمن بن (٣) معاوية ، عن الأخرج ، عن ابن الصمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تيمم فمسح وجهه وذراعيه .

وقال ابن جرير : حدثني موسى بن سهل الرمي ، حدثنا نعم بن حماد ، حدثنا خارجة بن (٤) مصعب ، عن عبد الله بن عطاء ، عن موسى بن عتبة ، عن الأخرج ، عن أبي جهنم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، ضلعت عليه ، فلم يرد على حرف فرغ ، ثم قام إلى الحائط ف ضرب يديه عليه ، فمسح بها وجهه ، ثم ضرب يديه على الحائط فمسح بها يديه إلى المرفقين ثم ودخل السلام .

والقول الثالث : أنه يجب مسح الوجه واليدين إلى الكفين بضريرته ، وهو القول القديم الشافعي .

والثالث : أنه يكفي مسح الوجه والكفين بضريرة واحدة ، قال الإمام أحمد :

(١) سبق تحريجه ، ينظر ص : ٢٧٤

(٢) سنن أبي داود : كتاب التيمم ، باب التيمم في الخضر : ٩٠/١ .

(٣) في المطبوعة : من الحويرث عن عبد الرحمن بن معاوية . وهو خطأ . ينظر الأم الشافعي : ٤٢٧/١ ، و « الخلاصة » ترجمة عبد الرحمن بن معاوية ، وفيها يقول مالك عنه : ليس بظنة .

(٤) في المطبوعة : خارجة عن مصعب . وهو خطأ . ينظر تفسير الطبري : ٤١٩/٨ و « الخلاصة » .

حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن الحكم، عن ذر^(١)، عن [ابن] عبد الرحمن بن أبيزى، عن أبيه، أن رجلا أتى عمر فقال: إني أحببت فلم أجده ماء؟ فقال عمر: لا تصل. فقال عمر: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذا أنا وأنت في صرة فطجيتا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمسكت في التراب فصليت، فلما أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له، قال: [إنما كان يكتيك]، وضرب النبي صلى الله عليه وسلم يده الأرض، ثم نفع فيها ومسح بها وجهه وكتفه. وقال أحمد أيضا: حدثنا حبان، حدثنا أبان، حدثنا قتادة، عن حمزة^(٢) عن سيد بن عبد الرحمن بن أبيزى، عن أبيه، عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في التيمم: «ضربة الوجه والكفين»^(٣).

طريق أخرى قال أحمد: حدثنا حبان، حدثنا عبد الواحد، حدثنا سليمان الأعمش، حدثنا شقيق قال: كنت مع عبد الله وأبي موسى [فقال أبو موسى: لقد الله! لو أن رجلا لم يجد للماء لم يصل؟ فقال عبد الله: لا، فقال أبو موسى: أما تذكر إذا قال عمر لعمر: ألا تذكر إذا مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان في الليل، فأصابني جنابة، فتمسحت في التراب، فلما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته، فضطحك وقال: [إنما كان يكتيك]، لأن قولهم هكذا، وضرب يكتيك إلى الأرض، ثم مسح كتفيه جميعا، ومسح وجهه مسحة واحدة وضربة واحدة؟ فقال عبد الله: لا، جرم، ما رأيت عمر نتح بذلك [قال]: قال له أبو موسى: فكيف بهذه الآية في سورة النساء: (فلم يجدوا ماء فيمسحوا أصابعهم ماء)؟ قال: فإحدى يدي الله ما يقول، وقال: لو رخصنا لم في التيمم لأوشك أن أحطم إذا برد للماء على جلده أن يتيمم^(٤).

وقال تعالى في آية المائدة: (فاسسروا بوجوهكم وأيديكم منه) استدل بذلك الشافعي رحمه الله تعالى على أنه لا بد في التيمم أن يكون بتراب طاهر له غبار يعلق بالوجه واليدين منه شيء، كما رواه الشافعي بإسناده للقدم عن أبيه الصمة: أنه مرر ياتني صلى الله عليه وسلم وهو يبول، فلم عليه فلم يرد عليه، حتى قام إلى جدار فحط بهما كاللحم معه، فغربه بيده عليه ثم مسح وجهه وذراعيه.

وقوله: (ما يريد الله لييسر عليكم من حرج)، أي: في الدين الذي شرع له لكم (ولكن يريد لييسر لكم) فلهذا أباح لكم إذا لم تجدوا الماء أن تبدلوا إلى التيمم بالصعيد (ولم يسهل عليكم لتيسروا).

ولهذا كانت هذه الأمة مختصة بشرعية التيمم دون سائر الأمم، كما ثبت في الصحيحين، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت حساما يسلطون أحد قبلي ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فإما رجل من أمي أدر كنه الصلاة فليصل» - وفي لفظ: فتدبره - فهو مسجده - وأسلت لي الغمام ولم أجد له قذرا، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس عامة^(٥).

(١) في المخطوطة: زر، بالزاي - وصوابه: ذر، بالذال - وهو ذكر بن عبد الله المرجع المحدثان - يروى عن سيده بن عبد الرحمن بن أبيزى. ينظر «الخلاصة».

(٢) عن ستة أحد: ٢٦٥/٤.

(٣) في المخطوطة: عروء. والمثبت عن الستة - وهو حمزة بن عبد الرحمن الخزاعي - وينظر الجرح: ٢١٤/٢٤.

(٤) ستة أحد: ٢٦٣/٤.

(٥) ستة أحد: ٢٦٥/٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب التيمم: ٩١/١، ٩٢. ومسلم: كتاب المساجد: ٩٣/٢.

وقدم في حديث حليقة عند مسلم : « فضلنا حل القامى بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة » وجعلت لنا الأرض مسجدا ، وتربها طهورا إذا لم نجعل للماء »
وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان ظاهرا غفورا » أي : ومن طهوه عنكم وحسنه لكم أن شرع التيمم ، وأباح لكم فعل الصلاة به إذا قدمتم الماء ، توسعة عليكم ورحمة لكم ، وذلك أن هذه الآية الكريمة فيها تزيه الصلاة أن فعل حل هيئة ناقصة من سكر حتى يصحو المكلف ويسفل ما يقول ، أو جنابة حتى يتوضأ ، أو حدث حتى يتوضأ ، إلا أن يكون مريضا أو عاجزا للماء ، فإن الله عز وجل قد أرحمنا في التيمم والحالة هذه ، رحمة بعباده ورفقة بهم ، وتوسعة عليهم ، والله الحمد ولله »

(ذكر سبب نزول مشروعية التيمم)

ونما ذكرنا ذلك هاهنا ، لأن هذه الآية التي في النساء مقدمة النزول حل آية المائنة ، وبيان أن هذه قولت قبل مجيء تحريم الخمر ، والخمر إذا حرم بعد أحد ، يقال : في عاصرة النبي صلى الله عليه وسلم لبني النضير بعد أحد يبصر ، ولما المائنة فلها مع أولئك ما ذكره ، ولا سيما صدورها ، فناسبه أن يذكر السببه هاهنا وبالله التوفيق .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبي بن عبيد ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : أنها استعارت من أساءة قلابة ، فبعلكت ، لمحت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا في طلبها فوجدوها ، فأمرتهم الصلاة وليس معهم ماء ، ففعلوا بغير وضوء ، فذكرنا ذلك لئلا يجهل صلى الله عليه وسلم ، فأئول الله آية التيمم ، فقال أسيد بن الحضير لعائشة : جزاك الله خيرا ، فوالله ما ذكره بك أمر تكرر منه إلا جعل الله [لك] والمسليم فيه خيرا (١) .

طريق أخرى : قال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأ مالك ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن حماد قاله : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، حتى إذا كنا في اليبداء (٢) - أو بلدات الجهش - انقطع حقدن ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حل الياسه ، وأقام الناس معه ، وليسوا حل ماء وليس معهم ماء ، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا : ألا ترى إلى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس ، وليسوا حل ماء وليس معهم ماء ! فجاه أبو بكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه حل فضلى قد نام ، قال : حيث رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس . وليسوا حل ماء وليس معهم ماء ! قالت عائشة : ضائتي أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يعضن يده في خمارتي ، ولا يمتنى [من] التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حل فضلى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح حل غير ماء ، فأئول الله آية التيمم فقيموا ، فقال أسيد بن الحضير : ما لي يأكو بركتكم يا آل أبي بكر ؟ قالت : فيمتنا الجير الذي كنت عليه ، فوجدنا القند تحته (٣) .

(١) مسند أحمد : ٥٧٧/٦ . وطلعت القلابة : انتقلت وضاعت .

(٢) اليبداء : اسم لأرض بين مكة والمدينة ، رمى إلى مكة أقرب . وفلات الجهش : قرب المدينة .

(٣) صحيح البخاري : كتاب التيمم : ٩١٦/١ .

وقد رواه البخاري أيضا عن قتيبة (١) وإساعيل (٢) : ورواه مسلم [عن يحيى بن يحيى عن مالك (٣)] :

حدثنا آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن صالح [قال] قال ابن شهاب : حدثني عبد الله ابن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن عمار بن ياسر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرس بأولات (٤) الجيش ومعه عائشة زوجة ، فانقطع عقد لها من جترع ظنكر (٥) ، فحبس الناس ابتداء عقدها ، وذلك حتى أضاء الفجر ، وليس مع الناس ماء ، فأنزل الله ، عز وجل ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم رخصة التطهر بالصعيد الطيب ، فقام المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربوا بأيديهم الأرض ، ثم رفعوا أيديهم ولم يقبضوا من الراب شيتا ، فمسحوا بها وجوههم وأيديهم إلى الكتف ، ومن يطون أيديهم إلى الأباط :

وقد رواه ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا صبيح ، عن ابن أبي ذئب ، [عن الزهري] (٦) ، عن صبيد الله ابن عبد الله ، عن أبي اليقظان قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهلك عقد لعائشة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضاء الفجر ، فغضب أبو بكر على عائشة ، فتركت عليه الرخصة : للمسح بالصعيد الطيب : فدخل أبو بكر فقال لها : إنك مباركة ! تركت عليك رخصة ! فصرينا بأيدينا : ضربة لوجوهنا ، وضربة لأيدينا إلى الكتف والأباط :

حدثنا آخر ، قال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي الليث ، حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا العباس (٧) بن أبي سويبة ، حدثني الحيثم بن رؤيق المالكي - من بني مالك بن كعب بن سعد ، وعاش مائة وسبع عشرة سنة - عن أبيه ، عن الأسلم بن شريك قال : كنت أرسل ثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابني جنابة في ليلة باردة ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحلة ، فكرهت أن أرسل ناهه وأنا جنب ، وغشيت أن أختل بالماء البارد فأمرت أو أمرض ، فأمرت رجلا من الأنصار فرحله ، ثم رخصت (٨) أحجارا فأسخت بها ماء ، فاغسلت . ثم لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال : يا أسلم ، مالي لري وحلتك تغيرت . قلت : يا رسول الله ، لم أرحله ، فرحله رجل من الأنصار ، قال : ولم ؟ قلت : لنهر أصابني جنابة ، فغشيت القصر على نفسي ، فأمرت أن يرحله ، ورخصت أحجارا فأسخت بها ماء فاغسلت به ، فأنزل الله تعالى : (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) إلى قوله : (إن الله كان عفوا غفورا) ، ولد روى من وجه آخر ، عه .

(١) صحيح البخاري ، باب فتنات أصحاب النبي : ٩/٥ .

(٢) صحيح البخاري ، تفسير سورة المائدة : ٦٣/٦ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب التيمم : ١٩١/١ . ١٩٢ .

(٤) أولات الجيش ، هي ذات الجيش المنتظمة . وفي نسخة أحد : ٢٩٤/٤ : بأولات الجيش . وهو خطأ .

(٥) الجرح - يفتح فسكوذ - : الخرز المثلج . وعقار : اسم مدينة لحير بآمين .

(٦) من تفسير الطبري : ٤١٩/٨ . ويظهر الجرح : ٤١٩/٢/٢ .

(٧) كلا ، وفي نسخة الثانية : ٩١/١ : الملاء بن أبي سوية .

(٨) رخصت المحبرة : أسهلها بالتمس أو بالتمر . ومنى أسخن بها الماء : طرحها في الماء فغلب برده .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُسْتَرْوْنَ الضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن يُضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿١١﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَذَمًّا لِّمَا بِالْيَسْتِمْ وَأَطْعَمًا لِّمَا طَعَّمَنَّا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّنَعْنَمُ اللَّهُ يَكْفُرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾

خير تبارك تعالى عن اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - أنهم يشتركون الضلالة بالهدى ، ويخوضون عما
أمر الله على رسوله . ويتركون ما يأبىهم من العلم من الأنبياء الأكملين في صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، ليشتروا به
لما قليل من حطام الدنيا ، (ويريدون أن تضلوا السبيل) أى : يودون لو تكفروا بما أنزل عليكم أنها للمؤمنين وتركوا
ما أمم عليه من الهدى والعلم التابع ، (والله أعلم بأعدائكم) أى : هو يعلم بهم ويحذرهم منهم (وكفى بالله وليا وكفى بالله
نصيرا) أى : كفى به وليا لمن لجأ إليه ونصيرا لمن استنصره .

ثم قال تعالى : (من الذين هادوا) من : هذه ليبيان الجنس كقوله : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) ،
وقوله : (يحرفون الكلم عن مواضعه) أى يتولون الكلام على غير تأويله ، ويسروه به غير مراد الله ، من وجل ،
فصلوا منهم وأفرده (ويقولون : سمعنا وعصينا) أى يقولون : سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه . هكذا فسر مجاهد
والنبي زيد ، وهو المراد ، وهذا أبلغ في عنادهم وكفرهم : أنهم يقولون من كتاب الله بعد ما حفظوه ، وهم يعلمون ما عليهم
في ذلك من الإثم والعترة .

وقوله (واسمع غير مسمع) أى اسمع ما تترك ، لا سمعت ، رواه الضحاك عن ابن عباس : وقال مجاهد والحسن :
واسمع غير مقبول منك :

قال ابن جرير : والأول أصح : وهو كما قال : وهذا لعتزاه منهم واستهتار ، عليهم لعنة الله .

(وراعتا لما يأستهم وطعنا في الدين) أى : يرهون أنهم يقولون : راعتا سمعك بقولهم : راعتا : راعتا : وإنما يريدون
الرحمة : وقد تقدم الكلام في هذا عند قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعتا وقولوا انتظروا) (١) .

وهذا قال تعالى من هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهره (ليأى بأستهم وطعنا في الدين)
يعنى : يسبهم الله ، صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى : (ولو أنهم قالوا : سمعنا وأطعنا واسمع وانظروا ، لكان خيرا لهم وأقوم ، ولكن لعنهم الله بكفرهم
فلا يؤمنون إلا قليلا) أى : قلوبهم مطروحة عن الخير مبعدة عنه ، فلا يدخلها من الإيمان شيء نافع لهم [وقد تقدم الكلام (٢)
على قوله تعالى : (قليلا ما يؤمنون) . والقصود : أنهم لا يؤمنون إيمانا نافعا .

(١) ينظر : ٢١٣/١ ، ٢١٤ .

(٢) ينظر : ١٧٦/١ ، ١٧٧ .

يُنَاسِبُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مَا نَتُنَاسِبُكُمْ لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُطْمِئِنُّ وَجُوهُهُمْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ أَوْ
 نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ النَّارِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَعْرُوضًا ﴿١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ
 لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿١١﴾

يقول تعالى - أمرا أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم ، الذي فيه تصديق للأخبار التي بأيديهم من البشارات ، ومنهدحا لهم أن يفعلوا ، بقوله : (من قبل أن تطمئن وجوها فردها على أديبارها) . قال بعضهم : معناه من قبل أن تطمس وجوها ، طمسها : هو ردحا [إلى] الأديبار ، وجعل أبصارهم من وراءهم . ويحتمل أن يكون المراد : من قبل أن تطمس وجوها فلا يبقى لها سمع ولا بصر ولا أثر ونردحا مع ذلك إلى ناحية الأديبار .

قال القرني من ابن عباس : (من قبل أن تطمس وجوها) وطمسها : أن تسمى - (فردحا على أديبارها) ، يقول :
 نجعل وجوههم من قبل أفتيتهم ، فيمشون التهقري ، ونجعل لأحدهم عينين من قناه .

وكذا قال قتادة ، وصحبة القرني . وهذا أبلغ في العقوبة والذكاء ، وهو مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحبة البيضاء إلى سبل الضلالة يهتزعون ويمشون التهقري على أديبارهم ، وهذا كما قال بعضهم في قوله : (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا) الآية : إن هذا مثل ضربه الله لهم في ضلالهم ومنعهم عن الهدى .

قال مجاهد : (من قبل أن تطمس وجوها) يقول : عن صراط الحق ، فردحا على أديبارها ، أي : في الضلالة ،

قال ابن أبي حاتم : ورؤى من ابن عباس ، والحسن بنحو هذا .

قال السدي : (فردحا على أديبارها) فتمنتها عن الحق ، قال : نرجعها كفارا ونردهم فردة .

وقال ابن زيد : تردم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز .

وقد ذكر أن كعب الأبحار أسلم حين سمع هذه الآية ، قال ابن جرير :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا جابر بن نوح ، عن حمزة بن المغيرة قال : تذاكرنا عند إبراهيم إسلام كعب ، قال :
 أسلم كعب زمان عمر ، أقبل وهو يريد بيت المقدس ، فمر على المدينة ، فخرج إليه عمر فقال : يا كعب ، أسلم . قال :
 ألبسهم هزلون في كتابكم : (مثل الذين حملوا التوراة) إلى (أسفارنا) وأنا قد حملت التوراة . قال : فذكر عمر ، ثم خرج
 حتى انتهى إلى حمص ، فسمع رجلا من أهلها حزينا ، وهو يقول : (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا
 لما معكم من قبل أن تطمس وجوها فردحا على أديبارها) .. الآية . قال كعب : [يا رب أنتهت (١)] يا رب ، أسلمت ،
 عاقبة أن نصيب هذه الآية ، ثم وجع فأتى أمه في اليمن ، ثم جاء بهم مسلمين .

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر بلفظ آخر ، قال : حدثنا أبي ، حدثنا ابن قتيب ، حدثنا عمرو [بن] واقد ، عن يونس بن حبيب ، عن أبي إدريس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان أبو سلم الجليل معلم كعب ، وكان يلومه في إبطائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فيه إليه لينظر أمره ؟ قال كعب : [فركبت] حتى أتيت لليلة ، فلما نال يقرأ القرآن ، يقول : (يا أيها الذين آمنوا أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهكم شرعنا على أديارها) ، فبادرت للماء فاغتسلت وإلى لأسمع وجيى غداة أن أطمس ، ثم أملت .

وقوله : (أو لئلمهم) كما لما أصحاب السبت) يعنى : الذين اعتدوا في سببهم بالحيلة على الاصطياد ، وقد مسخروا قردة وغنم ، وسألى بسط قصتهم في سورة الأعراف .

وقوله : (وكان أمر الله مفعولا) أى : إنا أمر بأمر ، فإنه لا يخالف ولا يعان .

ثم لمجبر فقال : أنه (لا يضر أن يشرك به) أى : لا يضر لعبد قبيح وهو مشرك به (ويضر مادون ذلك) أى : من اللغو (بل يشاء) أى : من عباده .

وقد وردت أحاديث متصلة بهذه الآية للكرامة ، فذكر منها ما ليس :

الحديث الأول : قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا صفقة بن موسى ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن يزيد ابن بكسوس ، عن حاشية قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النولون عند الله ثلاثة . حيوان لا يها الله به شيئا ، وحيوان لا يترك الله شيئا ، وحيوان لا يضره الله ، ولما النيران التي لا يضره الله فالشرك بالله ، قال الله عز وجل : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) . ولما النيران التي لا يها الله به شيئا فظلم العبد نفسه [فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه ، أو صلاة تركها ، فإن الله يضر ذلك ويحطوا إن شاء] ولما النيران التي لا يترك الله به شيئا ، فظلم العباد بعضهم بعضا ، القصص لا محالة .»

فرد به أحمد (١) .

الحديث الثاني : قال الحافظ أبو بكر الخوارزمي : حدثنا أحمد بن مالك ، حدثنا زائدة بن أبي الرقاد ، عن زياد التميمي ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الظلم ثلاثة ، فظلم لا يضره الله ، وظلم لا يترك الله ، وظلم لا يترك الله ، فظلم لا يضره الله فالشرك ، وقال : (إن الشرك لظلم عظيم) ولما الظلم الذي يضره الله فظلم العباد لبعضهم فيما بينهم وبين ربه ، ولما الظلم الذي لا يتركه ، فظلم العباد بعضهم بعضا ، حتى يكين لبعضهم من بعض .»

الحديث الثالث : قال الإمام أحمد : حدثنا صفوان بن عيسى ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن أبي حنن ، عن أبي إدريس ، قال : سمعت معاوية يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل ذنب صبي الله أن يضره ، إلا الرجل يموت كافرا ، أو الرجل يقتل مؤمنا متصلا » (٢) .

(١) مسند أحمد : ٢٤٠/٦ .

(٢) مسند أحمد : ٩٩/٦ .

رواه النسائي ، عن محمد بن مثنى ، عن صفوان بن يحيى ، به .

الحديث الرابع : قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر ، حدثنا [ابن شاذان] أن أبا ذر حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يقول : يا عبدى ، ما عبدنى ورجونى لك خاف لك حلى ما كان عليك . يا عبدى ، إن تبتنى بتركب (١) الأرض خطيئة ما لم تترك في ، فليترك بتركها مقفرة » .
فرد به أحمد من هذا الوجه (٢) .

الحديث الخامس : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا حسين ، عن ابن بريدة أن يحيى بن يعمر حدثه ، أن أبا الأسود الدؤلي حدثه ، أن أبا ذر حدثه قال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد قال : لا إله إلا الله . ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق . ثلاثا ، ثم قال في الرابعة : حلى رَحِمَ أَنْفَ أَبِي ذَرٍّ ! قال : فخرج أبو ذر وهو يجر ليزله وهو يقول : وإن رَحِمَ أَنْفَ أَبِي ذَرٍّ ! وكان أبو ذر يحدث بهذا ويقول : وإن رَحِمَ أَنْفَ أَبِي ذَرٍّ .

أنجرجاه (٣) من حديث حسين ، به .

طريق أخرى عنه ، قال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذر قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرة للنبية عشاء ، ونحن ننظر إلى أحد قال : يا أبا ذر : قلت : ليك يا رسول الله [قال] : ما أحب أنى لي أحداً ذلك حتى أقسى ثلاثة وحتى منه جبار ، إلا جباراً لو سلمه بيني وبينى إلا أن أتى (٤) . به في عباد الله حكماً . وحاً عن يمينه وبين يمينه وعن يساره . قال : ثم مضى قال : يا أبا ذر ، إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال حكماً وحكماً . فحنا عن يمينه ومن بين يمينه وعن يساره . قال : ثم مضى قال : يا أبا ذر ، كما أنت حتى أتيتك . قال : فأنطلق حتى تولى حتى قال : فسمعت لعل قلباً . لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض له . قال : فهمت أن أتبعه ، ثم ذكرت قوله : لا تبرح حتى أتيتك ، فأنظرت حتى جاءه فذكرت له الذي سمعت ، فقال : ذاك جبريل أتاني فقال : من مات من أمته لا يترك بالله شيئاً دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق . »

أنجرجاه (٥) في الصحيحين من حديث الأعمش ، به .

وقد رواه البخاري ومسلم أيضاً كلاهما ، عن خثية ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن زيد ابن وهب ، عن أبي ذر قال : « خرجت ليلة من الأيائل ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم معي وحده ، ليس معه إنسان »

- (١) مكانه في الخطورة : تيم . وللحديث عن المسند ، وهو عبد الرحمن بن شاذان . ينظر الخلاصة .
- (٢) أي : ما يقارب ملأها .
- (٣) سنة أحد : ١٥٤/٥ .
- (٤) سنة أحد : ١٦٦/٥ . وصحيح البخاري ، كتاب الأيائل ، ١٩٢/٧ ، ١٩٣ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، ١٦٦/١ .
- (٥) أي : إلا أن الله في عباد الله ...
- (٦) سنة أحد : ١٥٧/٥ . وصحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، ١١٧/٨ . ومسلم ، كتاب الزكاة ، ٧٥/٣ ، ٧٦ .

قال : فظننت أنه يكبره أن يمشي معه أحد ، قال : فجلست لأمشي في ظل القبر ، فالتفت فرأيت ، فقال : من هذا ؟ قلت : أبو ذر ، جعلني الله فداك ، قال : يا أبا ذر ، قال : قلت معه ساعة قال : إن الكثيرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أحاطه الأخير انفتح فيمن يمشي وشاك ، ويخيم ويهوداه ، وعمل فيه خيراً . قال : فثبت [معه] ساعة فقال لي : اجلس هاهنا ، قال : فأجلست في قاع حوله حبيكة ، فقال لي : اجلس هاهنا حتى أرجع إليك . قال : فالتفت في المرأة حتى لا أراها ، فلبث حتى ضامك البث ، ثم إن سمعت وهو مقبل ، وهو يقول : وإن سرق وإن زنى ، قال : فلما جاء لم أصبر حتى قلت : يا أي الله ، جعلني الله فداك ، من تكلم في جانب الحرة ؟ ما صنعت أحدًا يرجع إليك شيئاً ، قال : ذاك جبريل ، هو من لي من جانب الحرة ؟ قال : بشر أمك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : يا جبريل ، وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم ، قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم . قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم ، وإن شرب الخمر ؟ (١) »

الحدث السادس : قال عبد بن حميد في مسنده : أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن ابن أبي ليل ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما الموجبان ؟ قال : ومن مات لا يشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً وجبت له النار . وذكر تمام الحديث فترده من هذا الوجه :

طريق أخرى قال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن عمرو بن غلاد الحارثي ، حدثنا منصور بن إسماعيل القرشي ، حدثنا موسى بن عبيدة ، الرُّبَيْدِيُّ ، أخبرني عبد الله بن عبيدة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من نفس تموت ، لا تشرك بالله شيئاً ، إلا حلت لها المغفرة ، إن شاء الله عليها ، وإن شاء غفر لها ؛ (إن الله لا ينظر أن يشرك به ويفتر ما دون ذلك لمن يشاء) . »

ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده ، من حديث موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله بن عبيدة [عن جابر] : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال المغفرة حل للعبد ما لم يقع الحجاب . قيل : يا نبي الله وما الحجاب ؟ قال : الإشراف بالله . قال : ما من نفس تلي الله لا تشرك به شيئاً إلا حلت لها المغفرة من الله تعالى ، إن يشأ أن يعطيها ، وإن يشأ أن ينظر لها غفراناً . ثم قرأني الله : (إن الله لا ينظر أن يشرك به ويفتر ما دون ذلك لمن يشاء) . »

الحدث السابع : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا زكريا ، عن عتبة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة . »

فترده (٢) به من هذا الوجه .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق : ١١٦/٨ ، ١١٦ ، ومسلم ، كتاب الزكاة : ٧٦/٢ .

(٢) في المسطورة : عبد الله . ينظر تهذيب التهذيب : ٤٥٥/٦ ، ٤٥٦ .

(٣) مسند أحمد : ٧٩/٢ .

الحديث الثامن : قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لبيعة ، حدثنا أبو قبيل ، عن عبد الله بن ناضر بن بني سريج قال : سمعت أبا رهم قاضي (١) أهل الشام يقول : سمعت أبا أيوب الأنصاري يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم إليهم ، فقال لهم : إن ربكم عز وجل ، خير من بين سبعين ألفاً يدخلون الجنة مكرهين ، بعد حساب ، وبين الخبيثة عندنا لأمي . فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله ، أنبأ ذلك ربك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر ، فقال : إن ربك زاذني مع كل ألف سبعين ألفاً والخبيثة عندك : قال أبو رهم : يا أبا أيوب ، وما تظن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأكله الناس بأنفوسهم فقالوا : وما أنت وخبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال أبو أيوب : دعوا الرجل عنكم ، أخبركم عن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أظن ، بل كالمستيقن إن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله مصداقاً لقوله أدخله الجنة (٢) .

الحديث التاسع : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الفضل الحراني ، حدثنا عيسى بن يونس (ج) : وأخبرنا هاشم بن القاسم الحراني - فيما كتبه لي - قال : حدثنا عيسى بن يونس نفسه ، عن واصل بن السائب الرقاشي ، عن أبي سورة ابن أنس بن أيوب ، عن أبي أيوب الأنصاري قال : وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن لي ابن - أع - لا يتقي من الحرام : قال : وما دينه ؟ قال : يسلم ويوحّد الله تعالى : قال : استوعب منه دينه ، فإنّ أباه دينه . فطلب الرجل خاك منه فأبى عليه ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : وجدته شحيحاً في دينه : قال : فتركت : (إن الله لا يفر أن يشرك به ويفتر أن دون ذلك يشاء) .

الحديث العاشر : قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عمرو بن الفضل ، حدثنا أبي ، حدثنا مسروق أبو همام المثنائي ، حدثنا ثابت عن أنس قال : وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما تركت حاجة ولا ذا حاجة إلا لله أثبت . قال : أليس تشهد أن لا إله إلا الله وأن رسول الله ؟ ثلاث مرات ؟ قال : نعم . قال : فإن ذلك يأتي على ذلك كله .

الحديث الحادي عشر : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا حكرمة بن عمار ، عن ضمضم بن جوشن أبي أيوب قال : قال أبو هريرة : يا عائش ، لا تقولن لرجل : [والله] لا يفر الله لك : لو لا يدخلك الجنة أبداً قلت : يا أبا هريرة ، إن هذه كلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب . قال : لا تقلها ، فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [وكان في بني إسرائيل رجلان [كان أحدهما جسدًا في عبادة ، وكان الآخر ممرًا على نفسه ، وكانا متكبين ، وكان الجسد لا يزال يرى الآخر على ذنبه ، فيقول : يا هذا أقصر : فيقول : عظمي وركبي أبشت على رقبتي ؟] قال : إلى أن رآه يوما على ذنب استنظمه ، فقال له : وعلمك ! أقصر ! قال : عظمي وركبي أبشت على رقبتي ؟] فقال : والله لا يدخلك الجنة أبداً - قال : فبعت الله إليها منكباً تقبض ثرواتها واجمعا عندك ، فقال للمكبل : ادعني فادخل

(١) ظاهراً اقتصاص منه أيام حل وفيه الله منه ، وكانت مهمته في اجتثاثها وحمل الناس ، بما يطرد عليهم من القرآن ، وما يحكره من السير . ثم خلطوا بعد ذلك الحق بالباطل ، وكان لكل بدعة قاضي مظهر ، وكان أبو الحسن البصري واحداً من هؤلاء .

الجنة برحمتي ، وقال الآخر : أكننت [ني] علما ؟ أكننت على ما في يدي قادر (١) ؟ أذهبوا به إلى النار ، قال : فوالله نفسي إلى القاسم بيده لتكنتم بكلمة أوبقته دنياه وآخرته (٢) .

ورواه أبو حنبل ، من حديث حكيم بن عمار ، حدثني ضمضم بن جوش ، به ؛

الحديث الثاني عشر : قال الطبراني : حدثنا أبو شيخ من محمد بن الحسن بن حبلان الأصمعي ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، عن أبيه ، عن حكيم ، عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : « من علم أني ذو قدرة على حفرة للثوب غفرت له ولا أبالي ، ما لم يشرك بي شيئا » .

الحديث الثالث عشر : قال الحافظ أبو بكر البزار والحافظ أبو يعلى : حدثنا هُشَيْبٌ - هو ابن خالد - حدثنا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي حَزْمٍ ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه له ، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه باتياري » فخر به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا بحر بن نصر الخولاني ، حدثنا خالد - يعني ابن عبد الرحمن التمراسي - حدثنا الميثم ابن جماز (٣) ، عن سلام بن أبي مطيع ، عن بكر بن عبد الله المزني ، عن ابن عمر قال : كنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لانشق في قائل النفس ، وأكل مال البع ، وقاذفت الحصينات ، وشاهد الزور ، حتى نزلت عليه الآية : (إن الله لا يفرق بينك وبينك ما دون ذلك لمن يشاء) فأسلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الشهادة ، ورواه ابن جرير مع حديث الميثم بن حماد ، به ؛

وقال ابن أبي حاتم أيضا : حدثنا عبد الملك بن أبي عبد الرحمن لقري (٤) ، حدثنا عبد الله بن حاتم ، حدثنا صالح - يعني للري أبو بكر - عن أبيه ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كنا لانشق فسمع أوجبه الله له الثارق الكتاب ، حتى نزلت علينا هذه الآية : (إن الله لا يفرق بينك وبينك ما دون ذلك لمن يشاء) فقال : فلما سمعنا ما كلفنا من الشهادة ، وأوجبنا (٥) الأمور إلى الله ، عز وجل :

وقال البزار : حدثنا محمد بن عبد الوهم ، حدثنا شيان بن أبي شبة ، حدثنا حرب بن مَرْجٍ ، عن أبيه ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كنا نملك من الاستغفار لأهل الكبار ، حتى سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله لا يفرق بينك وبينك ما دون ذلك لمن يشاء) وقال : أغرت شفاعة لأهل الكبار من أنبياء يوم القيامة .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أنس بن مَجْبَرٍ ، عن عبد الله بن عمر أنه قال : لا تزلت (٦) يا صابري الدين أسفرا على أنفسهم لا تقنطروا من رحمة الله) ورواه ابن كثير الآية ، قام رجل فقال : والفرق بالله ، يا بني الله ؟ فكره ذلك

(١) في الحديث : أكننت على ما في يدي قناراً .

(٢) سند آخيه : ٣٣٣/٢ ، وسن ابن حنبل : كتاب الأدب : ٢٨٥/٤ ، ٢٧٦ .

(٣) كذا في خطه . وفي تفسير الطبري ٥٠/٨ : أن الميثم روى عن بكر ، ولم يذكر سلمة .

(٤) قال ابن أبي حاتم في البزح ٣٧١/٢٢ : « عبد الملك بن أبي عبد الرحمن المزني » ، وهو عبد الملك بن مسعود ...

كان صدوقاً ، كتب عنه أبي حنبل في الفقه ، من أبيه ، وكتب عنه .

(٥) أوجباً الأمر ، أخرجه طرق المصنف ، في الأصل : أوجباً .

وكذلك حكمة ، وأبو مالك ، وروى ذلك ابن جرير .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَتَّكِفُونَ أَنفُسَهُمْ) : وذلك أن اليهود قالوا : إن أبا عبد الله عليه السلام لم يزل يفتنهم ، ويشتبهون ويؤكثرون ، فأتوا الله على محمد : (لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَتَّكِفُونَ أَنفُسَهُمْ) هذه الآية ، رواه ابن جرير .

وقال أبو عبد الله عليه السلام : حدثنا أبو ، حدثنا محمد بن مصفى ، حدثنا ابن حمير ، عن ابن أبي عمير ، عن بشير بن أبي حمير ، عن حكمة ، عن ابن عباس قال : كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ، ويقربون قربانهم ويذبحون لهم لا عطاء لهم ولا ذنوب ، وكانوا : قال الله : إني لا أظهر ذا ذنب بأخر لا ذنب له ، وأقول الله : (لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَتَّكِفُونَ أَنفُسَهُمْ) .

ثم قال : وروى عن محمد ، وأبو مالك ، والسندي ، وحكمة ، والفساك - نحو ذلك .
وقال الفساك : قالوا : ليس لنا ذنوب ، كما ليس لأبائنا ذنوب ، فأتوا الله على ذلك فيهم .
وقيل : لولم يذبح لهم الصبي والذرية .

وكذلك جاء في الحديث الصحيح عند مسلم ، عن المقداد بن الأسود قال : أرسا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحرقه فوجدوه للمسيح القريب (١) .

وفي الحديث الآخر المرفوع في الصحيحين عن طريق خالد الحذاء ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه : أنه روى الله صلى الله عليه وسلم رجلا يمشي على رجل ، فقال : « ويحك » فقلت حق صاحبك ، ثم قال : إن كان أحدكم مريضا عليه لا يملك ، فليقل : أسبه كما ولا يركى على الله أسفا (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مسدد ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن أبي هند قال : قال عمر بن الخطاب : من قال : أنا مؤمن ، فهو كافر ، ومن قال : هو عالم ، فهو جاهل ، ومن قال : هو في الجنة فهو في النار .

ورواه ابن ماجة ، عن طريق موسى بن عبيدة ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريب ، عن عمر قال : إن أخرجت ما أخرجت عليكم أصحابي من أبيه ، فمن قال : إنه مؤمن ، فهو [كافر ، ومن قال : إنه عالم فهو] جاهل ، ومن قال : إنه في الجنة فهو في النار .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة وشجاع ، أنبأ شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن أبي عمير قال : كان حباوية فلما حدثت من النبي صلى الله عليه وسلم - قال : وكان فلما يكاد أن يذبح يوم الجمعة هؤلاء القتلعت أن يحكمت بهن من النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : ومن يؤد الله به غيرا يفتقه في الدين ، وإن هذا فلان هو حشر ، فمن أشبهه بغيره يترك له ، وكذا في صحيح ابن أبي عمير (٣) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الوعد ، ٢٧٨٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التعليلات ، ٥٥٥٥ ، كتاب الشعب ، ٧٧٨ . ومسلم ، كتاب الزهد ، ٢٢٧٨ .

(٣) مسند أحمد ، ٢٤٥٥ .

وروي ابن ماجه عنه . « لياكم والباح فانه للبح » . من أبي بكر بن أبي شيبة . عن شاذل ، عن حمدة (١) به ، ومحمد هذا هو ابن عبد الله بن عويم (٢) البصري القنري .

وقال ابن جرير : حدثني يحيى بن إبراهيم للسعدي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن قيس ابن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله بن مسعود : إن الرجل ليفقد دينه ، ثم يرجع وما معه منه شيء . يلقى الرجل ليس يملك له نقما ولا ضرا فيقول له : والله إنك كُتبتَ وكتبتَ ، فله أن يرجع ولم يحل (٣) حاجته بشيء . وقد أسقط الله . ثم قرأ : (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) ... الآية .

وسألت الكلام على ذلك مطولا ، عند قوله تعالى : (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (٤)) . ولهذا قال تعالى : (بل الله يزكي من يشاء) أي : المرجع في ذلك إلى الله ، عز وجل ، لأنه عالم بمقائق الأمور وغوامضها .

ثم قال تعالى : (ولا يظلمون شيئا) أي : ولا يترك لأحد من الأجور ما يوزن مقدار القتل ،

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد من السلف : هو ما يكون في شق التواة .

وعن ابن عباس أيضا : هو ما قُلت بين أصابعك . وكلا القولين متطابق

وقوله : (انظر كيف يفرون على الله الكلب) أي : في تركيهم أنفسهم ودعواهم أنهم أبناء الله وأسماءه ، وقولهم : (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) وقولهم : (لن نغتنب التار إلا أباها ممنودات) واتكافهم على أعمال آبائهم الصالحة ، وقد حكم الله أن أعمال الآباء لا تجزي عن الأبناء شيئا ، في قوله : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) .. الآية .

ثم قال : (وكفى به إماما مهينا) ، أي : وكفى بصنعتهم هذا كلفا وافترلا ظاهرا

وقوله : (ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) ، أما « الجبت » فقال محمد بن إسحاق ، عن حسان بن خالد ، عن عمر بن الخطاب أنه قال : « الجبت » السحر ، و« الطاغوت » الشيطان .

وهكذا روي عن ابن عباس ، وأبي العالية ، ومجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، والحسن والضحاك ، والسدي .

وعن ابن عباس ، وأبي العالية ، ومجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، والحسن ، وعطية : « الجبت » الشيطان - زاد ابن عباس ، بالهشبية . وعن ابن عباس أيضا : « الجبت » الشرك . و« الجبت » الأصنام ،

(١) سنن ابن ماجه ، الحديث ٣٧٤٣ : ٢/١٢٢٢ .

(٢) قال ابن أبي حاتم في البصر ٢٨٠/١/٤ : « معية البصري البصري » ، ويقال : معية بن عبد الله بن عويم ، ويقال : معية بن خاله . والصحيح أن لا ينسب ، وكان أول من تكلم في القدر بالبصرة ، روى عنه قتادة ومالك بن دينار وجوف الأحمري .

جمعت أبي يقول ذلك ، وصحته يقول : كان صغوقا في الحديث ، وكان رأسا في القدر .

(٣) أي لم يظفر منها بغيره .

(٤) التميم ٥٤٢ .

ومن النسيء : الجبل ، الكامن ، ومن ابن عباس : « الجبت » هي : ين أنقلب : ومن عباد : « الجبت » ، كعب
ابن الأعرابي .

وقال العلامة أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه «المصباح»: «الجبّ: كلمة تقع على الضم والكاهن والملاح ونحو ذلك، وفي الحديث: «الطيرة والمطيرة والشرقة من الجبّ»: قال: وهذا ليس من جنس العربية، لاجتماع الهمزة في كلمة واحدة مع غير حرف ذي كسرة» (١).

وهذا الحديث الذي ذكره - رحمه الله الإمام أحمد بن محمد قال - حدثنا محمد بن جعفر - حدثنا - خوف من حيان
 أهل البلاد - حدثنا قنقش بن قتيبة - عن أبيه - وهو قتيبة بن عمار - أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن
 الحياة والفرق والميرة من الجبت قال خوف : « الحياة » زجر الطير ، « والميرة » الخيل ، « الجبت » في الأرض ،
 والجهنم قال الحسن : « إن الله تعالى »

وهكذا رواه أبو نؤيد (٢) في مسنده والشافعي وابن أبي حاتم في تفسيرهما من حديث خوف الأعرابي - به - وقد تقدم الكلام على الطائفتين في سورة البقرة بما أخفى من إصابته (٣) عاتدا .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو حاتم : حدثنا إسحاق بن الصيف ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله أنه سئل عن الطائفتين ، قال : هم كهان تنزل عليهم الشياطين .
وقال حماد : الطائفتان : الشيطان في صورة إنسان ، يحاكمون إليه ، وهو صاحب أمرهم .
وقال الإمام مالك : الطائفتان : هو كل ما يعبد من دون الله ، عز وجل .
وقوله : (ويقولون الذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أي : يفضلون الكفار على المسلمين جهلهم ، وقلوبهم ، وكفرهم بكتاب الله الذي بأنبيائهم .

وقد روى ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سليمان ، عن عمرو ، عن عكرمة قال : جاء يحيى بن زهير وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة ، فقالوا لهم : أنتم أهل الكتاب وأهل العلم ، فأخبرونا عنا وعن محمد ، فقالوا : ما أنتم وما محمد ؟ فقالوا : نحن نصل الأرحام ، وننصر الكونيات (*) ، ونسقي لئاء على اللبن ، ونقله العشاء ، ونسقي الحبيج - وعبد مستور (١) ، قطع أرحمانا ، وأتبعه مرق الحبيج بنو غفار ، فحنن خير أم هو ؟ فقالوا : أنتم خير وأهدى سبيلا : فأقول الله : لكرم إلى اللين أنوتوا نصيبا : *** الآية .

وكذا روى هذا من غير وجه ، عن ابن عباس وجماعة من السلف .

(١) المصاحح: ٢٤٥/١ والحرف الأولي: هو الذي يخرج من طرف الصاد.

(٢) في الخطوة : ردة الشيطان . والتثبت من المسبب : ٦٠٪ .

(۲) متن آی داود ، کتاب الطبی : ۱۶/۴ .

(٤) نظر : ٤٠٩/٦١

(٥) الكوماء : العالية للسان .

(١) السجود : الأثر الذي لا عقب له ، وأصل السجود : سجدت في جاذ الخطة لاني الأرض . وقول : هي الخطة المنطردة التي يقع أسفلها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي حنيفة ، عن حمزة ، عن حكرمة ، عن ابن عباس قال : لا قدم كعب بن الأشرف مكة قالت قريش : ألا ترى هذا الصنوبر البشتر من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحبيش ، وأهل المدينة ، وأهل النخيلة ! قال : أتم خير . قال : فترلت : (إن شاتك هو الأبتر) ، وتزل : (لم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) إلى (نصيبا) .

وقال ابن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن حمزة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان النبي حذيرا الأحراب من قريش وضلفان وبين قريش وبينه خطبة ، وسلام بين أبي الحقيق وأبو رافع : والريح [بين الريح] (١) ابن أبي الحقيق ، وأبو عمار (٢) ، ووحوش بن عامر ، وهوقة بن قيس : فلما وحوح وأبو عمار وهوقة فن بنى وأهل ، وكان سائرهم من بني النضير ، فلما قلعوا على قريش قالوا هؤلاء أحيار يهود وأهل العلم بالكذب الأول ، فسكروهم ؛ أينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم ، فقالوا : بل (٣) دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدي منه ومن آبيه ؛ فأول الله عز وجل : (لم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) إلى قوله عز وجل : (وأبناهم ملكا عظيما) .

وهذا لمن لهم ، وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة ؛ لأنهم إنما ذهبوا يستسرون بالمركب ، وإنما قالوا لهم بذلك ليعلموهم إلى نصرتهم ، وقد ألباهوهم ، وجاءوا معهم يوم الأحزاب ، حتى حفر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حول المدينة المنطق ، فكفى الله شرهم (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم يتلوا غيرا ، وكفى الله للمؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا) .

أَمْ لَمْ نَصِيبْ مِنَ الْمَلِكِ لَمَّا لَا يُؤْمِنُونَ أَنَسَ نَقِيرًا ۖ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَدَلَ ۚ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ

يقول تعالى : (أَمْ لَمْ نَصِيبْ مِنَ الْمَلِكِ) ؟ وهذا استفهام إنكار ، أى : ليس لهم نصيب من الملك ؛ ثم وصفهم بالبخل فقال : (لَمَّا لَا يُؤْمِنُونَ أَنَسَ نَقِيرًا) أى : لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لا أعطوا أحدا من الناس - ولا ما عبد على الله وسلم شيئا ، ولا ما علاه القبر ، وهو القصة التي في التوبة ، في قول ابن عباس والأكرين : وهذه الآية كقوله تعالى : (قل : لو أنكم تعلمون خزائن رحمة ربي إذا لامسكم جحشة الإيقاق) أى : أخوف أن يلعب ما بأيديكم ، مع أنه لا يتصور قتاده ، وإنما هو من جملكم وشحكم ؛ ولهذا قال : (وكان الإنسان خورا) أى : خيلا .

ثم قال : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) يعنى بذلك : حسدكم النبي صلى الله عليه وسلم على ما رزقه الله من النبوة العظيمة ، ومنتهى من تصديقهم إياه حسدكم له ، لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل ؛

قال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضري ، حدثنا يحيى الحماني ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن السدي ، عن عطاء ، عن ابن عباس قوله : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) ... الآية قال ابن عباس : نحن الناس دون الناس ، قال الله تعالى :

(١) من سورة ابن حنبل : ٥٦١٧ .

(٢) في المطبوعة : وأبو عمار . والمثبت من السيرة .

(٣) في المطبوعة : أينكم . ويظهر المرجح السابق .

(قد أتيناك أي إيرايم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) ، أي : قد جمعنا في أصباط بني إسرائيل - الذين هم من ذرية إيرايم - القوة ، - وأثرنا عليهم الكتب ، وحكموا فيهم بالسنتن - وهي الحكمة ، وجعلنا فيهم الملوك ، ومع هذا (فهم من آمن به) أي : جدا الإيتاء وهذا الإلتزام (ومنهم من صد عنه) أي : كفر به وأعرض عنه ، وسعى في صد الناس عنه ، وهو منهم ومن جنسهم ، من بني إسرائيل ، قد اختلفوا عليهم ، فكيف بك يا محمد ولست من بني إسرائيل ؟

وقال مجاهد : (فهم من آمن به) أي : بمحمد صلى الله عليه وسلم (ومنهم من صد عنه) فالكفرة منهم أشد تكديبا لك ، وأبعد عما جنتهم به من اللذی . والحق المبین .

ولمّا قال متوحدا لهم : (وكفى بهم سعيّا) أي : وكفى بالثار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله ! !

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا هَاسًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥١ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَدُخِلَتْهُمْ ظِلَالٌ ظِلِيلًا ٥٢

تَبَرَّعَ تعالى عما يقاب به في نار جهنم من كفر بآياته وصدّ عن رساله ، قال : (إن الذين كفروا بآياتنا) .. الآية ، أي ندخلهم نارا دخولا يحيط بجميع أجزائهم ، وأجزاءهم . ثم أنبر عن دوام عقوبتهم وتكليمهم ، قال : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) قال [الأصمّش ، عن ابن عمر] : إذا أحرقت جلودهم بدلوا جلودا أيضا أمثال القراطيس (١) . رواه ابن أبي حاتم .

وقال يحيى بن زيد الحنظلي أنه بلغه في قول الله : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) قال : يجعل للكافر مائة جلد ، حين كل جلدتين لودن من العذاب . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطائفي ، حدثنا حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن هشام ، عن الحسن قوله : (كلما نضجت جلودهم) ... الآية قال : تنضجهم في اليوم سبعين ألف مرة . قال حسين : وزاد فيه فُتُئِلَ عن هشام عن الحسن : كلما أنضجهم فأكلت لحرمهم قيل لهم : هودوا فسادوا .

وقال أيضا : ذكر عن هشام بن عمار : حدثنا سعيد بن يحيى - يعني سمدان - حدثنا تافع ، مولى يوسف السلمي البصري ، عن تافع ، عن ابن عمر قال : قرأ رجل عند عمر هذه الآية : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) ، فقال عمر : أعدّها عليّ . فأعادها ، فقال معاذ بن جبل : عتلى تفسيرها : تبلى في ساعة مائة مرة . فقال عمر : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وقد رواه ابن مردويه ، عن محمد بن أحمد بن إيرايم ، عن هيثبان بن محمد المروزي ، عن هشام بن عمار - به ، ورواه من وجه آخر بلفظ آخر فقال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمران ، حدثنا إيرايم بن محمد بن الحارث ، حدثنا

شيدان بن قُروخ ، حدثنا نافع أبو هرمز ، حدثنا نافع ، عن ابن عمر قال : تلا رجل عند عمر هذه الآية : (كلما نصجت جلودهم) . الآية ، قال فقال عمر : أهدأ علي - وتم كعب - قال : يا أمير المؤمنين ، أنا عدتُ تفسيرَ هذه الآية ، قرأتها قبل الإسلام ، قال فقال : هاها يا كعب ، فإن جئت بها كما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتك ، وإلا لم تنظر إليها . قال : إني قرأتها قبل الإسلام : (كلما نصجت جلودهم بلبثهم جلودا غيرها في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة) . فقال عمر : هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الربيع بن أنس : مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون ذراعا وستة تسعون ذراعا ، وبطء لو وضع فيه جبل لتوسجه ، فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلودا غيرها .

وقد ورد في الحديث ما هو أبليغ من هذا ، قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا أبو يحيى الطويل ، عن أبي يحيى التميمي ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يَتَعَطَّمُ أَهْلُ النَّارِ في النار ، حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، وإن غلظت جلده سبعون ذراعا ، وإن ضرسه مثل أحد .
فرد به أحمد من هذا الوجه .

وقيل : المراد بقوله : (كلما نصجت جلودهم) أي : سرايلهم : حكاة ابن جرير ، وهو ضعيف لأنه خلاصة الظاهر .

وقوله : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات مستخلفهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) ، هذا إخبار عن مال السعداء في جنات عدن ، التي تجري فيها الأنهار في جميع فجاجها [وعلمنا] ولرجائها حيث شاموا وأين أرادوا : ، وهم خالدون فيها أبدا ، لا يموتون ولا يزولون ولا يغيرون عنها حولا .

وقوله : (لهم فيها أزواج مطهرة) أي : من الخبث والنقاس والأذى . [والأخلاق الرذيلة ، والصفات الناقصة ، كما قال ابن عباس : مطهرة من الأكلار والأذى] . وكلما قال عطاء ، والحسن ، والفضحك ، والتخفى ، وأبو صالح ، وعطية ، والسدي .

وقال مجاهد : [مطهرة من البول والخبث والتخام واليزاق ولثى والوكلة .

وقال قتادة : [مطهرة من الأذى والمأثم ولا خبث ولا كلف (١)] .

وقوله : (ولنخلنهم ظلالا غليلا) أي : ظلا عتيقا كثيرا غزيرا طيبا أثلجا .

قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن - حدثنا ابن الخفي ، حدثنا ابن جعفر - قال : حدثنا شعبة قال : سمعت أبا الفصحك يحدث ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، شجرة الخلد (٢) .

(١) منه أحد : ٢٦/٢ .

(٢) الكلف : فيه يملو الوجه كالسم ، ولون بين المواد والخبرة ، وخمرة ككرة تملو الوجه .

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند : ٤٥٥/٢ من عنه ابن جعفر ، وسبحان عن شعبة بإسناده . وعن عبد الرحمن بإسناده .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَعْدِلُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٥)

غير تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها . وفي حديث الحسن ، عن سمرة (١) ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أدّ الأمانة إلى من ائتمنتك ، ولا تخن من خانك » . رواه الإمام أحمد وأهل السنن ، وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان ، من حقوق الله عز وجل على عباده ، من الصلوات والزكوات ، والكفارات والتلويح والصيام ، وغير ذلك ، مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يؤتمن به بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك . فأمر الله عز وجل ، بأدائها ، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة ، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تؤدّون الحقوق إلى أهلها ، حتى يقتضى للشاة الجسام من القتر » (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، عن صفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود قال : إن الشهادة تكسر كل ذنب إلا الأمانة ، يوتي بالرجل يوم القيامة — وإن كان قُتِلَ في سبيل الله — يقال : أدّ أمانتك . فيقول وأنتي أوديتها وقد ذهبت الدنيا ؟ فتشعل له الأمانة له قمر جهنم ، فيهوى إليها فيحملها على عاتقه . قال : فتشعل من عاتقه ، فيهوى على أثرها أهد الأبدن — قال زاذان : فأنيت البراء فحدثه فقال : صدقت أني : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) .

وقال صفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن رجل ، عن ابن عباس قوله : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) قال : هي مبهمة البر والفاجر . وقال محمد بن الحنفية : هي مُسَجَّكَة (٣) البر والفاجر . وقال أبو العالية : الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا حفص بن غياث ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : قال ابن أبي كعب : من الأمانة أن المرأة اتصفت على فرجها .

وقال الربيع بن أنس : هي من الأمانات فيما بينك وبين الناس .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) قال : قال يدخل فيه وعظ السلطان النساء ، يعني يوم العيد .

(١) كذا ، ولم أجده في المصنف من حديث سمرة ، ولكنه فيه من حديث رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ينظر : ٤١٤/٣ .
والحديث رواه أبو حنيفة في كتاب البيوع : ٧٩ ، والترمذي في كتاب البيوع أيضاً عن أبي هريرة ، ينظر تحفة الأحرف : ٤٧٩/٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر ، ١٨/٨ ، ١٩ . وممنه أحمد عن أبي هريرة : ٢٣٥/٢ . والشافعية الجاه : التي لا قرن لها .
غيره : في الجهاد . وهي مستحبة .

(٣) كذا في خطبنا ، وهو الصواب ، يقال : أسيب الأمر إذا أطلقه ، وفي تاج الفروس ، مادة « سبيل » : ومنه قول عتبة بن الحنفية في تفسير قوله عز وجل : (حل جزاء الإحسان إلا الإحسان) قال : هي مسجلة لبر والفاجر . يعني مرسله مطلقه في الإحسان إلى كل أحد ، لم يشترط فيها بر دون فاجر . وفي الحديث : « لا تسجلوا أممكم » أي : لا تطلقوها في ذنوب الناس .

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة : عبد الله ابن عبد المزني بن عثمان بن عبد الناز بن قصي بن كلاب القرشي المديني ، صاحب الكعبة المنظمة ، وهو ابن حم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة ، الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم ، أسلم عثمان هذا في المدينة بن صلح الحبشية وقبض مكة ، هو وعالده بن الوليد وعمرو بن العاص ، وأما عمه عثمان بن [طلحة] بن أبي طلحة ، فكان معه لواء المشركين يوم أحد ، وقتل يومئذ كافرا . وإنما نهى عن هذا النسب لأن كثيرا من المفسرين قد يشبهه عليهم هذا جملا ، وسبب ترواها فيه لا أخلا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة يوم الفتح ، ثم رده عليه .

وقال محمد بن إسحاق في خروعة الفتح : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي نوزة عن صبيحة بنت شيبه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة وأطمأن الناس ، خرج حقه جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحلته ، يستلم الركن بمحجر (١) في يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حامية من عيذان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقنادسكتف (٢) الناس في المسجد .

قال ابن اسحاق فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صديق وحده ، ونصر بيده وهزم الأحزاب وحده ، ألا تكل مأثرة آدم أو ما يهكدهن ، فهو عسى قد نسي هاتين ، إلا سدكة الليث وسقاية الحاج : وذكر بقية الحديث في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ، إلى الله قال : ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه عيسى بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله ، اجتمع لنا الحجابة مع السقاية ، صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيع حجاب يا طلحة ؟ فحدثني له ، فقال له : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم وفاء وير .

قال ابن جرير : حدثني القاسم ، حدثنا الحسين ، عن حجاج ، عن ابن جريج في الآية : قال : نزلت في عثمان بن طلحة قبض منه النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة ، فدخل به البيت يوم الفتح ، فخرج وهو يخلو هذه فدعا عثمان إلى الفتح إليه [المفتاح] قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة ، وهو يخلو هذه الآية : فداه أبي وأخيه ما سمعته يخلوها قبل ذلك :

حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا الزبيري بن خالد ، عن الزهري قال : دفعه إليه وقال : أخيه (٣) .

وروى ابن مردويه ، من طريق الكلبي ، عن أبي صالح عن ابن عباس في قول الله عز وجل : (إني أعطيتكم كرم الله تؤمنوا الأمانات إلى أهلها) قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دعا عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، فلما جاءه قال : أرنى المفتاح . فأجاب به ، فلما بسط يده إليه قام العباس فقال : يا رسول الله ، بأي أنت وأني أجمعه مع السقاية . فكف عثمان يده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرنى المفتاح يا عثمان . فبسط يده يعطيه ، فقال العباس مثل كلمته الأولى ، فكف عثمان يده . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عثمان ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاتني

(١) الميمن : حود موج الطرف ، يسكه الراكب ليجر في يده .

(٢) استكف : استجمع ، من الكفاة ، وحى الجماعة ، أي : ساروا حواله . وفي المصنوعة : استلف . باللام ، ولله

عن البيرة : ٤١٢/٢ .

(٣) في المصنوعة : فبهرو . والمثبت عن تفسير الطبري : ٤٩٢/٨ .

القتاح : فقال : مالك بأمانة الله : قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح باب الكعبة ، فوجد في الكعبة تمثالاً لإبراهيم معه قنداح يستقسم^(١) بها : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما المشركين قاتلهم الله : وما شأن إبراهيم وشأن القنداح : ثم دعا بجمعة فيها ماء ، فأخذ ماء فغمسه فيه ، ثم غمس به تلك البائيل ، وأخرج مقام إبراهيم ، وكان في الكعبة [فألقاه في حائط الكعبة] ثم قال : يا أيها الناس ، هذه القبلة : قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قطاف باليت شوطاً أو شوطين ثم نزل عليه جبريل ، فجا ذكر لنا برد للقتاح ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) حتى فرغ من الآية .

ولهذا مع المفهرات أنه هذه الآية أولت في ذلك ، وسواء كانت أولت في ذلك أولاً ، فحكمها عام ، ولهذا قال ابن عباس وعبد بن الحنفية : هي للبر والتاجر : أي : هي أمر لكل أحد

وقوله : (وإذا حكم بين الناس أن تحكموا بالعدل) أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس ، ولهذا قال عبد بن كعب وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب : إنما أولت في الأمر بيني الحكم بين الناس .

وفي الحديث : (إن الله مع الحاكم مالم يجر) ، فإذا جاز وكله الله إلى نفسه (٢) : وفي الأثر : حلت يوم كعبادة أبيه .

وقوله : (إن الله بما تعملون به) أي : يأمركم به من أمانات الأمانات ، والحكم بالعدل بين الناس وغير ذلك مع أوامره وشرائعه الكاملة الطيبة الجامعة ،

وقوله : (إن الله كان سمياً بصيراً) أي : سمياً لأقوالكم ، بصيراً بأفعالكم ، كما قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو روعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني عبد الله بن لحيمة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي قلابة ، عن حنيفة بن عامر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية (سمياً بصيراً) يقول : بكل في بصير .

وقد قال ابن أبي حاتم : أخبرنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا أبو يونس ، سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية : (إن الله يأمركم بالعدل والإحسان) إلى أهلها ، إلى قوله : (إن الله بما تعملون به) إن الله كان سمياً بصيراً ، ويضع إلهامه على أذنه وإلى تليها على فيه ويقول ، هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها ويضع إصبعه . قال أبو ذكريا : وصفه لنا القمري ، ووضع أبو ذكريا إلهامه على فيه اليمنى ، وإلى تليها على الأذن اليمنى ، ولأنا فقال : هكذا وهكذا .

(١) الاستقسام : طلب القسم الذي قسم له وهو .. وكانوا إذا أراد أحدهم سقراً أو لزويجاً ، أو نحو ذلك مع المهمل ، هرب بالأزلام - وهي القنداح - وكان كل يمشيها مكتوب : أسرف دني . وحل الأجر : نهان دني . وحل الآخر غفل - يعني فهو مكتوب عليه فيه . فإذا خرج وأسرف ، ففي لقائه ، وإن خرج ، فذاك . أسلك . وإن خرج ، ففذل . عاد . أهملوا وهربوا إلى الأجر ، إلى أن يخرج الأمر أو ليس .

(٢) من أبي حاتم ، كتاب الأحكام ، الحديث ٢٤١٢ = ٢٢٥٥٢ .

رواه أبو داود (١) وابن حبان في صحيحه ، وإلحاق في مستدركه ، وابن مردويه في تفسيره ، من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ بإسناده نحوه . وأبو يونس هذا مولى أبي هريرة ، واسمه : سلم بن جببر .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوَّلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٦﴾

قال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا حجاج بن [عمد] الأعمش ، عن ابن جريج ، عن علي بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولأولي الأمر منكم) قال : نزلت في عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي ، إذ بهت النبي صلى الله عليه وسلم في سرية (٢) .

وهكذا أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث حجاج بن عمدة الأعمش ، به : وقال الترمذي : حديث حسن غريب ، لا يخرجه إلا من حديث ابن جريج .

وقال الإمام : أحمد بن حنبل حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية ، واستعمل عليهم رجلا من الأنصار ، فلما خرجوا واجتمع عليهم في شيء قال : فقال لهم : أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : اجمعوا لي حبلًا ، ثم دعا بئرا فأمرهم فيه ، ثم قال : حزمت عليكم لتدخلنها . [قال : فقام القوم أن يدخلوها] (٣) قال : فقال لهم شاب منهم : إنما فررت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار ، فلا تجعلوا حتى تقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها . قال : فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال لهم : لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدا ، إنما الطاعة في المعروف . أخرجه في الصحيحين (٤) من حديث الأعمش ، به . وقال أبو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن عبيد الله حدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

وأخرجه (٥) من حديث يحيى القطان .

ومن عبادة بن الصامت قال : «بإيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، في مكائفتنا ومكرهنا ، وحسنا ، ووسرنا وأثرة علينا ، وأن لا نتنازع الأمر أهله . قال : إلا أن تروا كفرا بواحد ، عندكم فيه من الله براهان» . أخرجه (٦) .

(١) سنن أبي داود ، كتاب السنة : ١٩ .

(٢) صحيح البخاري ، تفسير سورة النساء : ٥٧/٦ . وسائر تفصيل أمر السرية في حديث المسند .

(٣) من مسند أحمد : ٨٢/١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام : ٧٨/٩ ، ٧٩ . ومسلم ، كتاب الإمارة : ١٥/٦ ، ١٦ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد : ٨٧ . والبخاري ، كتاب الجهاد : ٧٨/٩ .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الفتن : ٥٩/٩ ، ٦٠ . ومسلم ، كتاب الإمارة : ١٦/٦ ، ١٧ . والكفر الباطل .

وفي الحديث الآخر ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن أمر عليكم عبد حوثي كان رأسه زبية » (رواه البخاري (١)).

وعن أبي هريرة قال : أوصاني خليل أن أسمع وأطيع ، وإن كان بيننا حوثياً مُجَدِّعُ الأطراف . رواه مسلم (٢) .
وعن أم الحصين أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب في حجة الوداع يقول : « ولو استعمل عليكم عبد يهودكم بكتاب الله ، اسمعوا له وأطيعوا » (رواه (٣) مسلم ، وفي لفظ له : « حيناً حوثياً مجلوها »).

وقال ابن جرير : حدثني علي بن مسلم الطوسي ، حدثنا ابن أبي فديك ، حدثني عبد الله بن محمد بن عروة ، عن هشام بن عروة ، عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بعدي ولا تغلبكم البر بيرة ، وعلكم الشجر بفجوره ، فاسمعوا له وأطيعوا في كل ما وافق [الحق] » ، وصلوا وراهم ، فإن أحسنوا فلكم ولم ، وإن أسعوا فلكم وعليهم :

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما خلّف نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكفرون » قالوا : يا رسول الله ، فما تأمرنا ؟ قال : « أوفروا بيعة الحول للأول ، وأصلوهم فحكمهم ، فإن الله سألهم عما أسترهم » (أخرجاه (٤)).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رأى من أميره شيناً فليصبر ، فإنه ليس أحد يخلق في الجماعة شر أفيوت إلا مات ميتة جاهلية » (أخرجاه (٥)).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خلط يدا من طاعة ، قلى الله يوم القيامة لحيته له ، ومن خلط يده من طاعة ، قلى الله يوم القيامة لحيته له » (رواه مسلم (٦)).

وروى مسلم أيضاً ، عن عبد الرحمن بن عبد ربه الكوفي قال : دخلتُ للمسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة ، والناس حوله يجمعون عليه ، فأبيتهم فجلسوا إليه فقال : « كتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكر ، فزلنا مثلاً لنا من يصالح خيابه ، ومنا من يتنقص (٧) » ، ومنا من هو في جفتره ، إذ نادى نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : [الصلاة جامعة : فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] قال : « إنه لم يكن نبي قبل إلا كان حقاً عليه أن يكدل أمته على خير ما يعلمهم ، ويتنذرهم شر ما يعلمهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها »

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام : ٧٨/٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة : ١٤/٦ . والحديث عن أبي ذر ، لا عن أبي هريرة ، كما يقول ابن كثير ، وفي المتن : « هذه الأطراف » والكتب من مسلم ، ومعنى هذه : مقطع .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة : ١٥/٦ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة : ١٧/٦ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام : ٧٨/٩ . وصح : « كتاب الإمارة » : ٢١٦/٦ .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة : ٢٢/٦ .

(٧) أي : وتأمرون بالسلم . وقوله في جفتره : أي مع دواجه ، وأصل الجفتر : القواب ترمى في مكان ولا ترجع إليه اليهود مسا بل تبيت حيث ترمى .

وسيصيب آخرها بلاء وأمر تشكرونها ، ونجى فَنَذِرُكُمْ (١) بعضها بعضاً ، ونجى الفتنة فيقول المؤمن : [هذه مهلكتي ! ثم تكشف ونجى الفتنة فيقول المؤمن] : هذه أهله ! فمن أحب أن ينحرح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن باع إماماً فأعطاه حسنة (٢) يده وثمرة قلبه فليطعمه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر . قال : فذلت منه قتلت : أنشدك الله أت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه يديه وقال : سمعته أذنائي ووعاه قلبي ، قلت له : هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، ونقتل أنفسنا ، والله تعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) [قال] : فسكت ساعة ثم قال : أعلم في طاعة الله ، وأعصيه في معصية الله (٣) .

والأحاديث في هذا كثيرة .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنا أحمد بن المفضل ، حدثنا أسباط ، عن السدي : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريه علياً خالد بن الوليد ، وفيها عمار بن ياسر ، فساروا قبل القوم للذين يريدون ، فلما بلغوا قريباً منهم عرسوا ، وأنهم ذو العيينتين (٤) فأعبرهم ، فأصبحوا قد هربوا غير رجل . فأمر أهله فجمعوا (٥) متاعهم ، ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل ، حتى أتى سكر خالد ، فسأل عن عمار بن ياسر ، فأثابه فقال : يا أبا البظان ، إني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمد عبده ورسوله وإن قومي لا سمعوا بكم هربوا ، وإن بقيت ، فهل إسلامي نافعي خيراً ، وإلا هربت ؟ قال عمار : بل هو يضلك ، فأثم ، فأقام ، فلما أصبحوا أثار خالد فلم يجد أحداً غير الرجل ، فأخذه وأخذ ماله . فبلغ عمار الخبر ، فأتى خالداً فقال : خذ من الرجل ، فإنه قد أسلم ، وإنه في أمان مني . فقال خالد : وفيه أنت غير ؟ فاستبأ وارتما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجاز أمان عمار ، ونهاه أن يغير الثانية على أمير . فاستبأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال خالد : يا رسول الله ، أترك هذا العبد الأجلع يستبئ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خالد ، لا تسب عماراً ، فإنه من يسبه محاراً يسبه الله ، ومن يبيغضه يبيغضه [الله] ، ومن يلعن عماراً يلعنه الله . فغضب عمار فقام ، فقبه خالد حتى أخذ بثوبه فاحتلر إليه ، فرضى عنه ، فأذن الله عز وجل قوله : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن طريق عن السدي ، مسلماً . ورواه ابن مردويه عن رواية الحكم بن ظهير ، عن السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، فذكره بنحوه ، والله أعلم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وأولى الأمر منكم) يعني : أهل الفتنة والدين . وكلما قال بجاهد ، وعطاء ، والحقن البصري ، وأبو العالية (وأولى الأمر منكم) يعني : الظلماء والظالمين . والله أعلم أن الآية عامة في جميع أولى الأمر من الأمراء

(١) يرفق : أي يجه بعضها بعضاً .

(٢) أي معادته له والالتزام طاعته ، وللرأى بشرة القلب ، صدق فيه في البيعة .

(٣) مسلم ، كتاب الإمارة : ١٨/٦ .

(٤) ذو العيينتين : الجلسوس .

(٥) في الخطوط : « فصرقوا متاعهم » . والمخت من تفسير الطبري : ٤٩٨/٨ ، ٤٩٩ .

والطعام ، كما تقدم : وقد قال تعالى : (لولا ينهائم الرائيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السمح) . وقال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) . وفي الحديث الصحيح للفتح عليه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصا الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصا أميري فقد عصاني (١) .

فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء ، ولهذا قال تعالى : (أطيعوا الله) أي : اتبعوا كتابه (وأطيعوا الرسول) أي : اطعوا بيته (وأول الأمر منكم) أي : فإيا أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله ، كما تقدم في الحديث الصحيح : إنما الطاعة في المعروف . وقال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن أبي مرثدة ، عن عمران بن حصين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ولا طاعة في معصية الله (٢) .

وقوله : (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) ، قال مجاهد وغير واحد من السلف أي : إلى كتاب الله وسنة رسوله .

وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شئ تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة ، كما قال تعالى : (وما نخطئكم فيه من شئ فحكمه إلى الله) ، فإحكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهادته بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولهذا قال تعالى : (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ، أي : ردوا المحسومات والمجالات إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فحكموا إليهما فيما شبر بينكم (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ، فدل على أن من لم يحاكم في مجال التنازع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك ، فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر . وقوله : (ذلك خير) أي : التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله . والرجوع في فصل التنازع إليهما خير (وأحسن ثواباً) أي : وأحسن عاقبة ومآلاً ، كما قاله السدي وغير واحد . وقال مجاهد : وأحسن جزاء . وهو قريب .

فَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا آتَىٰكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ رَبِّكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْأَلُوا إِلَىٰ الْطُّغْيَانِ وَقَدْ
أُحْزِمُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٠﴾ وَإِنَّا قَبِلْ لَمْ نَقُولْ إِنَّكَ آتَىٰكَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ
وَأَيُّ الْمُتَّقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوكَ ﴿١١﴾ فَكَفَبَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ لَمْ يَجَازُوكَ
يَقُولُونَ إِنَّ آيَةَ اللَّهِ لَأَجْزَأٌ مِنْهُ فَتُفِيقًا ﴿١٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَسْمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ قَارُورٌ مِنْهُمْ وَعِظُهُمْ وَقُلْ
حُطِّمِ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٣﴾

هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين ، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل المحسومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية : أنها في رجل من

(١) البخاري ، كتاب الاستسكان ، ٧٧/٩ ، ومسلم ، كتاب الإمارة : ١٢/٦ . وابن حبان ، المحلة ، الحديث ٣ : ٤/١ . وكتاب الجهاد ، الحديث ٢٨٥٩ : ٩٠٤/٢ . وسنة أحمد : ٩٢/٢ : ٢٤٤ .

(٢) سنة أحمد : ١٢٦/٤ .

الأنصار ورجل من اليهود تخامصا ، فجعل اليهودي يقول : بيني وبينك محمد . وذلك يقول : بيني وبينك كعب بن الأشرف . وقيل : في جماعة من المنافقين ، ممن أظهروا الإسلام ، أرادوا أن يتحاكموا إلى أحكام الجاهلية . وقيل غير ذلك ، والآية أهم من ذلك كله ، فإنها دالة لمن عدل عن الكتاب والسنة . وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت هاهنا ، ولهذا قال : (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) .. إلى آخرها .

وقوله : (ويصدونك صدودا) أى : يرضون عنك إضرابا كالمستكرين عن ذلك ، كما قال تعالى عن المشركين (وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) ، هؤلاء هؤلاء بخلاف المؤمنين ، الذين قال الله فيهم : (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) ... الآية .

ثم قال تعالى في ذم المنافقين : (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) أى : فكيف بهم إذا ساقطهم المقادير ، إليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم ، واحتجوا إليك في ذلك (ثم جاءوك يفتنون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) أى : يتلونون إليك ويخفون : ما أردنا بلهايتنا إلى غيرك ، ونحاكمنا إلى عدلك إلا الإحسان والتوفيق ، أى : للملادة والمصانعة ، لا اتحادا ما وصحة تلك الحكومة ، كما أخبرنا تعالى عنهم في قوله : (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى) إلى قوله : (فيصيحوا على ما أسروا في أنفسهم ناديين) .

وقد قال الطبراني : حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحوطي ، حدثنا أبو اليان ، حدثنا صفوان بن حر ، عن عكرمة عن ابن عباس . قال : كان أبو هريرة الأسلمي كاهنا يقضى بين اليهود فيما يتنافرون فيه ، فلتفتقر إليه ناس من المسلمين (١) فأئزل الله عز وجل : (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) إلى قوله : (إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) .

ثم قال تعالى : (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) [حلنا الضرب من الناس هم المنافقون ، والله يعلم ما في قلوبهم] ، وصيغرتهم على ذلك ، فإنه لا تخفى حيلة خافية . فاكشف به يا محمد فيهم ، فإن الله عالم بطواهرهم وبواطنهم . ولهذا قال : (فأعرض عنهم) ، أى : لا تمنعهم على ما في قلوبهم (وعظهم) أى : وانهم على ما في قلوبهم من النفاق وصرائر الشر (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) أى : وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٢٠﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٢١﴾

يقول تعالى : (وما أرسنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) أى : فُرضت طاعته على من أُرسل إليهم . وقوله : (بإذن الله) ، قال مجاهد : أى لا يطع أحد إلا بإذني . يعنى : لا يطعهم إلا من وقته للملك ، كقوله : (ولقد صدقكم الله وعده إذ تنحسبون بإذنه) ، أى : من أمره وقدره وحشيته ، وتسليطه لإياكم عليهم .

(١) كلما في خطوطنا ، وفي سائر المجلدات : ناس من المشركين . وهو خطأ ، فإن الآية تنص باللائمة على قوم يؤثرون بما أنزل الله على رسوله وما أنزله من قبل ، ومع ذلك لا يتم بصائرهم إلى الطاغوت .

وقوله : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجلو الله توباً رحيماً) ، يرشد تعالى العباد والمؤمنين إذا وقع منهم الخطأ والمعصية أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يستغفروا الله عنه ، ويسألوه أن يستغفر لهم ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ، ولهذا قال : (لوجلو الله توباً رحيماً) . وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو نصر بن الصباغ (١) في كتابه «الشامل» الحكاية المشهورة عن النبي ، قال : كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، صعدت الله يقول : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجلو الله توباً رحيماً) ، وقد جعلت مستغفرا للنبي ، مستغفرا بك إلى ربك ، ثم أنشأ يقول :

يا غير من دُفِنَتْ بالقاع أعظمه • قطاب من طيهن للقاع والأكم
تكنسى لقلده لغير أنت ساكنه • فيه الضباب وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي ، فقلتني صني ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : يا حنفي ، الحق الأعرابي يبشره أن الله قد غفر له :

وقوله : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحسبوك فيا شجرة بينهم) يقسم تعالى بنفسه الكرعة المقدسة : أنه لا يؤمن أحد حتى يحسبكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور ، فاحكم به فهو الحق الذي يجب الاتقياء له باطنا وظاهرا . ولهذا قال : (ثم لا يجلدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسلياً) ، أي : إذا حكمك بطبعك في بواطنهم فلا يجلدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به ، ويقادون له في الظاهر والباطن ، فيسلمون لذلك تسلياً كلياً من غير عار ولا ملاحظة ولا منازعة ، كما ورد في الحديث : «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» .

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة قال : حاصم الزبير رجلا في شريح (٢) من الحرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «سقى يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقال الأنصاري : يا رسول الله ، أن كان (٣) ابن عترة ؟ فتكلم (٤) وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : «سقى يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدار» (٥) ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، واستوى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في شريح الحكم ، حين أحفظه الأنصاري ، وكان أشار عليهما بأمر لما فيه سعة . قال الزبير : فما أحسب هذه الآية إلا تزلت في ذلك : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحسبوك فيا شجرة بينهم) ... الآية .

وهكذا رواه البخاري هاتما أحق في كتاب «التفسير» (٦) من صحيحه من حديث معمر . وفي كتاب «الشرح» (٧)

(١) حر الفقيه عبد الله بن محمد بن عبد الواحد البغدادي الشافعي ، أحد الأئمة ، كان فينا حجة ديننا خيرا . ولد سنة ٥٠٥ هـ ، وعرف في جملة الأول بابتداء سنة ٤٧٧ هـ (البر للشمس : ٢٨٧/٢ ، ٢٨٨) .

(٢) الشريح : حبل الماء . والحرة : موضع معروف بالبلدنة .

(٣) يعني : لأن كان ابن عترة .

(٤) تلون : تغير .

(٥) الجدار : يفتح الجيم وسكون الدال ، والمراد به الحواجز تحبس الماء .

(٦) صحيح البخاري ، تفسير سورة النساء : ٥٨/٦ .

(٧) المسحج : ١٤٦/٢ .

من حديث ابن جريج ومعه أيضا ، وفي كتابه الصلح (١) : من حديث شعيب بن أبي حمزة ، قال لهم عن الزهري ، عن عروة ، فذكره ، وصوته صورة الإرسال ، وهو متصل في المعنى .

وقد رواه الإمام أحمد من هذا الوجه فصرح بالإرسال فقال : حدثنا أبو اليان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير : أن الزبير كان يحدث : أنه كان غاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة ، كاتا يسيقان بها كلاهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قزير : استق ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله ، أن كان ابن حنظل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : استق يا زبير ، ثم أحبس للماء حتى يرجع إلى الجندز : فاستوى النبي صلى الله عليه وسلم الزبير حقه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه سمة له وللأنصاري ، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوى النبي صلى الله عليه وسلم الزبير حقه في صريح الحكم قال عروة : فقال الزبير : والله ما لحسب هذه الآية لولا أني ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسلياً) .

هكذا رواه الإمام (٢) أحمد ، وهو منقطع بين عروة وبين أبيه الزبير ، فإنه لم يسمع منه ، والذي يقطع به أنه سمعه من أبيه عبد الله ، فإن أبا عبد الله بن أبي حاتم رواه كذلك في تفسيره فقال :

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، حدثنا الليث ويونس ، عن ابن شهاب ، أن عروة بن الزبير حدثه ، أن عبد الله بن الزبير حدثه ، عن الزبير بن العوام : أنه غاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة ، كاتا يسيقان به كلاهما التخل ، قال الأنصاري : ستر للماء يستر . فابى عليه الزبير ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استق يا زبير ، ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله ، أن كان ابن حنظل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : استق يا زبير ، ثم أحبس للماء حتى يرجع إلى الجندز . واستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير حقيقه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه السمة له وللأنصاري ، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوى الزبير حقه في صريح الحكم ، فقال الزبير : ما لحسب هذه الآية إلا في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسلياً) .

وهكذا رواه النسائي من حديث ابن وهب ، به . ورواه أحمد والجماعة كلهم من حديث الليث ، به : وجهه أصحابه الأطراف في مسند عبد الله بن الزبير ، وكلما سألته الإمام أحمد في مسند عبد الله بن الزبير (٣) ، والله أعلم ، وللحجب كل العجب من الحاكم في عبد الله التميمي ، فإنه روى هذا الحديث من طريق ابن أبي شهاب ، عن عه ، عن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير فذكره ، ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فإني لا أعلم أحدا قام بهذا الإسناد عن الزهري يذكر عبد الله بن الزبير ، غير ابن أبيه ، وهو عنه ضعيف .

(١) الصحيح ٢٤٥/٢٢

(٢) مسند أحمد : ١/١٦٥ ، ١٦٦

(٣) مسند أحمد : ٤/٤٤٠

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن علي أبو حنيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سلمة - رجل من آل أبي سلمة - قال : خاصم الزبير رجلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقضى الزبير ، فقال الرجل : إنما قضى له لأنه ابن عمه . فتركت : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت) ... الآية .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو حنيفة ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب في قوله : (فلا وربك لا يؤمنون) قال : نزلت في الزبير بن العوام ، وحاطب بن أبي بلتعة ، انحصا في ماء فقضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسقى الأهل ثم الأسفل . هذا مرسل ولكن فيه فائدة تسمية الأنصارى .

ذكر سبب آخر غريب جدا

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عبد الله بن لبيعة ، عن أبي الأسود قال : انحصم رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقضى بينهما ، فقال الذي قضى عليه : ردنا إلى عمر بن الخطاب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انطلقا إليه . فلما أتيا إليه قال الرجل : يا ابن الخطاب ، قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا ، فقال ردنا إلى عمر . فردنا إليك . فقال : أكلذك ؟ فقال نعم . فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما فأقضى بينكما . فخرج إليهما مشتملا على سيفه ، فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله ، وأبى الآخر فأرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، قتل حُمرَ وأده صاحبي ، ولو لا أني أصجزته لقتلني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنت أظن أن يجترأ حُمرَ على قتل مؤمن . فأنزل الله : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) ... الآية فلهدم ذلك الرجل ، ويرى عمر من قتله ، فكره الله أن يسئل ذلك بعد ، فقال : (ولو أنا كبتنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو يخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلا منهم) ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا . وكذا رواه ابن مردويه ، عن طريق ابن الهيثم ، عن أبي الأسود ، به .

وهو أثر غريب ، وهو مرسل ، وابن لبيعة ضعيف والله أعلم .

طريق أخرى ، قال الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم ، ابن حنيم في تفسيره : حدثنا شعيب بن شعيب ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا حبة بن ضمرة ، حدثني أبي : أن رجلا انحصا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقضى فتمحق على البطل ، فقال المقضى عليه : لا أرضى . فقال صاحبه . : فما تريد ؟ قال : أن نلعب إلى أبي بكر الصديق ، فلما إليه ، فقال الذي قضى له : قد انحصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقضى لي . فقال أبو بكر : فأتيا على ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم . فأتى صاحبه أن يرضى ، قال : نأتى عمر بن الخطاب ، فأتيا فقال المقضى له : قد انحصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقضى لي عليه ، فأتى أن يرضى . فسأله عمر ، فقال كلك ، فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده قد سله ، فضرب يهرأس الذي أتى أن يرضى ، فقتله ، فأنزل الله : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) ... الآية .

وَلَوْ أَنَّا كُنْتُمْ عَلَيَّهِمْ لَإِنْ أَقْبَلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَدُونَ
 بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيحًا ﴿١٠﴾ وَإِذَا لَا يَجِدُنَهُمْ فِي دَنَّا أَبْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ مِرْيَا مُسْتَقِيمًا ﴿١٢﴾
 وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
 وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿١٣﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا ﴿١٤﴾

غير تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم متركينه من المنافي لما فعلوه ، لأن طبايعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر ، وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون . ولهذا قال تعالى : (ولو أننا كنّا عليهم أن اقنوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم) :

قال ابن جرير : حدثني إسماعيل ، حدثنا أبو زهير ، عن إسماعيل ، عن أبي إسحاق السبيعي قال :
 لما نزلت : (ولو أننا كنّا عليهم أن اقنوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل) ... الآية ، قال رجل :
 لو أمرنا لعلنا ، والحمد لله الذي عافانا . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (إن من أمي لرجالا ، الإيمان أثبت في
 قلوبهم من الجبال الروابي) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر بن مثير ، حدثنا روح ، حدثنا هشام ، عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية :
 (ولو أننا كنّا عليهم أن اقنوا أنفسهم) ... الآية . قال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : لو فعل ربنا لعلنا ،
 فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (للأعنان أثبت في قلوب أهل من الجبال الروابي) .
 وقال البدي : اخضر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من اليهود ، قال اليهودي : والله لقد كذب الله علينا القتل
 فقلنا أنفسنا ، فقال ثابت : والله لو كذب علينا : (أن اقنوا أنفسهم) قلنا . فأنزل الله هذه الآية : (رواه ابن أبي حاتم ،
 [وقال ابن أبي حاتم] : حدثنا أبي ، حدثنا حمود بن غيلان ، حدثنا بشر بن السري ، حدثنا مصعب بن ثابت ، عن
 حمه حامر بن عبد الله بن الزبير قال : لما نزلت : (ولو أننا كنّا عليهم أن اقنوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا
 قليل منهم) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو نزلت لكان ابن أم هانئ منهم) .

وحدثنا أبي : حدثنا أبو اليان ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن صفوان بن عمرو ، عن شرحبيل بن هب قال : لما نزل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (ولو أننا كنّا عليهم أن اقنوا أنفسهم) ... الآية ، أشار رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بيده إلى عبد الله بن رواحة ، فقال : (لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل) - يعني : ابن رواحة .
 ولهذا قال تعالى : (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) ، أي : ولو أنهم فعلوا ما يأمرون به ، وتركوا ما ينهون عنه (لكان
 خيرا لهم) ، أي : من مخالفة الأمر وأركانها التي (وأشدّ تبيحا) ، قال السدي : أي وأشدّ تصديقا . (وإذا لأنبياءهم
 من لدنا) أي : من حدثنا (أبرأ عطيا) يعني : الجنة (ولديّاتهم صراطا مستقيما) أي : في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
 وحسن أولئك رفيقا) أي : من عمل بما أمره الله ورسوله ، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله ، فإن الله عز وجل يسكنه دار
 كرامته ، ويجعله مرافقا للأتقياء ثم ينضمهم في الرتبة ، وهم الصديقون ، ثم الشهداء ، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون
 الذين صلحت سرارهم وعلاجاتهم ،

ثم أتى عليهم تعالى فقال : (وحسن أولئك رفيقاً) .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن هرو ، عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من نبي عرض إلا عصى بين الدنيا والآخرة . وكان في حشوها الذي قبض فيه ، فأخطه بحة شديدة ، فسمته يقول : (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) فطعت الله (١) غير .

وكذا رواه مسلم (٢) من حديث شعبة ، عن سعد بن إبراهيم - به -

وعلمنا من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر : « اللهم في الرفيق الأعلى ، ثلاثاً ثم قضى (٣) . عليه أفضل الصلاة والسلام »

(ذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة)

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القسبي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعد بن جبير قال : جاء رجل من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عزون ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا فلان ، مالي أراك عزوناً ؟ قال : يا نبي الله ، شيء فكرت فيه ؟ قال : ما هو ؟ قال : نحن ننفذ عليك ونروح ، ننظر إلى وجهك ونجاسك ، وهذا تورع من النبيين فلا نصل إليك . فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم عليه شيئاً ، فأتاه جبريل بهذه الآية : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) .. الآية فيمت النبي صلى الله عليه وسلم فيشره .

وقد روى هذا الأمر مرسل من مسروق ، وصكرمة ، وعامر الشعبي ، وقاعدة ، وعن الربيع بن أنس وهو من أئمتها سنناً .

قال ابن جرير : حدثنا الحفي ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله : (ومن يطع الله والرسول) .. الآية ، قال : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : قد علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم له فضل على من آمن به في درجات الجنة من أتبه وصلته ، وكيف لهم إذا اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم بعضاً ؟ فأنزل الله في ذلك - يعني هذه الآية - فقال : يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأهلين يتحدرون إلى من هو أسفل منهم ، فيجتمعون في رياضها ، فيذكرون ما أنعم الله عليهم ويتشون عليه ، ويتزل لهم أهل الدرجات فيسمن عليهم بما يشتهون وما يذبحون به ، فهم في روضة يحرون ويجمعون فيه » .

وقد روى مرفوعاً من وجه آخر ، فقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن مسلم ، حدثنا إسماعيل ابن أحمد بن أسيد ، حدثنا عبد الله بن عمران ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنك لأحب إلى من لقني ، وأحب إلى

(١) صحيح البخاري ، تفسير سورة النساء : ٥٨/٦ .

(٢) مسلم ، فضائل الصحابة : ١٣٧/٧ .

(٣) سنن أحمد عن عائشة : ٢٠٠/٦ .

من أهل ، وأحب إلى من ولى ، وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى أتيتك فأنتظر إليك ، وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبين ، وإن دخلت الجنة خشيته أن لا أراك . فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت عليه : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبين والصالحين والتهاداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

وهكذا رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسى فى كتابه « صفة الجنة » ، من طريق الطبرانى ، عن أحمد بن عمرو بن مسلم التلخل ، عن عبد الله بن عمر بن العاص ، به . ثم قال : لا أرى بإسناده بأسا . والله أعلم .

وقال ابن مَرُوحَة أيضا : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطى ، حدثنا أبو بكر بن ثابت بن عباس البصرى ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن عطاء بن السائب ، عن عامر الشعبي ، عن ابن عباس : أن رجلا أتته النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنى لأذكرك فى المنزل فنيشق ذلك على ، وأحب أن أكون معك فى الفردجة . فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، فأنزل الله من وجعل هذه الآية .

وقد رواه ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن جرير ، عن عطاء ، عن الشعبي ، مرسلا : وثبت فى صحيح مسلم من حديث هُشَيْل بن زياد ، عن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن ربيعة بن كسبة الأسلمى أنه قال : كنت أبيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتيتهم بوضوءه وحاجته ، فقال لى : سل . قلت : يا رسول الله ، أسألك مرافقتك فى الجنة . فقال : لو غير ذلك ؟ قلت : هو ذلك . قال : فأصحب على نفسك بكرة السجود .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، أخبرنا ابن خزيمة ، عن عبيد الله بن أبى جعفر ، عن عيسى بن طلحة ، عن عمرو بن مرة الجهوى قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت زكاة مالى ، وصمت شهر رمضان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن مات على هذا كان مع النبين والصديقين والتهاداء يوم القيامة هكذا - ونصب إصبعه - مالم يلق واليه . (١)

قال الإمام أحمد أيضا : حدثنا (٢) أبو سعيد مولى أبى هاشم ، حدثنا ابن خزيمة ، عن زيان بن خالد ، عن سول بن معاذ بن أنس ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ومن قرأ ألف آية فى سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبين والصديقين والتهاداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، إن شاء الله .

وروى الترمذى من طريق سفيان الثورى ، عن أبى حمزة ، عن الحسن البصرى ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والتاجر الصديق الأمين مع النبين والصديقين والتهاداء .

ثم قال : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وأبو حمزة اسمه عبد الله بن جابر شيخ بصري (٣) ،

(١) لم نجده فى المسند ، وللمتبع لسورة فى مرة فيه حديث واحد ، ينظر : ٢٢١ / ٤ .

(٢) المحدث فى المسند : ٤٤٧/٣ ، وسنده فيه : « حدثنا حسن ، حدثنا ابن خزيمة » قال [و] حدثنا يحيى بن قزامة . قال : حدثني رشدين بن سعد ، عن زيان

(٣) تحفة الأحوش : كتاب السير : ٢٩٩/٤ ، ٤٠٠ .

وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في الصباح والمساءل وغيرهما ، من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولا يلحق بهم ؟ فقال : « المرء مع من أحب » (١) ؛ قال أنس : فافرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث :

وفي رواية عن أنس أنه قال : إني أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأرجو أن يعطيني الله معهم وإن لم أحمل كمثلهم (٢) .

وقال الإمام مالك بن أنس ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليرامون أهل الغرف من فوقهم ، كما ترامون الكوكب النري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يليها غيرهم ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيده تقضى بينه رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

أخرجاه في الصحيحين (٣) من حديث مالك وقتشه لحسنه ؛

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا ثورقة ، أخبرني فليح ، عن هلال - يعني ابن حل - عن عطاء ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليرامون في الجنة كما ترامون - أو ترون - الكوكب النري الغابر في الأفق والمطلع في تفاضل الدرجات . قالوا : يا رسول الله ، أولئك النبيون ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » (٤) .

قال الحافظ الفقيه المتقن : هذا الحديث على شرط البخاري ، والله أعلم

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن حمار الموصلي ، حدثنا حنيفة بن سالم ، عن أيوب ، عن عتبة ، عن عطاء ، عن ابن عمر قال : أتى رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : سل واستفهم . فقال : يا رسول الله ، فضلم علينا بالصور والألوان والنبوة ، أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت مثل ما عملت به ، إني لكانت معك في الجنة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، والذي نفسي بيده إنه ليضئ بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام [قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن قال : « لا إله إلا الله » كان له بها عهد عند الله ، ومن قال : « سبحان الله وبحمده » كتب له بها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة . فقال رجل : كيف تهلك بعدها يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل يأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأهمله ، فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب : ٤٨/٨ ، ٤٩ ، ومسلم ، كتاب البر : ٤٢/٨ ، ٤٣ . ومسنده أحد : ١٠٤/٣ .

(٢) صحيح البخاري ، فضائل الصحابة : ١٤/٥ ، ١٥ . ومسلم ، كتاب البر : ٤٢/٨ .

(٣) مسلم ، كتاب الجنة : ١٤٥/٨ ، والبخاري ، كتاب بدء الخلق : ١٤٥/٤ . والكوكب النري : هو الكوكب العظيم ، قيل من ديار لبنان كالندر ، وقيل : لإضافته . وعن الأئمة الثوري والبرقي ؛ لأن الكوكب حين الطلوع والغروب يبعد عن العين ، ويظهر صغيراً لبعده . وصفي القنابر : الذي تلهه الغروب ويعد من الميون .

(٤) مسنده أحد : ٣٣٩/٢ .

أَنْ تَتَّخِذَ ذَلِكَ كَلَّةً إِلَّا أَنْ يُصَافَوْا لِقَائِ اللَّهِ بَرَحِمِهِ : وَتَوَلَّى هَذِهِ الْآيَاتُ : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً) إِلَى قَوْلِهِ : (تَبَسُّمًا مَّوَلَّكُنَا كِبَرًا) قَالَهُ الْخِشْيُ : وَإِنْ هِيَ لَتَرِيَانٌ مَّا رَى مِثْلَكَ فِي الْحَيَاةِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ ، فَاسْتَبَقَى حَقِّي فَأَصْبَحْتُ نَفْسَهُ ، قَالَ ابْنُ عَرَبٍ : قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذَلُّهُ فِي حَقَرِهِ يَذَلُّهُ)

فيه غرابة ونكارة ، وسئله ضعيف ،

وملأ قال تعالى : (ذلك الفضل من الله) أي : من عند الله برحمته هو الذي أعلمهم ذلك ، لا بأعمالهم (وكفى بالله علما) أي : هو علم عن يستحق للمداينة والتوفيق ،

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ تَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿١٥﴾ وَإِنْ يَكَادُ كِبُ السُّيُوفِ أَنْ يَخِفَّ مِنْكُمْ فَمَنْكُمْ
مُخِيفٌ لِّأَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُخَفُّونَ ۚ وَلَهُنَّ أَسْبَاطُ مِنْ أَنْثَىٰ فَلا تُكْرِهُوا إِلَهُنَّ أَنْ يَقُولَ زَرْعًا أَوْ نَحْوَ
ذَلِكَ قَوْلًا عَصِيًّا ﴿١٦﴾ فَلْيُقَاسُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَزِيدُونَ الْحَرْبَ
أَلْفًا بِأَلْفٍ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَبْقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تِسْعًا أَوْ يَبْقَ تِسْعَ آتِينَ ﴿١٧﴾

يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم ، وهذا يستلزم التأنب لمي باطلاد الأملحة والبلد وكثير العدد بالضر لى سبله =

(نات) أي : جاعة بعد جاعة ، وفرة بعد فرة ، وسرية بعد سرية ، والثبات : جميع ثبات ، وقد تجسم الثبات على ثنين .

قال علی بن ابی طلحة ، عن ابن عباس قوله : (قاتلوا الباط) ای : عَصَبَہ بنی ؛ سراپا مغرورین (او اشرار)
 جمیعاً) بنی ؛ کلکم .

وَكَلَّمَ رُؤْيَىٰ عَنْ مَجَاهِدٍ ، وَصَكْرَةَ ، وَالسَّيِّ ، وَتُقَادَةَ ، وَالْمُحَاكَّ ، وَحَطَّاءَ الْفَرَّاسِيَّ ، وَمَقَاتِلَ بْنِ حَبَانَ ، وَنُصَيْبَ الْجَزَوِيَّ .

وقوله : (وإنا منكم لنبيطئون) قال مجاهد وغير واحد : نزلت في المنافقين : وقال مقاتل بن حيان : (ليطئون) أى : ليطعنن من الجهاد .

ونحصل أن يكون المراد التهجلاً هو في نفسه ، ويعطى غيره من الجهاد ، كما كان عبد الله بن أبي بن سلوك - رحمه الله - يفعل ، يتأخر عن الجهاد ويشتغل الناس من الخروج فيه . ولهذا قول ابن جريج وابن جرير : ولهذا قال علي بن إبيخار أنه يقول إذا تأخر عن الجهاد : (فإن أصابكم مصيبة) أي : قتل وشهادة وغلب العدو لكم ، لا الله في ذلك من الحكمة (قال : قد أنعم الله على إمامكم) أي : إذا لم أنصر معهم وقتة القتال ، بعد ذلك من نعم الله عليه ، ولم يدروا ما فاته من الأجر في القبر أو الشهادة لأن قتل

(وإن أصابكم فضل من الله) أى : نصر وظهر وغنم (ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أى : كأنه ليس من أهل دينكم (يألفين) كنت معهم فانفوز فوزا عظيما ، أى : بأن يضرب في بينهم منهم لأحبل عليه : وهو أكبر قصده وغاية مراده .

ثم قال تعالى : (فلما قاتل) أى : للمؤمنين الناصر (في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى : يبيعون دينهم بخرس ليل من الدنيا ، وما ذكركم إلا لكفرهم وعدم إيمانهم

ثم قال تعالى : (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يظلم فسوف نؤتيه أجرا عظيما) ، أى : كل من قاتل في سبيل الله - سواء قتل أو هُلك وسلب - فله عند الله ثمرة عظيمة وأجر جليل ، كما ثبت في الصحيحين ، وتكفل الله المجاهد في سبيله ، إن توفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه ثالثا غائلا من أجر أو غنمة (١) ؛

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَعْلَاهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصْرًا ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ قَتَلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٥١﴾

عرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله ، وعلى السعى في استنقاذ المستضعفين بمكة ، من الرجال والنساء والصبيان الخمر من بالمقام بها . ولهذا قال تعالى : (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعنى : مكة ، كقوله : (وكان من قرية هي أشد قوة من قريتك إلى أخرجتك) .

ثم وصفها بقوله : (الظالم أعلها ، واجعل لنا من لذك وليا واجعل لنا من لذك نصرا) أى : ستخرج لنا من عندك وليا وناصرا .

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن حبيب الله قال : سمعت ابن عباس قال : « كنت أنا وأبى من المستضعفين » .

حدثنا سليمان [بن حرب] ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن ابن مليكة أن ابن عباس تلا : (إلى المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال : كنت أنا وأبى من عند الله عز وجل (٢) .

ثم قال تعالى : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أى : يؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه ، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان .

(١) البخارى ، باب فرض الخمس ، من أبي هريرة : ١٠٤/١ وكتاب التوحيد : ١٦٦/٩ . ع . وسلم ، كتاب الإمارة : ٢٤/١ .

(٢) صحيح البخارى ، تفسير سورة التوبة : ٥٨/٦ .

ثم حُجِّجَ تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله : (هَاتُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنْ كِيدَ الشَّيْطَانُ كَانَ ضَعِيفًا)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِمُحَنِّقٍ أَنْفَاسٍ تَقْشِطُهُ اللَّهُ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَطْلُونَ قِيلًا ﴿١٥٠﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُبْشِرٍ وَإِنْ تَصِبْهُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تَصِبْهُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَٰذَا مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَبَلُ هَٰذَا الْقَوْمُ لَا يَكُونُونَ بِمَفْقُوهٍ حَدِيثًا ﴿١٥١﴾ مَا أَصْلَبَكُم مِّنْ حَسَنَةٍ فَرَأَى اللَّهُ وَمَا أَصْلَبَكُم مِّنْ سَيِّئَةٍ فَرَأَى نَفْسَكُمْ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِهِ تَشْدِيدًا ﴿١٥٢﴾

كان المؤمنون قد اجتهدوا بالإسلام - وهم بمكة - مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات التشبیه ، لكن كانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم ، وكانوا مأمورين بالصلح والوفاء عن المشركين والصبر إلى حين ، وكانوا يتحرقون ويوجدون لو أمروا بالقتال ليشغوا من أهلهم ، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً لأسباب كثيرة ، منها : قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم ، ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض ، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداءً لا قسراً ، فلذلك لم يؤمر بالجهاد إلا بالبدنية ، لما صارت لهم حُرمة وممنعة وأنصار ، ومع هذا لم أمروا بما كانوا يودونه جرح بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفاً شديداً (وقالوا : ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) أي : لوما أخرت فرضه إلى مدة أخرى ، فإن فيه سفك الدماء ، ويقتل الأبناء ، وتأم النساء ، وهذه الآية في معنى قوله تعالى : (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فلماذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) ... الآيات .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة وحمل بن زنجة قالا : حدثنا علي بن الحسن ، عن الحسن بن واقد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقالوا : يا نبي الله ، كنا في عزٍّ ونحن مشركون ، فلما آتانا سرنا أنزلنا . قال : إني أمرت بالوفاء ، فلا هاتلوا القوم . فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال ، ففكوا ، فأنزل الله : (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) ... الآية .

ورواه النعماني ، والحاكم (١) ، وابن مرددويه ، من حديث علي بن الحسن بن شقيق ، به .

... وقال أسباط ، عن البدي : لم يكن عليهم إلا الصلاة والزكاة ، فسألوا الله أن يفرس عليهم القتال ، فلما كتب عليهم القتال (إذا فريقتهم منهم فمجموعة كفعية الله أو أشد خشية) وقالوا : ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) ، وهو الموت ، قال الله تعالى : (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن أتى)

ومن يجاهد : إن هذه الآيات تولت في اليهود . رواه ابن جرير (١) .
وقوله : (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) أى : آخرة المتقين خير من دنياه .
(ولا تظلمون قليلا) أى : من أعمالكم بل توفونها أتم الجزاء . وهذه تسلية لمن عن الدنيا ، وترغيب لمن في الآخرة ،
ويحرى لمن على الجهاد .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم اللوزي ، حدثنا عبد [الرحمن] بن مهدي ، حدثنا
جناد بن زيد ، عن هشام قال : قرأ الحسن : (قل متاع الدنيا قليل) ، قال : رحم الله عبدا صحبها على حسب ذلك
ما الدنيا كلها أولها وآخرها [لا كرجل تام] [نومة] ، فرأى في منامه بعض ما يحب ، ثم انتبه .
وقال ابن معين : كان أبو مسهر ينشد :

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في ذكر المقام نصيب
فإن تمصيب الدنيا رجلا فلها متاع قليل والقرآن قريب

وقوله : (أنها تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) ، أى : أنتم صائرئون إلى الموت لا محالة ،
ولا ينجو منه أحد منكم ، كما قال تعالى : (كل من عليها فان) ... الآية ، وقال تعالى : (كل نفس ذائقة الموت) ،
وقال تعالى : (وما جعلنا ليشرك من قبلك الخلد) . والمقصود : أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة ، ولا ينجيه من ذلك
شيء ، وسواء عليه جاهد أو لم يجاهد ، فإن له أجلا محتما ، وأمدا مقسوما ، كما قال خالد بن الوليد حين جاءه الموت
على فراشه : لقد شهدت كلنا وكلنا موقفا ، وما من عضو من أعضائي إلا وفيه جرح من طمعة أو رمية ، وما أنا أموت
على فراشي ، فلا تأمت أعين الجناء .

وقوله : (ولو كنتم في بروج مشيدة) أى : حصينة منيعة عالية رفيعة . وقيل : هي بروج في السماء . قاله السدي ،
وهو ضعيف . والصحيح : أنها المنية . أى : لا يبقى حذر وعصم من الموت ، كما قال زهير بن أبي سلمى (٢) :

ومن عفاف (٣) أسباب المنية يكتسبها ولو راكم أسباب السماء بسكم

ثم قيل : والمشيدة هي المشيدة كما قال : (وقصر مشيد) . وقيل : بل بينهما فرق ، وهو أن المشيدة بالمشيد ،
هي : المطولة ، وبالمشيد وهو الجص .

وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم ما هنا حكاية مطولة عن مجاهد : أنه ذكر أن امرأة فجع كان قبلنا أدخلها الطلق ،
فأمرت أجبرها أن يأتيتها بئر ، فخرج ، فإذا هو برجل واقف على الباب ، فقال : ما ولدت المرأة ؟ فقال :
جارية . فقال أما [إنها] ستزني بمائة رجل ، ثم يتزوجها أجبرها ، ويكون موتها بالعنكبوت . قال : فكر واجبا ،
فجع الجارية بسكين في بطنها ، فشقه ، ثم ذهب هاربا ، وظن أنها قد ماتت . فخطأت أمها بطنها ، فبرئت
وشبت وترعرعت ، ونشأت لعن امرأة يبللسها ، فلعب ذلك [الأجير] ما ذهب ، ودخل البحر فاقضى أموالا

(١) تفسير الطبري : ٥٥٠/٨ .

(٢) في المطولة : « كما قال طرفة بن العبد » . والمعروف أن هذا البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى ، ينظر ديوانه : ٣٠ .

(٣) رواية الثوريان : ومن هاب أسباب الدنيا ينته .

جوزيه ، ثم رجع إلى بلده وأراد الترويع ، فقال لمجوز : لريد أن أتزوج بأحسن امرأة بهذه البلدة : فقالت له : ليس هنا أحسن من فلانة . فقال : اضبطيها عني . فذهبت إليها فأجابته ، فدخل بها فأصبغته إصباجاً شديداً ، فسأته عن أمره ومن أين مقدمه ؟ فأخبرها خبره ، وما كان من أمره في هربه . فقالت : أنا هي . وألوته مكان السكين ، حتى تحقق ذلك فقال : لن كنت إياها فقلد أخبرني بأتيتين لا يد منهما ، أحدهما : أنك قد زيت بمائة رجل . فقالت : لقد كان شيء من ذلك ، ولكن لا أدري ما عددهم . فقال : هم مائة . والثانية : أنك توتين بالمكبوت . فأنخذ لها قصراً منيماً شاهقاً ، ليحرزها من ذلك ، فيتا هم يوماً إذا بالمكبوت في السقف ، فأراها إياها ، فقالت : أهلكه التي تحملها حل ، واه لا يقتلها إلا أنا ، فأزولها من السقف فسمعت إليها فوطئتها بأبام رجلها فقتلتها ، فطار من سمها شيء ، فوقع بين ظفريها ولحمها ، فأسودت رجلها وكان في ذلك أجلها .

ونذكر هاهنا قصة صاحب الخنصر (١) ، وهو « الساطرون (٢) » ، لما احتال عليه « ساير » حتى حصره (٣) فيه ، وقتل من فيه بعد محاصرة ستين ، وقالت العرب في ذلك أشعار (٤) منها :

ولئن الخنصر إذ بناه وإذ دج لة تنجني إليه وتلأبرر (٥)

شاده مرمراً وجهه كذا ساططاً في ذركه وكور (٦)

لم تهتبه أبدي المثلون فباد لك حته فبابه منهجور (٧)

ولما دخل حل عثمان جعل يقول : اللهم اجمع أمة عمدة ، ثم تمثل يقول الشاعر :

لرى الموت لا يبتى عزيراً ولم يدع لماد ملاذاً في البلاد ومريماً

يبئت أهل الحصن والحصن مقلق ويأبى الجبال في شمسها ما

وقوله : (وإن تصبهم حسنة) أي : خصب ورزق من ثمار وزروع وأولاد ونحو ذلك : هذا معنى قول ابن عباس وأبي العالية والسدي ، (يقولوا : هذه من عند الله . وإن تصبهم سيئة) أي : فحط وجدب ونقص في الثمار والزروع أو موت أولاد أو نتائج أو غير ذلك . كما يقوله أبو العالية والسدي (يقولوا : هذه من عندك) ، أي : من قبلك وبسبب اتباعك واقتدائك بدينك . كما قال تعالى عن قوم فرعون : (فأذا جاءتهم الحسنة قالوا : لنا هذه . وإن تصبهم سيئة يطروا بحمى ومن معه) . وكما قال تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية . وهكذا قال هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الإسلام ظاهراً وهم كارهون له في نفس الأمر ، ولهذا إذا أصابهم شر إنما يستمدونه إلى اتباعهم للذي صلى الله عليه وسلم

(١) قال ابن هشام في السيرة ٧١/١ : « الخنصر : حنين عظيم كاللينة ، كان حل طامحاً للفرات » .

(٢) قال ابن هشام أيضاً : « إن الثمان بن المنذر من ولد ساطرون ملك الخنصر » .

(٣) في المخطوطة : حتى حصته .

(٤) الآيات من قصيدة طويلة لعمى بن زيد ، ذكر ابن تقيية في الشعر والشعراء أبياتاً منها ، ينظر الشعر والشعراء : ٢٢٥/١ ، ٢٢٦ ، وفيه ذكر الآيات الثلاثة ابن هشام في السيرة : ٧١/١ .

(٥) الخابور : نهر كبير بين رأس عين والفرات ، من أرض الجزيرة .

(٦) المرمر : الفخام . والكلس : ما طلى به الحائط . وجهه : كساءه ، وفواه : أحاليه . وكور : جمع وكرة ، وهو من الطائر .

(٧) لم يذكر ابن تقيية هذا البيت الثالث .

وقال السدي : (وإن تصيهم حسنة) قال : والحسنة الخصب ، تنتج خيرهم وأتباعهم ومواليهم ، ويحسن حالهم ولقد نساؤم الفيلمان قالوا : (هذه من عتلك وإن تصيهم سيئة) والسيئة : الجذب والضرر في أموالهم ، تشاموا بمعند صلى الله عليه وسلم وقالوا : (هذه من عتلك) يقولون : بئر كتنا ديننا وتابعنا عتدا أصحابنا هذا البلاء ، فأقول الله عز وجل : (قل : كل من عند الله) قوله : (قل كل من عند الله) أي : الجميع بقضاء الله وقدره ، وهو تألف في البئر والقنجر ، وللمؤمن والكافر .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (قل كل من عند الله) أي : الحسنة والسيئة . وكلنا قال الحسن البصري : ثم قال تعالى متكرراً على هؤلاء الثقاتين هذه المقالة الصادرة عن شك وريب . وقلة فهم وعلم ، وكثرة جهل وظلم : (فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) .

ذكر حديث قريب يتعلق بقوله تعالى : (قل كل من عند الله) :

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا السكن بن سعيد ، حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا إسحاق بن حصاد ، عن مقاتل بن حيان ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : كنت جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر وعمر في قيلتين من الناس ، وقد ارتفعت أصواتهما ، فجلس أبو بكر قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلس عمر قريباً من أبي بكر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم وضعت أصواتكما ؟ قالوا : زجل : يا رسول الله ، قال أبو بكر : يا رسول الله الحسنات من الله والسيئات من أنفسنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما قلت يا عمر ؟ قال : قلت : الحسنات والسيئات من الله تعالى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولأن أول من تكلم فيه جبريل وميكائيل ، فقال ميكائيل مقابلتك يا أبا بكر ، وقال جبريل مقابلتك يا عمر . فقال : تخلف : فيخلف أهل السماء ، وإن يخلف أهل السماء يخلف أهل الأرض ، فصحاً كما إلى إسرائيل ، نقض بينهم أن الحسنات والسيئات من الله . ثم أقبل علي أبي بكر وعمر فقال : احفظا قضائي بينكما ، لو أراد الله أن لا يبعثني لم يخلق إبليس .

قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية : هذا حديث موضوع عتلق باتفاق أهل المعرفة . ثم قال تعالى غافلاً لرسول والمراد جنس الإنسان ليحصل الجواب : (ما أصابك من حسنة فمن الله) أي : من فضل الله ومته ولطفه ورحمته (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أي : فمن فيك ، ومن عتلك أنت كما قال تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويصو عن كثير) .

قال السدي ، والحسن البصري ، وابن جريج وابن زيد : (فمن نفسك) أي : بذنبك . وقال قتادة : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) : عفوية . يا ابن آدم بذنبك : قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا يصيب رجلاً خدشٌ عود ، ولا مرة قدم ، ولا احتلاج عرق ، إلا بذنب ، وما يهو الله أكثر . وهذا الذي أرسله قتادة قد روى متصلاً في الصحيح : (والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا حزن ، ولا نصب ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياها) (١) .

(١) معناه ثابت في الصحيح ، ينظر البخاري ، كتاب الطب ، باب ما جاء في كفارة للرؤس : ١٥٧/٧ ، ومسلم ، كتاب البر : ١٤/٨ ، ١٥ ، ١٦ .

وقال أبو صالح : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أى : بلذيتك ، وأنا الذى قدرتها عليك . رواه ابن جرير .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا سهل - يحنى ابن بكار - حدثنا الأسود بن شيبان ، حدثني عتبة بن راضل بن أنس مطرف ، عن مطرف بن عبد الله قال : ما تريدون من القدر ، أما بتكميم الآية التى فى سورة التساء : (وإن تصيهم حسنة يقولوا : هذه من عند الله . وإن تصيهم سيئة يقولوا : هذه من عندك) أى : من نفسك ، والله ما وكلوا إلى القدر وقد أمروا وإليه يصيرون .

وهذا كلام متين قوى ، فى الرد على القدونية والجبرية أيضا ، وليس له موضع آخر .

ترجمته هكذا : (وأرسلناك الناس رسولا) أى : تلبغهم شرائع الله ، وما يحبه ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه ، (وكفى بالله شديدا) أى : على أنه أرسلك ، وهو شهيد أيضا بينك وبينهم ، وعالم بما تفهم إياه ، وما يرون عليك من الحق نظرا أو عادا .

مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اطَّاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى لَنَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْنَا حَقِيقًا ۖ وَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِنَّا بَرُّوْنَا مِنْ عِنْدِكَ
بَيِّنَاتٍ طَافَتْ مِنْهُمُ خَيْرٌ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَآيِمَةٌ فَأَمَّا غَشِيَّتْ عَنْهُمْ وَتَوَلَّى عَلَى اللَّهِ وَكَانَ الرَّكْبُ ۖ

غير تعالى عن عباده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصا الله ، وماذا لك إلا لك ما ينطق عن المحوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش ، عن ابن صالح ، عن ابن هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصا الله ، ومن أطاع الأمير فقد أطاعنى ، ومن عصا الأمير فقد عصانى » .

وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين (١) ، عن الأعمش ، به .

وقوله : (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حقيقا) أى : لا عليك منه ، إن عليك إلا البلاغ فمن تبعك سعد ونجا ، وكان لك من الأجر نظير ما حصل له ، ومن تولى عنك خاب وخسر ، وليس عليك من أمره شيء ، كما جاء فى الحديث : « من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه » (٢)

وقوله : (وقولون طاعة) . غير تعالى عن المتأقين بأنهم يظهرون للرافقة والطاعة (فإذا برزوا من عندك) أى : خرجوا وتولوا عنك (بيئت طائفة منهم خير ألقى تقول) ، أى : استسروا ليلا فإيا بينهم بغير ما أظهره . فقال تعالى :

(١) البخارى ، من ابن هريرة ، كتاب الجهاد : ٦٠/٤ ، وكتاب الأحكام : ٧٧/٩ . ومسلم ، كتاب الإمارة :

١٢/٩ .

(٢) مسلم ، من علي بن سالم ، كتاب الجمعة : ١٢/٢ ، ١٤ .

(والله يكتب ما يبعثون ، أى : يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حَكَمَتُهُ الكائنين ، الذين هم موكلون بالعباد : يعلمون ما يفعلون : ما يفعلون فى هذا العهد ، أنه تعالى أخبر بأنه علم بما يضرهونه ويسرونه فيما بينهم ، وما يفعلون عليه ليلا من عاقلة الرسول وعصيانه ، وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة ، وسيجزيهم على ذلك : كما قال تعالى : ويقولون : آتاه الله بالرسول وأطاعه ، الآية ، وقوله : فأعرض عنهم) أى : اصغى عنهم ولم يسمع منهم ولا تواعظهم ، ولا تكشف أمورهم للناس ، ولا تخفف منهم أيضا (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا) أى : كفى به وليا وناصرا وميتا لمن توكل عليه وأتاب إليه .

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرْدَانَ ^١ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ^٢ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ أَعْلَافٍ ^٣ أَخَذُوا بِهِ . وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَسَى أَلَّا يَنْتَظِلُّوهُ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّ قُلُوبَهُمْ غُطِّيَتْ ^٤ لَغَرَّبْتُ بِهِمْ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ لَافْتَقَنُوا الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ^٥

يقول تعالى أمرا جاده بتدبر القرآن ، ونهايا لهم عن الإعراض عنه ، وعن فهم معاني الحكمة وألفاظه البليغة ، وخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ، ولا تضاد ولا تناقض ، لأنه تنزيل من حكيم حديد ، فهو حق من حق . ولما قال تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن) ثم قال : (ولو كان من عند غير الله) أى : لو كان مفتعلا بخلقهم . كما يقولون من قوله من جهة للمشركين والمتناقضين في بواطنهم (لوجدوا فيه اختلافا) أى : اضطرابا وتضادا كثيرا : أى : وهذا سالم من الاختلاف ، فهو من عند الله . كما قال تعالى خبراً عن الراسخين فى العلم حيث قالوا : (آتاه به كل من عند ربنا) أى : عكمه ومتشابه حق ، فلما ردوا للشهاب إلى الحكم فاهتموا ، والذين فى قلوبهم لطم ردوا بالحكم إلى الغشابة فتووا . ولهذا صلح تعالى الراسخين وقم ثلثين .

قال الإمام أحمد : حدثنا أسد بن عياض ، حدثنا أبو حازم عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : لقد جلست أنا وأبى جلسا ما أحب أن أبى به حُصْرُ النعم ، أقبلت أنا وأبى وإذا مشيت من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حل باب (١) من أبوابه ، فكرهنا أن نفرق بينهم ، فجلسنا حجرة (٢) ، إذ ذكروا آية من القرآن ، فباروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُغَضَّباً حتى (٣) أحمر وجهه ، يرميهم بالتراب ، ويقول : مهلا يا قوم ، بهلا أمثلتكم الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم ، وضرهم الكتب بعضها يفيض ، إن القرآن لم يزل يكتب بفضه بفضا ، بل يصدق بفضه بفضا ، فأمرهم منه فاعلموا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى الله (٤) .

وهكذا رواه أيضا عن أبى معاوية ، عن داود بن أبى هند ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، والناس يتكلمون فى القدر ، فكأنما يكفأ فى وجهه حب الزمان من النصب ،

(١) فى المسند : جلوس صد باب من أبوابه .

(٢) يثنى مطردين .

(٣) فى المسند : قد آخر .

(٤) مسند أحمد : ١٨١/٢ .

قال : فقال لم : « ما لكم تقرّبون كتاب الله بفضه بعض ؟ » جلدًا هلك من كان قبلكم . قال : فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أشهده ما غبطت نفسي بذلك المجلس ، أني لم أشهده (١) ،

ورواه ابن ماجه من حديث داود بن أبي هند ، به نحوه (٢) :

وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا حاد بن زيد ، عن أبي عمران الجوني قال : كتب إلى عبدالله بن رباح ، يحدث عن عبدالله بن عمرو قال : « هَجَرْتُ (٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا ، فإنا الجلس إذ اخطف الثنان في آية ، فارتفعت أصواتهما قال : « إنما هلكت الأمم قبلكم باختلافهم في الكتاب (٤) » ، ورواه مسلم والنسائي ، مه حديث حماد بن زيد ، به (٥) .

وقوله : (وإذا جامع أمر من الأمر أو اختلف أذاعوا به) إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحقيقها ، فيخبر بها ويفشيها وينشرها ، وقد لا يكون لها صحة .

وقد قال مسلم في « مقدمة صحيحه » : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا علي بن حفص ، حدثنا شعبة ، عن عبيد بن عبد الرحمن ، عن حفص بن حاصم ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كفى بالمرء كلبًا أن يحدث بكل ما سمع (٦) » وكذا رواه أبو داود في كتاب « الأدب » من سننه ، عن محمد بن الحسين بن إشكاب ، عن علي بن حفص ، عن شعبة مستندًا (٧) . ورواه مسلم أيضًا من حديث معاذ بن هشام العبدي ، وعبد الرحمن ابن مهدي (٨) . وأخرجه أبو داود أيضًا من حديث حفص بن عمر القنري ، للثمن عن شعبة ، عن عبيد بن حفص بن حاصم — به مرسلًا (٩) .

وفي الصحيحين عن المنيرة بن شعبة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي عن قبل وقال : (١٠) أي : الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت ، ولا تدبر ، ولا تيقن .

وفي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يس مطية الرجل زعموا عليه (١١) »

وفي الصحيح : « من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين (١٢) »

(١) مسند أحمد : ١٧٨/٢ .

(٢) سنن أبي ماجه ، المقدمة ، الحديث ٨٥ : ٣٣/١ .

(٣) هجرت : بكرت وباعدت .

(٤) مسند أحمد : ١٩٢/٢ .

(٥) مسلم ، كتاب العلم : ٥٧/٨ .

(٦) مسلم ، المقدمة : ٨/١ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الأدب : ٢٩٨/٤ .

(٨) مسلم ، المقدمة : ٨/١ .

(٩) سنن أبي داود ، كتاب الأدب : ٢٩٨/٤ .

(١٠) البخاري ، كتاب الرقاق : ١٢٤/٨ . ومسلم ، كتاب الأقتضية : ١٣٠/٥ ، ١٣١ .

(١١) سنن أبي داود ، كتاب الأدب : ٢٩٤/٤ . ومسند أحمد ، عن أبي سمرة الأنصاري : ١١٩/٤ .

(١٢) مسلم ، المقدمة : ٧/١ . ومخلة الأخرى ، كتاب العلم : ٤٢٢/٧ .

ويذكر ما حدث حين حضر إلى الخياط المنيق عليه ، حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه ، فجهاد من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك ، فلم يصبر حتى استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسئله : أطلقت نساءك ؟ قال : لا . قلت : الله أكبر . وذكر الحديث (١) بطوله .

وحدث مسلم : قلت : أطلقتين ؟ قال : لا . قلت : هل باب المسجد فتأديت بأهل صوني ؟ لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه . وتزلت هذه الآية : (وإذا جامعهم أمر من الأمن والخوف أذاعوا به ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فكتبت أنا استنبطت ذلك الأمر .

ومعنى قوله : (يستنبطونه) أى : يستخرجونه ويستعلمونه من معادته ، يقال : استنبط الرجل الدين ، إذا حفرها واستخرجها من قورها ،

وقوله : (لا تبسم الشيطان إلا قليلا) قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يبنى المؤمنين .

وفال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : (لا تبسم الشيطان إلا قليلا) يبنى : كلهم . واستشهد من نصر هذا القول : يقول الطرماع بن (٢) حكيم ، في مدح يزيد بن المهلب :

أقسم كثير يدين الثوال فكيل المتكالب والحادكة

يبنى : لا متكالب له ، ولا حادكة فيه :

فَقِيلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿١﴾ مَنْ يَسْعَ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا وَمَنْ يَسْعَ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِمَّا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْبِتًا ﴿٢﴾ وَإِذَا حِينٌ بِحِينٍ طُوبُوا بِأَحْسَنِّ مِمَّا أَوْ رَدُّوهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيرًا ﴿٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعََنَّكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٤﴾

يا من تعالى عليه ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يباشر القتال بنفسه ، ومن نكل عليه فلا عليه منه ، ولهذا قال : (لا تكلف إلا نفسك) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عمرو بن نعيم ، حدثنا حكام ، حدثنا الجراح الكندي ، عن أبي إسحاق قال : سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقى مائة من العدو ، فيقاتل ، أبكون ممن يقاتل : أم : (ولا تلحقوا بأيديكم إلى الهلكة) ؟ قال : قد قال الله تعالى لئن لم يكن صلى الله عليه وسلم : (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحررض المؤمنين) :

(١) البخاري ، كتاب النكاح : ٣٦/٧ - ٣٨ . ومسلم ، كتاب الطلاق : ١٨٨/٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٢) ديوانه : ١٣٩ . واليه في تفسير الطبري : ٧٧/٨ . واليه : جميع به .

ورواه الإمام أحمد ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي بكر بن حياش ، عن أبي إسحاق قال : قلت لبراء : الرجل يحمل على الشركين ، أمو من ألقى يده إلى التهلكة ؟ قال : لا ، لأن الله يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) إنما ذلك في النفقة .

وكذا رواه ابن مردويه ، عن طريق أبي بكر بن حياش وحلى بن صالح ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، به . ثم قال ابن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن النضر السكري ، حدثنا مسلم بن عبد الرحمن الجرجي حدثنا محمد بن حمير ، حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم : (قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين) .. الآية قال لأصحابه : وقد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا . حديث غريب .

وقوله : (وحرّض المؤمنين) أي : على القتال وورغهم فيه وشجعهم حمله كما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وهو يسرى الصفوف : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » .

وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك ، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وصام رمضان ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، هاجر^(١) في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها . قالوا : يا رسول الله ، أفلا ييسر الناس بذلك ؟ قال : إن في الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألهم^(٢) الله فاسألوه الفردوس فإنه لوسط الجنة ، [وأعلى الجنة] ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفسر أنهار الجنة » (٣) .

وروى من حديث معاذ وأبي البرداء وغيرهما نحو ذلك (٤) ،

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا أبا سعيد ، من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، وجبت له الجنة » قال : فضجبه لما أبو سعيد قال : أعدها على يا رسول الله . فضل ، ثم قال - رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء إلى الأرض » قال : وما هي يا رسول الله ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » . رواه مسلم (٥) .

وقوله : (حسبي الله أن يكف بأس الذين كفروا) أي : بتصرفك لإيادهم على القتال تبث همهم على منازعة الأعداء ومداخلة عن حوزة الإسلام وأهله . ومقاومتهم ومبايرتهم .

وقوله : (والله أشد تكليلاً) ، أي : هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة ، كما قال : (ذلك ولو يشاء الله لأكسرهم منهم ، ولكن ليبوئهمكم بعضي^(٦) الآية)

(١) في الصحيح : جهاد في سبيل الله .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد : ٢٠/٤ .

(٣) ينظر البخاري ، كتاب الجهاد : ٣٥/٤ . وكتاب العلم : ٤٤/١ . ومسنود أحمد : ١٥٧/٣ .

(٤) مسلم ، كتاب الإمارة : ٣٧/٦ .

وقوله : (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أى : من سعى في أمر ، فترتب عليه خير ، كان له نصيبه من ذلك (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) أى : يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذى ترتب على سيئه ونية ، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (واشفعوا تؤجروا ، ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء) .

وقال مجاهد بن جبر : (تزل هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض) .

وقال الحسن البصري : (قال الله تعالى : (من يشفع) ولم يقل : من يشفع^(١)).

وقوله : (وكان الله على كل شيء حكيمًا) قال ابن عباس ، وعطاء وحطية ، وقادة ومطر الوراق : (مقيتًا) أى : حقيقًا . وقال مجاهد : شهيدا . وفي رواية عنه : حسيبا . وقال سعيد بن جبير ، والبدى ، وابن زيد : قديرا . وقال عبد الله بن كثير : (المقيت : الواصب^(٢)) . وقال الضحاك : (المقيت : الرزاق) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الرحيم بن مطرف ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن عبد الله بن رواحة - وسأله رجل عن قول الله : (وكان الله على كل شيء حكيمًا) - قال : (يُقيت كل^(٣)) إنسان حل قدر عمله .

وقوله : (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أى : إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم ، أو ردوا عليه بمثل ما سلم . فالزيادة متعوبة ، والملائكة مفروضة .

قال ابن جرير : حدثني موسى بن سهل الرملي ، حدثنا عبد الله بن السري الأنطاكي ، حدثنا هشام بن لاحق ، عن حاتم الأحول ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان القارسي قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله . فقال : وعليك السلام ورحمة الله . ثم أتى آخر فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . ثم جاء آخر فقال : السلام عليك [يا رسول الله] ورحمة الله وبركاته فقال له : وعليك . فقال له الرجل : يا نبي الله ، بأي أنت وأبي ، أناك فلان وفلان فسلما عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت علي . فقال : إنك لم تدع لنا شيئا ، قال الله تعالى : (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فرددتاها عليك .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم معلقا فقال : ذكر عن أحمد بن الحسن الترمذي ، حدثنا عبد الله بن السري أبو محمد الأنطاكي - قال أبو الحسن : وكان رجلا صالحا - حدثنا هشام بن لاحق ، فذكر بإسناده مثله .

(١) نص الطبري عن الحسن ٨/٨١ ، قال : «من يشفع شفاعة حسنة كان له أجران ، ولأن الله يقول : «من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها» ولم يقل : «يشفع» ويقول المحقق : ينبغي أن تقرأ «يشفع» الأول في قول الحسن مشددة لقاء ، بالياء المجهول . ويصح الحسن : أن الشفع لأخيه إذا استجيبت شفاعة كان له أجران : أجز من اثنين ، الله ساقه إلى أخيه ، وأجز آخر هو مثل أجز المشفوع إليه في فعله ما قبل من الخير .

(٢) في المخطوطة : للواصب . والمثبت من تفسير الطبري : ٨/٨٤ . والجبر الخليل لأي حيان : ٣١/٣٢ . ومعنى الواصب : ققيم بالأمور . ويقال : وصب الرجل مل ماله يصب : إذا لزمه وأحسن القيام عليه .

(٣) ومعنى المقيت في الحديث : يعطى ثوب كل منهم ، من أقاته بقيته إذا أساءه ثوبه ، أو المص : يحفظ كلا منهم .

ـ زرواه أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الباقي بن قانع ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن لاحق أبو عثمان ، فذكره مثله ، ولم أره في المستدرك ، والله أعلم .

وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا زيادة في السلام على هذه الصفة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ إذ لو شرع أكثر من ذلك لزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن كثير ، أنس سليمان بن كثير ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن عوف ، عن أبي رجاء العطاردي ، عن عمران بن حصين : أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم . فرد عليه ثم جلس ، فقال : جئتكم ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله . فرد عليه ، ثم جلس ، فقال : عشرون . ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فرد عليه ، ثم جلس ، فقال : ثلاثون (١) .

وكما رواه أبو داود ، عن محمد بن كثير ، وأخرجه الترمذي والنسائي والبخاري من حديثه ، ثم قال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه ، وفي الباب عن أبي سعيد ، وعلي ، وسهل بن حنيف (٢) .

وقال البزار : قد روى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ، هذا أحسنها إسناداً ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن حرب الموصلي ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن الحسن بن صالح ، عن سفيان ، عن هكرمة عن ابن عباس قال : من سلم عليك من خلق الله فأرد عليه وإن كان عجمياً ، ذلك بأن الله يقول : (فحيوا بأحسن منها أو ردوها) .

وقال قتادة : (فحيوا بأحسن منها) يعني : للمسلمين (أو ردوها) يعني لأهل اللغة .

وهذا التنزيل فيه نظر ، بل كما تقدم في الحديث من أن المراد أن يرد بأحسن مما يحياه به ، فإن بلغ المسلم غاية ما شرع في السلام رد عليه مثل ما قال ، فأما أهل اللغة فلا يبعد كون السلام ولا يزدون ، بل يرد عليهم عما ثبت في الصحيحين ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وإذا سلم عليكم اليهود فقلوا يقول أحسنهم : إنا سلم عليكم قلل : وعليك (٣) .

وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام ، وإذا لقيتموهن في طريق فاضطربوهن إلى أضيقتهم (٤) .

وقال سفيان الثوري ، عن رجل ، عن الحسن البصري قال : السلام تطوع ، والرد فريضة ،

(١) مسند أحمد : ٤/٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٢) تنقيح الأثر : كتاب الإيمان ٧/٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

(٣) البخاري ، كتاب الاستئذان ٨/٧١ ، وسلم ، كتاب السلام ٧/٤ .

(٤) مسلم ، كتاب السلام ٧/٥ .

وهذا الذي قاله هو قول الطائفة : أن الرد واجب على من سلم عليه ، فيما لم يفعل ، لأنه خالف أمر الله في قوله : (فحيوا بأحسن منها أو ردوها) وقد جاء في الحديث الذي رواه (١) .

وقوله : (الله لا إله إلا هو) إخبار بترحيده وتفرده بالألوية لجميع المخلوقات ، وتضمن فيها ، لقوله : (ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه) . وهذه اللام موطئة تقسم ، فقوله : (الله لا إله إلا هو) خبر وانقسم أنه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيجازي كل عامل بعمله .

وقوله تعالى : (ومن أصدق من الله حديثاً) ، أي : لا أحد أصدق منه في حديثه وغيره ، ووعده ووعيدته ، فلا إله إلا هو ، ولارب سواه .

• قَالُوا كُنَّا مُتَّبَعِينَ وَيَعْنِي اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ وَمَا كَسِبُوا أَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٥٠﴾ وَدَاوُدَ لَمَّا كَفَرُوا فَكَفَرُوا سَوَاءً فَلَا تَحْزَنُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَجْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا أَضَلُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَتَّى وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَحْزَنُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا تَصْغُرُوا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِهِ بِيَتْنِكُمْ وَبَيْنَهُمْ يَمِينٌ أَوْ جَانٌّ وَكَرِهْتُمُ ضُرُوبَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ فَفَقْتُلُوكَ فَإِنْ آمَنُوا لَوْ كَفَّمْ يَقْتُلُوكَ وَالْقَوَالُ الْبُكَرُ السَّلْمُ قَالُوا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ سَيُؤْتُونَكَ آخَرِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يُأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلُّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْرِزُوا لَكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ وَيَكْفُوا إِلَيْهِمْ تُحْلُوهُمْ وَتَغْلُوهُمْ حَتَّى تَفْقَهُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٥٢﴾

يقول تعالى متكرراً على المؤمنين في اختلافهم في المتأقين على قولين ، واختلف في سبب ذلك ، فقال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا شعبة ، قال علي بن ثابت : أخبرني عبد الله بن يزيد ، عن زيد بن ثابت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد ، فرجع ناس خرجوا معه ، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين : فرقة يقول : قطعهم . وفرقة تقول : لا . فأنزل الله : (فما لكم في المتأقين فتين) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها طائفة ، ولها تني الخبيث كما تني التار خبيث القصة (٢) .

أخرجناه في الصحيحين (٣) ، من حديث شعبة .

(١) بعده يباين في المخطوطة . والأحاديث في وجوب رد السلام كثيرة ، منها ما رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سبني لسل على أخيه ، رد السلام ، وتشتيت الناس ، وإجابة الدعوة ، وعيادة المريض ، والتباعد الجائر » . (صحيح مسلم ، كتاب السلام : ٧-٣) .

(٢) مسند أحد : ١٨٤/٥ .

(٣) صحيح البخاري ، تفسير سورة النساء : ٥٩/٦ . ومسلم ، كتاب المتأقين : ١٢١/٨ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في وقعة أحد أن عبد الله بن أبي بن سلول رجع يومئذ بثلث الجيش ، رجع بثلاثمائة (١) وبني النبي صلى الله عليه وسلم في سبيلاته .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : نزلت في قوم كانوا بمكة ، قد تكلموا بالإسلام ، وكانوا يظهرون المشركين ، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم ، فقالوا : إن لقينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس ، وأن المؤمنين لا أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة ، قالت ففة من المؤمنين : اركبوا إلى الجيئة فاقتطعوا ، لأنهم يظهرون عليكم عدوكم ، وقالت ففة أخرى من المؤمنين : سبحان الله ! أوكا قالوا ، اقتتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به ؟ أمين لجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم تستحل دماؤهم وأموالهم . فكانوا كذلك ففتين ، والرسول عندهم لا ينهي واحدا من الفريقين عن شيء . فأنزل الله : (فإلهم في المنافقين ففتين) .

رواه ابن أبي حاتم ، وقد روى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وصكرمة ، ومجاهد ، والفسحاك ، وغيرهم قريب من هذا .

وقال زيد بن أسلم ، عن ابن سعد بن معاذ : أنها نزلت في تقاول الأوس والخزرج في شأن عبد الله بن أبي ، حين استسلموا (٢) منه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر في قضية الإفك . وهذا غريب ، وقيل غير ذلك .

وقوله : (والله أركسهم بما كسبوا) أي : ردهم وأوقعهم في الخلل ؛

قال ابن عباس : (أركسهم) أي : أوقعهم . وقال قتادة : أهلكهم . وقال السدي : أشلهم ؛

وقوله : (بما كسبوا) أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول واتباعهم الباطل .

(أنريدون أن تهذوا من أضل الله ومن يفسل الله فلن نجد له سبيلا) أي : لا طريق له إلى الهدى ولا خلاص له إليه

ثم قال : (ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء) أي : هم يريدون لكم الضلالة لتستوا أنتم ولأيام فيها ، وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم . ولهذا قال : (فلا تدخلوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ، فإن تولوا)

أي : تركوا الهجرة ، قاله العوفي عن ابن عباس . وأظهروا كفرهم (فدخلوهم واقتلوه حيث وجدتموهم ولا تدخلوا منهم ولدا ولا نصيرا) ، أي : لا تولوهم ولا تستنصروهم على الأعداء ما داموا كذلك .

ثم استثنى الله سبحانه من هؤلاء فقال : (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) ، أي : إلا الذين لجأوا وتجهزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة أو عقد ذمة ، فاجعلوا حكمهم كحكمهم . وهذا قول السدي ، وابن زيد ، وابن جرير .

وقد روى ابن أبي حاتم ، حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حاد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جندب ، عن الحسن الحسني : أن سراقا من مالک المدلجی حدثهم قال : لا ظهر — يعني النبي صلى الله عليه وسلم — على أهل بدر واحد ، وأسلم

(١) سيرة ابن هشام : ٦٤/٢ .

(٢) ينظر صحيح البخاري ، كتاب الشهادات : ٢٢٩/٣ . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ومن يملأ من رجل يملأني أفاءه في أهل ؟ والمضي : من يقوم يملأني إن كافأته حل سوء صنيعه ، فلا يملأني ؟ .

من حويلهم قال صرافة : بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قوى بني مدلج ، فأبته قلت : أنشدك النعمة . فقالوا : صه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعوه ، ما تريد ؟ قال : بلغني أنك تريد أن تبث إلى قوى ، وأنا أريد أن توادهم ، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام ، وإن لم يسلموا لم تخشَ قلوب قومك عليهم . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد خالد بن الوليد فقال : اذهب مع قافل ما يريد . فصالحهم خالد على أن لا يمينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن أسلمت قريش أسلموا معهم . فأنزل الله : (ودوا لو تكفروا كما كفروا تكفرون سواء فلا تفتلوا منهم أولياء) .

ورواه ابن مردويه ، من طريق حاد بن سلمة ، وقال : فأنزل الله : (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق فكان من وصل إليهم كانوا معهم على عهدهم . وهذا أنسب لسياق الكلام . وفي صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية : فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم ، ومن أحب أن يدخل في صلح محمد وأصحابه وعهدهم .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : نسخها قوله : (فإذا أسلخ الأشهر الحرم فاقطوا المشركين) ... الآية .

وقوله : (أو جاءكم حصرت صدورهم) ... الآية ، هؤلاء قوم آخرون من المستنسين من الأمر بقتلهم ، وهم الذين يجهلون إلى المصاف وهم حصيرة صدورهم ، أي : خيفة صدورهم مبغضين أن يقاتلوك ، ولا يهون عليهم أيضا أن يقاتلوا قومهم معكم ، بل هم لا لكم ولا عليكم . (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فقتلواكم) ، أي : من لطفه بكم أن يهزمكم ، (فإن احتزلوكم فلم يقاتلواكم وألقوا إليكم السلم) أي : للسلة (فما جعل الله لكم عليهم ميلا) أي : ليس لكم أن تقتلهم ، ما فاضت حللهم كللك ، وهؤلاء كالجماعة الذين خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين ، فمضوا لقتالهم كارهون ، كالباس ونحوه ، ولهذا نبى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العباس وحبره بأسره .

وقوله : (مستجلون آخريين يريدون أن يأمنواكم ويأمنوا قومهم) ... الآية ، هؤلاء في الصورة الظاهرة كن تقدمهم ، ولكن [نية] هؤلاء غير نية أولئك ، فإن هؤلاء منافقون يظهرون للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الإسلام ، يأمنوا بذلك عندكم على دماهم وأموالهم وذرياتهم ، ويصانئون الكفار في الباطن ، فيبعدون معهم ما يبعدون ، يأمنوا بذلك عندكم ، وهم في الباطن مع أولئك ، كما قال تعالى : (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم) ... الآية . وقال هاتما : (كلارودوا إلى الفتنة أو كسوا لها) ، أي : أنهم كوا لها

قال السدي : وافتتحت هاتما : الشرك (١) . وحكى ابن جرير ، من مجاهد : أنها نزلت في قوم من أهل مكة ، كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون رياء ، ثم يرجون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان ، يفتنون بذلك أن يأمنوا هاتما وهاتما ، فأمر بقتلهم إن لم يعتزلوا ويصلحوا . ولهذا قال تعالى : (فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفروا أيديهم) أي : من القتال (فخلوهم واقتلوهم حيث تقفؤهم) أي : أين أقيمتم (وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبيناً) أي بينا واضحا .

(١) في المخطوطة : الشرك . والمثبت من تفسير الطبري : ٢٨/١٠ .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْتَةً وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ جَبُولًا وَهُمْ مُؤْمِنُونَ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْتَةٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْتَةٌ لَنْ لَا يُجِدَ قَسِيماً شَرِيحاً مَتَابِعِينَ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿٥٨﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّداً يَجْزِأُفَرُّ جَهَنَّمَ خَلْقاً فَيُكَلِّبُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَدَهُ وَوَعْدُ اللَّهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى : ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه ، كما ثبت في الصحيحين ، عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، إلا بأحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والحبس ، والترك لدبته المأثوق للجماعة .

ثم إن ما وقع شيء من هذه الثلاث ، فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله ، وإنما ذلك إلى الإمام أو نائبه ، وقوله : (إلا خطأ) قالوا : هو استثناء منقطع ، كقول الشاعر (١) :

من الجبش ، لم تظلمن بعيداً ولم تظلم على الأرض إلا ريثما يبرء مرحل

وهذا شواهد كثيرة .

واختلف في سبب نزول هذه ، فقال مجاهد وغير واحد : نزلت في عياض بن أبي ربيعة أشقى أبي جهل لأنه ، وهي أسماء بنت مخزومة ، وذلك أنه قتل رجلاً كان يطلبه مع أخيه على الإسلام ، وهو الحارث بن يزيد العامري ، فأفسر له عياض السود ، فأسلم ذلك الرجل ، وهاجر وعياض لا يشعر ، فلما كان يوم الفتح رآه ، فظن أنه على دينه ، فحمل عليه فقتله ، فأقر الله هذه الآية (٢) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : نزلت في أبي الدرداء ، لأنه قتل رجلاً وقد قال كلمة الإسلام حتى وقع السيف ، فأهوى به إليه ، فقال كلمته ، فلما ذكر ذلك لنبى صلى الله عليه وسلم قال : إنما قالوا متعتاً . فقال له : وهكذا شققت مع قلبه (٣) .

وقوله : (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقية مؤتمنة ودية مسلمة إلى أهله) هذان واجبان في قتل المسلم ، أحدهما : الكفارة لا ارتكابه من الذنب العظيم ، وإن كان خطأ ، ومن شرطها أن تكون حتى رقية مؤتمنة فلا تجزى به الكفارة .

(١) هو جيز بن ضبة . والبيت في ديوانه : ٤٥٧ . وتفسير الطبري : ٣١/١٠ . والربيع : واحد ربيعة . وهي الملاة إذا كانت قملة واحدة . والمرسل : الموقب .

يقول ابن جرير الطبري : ولم تنال على الأرض إلا أن تنال ذيل البرد . وليس ذيل البرد من الأرض . وهذا قوله أبي حنيفة في جهاز القرآن : ١٣٦/١ - ١٣٨ .

(٢) ينظر أسف النهاية : ٤٢٣/١ . حقيقنا .

(٣) وردت هذه القصة في صحيح مسلم في شأن القناد بن الأسود ، ينظر كتاب الإيمان : ١٦/١ ، ١٧ . وينظر مسند أحمد : ٤٣٨/١ ، ٤٣٩ ، ٢٠٧/٥ .

وحكى ابن جرير ، عن ابن عباس ، والشعبي ، وإبراهيم النخعي ، والحسن البصري أنهم قالوا : لا يجرى الصغير حتى يكون قاصداً للإيمان . وروى من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : في حرف ، أي : (تخرير رقية مؤمنة) لا يجرى فيها صبي (١) :

ولما روى ابن جرير أنه إن كان مولوداً بين أبوين مسلمين أجراً ، وإلا فلا ، والذي عليه الجمهور : أنه متى كان مسلماً صبح حقه عن الكفارة ، سواء كان صغيراً أو كبيراً .

وقال الإمام أحمد : أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن رجل من الأنصار : أنه جاء بأمة سوداء ، فقال : يا رسول الله ، إن علي رقية مؤمنة ، فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقها . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت : نعم . قال : أتشهدين أني رسول الله ؟ قالت : نعم . قال : أتؤمنين بالبعث بعد الموت ؟ قالت : نعم . قال : أعتقها (٢) .

وهذا إسناده صحيح ، وجهاته الصحيحة لا تضر .

وفى موطأ مالك ، ومسندي الشافعي وأحمد ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود والنسائي ، من طريق هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن معاوية بن الحكم أنه لما جاء ب تلك الجارية السوداء قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الله ؟ قالت : في السماء . قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أعتقها ، فإنها مؤمنة (٣) . وقوله : (ودية مسلمة إلى أمه) هو الوليب [الثاني] فيما بين القاتل وأهل القتل ، عوضاً لهم عما فاتهم من فريتهم . ويحمله الدية إنما تجب لأخماس ، كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن ، من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن زيد بن جبير ، عن خنيس بن حذاف ، عن ابن مسعود قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم [في] دية الخطأ عشرين بنت مسكينة ، وعشرين بنى خاضع ذكورا ، وعشرين بنت لبون ، وعشرين جندة وعشرين حقة .

لفظ النسائي (٤) ، وقال البرملي : لا تعرض مرفوعاً إلا من هذا الوجه ، وقد روى عن عبد الله مولوداً (٥) ، وكلنا روى عن طائفة .

وقيل : تجب أرباعاً . وهذه الدية إنما تجب على حاكمة القاتل ، لا على ماله ، قال الشافعي رحمه الله . ولم أعلم مخالفاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدية على الماكلة ، وهو أكثر من حديث الخاصة (٦) . وهذا الذي أشار إليه رحمه

(١) كذا ، ونص الطبري : ٣٦/١٠ من قتادة : « قال في : (تخرير رقية مؤمنة) ، لا يجرى فيها صبي » .

(٢) مسند أحمد : ٤٥١/٣ ، ٤٥٢ .

(٣) مسند أحمد : ٤٤٧/٥ .

(٤) النسائي ، كتاب القسمة : ٤٤٤/٨ ، وتحفة الأحوص : كتاب الهيات : ٦٤٣/٤ ، وابن ماجه ، كتاب الهيات ، الحديث ٢٦٢١ : ٨٧٩/٢ .

مسند أحمد : ٣٨٤/١ ، ٤٥٠ .

هذا وابنة الخاضع : هي التي دخلت في السنة الثانية . وابن البرون ما أتى عليه سئلان ودخل في الثالثة ، فصارت أمه لبونا ، أي ذات لبن بوله آخر . والمالعة : ما تم له أربع سنوات . والمخقة ، بكسر الميم وتشديد القاف : هي الماخلة في الرابعة . (٥) في المظنونة : وقد روى عن عبد الله مرفوعاً . والمثلث من تحفة الأحوص : ٦٦٤/٤ . والحديث الموقوف هو المروي عن الصحابة .

(٦) الأمام : ١٠١/٦ .

الله قد ثبت في غير ما حديث ، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : اقتلت امرأتان من هذيل ، فرمت إحدهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها ، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقضى أن دية جثتها عشرة حيد أو أمة ، وقضى بدية المرأة على عاقلتها (١) .

وهذا يقتضي أن حكم عبد الخطأ (٢) حكم الخطأ المحض في وجوب الدية ، لكن هذا يجب فيه الدية ألقاها كالعبد ، لشبهه به .

وفي صحيح البخاري ، عن عبد الله بن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا . فحطوا يقولون : صيأنا صيأنا . فبذل خالد يقتلهم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع يديه وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد . وبعث علياً فودى قتلاهم وما أئلف من أولادهم ، حتى صيلف الكلب (٣) .

وهذا يؤيد منه أن خطأ الإمام أو نائبه يكون في بيت المال .

وقوله : (إلا أن يصدقوا) أي : تجب فيه الدية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا بها فلا تجب .

وقوله : (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقية مؤمنة) ، أي : إذا كان القاتل مؤمناً ، ولكن أوليائه من الكفار أهل حرب ، فلا دية لهم ، وحل القاتل بتحرير رقية مؤمنة لا خير .

وقوله : (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) ... الآية ، أي : فإن كان القاتل أوليائه أهل ذمة أو حلفاء ، فلهم دية قبلهم ، فإن كان مؤمناً فدية كاملة ، وكلما إن كان كافراً أيضاً عند طائفة من العلماء ، وقيل : يجب في الكافر نصف دية للمسلم ، وقيل : ثلثها ، كما هو مفصل ، ويجب أيضاً على القاتل تحرير رقية مؤمنة .

(فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) أي : لا إظهار بينهما ، بل يسرد صومهما إلى آخرهما ، فإن أفطر من غير طهره من مرض أو حيض أو نفاس ، استأنف ، واختلفوا في السفر : هل يقطع أم لا ؟ على قولين .

وقوله : (توبة من الله وكان الله علياً حكيماً) أي : هذه توبة القاتل خطأ إذا لم يجد الحق صام شهرين متتابعين .

واختلفوا فيما لا يستطيع الصيام : هل يجب عليه إطعام ستين مسكيناً ، كما في كفارة الظهار ؟ على قولين ، أحدهما : نعم . كما هو منصوص عليه في كفارة الظهار ، وإعمالاً يذكر هاهنا ، لأن هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير ، فلا يناسب أن يذكر [فيه] الإطعام لما فيه من التسهيل والتخفيف . والقول الثاني : لا يدل على الإطعام ، لأنه لو كان واجباً لما أنصر بيانه عن وقت الحاجة .

(وكان الله علياً حكيماً) قد تقدم تفسيره غير مرة .

ثم لما بين تعالى حكم القاتل الخطأ شرع في بيان حكم القاتل العمد ، فقال : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) ... الآية ، وهذا تهديد شديد ووحيد أكيد لن تعاقب هذا الذنب العظيم ، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب النيات ، ١٤/٩ ، ١٥ . وسلم ، كتاب التوبة : ١١٠/٥ . والبردة : فيه نفسه أو الآية . وأصل التوبة : التراجع الذي يكون في وجه التمس .

(٢) وهو ما يكون القاتل فيه ضحية لا يستعمل فيه غالباً ، كالخفية والحبر ونحوهما .

(٣) البخاري ، كتاب الأسكاف ، ٩١/٩ ، ٩٢ ، وكتابه المغازي : ٢٠٣/٥ . وصيلة الكلب : الإله الذي يخرجه فيه .

حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله بالحق) .. الآية . وقال تعالى : (قل تمالوا أنل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشرکوا به شيئاً) ... الآية . وقال تعالى : (قل تمالوا أنل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشرکوا به شيئاً) ... الآية ، والآيات .

والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جداً ، من ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدمام (١) . وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود ، من رواية عمرو بن الوليد بن عتبة المصري ، عن عباد بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال المؤمن معقلاً (٢) صالحاً ما لم يصب دماً حراماً ، فإذا أصاب دماً حراماً بكتفه (٣) . وفي حديث آخر : لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم (٤) . وفي الحديث الآخر . لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبه الله في النار . وفي الحديث الآخر : « من أمان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة ، جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه : آيس من رحمة الله » (٥) .

وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يرى أنه لا توبة لقاتل عبداً مؤمناً .

وقال البخاري : حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، حدثنا مضرة بن النبتان قال : سمعت ابن جبير قال : انخطف فيها أهل الكوفة ، فترحلت إلى ابن عباس فسألته عنها ، فقال : نزلت هذه الآية : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) ، هي آخر ما نزل ، ومانسختها شيء (٦) .

وكذا رواه هو أيضاً ومسلم والنسائي من طرق ، عن شعبة ، به . ورواه أبو داود (٧) ، عن أحمد بن حنبل ، عن ابن مهدي ، عن سفیان الثوري ، عن مضرة بن النبتان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) فقال : لم ينسخها شيء . وقال في هذه الآية : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) إلى آخرها . قال : نزلت في أهل الشرك .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، حدثني سعيد بن جبير — أو حدثني الحكم ، عن سعيد بن جبير — قال : سألت ابن عباس عن قوله : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) ، قال : إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام ، ثم قتل مؤمناً متعمداً ، فجزاؤه جهنم ولا توبة له — فذكرت ذلك لجهاد فقال : لا من ندم .

حدثنا ابن حميد . وابن وكيع قال : حدثنا جرير ، عن يحيى الجابر ، عن سالم بن أبي الجعد قال : كنا عند ابن عباس بعد ما كتف بصره ، فأراه رجلاً فناداه : يا عبد الله بن عباس ، ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً ؟ فقال : (جزاؤه

(١) البخاري ، كتاب القينات ، ٢/٩ .

(٢) في المخطوطة : صحت صالحاً . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب القينات ، ١٠٤/٤ .

ومعنى معقلاً : صرماً في طاقه . ومعنى بلع : اقتطع من الإماء فلم يقدر أن يصرك .

(٤) سنن ابن ماجة ، كتاب القينات ، الحديث ٢٦١٩ = ٨٧٤/٢ .

(٥) سنن ابن ماجة ، كتاب القينات ، الحديث ٢٦٢٠ = ٨٧٤/٢ .

(٦) الصحيح ، تفسير سورة النساء : ٥٩/٦ . ومسلم ، كتاب القينات ، ٢٤١/٨ . والنسائي ، كتاب القينات ، ٨٥/٧ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب القينات ، باب تعظيم قتل المؤمن : ١٠٥/٤ .

جهنم عائدا فيها وغضب الله عليه ولته وأعد له عذابا عظيما : قال : أُرأيت إن تاب وعمل صالحا لم اعطى ؟ قال ابن عباس : لكانته أمه . وأنتى له القوية والمغنى . والذي نفسى بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لكانته أمه . قاتل مؤمن متعمدا » ، جاء يوم القيامة أنطه يمينه أو بشاله ، تشمخب (١) أوداجه [دمًا] في قبيل عرش (٢) الرحمن ، يلزم قاتله بشاله يمينه الأخرى ، يقول : سل هذا فم قلنى ؟ وأيم الذى نفس جبد الله بيده لقد أنزلت هذه الآية ، لما نسخها من آية حتى قبض نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما نزل بعدها من برهان :

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت يحيى بن المغيرة يحدث ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن عباس : أن رجلا أتاه فقال : أُرأيت رجلا قتل رجلا متعمدا ؟ فقال : (جزاؤه جهنم عائدا فيها) :: الآية قال : لقد نزلت في آخر ما نزل من نسخها شيء حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نزل وحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أُرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحا لم اعطى ؟ قال : وأنتى له بالقوية : وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لكانته أمه . رجل قتل رجلا متعمدا ، يجيء يوم القيامة أخذا قاتله يمينه أو يساره سوا أخذا ولته يمينه أو بشاله - تشمخب أوداجه فما في قبيل العرش يقول : يارب ، سل عذابي فم قلنى » (٣) ؟

وقد رواه النسائي (٤) عن قتيبة ، وابن ماجه عن محمد بن الصباح ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمار الدقني ويحيى الجابر وثابت البناني ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن عباس ، فذكره . وقد روى هذا عن ابن عباس من طرق كثيرة . وعن ذهب إلى أنه لا قوية له من السلف : زيد بن ثابت ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وعبد بن حبر ، والحسن ، وقائدة ، والضحالك بن مزاحم ، نقله ابن أبي حاتم .

وفي الباب أحاديث كثيرة ، من ذلك ما رواه أبو بكر بن مردويه المانظ في تفسيره : حدثنا مطيع بن أحمد ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي (ح) وحدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إبراهيم بن فهد قال : حدثنا عبيد بن عبيدة ، حدثنا محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن أبي عمرو بن شرحبيل ، عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يجيء المقتول متعلقا بقاتله يوم القيامة ، أخذا رأسه يمينه الأخرى فيقول : يارب ، [سل هذا فم قلنى] ؟ قال فيقول : قلته لتكون البرة لك . فيقول : لئن لم ي . قال : ويجيء آخر متعلقا بقاتله فيقول : رب ، سل هذا فم قلنى [قال : فيقول قلته لتكون البرة لفلان . قال : فلئن لم يزل يئله . قال : فيجئ في النار سبعين خريفا . وقد رواه عن النسائي ، عن إبراهيم بن المنذر المروقي عن عمرو بن حاصم ، عن محمد بن سليمان ، به .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا صفوان بن عيسى ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن أبي حنيفة ، عن أبي هريرة قال : سمعت معاوية رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل ذنب سوى الله أن يفره إلا الرجل يموت كافرا ، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا » (٥) .

(١) نفس القابري ١٠/٢٢ : « لكانته أمه » رجل قتل رجلا متعمدا . . .

(٢) تشخب : تسيل ، والأوداج : المروق التي حول الخلقوم .

(٣) يعني : بين يدي العرش .

(٤) مسند أحمد : ٢٤٠/١ .

(٥) التمسال ، كتاب التصریح : ٨٥/٧ ، وابن ماجه ، كتاب القبيات ، الحديث ٢٦٢١ : ٨٦٢/٢ .

(٦) مسند أحمد : ٩٩/٤ .

وكذا رواه الترمذي ، عن محمد بن النعمان ، عن صفوان بن يحيى ، به .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا سمويه ، حدثنا عبد الأعلى بن مسهر ، حدثنا صدقة بن بخالد ، حدثنا خالد بن دهمان ، حدثنا ابن أبي زكريا قال : سمعت أم البراءة تقول : سمعت أبا البراءة يقول : سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كل ذنب عصى الله أن يضره إلا من مات مشركا ، أو من قتل مؤمنا متعمدا » .

وهذا قريب جدا من هذا الوجه ، والمفوظ حديث معاوية المتقدم ، فله أعلم .

ثم روى ابن مردويه من طريق بقية بن الوليد ، عن نافع بن يزيد ، حدثني ابن جبر الأنصاري ، عن داود بن الحصين ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل مؤمنا متعمدا فقد كفر بالله عز وجل » . وهذا حديث متكرر أيضا ، وإسناده لكفكم فيه جدا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا النضر ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد قال : أتاني أبو العالية ثنا وصاحبني ، فقال لنا : حكمنا فأننا أحب شيئا مني (١) ، وأوحى الحديث مني . فأتلق بنا إلى بشر بن عاصم - فقال له أبو العالية : حدث هؤلاء حديثك . فقال : حدثنا عتبة بن مالك الليثي قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم صرية ، فأغار على قوم ، فشد من القوم (٢) ، رجل ، فأتيه رجل من الصرية شاعرا [سيفه] فقال للشام من القوم : إني مسلم . فلم ينظر فيما قال ، فخر به قتله ، فمضى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولاً شديداً ، فبلغ القتال ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يغضب إذ قال القتال : والله ما قال الذي قال إلا تمردا من القتل ، قال : فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وعن قلبه من الناس ، وأخذ في خطبته ، ثم قال أيضا : يا رسول الله ، ما قال الذي قال إلا تمردا من القتل . فأعرض عنه وعن قلبه من الناس ، وأخذ في خطبته ، ثم لم يصبر فقال الثالثة : والله يا رسول الله ما قال إلا تمردا من القتل . فأنزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف المسألة في وجهه ، فقال : « إن الله إني من قتل مؤمنا ، ثلاثا » (٣) .

ورواه الترمذي من حديث سليمان بن المغيرة .

والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وعظمتها : أن القتال له ثوبة فيما بينه وبين ربه عز وجل ، وإن تاب وأتاب وخضع وخضع ، وعمل عملا صالحا ، بدل الله ميثاقه حسناته ، وعرض المقتول من ظلامته وأزياه عن طلابه . قال الله تعالى : (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) إلى قوله : (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) .. الآية ، وهذا خبر لا يجوز نسخه . وحمله على المشركين ، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلافت الظاهر ، ويحتاج إلى دليل ، والله أعلم . وقال تعالى : (قل : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله) ... الآية . وهذا عام في جميع الذنوب ، من كفر وشرك ، وشك ونفاق ، وفلن وصق ، وغير ذلك : كل من تاب من أي ذلك تاب الله عليه .

(١) في المسند : فأننا أحب مني منا .

(٢) أي : منا وأسرع حربا . وفي المسند : قطع ، وقال الشافعي .

(٣) مسند أحمد = ٢٨٨/٥ ، ٢٨٩ .

وقال تعالى : (إن الله لا يفرق أن يشرك به ويفتر ما دون ذلك لمن يشاء) . فلهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك ، وهي المذكورة في هذه السورة للكرامة بعد هذه الآية وقيلها ، لتقوية الرجاء . والله أعلم .

وبعث في المسيحيين خبر الإسرائيل الذي قتل مائة نفس ، ثم سأل علما : هل لي من توبة . قال : بين حول يديك وبين التوبة ١٢ ثم أرشده إلى بلد يشهد الله فيه ، فهاجر إليه ، فمات في الطريق ، فقبضته ملائكة الرحمة (١) . كما ذكرناه غير مرة ، إن كان هذا في بني إسرائيل فكأن يكون في هذه الأمة التوبة مقبولة بطريق الأولى والأخرى ، لأن الله وضع عنا الأغلال والأصبار التي كانت عليهم ، وبعث نبيا بالحنيفية السمحة . فأما الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) ... الآية ، فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف : هذا جزاؤه إن جزاءه ، وقد رواه ابن مردويه مرفوعا ، من طريق محمد بن جاسع الطمار ، عن العلاء بن ميمون الصنبري ، عن حجاج الأسود ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة مرفوعا ، ولكن لا يصح ، ومعنى هذه الصيغة : أن هذا جزاؤه إن جوزي عليه ، وكذا كل وعيد على ذنب ، لكن قد يكون كذلك معارض من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه ، على قول أصحاب المرافعة أو الإحباط . وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد ، والله أعلم بالصواب . ويتقدير دخول القتال إلى النار ، إما على قوله ابن عباس ومن والله أنه لا توبة له ، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحة ينجمه فليس يخلد فيها أبدا ، بل الخلود هو المكث الطويل . وقد تواردت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى ذرة من إيمان (٢) . ولما حدثت معارضة كل ذنب صمى الله أن يفتره إلا الرجل يموت كافرا ، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا . فذهسى ، والرجى ، فإذا انتهى الرجى في هاتين الصورتين لا يبقى وقوع ذلك في أحدهما ، وهو القتل ، لا ذكرنا من الأدلة . وأما من مات كافرا فالتص أنه لا يُفتر له الجنة ، ولما مطالبة المقتول للقاتل يوم القيامة فإنه حتى من حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالتوبة ، ولا فرق بين المقتول والمسروق منه ، والمغصوب منه والمقتولف وسائر حقوق الآدميين ، فإن الإجماع معتقد على أنها لا تسقط بالتوبة ، ولا بد من أمائها إليهم في صحة التوبة ، فإن تملز ذلك فلا بد من الطلابة يوم القيامة ، لكن لا يلزم من وقوع الطلابة وقوع المغازاة ، وقد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها ، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة ، أو يرضى الله للمقتول من فضله بما يشاء ، من قصور الجنة ونعيمها ، ورفع درجته فيها ونحو ذلك ، والله أعلم .

ثم للقتل العمد أحكام في الدنيا وأحكام في الآخرة ، أما الدنيا فتسلط أولياء المقتول عليه ، قال الله تعالى : (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) ... الآية ، ثم هم غيرون بين أن يقتلوا ، أو يعفوا ، أو يأخذوا دية مغلظة (٣) : ثلاثون حقة ، وثلاثون جلدعة ، وأربعون خشفة (٤) ، كما هو مقرر في كتب الأحكام .

واختلف الأمة : هل يجب عليه كفارة حتى رقية ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو إطعام ٤ على أحد القولين كما تقدم في كفارة الخطأ ، على قولين : فالشافعي وأصحابه وطائفة من العلماء يقولون : نعم ، يجب عليه ، لأنه إذا برجت

(١) مسلم ، كتاب التوبة ، من أبي سعيد الخدري = ١٠٤١٠٣/٨ .

(٢) البخاري ، كتاب الإيمان : ١٢/١ .

(٣) الخلفاء - يفتح الله وكسر اللام - : الحامل من التوف .

الكفارة في الخطأ فلان نجبه في العمد أولى : وطردوا هذا في كفارة اليمين النعوس ، واعتصموا بقضاء الصلوات المروكة عمداً ، كما أجمعوا على ذلك في الخطأ .

وقال أصحاب الإمام أحمد وأخرون : قتل العمد أعظم من أن يُكفر ، فلا كفارة فيه ، وكلنا اليمين النعوس ، ولا سبيل [علم] إلى الفرق بين هاتين المبروتين وبين الصلاة المروكة عمداً ، فإنهم يقولون : بوجوب قضائها وإن تركت عمداً ، وقد أحجج من ذهب إلى وجوب الكفارة في قتل العمد بما رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا عازم بن الفضل ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن إبراهيم بن أبي حبل ، عن الثرييف بن عياض ، عن واثلة بن الأسقع قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم نفر من بني سليم فقالوا : إن صاحبنا لما قد أوجب (١) . قال : « فليتي رقية يفدي الله بكل عضو منها عضواً منه من النار » (٢)

وقال أحمد : حدثنا إبراهيم بن إسحاق ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن إبراهيم بن أبي حبل [عن] الثرييف الدبلي قال : أتينا واثلة بن الأسقع العتيبي قلنا : حدثنا حديثاً سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . [قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم] في صاحب لنا قد أوجب ، فقال : أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار » (٣) . وكلنا رواه أبو داود والشافعي ، من حديث إبراهيم بن أبي حبل ، به . ونقل أبو داود عن الثرييف الدبلي قال : أتينا واثلة بن الأسقع قلنا : حدثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان . فنضب فقال : إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد ويتقص ، قلنا : إنا أردنا حديثاً سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب - يعني الثارب القتل ، فقال : أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار » (٤) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَ الْيَكْرُ الْإِسْلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَامٌ كَثِيرٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَمَّا آتَاكُمْ اللَّهُ طَبَاقًا فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٥﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبي بكر ، وحسين بن محمد ، وخلف بن الوليد ، (٥) قالوا : حدثنا إسرائيل ، عن سيارك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مر رجل من بني سليم بامرئ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسوق غنماً له ، فسلم عليهم فقالوا : ما سلم علينا إلا ليتوذننا . فسلموا إليه فقتلوه ، وأمرنا بيمينه النبي صلى الله عليه وسلم [فترلت هذه الآية] : (يا أيها الذين آمنوا) .. إلى آخرها .

(١) أوجب الرجل : إذا فعل فعلاً استوجب به النار .

(٢) مسند أحمد : ١٠٧/٤ .

(٣) مسند أحمد : ٤٩١/٣ .

(٤) سنن أبي داود : ٢٩/٤ .

(٥) رواية الإمام أحمد عن يحيى بن أبي بكر في المسند : ٢٢٩/١ ، وعن حسين بن محمد وخلف بن الوليد في المسند :

ورواه الترمذى فى التفسير ، عن عبد بن حميد ، عن عبد العزيز بن أبى رزمة ، عن إسرائيل ، به : وقال : هذا حديث حسن ، وفى الباب عن أسامة بن زيد (١) .

ورواه الحاكم من طريق عبد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، به : ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٢) .

ورواه ابن جرير من حديث عبد الله بن موسى وعبد الرحيم بن (٣) سليمان ، كلاهما عن إسرائيل ، به : وقال فى بعض كتبه غير التفسير - وقد رواه من طريق عبد الرحمن (٤) فقط - : وهذا خبر عتدنا صحيح سنده ، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين مقيماً ، لعل منها : أنه لا يعرف له خروج عن مياك إلا من هذا الوجه ، ومنها : أن حكومة فى روايته عندهم نظر ، ومنها أن الذى أنزلت فيه الآية غنطف فيه ، فقال بعضهم : أنزلت فى علم بن جثممة ، وقال بعضهم : أسامة بن زيد . وقيل غير ذلك .

قلت : وهذا كلام غريب ، وهو مردود من وجوه أحدها : أنه ثابت عن مياك ، حدث به عنه غير واحد من الكبار .
الثانى : أن حكومة محتج به فى الصحيح . الثالث : أنه مروى من غير هذا الوجه عن ابن عباس ، كما قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس : (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً) قال : قال ابن عباس : كان رجل فى غُثَيْمَةَ [له] ، فلحقه المسلمون ، فقال : السلام عليكم : فقتلوه وأخلوا غُثَيْمَةَ فترت : (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً) (٥) .

ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم ، من طريق سفيان ابن عيينة ، به (٦) .

وأما قصة علم بن جثممة فقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن محمد بن إسحاق حدثنى يزيد ابن عبد الله بن قُتَيْبَة ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبى حنبلد [عن أبيه عبد الله بن أبى حنبلد (٧)] رضى الله عنه قال : بهتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم ، فخرجت فى نفر من المسلمين ، فيهم : أبو قتادة الخارث بن رُبْعِيَّة ، وعلم بن جثممة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا بطعن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعى ، على قعود (٨) له ، معه مَتَيْح (٩) ووطب من لبن ، فلما مر بنا سلم علينا ، فأمسكتنا عنه ، وحمل عليه علم بن جثممة فقتله ، بشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعمقه ومَتَيْحَه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا القرآن : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا ضربتم فى سبيل الله) إلى قوله تعالى : (خير) (١٠) .

(١) ثقة الأحوص ، تفسير سورة النساء : ٢٨٦/٨ .

(٢) المستدرک : ٢٢٥/٢ .

(٣) الذى فى تفسير البخارى من طريق عبد الرحيم بن سليمان وحده ، ينظر : ٧٦/٩ .

(٤) كلا .

(٥) صحيح البخارى ، تفسير سورة النساء : ٥٩/٦ .

(٦) تفسير البخارى : ٧٥/٩ .

(٧) سقط من المخطوطة ، أثبت من المندة ، وسيرة ابن هشام : ٦٢٦/٢ .

(٨) القعود : اليمير يقتضيه الراعى فى كل حاجة .

(٩) المتح : تصغير المتاع . والوطب : وماء الين .

تفرد به أحمد (١)،

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا جرير عن ابن إسحاق عن نافع أن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علم بن جثامة مبعوثاً ، فلقاهم عامر بن الأصبغ ، فجاهم بتحية الإسلام وكانت بينهم حدة (٢) في الجاهلية ، فرماه علم بهشم فقتله ، فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحكم فيه حينة والأقرع ، فقال الأقرع : يا رسول الله من (٣) اليوم وغيت غدا . فقال حينة : لا والله ، حتى تلوق نساؤهن الثكل ماذاق نساؤي . فجاء علم في بردين ، فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عسرَ الله لك : فقام وهو يطلي دموحه برديه ، فامضت له سابعة حتى مات ، ودفنوه فلطفته الأرض ، فجاهوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فقال : إن الأرض قبل من هو شر من صاحبكم ، ولكن الله أراد أن يظلمكم [من حرمتكم (٤)] . ثم طرحوه بين صدق جبل (٥) ، وألقوا عليه الحجارة ، ونزلت : (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيئنا .. الآية . وقال البخاري : قال حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد : إذا كان رجل مؤمن يفتي إيمانه مع قوم كفار ، فأظهر إيمانه فقتلته ، فذلك كنت أنت تحيي إيمانك بمكة من قبل .

هكذا ذكر البخاري هذا الحديث معلقاً بغيره (٦) ، وقد روي مطولاً موصولاً ، فقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا حاد بن حل البغدادي ، حدثنا جعفر بن سلمة ، حدثنا أبو بكر بن حل بن مقدم ، حدثنا حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية ، فيها المقداد بن الأسود ، فلما أتوا القوم وجدهم قد ضربوا ، وبني رجل له مال كثير لم يرح فقال : أشهد أن لا إله إلا الله . وأهوى إليه المقداد فقتله ، فقال له رجل من أصحابه : أقتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله . ؟ والله لأذكرن ذلك فتبي صلى الله عليه وسلم . فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله ، فقتله المقداد . فقال : ادعوا إلى المقداد . يا مقداد ، أقتلت رجلاً يقول : لا إله إلا الله ، فكيف لك بلا إله إلا الله غدا ؟ قال : فأذن الله : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا ضربتم في سبيل الله فتيئنا ، ولا تقولوا لمن أتىكم السلام : لست مؤمناً . يتضون عرض الحياة الدنيا ، فصد الله عنكم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فن الله عليكم فتيئنا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد : وكان رجل مؤمن يفتي إيمانه مع قوم كفار ، فأظهر إيمانه ، فقتلته ، وكذلك كنت تحيي إيمانك بمكة قبل . (٧) .

(١) مسند أحمد : ١١/٦ . وينظر أسد الغابة : ١١٧/٣ بتحقيقنا .

(٢) في الخطوط : جنة . بالجم ، والمثبت عن تفسير الطبري : ٧٢/٩ ، والحنة - بكسر فتح - كما في تاج العروس : الحنة .

(٣) في الخطوط : سر . والمثبت عن الطبري .

(٤) لست في تفسير الطبري .

(٥) في الخطوط : ثم طرحوه في جبل . والمثبت عن تفسير الطبري ، والصدف : جانب الجبل الذي يقابل منه .

(٦) البخاري ، كتاب التيجات : ٣/٩ .

(٧) ذكر المفسرون - كما ترى - أن قولاً شقي في تحييد من نزلت هذه الآية في شأنه ، ويبدو أن الحادثة قد تكررت ، وأن الآية نزلت في غير واحد ، وفي قوله عليه السلام المقداد : « كذلك كنت تحيي إيمانك بمكة قبل » لتذكير به إلى أنه لا ينبغي الإعتناء إذا اجتمعت له أسباب القوة أن ينسى أيام ضعفه ، فانه إن فعل استبد به الفروع ، وملكه الأثر والبطر .

وقوله : (فَعَسَىٰ أَلَّا يَكُنِ السَّلَامُ) أى : غير ما رغبتم فيه من عرض الحياة الدنيا ، الذى جعلكم حل قتل مثل هذا الذى أتى إليكم السلام ، وأظهر إليكم الإيمان ، فغفلتم عنه ، وأنتم ممتوه بالمصانعة والفتية ، لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ، فاحذروا الله من الظالم المخلط خير لكم من مال هذا .

وقوله : (كَلَّا كُنْتُمْ فِي الْغَيْبِ) أى : قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذى يُسر إيمانه ويحييه من قومه ، كما كنتم في الحديث المرفوع آنفاً ، وكما قال تعالى : (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْفَعُونَ فِي الْأَرْضِ) ... الآية ، وبهذا هو مذهب سيد بن جبير ، كما زواه الثوري ، عن حبيب بن أبى حمزة ، عن سعيد بن جبير في قوله : (كَلَّا كُنْتُمْ فِي الْغَيْبِ) يخفون إيمانكم في الشركين .

ورواه عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، أنبأني عبد الله بن كثير ، عن سعيد بن جبير في قوله : (كَلَّا كُنْتُمْ فِي الْغَيْبِ) تستخفون بإيمانكم ، كما استخفى هذا الراسي بإيمانه .

وبهذا اختيار ابن جرير ، وقال ابن أبى حاتم : وذكّر عن قيس ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير قوله : (كَلَّا كُنْتُمْ فِي الْغَيْبِ) لم تكونوا مؤمنين (فمن الله عليكم) أى : تاب عليكم ، فحلف أسامة (١) لا يقتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله بعد ذلك الرجل ، وما أتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .

وقوله : (فَبُيِّنُوا) تأكيد لما قلتم . وقوله : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) قال سعيد بن جبير : هذا تهديد ووعيد .

لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَفَعَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً وَلَا يَدْرِي اللَّهُ الْخَالِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ دَرَجَتٌ مِنْهُ بِمَنْفَعَةٍ وَرَحْمَةٍ وَكَانَ اللَّهُ غَوْرًا رَحِيمًا ﴿٣٠﴾

قال البخاري : حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت : (لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً ، فكتبها ، فجاء ابن أم مكتوم فشكا غشراً له ، فأنزل الله : : (خير أول القدر) (٢٩) .

حدثنا محمد بن يوسف ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت : (لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : ادع فلاناً فجاءه معه الدواة والوَح والكُتِف (٣٠) فقال : اكتب : (لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وخُتِف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم ، قال : يا رسول الله ، أنا خير من ٢٩ نزلت مكانها : (لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) .

(١) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه . يظر أسامة الثانية : ٨٠٪ بحقيقنا .

(٢) البخاري ، تفسير سورة التساء : ٦٠/٨ .

(٣) الكُتِف : ظم حريش يكون في أصل كتف الجوان من الناس والحواس ، كلوا يكتبون فيه قلعة القرائن منظم .

وقال البخاري أيضا: حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن حنن بن سعيد الساعدي: أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، قال: فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأعبرت أن زيد بن ثابت أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى عليّ، (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله)، فجاهه ابن أم مكتوم، وهو عليها عليّ، قال: يا رسول الله، والله لو استطعت الجهاد لجاهدت... وكان أعمى... فأنزل الله في رسوله صلى الله عليه وسلم وقضاه على فضلي فضلت عليّ حتى غشت أن تُرضى (١) فضلي، ثم سرى عنه، فأنزل الله: (غير أولي الضرر).

انفرد به البخاری (۲) دون مسلم ، وقد روی من وجه آخر عن زید فقال الإمام أحمد :

حدثنا سليمان بن خالد ، أنبأنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد قال : قال زيد بن ثابت : إني كأهد إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أوحى إليه ، قال : وغشيته السكينة ، قال : فوقع فخلده على فخلطى حين غشيته السكينة . قال زيد : فلا والله ما وجدت شيئاً قط أنزل من فخلذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مرى عنه فقال : اكسبه يا زيد . فأعطت كسفاً فقال : اكسب . (لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) إلى قوله : (أجراً عظيماً) . فكُتبت ذلك في كسف ، فقام حين سمعها ابن أم مكتوم - وكان رجلاً أعمى - وقام حين سمع فضيلة المجاهدين فقال : يا رسول الله ، وكيف بمن لا يستطيع الجهاد بمن هو أعمى - وأشياء فذلك . قال زيد : فو الله ما مضى كلامه - فو ما هو إلا أن قضى كلامه - [حتى غشيت النبي صلى الله عليه وسلم السكينة ، فوقع فخلده على فخلطى ، فوجدت من قلها كما وجدت في المرة الأولى] ، ثم سرى عنه فقال : اقرأ . فقرأت عليه : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (غير أولى الضرر) . قال زيد : فأنفختها ، فوافقه لكأن أنظر إلى مئسرها عند صدوع كان في الكسف (٣) .

ودواه أبو داود ، عن سعيد بن منصور ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه ، به نحوه (٤) .

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر بن الزهري، عن قبيصة بن ذؤيب، عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لأبي رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال: أكتب: لا يسوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله] فجاهد عبد الله بن أم مكتوم فقال: يا رسول الله، [أي: أحب الجهاد في سبيل الله، ولكن بمن الزمان ما قد ترى، قد ذهب بصرى. قال زيد: فقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حل فخلى، حتى غشيت أن أرتضها، ثم سرى عنه، ثم قال: أكتب: (لا يسوى القاعدون من المؤمنين غير أولى القصر والمجاهدون في سبيل الله)].

ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير - وقال عبد الرزاق أن ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجعفي - أن مقيما مولى عبد الله بن الحارث أخبره ، أن ابن عباس أخبره : (لا يستوى القاحلون من المؤمنين) من بدر ، والحارثون إلى بدر .

(١) فرضي : اللقي والكسر .

(٢) البخارى ، تفسير سورة النساء : ٩٠٤٥٩/٨ .

191/0 : अर्ध शताब्दी (२)

(۴) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، ۱۱/۳.

انفرد به البخارى (١) دون مسلم . وقد رواه الترمذى من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الكريم ، عن معتبم ، عن ابن عباس قال : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر) عن بدر ، والخارجون إلى بدر ، كما نزلت خروا بدر قال عبد الله بن جشش (٢) وابن أم مكتوم : إنا أعميان يا رسول الله ، فهل لنا رخصة ؟ فنزلت : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر) وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة ، فهؤلاء القاعدون غير أولى الضرر (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً) درجات منه على القاعدين من المؤمنين غير أولى الضرر (٣) ؛ هذا لفظ الترمذى ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

فقوله (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) كان مطلقاً ، فلما نزل بوحى سريع (غير أولى الضرر) صار ذلك مخرجاً للذى الأحبار الميضية ترك الجهاد - من السعى والعرج والمرضى - عن مساواتهم المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .

ثم أشير تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين ، قال ابن عباس : غير أولى الضرر : وكلما ينبغي أن يكون لا ثبت في الصحيح عند البخارى من طريق زهير بن معاوية ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم من سير ، ولا قطعهم من واد إلا وهم معكم فيه . قالوا : وهم بالمدينة يا رسول الله ؟ قال : نعم حسبهم العدو »** (٤) .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن محمد بن أبي حنيفة ، عن حميد ، عن أنس ، به (٥) . وعلقه البخارى بمروماً . ورواه أبو داود (٦) ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن موسى بن أنس بن مالك ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتهم سيراً ، ولا أنفقتم من نفقة ، ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه . قالوا : يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حسبهم العدو »**

لفظ أبي داود . وفي هذا المعنى قال الشاعر :

يا راحلين إلى البيت المتين فكذلك
سررتكم جسوماً وسرناً نحن أولوا
إنا أقمنا على عدو وعين قبيح
ومن أفتاح على عدو فكذلك

وقوله : (وكلاً وعد الله الحسنى) أى : الجنة والجزاء الجزيل . وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين ، بل هو فرض على الكفاية .

(١) البخارى ، تفسير سورة النساء : ٦٠/٦ .

(٢) لم يكن عبد الله بن جشش أمياً ، وقد جزم الحافظ في الفتح بأن السواب : « وأبو أحمد بن جشش » كما في رواية البخارى عن الحجاج : ٩٢/٩ . وقد نقل هذا الحافظ أبو نعيم في تحفة الأوسى عن النبي : ٣٨٩/٨ .

(٣) تحفة الأوسى ، تفسير سورة النساء : ٣٨٨/٨ ، ٣٨٩ .

(٤) البخارى ، كتاب الجهاد : ٣١/٤ . وينظر ١٠٢/٦ .

(٥) مسند أحمد : ١٠٣/٣ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد : ١٢/٣ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَقُتِلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعَدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، ثم أخبر تعالى عما فضلهم به من الدرجات ، في حرف الجتنك العاليات ، ومنفرة القنوب والزلات ، وحلول الرحمة والبركات ، إحسانا منه وتكريما ولعلنا قال تعالى : ﴿ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَنْفَرَةٌ وَرَحْمَةٌ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

وقد ثبت في الصحيحين من أبي سعيد الخدري (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجنة [مائة] درجة ، أحدها الله للمجاهدين في سبيله ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض .

وقال الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بلغ بهم لله أجره درجة » قال رجل : يا رسول الله ، وما الدرجة ؟ فقال : « أما إنها ليست بمعتبة أمك ، ما بين اللوجتين مائة عام » (٢) .

إِنَّ الَّذِينَ هَوَّنُوا مَلَأْنَا سُلَيْمَانُ أَنْفُسَهُمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً قَبْلَهُمْ فِيهَا قَالُوا لَيْسَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَمْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٢﴾ قَالُوا لَيْسَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا ﴿٣﴾ * وَمَنْ يَكْفُرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَدًّا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤﴾

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا حيوة وضره قالا : حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال : قطع حل أهل المدينة بعت ، فاكنت في ، فليقت حكمة مولى ابن عباس فأخبره ، فهاهي عن ذلك أشد النبي ، ثم قال : أخبرني ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين ، يكترون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأتي السهم فيبري به ، فيصيب أحدهم فيقتله ، أو يشرب حقه فيقتل ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمُ لِلْإِثْمَةِ ظَالِمٌ أَنْفُسُهُمْ ﴾ . ورواه الألبان (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا أبو أحمد - يعني الزهري - حدثنا محمد بن شريك للمكي ، حدثنا عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم بفعل بعض قال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكروا . فاستغفروا لهم ، فترلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمُ لِلْإِثْمَةِ ظَالِمٌ أَنْفُسُهُمْ ﴾ ... الآية ، قال : فكتب إلى من يني من

(١) مسلم ، كتاب الإمارة : ٣٧/٦ . والحديث رواه البخاري في كتاب الجهاد : ١٩/٤ عن أبي هريرة .

(٢) الحديث رواه أحمد في مسنده ٢٣٥/٤ عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجند ، عن شرحبيل بن السلم ، عن كعب بن مرة أو مرة بن كعب .

(٣) البخاري ، تفسير سورة النساء : ٦٠/٦ ، ٦١ .

وممن « قطع حل أهل المدينة بعت » أي : أكرموا بإخراج جيش لقتال أهل الشام ، وكان ذلك في خلافة عبد الله بن الزبير حل مكة .

للمسلمين هذه الآية : لا علم لهم . قال : فخرجوا فاحضهم للمشركون فأعطوهم الفتنة ، فتركت هذه الآية : (ومن الناس من يقول آمنا بالله) ... الآية .

وقال عكرمة : نزلت هذه الآية في شباب من قريش ، كانوا يتكلموا بالإسلام بمكة ، منهم : علي بن أبيه بن خلف ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو العاص بن منيبه (١) بن الحجاج ، والحارث بن زمة ؛

وقال الضحاك : نزلت في ناس من المنافقين ، تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فأصيبوا فيمن أصيب ، فتركت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهوراني للمشركين وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكنا من إقامة الدين ، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع ، وينص هذه الآية حيث يقول تعالى : (إن الذين تولواهم الملائكة ظالمى أنفسهم) أى : بترك الهجرة (قالوا : فم كتم) أى : لم يكتم هاتما و تركهم الهجرة ؟ (قالوا : كنا متضعفين في الأرض) أى : لا تقدر على الخروج من البلد ، ولا النجاة في الأرض (قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة) ... الآية .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن داود بن مكيان ، حدثني يحيى بن حمان ، أخبرنا سليمان بن موسى أبو داود ، حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب ، حدثني شبيب بن سليمان ، عن أبيه سليمان بن سمرة ، عن سمرة بن جندب : أما بعد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جامع للمشرك وسكن معه فإنه مظنة (٢) .

وقال السدي : لا أسر الناس وعقيل وتوكل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : الله تبارك وتعالى وإن أنبياءه قال : يا رسول الله ، ألم نصل قبلك ، ونشهد شهادتك ؟ قال : يا عباس ، إنكم خاصمتهم فخصمتهم (٣) : لم تلا عليه هذه الآية : (لم تكن أرض الله واسعة) ... الآية . رواه ابن أبي حاتم (٤) .

وقوله : (إلا المتضعفين) ... إلى آخر الآية . هذا علم من الله تعالى لولاءه في ترك الهجرة وذلك [أنهم] لا يتقدمون على التخلص من أيدي المشركين ، ولو كذبوا ما عرفوا يسلكون الطريق ، ولما قال : (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) . قال مجاهد ، وعكرمة ، والسدي : يعني طريقا .

وقوله : (فأولئك هم الذين آمنوا أن يخبروهم) أى : يتجاوز عنهم بترك الهجرة ، وعسى من الله موجبة (٥) (وكان الله غفورا رحيما) ؛

(١) كلما وظنه في تفسير الطبري : ١٠٥/١٠ . لكن في سيرة ابن هشام ٦٤١/١ : العاص بن منيبه بن الحجاج . وم في سيرة حسنة ، وعلمهم الذي لم يثبت في خطوطنا حر : أبو قيس بن الحجاج بن المغيرة .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : ٩٣/٣

(٣) يعني : علمهم .

(٤) وكذا رواه ابن جرير : ١٠٦/٩ .

(٥) وكذا كل رجاء منه سبحانه ، فإنه مقصود به تحقق المرجو ، وإما اتصال هذا الأسلوب حتى يقال فيه على كل مطلع ، والله أعلم .

قال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا شيخان ، من يحيى ، من أبي سلمة ، من أبي هريرة قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء إذ قال : سمع الله لمن حمده . ثم قال قبل أن يسجد : اللهم نج عياش بن أبي ربيعة ، اللهم نج مسكنة بن هشام ، اللهم نج الوليد بن الوليد ، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها سنين كسنى يوسف (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو معمر المقرئ ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا علي بن زيد ، من معبد ابن المسيب ، من أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده بعد ما سلم ، وهو مستقبل القبلة ، فقال : اللهم خلص الوليد بن الوليد ، وعياش بن أبي ربيعة ، ومسكنة بن هشام ، وضئمة المسلمين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا من أبدى الكفار .

وقال ابن جرير : حدثنا المثنى ، حدثنا حجاج ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد عن عبد (٢) الله - أول إبراهيم بن عبد الله القرشي - عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في دبر صلاة الظهر : اللهم خلص الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، وضئمة المسلمين من أبدى للمشركين ، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .

وهذا الحديث شاهد في الصحيح ، من غير هذا الوجه ، كما تقدم .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا ابن عبيدة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت أنا وأبي من المستضعفين من النساء والولدان .

وقال البخاري : أنبأنا أبو الثمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ((المستضعفين)) قال : كانت أمي من عذر الله عز وجل (٣) .

وقوله : (ومن هاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة) وهذا محريض على الهجرة ، وترغيب في مغارة للمشركين ، وأن المؤمن حينما ذهب وجد عنهم متلوعة وملجأ يتحصن فيه ، « والمراغم » : مصدر ، تقول العرب : راغم فلان قومه مراغما ومراغمة ، قال تائبة بن جعدة (٤) :

كَطَلُودٍ يَلُكَدُ بِأَرْسَائِهِ هَزِيرُ الْمُرَاغِمِ وَالْمَشْهُوبِ

وقال ابن عباس : « المراغم » : التحول من أرض إلى أرض . وكذا روى عن الضحك ، والربيع بن أنس ، والثوري ، وقال مجاهد : (مراغما كثيرا) يعني : مترحضا عما يكره . وقال سفيان بن حنينة (مراغما كثيرا) يعني : يروجا .

(١) البخاري ، تفسير سورة النساء ، ٦١/٦ .

(٢) في المخطوطة : جيد الله . ينظر تفسير الطبري ، ١١٠/٩ .

(٣) البخاري ، تفسير سورة النساء ، ٦١/٣ .

(٤) البيت في تفسير الطبري ، ١١٢/١٠ ، واللسان : ملعة وهم .

والظاهر - والله أعلم - أنه التمتع الذي يتحصن به ، ويراهم به الأعداء :

قوله : (وسمه) ينى : الرزق . قاله غير واحد ، منهم : قتادة ، حيث قال ، في قوله : (يجد في الأرض مراعى كثيرا وسمه) أى : والله ، من الضلالة إلى الهدى ، ومن القلة إلى الكثرة .

وقوله : (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) أى : ومن خرج من منزله بنية الهجرة ، فأتى في أثناء الطريق ، فقد حصل له من الله ثواب من هاجر ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من الصحاح والمسانيد والسنن ، من طريق يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن علقمة بن وكاص البليسي ، عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) (١) .

وهذا عام في الهجرة وفي كل الأعمال . ومنه الحديث الثابت في الصحيحين ، في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ، ثم أتاه ملك الموت ، ثم سأل عاه : هل لمن توبة ؟ فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أرثده إلى أن يتحول من بلده إلى بلد آخر يهد الله فيه ، فلما أوحل من بلده مهاجرا إلى البلد الآخر أدركه الموت في أثناء الطريق ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقال هؤلاء : إنه جاء ثابيا . وقال هؤلاء : إنه لم يصل بعد . فأسروا أن يقتلوا ما بين الأرضين فأتى أبهما كان أقرب كان منها ، فأمر الله أنه يقترب من حله . وهذه أن تيمد ، فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشر ، فقبضت ملائكة الرحمة . وفي رواية : أنه لما جاءه الموت (٢) بصره إلى الأرض التي هاجر إليها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم ، عن محمد بن عبد الله ابن عتيك ، عن أبيه عبد الله بن عتيك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من خرج من بيته مهاجرا (٣) في سبيل الله - ثم قال بأصابعه هؤلاء الثلاث : الوسطى والسبابة والإجماع ، فجمعوه وقالوا : وأين المجاهدون - ؟ فخرّ عن دابته فأتى فأتى الله ، أو لخصه دابة فأتى فأتى الله ، أو مات حنينا (٤) أنه قد وقع أجره على الله - والله إنها لكلمة ما سمعتها [من أحد من] العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم - ومن قتل قصاصا (٥) فقد استوجب المآب (٦) .

(١) صحيح البخارى ، باب منه الوصى : ٢/١ . وسلم ، كتاب الإمارة : ٤٨/١ . ومسته أحد من امر رضى الله عنه :

٢٥/١ .

(٢) سلم ، كتاب التوبة ، عن أبي سعيد الخدرى : ١٠٣/٨ ، ١٠٤ .

(٣) أى : تقدم .

(٤) كلما في غلظتها . وفي المسند : مجاهدا .

(٥) مات حنينا : أنه : ينى مات حل غرائه . والمخلف : الملاك . كانوا يتخيّلون أن روح المريق يخرج من الله ، فإن خرج خرجت من جراحه .

(٦) القبر : أن يغرب الإنسان فيموت مكانه ، ولواد يرجو المآب : حسن المرجع بعد الموت .

(٧) ستة أحد : ٣٦/٤ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شعبة الخزاعي ، حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الخزاعي ، عن المنذر بن عبد الله ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن الزبير بن العوام قال : هاجر خاله بن حزام إلى أرض الحبشة ، فتهتة حية في الطريق فأت ، فترلت فيه : (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) قال الزبير : وكنت أوقعه وأنتظر فدومعه وأنا بأرض الحبشة ، لما أحرزني شيء حزن وفاته حين بلغني ، لأنه قلَّ أحد من هاجر من قريش إلا معه بعض أهله ، أو دوى رحمه ، ولم يكن معي أحد من بني أسد بن عبد العزى ، ولا أرجو غيره (١) .

وهذا الأثر غريب جدا ، فإن هذه القصة مكية ، ونزول هذه الآية مدنية . فلهذا أراد أنها أنزلت ثم حكاه مع غيره ، وإن لم يكن ذلك سبب الترتول ، والله أعلم :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا سليمان بن داود مولى عبد الله بن جعفر ، حدثنا سهيل بن عثمان ، حدثنا عبد الرحمن بن سليمان ، عن الأشعث - هو ابن سوار - عن حكمة ، عن ابن عباس قال : خرج ضمرة بن حبيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأت في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فترلت : (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله) (٢) الآية .

وحدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، أنبأنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير عن أبي ضمرة (٣) بن الميمون الزرقاني ، الذي كان مصابا بالهرس ، وكان عكة لما نزلت : (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) قلت : إنني لفي ، وإنني لفي حيلة ، فتجهز يريد للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأدركه الموت بالتهيم ، فترلت هذه الآية : (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله لم يدركه الموت) ... الآية .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا إبراهيم بن زياد سبلان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن حميد بن أبي حميد ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خرج حاجا فأت كتب له أجر الحج إلى يوم القيامة ، ومن خرج معتمرا فأت كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ، ومن خرج غازيا في سبيل الله فأت كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة » .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

(١) ينظر أمه الناية : ٩٢/٢ بتحقيقنا ٢

(٢) ينظر أمه الناية ، ترجمة ضمرة بن عمرو الخزاعي : ٩١/٣ ، و ترجمة ضمرة بن أبي الميمون : ٩٢/٣ .

(٣) في غلطتنا : أبو ضمرة . بالتصغير ، والصواب ما انتهت به ، وقد وجدنا في اسم هذا الصحابي اختلافا كثيرا ، ينظر المرجع السابق من أمه الناية ، وهاب الكحل .

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ
الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٥١﴾

عن تعالى : (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ) أى : سافرتُم في البلاد ، كما قال تعالى : (علم أن سيخون منهم مرضى
وآخرون يضيرون في الأرض يفتنون من فضل الله) ... الآية .

وقوله : (فلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ) أى : تَخَفَّفُوا فِيهَا ، إما من كثرتها بأن يجعل الرابعة ثنائية ،
كما فهمه الجمهور من هذه الآية ، واستدلوا بها على قصر الصلاة في السفر ، على اختلافهم في ذلك : فمن قال لا بد
أن يكون سفر طاعة ، من جهاد ، أو حج ، أو عمرة ، أو طلب علم ، أو زيارة ، وغير ذلك ، كما هو مروى عن ابن عمر
وعطاء ، وينبئ عن مالك في رواية عنه نحوه ، لظاهر قوله : (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) .

ومن قال : لا يشترط سفر القربة ، بل لا بد أن يكون مباحا ، لقوله : (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم)
في الآية ، أباح له تناول الميتة مع اضطرابه إلا بشرط أن لا يكون عاصيا بفسده . وهذا قول الشافعي وأحمد وغيرهما
من الأئمة :

وقد قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ،
لني رجل تلجئ لأخطف إلى البحرين ؟ فأمره أن يصل ركعتين . وهذا مرسل .

ومن قال : يكتفي مطلق السفر ، سواء كان مباحا أو محظورا ، حتى لو خرج لقطع الطريق وإخافة السيل ، تَرَخَّصَ ،
لوجود مطلق السفر . وهذا قول أبي حنيفة رحمه الله والثوري وداود ، لمعوم الآية وخالفهم الجمهور . وأما قوله : (إِنْ خِفْتُمْ
أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) فقد يكون هذا مخرج خرج الغالب حال نزول هذه الآية ، فإن في مبدأ الإسلام بعد الهجرة
كان غالب أسفارهم خوفا ، بل ما كانوا ينهضون إلا إلى غزو عام ، أو في سرية خاصة ، وسائر الأحياء حرب الإسلام
وأهله ، والمتطوق إذا خرج خرج الغالب أو على حادثة فلا مفهوم له ، كقوله : (ولا تذكروا فتياكم على البلاء إِنْ
أُودِنْتُمْ مَخْصَا) وكقوله : (وروايكم اللاتي في حجوركم من نسائكم) الآية :

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن إدريس ، حدثنا ابن جريج ، عن [ابن] (١) أبي عمار عن عبد الله بن بابينة ، عن
يعل بن أمية قال : سألت عمر بن الخطاب قلت : (ليس عليكم جناح أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا) وقد أسن الله الناس ؟ فقال لي عمر : عجبت عما عجبت منه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ،
قال : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » (٢) :

(١) سقط من مخطوئتنا .

(٢) مستدركه ١ : ٢٥٤ ، ٣٦١ .

وهكلا رواه مسلم (١) وأهل السنن ، من حديث ابن جريج ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقال علي بن الحسين : هذا حديث صحيح من حديث عمر ، ولا يحفظ إلا من هذا الوجه ، ورجاله معروفون .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مالك بن مغول ، عن أبي حفصة الحذاء قال : سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان . قلت : أين قوله تعالى : (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتَنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) ونحن آمنون ؟ قال : سنة وسئل الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

وقال ابن مَرْدَوَيْهِ : حدثنا عبد الله بن محمد بن عيسى ، حدثنا علي بن محمد بن سعيد ، حدثنا منجاب ، حدثنا شريك ، عن قيس بن وهب ، عن أبي الرواحك (٣) : سألت ابن عمر عن ركعتين في السفر ؟ فقال : هي رخصة ، نزلت مع السباء ، فإن شئتم فرددوها .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا ابن حوون ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس قال : صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة ، ونحن آمنون ، لا نخاف بينهما ، ركعتين ركعتين .

وكذا رواه النسائي ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله بن حوون ، به . قال أبو عمر بن عبد البر وهكلا رواه أيوب ، وهشام ، ويزيد بن إبراهيم التستري ، عن محمد بن سيرين ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

قلت : وهكلا رواه الترمذي والنسائي جميعا ، عن قتبية ، عن هشيم ، عن منصور بن زاذان ، عن محمد بن سيرين ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة إلى مكة ، لا يخاف إلا رب العالمين ، فصلى ركعتين . ثم قال الترمذي : صحيح (٤) .

وقال البخاري : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا يحيى بن أبي إسحاق قال : سمعت أسا يقول : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة ، فكان يصلي ركعتين ركعتين ، حتى رجعنا إلى المدينة . قلت : أقمتم تلك شيئا ؟ قال : أقمنا بها عشرين (٥) .

وهكلا أخرجه بقية البحار عن طريق عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي ، به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن وهب الخزاعي قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر يعني - أكثر ما كان الناس وأمنه - ركعتين (٦) .

(١) مسلم ، كتاب المسافرين : ١٤٣/٢ . وثقة الأخرى ، تفسير سورة النساء : ٣٩٢/٨ ، ٣٩٣ .

(٢) إرداه أحمد أيضا في المستدرك : ٣١/٢ من يزيد بن إبراهيم عن أبي حفصة عن ابن عمر .

(٣) أبو جابر بن ثوبان ، كتاب في الخلاصة .

(٤) ثقة الأخرى ، أبواب السفر : ١٠٩/٤ .

(٥) البخاري ، باب ما جاء في التفسير : ٥٣/٤ .

(٦) مسند أحمد : ٣٠٩/٤ .

ورواه الجماعة (١) سوى ابن ماجه من طرق، عن أبي إسحاق السبيعي (٢)، عنه ، به : ولقد البخاري : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبه ، أنبأنا أبو إسحاق ، سمعت حارثة بن وهب قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن ما كان بيني وكنيت (٣) .

وقال البخاري : حدثنا نسدد ، حدثنا يحيى ، حدثنا عبيد الله ، أخبرنا نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين ، وأبى بكر وعمر ، ومع عثمان صدرا من إمارته ، ثم أتتها ، وكلوا رواه مسلم (٤) من حديث يحيى بن سعيد القطان ، به .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد الواحد ، عن الأعمش ، حدثنا إبراهيم ، سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول : صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمجي أربع ركعات ، فقبل في ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع ، ثم قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجي ركعتين ، وصليت مع أبي بكر بمجي ركعتين ، وصليت مع عمر بن الخطاب بمجي ركعتين ، فليت حظي مع أربع ركعات ركعتان مقبلتان (٥) .

ورواه البخاري أيضا من حديث الثوري ، عن الأعمش ، به : وأخرجه مسلم من طرق ، عنه : منها من قتيبة كما تقدم .

فهذه الأحاديث دلالة صريحة على أن القصر ليس من شرطه وجود الخوف ، ولذا قال من قاله مع العلماء : إن المراد من القصر هاهنا إنما هو قصر الكيفية لا الكمية . وهو قول مجاهد ، والفسحاك ، والسدي كما سيأتي بيانه ، واعتصموا أيضا بما رواه الإمام مالك ، عن صالح بن كيسان ، عن حروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر ، فأقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر (٦) .

وقد روى هذا الحديث البخاري (٧) عن عبد الله بن يوسف التميمي ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن القعني ، والنسائي عن قتيبة ، وأبوهم عن مالك ، به :

قالوا : فإذا كان أصل الصلاة في السفر هي التنتين ، فكيف يكون المراد بالقصر هاهنا قصر الكمية ، لأن ما هو الأصل لا يقال فيه : (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ؟ .

وأصح من ذلك دلالة على هذا ، ما رواه الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا مفيان - وعبد الرحمن - حدثنا مفيان - عن زبيد اليامي ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عمر رضي الله عنه قال : صلاة السفر ركعتان ، وصلاة

(١) مسلم : كتاب المسافرين : ١٤٧/٢ ، ثقة الأحمدي ، كتاب الحج : ٦٢٩/٣ .

(٢) في المخطوطة : من طرق حل ابن أبي إسحاق .

(٣) البخاري ، باب ما جاء في القصير : ٥٢/٢ .

(٤) مسلم : كتاب المسافرين : ١٤٦/٢ .

(٥) البخاري ، باب ما جاء في القصير : ٥٢/٢ ، ٥٤ .

(٦) الموطأ ، باب قصر الصلاة في السفر : ١٤٦/١ .

(٧) البخاري ، كتاب الصلاة : ٩٨/١ ، ٩٩ . ومسلم ، كتاب المسافرين : ١٤٢/٢ ، وأبو داود ، باب السفر : ٢/٢ .

الأسمى ركعتان ، وصلاة القطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، تمام غير قصر ، على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (١) :

وهكذا رواه النسائي (٢) وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، من طرق عن زُبَيْدِ الْبَاهِي ، به : وهذا إسناد على شرط مسلم : وقد حكّم مسلم في مقلمة كتابه بإسناد ابن أبي ليلى ، عن عمر (٣) . وقد جاء مصرحاً به في هذا الحديث وفي غيره ، وهو الصواب إن شاء الله : وإن كان يحيى بن معين وأبو حاتم والنسائي قد قالوا : إنه لم يسمع منه : وعلى هذا أيضاً فقد وقع في بعض طرق أبي بلى الرضلي ، من طريق الثوري ، عن زَيْد ، عن عبد الرحمن ، عن الثقة ، عن عمر فذكره ، وعنه ابن ماجه من طريق يزيد بن أبي زياد بن أبي الجعد ، عن زُبَيْد ، عن عبد الرحمن ، عن كعب بن جعرة ، عن عمر ، به : قاله أهل :

وقد روى مسلم في صحيحه ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، من حديث أبي هريرة الوضاح بن عبد الله الشكري - زاد مسلم والنسائي ، وأبو بى عاكب - كلاماً عن يَكْبَرِ بْنِ الْأَخْنَسِ ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً ، وفي السفر ركعتين [وفي الخوف ركعة] ، فكان يصلي في الحضر قبلها وبعدها ، فذلك يصلي في السفر (٤) .

ورواه ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد ، عن طاوس نفسه (٥) :

فهذا البيت عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ولا يتأني ما تقدم من حاشية لأنما أعبرت أن أصل الصلاة ركعتان ، ولكن زيد في صلاة الحضر ، فلما استقر ذلك صح أن يقال : إن فرض صلاة الحضر أربع ، كما قاله ابن عباس ، والله أعلم . لكن اتفق حديث ابن عباس وحاشية على أن صلاة السفر ركعتان ، وأنها تامة غير مقصورة ، كما هو مصرح به في حديث عمر رضي الله عنه ، وإذا كان كذلك ، فيكون المراد بقوله تعالى : (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) قصر الكيفية كما في صلاة الخوف ، ولهذا قال : (إن عظم أن يقتنكم الذين كفروا) : الآية ولهذا قال بهما : (وإذا كنت فيهم فأنتم لم الصلاة) : الآية ، فبين المقصود من القصر هاهنا وذكر صفته وكيفية ، ولهذا احتضد البخاري « كتاب صلاة الخوف » صدّره بقوله تعالى : (وإذا خرعتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) إلى قوله : (إن الله أهد لكافرين عدواً مهيئاً (٦)) .

(١) سنن أحمد : ٣٧/١ .

(٢) سنن النسائي ، كتاب الجمعة ٣٧ والسفر : ٥٠٦ . وابن ماجه ، كتاب الإقطة ، الحديث ١٠٦٢ : ٣٢٨/١ .

(٣) قال مسلم في مقدمة الصحيح ٢٧/١ : « وأما عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقد حفظ من عمر بن الخطاب » .

(٤) مسلم ، كتاب المسافرين : ١٤٣/٢ . والنسائي ، كتاب صلاة الخوف : ١٦٨/٤ ، ١٦٩ . وابن ماجه ، كتاب الإقطة ، الحديث ١٠٦٨ : ٣٢٩/١ . وأبو داود ، كتاب الصلاة : ١٧/٢ .

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب الإقطة ، الحديث ١٠٧٢ : ٣٤١/١ .

(٦) الصحيح : ١٧/٢ .

وهكذا قال جرير ، عن الضحاك في قوله : (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) قال : ذلك عند القتال ، يصلي الرجل الراكب تكبيرتين حيث كان وجهه .

وقال أسباط ، عن السلي في قوله : (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم)
 ٢٥ الآية : إن الصلاة إذا صليت ركعتين في السفر فهي تمام ، التقصير لا يحل ، إلا أن تخاف من الذين كفروا أن يقتلوك من الصلاة ، فالتقصير ركعة (١) .

وقال ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يهيمون والمشركون يهيمون ، فوافقوا ، ففعل النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الظهر أربع ركعات ، وركوعهم وسجودهم وقيامهم معا جميعا ، فهم لهم للمشركون أن يهيموا حل أمعنهم وأتقوا (٢) .

روى ذلك ابن أبي حاتم . ورواه ابن جرير ، عن مجاهد والسلي ، وعن جابر وابن عمر ، واختار ذلك أيضا ، فإنه قال بعد ما حكاها من الأقوال في ذلك : وهو الصواب .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثنا ابن أبي شيبة ، عن ابن شهاب ، عن أبيه عن عبد الله بن خالد بن أسيد : أنه قال لعبد الله بن عمر : إنا نجد في كتاب الله قصر صلاة الخوف ، ولا نجد قصر صلاة المسافر ؟ فقال عبد الله : إنا وجدنا نبينا صلى الله عليه وسلم يعمل صلاة (٣) .

قد سعى صلاة الخوف مقصورة ، وحمل الآية عليها ، لا حل قصر صلاة المسافر ، وأقره ابن عمر عن ذلك ، واحتج على قصر الصلاة في السفر بفعل الشارع [لا] ينص القرآن ،

وأصرح من هذا ما رواه ابن جرير أيضا : حدثني أحمد بن الوليد القرشي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبه ، عن مالك الحنفي : سألت ابن عمر عن صلاة السفر ، فقال : ركعتان تمام غير قصر ، إنما تقصر صلاة الخوف : قلت : وما صلاة الخوف ؟ قال : يصلي الإمام طائفة ركعة ، ثم يجيء هؤلاء إلى مكان هؤلاء ، ويجيء هؤلاء إلى مكان هؤلاء ، فيصل بهم ركعة ، فيكون للإمام ركعتان ، ولكل طائفة ركعة ركعة (٤) .

(١) تفسير الطبري : ١٢٣/٩ .

(٢) تفسير الطبري : ١٢٠/٩ .

(٣) تفسير الطبري : ١٢٩/٩ .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٤/٩ .

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْ ظِلْمَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَجْهِكَ وَلِلَّاتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ طَرُقُوا الْمَدِينَةَ لَأَخْرَجْنَا مِنْهَا طَائِفَةً عَلَيْهِمْ صَلَواتُ رَبِّنَا وَأَعْلَمُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكَ وَلَمَّا تَحَارَبُوا فِيهِمْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ مِيلَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ يَكُرُ أَدْنَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ أَسْلِحَتُكُمْ أَوْ عَلَىٰ حَذَرٍ كَانَ إِنْ اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٢٢﴾

صلاة الخوف أنواع كثيرة ؛ فإن العدو تارة يكون تجاه القبلة ، وتارة يكون في غير صوبها ، والصلاة تارة تكون رباعية ، وتارة ثلاثية كالغرب ، وتارة ثنائية ، كالصبح وصلاة السفر ، ثم تارة يصلون جماعة ، وتارة يلتزم الحرب فلا يقفرون على الجماعة ، بل يصلون فرادى مستقبل القبلة وغير مستقبلها ، ورجالا وركبانا ، ولم أن عشوا والحالة هذه ويضربوا الضرب المحتاج في من الصلاة .

ومن العلماء من قال : يصلون والحالة هذه ركعة واحدة ؛ لحديث ابن عباس المتقدم ، وبه قال أحمد بن حنبل ، قال الخليلي في الخواشي ؛ وبه قال حطاء ، وجابر ، والحسن ، وعجاء ، والحكم ، وقاتدة ، وحاد . وإليه ذهب طائوس والفسحاك .

وقد حكى أبو حاتم الباهلي (١) ، عن محمد بن نصر المروزي (٢) أنه يرى ردّ الصبح إلى ركعة في الخوف ؛ وإليه ذهب ابن حزم أيضا ؛

وقال إسحاق بن راهويه ؛ أما عند المايقة فيجزيك ركعة واحدة ، ثم يها إيماء ، فإن لم تقدر فسجدة واحدة ، لأنها ذكر الله .

وقال آخرون ؛ تكفي تكبيرة واحدة . قلعله أراد ركعة واحدة ، كما قاله أحمد بن حنبل وأصحابه ، ولكن الذين حكموه إنما حكموه على ظاهره في الاجتزاء بتكبيرة واحدة ، كما هو مذهب إسحاق بن راهويه ، وإليه ذهب الأمير هبة الوهابي بن يَحْيَى المكي (٣) ، حتى قال : فإن لم تقدر على التكبيرة فلا يركعها في نفسه ، يني بالنية ، ورواه سعيد بن منصور [في سننه] عن إسماعيل بن عياش ، عن شبيب بن دينار ، عنه . فانه أعلم .

(١) هو القاضي أبو حاتم محمد بن أحمد بن محمد الباهلي المروزي ، شيخ الشافعية وصاحب التصانيف . وكان إماما دقيق النظر ، واسع العلم ، له : للمسوط ، وأدب القاضي ، والملائي . توفي في شوال سنة ٤٥٨ هـ من ٨٣ سنة (البر للبر : ٢١٣/٣) .

(٢) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي . أسد الأعلام ، كان رأسا في الفقه ، وأما في الحديث ، وأما في العبادة . لم يكن الشافعية في وفقه مثله . توفي في المحرم سنة ٢٩٤ هـ في طبرستان (البر : ٩٠/٢) .

(٣) هو أبو ميثم عبد الوهاب بن يَحْيَى - بضم الياء وسكون الخاء - كان من أمراء الحرب المجاهدين . روى عن ابن عمر مرسلًا وأبى ذر بن جهم ، وهو من شيوخ مالك . ولله تصانيف . وكان كثير الحج والعمرة ، واستشهد سنة ١١٣ هـ . ينظر الخلاصة .

ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة للقتال والمناجزة ، كما أنكر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب صلاة العصر ، قيل : وانظر فصلاهما بعد الغروب ، ثم صلى بعدها للغرب ثم المشاء . وكذا قال بعضهم - يوم بني قريظة ، حين جهز إليهم الجيش - : لا يصلين أحدٌ منكم العصر إلا في بني قريظة ، فأدركتهم الصلاة في أثناء الطريق ، فقال منهم قائلون : لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تمجبلٌ للسبر ، ولم يرد منا تأخير الصلاة عن وقتها ، فصلوا الصلاة لوقتها في الطريق ، وأخر آخرون منهم العصر ، فصلوها في بني قريظة بعد الغروب ، ولم ينف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من الفريقين (١) : وقد تكلمنا على هذا في كتاب السيرة ، وبيّنا أن الذين صلوا العصر لوقتها أقرب إلى إصابة الحق في نفس الأمر ، وإن كان الآخرون مملوئين أيضا ، والحجة هاتان في حلوم في تأخير الصلاة لأجل الجهاد والمباذلة إلى حصار الثاكين العهد ، من الطاقة للملومة اليهود ، ولأن الجمهور قالوا : هذا كله منسوخ بصلاة الخوف ، فإنها لم تكن تزلت بعد ، فلما تزلت نسخ تأخير الصلاة لذلك ، وهذا بين في حديث أبي سعيد الخدري ، الذي رواه الشافعي وأهل السنن ، ولكن يشكل على هذا ما حكاه البخاري رحمه الله في صحيحه ، حيث قال :

« باب الصلاة عند مناهضة الحصون وقضاء العدو : قال الأوزاعي : إن كان تهيباً للفتح ولم يقدروا على الصلاة ، صكوا إيماناً ، كل امرئ لنفسه ، فإن لم يقدروا على الإيماء أخرّوا الصلاة حتى ينكشف القتال ، أو يأمنوا فيصلوا ركعتين ، فإن لم يقدروا صكوا ركعة وسجدة ، فإن لم يقدروا لا يجزئهم التكبير ، ويؤخرونها حتى يأمنوا ، وبه قال مشكول ، وقال أس بن مالك : حضرت مناهضة حصن تُسْتَر عند إشاعة القنبر ، واشتد لشغال القتال ، فلم يقدروا على الصلاة ، فلم تُصَلَّ إلا بعد ارتفاع النهار ، فصليناها ونحن مع أبي موسى ، فتمسّح لنا ، قال أس : وما يجرى من ذلك الصلاة الدنيا وما فيها (٢) » .

انتهى ما ذكره ، ثم أتبعه بحديث تأخير الصلاة يوم الأحزاب ، ثم عجلت أمره بإيمان أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة ، وكأنه كاشف لذلك ، والله أعلم .

ولمن جتمع إلى ذلك [أنه أن يحج] يصنع أبي موسى وأصحابه يوم فتح تستر ، [فإنه يشتهر] ظاهراً ، ولكن كان ذلك في إمارة عمر بن الخطاب ، ولم يقل أنه أنكر عليهم ، ولا أحد من الصحابة ، والله أعلم .

قال هؤلاء : وقد كانت صلاة الخوف مشروعة في الملتحق ، لأن ذات الرقاع كانت قبل الملتحق في قول جمهور علماء السير والمغازي ، وعن نص على ذلك محمد بن إسحاق (٣) ، وموسى بن حبة ، والواقدي ، وعبد بن سعد كاتبه ، وخليفة بن خياط وغيرهم . وقال البخاري وغيره : كانت ذات الرقاع بعد الملتحق ، لحديث أبي موسى وما تقدم إلا في خبر (٤) ، والله أعلم . والعجب كل العجب أن الزني ، وأبا يوسف القاضي ، وإبراهيم بن إسماعيل ابن طية

(١) البخاري ، كتاب المغازي ، باب ترجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب وخرجه إلى بني قريظة : ١٤٣/٥ .

ونظر : ١٨٢/٢ .

(٢) البخاري ، كتاب الصلاة : ١٨٢/٢ .

(٣) سيرة ابن هشام : ٧٠٣/٢ . والمغازي للواقدي : ٣٩٠/١ .

(٤) البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع : ١٤٤/٥ .

فذهبوا إلى أن صلاة الخوف منسوخة بغيره عليه السلام الصلاة يوم الخندق . وهذا غريب جداً ، وقد ثبت الأحاديث بعد الخندق بصلاة الخوف ، وحسبُ تأثير الصلاة يومئذ على ما قاله مكحول والأوزاعي أقوى وأقرب ، والله أعلم .

قوله تعالى : (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) أي : إذا صليت بهم إما في صلاة الخوف ، وهذه حالة غير الأولى ، فإن تلك قصرها إلى ركعة ، كما دل عليه الحديث - فرأى ورجلاً وركباً ، مستقبل القبلة وغير مستقبلها ، ثم ذكر حال الاجتماع والائتمام بإمام واحد . وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة ، حيث اختضرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة ، فلولا أنها واجبة لما ساغ ذلك ، ولما من استدل بهذه الآية على أن صلاة الخوف منسوخة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لقوله : (وإذا كنت فيهم) فبعد ثبوت هذه الصفة ، فإنه استدلال ضعيف ، ويؤيد عليه مثل قول منى الركعة ، الذين احتجوا بقوله : (غدا من أموالكم صدقة تطهروهم وتزكّيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) قالوا : فحين لا تدفع زكأتكم بعده صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، بل تخرجونها عن يأيئنا على من نراه ، ولا تدفعها إلى من صلاته ، أي : دعاؤه ، سكن لنا ، ومع هذا زوّد عليهم الصعابة وأبوا عليهم ندلاً الاستدلال ، وأجبروهم على أداء الركعة ، وقالوا من منها منهم .

ولذلك سبب نزول هذه الآية للركعة أولاً قبل ذكر صفتها :

قال ابن جرير : حدثني الحسن ، حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد الله بن حاتم ، أنبأنا سيف ، عن أبي رزوق ، عن أبي أيوب ، عن علي رضي الله عنه قال : سألت قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إذا نصرب في الأرض ، فكيف نصلي ؟ فأقول الله عز وجل : (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تنصروا من الصلاة) . ثم انقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك يحوّل غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصل الظهر ، فقال للمشركون : لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم ، فلا شدتم عليهم ؟ فقال قائل منهم : إن لم أخرى مثله في إثرها . قال فأقول الله عز وجل بين الصلاتين : (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ... الآيتين ، فزلت صلاة الخوف .

وهذا سياق غريب جداً ، ولكن لبعضه شاهد من رواية أبي عياش الزرقى ، واسمه زيد بن الصامت ، رضي الله عنه ، قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش قال : كتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمُصَنَّفان ، فاستقبلنا المشركون ، عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصل بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر ، فقالوا : لقد كانوا على حال لو أصبنا غرهم . ثم قالوا : تأتي عليهم الآن صلاة في أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم : قال : فزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) . قال : فحضرت فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح ، فصفتنا خلفه صفين ، قال : ثم ركع فرمكنا جميعاً ، ثم رفع فرمكنا جميعاً ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة الذي يليه والآخرون قيام يحرسونه ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء [جاء] هؤلاء إلى مصاف هؤلاء . ثم ركع فرمكوا جميعاً ، ثم رفع فرموا جميعاً ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة الذي يليه ، والآخرون

قيام بحرسهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فجلسوا ، ثم سلم عليهم ، ثم انصرف . قال : فصلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : مرة بصفان ، ومرة بأرض بني سليم (١) .

ثم رواه أحمد ، عن شمر ، عن شعبة ، عن منصور ، به نحوه (١) . وهكذا رواه أبو داود (٢) ، عن سفيان بن منصور ، عن جرير بن عبد الحميد - والنسائي من حديث شعبة وعبد العزيز بن عبد الصمد ، كلهم عن منصور ، به .

وهذا إسناد صحيح ، وله شواهد كثيرة ، فمن ذلك ما رواه البخاري حيث قال : حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا محمد بن حرب ، عن الزبيدي ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم وقام الناس معه ، فكبروا معه ، وركع وركع ناس منهم ، ثم سجد وسجدوا معه ، ثم قام الثانية فقام الذين سجدوا ، وحرسوا إخوانهم ، وأنت الطاقة الأخرى فركعوا وسجدوا معه ، والناس كلهم في الصلاة ، ولكن يحرس بعضهم بعضاً (٣) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن يشار ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، عن سليمان بن يسير ، عن أبيه : سأله جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاة : أي يوم أنزل ؟ أو : أي يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقتنا لتلقي عبد قريش آتية من الشام ، حتى إذا كنا بمنزل جاء رجل من القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، قال : نعم . قال : هل تخافني ؟ قال : لا . قال : فلا يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك . قال : فصل السيف ثم تهدء وأوعده ، ثم نادى بالرحيل وأخذ السلاح ، ثم نودي بالصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة من القوم وطائفة أخرى يحرسهم . فصل بالذين يلونه ركعتين ، ثم تأخر الذين يلونه على أعقابهم فقاموا في مصاف أصواتهم ، ثم جاء الآخرون فصل بهم ركعتين والآخرون يحرسونهم ، ثم سلم . فكانت لثني صلى الله عليه وسلم أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين . فيومئذ أنزل الله في إقصار الصلاة وأمر المؤمنين بأخذ السلاح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سريج ، حدثنا أبو حوافة ، عن أبي بشر ، عن سليمان بن قيس الليثي ، عن جابر بن عبد الله قال : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عارب خصيفة ، فجاء رجل منهم يقال له : « فورث ابن الحارث » حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال : من يمنعك مني ؟ قال : الله . فبسط السيف من يده ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ومن يمنعك مني ؟ قال : كن خير آخذ . قال : أنتهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قال : لا . ولكن أحاطك أن لا تأتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فخل سيله ، [فأتى قومه (٤)] فقال : جئكم من عند خير الناس . فلما حضرت الصلاة صلى [رسول (٤)] صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف ، فكان الناس طائفتين : طائفة بإزاء العدو ، وطائفة صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فصل بالطائفة الذين معه ركعتين ، وانصرفوا فكانوا . فكان أولئك الذين بإزاء عدوهم . وانصرف الذين بإزاء عدوهم فصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين .

(١) مسند أحمد : ٥٩٤ ، ٦٠ .

(٢) سنن أبي داود : باب صلاة الخوف : ١٢٠١٢ .

(٣) البخاري ، كتاب الصلاة : ١٨/٢ .

(٤) عن المسند .

قوله من هذا الوجه (١).

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن ستان ، حدثنا أبو قطن عمرو بن الميم ، حدثنا المسعودي ، عن يزيد الفقير قال : سألت جابر بن عبد الله عن الركعتين في السفر : أقصرهما ؟ قال : الركعتان في السفر تمام ، إنما القصر واحدة عند القتال ، بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال إذ أقيمت الصلاة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصف طائفة ، وطائفة وجهها قبل العدو ، فصل بهم ركعة وسجد بهم سجدة ، ثم الذين خلفوا انطلقوا إلى أولئك فقاموا مقامهم ومكانهم نحو ذا ، وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل بهم ركعة وسجد بهم سجدة ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس وسلم ، وسلم الذين خلفه ، وسلم أولئك ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ، ولقوم ركعة ركعة ، ثم قرأ : (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبه ، عن الحكم ، عن يزيد الفقير ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الخوف ، فقام صف بين يديه ، وصف خلفه ، فصل [بالذي خلفه (٢)] ركعة وسجدة ، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا في مقام أصحابهم ، وجاء أولئك حتى قاموا مقام هؤلاء ، فصل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجدة ، ثم سلم : فكانت للتي صلى الله عليه وسلم ركعتين ولم ركعة (٣) .

ورواه الترمذي من حديث شعبه ، ولهذا الحديث طرق عن جابر ، وهو في صحيح مسلم من وجه آخر بلفظ آخر ، وقد رواه عن جابر جماعة كثيرون في الصحيح والسنن والمساند .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه قال : (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) قال : هي صلاة الخوف ، صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحدى الطائفتين ركعة ، والطائفة الأخرى مقبلة على العدو ، وأقبلت الطائفة الأخرى التي كانت مقبلة على العدو فصل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة أخرى ، ثم سلم بهم ، ثم قامت كل طائفة منهم فصلت ركعة ركعة : وقد روى هذا الحديث الجماعة في كتبهم من طريق معمر ، به : ولهذا الحديث طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وقد أجاد الحفاظ أبو بكر بن مردويه في سرد طرقه وألفاظه ، وكلما ابن جرير ، ولنحوره في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله ، وبه الثقة ..

وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف ، فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب لظاهر الآية ، وهو أحد قول الشافعي ويدل عليه قوله : (ولا جناح عليكم إن كان بكم أنى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وغلوا حلركم) أى : بحيث تكونون على أعباء إذا احتجتم إليها ليستموا بلا كلفة (إن الله أهدى لكافرين عدلها مهيناً) .

(١) مسند أحمد : ٣/٣٩٠ .

(٢) من المسند .

(٣) مسند أحمد : ٣/٢٩٨ . والتساوي : كتاب الصلاة ، صلاة الخوف : ٣/١٧٤ ، ١٧٥ .

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْعُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿٤٣﴾ وَلَا غَيْرَ فِي اتِّقَاءِ الْقُرْمِ ۚ إِن تَكُونُوا تَأْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمِنُونَ بِمَا تَأْمِنُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٤﴾

يا رب الله تعالى بكرة الذكر حقيب صلاة الخوف ، وإن كان مشروعا مرغبا فيه أيضا بعد غيرها ، ولكن هاهنا أكد لا وقع فيها من التخييف في أركانها ، ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب وغير ذلك ، مما ليس يوجد في غيرها ، [كما قال تعالى في الأشهر الحرم : (فلا تظلموا فيه أنفسكم) - وإن كان هذا منها عنه في غيرها] ولكن فيها أكد لشدة حرمتها وعظمها ، ولهذا قال تعالى : (فإذا قضيت الصلاة فادكروا الله قياما وقودا وحل جنوبكم) أي في سائر أحوالكم .

ثم قال : (فإذا اطمانتم فأقيموا الصلاة) أي : فإذا أمنت وذعب الخوف ، وحصلت الطمأنينة (فأقيموا الصلاة) أي : فأتموها وأقيموها كما أمرتم بمجودها ، وعشوها ، وسجودها وركوعها ، وجميع شئونها .

وقوله : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) قال ابن عباس : أي مفروضا : وكلما وصى عن مجاهد ، وسلم بن عبد الله ، وحلي بن الحسين ، ومحمد بن حلي ، والحسن ، ومقاتل ، والسدي ، وحطية العوفي .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) قال ابن مسعود : إن الصلاة وقتا كوقت الحج .

وقال زيد بن أسلم : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) قال : متجبا ، كلما مضى نجم جاء نجم ، مضى : كلما مضى وقت جاء وقت .

وقوله : (ولا تنهوا في ابتداء القوم) أي : لا تضعفوا في طلب عدوكم ، بل جدوا فيهم وقاتلهم ، والعدوا لم كل مرصد (إن تكونوا تأمنون فأنهم يأمنون كما تأمنون) أي : كما يصيبكم الجراح والقتل ، كذلك يحصل لم ، كما قال : (إن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) .

ثم قال : (وترجون من الله ما لا يرجون) أي : أنتم ولإيهم سواء فيما يصيبكم وإيهم من الجراح والآلام ، ولكن أنتم ترجون من الله الثورية والنصر والتأييد ، وهم لا يرجون شيئا من ذلك ، فأنتم أولى بالجهاد منهم ، وأشد رغبة في إقامة كلمة الله وإصلاحها .

(وكان الله عليا حكيما) أي : هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه ، وينفذه ويمضيه ، من أحكامه الكونية والشرعية ، وهو المهود على كل حال .

إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ١٥١. وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٥٢. وَلَا تَجِدُ عَنِ الَّذِينَ يَحْتَاوُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُبَيِّنُ مَنْ كَانَ خَوَاتِيمًا ١٥٣
 يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ. وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
 يَعْمَلُونَ بَصِيرًا ١٥٤. هُنَّ أَهْلُ مَا كَانُوا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ أَفَنُحْيِيكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ
 يَكُونُ عَلَيْهِمْ رَكِيلًا ١٥٥

يقول تعالى مخاطبا لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) أي : هو حق من الله ،
 وهو يتضمن الحق في خبره وطبقة .

وقوله : (لتحكم بين الناس بما أراك الله) احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان عليه السلام له أن يحكم
 بالاجتهاد بهذه الآية ، وبما ثبت في الصحيحين (١) من رواية هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ،
 عن أم سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته ، فخرج إليهم فقال : «ألا إنما أنا
 بشر ، وإنما أقضي بنحو مما أسمع ، ولعل أحدكم أن يكون الخن (٢) بحجة من بعض ، فأقضي له ، فن قضيت له من حق
 مسلم فلأما هي قطعة من نار فليحملها أو يلقها » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا أسامة بن زيد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أم سلمة قالت : جاء رجلان
 من الأنصار يخاصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [في نوايرث بينهما قد درست ، ليس عندهما بينة ، فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم] إنكم تختصمون إلي ، وإنما أنا بشر ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، وإنما
 أقضي بينكم حل نحو مما أسمع ، فن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه ، فلأما أقطع له قطعة من النار ، يأتي بها
 إسلاما (٣) في حقه يوم القيامة . فبكى الرجلان وقال كل منهما : حتى لأخى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 «أما إذا قلنا فاذنبا فاقنما ، ثم توخيا الحق ، ثم اسمها (٤) ، ثم ليحصل كل واحد منك صاحبه (٥) » .

وقد رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد (٦) زيد ، به ، وزاد : «وإني إنما أقضي بينكما برأى فيما لم يتول حل فيه» .

وقد روى ابن مردويه ، من طريق الموق ، عن ابن عباس قال : إن نفرا من الأنصار غزوا مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته ، فسرقوا درع لأحلم ، فأظن به رجل من الأنصار ، فأقى صاحبه الدرع رسول

(١) البخاري ، كتاب الشهادات : ٢٣/٢٢٥ ، ٢٢٦ . وكتاب الحيل : ٢٢/٩٢ . وكتاب الأحكام : ٨٩/٩ . ومسلم ،
 كتاب الأضحية : ١٢٩/٥ .

(٢) الخن : الخن وأبلغ وأقهر حل مرض حجة .

(٣) إسلاما ، ويرى : مطاما - يكر السمن وضع اللطام - هي المدينة التي تحرك بها النار وتسمى . أي : اتقى له
 ما يفسد به النار حل نفسه ويشملها .

(٤) أي : افترحا .

(٥) سمع أحد : ٢٢٠/٦ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الأضحية : ٢٠١/٣ ، ٣٠٢ .

فصل الله عليه وسلم قال : إن طعنة بن أبيرق سرق دحى ، فلأرى السارق ذلك عند إليها فالتفها في بيت وجعل يرى ، وقال لفر من مشيرته : إلى غنيت الدرع وأفتيتها في بيت فلان ، وستوجد عنده . فأنطلقوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلاً ، قالوا : يا نبي الله ، إن صاحبنا يرى . وإن صاحب الدرع فلان ، وقد أحطنا بذلك علماً ، فاعدتُ صاحبنا على رموس الناس وجادلته . فإني إن لا يصعبه الله بك بلك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه وعذره على رموس الناس ، فأنزل الله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُكَفِّرَنَّ بَأْسَكُمْ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي بَشَّرْنَا بِالْأَنفُسِ أَلَمْ تَكُنْ تَكْفُرُونَ) واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً ، ولا يجادل من الذين يخافون أنفسهم ... الآية . ثم قال للذين أنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَحْفَنِينَ بِالْكَلْبِ : (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) ... الآيتين . يعنى اللذين أنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين يجادلون عن الخائنين ثم قال : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) ... الآية ، يعنى : اللذين أنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكلب ، ثم قال : (ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً) يعنى : السارق والذين جادلوا عن السارق . وهذا سياق غريب ، وكذا ذكر مجاهد ، وعكرمة ، وقادة ، والسدى ، وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنها أنزلت في سارق بنى أبيرق على اختلاف سياقاتهم ، وهي مقاربة .

وقد روى هذه الصفة محمد بن إسحاق مطولة ، فقال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية من جامعه ، وابن جرير في تفسيره :

حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شبيب أبو مسلم الحراني ، حدثنا محمد بن سكمك الحراني ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن حاصم بن حمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن جده قتادة بن النعمان رضى الله عنه قال : كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق : بشر وبشير ومبشّر ، وكان بشير رجلاً منافقاً ، يقول الشعر يجوبه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يحمله (١) بغض العرب ، ثم يقول : قال فلان كذا وكذا ، وقال فلان كذا وكذا ، فإذا جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك [الشعر] قالوا : والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث (٢) ؟ أو كما قال : الرجل (٣) - وقالوا : ابن الأبيرق كذا . قالوا : وكانوا (٤) أهل بيت حاجة وفاة في الجاهلية والإسلام ، وكان الناس إنما يطعمهم بالمدينة الفخر والشعر ، وكان الرجل إذا كان له يسكر قدمت ضافته (٥) من البقام من الدومك ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه ، وأما الصيال فإما يطعمهم الفخر والشعر ، فقدمت ضافته من الشام ، فابتاع هي رقاعة بن زيد ححملاً من الدومك فحمله (٦) في مشربة (٧) له ، وفي المشربة سلاح : درع

(١) علم القول : أنبه إليه

(٢) بعده في تفسير الهذلي ١٧٧/٩ : فقال :

أركلنا قال الرجال قصيدة

وأصموا : غضبوا :

(٣) أو : الشك من الروى ، يعنى قال لفظ الخبيث ، أو قال لفظ الرجل .

(٤) وكانوا : يعنى بنى أبيرق .

(٥) الضافة : قوم من الأقباط كانوا يحملون إلى المدينة الفخري والزيت وغيرهما . والدومك : الفخري القبيح .

(٦) كذا في خطوطنا . وفي نسخة الأحمدى والخطيب : فبسه .

(٧) المشربة : الفرة والحلبة .

وسيف ، فتمكن عليه من تحت البيت ، فتكثرت للشرية وأخذ الطعام والسلاح ، فلما أصبح أتاه من رفاعته فقال : يا ابن أمي ، إنه قد عدت علينا في ليثنا هذه ، فتكثبت مشربتنا وذئبت بطعامنا وسلاحنا . قال : فتجست (١) في الدار وسألتا ، فهل لنا : قد رأيتا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ، ولا تری فیها نری إلا حل بعض طعامكم .

قال : وكان بنو أبيرق قالوا - ونحن نسأل في الدار - : والله ما نرى صاحبكم إلا ليث بن سهل ؟ رجلا منا له سلاح وإسلام : فلما سمع ليث اختط (٢) سيفه وقال : أنا أسرق ؟ والله ليخاطبكن هذا السيف ، أو لتيثن هذه السرة . قالوا : إليك عنا أيها الرجل ، فما أنت بصاحبها . فسألتا في الدار حتى لم تترك أئمة أصحابها . فقال لي : يا ابن أمي ، لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ؟ قال قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن أهل بيت من أهل جفاه عدوا إلى محبي رفاعته بن زيد ، فتكثبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحهم وطعامهم . فكثر دوا علينا سلاحنا ، فلما الطعام فلا حاجة لنا فيه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ستأمر في ذلك .

فلما سمع بنو أبيرق أنوا رجلا منهم يقال له : أسير بن عمرو (٣) ، فكلوه في ذلك ، فاجتمع في ذلك أنا من أهل الدار فقالوا : يا رسول الله ، إن قتادة بن النعمان وعنه عدوا إلى أهل بيت من أهل إسلام وصالح ، يرمونهم بالسرة من غير بينة ولا ثبت . قال قتادة : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فكلمته ، قال : عدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصالح ، يرميهم بالسرة على غير ثبت ولا بينة ؟ ؟

قال : فرجبت ولوحدثت أني خرجت من بعض مالي ، ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فأتاني من رفاعته . قال : يا ابن أمي ، ما صنعت ؟ فأنشبرته بما قال [ل] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الله للمصلح : فلم تلبث أن تول القرآن : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فصالح بين الناس بما أراك الله ولا تكن الخائنين غصبا) بنو أبيرق (واستغفر الله) بما قلت لقتادة (إن الله كان خفورا رجيا ، ولا يجادل من الذين يخفون أنفسهم) إلى قوله : (رجيا) أي : لو استغفروا الله لنفرتهم (ومن يكسب إلّا إلّا بما يكسبه على نفسه) إلى قوله : (إنا ميتا) قولهم ليث (ولو لا فضل الله عليك ورحمته) إلى قوله : (سوف نوتيه أجرا عظيما) .

فلما تول القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فردّه إلى رفاعته .

فقال قتادة : لا أتيت محبي بالسلاح وكان شيخا ، قد عشا أوصا (٤) - الشك من أبي عيسى - في الجاهلية وكنت لرى إسلامه مدحولا (٥) فلما أتته بالسلاح قال : يا ابن أمي ، هو في سبيل الله . فعرفت أن إسلامه كان

(١) كذا في خطوطنا ، بالبع ، وفي نسخة الأخوي والعلوي : فحسبنا . بالخاء ، وكتباها بجازة .

(٢) اختط سيفه : استطه .

(٣) كذا في خطوطنا ، وفي نسخة الأخوي والعلوي : « أسير بن عمرو » . وكذا دوى في اسمه . قال ابن الأثير في أمه القنابة ١١٥٦ : « أسير بن عمرو ، وقيل : ابن عمرو .

(٤) صا : كبير وأسن . وعشا : قل بصره وخسف .

(٥) مدحولا : فيه دخل - يفتضح - وهو البهب والنسق والفساد . يعني أن إيمانه كان متزلا فيه فقال .

صحيحاً ، فلما نزل القرآن لحق بَشِيرٌ بالمُشْرِكِينَ ، فَنَزَلَ عَلَى سُلَافَةٍ بَنَتْ سَعْدَ بْنَ سُمَيْكَةَ ، فَأَتَتْهُ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ نُفِرْكَ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (فلما نزل على سُلَافَةٍ وماها حسان بن ثابت [بآيات] من شعر ، فَأَخَذَتْ رَحْلَهُ فَوَضَعَتْهُ عَلَى رَأْسِهَا ، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ فِي الْأُطْلُحِ ، ثُمَّ قَالَتْ : أَهْلَيْتُ لِي شَرَّ حَصَانٍ مَا كُنْتُ تَأْتِيهِ غَيْرَهَا) ؟

لفظ الترمذى ، ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحارثي وروى يونس بن بكير وغير واحد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عُمر بن قتادة مرسل ، لم يذكرُوا فيه عن أبيه عن جده (٢) .

ورواه ابن أبي حاتم عن هاشم بن القاسم الحارثي ، عن محمد بن سلمة ، به يعضه .
ورواه ابن المنذر في تفسيره : حدثنا محمد بن إسحاق - يعني الصائغ - حدثنا [الحسن بن (٣)] أحمد بن أبي شعيب الحارثي ، حدثنا محمد بن سلمة - فذكره بطوله .

ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في تفسيره عن محمد بن العباس بن أبيوب والحسن بن يعقوب ، كلاهما عن الحسن ابن أحمد بن أبي شعيب الحارثي ، عن محمد بن سلمة - به . ثم قال في آخره : قال محمد بن سلمة : سمع نفي هذا الحديث يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن إسرائيل .

وقد روى الحاكم أبو عبد الله النيسابوري هذا الحديث في كتابه «المستدرك» عن أبي العباس الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار الطاطري ، عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق - بمعناه ثم منه ، وفيه الشعر ، ثم قال : «وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه» (٤) .

وقوله : (يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ) :: الآية ، هذا إنكار على المناقذين في كونهم يستحفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم ، ويجاهدون الله بها لأنه مطلع على سرائهم وحالهم بما في ضمائرهم . ولهذا قال : (وَهُوَ مِنْهُمْ إِذْ يَبْتِغِيوْنَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ حَافِظًا) تهديد لم ووعيد .
ثم قال : (هَآ أَنْتُمْ هَآؤَآ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) :: الآية . أَيْ : هَبْ أَنْ هَؤَآآ أَنْتُمْ تَصْرَحُوا فِي الدُّنْيَا بِمَا أَهْلُهُمْ أَوْ أَبْدَى لَمْ عِنْدَ الْحُكَّامِ الَّذِينَ [يَحْكُمُونَ] بِالظَّاهِرِ - وَهُمْ مُتَعَبِّدُونَ بِهَآؤَآ - فَإِذَا يَكُونُ صَنِيعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ مِنْ وَجَلِ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ، وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتَوَكَّلُ لَمْ يَوْمِتْ لَهُ تَرْوِيجُ دَعْوَاهُمْ ؟ أَيْ : لَا أَحَدٌ يَكُونُ يَوْمَتُهُ لَمْ وَكَيْلًا ، وَلِهَذَا قَالَ : (أَمْ مِنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا) ؟

(١) ينظر حديثه : ٢٧١ - والمستدرك : ٢٨٧/٤ .

(٢) تحفة الأحرف : تفسير سورة النساء : ٢٩٥/٨ - ٢٩٩ . وتفسير الطبري : ١٧٧/٩ / ١٨١ .

(٣) من الجرح : ٢/٢/١ . والتهذيب : ٢٥٤/٢ .

(٤) للمستدرك : ٢٨٥/٤ - ٢٨٨ . ويض بالسر آيات حسان التي حياها سُلَافَةُ بَنَتْ سَعْدَ .

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُيُوتًا مِنَ الْمَوْتِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وََمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بَلَدًا وَالحِكْمَةَ وَعَلَيْكَ مَا تَرَى تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١٠٢﴾

عبر نكاح من كرمه وجوده : أن كل من تاب إليه تاب عليه من أي ذنب كان : فقال تعالى : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، أنه قال في هذه الآية : أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه ، وسعة رحمته ، ومغفرته ، فمن أذنب ذنباً صغيراً أو كبيراً (ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) ، ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال : وواه ابن جرير .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا محمد بن مني ، حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن حاصم ، عن أبي واثل قال : قال عبد الله : كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنباً أصبح قد كُتِبَ كفارة ذلك الذنب على يابه ، وإذا أصاب الولد شيئاً منه قرضه بالمقراض . فقال رجل : لقد آتى الله بنى إسرائيل خيراً - فقال عبد الله ما أتاكم الله خيراً مما أتاكم ، جعل لئام لكم طهوراً ، وقال : (والذين إذا فعلوا فحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) وقال : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) .

وقال أيضاً : حدثني بقوب ، حدثنا هشيم ، حدثنا ابن عون ، عن حبيب بن أبي ثابت قال : جاءت امرأة إلى عبد الله بن مسعود [فسألته عن امرأة ففجرت فحيلت ، فلما ولدت قطعت ولدها ؟ قال عبد الله بن مسعود] : ما لها ؟ ما اتار ! فأنصرفت وهي تبكي ، فدعاها ثم قال : ما ترى أمرك إلا أحد أمرين : (من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) : قال : فسمعت حينها ، ثم مضت .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شعبة ، عن عثمان بن المغيرة قال : سمعت علي بن ربيعة عن أبي أسد ، يحدث عن أسماء - أو ابن أسماء من بني غزارة قال : قال علي رضي الله عنه : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً نفخى الله بما شاء أن ينفخني منه ، وحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يوحياً فيصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله للذنب إلا خفر له : وقرأ هاتين الآيتين : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) ... الآية (والذين إذا فعلوا فحشة أو ظلموا أنفسهم) ... الآية (١) .

وقد تكلمنا على هذا الحديث ، وعزيته إلى من رواه من أصحاب السنن ، وذكرنا ما في سننه من مقال في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وقد تقدم بعض ذلك في سورة آل عمران أيضاً (١) .

وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من وجه آخر من على فقال : حدثنا أحمد بن محمد بن زياد ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي ، حدثنا داود بن مهران الديلم ، حدثنا عمر بن يزيد ، عن أبي إسحاق ، عن عبد خير ، عن علي قال : سمعت أبا بكر هو الصديق يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد أذنب فقام فوضأ فأحسن وضوءه ، ثم قام فصل واستغفر من ذنبه ، [لا كان حقاً] على [الله أن يغفر له لأنه يقول (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) هذه الآية] .

ثم رواه من طريق أبان بن أبي عياض ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن الحارث ، عن علي ، عن الصديق — بنحوه . وهذا إسناد لا يصح :

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن علي بن دحي حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا موسى بن مروان الرقي ، حدثنا بشر بن إسحاق الحلبي ، عن تمام بن نجيع ، حدثني كعب بن ذهل الأزدي قال : سمعت أبا الدرداء يحدث قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلسنا حوله ، وكانت له حاجة فقام إليها ولزاد الرجوع ، ترك له في مجلسه أو بعض ما عليه ، وإياه قام فترك عليه — قال أبو الدرداء : فاعذر ركوة (٢) من ماء فأتته ففشي ما به ، ثم رجع ولم يقض حاجته ، فقال : إنه أتاني آت من ربي فقال : إنه : (من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) فأردت أن أبشر أصحابي ، قال أبو الدرداء : وكانت قد شقت على الناس الآية التي قبلها : (من يعمل سوءاً يجز به) فقلت : يا رسول الله ، وإن زنى وإن سرق ، ثم استغفر وبه ، فغفر له ؟ قال : نعم قلت الثانية ، قال : نعم . قلت الثالثة ، قال : نعم ، وإن زنى وإن سرق ثم استغفر الله غفر الله له على رغم أنف حوَّير (٣) . قال : فرأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه بأصبعه •

هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه بهذا السياق ، وفي إسناده ضعف :

وقوله : (ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه) ... الآية ، كقوله تعالى : (ولا تزوواؤكم ولزواؤكم) أخرى (... الآية ، يعني أنه لا يجزي أحد على أحد ، وإنما على كل نفس ما عملت ، لا يعمل عنها غيرها • وهذا لال تعالى : (وكان الله علياً حكيماً) أي : من علمه وحكمته ، وعدله ورحمته كان ذلك .

ثم قال : (ومن يكسب خطيئة أو إثماً لم يتركه به بريئاً) ... الآية ، يعني كما أنهم يتركون فيهم من التوبخ ذلك الرجل الصالح ، وهو ليدين سهل ، كما تقدم في الحديث ، أو يزيد بن السمين اليهودي على ما قاله الآخرون ، وقد كان بريئاً وهم الظلمة الخوذة ، كما أطلع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم . ثم لما التزموا وهذا التوبخ عام فيهم وفي غيرهم ممن اتصف مثل صفتهم ، ولو تكب مثل خطيئتهم ، فليعلم مثل حقوبتهم •

(١) معنى في هذا الجزء : ١٠٤ هـ الآية ١٣٥ من سورة آل عمران .

(٢) الركوة : دلو صغيرة .

(٣) حوَّير : هو اسم أبي الدرداء (أحد الثانية : ١٨١/٥ ط الزهنية) .

وقوله : (وتولوا فضل الله عليك ورحمة لمست طائفة منهم أن يظلموك ، وما يضلون إلا أنفسهم ، وما يضروك من شيء) . قال الإمام ابن أبي حاتم : أنبأنا هاشم بن القاسم الحراقي فيما كتب إلى . حدثنا محمد ابن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حاصم بن حر بن قتادة الأنصاري ، [عن أبيه] ، عن جده قتادة ابن النعمان - وذكر قصة بني أريق ، فأئول الله : (لمست طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم وما يضروك من شيء) يعني : أسير بن عروة وأصحابه . يعني بذلك ما أنشأ على بني أريق ولاهوا قتادة بن النعمان في كونه لهم ، وهم صلحاه يراءه ، ولم يكن الأمر كما اتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولهذا أنزل الله فصل القضية وجعلنا لرسوله صلى الله عليه وسلم =

لم آمن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال ، وعصيته له ، وما أتزل عليه من الكتاب ، وهو القرآن ، والحكمة ، وهي السنة ، (وعليك ما لم تكن تعلم) أي : قبل نزول ذلك عليك ، كقوله : (وكانك لوحيًا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب) - - إلى آخر السورة : وقال تعالى : (وما كنت ترجو أن ياتي إليك الكتاب إلا رمة من ربك) ، ولما قال تعالى : (وكان فضل الله عليك عظيما) »

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ حُرُوفِهِمْ إِلَّا مِنْ أَمْرِ بَصِيَّةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ
وَجْهِ اللَّهِ يَنْفَعْهُ سِتْرِينَ أَلْفَ عَشْرٍ ۖ وَمَنْ يُسْلِقِ الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُدِيَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
النُّزُولِ ثُمَّ يَقُولْ أَنَا مُسْلِمٌ ۖ وَاللَّهُ يَصْطَلِي عَنِ السَّيِّئِينَ وَمَا لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ ۝

بقول تعالى : (لا تخبر في كثير من أخبارهم) يعني : كلام الناس (إلا من أمر بعده أو معذوف أو إصلاح بين الناس) أي : إلا نجوى من قال ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه ابن مسعود عليه ،

حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن سليمان بن الحارث ، حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس قال : دخلنا على سفیان الثوري نمرده - وأومأ إلى دار المطالين - لدخل عليه سعيد بن جابر الخزومي فقال له سفیان الثوري : الحديث الذي كنت حديثي به عن أم صالح روّدته علي : فقال : حديثي أم صالح : عن صفية بنت شيبة ، عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلام ابن آدم كله عليه لا له ما خلا أمراً معروفاً ، أو نبأ من منكر ؟ فقال محمد بن يزيد : ما أئند هذا الحديث ؟ فقال سفیان : وما شدة هذا الحديث ؟ فاجامعت بطعاماً عن امرأة ، هذا في كتاب الأئلي أرسل به نعيم صلى الله عليه وسلم (١) أو ما سمعت الله يقول في كتابه : (لا خير في كثير من نجواً إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) فهو هذا حديثه ، أو ما سمعت الله يقول : (يوم يقوم الروح والملائكة صفواً لا يكلون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) فهو هذا حديثه ، أو ما سمعت الله يقول في كتابه (والبصير إن الإنسان لني غسر) : الخ ، فهو هذا حديثه .

(١) من التدرج المتصور : ٢٢٪ و مكانه في الخطوة : ١٠ قال مفيان ونلاحظه .

وقد روى هذا الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن غنيم ، عن سعيد بن حسان ، به . ولم يذكر أقوال الثوري إلى آخرها ، ثم قال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن غنيم (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، حدثنا صالح بن كيسان ، حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب : أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره ، أن أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته : أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فيبشئ خيراً — أو يقول خيراً — » وقالت : لم أسمع يرخص فى شيء مما يقوله الناس إلا فى ثلاث : فى الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها . قال : وكانت أم كلثوم بنت عقبة من المهاجرات اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

وقد رواه الجماعة (٣) ، سوى ابن ماجه ، من طرق ، عن الزهري — به نحوه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة عن سلم بن أبي الجعد ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام ، والصلاة ، والصدقة ؟ قالوا : بلى . قال : إصلاح ذات البين » قال وفساد ذات البين هى الخالق (٤) .

ورواه أبو داود والترمذى ، من حديث أبي معاوية ، وقال الترمذى : حسن صحيح (٥) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، حدثنا سريج : بن يونس ، حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن عمر ، حدثنا أبي ، عن حميد ، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي أيوب : ألا أدلك على تجارة ؟ قال : بلى . قال : تسمى فى صلح بين الناس إذا تفاشوا وتكابر بينهم إذا تفاشوا . ثم قال البزار : وعبد الرحمن ابن عبد الله الصمرى تبيين ، وقد حدث بأحاديث لم يتابع عليها .

ولهذا قال : (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله) أى : مخلصاً فى ذلك محسباً ثواب ذلك عند الله عز وجل (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) أى : ثواباً جزيلاً كثيراً واسعاً .

وقوله : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) أى : ومن سلك غير طريق الشريعة التى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصار فى شق والشرع فى شق ، وذلك عن حَسَدٍ منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له . وقوله : (ويتبع غير سبيل المؤمنين) هذا ملازم للصفة الأولى ، ولكن قد تكون المخالفة للنس للشارع ، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية ، فبما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً ، فإنه قد ضُميت لهم المصصة فى اجتباهم من الخطأ ، شريعياً لهم

(١) تحفة الأحراف ، كتاب الزهد : ٩٣/٧ ، ٩٤ . وابن ماجه ، كتاب الفتن ، الحديث : ٣٩٧ ، ٢/١٣١٥ .

(٢) مسند أحمد : ٤٠٣/٦ .

(٣) البخارى ، كتاب الصلح : ٢٤٠/٣ . ومسلم ، كتاب البر : ٢٨/٦ ، وأبو داود ، كتاب الأدب : ٢٨١/٤ . وتحفة الأحراف ، كتاب البر : ٧٠/٦ .

(٤) مسند أحمد : ٤٤٤/٦ ، ٤٤٥ . وأبو داود ، كتاب الأدب : ٢٨٠/٤ ، وتحفة الأحراف ، كتاب القِيامة : ٢١١/٧ ، ٢١٢ . والمخالفة : التى تخلف الدين وتفاضله ، كما يتناول الشعر .

(٥) فى تحفة الأحراف : هذا حديث صحيح .

وتعظيماً لنبينهم . وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة ، قد ذكرنا منها طرفاً صالحاً في كتاب « أحاديث الأصول » ومن العلماء من ادعى نواتر معناها ، والذي عول عليه الشافعي رحمه الله في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرّم مخالفتها هذه الآية الكريمة ، بعد التروى والفكر الطويل . وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها ، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك واستبعد الدلالة منها على ذلك .

ولهذا تجد تعالى على ذلك بقوله : (نوله ما تولى ونصله جهنم وسامت مصيراً) أي : إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك ، بأن نحسنها في صدره ونزينها له ، استلزاماً له ، كما قال تعالى : (فلنرى ومن يكذب بهذا الحديث مستندرجهم من حيث لا يعلمون) . وقال تعالى : (فلما زأغوا أزاغ الله فلوجهم) . وقوله : (ونلهم في طغيانهم يعمهون) .

وجعل النار مصبره في الآخرة ، لأن من خرج من الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة ، كما قال تعالى : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) . . . الآية وقال : (ورأى للمجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ^١ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا^٢ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْسَانًا إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا^٣ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخَدُّعُنِي عِبَادِيَ نَهْيًا مُفْرَضًا^٤ وَلَا تُلْهِمْهُمْ وَلَا مَنِيهِمْ وَلَا تُلْهِمْهُمْ فَلْيُحْيُوا خَلْقَ اللَّهِ^٥ وَمَنْ يَخُذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مَبِينًا^٦ يَعْلَمُهُمْ وَيَعْلَمُهُمُ الشَّيْطَانُ^٧ إِلَّا عُرُورًا^٨ وَلَوْلَا أَنْ تَدْعُوهُمْ^٩ وَمَا وَدَّ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ الْفُلُوكَ مَوَاطِنَ^{١٠} وَلَا يَخْلُوقَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا^{١١} وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا^{١٢}

قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة ، وهي قوله : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك) : : الآية وذكرنا ما يتعلق بها من الأحاديث في صدر هذه السورة (١) .

وقد روى الترمذي حديث (٢) ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علفقة ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه أنه قال : ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية : (إن الله لا يغفر أن يشرك به) . . . الآية ، ثم قال : حسن غريب (٣) .

وقوله : (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً) أي : قد سلك غير الطريق الحق ، وضل عن الهدى وبعد عن الصواب ، وأهلك نفسه وعصرها في الدنيا والآخرة ، وفاته سعادة الدنيا والآخرة .

(١) وذلك عند الآية رقم : ٨ من هذه السورة .

(٢) في المخطوطة : حدثنا ثوير . وهو خطأ .

(٣) تحفة الأحرار ، تفسير سورة النساء : ٣٩٩/٨ : ٤٠٠ .

وقوله : (إن يدعون من دونه إلا إناثاً) قال ابن أبي حاتم : [حدثنا أبي] حدثنا محمود بن غيلان ، أنه قال الفضل ابن موسى ، أخبرنا الحسن بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : (إن يدعون من دونه إلا إناثاً) ، قال : مع كل صم جنسية^(١) .

وحدثنا أبي ، حدثنا محمد بن سلمة الباهلي ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن هشام - يعني ابن عروة - عن أبيه ، عن عائشة : (إن يدعون من دونه إلا إناثاً) ، قالت : لو فانا .

وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وعروة بن الزبير ، ومجاهد ، وأبي مالك ، والسدي ، ومقاتل بن حيان نحو ذلك .

وقال جويبر عن الضحاك في : (إن يدعون من دونه إلا إناثاً) . قال المشركون : إن الملائكة بنات الله ، وإنما نعيدهم ليقربونا إلى الله زلفى ، قال : اتخلوها أرباباً وصوروهن صورَ الجوارى ، فحكوا وغللوا ، وقالوا : هؤلاء يُشبهن بنات الله اللاتي نعيدهن ، ينعون للملائكة .

وهذا التفسير شبهه بقوله تعالى : (أفرأيتم اللات والعزى) : الآيات ، وقال تعالى : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً) . . . الآية وقال تعالى : (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) : الآيتين .

وقال حلي بن أبي طلحة والضحاك ، عن ابن عباس : (إن يدعون من دونه إلا إناثاً) قال : يعني موقد . وقال مبارك - يعني ابن فضال - عن الحسن : (إن يدعون من دونه إلا إناثاً) ، قال الحسن : الإناث كل شيء ميت ليس فيه روح ، إما خشبة يابسة وإما حجر يابس^(٢) . ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وهو غريب .

وقوله : (وإن يدعون إلا شيطاناتاً مردية) أى : هو الذى أمرهم بذلك وحسنه لهم وزينه ، وهم إنما يعبدون إبليس في نفس الأمر ، كما قال تعالى : (ألم أعهدهم إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان) . . . الآية وقال تعالى إخباراً عن الملائكة أنهم يقولون يوم القيامة عن المشركين الذين ادعوا عبادتهم في الدنيا : (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) .

وقوله : (لعنة الله) أى : طردة وأبعده من رحمته ، وأخرجته من جواره . وقال : (لا تأخذن من عبادك نصيباً مفروضاً) أى : سعيتم ما مقدراً معلوماً قال مقاتل بن حيان : من كل ألف تسعة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة .

(ولا ضللتهم) أى : عن الحق (ولا متينهم) أى : أزين لهم ترك التوبة ، وأعدم الأمان ، وأمرهم بالتوسيع والتأخير ، وأخرجهم من أنفسهم .

وقوله : (ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) قال قتادة والسدي وغيرهما : يعني تشقيها ، وجعلها سمعة وعلامة للبهيمة^(٣) والسابعة .

(١) رواه عبد الله بن أحمد عن محمود بن غيلان بإسناده ينظر المصنف ١٣٥٠ هـ . وقد كان الرطب يوصفون أن الجن تتقمص أصنامهم ، وأن كل صم منها قبل به جنية .

(٢) يعني بذلك أنهم إلى كانوا يعبدها ، فقد كان بعضها من الخشب ، وبعضها من الحجر .

(٣) سيأتى تفسيرها في الآية ١٠٣ من سورة المائدة ، إن شاء الله تعالى .

(وَلَا تُرْمِهُمْ فَتُكَيِّرُونَ خَلْقَ اللَّهِ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَتَنَبَّأُ بِذَلِكَ خِيَصَاءُ الدُّوَابِّ: وَكَذَلِكَ رَوَى عَنْ ابْنِ هُرَيْرٍ، وَأَبْنِ سَوِيدٍ بَيْنَ الْمَسِيحِ، وَحَكِيمَةٍ، وَأَبْنِ صَالِحٍ، وَأَبْنِ صَالِحٍ، وَتَقَادَرُ، وَالثَّوْرِيُّ. وَقَدْ رَوَى فِي حَدِيثِهِ النَّبِيُّ عَنْ ذَلِكَ (١) وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ: يَتَنَبَّأُ بِذَلِكَ الثَّوْرِيُّ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ النَّبِيُّ عَنْ الثَّوْرِيِّ فِي الرَّجَاءِ، وَفِي لَفْظٍ لِمَنْ قَالَ لَمْ يَلِدْ ذَلِكَ ذَوْقُ الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ مَسْرُودٍ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَلِدْ أَلْفَ الْوَأْشَاتِ وَالسُّتُوثَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَضَلِّجَاتِ الْحَمْسُ الْغَيْرَاتِ خَلَقَتْهُ اللَّهُ هَزْ، وَجَلْ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَلَيْسَ مَنْ لَمْ يَلِدْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ هَزْ وَجَلْ، يَتَنَبَّأُ قَوْلُهُ: (وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (٢).

وقال ابن حاتم في رواية عنه ، ومجاهد ، وعكرمة أيضاً وإبراهيم النخعي ، والحسن ، وقتادة ، والحكم ، والسدي ، والتميم ، وعطاء الخراساني في قوله : (ولآمرتهم فليغيرن خلقن الله) يعني : دين الله عز وجل . وهذا كقوله تعالى (فأقم وجهك للدين حقيقاً فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) : هل قول من جعل ذلك أمراً ، أي : لا تبدلوا فطرة الله ودعا الناس على فطرتهم ، كما ثبت في الصحيحين (٢) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه ، كما تولد ، للبهيمة (٤) بهيمة جسمانه هل يحمسون فيها من جدعاه ؟ » وفي صحيح مسلم ، عن عياض بن حكيم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل (إلى خلقك عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتاتهم من دينهم ، وحرمت عليهم ما أحلت لهم (٥) .

وقوله تعالى: (ومن يخذل الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خُسراً مبيناً) أي: فقد خسر الدنيا والآخرة ،
ولذلك نصرة لاجرمها ولا استعراك لفاتحتها ،

وقوله : (يمدحهم ويعتبرهم وما يمدحهم الشيطان إلا غروراً) : وهذا إخبار عن الواقع ، لأن الشيطان يعد أوليائه ويعتبرهم بأنهم هم القاصرون في الدنيا والآخرة ، وقد كذب والمترى في ذلك : ولهذا قال : (وما يمدحهم الشيطان إلا غروراً) كما قال تعالى عن آخر إيليس يوم المهاد : (وقال الشيطان لافضي الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفكم ، وما كان من عليكم من سلطان) إلى قوله : (وإن الظالمين لهم عذاب أليم) .

وقوله ۱ (أولئك) أي : المستحسنون له فيما وعدهم ومثامهم (أولاهم جهنم) أي : مصيرهم وماكلم يوم حسابهم (ولا يجلون عنها عبيداً) أي : ليس لهم منها منلوحة ولا مصرف ، ولا خلاص ولا مناص .

ثم ذكر حال الصلحاء الأتقياء وما لهم في ما كنتم من الكرامة العامة ، فقال : (والذين آمنوا وعلوا الصالحات) أى : صدقت قلوبهم وعلت جوارحهم بما أمروا به من الخيرات ، وتركوا ما نهوا عنه من الذنكرات (سندخلهم جنات تجري من

(١) البخاري ، تفسير سورة المائدة : ٦٦٪٦ ، وكتاب النكاح : ٧٪٧ . ومسنود أحمد عن جابر بن عبد الله : ٣٪٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(٢) مسلم ، كتاب الباقى والزينة : ١٦٦/١ ، ١٦٧ .

(٢) البخاري ، كتاب الجنائز : ١١٨/٣ ، وسلم ، كتاب القبر : ٥٣/٨ ، ٥٣ ، ٥٤ .

و بهیمة جمعاء : مليمة من الميوط ، و خيمة الأعضاء كاملتها ، فلا كي ها ولا جدم .

(٤) كذا ، وفي الصحيح : « كما تكلم الهمزة بيمينه بجماء »

(٥) مسلم ، كتاب الجنة من حديث طويل ١٥٨ ، ١٥٩ وإجلالهم : أي استغفرتهم فجالوا معها في الضلال .

نحيا (الأجر) أي : يعمر فيها حيث شاموا وأبن شاموا (خالدين فيها أبداً) أي : بلا زوال ولا انتقال (وعد الله حقاً) أي : هذا وعد من الله ووعد الله معلوم حقيقة [أنه واقع لا محالة] ولهذا أكد به بالمصدر الدال على تحقيق الخبر، وهو قوله : (حقاً) ثم قال : (ومن أصدق من الله قيلاً) أي : لا أحد أصدق منه قولاً وخبراً ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته : إن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها [وكل محدثة بدعة] وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار (١) .

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ سَوْلاً يَحْدِلْهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يَصِيرَ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُمْ مُؤْمِنُونَ قَالُوا لَكَ بِدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَبْلُغُونَ نَقِيرَ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَاتَّخَذَ اللَّهُ لَهُمْ خَلِيلًا ۖ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْبِرًا ۖ

قال قتادة : ذكرنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا ، فقال أهل الكتاب : نيتنا قبل ليكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، فنحن أولى بالله منكم . وقال المسلمون : نحن أولى بالله منكم ؛ نيتنا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله ، فأول الله : (ليس بآمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به) ، (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) . : الآية . (١) فألحق (٢) الله حجة المسلمين على من توارى من أهل الأديان (٣) :

وكذا روى عن السدي ، ومسروق ، والضحاك وأبي صالح ، وغيرهم - وكذا روى العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : غاصم أهل الأديان فقال أهل التوراة : كتابنا خير الكتب ، ونيتنا خير النيات ، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك . وقال أهل الإسلام : لا دين إلا الإسلام ، وكتابنا نسخ كل كتاب ، ونيتنا خاتم النبيين ، وأمرنا وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا . فحصى الله بينهم فقال : (ليس بآمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به) ، وخبر بين الأديان فقال : (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) إلى قوله : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) (١) .

وقال مجاهد : قالت العرب : لن تبعث ولن تعذب : وقالت اليهود والنصارى : (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) ، وقالوا : (لن تحسن النار إلا أياماً معدودات) .

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الاقسام : ١١٤/٩ ، ومسلم في كتاب الجمعة : ١١٧/٣ ، وابن ماجه في اللغة : الحديث ٤٦ : ١٨٨/١ ، وصحة أحمد : ٣١٠/٣ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٧١ . مع اختلاف في بعض الألفاظ .
(٢) أطلع الله سبحانه : نصرها وأعلامها .
(٣) تفسير الطبري : ٢٢٩/٩ .
(٤) تفسير الطبري : ٢٣٠/٩ .

وللق في هذه الآية أن الذين ليس بالصل ولا بالتقى وليس كل من ادعى شيئاً حصل له مجرد دعواه ، ولا كل من قال : والله هو المحقّ ، سمع قوله بمجرد ذلك ، حتى يكون له من الله برهان . ولهذا قال تعالى : (ليس بأمانتكم ولا أمانتي لأهل الكتاب) أي : ليس لكم ولا لهم نتيجة بمجرد التمسك ، بل العبرة بطاعة الله ، وإتباع ما شرع على السنة وسنة الكرام ، ولهذا قال بعده : (من يعمل سوياً يجز به) كقوله (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره (١) ،

وقد روى أن هذه الآية لا تزل شق ذلك حل كثير من الصحابة ، قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الله بن عمر ، حدثنا إسماعيل ، عن أبي بكر بن أبي زهير قال : أنخبرت أن أبا بكر قال : يا رسول الله ، كيف الصلاح بعد هذه الآية : (ليس بأمانتكم ولا أمانتي لأهل الكتاب) من يعمل سوياً يجز به ؟ فكأنك سوء علماء جزيتاه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « غفر الله لك يا أبا بكر ، أأنت تفرس ؟ أأنت تنصب ؟ أأنت تحزن ؟ أأنت تمسك بالآراء ؟ قال : بلى ، قال : فهو ما يجزون ؟ » هـ

ورواه سعيد بن منصور ، عن خلف بن خليفة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، به ، ورواه ابن حبان في صحيحه ، عن أبي يعلى ، عن أبي خزيمة ، عن يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، به . ورواه الحاكم من طريق سفيان الثوري ، عن إسماعيل (٢) هـ

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن زياد الجصاص ، عن حل بن زيد ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : سمعت أبا بكر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يعمل سوياً يجز به في الدنيا » (٣) هـ

وقال أبو بكر بن مروان : حدثنا أحمد بن حنبل بن جهمية ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا زياد الجصاص ، عن حل بن زيد ، عن مجاهد قال : قال عبد الله بن عمر : انظروا المكان الذي به جدد الله بن الزبير مصلوباً ولا تحزن عليه : قال : فسها للنلام ، فإذا ابن عمر ينظر إلى ابن الزبير فقال : ينظر الله لك ثلاثاً ، أما والله ما حطكت إلا صوتاً قرأاً وصلاً رحم ، أما والله إنني لأرجو مع متساوي ما أصبت أن لا يبدلك الله بعدها : قال : ثم انفضت إلى فقال : سمعت أبا بكر الصديق يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يعمل سوءاً في الدنيا يجزيه »

ورواه أبو بكر بن الزبير في مسنده ، عن الفضل بن سهل ، عن عبد الوهاب بن عطاء ، به مختصراً ، وقد قال في مسند ابن الزبير : حدثنا إبراهيم بن المستر المروقي ، حدثنا عبد الرحمن بن سليم بن حبان ، حدثني أبي ، عن جدي حبان بن عطاء ، قال : كنت مع ابن عمر ، فر ببصليته ابن الزبير وهو مصلوب ، فقال : وحملك الله أبا خبيب .

(١) وأما هذه الآية تزل في تقاسم أهل الكتاب بعضهم حل بعض ، أو في تقاسم المشركين وأهل الكتب السبوية بعضهم حل بعض كذلك ، وأما ما كان سبب نزولها ، فهو تركه أن دعوى الإيمان ليست بالأمان والأمان ، وإيمانهم بالأمان والأمان .

(٢) مسند أحمد : ١١٤٩ ، والاختلاف : للثقة والفتنة .

(٣) المسند : كتاب معرفة الصحابة : ٧٤٣ ، ٧٥ .

(٤) مسند أحمد : ٦٨١ .

سمعت أباك - يعني الزبير - يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يعمل سوماً يجزيه في الدنيا والأخرى » ثم قال : لا أعلم يروى عن الزبير إلا من هذا الوجه »

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا محمد بن سعد العوفي ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا موسى ابن عبيدة ، حدثني موسى بن صباح قال : سمعت ابن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق قال : « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فترلت لهؤلاء الآية : (من يعمل سوماً يجزيه ولا يجدر له من دون الله ولأى ولا نصيراً) » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ، هل أتوك آية ترلت على ؟ قال : قلت : بلى يا رسول الله ، فأقرأها فلا أعلم إلا أنك وجدت عليه وسلم ! يا أبا بكر ، هل أتوك آية ترلت على ؟ قال : قلت : بلى يا رسول الله ، فأقرأها فلا أعلم إلا أنك وجدت انقضاءاً (١) في ظهري حتى تمطأت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك يا أبا بكر ؟ قلت : بأن أنت وأنت يا رسول الله وأنت لم يعمل السوء ، وإننا ليجزون بكل سوء علمناه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنت وأصحابك يا أبا بكر المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ، وليس لكم ذنب ، وأما الآخرون فيجمع لهم ذلك حتى يجزوا به يوم القيامة »

وهكذا رواه الترمذي عن يحيى بن موسى ، وعبد بن حميد ، عن روح بن عبادة ، به ، ثم قال : وموسى بن عبيدة يضعف ، ومولى ابن صباح مجهول :

طريق أخرى عن الصديق : قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إسحاق السكري ، حدثنا محمد بن حاتم السعدي ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن سليمان بن مهران ، عن مسلم بن صبيح ، عن مسروق قال : قال أبو بكر : يا رسول الله . ما أشد هذه الآية (من يعمل سوماً يجزيه) ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للمصابية والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء »

طريق أخرى : قال ابن جرير ، حدثني عبد الله بن أبي زياد وأحمد بن منصور قالا : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا عبد الملك بن الحسن الحارثي ، حدثنا محمد بن زيد بن قنط ، عن عائشة ، عن أبي بكر قال : لا ترلت (من يعمل سوماً يجزيه) قال أبو بكر : يا رسول الله ، كل ما تعمل تؤخذ به ؟ قال : يا أبا بكر ، أليس يسئلكم كلداً وفور كفارة ؟ حديث آخر : قال سعيد بن منصور : أنبأنا عبد الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن بكر بن خزيمة حدثه أن يزيد بن أبي يزيد حدثه ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة : أن رجلاً تلا هذه الآية : (من يعمل سوماً يجزيه) فقال : إنا لنجزى بكل عسك ؟ هلكتا إذا ؟ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم تجزي به المؤمن في الدنيا ، في نفسه في جسده فيما يؤذيه » .

طريق أخرى : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سلمة بن بشير ، حدثنا هشيم ، عن أبي حاتم ، عن ابن أبي

(١) انقضاء : انكساراً . وهو انقضاء . بالنقل ، ويكنى به من شدة الألم . ينظر تحفة الأوحى ، كتاب الطهارة ٢/٢٨٠ .

مليكه ، عن عائشة قالت قلت : يا رسول الله ، إني لأعلم أشد آية في القرآن . فقال : ما هي يا عائشة ؟ قلت : (من يعمل صوماً يجزيه) فقال : هو ما يصيبه العهد المؤمن حتى النكبة ينكبها .

ورواه ابن جرير (١) من حديث هشيم ، به : ورواه أبو داود ، من حديث أبي عامر صالح بن رستم الخزاز (٢) ، به : طريق أخرى ، قال أبو داود الطيالسي : حدثنا حجاج بن سلمة ، عن علي [بن] زيد عن أمية (٣) أنها سألت عائشة عن هذه الآية (من يعمل سوءاً يجزيه به) فقالت : ما سألتني عن هذه الآية أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عائشة ، هذه مائة آفة للعبد ، مما يصيبه من الحمى والنكبة والثورة ، حتى البضاعة يضعها في كفه فيفزع لها ، فيجدها في جيبه ، حتى إذا المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحم من الكر . =

طريق أخرى ، قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا أبو القاسم ، حدثنا سُرَيْج بن يونس ، حدثنا أبو معاوية ، عن محمد بن إسماعيل ، عن محمد بن زيد بن المهاجر ، عن عائشة قالت : سئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (من يعمل سوءاً يجز به) قال : « إن المؤمن يوجر في كل شيء حتى في القبيح » (٤) حدّ الموثق »

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، عن زائدة ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كثرت ذنوب العبد ، ولم يكن له ما يكفرها ، ابتلاه الله بالخزن ليكفرها عنه (٥) :

حديث آخر ، قال سعيد بن منصور ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمر بن عبد الرحمن بن عيسى ، عن معمر بن محمد بن قيس بن خزيمة ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت : (من يعمل سوءا يجز به) شق ذلك على المسلمين ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سددوا وقاربوا » فإن في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها ، والذئبة ينكها . »

وهكذا رواه أحمد (٦١)، عن صفيان بن حينة : وسلم والترمذي والنسائي، من حديث صفيان بن حينة: : ورواه ابن مرقويه مع حديث روح ومستر كلأما ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عبد الله بن إبراهيم ، سمعت أبا هريرة يقول : لما نزلت هذه الآية : (ليس بأبيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزيه) بكينا وحزنا قلنا : يا رسول الله

(١) تفسير الطبري : ٢٤٦٧٩ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز : ١٨٤/٢ .

(٣) في الخطوة : هـته : دون نقط . والمثبت من تفسير الطبري ٢٤٥/٩ ، والمستد ٢١٨/٦ . وهي أمية بنت حبه الله
 كما في التهذيب ٤٠٢/١٢ . وهي ربيعة بن زياد بن جهمان ، وقد روى عنها .

(٤) القبط : خروج الروح .

(۵) سے اُحد : ۱۵۷٪

(٦) مست أسيد ٢٤٨/٢٢ ومسلم ، كتاب البر : ١٦/٨ . وتحفة الأحوذى ، تفسير سورة النساء : ٨/٤٠٠ ، ٤٠١ .

ما أبقت هذه الآية من شيء : قال : أما والذي نفسي بيده إننا لكما نزلت ، ولكن أبروها وقاربوا وسددوا ، فإنه لا يصيب أحدا منكم مصيبة في الدنيا إلا كفر الله بها غليظة ، حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قلعه .

وقال عطاف بن يسار ، عن أبي سعيد وأبي هريرة : أتتهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا قسم ولا حزن ، حتى ألهم يهيمته ، إلا كفر به من سيئاته » أخرجه (١) ،

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن سعد بن إسحاق ، حدثني زينة بنت كعب بن جبر ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ؟ ما لنا بها ؟ قال : كفارات : قال أبي : وإن قلت ؟ قال : وإن شوكا فافوتها قال : فلما أُنزل على نفسه أنه لا يفارقه الوكة حتى يموت ، في أن لا يظلمه من حج ولا حرة ، ولا جهاد في سبيل الله ، ولا صلاة مكتوبة في جماعة ، فامسه إنسان إلا وجد سره ، حتى مات ورضي الله عنه : تفرد به أحمد (٢) :

حديث آخر : روى ابن مرفوعه من طريق حسين بن خالد ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : قيل : يا رسول الله ، (من يعمل سوما يجزيه) ؟ قال : نعم ، ومن يعمل حسنة يجزيها عشرة : فهلك من غلب واحده عشرة . وقال ابن جرير : « حدثنا ابن وكيع ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن : (من يعمل سوما يجزيه) ، قال : الكافر ، ثم قرأ : (وكل تجازى إلا الكفور) (٣) ،

وهكذا روى عن ابن عباس ، وسعيد بن جبور : أتتهما فسرنا السوء هاتما بالشرك أيضا .

وقوله : (ولا يبعد له من دونه الله وليا ولا نصيرا) : قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : إلا أن يوجب فيوبخ الله عليه ، رواه ابن أبي حاتم ،

والصحيح أن ذلك عام في جميع الأعمال ، لما تقدم من الأحاديث ، وهذا اختيار ابن جرير (٤) ، والله أعلم .

وقوله : (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) : الآية : لا ذكر الجزاء على الصيغ ، وأنه لا بد أن يأخذ مستحقها من العبد إما في الدنيا وهو الأجود له ، وإما في الآخرة - والعياذ بالله من ذلك ، ونسأله العافية في الدنيا والآخرة - والصنف والمغو والمساءة - شرح في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده ذكر آثرهم وإناتهم ، بشرط الإيمان ، وأنه سيخلطهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا تغفلهم القبر ، وهو : القرة

(١) البخاري ، كتاب المرقى ، باب ما جاء في كفارة الرض : ١٤٨/٧ ، ١٤٩ . ومسلم ، كتاب البر : ١٦٨٨ .

(٢) سنن أحمد : ٢٣/٢ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٢٧/٩ . ويبدو : « قال » من الكفار .

(٤) قال ابن جرير : ٢٢٩/٩ : « وأول ما رواه عن أبي ذر ثابما يتأويل الآية ، لتأويل التي ذكرتها عن أبي بن كعب ومعاوية : وهو أن كل من عمل سوما صغيرا أو كبيرا ، من مؤمن أو كافر ، جزى به . وإنما قلنا ذلك أول يتأويل الآية : لسوء الآية كل عامل سوء ، من غير أن يضمن أو يستثنى منهم أحد . فبقي على عوجها : إذ لم يكن في الآية دالة على خصوصها ، ولا قاسم جنة بلقاء من غير من الرسول صلى الله عليه وسلم . »

التي في ظهر نواة النمرة . وقد تقدم الكلام على القتل (١) ، وهو الخيط الذي في شق النواة ، وهذا النمر (٢) وهما في نواة النمرة ، وكذا القطع (٣) وهو القطة التي على نواة النمرة ، والثلاثة في القرآن .

ثم قال تعالى : (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) : أخلص العمل لربه ، عز وجل ، فعمل إيماناً واحتساباً (وهو محسن) أي : اتبع في عمله ما شرعه الله له ، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق . وهذا الشرطان لا يجمع عمل حامل بينهما ، أي : يكون خالصاً صواباً ، والخالص أن يكون لله . والصواب أن يكون متبعا للشرعية فيصبح ظاهره بالمطابقة ، وباطنه بالإخلاص ، فحق فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد ، فن قد الإخلاص كان منافقا ، وهم الذين يرامون الناس . ومن فقد المطابقة كان ضالاً جاهلاً . ومي جمعهما فهو عمل المؤمنين (الذين يتكفل عنهم أحسن ما عملوا ويستجأون عن سيئاتهم) (٤) . . . الآية . ولهذا قال تعالى : (واتبع ملة إبراهيم حنيفاً) ، وهم عمد وأتباعه إلى يوم القيامة ، كما قال تعالى : (إن أول الناس بإبراهيم الذين اتبعوه وهذه النبي) . . . الآية . وقال تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) والحنيف : هو لما تلى عن الشرك تصدأ ، أي : تاركاً له عن بصيرة ، ومقبل على الحق بكليته ، لا يصده عنه صاد ، ولا يردده عنه راد .

وقوله : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) وهذا من باب الترغيب في اتباعه ، لأنه إمام يقتدى به ، حيث وصل إلى غاية ما يقرب به العباد له ، فإنه انتهى إلى درجة الخلقة التي هي أرفع مقامات المحبة ، وما ذلك إلا لكثرة طاعته لربه ، كما وصفه به في قوله : (وإبراهيم الذي وفى) قال كثيرون من السلف : أي قام بجميع ما أمر به وفى كل مقام من مقامات العبادة ، فكان لا يشغله أمر جليل من حقير ، ولا كبير من صغير . وقال تعالى : (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن) . . . الآية . وقال تعالى : (إن إبراهيم كان أمة حنيفاً ولم يك من المشركين) . . . الآية والآية بعدها .

وقال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا شعبة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن مزو بن عبيد الله ، قال : إن معاذاً لما قدم اليمن صلى الصبح بهم : قرأ : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) . فقال رجل من القوم : لقد قرئت عين أم إبراهيم (٥) .

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره ، عن بعضهم أنه إنما سماه الله خليلاً من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جذبة . فلما رحل إلى خليل من أهل اللوصل - وقال بعضهم : من أهل مصر - ليمتار طعاماً لأهله من قبيكه ، فلم يصب عنده حاجته . فلما قرب من أهله متر بمفاضة ذات رمل ، فقال : لولمأت غرائري (٦) من هذا الرمل ، لئلا أظم (٧) أهل يروجي إليهم بغير ميرة ، وليظنوا أني أتيتهم بما يحبون . فعلم ذلك ، فحول ما في غرائره من الرمل دقيقاً ، فلما صار

(١) منه الآية رقم : ٤٩ من هذه السورة .

(٢) تقدم منه الآية رقم : ٥٣ من هذه السورة أيضاً .

(٣) سيأتي في الآية رقم : ١٣ من سورة طه .

(٤) الآية رقم : ١٦ من سورة الأحقاف وقال أبو حنيفة في البحر المحيط ٦١/٨ : وقرأ الجمهور : (يتكفل) غنياً للمنفول ، وأحسن رفعا ، وكذا (ويستجأون) . وزيد بن عل ، وابن ثابت ، وطلمة ، وأبو جسر ، والأعشى يختلف عنه ، وحسنه ، والكسائي ، وحسنه (يتكفل) وأحسن تصبياً ، و (يتجأون) بالتون فيهما . . .

(٥) البخاري ، كتاب المغازي : ٢٠٦/٥ .

(٦) الرائي : جمع غرارة ، وهي الجرائق التي يوضع فيه البقيق ونحوه .

(٧) في المخطوطة : أظم . وللتثنية من تفسير الطبري : ٢٥١/٩ .

إلى منزله تام وقام أهله ففتحوا الثرثرة، فوجدوا حديقاً فسجنوا غيظاً منه فاستيقظ: فسألهم عن الحق الذي منه خبروا، فقالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك؟ فقال: نعم، هو من خليل الله: فبذل الله بملكه وغيلانه وفي صحة هذا وقوفه نظر، وغايته أن يكون غيراً إسرائيلياً لا يصدق ولا يكذب، وإنما صمى خليل الله لشدة محبة ربه، عز وجل، له، لما قام له من الطاعة التي عيها ويرضاها، ولهذا ثبت في الصحيحين، من حديث أبي سعيد الخدري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطبهم في آخر خطبة خطبها قال: «أما بعد، أيها الناس، فأنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لا تخلف أبابكر بن أبي قحافة خديلاً، ولكن صاحبكم خليل الله (١)».

وجاء من طريق جندب بن عبد الله الجعفي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» (٢).

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن مسلم، حدثنا إسماعيل بن أحمد بن أسيد، حدثنا إبراهيم ابن يقوب الجوزجاني بمكة، حدثنا عبيد الله الحنفي، حدثنا زمة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن حكيم، عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتشاكرون، فسمع حديثهم، وإذا بعضهم يقول: (عجيباً إن الله اتخذ من خلقه خليلاً، إبراهيم خليله) وقال آخر: ماذا بأعجب من أن الله كلم موسى تكليماً! وقال آخر: فبمى روح الله وكلمته! آدم اصطفاه الله فأخرج عليهم وسلم وقال: قد سمعت كلامكم وتمجيكم أن إبراهيم خليل الله، وهو كذلك، وموسى كلمه، وعيسى روحه وكلمته، وأدم اصطفاه الله، وهو كذلك، ألا وإنني حبيب الله ولا فخر [وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر] وأنا أول شافع. وأول مستشفع (٣) ولا فخر، وأنا أول من يحرك خلق (٤) الجنة، فيفتح الله فيختليها ومعي قراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر.

وهذا حديث شريف (٥) من هذا الوجه، وليس فيه شواهد في الصحاح وغيرها.

وقال قتادة، عن حكيم، عن ابن عباس أنه قال: أتصحبون من أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرواية لخصب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) لم نجد هذه الرواية بهذا النص في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، وقد وردت رواية أبي سعيد في البخاري، كتاب الصلاة ١٧٩/١، وفي باب فضائل الصحابة ٤/٥، وفيها مكان: «ولكن صاحبكم خليل الله»؛ ولكن أخوة الإسلام. ووردت أيضاً رواية أبي سعيد في البخاري، باب عمر ثلثي وأصحابه إلى المدينة ٧٣/٥، وفيها: «لا تخلف أبابكر إلا خلة لإسلام». أما صحيح مسلم فقد وردت فيه رواية أبي سعيد، في كتاب فضائل الصحابة ١٠٨/٧، وفيها أيضاً: «ولكن أخوة الإسلام» أما ما نسبته ابن كثير في الصحيحين إلى أبي سعيد الخدري، فقد رواه مسلم مستنداً إلى عبد الله بن مسعود، في كتاب فضائل الصحابة ١٠٩/٧.

وقد روى الحديث الثوري عن ابن مسعود في كتاب المنقلب ١٣٧/١٠ - ١٣٩ وقال الثوري: «وفي الباب عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن الزبير» ورواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود أيضاً: ٣٧٧/١، وابن ماجه في المقامة الحديث ٩٣ - ٣٦/١، وفي طبع جميعها: «ولكن صاحبكم خليل الله». وفي ابن ماجه بعده: «وقال كعب بن يقظ».

(٢) مسلم، في كتاب المساجد ٦٧/٢ - ٦٨.

(٣) أي: مقبول الشفاعة.

(٤) خلق - بكسر قفح - جمع خلقة.

(٥) أخرجه الثوري في كتاب المنقلب عن علي بن نصر الجعفي، عن عبد الله بن عبد الحميد الحنفي، وإسحاق وقال: هذا حديث غريب. ينظر تحفة الأوفى: ٨٤/١٠ - ٨٦. وما بين القوسين عن الثوري، وإسناده سقط نظراً إلى:

رواه الحاكم في مستدركه وقال : صحيح على شرط البخاري ، ولم يفرجه . وكذا روى عن أنس بن مالك ، وغير واحد من الصحابة والتابعين ، والأئمة من السلف والخلف .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يحيى بن عبد الله القزويني ، حدثنا محمد - يعني ابن سعيد بن سابق ، حدثنا عمرو - يعني ابن أبي قيس - عن حاصم ، عن أبي راشد ، عن عبيد بن عمير قال : كان إبراهيم عليه السلام يضيف الناس ، فخرج يوماً يلتمس إنساناً يضيفه ، فلم يجد أحداً يضيفه ، فرجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً ، فقال : يا عبد الله ، ما أدخلت دارى بغير إذنى ؟ قال : دخلتها بإذن ربها . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، أرسلنى ربي إلى عبد من عباده أيشره أن الله قد أخذ خليلاً : قال : من هو ؟ قال : إن أخبرتني به ثم كان بأقصى البلاد لأتيتنه ، ثم لأبرح له جاراً حتى يفرق بيننا الموت . قال : ذلك البعد أنت . قال : أنا ؟ قال : نعم . [قال : فم اتخذني الله خليلاً ؟ قال : إنك تعطى الناس ولا تسألهم .

وحدثنا [أبي] ، حدثنا محمود بن خالد السلمي (١) ، حدثنا الوليد ، عن إسحاق بن يسار قال : لما أخذ الله إبراهيم خليلاً أني في قلبه التبرك ، حتى إن كان خفقان قلبه لم يسمع من بعيد ، كما يسمع خفقان الطير في الهواء . وهكذا جاء في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه كان يسمع لصهره أزيز كأزيز المرجل من البكاء (٢) .

وقوله : (والله ما في السموات وما في الأرض) أي : الجميع ملكه وعبده وخلقه ، وهو المتصرف في جميع ذلك ، لا راد لأمره ، ولا معقب لما حكم ، ولا يسأل عما يفعل ، فعمدة وقدرته وعده وحكمته ولفظه ورحمته .
وقوله : (وكان الله بكل شيء عطلاً) أي : علمه نافذ في جميع ذلك ، لا تخفى عليه خافية من عباده ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، ولا تخفى عليه ذرة لما تراهي للتأطر وما توارى .

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتَكِرُ فِيهِنَّ وَمَا يَتْلُو عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تَنْوِتْنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُولُوا لَيْسَ عَلَيْنَا لِقَاُهُمْ فِي شَيْءٍ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً

قال البخاري : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة قال : [حدثنا] هشام بن عروة ، أخبرني أبي ، عن عائشة : (ويستفتونك في النساء قل الله يفتكر فيهن) إلى قوله : (وترغبون أن تنكحن) قالت : هو الرجل تكون عنده البتيمة ، هو وليها وولائها قد شريكه في ماله ، حتى في العدا ، فيرغب أن ينكحها ، ويكره أن يزوجه رجلاً ، فيشتركه في ماله بما شريكه فيفضلها ، فتزل هذه الآية (٣) .

(١) له ترجمة في الجرح ٢٩٢/١٤ . وفيه : محمود بن خالد الشافعي أبو عمر .

(٢) مستأجد ، عن طريق ابن عبد الله ، من أبيه : ٢٥٤ ، ٢٦ .

(٣) صحيح البخاري ، تفسير سورة النساء ٦١/٦ ، ٦٢ . والعلق : النحلة .

وكل ذلك رواه مسلم ، عن أبي كريب ، وعن أبي بكر بن أبي شيبة ، كلاهما عن أبي أسامة (١) .

وقال ابن أبي حاتم : قرأت على محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ، قالت عائشة : ثم إن الناس استغفروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن ، فأنزل الله : (ويستغفرونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما ينزل عليكم في الكتاب) الآية ، قالت : والذي ذكر الله أنه ينزل عليهم في الكتاب الآية الأولى التي قال الله : (وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا أماتكم من النساء) .

وهذا الإسناد ، عن عائشة قالت : وقول الله عز وجل : (وترغبون أن تنكحوهن) رغبة أسدكم عن يمينته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال ، ... فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجعلها من يتامى النساء إلا بالقسط ، من أجل رغبتهن عنهن .

وأصله ثابت في الصحيحين ، من طريق يونس بن يزيد الأيلي ، به (٢) .

والمقصود أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة يعمل له تزويجها ، فترغب في أن يتزوجها ، فأمره الله عز وجل أن يهرها بأسوة أمثالها من النساء ، فإن لم يفعل فليعدل إلى غيرها من النساء ، فقد وسع الله عز وجل . وهذا المعنى في الآية الأولى التي في أول السورة (٣) . ونارة لا يكون للرجل فيها رغبة لعدمها عنه ، لو في نفس الأمر ، فنهاه الله عز وجل أن يضلها من الأزواج خشية أن يشتركه في ماله الذي بينه وبينها ، كما قال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (في يتامى النساء) . . . الآية : فكان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة ، فيلبي عليها ثوبه ، فإذا فعل ذلك لم يقدر أحد أن يتزوجها أبداً ، فإن كانت جميلة وهو بها تزوجها وأكل مالها ، وإن كانت حميمة منها الرجال أبداً حتى تموت ، فإذا ماتت ورثها . فحترم الله ذلك ونهى عنه (٤) .

وقال في قوله : (والمستغفنين من الولدان) : كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات ، وذلك قوله : (لا توريثن ما كتب لهن) ، فنهى الله عن ذلك ، وبين لكل ذي سهم سهمه ، فقال : (للذكر مثل حظ الأنثيين) صغيراً أو كبيراً (٥) .

وكذا قال سعيد بن جبير وغيره . وقال سعيد بن جبير في قوله : (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) : كما إذا كانت ذات جمال ومال نكحها واستأثرت بها ، كذلك إذا لم تكن ذات جمال ولا مال فانكحها واستأثرت بها .

وقوله : (وما تفعلوا من خير فإن الله كان به علياً) يبيحنا على فعل الخيرات وامتنال الأمر ، وأن الله عز وجل عالم بجميع ذلك ، وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه .

(١) مسلم ، كتاب التفسير : ٢٤٠/٨ .

(٢) مسلم ، كتاب التفسير : ٢٣٩/٨ ، ٢٤٠ .

(٣) عند الآية رقم : ٣ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٦٤/٩ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٦٥/٩ ، ٢٦٦ .

وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ
لِلْأَنْفُسِ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٥﴾ وَلَنْ تُقْبِلُوهَا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ الْإِنْسَانِ
وَلَوْ كَرِهْتُمْ فَلَا تَبْلُغُوا كَلَّ الْمِثْلِ فَتَقْدِرُوهَا كَالْمُغْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ وَإِنْ
يَشْكُرُوا يَتَنَزَّلُ اللَّهُ صَكًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى مخبر لومشرا عن حال الزوجين : تارة في حال نفور الرجل عن المرأة ، وتارة في حال اتفاقهما ،
وتارة في حال فراقه لها .

فالحالة الأولى : ما إذا خافت المرأة من زوجها أن يضر عنها ، أو يعرض عنها ، فلها أن تسقط حقها أو بعضها ، من
نفقة أو بكوة ، أو ميتة ، أو غير ذلك من الحقوق عليه ، وله أن يقبل ذلك منها فلا جناح عليها في بطلان ذلك له ، ولا
عليه في قبوله منها ، ولهذا قال تعالى : (فلا جناح عليهما أن يتصافيا (١) بينهم صلحا) : ثم قال : (والصلح خير) ،
أي : من الفراق ، وقوله (وأحضرت الأنفس الشح) أي الصلح عند المشاحة خير من الفراق ، ولهذا لما كبرت سودة
بنت زمعة من (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم على فراقها . فصالحته على أن يسكنها ، وترك يومها لماشة ، فقبل ذلك
بينها وأيقظها على ذلك .

ذكر الرواية بذلك .

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا سليمان بن معاذ ، عن مالك بن حرب ، عن حكرمة ، عن ابن عباس قال : عكبت
سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، لا تطلقني وأجبل يوري لماشة : ففعل ، ونزلت
هذه الآية : (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما) الآية ، قال ابن عباس : لما اصطلحا عليه من
شيء فهو جائز .

ورواه الترمذي (٣) ، عن محمد بن الحنفى ، عن أبي داود الطيالسي - به - وقال : حسن غريب .

وقال الشافعى : أخبرنا مسلم ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لوفى من تسع نسوة ، وكان يقسم (٤) لثمان .

-
- (١) قال أبو حنيفة في البحر المحيط ٣/٣٦٣ : (يصلحا) من أصل حل وزن أكرم ، وقرا بالهمزة :
(يصلحا) وأصله يصلحا ، وأخذت منه في العاد . وقد ثبت هذه القراءة في خطوطنا .
(٢) كذلك قال ابن كثير . وهو مستبعد الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما ثبت من الأحاديث لانهما منه مزم
الرسول على طلاق سودة ، غير حديث لتمام بين أبي بزة ، وهو كما يقوله ابن كثير : غريب مرسل .
(٣) تحفة الأوسى ، تفسير سورة النساء : ٤٠٣/٨ - ٤٠٥ . ونص الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .
(٤) الم : ٩٨٪٥ ، ويبدل : وقال الشافعى رحمه الله : التاسعة التي لم يكن يقسم لها سودة ، وهيت يومها لماشة ،
أعبرت سليمان ، عن هشام ، عن أبيه : أن سودة وهيت يومها لماشة .

وفي الصحيحين ، من حديث هشام بن حروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لا تكبرت سورة بنت زمة وهبت يومها ، لما شئت ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لها يوم سورة (١) .

وفي صحيح البخاري ، من حديث الزهري ، عن حروة ، عن عائشة ، نحوه .

وقال سعيد بن منصور : أنبأنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام ، عن أبيه حروة قال : أنزل الله تعالى : في سورة وأشباهها : (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا) ، وذلك أن سورة كانت امرأة قد أسنت ، فزعت أن يقاترها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغبت مكانها منه ، وعرفت من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة ومتراتها منه ، فوهبت يومها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شئت ، قبل ذلك التي صلى الله عليه وسلم . قال البيهقي : وقد رواه أحمد بن يونس : عن الحسن بن أبي الزناد ، موصولا . وهذه الطريق رواها الحاكم في مستدركه فقال :

حدثنا أبو بكر بن إسحاق ، الفقيه أخبرنا الحسن بن علي بن زياد ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن حروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أنها قالت له : يا ابن أمي ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بضعا على بضئ في مكانه عندنا ، وكان قل يوم إلا وهو يظوف علينا ، فيدون من كل امرأة من غير مسيس ، حتى يبلغ إلى من هو يومها فيبيت عندها ، ولقد قالت سورة بنت زمة - حين أسنت وفترت أن يقاترها رسول الله صلى الله عليه وسلم - : يا رسول الله ، يوس هذا لما شئت . فتقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت عائشة : بقي ذلك ، أنزل الله : (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا) (٢) .

وكذا رواه أبو داود ، عن أحمد بن يونس ، به . ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقد رواه ابن مردويه من طريق أبي بلال الأشعري ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، به نحوه . ومن رواية عبد العزيز بن محمد الدراودي ، عن هشام بن حروة ، نحوه مختصرا ، والله أعلم .

وقال أبو العباس محمد بن عبد الرحمن اللخثعي (٣) في أول مجلده : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هشام التميمي ، حدثنا القاسم بن أبي بزة قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى سورة بنت زمة بطلاقها ، فلما أن أنما جلست له على طريق عائشة ، فلما رأت قالت له : أنشدك بالذي أنزل عليك كلامه واصطفاك على خلقه أمنا واجتني ، فإن قد كبرت ولا حاجة في الرجال ، [لكن أريد أن] أبث مع نسائك يوم القيامة . فراجعها فقالت : إني جعلت يومي . وليتي لحية (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا غريب مرسل .

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح : ٤٢/٧ ، ونسبه : « يقسم لما شئت يومها ويوم سورة » . ومسلم ، كتاب النكاح : ٣٧٤/٨ ، ونسبه : « يقسم لما شئت يومين : يومها ويوم سورة » .

(٢) المستدرک : ١٨٩/٢ . وسنن أبي داود : كتاب النكاح ، الباب ٣٨ .

(٣) هو الفقيه الحافظ أبو العباس عبد بن عبد الرحمن اللخثعي ، روى عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وعنه بن أبي شاذان الأصبهاني وطبقتهما ، وكان من كبار الحفاظ . توفي رحمه الله سنة ٣٢٥ (الجليل القضي : ٢٠٥/٢) .

(٤) (١) - بكر الله - « المحبوب » . والآتي : حبة .

« وقد قال البخاري : حدثنا محمد بن مقاتل ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : (وإن امرأة خافت من بعلها نفورا أو إضرابا) قالت : الرجل تكون عنده المرأة ، ليس يستكثر منها ، يريد أن يفارقها ، فتقول : أجلسك من شأني في حل » فتركت هذه الآية (١) :

وقال ابن جرير : حدثنا [ابن] وكيع ، حدثنا أبي ، عن هشام ، عن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : (وإن امرأة خافت من بعلها نفورا أو إضرابا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) قالت : هذا في المرأة تكون عند الرجل ، فله أن لا يكون يستكثر (٢) منها ، ولا يكون لها ولد ، وما صحبة ، فتقول : لا تطلقني وأنت في حل من شأني .

حدثني القتي ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام ، عن عروة ، عن عائشة في قوله : (وإن امرأة خافت من بعلها نفورا أو إضرابا) ، قالت : هو الرجل يكون له للزنان : إحصاءا قد كبرت (٣) ، أو هي دمية ، وهو لا يستكثر منها ، فتقول : لا تطلقني ، وأنت في حل من شأني :

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين ، من غير وجه ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، بنحو ما تقدم والله الحمد ولله (٤) :

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا : حدثنا جرير ، عن أنس ، عن ابن سيرين قال : جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه فسأله عن آية ، فذكره ذلك وضربه باللوة ، فسأله آخر عن هذه الآية : (وإن امرأة خافت من بعلها نفورا أو إضرابا) ، فقال : من مثل هذا فسلوا » ثم قال : هذه المرأة تكون عند الرجل ، قد خلا من ستمها (٥) ، فيزوج المرأة الشاب ينتمى ولدها ، لما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسن المستجاني ، حدثنا مصلد ، حدثنا أبو الأحوص ، عن مياك بن حريز ، عن خالد بن مخرمة قال : جاء رجل إلى بن أبي طالب ، فسأله عن قول الله عز وجل : (وإن امرأة خافت من بعلها نفورا أو إضرابا فلا جناح عليهما) قال علي : يكون الرجل عنده المرأة ، فتبوي حياء عنها من دما منها ، أو كبرها ، أو سوء خلقها ، أو قلحها ، فذكره فراقه ، فإن وضعت له من مهرها شيئا حل له ، وإن جعلت له من أيامها فلا حرج .

وكذا رواه أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن حماد بن سلمة وأبي الأحوص : ورواه ابن جرير من طريق إسماعيل بن عيينة عن مياك ، به . وكذا أخرها ابن عباس ، وعبيدة السلماني ، وبجاءه بن جبير ، والقاسمي ، وسعيد ابن جبني ، وعطاء ، وعصبة الحرق ومكحول ، والحكم بن حنبل ، والحسن ، وقائدة ، وغير واحد من السلف والأئمة ، ولا أعلم خلافا في أن المراد بهذه الآية هذا ، والله أعلم .

(١) صحيح البخاري : تفسير سورة النساء : ٦٢/٦ .

(٢) في تفسير القلبي ٢٧١/٩ : « فله أن يكون يستكثر منها ، وضربه الحق فقال : « أي يرى أنها بلغت من السن والكبر بحيث ، يصلح له طلب للزواج » .

(٣) في القلبي ٢٧١/٩ : « وقد عجزت » .

(٤) بنظر البخاري أيضا : كتاب التناكح : ٤٢/٧ ، وسلم : كتاب التفسير : ٢٤٠/٨ .

(٥) قد خلا منها : أي كبرت ، ومنه ستم محرما (الزانية) .

وقال الشافعي : أنبأنا ابن عيينة ، عن الزهري ، عن ابن المسيب : أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج ، فكره منها أمراً كبيراً أو غيره ، فأراد طلاقها ، فقالت : لا تطلقني ، واقسم لي ما بذلك : فأنزل الله عز وجل : وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إضراراً ، الآية .

وقد رواه الحاكم في مستدركه ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار بأطول من هذا السياق (١) .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو ، حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله القرقي ، أنبأنا علي بن محمد بن عيسى ، حدثنا أبو اليان ، أخبرني شعيب بن أبي حمزة ، عن الزهري ، أخبرني سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار : أن السنة في هاتين الآيتين التين ذكر الله فيهما نشوز المرأة وإضرارها عن امرأته في قوله : (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إضراراً) إلى تمام الآيتين ، أن المرأة (٢) إذا نشز عن امرأته وأكر عليها ، فإن من الحق أن يمرض عليها أن يطلقها أو تستقر عنده على ما كانت من أثرة في القسم من ماله ونفسه ، [فإن استقرت عنده على ذلك ، وكهرت أن يطلقها ، فلا حرج عليه فيما أكر عليها من ذلك ، فإن لم يمرض عليها الطلاق ، وصالحها على أن يسطيها من ماله ما ترضاه وتقر عنده على الأثرة في القسم من ماله ونفسه (٣)] ، صلح له ذلك ، وبجاز صلحها عليه (٤) ، كذلك ذكر سعيد بن المسيب وسليمان الصلح الذي قال الله عز وجل : (فلا جناح عليهما أن يتصالحا بينهما صلحاً والصلح خير) . وقد ذكر لي أن رافع بن خديج الأنصاري ، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت عنده امرأة حتى إذا كبرت تزوج عليها فتاة شابة ، وأكر عليها الشابة ، ففادته الطلاق فطلقها تطليقة ، ثم أمهلها حتى إذا كادت تحل راجعها ، ثم فادته الشابة عليها ففادته الطلاق [فطلقها تطليقة أخرى ، ثم أمهلها ، حتى إذا كادت تحل راجعها ، ثم فادته الشابة عليها ، ففادته الطلاق (٥)] فقال لها : ما شئت ، إنما بقيت لك تطليقة واحدة ، فإن شئت استقررت على ما تزين من الأثرة ، وإن شئت فارقت ؟ فقالت : لا ، بل أستقر على الأثرة . فأمسكها على ذلك ، فكان ذلك صلحهما ، ولم ير رافع عليه إثماً حين وضيت أن تستقر عنده على الأثرة فيما أكر به عليها .

وهذا رواه بهامة عبد الرحمن بن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي اليان ، عن شعيب ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار — فذكره بطوله ، والله أعلم .

وقوله : (والصلح خير) قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني التخيير ، أن يخير الزوج لما بين الإقامة والفرق خير من تمادي الزوج على أثرة غيرها عليها .

(١) المستدرک ٢/ ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٢) في المخطوطة : « أن المراد » والفتحة من سن البيهقي : ٢٩٦/٧ .

(٣) سقط من المخطوطة ، أئتمناه من سنن البيهقي .

(٤) في المخطوطة : « وكان صلحها عليه » والفتحة من المصدر السابق .

والظاهر من الآية أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج ، وقبول الزوج ذلك ، غير من المفارقة بالكلية ، كما لمسك النبي صلى الله عليه وسلم مودة بنت زمعة على أن تركت يومها لعائشة رضى الله عنها ، ولم يفارقها بل تركها من جملة نسائه ، وقطع ذلك لتأسي به أمته في مشروعية ذلك وجوازها ، فهو أفضل في حقه عليه الصلاة والسلام ؛ ولما كان الفراق أحسن إلى الله من الفراق قال : (والصلح خير) ، بل الطلاق يفيض إليه سبحانه وتعالى ، ولما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه جميعاً ، عن كثير بن حبيد ، عن محمد بن خالد ، عن معمر بن وهب ، عن عمار بن دينار ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبيض الحلال إلى الله الطلاق (١) : ثم رواه أبو داود عن أحمد بن يونس ، عن معمر بن وهب ، عن عمار بن دينار ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذكر معناه مرسل (٢) :

وقوله : (وإن تحسبوا أن الله كان بما تعملون خبيراً) : وإن تتجسسا مشقة الصبر على من تكرهون منهم ، وتقسوا على أسوة لأتباعكم ، فإن الله عالم بكل شيء وسيجزىكم على ذلك لو فر الجراء .

وقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ، أى : لن تستطيعوا أبداً التماس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه ، فإنه وإن حصل التمس الصورى : ليلة وليلة ، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع ، كما قاله ابن عباس ، وحيدة السلمات ، ومجاهد ، والحسن البصرى ، والفضالة بن مزاحم .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثنا حسين الجبلى ، عن الزائدة ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن ابن أبي ليلى قال : تزلت هذه الآية : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) في عائشة . يعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبها أكثر من غيرها ، كما جاء في الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأهل السنن ، عن حديث حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن ابن قلاب ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيملك ، ثم يقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تحك ولا أملك . يعنى القلب .

فقد قال أبو داود (٣) ، وهذا إسناد صحيح ، لكن قال الترمذى : رواه حماد بن زيد وغير واحد ، عن أيوب ، عن أبي قلاب مرسل قال : وهذا أصح (٤) :

وقوله : (ولا يعملوا الليل) ، أى : فإذا ملتم إلى واحدة منهم ، فلا تبالغوا في الليل بالكلية (فقلوها كالمعلقة) ، أى : شقي الأخرى معلقة :

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، والفضالة ، والربيع بن أنس ، والسدى ، ومقاتل بن حيان : معناه : لا قلت زوج ولا معلقة :

وقد قال أبو داود الطيالسى : أنبأنا حماد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن بشير بن نهيك ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت له امرأتان قال إلى إحداهما ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط (٥) :

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطلاق : ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، وصنن ابن ماجه : كتاب الطلاق ، الحديث ٢١٠٨ : ١/٦٥٠ .
ولكن فيها مكانة وعرف بن واصل : حيد الله بن الوليد الوصافى .
(٢) سنن أبي داود ، كتاب النكاح : ٢٤٢/٢ .
(٣) نسخة الأخرى ، كتاب النكاح : ٢٩٤/٤ .
(٤) أى نسفه مائل .

وهكنا رواه الإمام (١) أحمد وأهل السنن ، من حديث همام بن يحيى ، عن قتادة ، به : وقال الترمذى : (٢) إسناده همام ، ورواه هشام الدستوائى عن قتادة - قال : « كان يقال : » ولا تعرف هذا الحديث مرفوعاً إلا من حديث همام (٣) .

وقوله : (وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً) أى : وإن أصلحتم فى أموركم ، وقسمتم العدل فيما تملكون ، واتقيتم الله فى جميع الأحوال ، غفر الله لكم ما كان من قبيل إلى بعض النساء دون بعض .

ثم قال تعالى : (وإن يفرقا بفن كلاً من سنته وكان الله واسعاً حكيماً) : وهذه هى الحالة الثالثة ، وهى (٣) حالة الفراق ، وقد أعبر تعالى أنهما إذا فرقا فإن الله يغنيه عنها ويغنيها عنه ، بأن يوضعه بأمن هو خير لهما ، ويعوضها عنه بمن هو خير لهما منه (وكان الله واسعاً حكيماً) أى : واسع الفضل عظيم اللز ، حكيماً فى جميع أفعاله وأقواله وشرعه .

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ وَإِذَا تَرَوْا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ مَافِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۖ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۖ وَإِنْ يَرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝

غير تعالى أنه مالك السموات والأرض ، وأنه الحاكم فيهما ، ولهذا قال : (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم) أى : وصيناكم بما وصيناكم به ، من تقوى الله عز وجل بعبادته وحده لا شريك له .

ثم قال : (وإن تكفروا فإن الله ما فى السموات والأرض) ... الآية ، كما قال تعالى إنباراً عن موسى أنه قال لقومه : (إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد) . وقال : (فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد) ، أى : غنى عن عباده ، (حميد) أى : محمود فى جميع ما يقدره ويشهره .

وقوله : (والله ما فى السموات والأرض وكفى بالله وكيلاً) أى : هو القائم على كل نفس بما كسبت ، القريب الشهيد على كل شئ .

وقوله : (إن يشأ يذهبكم أبنا الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرًا) أى : هو قادر على إذهابكم وتبدليكم بغيركم إذا عصى بعبادته ، وكما قال : (وإن تحولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) : وقال بعض السلف : ما يؤمن الباطل على الله إذا أضرأمره ! وقال تعالى : (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز) ، أى : ما هو عليه بمتعم .

وقوله : (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أى : يا من ليس حسه إلا الدنيا اعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة ، وإذا سألك من هذه وهذه أعطاك وأعطاك وأعطاك ، كما قال تعالى : (فمن الناس من يقول

(١) مسند أحمد : ٤٧١ / ٣

(٢) ثقة الأحسن ، كتاب التكميل : ٢٩٥ / ٤

(٣) الحاشية الأولى على الصلح مع الأثرة ، والثانية هى السبر على ترمى العدل فى التهمة ، والثالثة هى التبرؤ

وبنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق : ومنهم من يقول : وبنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتا حجابا النار : أولئك هم العصاة مكسوبا : الآية . وقال تعالى : (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) .. الآية . وقال تعالى : (من كان يريد العاجلة صنعناه فيها ما نشتاء لمن نريد) إلى قوله : (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) .

وقد زين ابن جرير أنَّ المعنى في هذه الآية : (من كان يريد ثواب الدنيا) أى : من المتنافسين الذين أظهرهم الإيعان لأجل ذلك ، (فمهد الله ثواب الدنيا) وهو ما حصل لهم من المنافع وغيرها مع المسلمين . و قوله : (والأخرى) أى : وعند الله ثواب الآخرة ، وهو ما ادخره لهم من العقوبة في نار جهنم . وجعلها كقولهم : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) إلى قوله (وبما لا يسمعون) (١) ،

ولا شك أن هذه الآية متعنا ظاهر ، وأما تفسيره الآية الأولى بهذا فیه نظر ؛ فإن قوله : (فهد الله ثواب الدنيا والآخرة) ظاهر في حضور الخير في الدنيا والآخرة ؛ أي ؛ بيده هذا وهذا ، فلا يقتصر " قاصر الحمة على السيئ الدنيا فقط ، بل فكل حمة سامية إلى نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة ، فإن مرجع ذلك كله إلى الذي بيده الخير والفضل ، وهو الله الذي لا إله إلا هو ، الذي قد قسم السعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة بين الناس ، وحدل بينهم فيما علمه لهم ، بمن يستحق هذا ، ومن يستحق هذا ؛ ولهذا قال : (وكان الله سميعاً بصيراً) .

يُنَادِيهِمْ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى الْغُلَامِ الْمُسَيَّرِ وَنَادُوا هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ بِأَسْمَاءِهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٥٠﴾

بما على عباده المؤمنين أن يكونوا أقوامين بالوسط ، أى : بالعدل ، فلا يبدوا حجة يمتدحونها ولا شهاما ، ولا تأخضهم فى الله لومة لائم ، ولا يصر فهمه صراف ، وأن يكونوا متعادلين متعاضدين متناصرين متصارفين فيه .

وقوله (شهداه) كما قاله (وأقيموا الشهادة لله) أي: ليكن أدواهما ابتداء وجه الله، فسيتملك تكون صميحة.
عادة حقاً، خالية من التحريف والتبديل والكتمان، ولهذا قال: (ولو حل أنفسكم)، أي: اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك (٦) وإذا سئلت عن الأمر قتل الحق فيه، وإن كان مقتدره عليك، فإن الله سيجهل لمن أطاعه فرجاً وغرباً من كل أمر يرضي عليه.

وقوله : (أو للذين والأقربين) أي : وإن كانت الشهادة على والدك وقربائك ، فلا تراهم فيها ، بل اشهدوا
بالحق وإن عاد غروها عليهم ، فإن الحق حاكم على كل أحد ، وهو مقدم على كل أحد ،

(۱) تفسیر قطری : ۱۳۹۷/۹

(٢) ومنه ضرورة الشهادة

وقوله : (إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآتَاهُ أَجْرُهُ أَوْلَىٰ مِنْ هَذَا) ، أى : لا ترعاه لغناه ، ولا تنفق عليه لفقره ، الله يتولاهما ، بل هو أولى بهما منك ، وأعلم بما فيه صلاحهما .

وقوله : (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا) ، أى : فلا يحملكن الهوى والمصيبة ويغضبنكم الناس (١) إليكم - كل فرد العدل في أموركم وشئونكم ، بل الزموا العدل على أى حال كان ، كما قال تعالى : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) .

ومن هذا القبيل قول عبد الله بن رواحة ، لا يهتد النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على أهل خير ثمارهم وزروعهم ، فأرادوا أن يرشوه ليرقى بهم ، فقال : (والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلى ، ولأنتم أبغض إلى من أعددكم من القردة والخنزير ، وما علمني حبي إياه ويغضى لكم على أن لا أعدل فيكم . فقالوا : بهل قامت السموات والأرض ؟ وبسأى الحديث مسندنا في سورة المائدة ، إن شاء الله .

وقوله : (وَلَنْ تَكُونُوا أَلَوْ تَرْضَوْنَ) ، قال مجاهد وغير واحد من السلف : (تلووا) أى : تحرفوا الشهادة وتغيروها ، والى : هو التحريف وتمعد الكذب ، قال الله تعالى : (وَلَنْ مِنْهُمْ لَفريقا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكَذِبِ) :: الآية ، والإعراض ، هو : كتمان الشهادة وتركها ، قال الله تعالى : (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَعَلَّمْ إِلَهُهُ) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : وغير الشهداء الذى يأتى بشهادته قبل أن يسألها (٢) . ولهذا يرحمهم الله بقوله : (فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَمَّا يَحْمِلُونَ خَيْرًا) أى : وسيجازيكم بذلك .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ وَلَا بَنُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ وَلَا بَنُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ وَلَا بَنُونَ

بأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائه ، وليس هذا من باب تحصيل المصالح ، بل من باب تكميل الكامل وتقريره ونتيجته والاستمرار عليه . كما يقول المؤمن في كل صلاة : (اهدنا الصراط المستقيم) ، أى : يسترنا فيه ، وزدنا هدى ، وثبتنا عليه . فأمرهم بالإيمان به وبرسوله ، كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ) .

وقوله : (وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ) ، يعنى القرآن (والكتاب الذى أنزل من قبل) وهذا جنس يشمل جميع الكتب المقدسة ، وقال في القرآن : (نَزَّلَ) لأنه أنزل مفرداً مستجماً على الروائع ، بحسب ما يحتاج المباد إليه في معادهم

(١) في الخطوة : «ويغضبه الناس هو بغضاً إليكم» .

(٢) رواه أحمد بن حنبل بن عذبة بن خالد النخعي : ١١٧/٤ ، ١٩٢/٥ ، ١٩٣ . وكلاهما رواه ابن ماجه في كتاب الاحكام

المحدث ٢٢٦٤ ، ٧٩٢/٧ . وسلم في كتاب الاضحية : ١٢٢/٥ .

ومعاشهم ، ولما الكتب للفتنة فكانت تزول جملة واحدة . ولهذا قال : (والكتاب الذي أنزل من قبل) ثم قال : (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) أي : فقد خرج عن طريق الهدى ، وبعد عن قصد كل البعد .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَا يَكُنِيَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٥٦﴾ بَشَرِ الْمُنَافِقِينَ إِنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيتُوا عِنْدَهُمُ الرِّبَا فَإِنَّ الرِّبَاَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾ وَقَدْ زَلَّ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا جَمَعْتُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٥٩﴾

يُخبر تعالى عن دخول في الإيمان ثم رجوع عنه ، ثم عاد فيه ثم رجوع ، واستمر على ضلاله ، وزاد حتى مات ، فإنه لا توبة بعد موته ، ولا يغفر الله له ، ولا يجعل له مما هو فيه فرجاً ولا مخرجاً ، ولا طريقاً إلى الهدى . ولهذا قال : (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً)

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا حفص بن جُمَيْع ، عن مياك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (ثم ازدادوا كفراً) ، قال : تَمَسَّوْا (١) على كفرهم حتى ماتوا ، وكلما قال بجاهد .

وروى ابن أبي حاتم من طريق جابر الجعفي ، عن عامر الشعبي ، عن علي رضي الله عنه أنه قال : يستأب للمركب ، ثلاثاً ، ثم تلا هذه الآية : (إن الذين آمنوا ، ثم كفروا ، ثم آمنوا ، ثم كفروا ، ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً) .

ثم قال : (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً) يعني : أن المنافقين من هذه الصفة فإنهم آمنوا ثم كفروا ، طبع على قلوبهم ، ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، بمعنى أنهم معهم في الحقيقة ، يوالونهم ويسرون إليهم بالردة ، ويقولون لهم إذا خلوأ بهم : إنما نحن معكم ، إنما نحن مستهزون . أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم المراقبة ، قال الله تعالى متذكراً عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين : (أبيتون عندهم الرزة) ؟

ثم أخبر تعالى بأن الرزة كلها لله وحده لا شريك له ، ولأن جعلها له ، كما قال في الآية الأخرى : (من كان يريد الرزة فله الرزة جميعاً) . وقال تعالى : (لله الرزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) .

والمتصور من هذا التفسير على طلب الرزة من جناب الله ، والاتجاه إلى عبوديته ، والانتظام في جملة عبادة المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد .

(١) في الظنونة : « تمأوا » أي مشترك تاج العروس : « وتم على الأمر - بإظهار الإقدام - أي : استمر عليه حتى الطهرات : « قال : تمأوا . . »

وَيُكْسِبُهُ أَنْ يَدْكُرَ مَا هُنَا الْخَبِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ :

حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن حميد الكندي ، عن عباد بن نسيه ، عن أبي ربيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من انتسب إلى لمة آباء كفار ، يريد بهم جرأ وفخر آباء) فهو حاشم في النار (١) » .
فرد به أحمد . وأبو ربيعة هنا هو أزدى ، ويقال : أنصاري . اسمه شمعون (٢) بالمعجمة ، فها قاله البخاري ، وقال غيره : باللهمة ، والله أعلم .

وقوله : (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستعزأ بها ، فلا تعلموا معهم حتى يخرجوا في حديث غيره ، إنكم إذا ملهم) أي : إذا تركتم النبي بعد وصوله إليكم ، ورغبتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات القرآن يستعزأ ويستعص بها ، وأقرر تجزم على ذلك ، فقد شاركتموه في الذي هم فيه . فلها قال تعالى : (إنكم إذا ملهم في الأثم ، كما جاء في الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يذكر عليها الخمر (٣) » ، والذي أحمل عليه في هذه الآية من النبي في ذلك ، هو قوله تعالى في سورة الأنعام ، وهي مكية : (وإذا رأيت الذين يخرجون في آياتنا فأعرض عنهم) . . . الآية ، قال مقاتل بن حيان : تسخت هذه الآية التي في الأنعام . يعني نسخ قوله : (إنكم إذا ملهم) لقوله : (وما على الذين يقولون من حاسمهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يقولون) .

وقوله : (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) أي : كما أفرقهم في الكفر ، كذلك شارك الله بهم في الخلود في نار جهنم أبداً ، وجمع بينهم في دار العقوبة والنكال ، والقيود والأغلال ، وشراب الخمر والسلب لا يزال ،

الَّذِينَ يَقُولُونَ بَلْ إِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ لَفَلَّاحٌ أَلَمْ تَسْمَعُوا
مَا يَتْلُو رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَزِيدُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

صَبَّاحُ

يخرج تعالى من المنافقين أنهم يقولون بالمؤمنين دوائر السوء ، بمعنى ينتظرون زوال دولتهم ، وتطور الكفر عليهم ، وفجاء ملتهم . (فإن كان لكم فتح من الله) أي : نصر وتأييد وظفر وغلبة (قالوا : لم يكن معكم) ؟ أي : يوددون إلى المؤمنين بهذه المقالة (وإن كان لكافرين نصيب) أي : إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان ، كما وقع يوم أحد ، فإن الرسل يهتلي ثم يكون لها العاقبة (قالوا : لم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين) ؟ أي : ساعدناكم في الباطل ، وما أوتاهم شيئا وتغلبنا ، حتى انتصرت عليهم .

(١) في السنة : بهرجة جرأ وكرماً :

(٢) سنة أسد : ١٣٢/٤ . وهذا الحد في الحديث لا نفهم له . والمراد أنه لا يبقى السلم أن يتر بأبائه ، وأن يسته منه من حزة الله ، والمقصود له وحده لا شريك له .

(٣) ينظر الاستنباط : ١٦٦١ ، وأسد لقنائة ط الرعية : ١٩٨/٥ .

(٤) رواد أسد ، عن مر بن الخطاب رضي الله عنه : ٢٠٪١ ، ومن جابر بن عبد الله : ٣٢٩/٣ .

وقال السدي : (استحوذ عليكم) تطلب عليكم : كتوله : (استحوذ عليهم الشيطان) ، وهذا أيضاً نورد منهم إليهم ، فإنهم كانوا يصنعون هؤلاء وهؤلاء ، ليحفظوا صلهم ويأمنوا كيدهم ، وما ذلك إلا لضعف إيمانهم ، وقلة إيمانهم .

قال الله تعالى : (فانه يحكم بينكم يوم القيامة) أي : بما يعلمه منكم - أيها المنافقون - من البواطن الرديئة ، فلا تغتروا بجرىان الأحكام الشرعية عليكم ظاهراً في الحياة الدنيا ، لما له في ذلك من الحكمة ، فيوم القيامة لا تنفعكم ظواهركم ، بل هو يوم تلى فيه السرائر ويحصل ما في الصدور .

وقوله : (ولن يحمل الله الكافرين على المؤمنين سيلاً) : قال عبد الرزاق : أنبأنا الثوري : عن الأعمش ، عن زرارة (١) عن يسع بن بكدي قال : جاء رجل إلى علي بن أبي طالب ، فقال : كيف هذه الآية : (ولن يحمل الله الكافرين على المؤمنين سيلاً) ؟ قال علي رضي الله عنه : أدله أدله [ثم قال] : (فانه يحكم بينكم يوم القيامة ولن يحمل الله الكافرين على المؤمنين سيلاً) .

وكذا روى ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : (ولن يحمل الله الكافرين على المؤمنين سيلاً) قال : ذلك يوم القيامة . وكذا روى السدي عن أبي مالك الأشجعي : يعني يوم القيامة . وقال السدي : (ولن يحمل الله الكافرين على المؤمنين سيلاً) أي : حجة .

ويحتمل أن يكون المراد : (ولن يحمل الله الكافرين على المؤمنين سيلاً) أي : في الدنيا ، بأن يسلموا عليهم استيلاء استئصال بالكية ، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس ، فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : (إنا لننصر رسولنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) : : الآية : وعلى هذا فيكون رداً على المناقضين فيما أمروه وقرصوه وانتظروهم من زوال دولة المؤمنين ، وفيما سلطوه من مصائبهم الكافرين ، خوفاً على أنفسهم منهم إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم ، كما قال تعالى : (فرى الذين في قلوبهم مرض يشارعون فيهم) إلى قوله : (فادمن) .

وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية الكريمة على أصبح قولى الطغاة ، وهو المنع من بيع العهد المسلم من الكافر لما في صحة إتياعه من التبليط له عليه والإذلال ، ومن قال منهم بالصحة يأمره بإزالة ملكه عنه في الحال ، لقوله تعالى : (ولن يحمل الله الكافرين على المؤمنين سيلاً) .

(١) هو زرارة بن عبد الله المزني ، ويصح - بصغراً - بن سعدان الكوفي .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَجْعِلُونَ لِلَّهِ وَرُوَّ حُدُودَهُمْ وَإِذَا قُمُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَمَا لِيَؤْمِنُوا أَنَّاسٌ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠٠﴾ مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٠١﴾

قد تقدم في أول سورة البقرة (١) قوله تعالى : (يَجْعَلُونَ لِلَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا) وقال حاتم : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَجْعَلُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) . ولأنه أن الله تعالى لا يخادع ، فإنه العالم بالسرائر والضمائر ، ولكن المتقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم يخطئون أن أمرهم كإراج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهراً ، فكل ذلك يكون حكمهم يوم القيامة عند الله ، وأن أمرهم يروج عنده ، كما أخبر عنهم تعالى أنهم يوم القيامة يحلفون له : أنهم كانوا على الاستقامة والساد ، ويحلفون أن ذلك نافع لهم عنده ، فقال تعالى : (يوم يحضرون الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم) . . . الآية .

وقوله : (وهو خادعهم) أي : هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ، ويعتد بهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا وكذلك في القيامة كما قال تعالى : (يوم يقول المنافقون والنافقات للذين آمنوا: انظرونا نقتبس من نوركم) إلى قوله : (وبئس المصير) . وقد ورد في الحديث : «من سمع سمع الله به ، ومن رأى رأى الله به» (١) وفي حديث آخر : «إن الله يأمر بالهدين إلى الجنة فيأبى يهودا ناس ، ويمسك به إلى النار» حياً ذاك بالله من ذلك .

وقوله : (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) . . . الآية . هذه صفة للمتقين في أشرف الأعمال وأفضلها وأجودها ، وهي الصلاة . إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها ، لأنهم لا يهتم فيها ، ولا إيمان لهم بها ولا خشية ، ولا يقبلون منها كما روى ابن مردويه ، من طريق حبيب الله بن زحر ، عن خالد بن أبي عمران ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : «يكثر أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان ، ولكن يقوم إليها طلق الوجه ، عظيم الرغبة شديد الفرح ، فإنه يتأجج الله ، وإن الله أمامه يفرقه ويحييه إذا دعاه ، ثم يلو ابن عباس هذه الآية : (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) .

وروى من غير هذا الوجه ، عن ابن عباس ، نحوه .

قوله تعالى : (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) هذه صفة طواغيتهم ، كما قال : (ولا يؤتوا الصلاة إلا وهم كسالى) . ثم ذكر تعالى صفة براثنهم القاسية ، فقال : (يرامون الناس) أي : لا إخلاص لهم ، ولما يتخلطون كثيراً من الصلاة التي لا يرون غالباً فيها كصلاة المشاء وقت النجدة ، وصلاة الصبح في وقت الفس ، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أثقل الصلاة على المتقين صلاة المشاء وصلاة النجدة ، ولو لم يكونوا فيها»

(١) ينظر : ٧٢/١ - ٧٤ .

(٢) البخاري ، كتاب الرقاق : ١٣٠/٨ ، ومسلم ، كتاب الزهد : ٢٢٢/٨ .

ومعنى سمع : نوه بسمعه وفهمه . يرامون الناس : يسعى مع الله به ، ففهمه ونقصه في التقية . ومعنى رأى الله به : رأى بلغ مسامح خلقه الله مره مزور ، وأفهمه بذلك بينهم .

لأحدهما ولوجبت^١ ، ولقد همت أن آمر بالصلاة فقام ، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس ، ثم انطلق معي برجال ، معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار^(١) .

وفي رواية : « والذى نفسى بيده ، لو علم أحدكم أنه يجحد حرقاً صبيحاً لومراًتين حسنتين ، لشهد الصلاة ، ولو لا ما في البيوت من النساء والحرث لحرقت عليهم بيوتهم بالنار^(٢) »

وقال الحافظ أبو يعل : حدثنا محمد - هو بن أبي بكر اللقدي - حدثنا محمد بن دينار ، عن إبراهيم المجترى ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ، وأسأماها حيث ينظر ، فذلك استهانة استهان بها ربه عز وجل » :

وقوله : « ولا يكرون الله إلا قليلاً » أى : فى صلاتهم لا يخشعون ولا يدرون ما يقولون ، بل هم فى صلاتهم ساهون لا هم ، وما يراهم من الخير معرضون ،

وقد روى الإمام مالك ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق : مجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان ، قام غفر أربها لا يذكر الله فيها إلا قليلاً^(٣) .

وكذا رواه مسلم ، والترمذى ، والنسائى ، من حديث إسماعيل بن جعفر اللدى ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، به ، وقال الترمذى : حسن صحيح :

وقوله : (مذنبين بين ذلك لآلئ هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يعنى المنافقين عيرين بين الإيمان والكفر ، فلام مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ، ولام مع الكافرين ظاهراً وباطناً ، بل ظواهرهم مع المؤمنين ، وبواطنهم مع الكافرين . ومنهم من يعتربه الشك ، فتارة يميل إلى هؤلاء ، وتارة يميل إلى أولئك (كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) . . الآية .

قال مجاهد : (مذنبين بين ذلك لآلئ هؤلاء) يعنى : أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (ولا إلى هؤلاء) يعنى اليهود .

(١) مسلم ، كتاب المساجد : ١٢٣/٢ . وينظر البخارى ، كتاب مواقيت الصلاة : ١٤٧/١ ، وكتاب الأذان : ١٦٠/١ ، وكتاب الشهادات : ٢٣٨/٣ .

(٢) الحديث رواه أحمد فى مسنده فى غير موضع ، عن أبي هريرة . ويروى أن ابن كثير ساقه من حلقه ، ينظر : ٣٧٦/٢ ، ٥١٦ : ٤٧٩ ، ٥٢٦ ، ٥٣٧ .

والمرق : العظم إذا أُنعت به معظم اللحم ، وجسمه : هراق - بضم العين وفتح الراء - وهو جيع نادر ، يقال : عرق العظم ، واعترقه ، وتعرقت : إذا أخذت به العظم بأسنائك .

والمرأة : ما بين ظلى الشاة ، وتكسر ميمه وتفتح . يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لو دعى إلى شئ حقيق لأجاب .

(٣) الموطأ ، كتاب القرآن ، الحديث ٤٦ : ٢٢٠/١ ، ومسلم ، كتاب المساجد : ١١٠/٢ . ونسخة الأوصاف ، كتاب الصلاة : ٤٩٧/١ ، والنسائى ، كتاب المواقيت : ٢٥٤/١ .

ومعنى « إذا كانت بين قرنى الشيطان » : أى قربت من الغروب . وأراد بالنظر : تنقيب السجود ، وأنه لا يمكث فيه إلا لثقة وضع القرايب متفاره فيما يريه أكله .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة (١) بين الثمنين ، تبع إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة ، ولا تدري أيهما تتبع » .

نقد به مسلم (٢) . - وقد رواه (٣) عن محمد بن المنذر مرة أخرى ، عن عبد الوهاب ، فوقت به علي ابن عمر ، ولم يرفعه ، قال : حدثنا به عبد الوهاب مرتين كذلك .

قلت : وقد رواه الإمام أحمد (٤) ، عن إسحاق بن يوسف ، عن عبيد الله به مرفوعاً : وكذا رواه إسماعيل بن عياش وعلى بن حاصم ، عن عبيد الله ، عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً : وكذا رواه عثمان بن محمد بن أبي شيبة ، عن عبيدة ، عن عبد الله ، به مرفوعاً . ورواه حاد بن سلمة ، عن عبيد الله - أو عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعاً ورواه أيضاً صفير بن جويرية ، عن نافع عن ابن عمر : عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله :

وقال الإمام أحمد : حدثنا حلف بن الوليد ، حدثنا الحلبي بن بلال ، عن ابن عبيد ، عن أبيه : أنه جلس ذات يوم بمكة وعبد الله بن عمر معه ، فقال أبي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مثل المنافق يوم القيامة كالشاة بين الربيصين من الثمن ، إن أتت هؤلاء نطحتا ، وإن أتت هؤلاء نطحتا » فقال له ابن عمر : كذبت : فألقى القوم على أبي خيراً - أو مرفوعاً فقال ابن عمر : لأظن صاحبكم إلا كما تقولون ، ولكني شاهدتني (٥) الله إذ قال : كالشاة بين الثمنين : فقال : هو سواء . فقال هكذا صححه (٦) :

وقال : أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا المسعودي عن أبي (٧) جعفر محمد بن علي قال : بينا عبيد بن حمير يقص ، وحدثه عبد الله بن عمر ، فقال عبيد بن حمير : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المنافق كالشاة بين ربيصين ، إذا أتت هؤلاء نطحتا ، وإذا أتت هؤلاء نطحتا » فقال ابن عمر : ليس كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كشاة بين خنمين . قال فاحفظ الشيخ وغضب ، فلما رأى ذلك ابن عمر قال : أما إنني لو لم أسمعه لم ترد ذلك (٨) عليك :

طريق أخرى عن ابن عمر ، قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عثمان بن يربوع ، عن جعفر بن زؤن قال : سمعت عبيد بن حمير وهو يقص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المنافق كمثل

(١) الشاة العائرة : هي المتعددة بين طليق ولا تدري أيهما تتبع (النهاية) .

(٢) مسلم : كتاب الثناطين : ١٢٤/٨ ، ١٢٥ .

(٣) يمس ابن جرير الطبري : ٣٢٢/٩ ، ٣٢٣ .

(٤) مسند أحمد : ٤٧/٢ .

(٥) في الخطوط : « ولكنني شاهدتني الله » والمثبت من المسند .

(٦) مسند أحمد : ٦٨/٢ . والربيصين : مثنى ربيص ، وهو الثمن لقمها ، ويروي : بين الربيصين ، مثنى ربيص ، وهو

الموضع الذي تربص فيه .

(٧) في الخطوط : « ابن جعفر » والمثبت من المسند .

(٨) مسند أحمد : ٣٢٢/٢ .

الشاة الرابضة بين الفئتين : فقال ابن عمر : ولا تكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الفئتين (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : مثل المؤمن والمنافق والكافر مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى واد فدفح أحدهم لغيره ، ثم وقع الآخر حتى إذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي حل شفير الوادي ، ويحك . أين تلعب ؟ إلى الهلكة ؟ أرجع حرك على بذلك : وناداه الذي عبر : حككم إلى النجاة . فجعل ينظر إلى هذا مرة وإلى هذا مرة ، قال : فجهاد ميل فأغرقه ، فالتقى جبر المؤمن ، والذي غرق المنافق : (متلبدين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) والذي مكث الكافر .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا شعب (٢) عن قتادة (متلبدين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يقول : ليسوا بمؤمنين غلصين ولا مشركين مصرحين بالشرك . قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب مثلا للمؤمن والمنافق والكافر ، كمثل رطل ثلاثة دقوا إلى نهر ، فوقع المؤمن قطع ، ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر : أن حككم إلى ، فأتى أخشى عليك . وناداه المؤمن : أن حككم إلى ، فأتى عندي وعندى : يحصى له ما عنده : فازال المنافق يردد بينهما حتى أتى - أذى فغرقه . وإن المنافق لم يزل في شك وشبهة ، حتى أتى عليه الموت وهو كذلك . قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : مثل المنافق كمثل ثافية بين غنيين ، رأت غنما حل تشتر فأتتها وشامتها فلم تعرف ، ثم رأت غنما حل تشتر فأتتها وشامتها فلم تعرف (٣) .

ولهذا قال تعالى : (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) أي : ومن صرفه عن طريق الهدى (فلن تجد له وليا مرشدا) فإنه (من يضلل الله فلا هادي له) والمنافقون الذين أضلهم عن سبيل النجاة فلا هادي لهم ، ولا منقلهم عما هم فيه ، فإنه تعالى لا يمتنع بحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا الْكُفْرَيْنَ أُوْلِيَاءَ مِنَ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٧﴾ إِنْ الْمُنَافِقِينَ فِي الشَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ أَهْلَهُمْ قَصِيرًا ﴿١٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾ بَأْيَعْلَ اللَّهِ بَعْدَ بَيْعِكُمْ إِنْ شَرَّيْتُمْ وَأَمْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَارِكًا عَلَيْكُمْ ﴿٢٠﴾

ينبئ تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دونه المؤمنين ، يعني مصاحبين ومصادقهم . ومناصحتهم وسرار المودة إليهم ، وإشاعة أحوال المؤمنين الباطنة إليهم ، كما قال تعالى : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون

(١) مسند أحمد : ٨٨ / ٢٧ . وفيما سأل الإمام أحمد من هذه الروايات من ابن عمر ، دليل على أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يحذرون ألقاظ عليه الصلاة والسلام ، ويؤذونها كما سمعوا منه ، ولا يفتنون في ذلك غضب غائب ، ولا مائة مائة .

(٢) كلما في المخطوطة ، وفي تفسير الطبري ٣٣٤ / ٩ : سببه من قتادة .

(٣) تفسير الطبري : ٣٣٤ / ٩ . ٣٣٥ .

ودفوا : ابتعدوا العيوب . والأذى : الموج للشدة . والثافية : الشاة ، وثمت لثاة : صاحته . والنشر : الموضع المرتفع . وشامتها : دلت بها تصرف أي أعزتها لم يعرفها .

المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، إلا أن تتقوا منهم قتلة ، ومحلركم الله نفسه أي : محلركم عقوبته في ارتكابكم نهيته ، ولهذا قال هاتما : (أتريدون أن يحلركم الله عليكم سلطاناً ميبئاً) أي : حجة عليكم في عقوبته إياكم . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة عن ابن عباس قوله : (سلطاناً ميبئاً) كل سلطان في القرآن حجة (١) .

وهذا إسماعيل صحيح ، وكلما قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعبد بن كعب القرظي ، والضمحاك ، والسدي ، والنسفي بن حرب .

ثم أخبر تعالى : (إن المتنافقين في الدرك الأسفل من النار) أي : يوم القيامة ، جزاء كل كثرهم الغليظ : قال الواجب عن ابن عباس : (في الدرك الأسفل من النار) أي : في أسفل النار . وقال غيره : النار درجات ، كما أن الجنة درجات وقال سفيان الثوري ، عن حاصم ، عن ذكوان أبي صالح ، عن أبي هريرة : (إن المتنافقين في الدرك الأسفل من النار) قال : في توابيت ترجع عليهم . كلما رواه ابن جرير ، عن ابن دكيج ، عن يحيى بن عمار ، عن سفيان ، به . ورواه ابن أبي حاتم ، عن الثوري بن شاذان ، عن حبيب الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن حاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة : (إن المتنافقين في الدرك الأسفل من النار) قال : الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم ، فتوقد من تحتهم ومن فوقهم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عجلية ، عن عبد الله - يعني ابن مسعود - (إن المتنافقين في الدرك الأسفل من النار) قال : في توابيت من نار تطبق عليهم . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد الأشج ، عن وكيع ، عن سفيان ، عن سلمة ، عن عثيمة ، عن ابن مسعود : (إن المتنافقين في الدرك الأسفل من النار) ، قال : في توابيت من حديد مبهمة عليهم ومعنى قوله : (مبهمة) أي : مقلقة مقلقة لا يبتدىئ كان فتحها .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا علي بن يزيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن : أن ابن مسعود سئل عن المتنافقين ، فقال : يحطون في توابيت من نار ، فتطبق عليهم في أسفل درك من النار .

(وان يجد لهم نصيراً) أي : يتقدمهم ما هم فيه ، ويخرجهم من ألم العذاب .

ثم أخبر تعالى أن من تاب في الدنيا تاب عليه ، وقيل نعمه إذا أخلص في توبته وأصلح عمله ، واعتصم بربه في جميع أموره ، فقال : (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) أي : بدلوا الرياء بالإخلاص (٢) ، فيضفيهم العمل الصالح وإن قل .

(١) وإنما سميت الحجة سلطاناً ، لأنها تظهر الحكم وتعليق ، وكلها يفعل السلطان .

(٢) كلما ، والصراف أن يقال : بدلوا بالرياء بالإخلاص .

قال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني يحيى بن أيوب ، عن حبيب الله ابن زحر ، عن خالد بن أبي عمران ، عن عمرو بن مرة ، عن معاذ بن جبل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أخلص دينك يكفلك القليل من العمل » .

(فاولئك مع المؤمنين) أى في زمرة يوم القيامة (وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً)

ثم قال غير أن عن غيره مما سواه ، وأنه إنما يطلب العباد بدينهم ، فقال : (ما يفعل الله بعبادكم إن شكرتم وآمنتم) أى : أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله : (وكان الله شاكراً عليماً) أى : من شكر شكر له ، ومن آمن قلبه به علمه ، وجاهزاه على ذلك أوفر الجزاء :

• لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٠﴾ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُخْرَاجُوا مِنْ سُوْرَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَصِيًا قَدِيرًا ﴿١١﴾

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) ، يقول : لا يحب الله أن يذهر أحد على أحد ، إلا أن يكون مظلوماً ، فإنه قد أُرخص له أن يذهر على من ظلمه ، وذلك قوله : (إلا من ظلم) ، وإن صبر فهو خير له .

وقال أبو داود : حدثنا عبيد الله بن معاذ ، حدثنا أبي ، حدثنا سليمان ، عن حبيب ، عن عطاء ، عن عائشة قالت : سُرِقَ لها شيء ، فجلعت تذهر عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا تُسَبِّحِي عَنْهُ (١) » ،

وقال الحسن البصري : لا يذبح عليه ، وليقل : اللهم أخص عليه ، واستخرج حتى منه . وفي رواية عنه قال : قد أُرخص له أن يذهر على من ظلمه من غير أن يعتلى عليه ،

وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية : هو الرجل يشتمك فتشتمه ، ولكن إن اتى عليك فلا تفر عليه ، لقوله : (وإن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من شيء) .

وقال أبو داود : [حدثنا] القعني ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الْمُسْتَتَانِ مَقَالَا ، ضل الياضي منهما ، مالم يحد المظلوم (٢) ،

(١) سنن داود ، كتاب الأدب : ٢٧٨/٤ ، وقد رواه أبو داود أيضاً في كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، عن حبان بن أبي شيبه ، عن مسطح بن غياث ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت بإسناده نحوه ، بنظر : ٨٠/٧ ، كما رواه الإمام أحمد في مسنده : ٤٥/٦ ، ١٣٦ .

ولا تسبني عنه ، لا تفتني عنه بهما لك ؛ يعني : لا تشبهني إثم السرقة عن البارق بهما لك عليه .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب : ٢٧٤/٤ .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا الثوري بن الصباح ، عن مجاهد في قوله : (لا يصيب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) ، قال : ضاف رجل رجلاً ، فلم يؤد إليه حتى ضيافته ، فلما خرج أنشبر الناس ، فقال : « ضفتُ فلاناً فلم يؤد لي » حتى ضيافتي : « فلذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ، حتى لم يؤد الآخر إليه حتى ضيافته » (١) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : (لا يصيب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) قال : قال : هو الرجل يتزل بالرجل فلا يحسن ضيافته ، فيخرج فيقول : « لساء ضيافتي ، ولم يحسن » ، وفي رواية : هو الضيف المخزول رحله ، فإنه يجهر لصاحبه بالسوء من القول (٢) .

وكذا زوى عن غير واحد ، عن مجاهد ، نحو هذا : وقد روى الجماعة سوى الترمذي والزملي ، عن طريق الليث ابن سعد - والترمذي من حديث ابن لهيعة - كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير سركند بن عبد الله ، عن عتبة بن حامر قال : قلنا : يا رسول الله ، إنك تبعنا فنتزل بقوم فلا يكرهونا ، فما نرى في ذلك؟ قال : « إذا نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينهى للضيف ، فاقبلوا منهم ، وإن لم يفعلوا فخلوا منهم حتى يضيف الذي ينهى لهم » (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت أبا الجودي يحدث ، عن سعد بن المهاجر ، عن المقدم أبي كريمة ، عن الثوري صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أما مسلم ضاف قوماً ، فأصبح للضيف عروماً ، فإن حقاً على كل مسلم نصره حتى يأخذ به يرى ليلته من زوجه وماله » .

تفرد به أحمد (٤) من هذا الوجه ، وقال أحمد أيضاً : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا شعبة ، حدثني منصور ، عن الشعبي عن المقدم أبي كريمة ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليلة الضيف واجبة على كل مسلم ، فإن أصبح بفنائه عروماً كان ديناً [له] عليه ، إن شاء القضاء وإن شاء تركه » (٥) .

ثم رواه أيضاً عن عُبَيْدِ بْنِ رَحْمَةَ (٦) . وعن زيادة بن عبد الله البكائي (٧) . [و] (٨) عن وكيع ، وأبي نعيم عن سليمان الثوري (٩) - ثلاثتهم عن منصور ، به : وكذا رواه أبو داود من حديث أبي حوالة ، عن منصور (١٠) ، به .

(١) تفسير الطبري : ٣٤٧/٩ .

(٢) المصدر السابق : ٣٤٦/٩ .

(٣) رواه البخاري بنحوه في كتاب الخاتم : ١٧٢/٣ . وسلم ، كتاب الفتن : ١٣٨/٥ . وأبو داود ، كتاب الأضمة

: ٢٤٣/٣ ، وسنة أحمد : ١٤٩/٤ .

(٤) مسند أحمد : ١٣٣/٤ .

(٥) مسند أحمد : ١٣٠/٤ .

(٦) مسند أحمد : ١٣٢/٤ ، ١٣٣ .

(٧) مسند أحمد : ١٣٠/٤ .

(٨) زيادة لا يد منها .

(٩) مسند أحمد : ١٣٢/٤ .

(١٠) سنن أبي داود ، كتاب الأضمة : ٣٤٢/٣ ، ٣٤٣ .

ومن هذه الأحاديث ولما ظاهراً أحمد وغيره إلى وجوب الضيافة، ومن هذا التبريل الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر الزهرى :

حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا صفوان بن عيسى ، حدثنا محمد بن جعلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن لي جاراً يوشىني ؟ فقال له : وأخرج متاعك فضعه على الطريق . فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق ، فجعل كل من مر به قال : مالك ؟ قال : جارى يوشىني . فيقول اللهم الله ، اللهم أخذه ! قال : فقال الرجل : أرجع إلى منزلك ، وقال : لأوفيك أبداً .

وقد رواه أبو داود في كتاب الأدب ، عن أبي توبة الربيع بن نافع ، عن سليمان بن حيان أبي خالد الأحمر ، عن محمد بن جعلان (١) .

ثم قال الزهرى : لا طعمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد ، ورواه أبو جحيفة وهب بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله : (إن تدوا أخيراً أو تحقوه لو تحقوه من سوء فإن الله كان حقواً كثيراً) ، أى : إن تظفروا بها الناس غيراً ، أو تحقوه ، أو حوتم من أساء إليكم ، فإن ذلك مما يقرّبكم عند الله ويغزل ثوابكم لديه ، فإن من صفاته تعالى أن يفضو عن عباده مع قدرته على عقابهم . ولما قال : (فإن الله كان حقواً كثيراً) . ولما ورد في الأثر : أن حملة العرش يسبحون الله ويقولون بعضهم : سبحانك على حلمك بعد علمك . ويقول بعضهم : سبحانك على عفوك بعد قدرتك . وفي الحديث الصحيح : ما نقص مال من صدقة ، ولا زاد الله عبداً بقدر إلا عزاً ، ومن تواضع لله رفعه الله . (٢) .

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٣﴾

يخرج تعالى الكافرين به ويرسلهم من اليهود والنصارى ، حيث فرقوا بين الله ورسوله في الإيمان ، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض ، مجرد التشي والشاعة ، وما ألقوا عليه أباحم ، لا عن دليل قاطع إلى ذلك ، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك [بل] مجرد الخوى والمصيبة . فاليهود - عليهم لما آمنوا بالأنبياء إلا عيسى وعهد عليهم الصلاة والسلام ، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بغيرهم وأشرقتهم محمد صلى الله عليه وسلم ، والمسلمة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأدب : ٣٣٩/٤ .

(٢) مسلم ، كتاب البر : ٢١/٨ . وسنة أحمد عن أبي هريرة : ٢٤٥/٢ .

موسیٰ بن عمران ، وللمجوس یقال : انهم كانوا یؤمنون بنبی هم یقال له : زرادشت ، ثم سکروا بهرهم ، فرفع من بین أظهرهم ، والله اعلم .

والمقصود أن هن كثر بنى من الأنبياء ، فقد كثر سائر الأنبياء ، لأن الإيمان واجب بكل نبى بهته الله إلى أهل الأرض ، فمن ربه الحسد أو العصبية أو التشبهى بين [أن] إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا ، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية ، ولهذا قال تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ، فرسومهم بأنهم كفار بالقورسله ويريدون أن يفرغوا بن الله ورسله) أى : فى الإيمان (ويقولون : لوئمن ببعض وكفركم بعض ، ويريدون أن يخلفوا بين ثلاث سيلا) أى : طريقا ومسلكا . ثم أخبر تعالى عنهم ، فقال : (أولئك هم الكافرون حقا) ، أى : كثرهم خلقا لاهلة بن ادعاء الإيمان به ، لأنه ليس شرعيا ، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لامتوا بغيره ، وعن هو أوضح دليلا وأقوى برهانا أنه ، ونظر واضح النظر فى نبوته .

وقوله : (وأخذنا للذين كفروا من قبلهم آياتهم من فوقهم) : كذا استهالوا بن كفرهم إلى [إمام] لعلم انهم أيا جاءهم من فوق الله ، وإضر اضربته وإلهاهم على جمع حطام الدنيا عما لا ضرورة لهم إليه ، وإما يكفروهم به بعد علمهم بنبوه ، كذا كان يفعلهم كثير من أمم اليهود في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث حسدوه لما أتاه الله من النبوة العظيمة ، ومخالفة وكفره وعاجره وقتلوه ، فسلب الله عليهم اللذات الدنيوى الموصولة بالذات الأخرى ، وغربت عليهم اللذة والسكنى وباعوا نفوسهم من الله في الدنيا والآخرة .

وقوله ١ (والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أئمتهم) يعني بذلك : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزل الله وبكل نبي بعثه الله ، كما قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله .. الآية) .

ثم أخبر تعالى بأنه قد أخذ لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل والعطاء الجميل ، فقال : (أولئك سوف يؤمنهم أجورهم) على ما آمنوا بالله ورسوله (وكان الله غفوراً رحيماً) أى : للتعويض ، أى : إن كان لبعضهم ذنوب »

يَسْعَاكَ أَعْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ قَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُ جِبْرِ
عَالَمَتُهُمْ الصِّغْفَةَ يُنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْيَبِيتُ فَهَوَّنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا
مُجِيبًا ﴿١١٧﴾ وَرَبَّنَا قَوِّمْنَا لَكُمُ الْكُورَ يَغْتَابُونَنَا وَأَنَّا لَا نَمْلِكُ لَهُمْ أَعْيُنَ رَاصِينَ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَصَلَّوْا
مِنْ أَمْرِنَا أَمْ لَمْ يَلْبَسُوا أَهْلُ الْبَابِ يُجِبْنَا لَهُمُ الْمَوْتُ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ فِي السَّاعَةِ لَوِيضُ الْمَغْلِقِ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّا

قال محمد بن كعب القرظي ، والسدي ، وقادة : سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزل عليهم كتابا من السماء ، كما تزل الثوراة على موسى مكتوبة .

قال ابن جرير: سألوه أن ينزل عليهم مصفًا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان، بتسليمه فيها جامع به: وهذا إنما قاله هو سبيل التعت والتناد والكفر والإلحاد، كما سأل كذا قريش قبلهم نظير ذلك، كما هو مذكور في سورة صهيون: (وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا) الآيات. ولهذا قال تعالى: (قد سألوا موسى أكبر من ذلك، فقالوا: ألا لنا نجرة). فاعلمهم الصاحبة بظلمهم، أي: بظلمتهم وبغيرهم، وعوهم وعنادهم، وهذا مفسر في سورة البقرة، حيث يقول تعالى: (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذهك الصاحبة وأنتم تنظرون. ثم بعثناك من بعد موتك لعلكم تشكرون) (١).

وقوله تعالى: (ثم افلقوا السجل من بعد جاءتهم اليبات)، أي: من بعد ما رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاطعة على يد موسى عليه السلام في بلاد مصر [و] ما كان من إهلاك عدو الله فرعون وجميع جنوده في القبر، فاجاوزوه إلا يسيرًا حتى أتوا حل قوم يمكنونهم أصنامهم، فقالوا لموسى: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة): (٢) الآية. ثم ذكر تعالى قصة اتخاذهم السجل مسبوقة في سورة الأعراف، وفي سورة طه بعد ذهاب موسى إلى مناجاة الله عز وجل، [ثم لما رجع وكان ما كان، جعل الله تربتهم من الذي صنعوه وابتدعوه: أن يقتل من لم يبعده السجل منهم من عبده، فجعل يقتل بعضهم بعضاً، ثم أحياهم الله عز وجل] فقال الله عز وجل: (فنفوا من ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً) (٣).

ثم قال تعالى: (ورفعنا فوقهم الطور مبيناً لهم) وذلك حين امتنوا من الالتزام بأحكام التوراة، وظهر منهم إيمانهم بجامعهم به موسى عليه السلام، ورفع الله على رؤسهم جبلاً، ثم أرتوا قائلتموا وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى فوق رجوعهم غشبية أن يسقط عليهم، كما قال تعالى: (وإذ نقضنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم فحلوا ما آتيناكم بقوة) (٤) الآية.

(وقلتا لم ادخلوا الباب سجداً) أي: ففعلوا ما أمروا به من القول والقيام، فلأنهم أمروا أن يدخلوا باب بيت القدس سجداً، وهم يقولون: حسنة. أي: اللهم حللنا عنا ذنوبنا في تركنا الجهاد ونكونا عنه، حتى نبتا في الله أربعين سنة. فدخلوا يرفخون على أستاذهم، وهم يقولون: حنطة في شجرة (٥).

(وقلتا لم لا تعملوا في السبت) أي: وصيناكم بحفظ السبت والقيام ما حرم الله عليهم، مادام مشروعاً لهم (وأعلمنا منهم مبيناً غليظاً) أي: شديداً ففعلوا وحسنوا أو تحيلوا على ارتكاب مناهي الله عز وجل، كما هو مبسوط في سورة الأعراف عند قوله: (وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) (٦) الآية. وسبيل حديث صفوان ابن صالح، في سورة صهيون عند قوله: (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)، وفيه: (وهلك من خاصية يهودا أن لا تعلموا في السبت) (٧).

(١) ينظر: ١٣٢/١، ١٣٣.

(٢) ينظر سورة البقرة: ١٣٩/١ - ١٤٢.

(٣) الأعراف: ١٦٣.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة الإسراء، ينظر تحفة الأوصياء: ٨٠/٨.

فَبِمَا نَقِصْتُمْ مِنْهُمْ وَكُفِّرْتُمْ بَقِيتَ اللَّهُ وَقَتْلُهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْمِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ مَلِجَ اللَّهُ عَلَيْهَا
يَكْفُرَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا كَلِيلًا ۝ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْمُهُمْ عَلَى مَرَمٍ يَسْتَنَاطِعِيكَ ۝ وَقَوْمُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْأَسِيحَ
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَوْلُهُ وَمَا صَلَوَةٌ وَلَكِنْ شِبْهُ لَمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَنِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ
بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَوْلَهُ حَقًّا ۝ بَلْ رَمَهُ اللَّهُ إِلَهًا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَقًّا ۝

ولهذه من الذنوب التي تركوها ، مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن المدي ، وهو انقصهم للواثق والموثوق
التي أنزلت عليهم ، وكفرهم بآيات الله ، أي : حجبته وبراعته ، والمسببات التي شاهدها على يدي الأنبياء عليهم
السلام .

قوله : (وَتَكْفُرُ الْآبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ) ، وذلك لكثرة إيجرامهم واجترارهم على أنبياء الله ، فإنهم قتلوا جمعا خفيا من
الأنبياء عليهم السلام .

وقولهم : (قُلُوبُنَا غُلْفٌ) ، قال ابن عباس : ومجاهد ، وسعيد بن جبيرة ، وعكرمة ، والسدي ، وقناة ، وغير واحد :
أي في غطاء . وهذا كقول للمشركين : (وقالوا : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه) . : الآية : وقيل : معناه أنهم ادعوا
أن قلوبهم غُلْفٌ قَلَمٌ ، أي : أوعية العلم قد حوكت وحصلته ، ورواه الكلبي ، عن ابن صالح ، عن ابن عباس . وقد
تقدم نظيره في سورة البقرة (١) .

قال الله تعالى : (بَلْ مَلِجَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) ، قبل القول الأول كأنهم يحلثون إليه بأن قلوبهم لا تسمى ما يقول ،
لأنها في غلف وفي أكنة ، قال الله : بل هي مطبوع عليها يكفرونهم . وعلى القول الثاني عكس عليهم ما ادعوه من كل
وجه ، وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة البقرة .

(فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا كَلِيلًا) ، أي : مَرَدَّتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالظُّلْمَانِ وَقَلَّةِ الْإِيمَانِ .

(وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْمُهُمْ عَلَى مَرَمٍ يَسْتَنَاطِعِيكَ) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « يعني أنهم رموها بالزنا ،
وكذا قال السدي ، وجوبير ، وعبد بن إسحاق وغير واحد . وهو ظاهر من الآية : أنهم رموها وإنيها بالمظالم ، فحبلوها
زانية وقد حملت بولدها من ذلك - زاد بعضهم : وهي حائض - فطبعهم لما نزل الله لتتابعة إلى يوم القيامة .

وقولهم : (إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ) أي : هذا الذي يدعى لنفسه [هذا للتعصب فتناه : وهذا منهم
من باب التهمك والاستهزاء ، كقول للمشركين : (يا أيها الذي تقول عليه الذكرك إنك لمجنون)] -

وكان من غير اليهود - عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه - أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والمهدى، حسده على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات، التي كان يرى بها الأكمة والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا شاهدًا طير أنه بإذن الله عز وجل، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بها وأجرها على يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبي الله عيسى عليه السلام لا يساقونهم في بلدة، بل يكثر السباحة هو وأمه عليهما السلام، ثم لم يقنعهم ذلك حتى سوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان - وكان رجلاً مشركاً من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته: اليونان - وأتوا إليه: أن يبيت المقدس وجلافتن الناس ويقبلهم ويفسد حل الملك رعاياه. فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالمقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يسلبه ويشع الشوك على رأسه، ويكف أذاه عن الناس. فلما وصل الكتاب امتثل متولى بيت المقدس ذلك، وذهب هو وطاقته من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام، وهو في جماعة من أصحابه، اثنا عشر أولاداً عشر - وقيل: سبعة عشر قرأ - وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحضره هناك ولما لحس بهم وأنه لأمانة من دخولهم عليه، أو عروجه عليهم قال لأصحابه: أيكم يلتصق بهي شبي، وهو رفيق في الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم، فكانه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا يستندب إلا ذلك الشاب - فقال: أنت هو؛ وأنتي الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو، وفُتِحَتْ رَوَازِكُهُ (١) من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سيناً من النجم، فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال تعالى: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْقُطْ هَذَا الْبَاقِلُ إِلَى) ٤٤: الآية.

فلما رُفِعَ خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخطوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، فأظهر اليهود أنهم سوا في صلبه وتيجوا بذلك، وسلم لهم طوائف [من] النصراني ذلك لجهلهم وقلة عقولهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح، لأنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقر فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن ماعوب هو المسيح ابن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت، ويقال: إنه خاطبها والله أعلم.

وهذا كله من امتحان الله عباده، لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وقد أوضح الله الأمر وجلا به بينه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم، المزيد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات، فقال تعالى - وهو أصدق القائلين، ورب العالمين، المطلع على السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السموات والأرض، العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون: (وَمَا تَقُولُوا وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبْهًا لَهُمْ) أي: رأوا شبهه فظنوه إياه، ولهذا قال: (وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَبِئْسَ مَا هُمْ بِهِ مِنْ قَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يعني بذلك: من ادعى قتله من اليهود، ومن سكتهم من جهال النصراني، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعور (٢). ولهذا قال: (وَمَا تَقُولُوا

(١) الروضة: الكوة.

(٢) السمر: الجنون.

يقيناً (أى : وما ظنوه متيقنين أنه هو ، بل شاكين متوهمين (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً) أى منيع الجانب ، لا يرام جنباه ، ولا يضاف من لاذيباه (حكيماً) أى : فى جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التى يحلفها وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، والسلطان العظيم ، والأمر القديم .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أراد [الله] أن يرفع عيسى إلى السماء ، خرج حل أمصاحبه - وفى البيت اثنا عشر رجلاً من الخواريين - يعنى فخرج عليهم من حين فى البيت ، ورأسه يقطر ماء ، فقال : إن منكم من يكفر فى اثني عشرة مرة ، بعد أن آمن بى . ثم قال : أياكم يكفى عليه شئى ، فيقتل مكانى ويكره معى فى درجى ؟ فقام شاب من أحدتهم سناً ، فقال له : اجلس . ثم أحاد عليهم فقام [ذلك] الشاب ، فقال : اجلس . ثم أحاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا . فقال : أنت هو ذلك . فأتى عليه شئ عيسى . ورفع عيسى من روضة فى البيت إلى السماء : قال : وجاء الطلبة من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ، ثم صلبوه وكفر به بعضهم اثني عشرة مرة ، بعد أن آمن به ، واختلفوا ثلاث فرق ، فقالت طائفة : كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء . وهؤلاء اليعقوبية ، وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء ، ثم رفعه الله إليه . وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ، ثم رفعه الله إليه . وهؤلاء المسلمون ، فظاهرت الكافران على المسلمة ، فقتلوا ، فلم يزل الإسلام طائساً حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، ورواه النسائي عن أبى كريب ، عن أبى معاوية ، بنحوه : وكذا ذكر غير واحد من السلف أنه قال لهم : أياكم يكفى عليه شئى فيقتل مكانى ، وهو رفيق فى الجنة ؟

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب التميمي ، عن هارون بن عتبة ، عن وهب بن منبه قال : أتى عيسى وعنده سبعة عشر من الخواريين فى بيت وأحاطوا بهم . فلما دخلوا عليه صرّهم الله عز وجل كلم على صورة عيسى ، فقالوا لهم : سحرتمونا . ليرزونا لنا عيسى أو لتقتلنكم جميعاً . فقال عيسى لأصحابه : من يشرى نفسه منكم اليوم بالجنة ؟ فقال رجل منهم : أنا . فخرج إليهم وقال : أنا عيسى - وقد صوره الله على صورة عيسى ، فأخذوه وقتلوه وصلبوه . فمن ثم شئت لهم فظفروا آههم قد قتلوا عيسى ، وظلت التمازى مثل ذلك أنه عيسى ، ورفع الله عيسى من يومه ذلك :

وهذا سياق غريب جداً

قال ابن جرير : وقد روى عن وهب نحو هذا القول ، وهو ما حدثنى [به] الحنفى ، حدثنا إسحاق ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثنى عبد الصمد بن مقل : أنه سمع وهباً يقول : إن عيسى ابن مريم لما ألهمه الله أنه خارج من الدنيا ، جزع من لوت وشئ عليه ، فلما الخواريين فصنع لهم طعاماً ، فقال : احضرونى إلى البيت ، فإن لى إليكم حاجة : فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاءهم وقام غندهم ، فلما لفرغوا من الطعام أخذ يضل أبليسهم ويؤسفهم بيده ، ويمسح أبليسهم بتيابه ، فقاموا ذلك وتكلموا ، فقال : ألا من ردع شئنا الليلة مما أصنع ، فليس منى ولأنا منه فأنفروه ، حتى إذا فرغ من ذلك قال : أما ما حصلت بكم الليلة ، مما خدمتكم

حل الطعام ، وحملت أيديكم يدي ، فليكن لكم في أسوة ، فإنكم ترون في خبركم فلا يتعلم بعضكم حل بعض ، وليليل بعضكم نفسه لبعض ، كما بليت نفس لكم . وأما حاجتي الليلة التي أستميتكم [عليها] فتدعون لي الله ، ويجهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي : فلما نصبوا أنفسهم للدعاء ، وأرادوا أن يجتهدوا ، أعلمهم التزم حتى لم يستطيعوا دعاء ، فاجعل [يوقظهم (١)] ويقول : سبحان الله . أما تصبرون لي ليلة واحدة تبتونني فيها ؟ قالوا : والله ما ندرى ما لنا . لقد كنا نسمّر ففكر السمر ، وما تطيق الليلة سمرأ ، وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه . فقال : يذْهَبُ بالراعي وتفرق (٢) الغنم . وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينسى به نفسه . لم [قال] : الحق ، ليكثر في أحدكم قبل أن يصبح الديك ثلاث مرات ، وليبقي أحدكم يدراهم يسيرة ، وليأكل نسي . فخرجوا وتفرقوا . وكانت اليهود تطلبه ، وأدخلوا شمعون أحد الخواريين ، وقالوا : هذا من أصحابه . فجدد وقال : ما أنا بصاحبه . فتركوه ، ثم أدخله آخرون ، فجدد كذلك : لم سمع صوت ديك فبكي وأحزته ، فلما أصبح أتى أحد الخواريين إلى اليهود فقال : ما تعبتمون لي إن ذلكم كنتم حل المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهما ، فأدخلها ودلهم عليه ، وكان شُبَّه عليهم قبل ذلك ، فأخذوه فاسترقوا منه ، ووطئوه بالحيل ، وجعلوا يقدونه ويقولون [له] : أنت كنت تحيي الموتى ، وتنهر الشيطان ، وتبرئ الجنون ، أفلا تنجي نفسك من هذا الحيل ؟ ويصقرون عليه ، ويلقون عليه الشوك ، حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه ، وصلبوا ما شُبَّه لهم . فمكث سبعا .

ثم إن أمه والمرأة التي كان يدلو بها عيسى عليه السلام ، فأبرأها الله من الجنون ، جاء تاتيكيان حيث المصوب ، فجاهدا عيسى فقال : حلام تيكيان ؟ فقالتا : عليك . فقال : إني قد رفضي الله إلي ، ولم يصبني إلا خبر ، وإن هذا شُبَّه لهم فأمراً الخواريين يلقون (٤) إلى مكان كذا وكذا . فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر . وفضلوا الذي كان باعه ودل عليه اليهود ، فسأل عنه أصحابه فقال : إنه ندم حل ما صنع فاختنق ، وقتل نفسه فقال : لو تاب تائب تاب الله عليه . ثم سأله عن حلام كاد يبتهم ، يقال له : يحيى (٥) ، قال : هو معكم ، فانتلقوا ، فإنه سيصبح كل إنسان عبد ثبلة قومه ، فلينبذهم وليتدعهم .

سياق غريب جدا .

ثم قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال : كان أمم ملك بني إسرائيل الذي بعث إلى عيسى ليقتله رجلا منهم ، يقال له : داود ، فلما أجمعا ذلك منه ، لم يقطع عيده من عباد الله بالوقت . فيها ذكر لي قصته ، ولم يجز منه جزءه ، ولم يدع الله في صرفة عنه دعائه ، حتى إنه يقول - فيها يزعمون - : اللهم إن كنت صارغا هذه الكأس من أحد من خلقك فأصر بها عني . وحتى إن جلده من كرب ذلك ليتصدد دما . فدخل المدخل الذي أجمعا أن

(١) في المخطوطة : « يوقظهم » . وللمكتب من تفسير البكري : ٢٦٩/٩ .

(٢) في المخطوطة : « يذهب الراعي وتفرق الغنم » . وللمكتب من المصدر السابق .

(٣) في المخطوطة : « ما تيكيان » وللمكتب من المصدر السابق أيضا .

(٤) في تفسير البكري : « أن يلقون » .

(٥) في تفسير البكري : « يحيى » .

(٦) قلته : كره واستعشه .

يَدْخُلُوا عَلَيْهِ فِيهِ لِقَاؤُهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَهَم ثَلَاثَةُ عَشَرَ بَيْتِي عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَلَمَّا أَبْقَى أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ مِنْ الْجَوَارِينَ - وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا : فَطَرَسَ (١) وَيَقُوبَ بْنَ زُبَيْدٍ (٢) وَبَعْضَ أَخِيهِ يُوْقُوبَ ، وَأَنْثَرَايِسَ ، وَفِيلَيْسَ ، وَأَبْرَئِيلَا (٣) وَمِسَى (٤) وَتُومَاسَ ، وَيَقُوبَ بْنَ حَلْفَايَا (٥) ، وَتَدَاوَسِيَسَ ، وَفَتَانِيَا ، وَيُودُسَ زَكَرِيَّا يُوْطَا .

قال ابن حميد ، قال سلمة ، قال ابن إسحاق : وَكَانَ ذَكَرُ رَجُلٍ اسْمُهُ سَرِجَسُ ، فَكَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا سِوَى بَيْتِي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، نَحْنُ النِّصَارَى ، وَذَلِكَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي شَبَّهَ الْيَهُودَ مَكَانَ عَيْسَى : قَالَ : فَلَا أَدْرَى [مَا] هُوَ ؟ مِنْ هَرَلَاءِ الْإِنْفَى عَشَرَ ، أَوْ كَانَ ثَلَاثَ عَشَرَ ، فَجَعَلُوهُ حِينَ أَقْرَأَ الْيَهُودَ بِصَلْبِ عَيْسَى ، وَكَفَرُوا بِمُجَادَّةِ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَبَرِ عَنْهُ . فَإِنْ كَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ فَلَهُمْ دَخَلُوا الْمَدْخَلَ حِينَ دَخَلُوا [وَهُمْ بَيْتِي أَرْبَعَةَ عَشَرَ ، وَإِنْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ ، فَلَهُمْ دَخَلُوا الْمَدْخَلَ] وَهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ كَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ : أَنَّ عَيْسَى حِينَ جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ : [إِنِّي رَاغِبٌ إِلَى] قَالَ : بِأَمْرِ الْجَوَارِينَ ، أَيْكُمْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ [عَلَى أَنْ] يَشْبَهَ الْقَوْمَ فِي صُورَتِي ، فَيَقْتُلُوهُ فِي مَكَانٍ ؟ فَقَالَ سَرِجَسُ : أَنَا ، يَا رُوحَ اللَّهِ . قَالَ : فَاجْلِسْ لِي جُلُوسِي . فَجَلَسَ فِيهِ ، وَرَفَعَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَأَخْلَعُوهُ فَصَلَبُوهُ ، فَكَانَ هُوَ الَّذِي صَلَبُوهُ وَشَبَّهَ لَهُمْ بِهِ ، وَكَانَتْ عِلَّتُهُمْ حِينَ دَخَلُوا مَعَ عَيْسَى مَعْلُومَةٌ ، قَدْ رَوَاهُمْ وَأَحْصَوْا جَدَّتَهُمْ . فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ لِأَخْلَعُوهُ وَجَدُوا عَيْسَى فِيَا يَرْتَوْنُ وَأَصْحَابُهُ وَقَعَدُوا رَجُلًا مِنَ الْعَمَةِ ، فَهُوَ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَكَانُوا لَا يَعْرِفُونَ عَيْسَى ، حَتَّى جَعَلُوا لِيُودُسَ زَكَرِيَّا يُوْطَا ثَلَاثِينَ أَذْهَمًا عَلَى أَنْ يَدْلِمَهُ عَلَيْهِ وَيَعْرِفَهُمْ لِإِيَادِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَيْهِ فَإِنِّي سَأَتَبَلِّغُهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَتَبَلَّغُهُ . فَلَمَّا دَخَلُوا وَقَدْ رَفَعَ عَيْسَى ، وَرَأَى سَرِجَسَ فِي صُورَةِ عَيْسَى ، فَلَمْ يَشْكُلْ أَنَّهُ عَيْسَى ، فَكَسَبَ عَلَيْهِ قَتِيلَهُ ، فَأَخْلَعُوهُ فَصَلَبُوهُ .

ثم إن يودس زكريا يوطا ندم على ما صنع ، فاختنق بجبل حتى قتل نفسه ، وهو ملمون في النصارى ، وقد كان أحد الملمودين من أصحابه ، وبعض النصارى يزعم أن يودس زكريا يوطا هو الذي شبه لهم ، فصلبوه وهو يقول : « إِنِّي لَسْتُ بِصَاحِبِكُمْ . أَنَا الَّذِي دَخَلْتُكُمْ عَلَيْهِ (٦) » . وَهَذَا أَهْلُ أَيْ ذَلِكَ كَانَ .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : صَلَبُوا رَجُلًا شَبَّهَهُ بِعَيْسَى ، وَرَفَعَ اللَّهُ ، حَزَّوْجِلَ ، عَيْسَى إِلَى السَّمَاءِ حَيًّا ؛

وَبِاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ شَبَّهَ عَيْسَى أَلْفِي عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ (٧) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : [وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا] ،

(١) فِي الْخَطِّ الْمَوْصُوفِ : « فَرَطُوسَ » وَالْمَكْتُوبِ عَنْ تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ : ٣٧٢/٩ .

(٢) فِي الْخَطِّ الْمَوْصُوفِ : « وَيَقُوبُوسَ رَيْدًا » وَالْمَكْتُوبِ مِنَ الرَّجْحِ السَّابِقِ .

(٣) فِي الْخَطِّ الْمَوْصُوفِ : « وَابْنُ يَلْمَا » يَنْظُرُ أَيْضًا الرَّجْحَ السَّابِقَ .

(٤) فِي الْخَطِّ الْمَوْصُوفِ : « وَمَسَا » وَقَدْ أَتَيْنَا مَا فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ .

(٥) فِي الْخَطِّ الْمَوْصُوفِ : « حَلْفَايَا » .

(٦) هَذَا الْآثَرُ لِلْفَرَاغِيِّ ابْنِ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ سَيِّدٍ يُسَانِدُهُ إِلَى ابْنِ إِسْحَاقَ : فِي تَفْسِيرِهِ : ٣٧١/٩-٣٧٢ .

(٧) تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ : ٣٧٤/٩ .

قال ابن جرير : اضطلت أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به) يعني عيسى (قبل موته) ، يعني : قبل موت عيسى - وَجَّهَ ذلك إلى أن جميعهم يصدقونه إذا نزل قتل الدجال ، فتصير الملل كلها واحدة ، وهي ملة الإسلام الحنيفية ، دين إبراهيم عليه السلام (١) .

(ذكر من قال ذلك)

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال : قبل موت عيسى بن مريم (٢) . وقال العوفي عن ابن عباس مثل ذلك ، وقال أبو مالك في قوله : (إلا ليؤمنن به قبل موته) ، قال : ذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام لا يبي أحد من أهل الكتاب إلا آمن به .

وقال الفسطل ، عن ابن عباس : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) ، يعني : اليهود خاصة . وقال الحسن البصري : يعني للتجاني وأصحابه . ورواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : وحديث يعقوب ، حدثنا ابن علي ، حدثنا أبو رجاء ، عن الحسن : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال : قبل موت عيسى . والله إنه الآن حي عند الله ، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن عثمان اللاحي ، حدثنا جويرية بن بشر قال : سمعت رجلاً قال للحسن : يا أبا سعيد ، قول الله : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال : قبل موت عيسى إن الله رفع عيسى ، وهو باعه قبل يوم القيامة مقاماً يؤمن به البر والفاجر .

وكذا قال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد . وهذا القول هو الحق ، كما سنبيته بعد بالدليل القاطع ، إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

قال ابن جرير : وقال آخرون : معنى ذلك : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به) قبل موت الكتابي . ذكر من كان يؤجبه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل ، لأن كل من نزل به الموت لم يخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال : لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى (٣) .

حدثني المثنى ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : (إلا ليؤمنن به قبل موته) : كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته ، قبل موت صاحب الكتاب - وقال ابن عباس : لو شربته عقه لم يخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى (٤) .

(١) المصدر السابق : ٣٧٩/٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٨٠/٩ .

(٣) تفسير الطبري : ٣٨٧/٩ .

(٤) تفسير الطبري : ٣٨٧/٩ ، ٣٨٤ .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا أبو ثعلبة جبر بن واضح ، حدثنا حبيب بن واقد ، عن يزيد النخعي ، عن حكمة ، عن ابن عباس قال : لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله ، ولو حصل عليه بالسلاح (١) .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، حدثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن سعد بن جبر ، عن ابن عباس (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال : هي في قراءة أبي : (قبل موتهم) ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى . قبل لابن عباس : أرأيت إن عثر من فرق بيت ؟ قال : ينكلم [به] في اليهودي (٢) : قليل ، أرأيت إن ضربت حتى أحد منهم ؟ قال : ينكسجج بها لسانه .

وكذا روى صفيان الثوري عن خصيف ، عن حكمة ، عن ابن عباس : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) قال : لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام ، وإن ضرب بالسيف نكلم به ، قال : وإن عثر يركل وهو يهودي .

وكذا روى أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن أبي هارون القنري ، عن حكمة ، عن ابن عباس : فهذه كلها أساليب صحيحة إلى ابن عباس ، وكذا صحح عن مجاهد ، وحكمة ، وعبد بن سيرين : ويه يقول لفضحك وجوبر ، والسدي ، وحكاه عن ابن عباس ، ولكل قراءة أبي بن كعب : (قبل موتهم) .

وقال عبد الرزاق ، عن إسماعيل ، عن فرات التكري ، عن الحسن بن قرقه : (إلا ليؤمنن به قبل موته) قال : لا يموت أحد منهم حتى يؤمن بعيسى قبل أن يموت .

وهذا يجعل أن يكون مراد الحسن ما تقدم منه ، ويجعل أن يكون مراده ما أرادته هؤلاء .

قال ابن جرير : وقال آخرون : معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موته الكتاب (٣) .

(ذكر من قال ذلك)

حدثني ابن المني ، حدثنا المساج بن مفضل ، حدثنا جاد ، عن حميد قال ، قال حكمة : لا يموت النصراني ولا يهودي حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم [يعني في] قوله : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) (٤) .

لم قال ابن جرير : وأول هذه الأقوال بالصحة القول الأول ، وهو أنه لا يفي أحد من أهل الكتاب بعد وفاته عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته ، أي قبل موت عيسى عليه السلام . ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصليه ، وتسليم من سلم لهم من التصاري الجعلة ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم قتلوا الشيء وهم لا يتبينون ذلك ، لم إله رفعه إليه ، وإله باقي حي ، وإله سيزل قبل يوم القيامة ، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة - التي سنوردها إن شاء الله قريباً - فيقتل مسيح الصلاة ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية - يعني : لا يقبلها من أحد من أهل الأديان ، بل لا يقبل

(١) تفسير الطبري : ٢٨٢/٩ .

(٢) الخبر - بنم الله ، وكسر القاء ، وتلفظه القاء - : السقوط .

(٣) تفسير الطبري : ٢٨٦/٩ .

إلا الإسلام أو السيوف - فأصبحت هذه الآية الكريمة أن يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ، ولهذا قال : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) أي : قبل موت عيسى ، الذي زعم اليهود ومن اتفقهم من النصارى أنه قتل وصلب .

(ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) أي : بأهلهم التي شاهدوا منهم قبل وفاته إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض . فاما من فسر هذه الآية بأن المعنى : أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما السلام ، فهذا هو الواقع ، وذلك أن كل أحد عند احتضاره يتسجّل له ما كان جاهلاً به ، فيؤمن به ، ولكن لا يكون ذلك إيماناً دائماً له ، إذا كان قد شاهد الملك ، كما قال تعالى في هذه السورة : (وليست العربة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني لئن الآخرة (١)) الآية ، وقال تعالى : (ولما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده (٢)) . . . الآية . وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في ردّ هذا القول ، حيث قال : ولو كان المراد بهذه الآية هذا ، لكان كل من آمن بمحمد أو بالمسيح ، ممن كفر بما - يكون هل دينهما ، وحينئذ لا يردّه أقرباؤه من أهل دينه ، لأنه [قد] أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته (٣) . فهذا ليس بجيد ، إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينضمه إيمانه أنه يصير بذلك مسلماً ، ألا ترى إلى قول ابن عباس : (ولو نردى من شاطئ أو ضرب سيف أو فرسه سبع ، فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى ، فالإيمان في مثل هذه الحالات ليس بتافع ، ولا يخل صلحيه من كفره لا قلنا ، والله أعلم .

ومن تأمل هذا جيداً وأمن النظر ، الفصح له أن هذا وإن كان هو الواقع ، لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا ، بل المراد بما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء ، وأنه سيمرّ إلى الأرض قبل يوم القيامة ، ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتضادات وتماكست وتناقضت ، وغلبت عن الحق ، ففرط هؤلاء اليهود وأفرط هؤلاء النصارى : تنكصه اليهود بما رموه به وأمه من العظام ، وأطراه النصارى حيث ادعوا بما ليس فيه ، فرفضوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية ، تعالى الله عن قول هؤلاء وهؤلاء علواً كبيراً ، ويتزود وتكذب من لا اله إلا هو .

[ذكر الأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض من السماء ، في آخر الزمان قبل يوم القيامة ، وأنه ينحدر إلى عبادة الله وحده لا شريك له] .

قال البخاري رحمه الله ، في كتاب ذكر الأنبياء ، من صحيحه المخطي بالقول : (نزول عيسى بن مريم عليه السلام) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي عن صالح ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً دليلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحزيرة ، ويغيث المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون

(١) ينظر : ٢٠٥/٢ - ٢٠٨ .

(٢) غافر : ٨٤ .

(٣) هذا من كلام ابن جرير ، ينظر : ٣٨٦/٩ - ٣٨٧ .

السجدة (١) خرا من الدنيا وما فيها . ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (٢) .

وكذا رواه مسلم عن الحسن الخنكزي وعبد بن حميد (٣) كلاهما ، عن يعقوب ، به . وأخرجه البخاري ومسلم (٤) أيضاً من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، به . وأخرجه من طريق الليث (٥) عن الزهري ، به . ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يكون فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، يقتل الدجال ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ويضع الجزية ، ويتعبد للمال ، وتكون السجدة واحدة قد رب العالمين . قال أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موت عيسى بن مريم ، ثم يعطى أبو هريرة ثلاث مرات ،

طريق أخرى عن أبي هريرة ، قال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن حفظة بن علي الأسدي ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لِيُهْلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ بِسَاحِ الرُّوحِ بِالْحَجِّ أَوْ الْعِمْرَةِ أَوْ لِيُشْهِمَا جَمِيعاً » (٦) .

وكذا رواه مسلم مفرداً به من حديث سفيان بن عيينة ، والليث بن سعد ، ويونس بن يزيد ، تلاصقهم عن الزهري (٧) .

٤ :

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا سفيان — هو ابن حسين — عن الزهري ، عن حفظة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويجمع له الصلاة ، ويعطى للمال حتى لا يقبل ، ويضع الشراج ، ويتزل الروحاء فيخرج منها أوبى تمر أو يجمعهما . قال : وثلا أبو هريرة : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) . . . الآية ، فزعم حفظة أن أبا هريرة قال : يؤمن به قبل موت عيسى ، فلا أخرى . هذا كله حديث النبي صلى الله عليه وسلم أو شذبه قاله أبو هريرة (٨) .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي موسى محمد بن المنثري ، عن يزيد بن جابر ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري ، به .

طريق أخرى : قال البخاري : حدثنا ابن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن نافع مولى أبي

(١) في الصحيح : السجدة الواحدة .

(٢) البخاري : كتاب الأنبياء : ٢٠٥/٤ .

(٣) مسلم : كتاب الإيمان : ٩٣/١ ، ٩٤ . والبخاري : كتاب المظالم : ١٧٨/٣ .

(٤) البخاري : كتاب البيرج : ١٠٧/٣ ، ومسلم : كتاب الإيمان : ٩٣/١ ، ٩٤ .

(٥) مسند أحمد : ٥١٢/٢ .

(٦) مسلم : كتاب الحج : ٦٠/٤ .

وفي الرواح : بين مكة والمدينة ، وهو مكان طريقه صلى الله عليه وسلم إلى بدر وإلى مكة عام الفتح ودام حجة الوداع . ومنى بينهما : أي يقرن بينهما .

(٧) مسند أحمد : ٢٦٠/٢ ، ٢٩١ .

قائدة الأنباري أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنتم إذا ترك فيكم المسيح بن مريم (١) » وإمامكم منكم ؟ تأبه حنبل والأوزاعي .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عبد الرزاق ، عن معمر (٢) - عن عثمان بن عمر ، عن ابن أبي ذئب كلامهما : عن الزهري ، به : وأخرجه مسلم مع رواية يونس والأوزاعي وابن أبي ذئب ، به (٣) .

طريق أخرى ، قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أنبأنا قتادة ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الأنبياء إنهم لملأت (٤) أمهاتهم حتى ودينهم واحد ، وإن أولي الناس بهيى ابن مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فلما رأيتموه فاعرفوه رجل (٥) مبرور إلى الحسرة واليباس ، عليه ثوبان مشتمركان (٦) ، كان رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويدهو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه لكل كفاة إلا الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، ثم تقع الأمانة على الأرض ، حتى ترفع الأبواب مع الإبل ، والنمل مع البقر ، والدواب مع الفم ، ويلعب الصبيان بالحياض لا تفرحهم ، فيمكث أربعين سنة ، ثم يترك ويصل عليه المسلمون (٧) » .

وكذا رواه أبو داود ، عن حذيفة بن خالد ، عن حماد بن يحيى (٨) : ورواه ابن جرير - ولم يورد عند هذه الآية سواه - عن بشر بن معاذ ، عن يزيد بن حارون ، عن سعيد بن أبي عروبة - كلاهما (٩) عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم - وهو مولى أم - بن - صاحب السقاية ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - فذكر نحوه ، وقال : فيقاتل الناس على الإسلام (١٠) .

وقد روى البخاري ، عن أبي الجهم ، عن شعبه عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا أولي الناس بهيى ابن مريم ، والأنبياء أولاد حلات ، ليس بيني وبينه نبي (١١) » .

- (١) لفظ البخاري : « إذا ترك ابن مريم فيكم » والخلف رواه البخاري في كتاب الأنبياء : ٢٠٥/٤ .
- (٢) رواية عبد الرزاق عن معمر في السنة : ٢٧٢/٢ . ورواية عثمان بن عمر عن ابن أبي ذئب في السنة : ٣٣٦/٢ . وكان في الخلقة : « عن معمر بن عثمان » . فأنبأنا الراوي .
- (٣) مسلم ، كتاب الأيمان : ٩٤/١ . ٩٥ .
- (٤) ينظر الجزء الأول : ٢٧٠ .
- (٥) في السنة : « رجل مبرور » .
- (٦) المصمر من الثياب : التي فيها صفة خفيفة .
- (٧) سنة أحمد : ٤٠٦/٢ . وقد رواه الإمام أحمد عن وجه آخر ، فقال : « حدثنا يحيى ، عن ابن أبي عروبة قال : حدثنا قتادة ، ينظر السنة : ٤٣٧/٢ .
- (٨) سنن أبي داود ، كتاب اللباس : ١١٧/٤ ، ١١٨ .
- (٩) يحيى هلمنا في رواية أبي داود ، وسعيداً في رواية ابن جرير .
- (١٠) تفسير الطبري : ٣٨٨/٩ .
- (١١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء : ٢٠٣/٤ .

ثم روى عن محمد بن سنان ، عن قليح بن سليمان ، عن حلال بن علي ، عن عبد الرحمن بن أبي حمزة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة ، والأغنياء أخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » وقال إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء ابن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

حديث آخر : قال مسلم في صحيحه : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا معلى بن منصور ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثنا سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يتزل الروم بالأعناق - أو بذياب (١) - فيخرج إليهم جيش من المؤمنين غير أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قال (٢) الروم : خلوا بيننا وبين الذين سببوا منا قتالهم . فيقول للمسلمون : لا ، والله لا نخل بينكم وبين إخواننا . فيقاتلونهم ، فيتوزم ثلث لا يوجب الله عليهم (٣) » ، ويقتل الله أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يقتون أبداً (٤) فينصرون قسطنطينة ، فيبنيها هم يقسمون الفاتح قد حكموا سيولهم بالريون ، إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد حُتق في أهلكم (٥) . فيخرجون ، وذلك باطل . فإذا جاءوا الشام خرج ، فيبنيهاهم يمدون القتال : يسون الصفوف ، إذ أثبت الصلاة ، فيتلو عيسى ابن مريم فأسهم (٦) فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لالذاب حتى يهلك ، ولكن يظله الله بيده ، فيرجمه في حربه (٧) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، عن الثمام بن حوشب ، عن جبلة بن سفيان ، عن مؤثر بن عكرمة ، عن ابن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقيت ليلة أسرى في إبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام ، فذاكروا أمر الساعة ، فردوا الأمر إلى إبراهيم ، فقال : لا علم لي بها . فردوا أمرهم إلى موسى ، فقال : لا علم لي بها . فردوا أمرهم إلى عيسى ، فقال : أما وحبتي فلا يعلم بها أحد إلا الله ، وفيما عهد لي وبين عز وجل أن النجال خارج [قال] : ومعى قضيان ، فإذا رأي ذاب كما يذوب الرصاص (٨) » قال : فيهلك الله إذا رأي حتى (٩) إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم ، إن تحي كافر أقتل فاقته : قال : فيهلكهم الله ، ثم يرجع الناس إلى بلادهم ولوطاتهم ، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حطب يسلون ، فيطون بلادهم ، فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ، ولا يبرون على ماء إلا شربوه ، قال : لم يرجع الناس [إلى] (١٠) يشكونهم ، فأدخ الله عليهم ، فيهلكهم ويميتهم ،

(١) الأعمام : اسم موضع من أطراف المدينة . وهاج : اسم موضع سوق المدينة . والفك من القزاري . وقال بعضهم : المراد من المدينة حلب ، وأحق وهاج : موضعان بقرية . وقيل : المراد منها دمشق .

(٢) لفظ مسلم : « ثالث الروم » .
(٣) يهزم لث : يعني من صاكر الإسلام ، لا يوجب الله عليهم ، أي : لا يلزمهم القوية : بل يصرون على التنازل .
(٤) لا يقتون أبداً : أي لا يقع بينهم قتلة .
(٥) حُتق في أهلكم : يعني في دياركم . ولراد يسلح : النجال ، سبي بذلك لأن فيه البسرة مسوكة .
(٦) في الضفوة : أي إلهامهم . ومنهم أنهم : نصمهم : يعني للمسلمين .
(٧) صحيح مسلم : كتاب الفتن : ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٨) في الضفوة : الرضاب . والثلث من المست .
(٩) في لث : فيهلك الله حتى إن
(١٠) من المست .

حتى تنجوى (١) الأرض من تشن رجهم ، ويتزل الله المطر ، فيعرف (٢) أجسادهم حتى تشدهم في البحر ، فبها عهد إلى ربهم زوجل أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالخامل المسم (٣) لا يرى أهلها حتى تنجىهم يولدها ليلاً أو نهاراً (٤) ورواه ابن ماجه ، عن محمد بن بشار ، عن يزيد بن هارون ، عن الحوام بن حوشب - به نحوه (٥) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن حلي بن زيد ، عن أبي نضرة قال : أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم جمعة ، لتعرض عليه مصحفنا لنا على مصحفه ، فلما حضرت الجمعة أمرنا فافضلنا ، ثم أتينا بطيب فتطينا ، ثم جئنا المسجد فجللنا إلى رجل ، فحدثنا عن النجاة : ثم جاء عثمان بن أبي العاص فقمنا إليه ، فجللنا فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يكون المسلمين ثلاثة أعمار : مصر علفتي البحرين ، ومصر بالحيرة ، ومصر بالشام . فيخرج الناس ثلاث فرحات ، فيخرج النجاة في أعراس الناس ، فيهزم من قبل المشرق ، فأول مصر يرده المصير [الذي] يملئي البحرين ، فيصير أهلهم (٦) ثلاث فرق : فرقة تقيم تقول : نكاهم (٧) ننظر ما هو ؟ وفرقة تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم : ومع النجاة سبعون ألفاً عليهم السجنان (٨) وأكثر من معاه (٩) اليهود والنساء [ثم يأتي المصير الذي يليه ، فيصير أهله ثلاث فرق : فرقة تقول : نشامه وننظر ما هو ؟ وفرقة تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم فخر الشام (١٠) وينحاز المسلمون إلى حقبة أفيق (١١) فيوثقون سراً (١٢) لهم ، فيصاب سرحهم ، فيشتد ذلك عليهم ، وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد ، حتى إن أحدهم ليعرق وتر قوسه فيأكله ، فيبئنا هم كذلك إذ نادى مناد من السحر (١٣) : يا أيها الناس ، أتاكم الفوت ثلاثاً فيقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شيعان ، ويتزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند صلاة القنجر ، فيقول له أميرهم : يا روح الله ، تقدم صل . فيقول هذه الأمة أمراء ، بعضهم على بعض . فيتقدم أميرهم فيصل ، فإذا قضى صلاته أخذ عيسى حقيبته ، فيذهب نحو النجاة ، فإذا رآه النجاة ذاب كما يذوب الرصاص ، فيضع حقيبته بين يديه (١٤) ،

- (١) يقال : جرى مجرى - مثل دفعي يرفى - : إذا أتى .
- (٢) في المصنف : « فيزل الله من وجل المطر ، فيعرف أجسادهم » .
- (٣) يقال : حائل مم : إذا شارت الرمح . وفي المصنف : « كالخامل المسم لا يرى ... » .
- (٤) سنة أسد : ١/٣٧٥ .
- (٥) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، الحديث ٤٠٨١ : ٢/١٣٦٥ .
- (٦) في المصنف : « وأمه » .
- (٧) لفظ المصنف : « فرقة تقول : نشامه » . يقال : فله : أعبره .
- (٨) في المخطوطة : « والبيجان » والمثلث من المصنف . والسجنان - كما في النهاية - جمع ساج - وهو الطليحان الأعقر .
- (٩) في المصنف : « وأكثر تباه اليهود » .
- (١٠) من المصنف .
- (١١) أفيق - بفتح الحزة وكسر القاف - : قرية من حوران ، في طريق القنور ، في أول القبة المعروفة بمقبة أفيق ، يتزل في هذه القبة إل القنور - وهو الأردن - وهي مقبة طويلة نحو مياين . (مراد الأطلح : ١/١٠٣) .
- (١٢) السرح : المساقية .
- (١٣) في المخطوطة : « البحر » . والمثلث من المصنف .
- (١٤) القنورة - بفتح القاف - وسكون النون ، وهم النصارى ، وفتح الواو : الرجل كالنار البراءة .

فيقتله وينهزم أصحابه ، فليس يومئذ شيء يورى منهم أحداً ، حتى إن الشجرة لتقول : يا مومن ، هذا كافر ، ويقول الحجر : يا مومن ، هذا كافر .

فقرده أحمد من هذا الوجه (١) ،

حديث آخر ، قال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه المشهورة : حدثنا علي بن محمد ، حدثنا عبد الرحمن الحارثي ، عن إسماعيل بن رافع أبي رافع ، عن أبي ذرعة الشيباني يحيى بن أبي عمرو ، عن أبي أمامة الباهلي قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال ، وحلوانه ، فكان من قوله أن قال : ولم تكن فتنة في الأرض ، منذ خزا الله ذرية آدم عليه السلام ، أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حكماً رآته الدجال . وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة ، فلأن يخرج وأنابن ظهر أكيم ، فأنما حبيب لكل مسلم . وإن يخرج من بعدى فكل حبيب (٢) نفسه ، والله عظيم على كل مسلم . وإنه يخرج من مكة (٣) بين الشام وال عراق ، فيبعث ميئاً وبعث فيها .

ويا عبد الله ، أبا الناس ، فاتجروا . وإن سألتمكم لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبل : إنه يبدأ فيقول : « أنا نبي » ، فلا يبعث بعدى . ثم يبنى فيقول : « أنا ربكم » ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا . وإنه أخير وإن ربكم عز وجل ، ليس بأخو ، وإنه مكتوب بين عيني : كافر ، يقوله كل مؤمن ، كاتب وغير كاتب . وإن من فتنة أن معه جنة وتارا ، فأنه جنة وجنته نار . فإن ابني تنازه ليلست بالله وليقرأ فرائع الكهف ، فتكون عليه برحاً وسلاماً ، كما كانت النار على إبراهيم وإن من فتنة أن يقول لأحباري : أرأيت إن بدت لك أبالك وأملك أنشهد أني ربك ؟ فيقول : نعم : فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه ، فيقولان : يا بني ، اتبعه ، فإنه ربك . وإن من فتنة أن يستلظ على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمشار ، حتى يلقى شقين ثم يقول : انظروا إلى عبدى هذا ، فإني أبه الآن ، ثم يزعم أن له رباً غيري : فيبعث الله ، فيقول له الخبيث : من ربك ، فيقول : ربى الله . وأنت عدو الله ، أنت الدجال ، والله ما كنت بعداً أشد بصيرة بك مني اليوم . قال أبو الحسن الطنطاقي : فحدثنا الحارثي ، حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك الرجل أرفع أمي درجة في الجنة » .

قال : قال أبو سعيد : والله ما كنت أرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب ، حتى مضى لسبيله .

قال الحارثي : ثم رجعت إلى حديث أبي رافع قال : وإن من فتنة أن يأمر السماء أن تمطر ، فتطر : ويأمر الأرض أن تثبت ، فتثبت : وإن من فتنة أن يمسر بالحي فيكلونه ، فلا تبقى لهم ساعة إلا هلكوا (٤) ، وإن من فتنة أن يمر بالحي فيمصدونه ، فيأمر السماء أن تمطر ، فتطر . ويأمر الأرض أن تثبت ، فتثبت . حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه ، وأمدّه خواصر ، وأمره ضروعا ، وإنه لا يبي شيء من الأرض إلا وكلته وظهر

(١) سنة أحد : ٢١٦/٤ ، ٢١٧ .

(٢) لفظ ابن ماجه : « فكل امرئ حبيب نفسه » .

(٣) أي : من طريق بينهما (النهاية) .

(٤) سقط من المخطوطة . والمكتبة من سنن ابن ماجه .

عليه ، إلا مكة والمدينة ، فإنه لا يأتيهما من تغلب من تغلبهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صكتة (١) ، حتى ينزل عند الطريق (٢) الأجر ، عند منقطع السبيحة (٣) ، فترجع المدينة بأهلها ثلاث رجعات ، فلا يبي مناطق ولا منافقة إلا أخرج إليه ، فتفتي الخبيث منها كما يفتي الكبر خبيث الحديد ، ويُدعى ذلك اليوم يوم الخلاص .

فكانت أم شريك (٤) بنت أبي المكر : يا رسول الله ، فأين العرب يومئذ ؟ قال : هم قليل ، وجلبهم بيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح ، فبينما إمامهم قد تقدم يُصلي بهم الصبح إذ نزل [عليهم (٥)] عيسى [بن مريم (٦)] عليه السلام الصبح ، فرجع ذلك الإمام [بنكس (٥)] ، عصى القهقري ، ليقدم عيسى [يصل بالناس (٥)] ، فيضع عيسى عليه السلام يده بين كتفيه ثم يقول : تقدم فصل ، فإنها لك أقيمت . فيصل بهم إمامهم ، فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام : انصروا الباب : فيفتح ، ووراءه اللجال ، معه سبعون ألف يهودي ، كلهم ذو سيف على وساج (٧) ، فإذا نظر إليه اللجال ذابت كما يذوب الملح في الماء ، وينطلق هارباً ، ويقول عيسى : إن فيك ضربين لن تستبقي بها . فذكره عند باب لُدّ الشرق (٨) ، فيقتله ، ويحزم الله اليهود ، فلا يبي شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به اليهودي إلا أطلق الله ذلك الشيء : لا حجر ، ولا شجر ، ولا حائط ، ولا دابة - إلا الفرسدة (٩) فإنها من شجرهم لا تنطق - إلا قال : يا حيد الله المسلم ، هذا يهودي ، قتال قتله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإن أيامه أربعون [سنة] ، السنة كتصف السنة ، والسنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، وآخر أيامه كالشجرة ، يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي » . فقليل له يا نبي الله كيف نصلي ، في تلك الأيام القصار ؟ قال : « تقدرون فيها الصلاة كما تقدرون في هذه الأيام الطوال ، ثم صكوا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فيكون عيسى ابن مريم في أمي حكماً عدلاً ، وإماماً مستسطاً ، يدق (١٠) الصليب ويقتل (١٠) الخنزير ، ويضع الحزبة ، ويترك الصدقة فلا يُسعى على شاة ولا يهر ، وترفع الشحناء والتباغض ،

(١) يقال : أصلت السيوف : إذا جرده من شدة. وغربه بالنيف صلتا - يفتح الصناد - يسميها : يمس مجرداً .

(٢) الطريق : تصغير طريق - يؤذن كنف - وجهه طرف ، وهي الجبال الصغار .

(٣) السبيحة : هي الأرض التي تملؤها للملوسة ، ولا تكاد تلبث إلا بعض الشجر .

(٤) كذا في خطوطنا ومثله في سنن ابن ماجة . والذي في الاستيعاب لأبي عمر بن حنبل : ١٩٤٣ أنها كانت عند أبي المكر ابن سبي بن الحارث الأزدي ، فولدت له شريكاً ، ومثله في أمه النابتة لابن كثير : ١٥/٥ . ومثل هذا فهي زوج أبي المكر لا ابنته . وقد أشار الحافظ في الإصابة إلى ما ورد من ذلك ، وأجاب بأنه « يمكن الجمع بأن تكون كنية والدها وزوجها اتلفتا » . أو تصحلت « بنت » بالموحدة والوزن ، من « بيت » بالموحدة والتصانية . ويبت الرجل يطلق على زوجته ، تصلق « الروايات » . (٥) الإصابة ، ترجمة أم شريك لقرشية : ٤٤٦/٤ ، ٤٤٧ .

(٥) من سنن ابن ماجة .

(٦) في الموطوعة : « وتاج » . والمثبت من سنن ابن ماجة ، وقد ثبتنا عن ذلك في حديث الإمام أحمد ، والسنن : الطليسان الأخر .

(٧) في سنن ابن ماجة : « ولب الله » . وله : موضع بالشام ، وقيل : بفلسطين .

(٨) القرقة : شجر الشوك .

(٩) يدق الصليب : يكسره .

(١٠) في سنن ابن ماجة : « ويذبح الخنزير » .

وَتَشْرَعُ حِمَّةٌ (١) كُلُّ ذَاتِ حِمَةٍ ، حَتَّى يَدْبُلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي الْحِمَةِ فَلَا تَقْرَهُ ، وَتُغْرِقُ (٢) الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا ، وَيَكُونُ الذَّنْبُ فِي الْفَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا ، وَغَلَا الْأَرْضُ مِنْ السَّلَمِ كَمَا يُسَلُّ الْأَمَامُ مِنَ الْمَاءِ ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاسِعَةً ، فَلَا يَمِيدُ إِلَّا اللَّهُ ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، وَتَسْلُبُ قَرِيضَ مَلِكِهَا ، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَقُلُوبِ (٣) الْفَضَةِ تَنْبِتُ نَبَاتَهَا كَمَهْدِ (٤) آدَمَ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى التَّقِطِطِ مِنَ الذَّنْبِ فَيُشْبِعُهُمْ ، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرَّمَانَةِ فَتُشْبِعُهُمْ ، وَيَكُونُ الثَّوَرُ بِكَذَا وَكَذَا ، مِنَ الْمَالِ ، وَيَكُونُ الْقَرَسُ بِالْمَرْجَمَاتِ .

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا يَرِخُصُ الْقَرَسُ ؟ قَالَ : « لَا تَرْكَبُ حَرْبَ أَبْنَاءٍ » قِيلَ لَهُ : لِمَا يُغْنَى الثَّوَرُ ؟ قَالَ : « تُحْمَرُ الْأَرْضُ كُلُّهَا » .

وإِنْ قَبْلَ خُرُوجِ [الدِّجَالِ] ثَلَاثَ سِنِينَ شَدَادٌ يَصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ ، يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ [الْأُولَى] أَنْ تَحْبِسَ ثَلْثَ مَطَرِهَا ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ ثَلْثَ نَبَاتِهَا ، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسَ ثَلْثِي مَطَرِهَا ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ ثَلْثِي نَبَاتِهَا ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ (٥) [الثَّالِثَةِ] فَتَحْبِسَ مَطَرَهَا كُلَّهُ ، فَلَا تَقَطُرُ قَطْرَةً ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تَحْبِسَ نَبَاتَهَا كُلَّهُ ، فَلَا تُنْبِتُ خَضِرَاءً ، فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلٍّ إِلَّا هَلَكَتْ ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ .

قِيلَ : لِمَا يَحْبِسُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ؟ قَالَ : « التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ ، وَيَجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ جَرَى الْعِلَامِ » :

قَالَ ابْنُ مَاجَةَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الطَّائِفِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَارِثِيَّ [يَقُولُ] : بَنِي أَنْ يَدْفَعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى الْمُؤَدَّبِ ، حَتَّى يَعْلَمَهُ الصَّيَّانُ فِي الْكِتَابِ (٦) !

هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ، وَلَبِغْضِهِ شَوَاهِدَ مِنْ أَحَادِيثٍ أُخَرِ ، وَلَنْذَرُ حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ هَاهُنَا لَشَبْهِهِ بِسَيِّئِهِ هَذَا الْحَدِيثَ ، قَالَ بِسْمِ بْنِ الْحِجَاجِ فِي صَحِيحِهِ :

حَدَّثَنَا أَبُو عِثْمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مَسْلَمٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ (٧) الطَّائِفِيُّ قَاضِي حِمَصَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَبْرِ ، عَنْ أَبِيهِ جَبْرِ بْنِ نَفْعٍ الْحَضْرَمِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَاسَ ابْنَ سَمْعَانَ الْكَلَابِيَّ (ح) وَحَدَّثَنَا [عُمَرُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيَّ (٨)] حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مَسْلَمٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِفِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ أَبِيهِ جَبْرِ بْنِ نَفْعٍ ، عَنْ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ

(١) الحِمَّةُ - بِضَمِّ الْحَاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ خِفَّةٌ : إِذَرَةٌ لِقُرْبِهَا إِلَى مَخْرَجِ مَنَابِلِ الْمَاءِ .

(٢) تَقْرَهُ : أَيْ تَحْمِلُهُ عَلَى الْقَرَارِ .

(٣) فِي الْمَقْطُوعَةِ : « مَا ثَوْرٌ » . الْقُلُوبُ : الْخَوَانُ . وَاقِيلُ : هُوَ طَسْتُ مِنَ الْقَفَةِ .

(٤) فِي سَنَةِ ابْنِ مَاجَةَ : « مَهْدُ آدَمَ » .

(٥) مَقَطٌ مِنَ الْمَقْطُوعَةِ . وَلِلثَلَاثَةِ مِنْ سَنَةِ ابْنِ مَاجَةَ .

(٦) سَنَ ابْنِ مَاجَةَ ، كِتَابُ الْفَتَنِ ، الْحَدِيثُ ١٠٧٧ : ١٣٥٩/٢ - ١٢٦٢ .

(٧) فِي الْمَقْطُوعَةِ : جَابِرُ بْنُ يَحْيَى . وَهُوَ غَطَّاءٌ . يُنْظَرُ صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، وَالْخُلَاصَةُ .

(٨) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ يَدُهُ « وَالْفَتْحُ لَهُ » .

قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات خذاة ، فخلّص [فيه] (١) ورَفَعَ (٢) ، حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رحنا إليه حرف فثنا فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله ، ذكرت الدجال [خذاة] فخلّصت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال : « غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج فيكم فانا حجاجيجه (٣) دولكم ، وإن يَخْرُجْ ولست فيكم فامروا حجاجي نفسه ، والله خيفتي على كل مسلم : إنه شاب قطعت (٤) عينه طافية (٥) ، كأن أشبهه بهد المزى بن قطن ، من أدر كه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج عكة بن الشام والعراق ، فمات يمينا وعات شالا . يا عباد الله ، فاثبتوا قلنا : يا رسول الله وما تَبَيَّنَتْ في الأرض ؟ قال : لورعين يوما ، يوم كسنة ، ويوم ككشر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم .

قلنا : يا رسول الله ، فذلك اليوم الذي كسنة أنكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره . قلنا : يا رسول الله ، وما إسماعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استلبرته الريح ، فيأتي حل قوم فيدعهم ، فيؤمنون به ويستجيبيون له ، فيأمر السباع فتعطر ، والأرض تثبت ، فروح عليهم سارحهم (٦) أطول ما كانت دُزى ، وأسبغ ضروعا (٧) ، وأمدته (٨) خوامر ، ثم يأتي القوم فيدعهم ، فيردون عليه قوله ، فيصبرون عنهم ، فيصحبون مُسَحِّلِينَ (٩) ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخرية فيقول لها : أخرجي كنوزك فتبته كنوزها كيما يسب (١٠) النخل . ثم يدع رجلا متعلتا شايبا ، فيضربه بالسيف ، فيقطعه جزئين رمية الغرض (١١) ، ثم يدهوه فيَتَبَلُّ ويتهلل وجهه ويضمحك .

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام ، فيترد عند المنارة البيضاء شرف دمشق ، بين مهزودتين (١٢) ،

-
- (١) من صبيح مسلم .
 (٢) خفض فيه : بمعنى حفره ، ومعنى رفع : عطشه وشفه . وقيل إن المني : خفض صوته بعد طول الكلام والكتب لسترع ، ثم رفع صوته ليبلغ كل أحد .
 (٣) فانا حجاجيجه دولكم : أي حاجه ومداينه وميطل أمره من غير احتياج إلى معين .
 (٤) قطعت : أي شديت جسده القشر .
 (٥) في رواية : « كان عينه طافية » وهي الحية التي قد خرجت عن حدة نية أخواتها ، فظهرت من بينها وارتفعت . وقيل : أراد به الحية الطافية على وجه الماء ، شبه عينه بها .
 (٦) السارسة : للمالعة التي تسرح : أي تلعب أول النهار إلى المرحى . وذرى : جمع دروة ، وهي الأقال . يسي : ترجع تلك المالعة أمل وأحسن .
 (٧) أسبغ : أطوله ضروعا ، كثرة اللبن .
 (٨) أمدته خوامر : كثرة اختلافها من الشيع .
 (٩) مسحلين : مجدين ، من قلة المطر ، وليس الأرض من الكلا .
 (١٠) البعاصيب : جمع يسوب ، وهو فصل النخل . والمني : أن النجال تلعب الكنوز ، كما تلعب النحل اليسوب ، فإنه إذا طار تبعه جماعته .
 (١١) أي : إنه يحمل بين الجزئين مقدار مسافة رمية .
 (١٢) أي : في شقين أو سلطين . وقيل : القرب للهزود : الذي يصيح بالورس ثم يائز مطراة . وقال ابن تيمية : هو خطأ من المتقلة ، وأراد : « مهزودتين » أي : صفراوين .

واضعا كفيه على أجنحة ملكيه ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدرت منه جان كالظل (١) ، ولا يحل لكافر (٢) يجد ريح تنفسه إلا مات وتنفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه يباب لئلا ، فيقلته .

ثم يأتي عيسى عليه السلام قوما قد عصمهم الله منه فيحس عن وجوههم ويحدتهم بدرجاتهم في الجنة ، فيينا هو كذلك إذ أوحى الله ، عز وجل ، إلى عيسى أني قد أخرجت عبادي لا يدان (٣) لأحد يقتلهم ، فحرز عبادي إلى الطوره ويبيت الله بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أولهم على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء : ويخترع نبي الله عيسى وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم غيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب (٤) نبي الله عيسى وأصحابه ، فيرسل الله عليهم النصف (٥) في رجايم ، فيصيحون فرسا (٦) كوت نفس واحدة .

ثم يبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم (٧) وتنفثهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيرا كاعناق البخت (٨) ، فيضلمهم فطرهم حيث شاء الله . ثم يرسل الله مطرا لا يكن (٩) منه يستمدز ولا وبر ، فيضل الأرض حتى يتركها كالزكك (١٠) ، ثم يقاتل للأرض : أخرجه تسرك وردى بركك . فيرثها تاكل العصابة من الرمان ، ويستظنون بقبحتها (١١) ، ويبارك الله في الرسل (١٢) حتى إن الكف من الإبل لتكني النعام من الناس [والفتنة من القم لتكني القمل من الناس (١٣)] فيينا هم كذلك إذ بهت الله ربعا طيبة ، فاعلمهم تحت آبائهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبنى شرار الناس يتهاجون فيها تاراج الحشر ، فطهم تقوم الساعة (١٤) .

ورواه الإمام أحمد (١٥) وأهل السنن من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، به ، ومنكره أيضا من طريق أحد ، عند قوله تعالى في سورة الأنبياء : (حتى إذا تحطت بأجوج ومأجوج : : الآية) .

(١) الجبان - يطمع العيم وتقليد المم - : يخط من لفظة حل حيث اللال الكبار .

(٢) لا يحل لكافر - لا يقع .

(٣) أي : لا قدرة ولا طاقة . يقال : مال في هذا الأمر يد ولا يدان ، ذلك أن للياشرة والذناخ إنما يكون باليد ، فكان يديه معومتان ، لجزء من دمه .

(٤) يرغب نبي الله : أي يدعو الله .

(٥) النصف - ينصفين - : خود يكون في أنوف الإبل والقم .

(٦) فرس : طلي ، جمع فرس ، كفتيل وقط .

(٧) الزهم - هو التذن .

(٨) البخت : جمال طوال الأنتان .

(٩) لا يكن - يفتح الياء ، وهم الكاف ، وتقليد القوم - من كشت الشيء ، إذا شتره وصنعه . أي : إنه لا يصدق من هذا الخبر شيء ، بل هو موطر حارم ، يحرف ما أمسه .

(١٠) الزكك - يفتح الزاي واللام - وتسكن - : المرأة .

(١١) يبنى بقرها .

(١٢) الرسل - بكسر السين - : الذين . والفتنة - بكسر اللام وضعها : الفتنة لغربية اليه بالنتاج ، والفتنم : الجماعة .

(١٣) سقط من المخطوطة ، وأثبتته من صحيح مسلم .

(١٤) صحيح مسلم ، كتاب الفتن : ١٩٦ / ٨ - ١٩٨ .

(١٥) سنة أسد : ١٨٢ / ٤ ، ١٨٣ . ونسخة الأوسفي : كتاب الفتن : ٤٩٩ / ٦ - ٥٠٨ . وقال الترمذي : هذا حديث

قريب حسن صحيح ، لا نراه إلا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر . ورواه ابن ماجه في كتاب الفتن أيضا ، الحديث

٤٠٧٥ : ١٣٠٦ / ٢ - ١٣٥٩ .

حديث آخر ، قال مسلم في صحيحه أيضاً : حدثنا عبيد الله بن معاذ بن معاذ العبدي ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن الثمان بن سالم قال : سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو - وجاهد رجل قال - : ما هذا الحديث الذي تحدث به تقول : إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا ؟ قال : سبحان الله ؟ - أو : لا إله إلا الله ، أو كلمة نحوها - . قد سمعت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا ، إنما قلت : إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً ؛ ينشقق البيت ، ويكون ويكون . ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج للرجال في أمي ، فيمكث أربعين ، لا أخرى أربعين يوماً ، أو أربعين شهراً ، أو أربعين عاماً ، فيبعث الله عيسى ابن مريم ، كانه عروة ابن مسعود ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام ، فلا يبقى حل وجه الأرض [أحمر (١) في قلبه] مثقال ذرة من غير - أو إيمان - إلا قبضته (٢) ، حتى لو أن أحدكم دخل [في] (٣) كبد جبل لذهب عنه حتى تكفيضه . قال : سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فينبئ فرار الناس في غفلة الطير وأحلام السباع (٤) ، لا يعرفون معروفاً ، ولا ينكرون منكراً ، فيقتل لهم الشيطان فيقول : ألا تستحيين ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دار رزقهم (٥) ، حسن عيشهم . ثم ينشقق في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصفى ليتاً ووقع ليتاً (٦) ، قال : وأول من يسمعه رجل يكتو (٧) حوض إله ، قال : فيتصمق ويتصمق الناس . ثم يرسل الله - أو قال : يزل الله - طراً كأنه الطل (٨) - أو قال : القتل - نعمتان الشاك - فتبث منه أجساد الناس ، ثم يتفحش فيه أخرى لإفحام قيام ينظرون . ثم يقال : يا أيها الناس ، علموا إلى ربكم ، ووقوهم (إنهم مستولون) . قال : ثم يقال : أنزعوا بمنش النار . فيقال : من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعة وتسعين . قال (يحمل الولدان شيئاً) ، وذلك (يوم يكشف عن ساق) (٩) .
ثم رواه مسلم (١٠) والشافعي في تفسيره جميعاً عن محمد بن بشر ، عن شعبة ، عن الثمان بن سالم ، به .
حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري عن عبد الله بن حبيب الله بن ثعلبة الأنصاري ، عن عبد الله بن زيد الأنصاري ، عن مجتبع بن جارية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يقتل ابن مريم المسيح الدجال بواب لئد أو : إلى جانب لئد (١١) » .

(١) عن صحيح مسلم .

(٢) في المخطوطة : حتى قبضته . والمثبت عن صحيح مسلم .

(٣) كبد القى - ، فتجيز - ، وسه .

(٤) مناه : يكونون في سرهم إلى الشر وقضاء الشهوات والفساد ، ككثيران الطير ، وفي العودان وظلم بعضهم بعضاً في اختلاف السباع البادية .

(٥) دار رزقهم : كبير ، من قولهم : دار ابن حرام - من بابي غريب بكسر - : كثر .

(٦) القيت - بكسر اللام : صلبة اللقى ، وهي جالبه . وأصفى : أمال .

(٧) يكتو : يطوى ويصلح .

(٨) القيل : الذي يزل من السماء في الصحو . والقيل أيضاً : أضواء الجمر .

(٩) صحيح مسلم ، كتاب القين ، ٢٠١ و ٢٠٢ .

(١٠) المصدر السابق ، كتاب القين أيضاً ، ٢٠٢ .

(١١) مستد أحمد ، ٤٢٠/٢٣ .

ورواه أحمد أيضاً ، عن سفيان بن عيينة ومن حديث الليث والأوزاعي ، علائهم عن الزهري ، عن عبد الله ابن حبيب الله بن ثعلبة ، عن عبد الرحمن بن يزيد عن عه يجمع بن جارية ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقتل ابن مريم الدجال يباب له » .

وكذا رواه الترمذي ، عن عتبة ، عن الليث ، به ، وقال : هذا حديث صحيح ، قال : وفي الباب من مراده ابن حصين ، وثاقب بن حبة ، وأبي بركة ، وحليفة بن أسيد ، وأبي هريرة ، وكيسان ، وعثمان بن أبي العاص ، وجابر ، وأبي أمامة ، وابن مسعود ، وعبد الله بن عمرو ، وسمرة بن جندب ، والثوري بن سمعان ، وعمرو ابن حوف ، وحليفة بن البيان رضي الله عنهم (١) .

ونراه رواية هؤلاء ما فيه ذكر الدجال : وكل حيسى ابن مريم عليه السلام له ، فاما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جداً ، وهي أكثر من أن نحصر لا تشارها وكثرة روايات في الصحاح والحسان والمسانيد ، وغير ذلك .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن فرات ، عن أبي الطليل ، عن حليفة بن أسيد الغفاري قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرفة ونحن نذكر الساعة ، فقال : لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والذابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وتزول حيسى ابن مريم ، والدجال ، وثلاثة خسوف : خسوف بالمشرق ، وخسوف بالمغرب ، وخسوف بجزيرة العرب ، وتار يخرج من فم عدن ، لسوق - أو تحشر - الناس ، ثبت معهم حيث باتوا ، وتكيل معهم حيث قالوا (٢) .

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث [فرات] التزازي (٣) ، به ، ورواه مسلم أيضاً عن رواية عبد العزيز ابن رفيع عن أبي الطليل عن أبي سريحة حليفة بن أسيد الغفاري ، موقوفاً ، والله أعلم .

فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية أبي هريرة ، وابن مسعود ، وعثمان بن أبي العاص ، وأبي أمامة ، والثوري بن سمعان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومجمع بن جارية ، وأبي سريحة حليفة بن أسيد ، رضي الله عنهم .

وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه ، من أنه بالشام ، بل بلسبق ، عند المئارة الشرقية ، وأن ذلك يكون عند إقامة الصلاة الصبح : وقد ثبت في هذه الأحصار ، في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة مائة الجامع الآمدي يفتاء ، من حجارة منحوتة ، هو كما عن المئارة التي حلت بسبب الحريق المنسوب إلى صنع التتباري ، عليهم لعائن الله

(١) نسخة الأحرف : كتاب الفتن : ١٣/٦ ، ٥١٤ .

(٢) هذه رواية الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، بنظر المسد : ٧/٤ . وفي المسد : ٦/٤ زواية أخرى عن سفيان بن عيينة .

(٣) مسلم : كتاب الفتن : ٨ / ١٧٨ ، ١٧٩ . وأبو داود ، كتاب اللاتم ، ونسخة الأحرف : كتاب الفتن : ٤١٣/٦ . ٤١٤ ، وابن ماجة : كتاب الفتن أيضاً ، الحديث ٤٠٥٥ ، ١٣٤٧/٢ .

للتعبية إلى يوم القيامة ؛ وكان أكثر عازتها من أولهم ، وقويت الظنون أنها هي التي يتزل عليها عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيقتل بالترير ، ويكسر الصليب ، ويضع الخوذة ، فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم في المسيحيين ، ولهذا إحصار من النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، وتقرير وتشريح وتوسيع له على ذلك في ذلك الزمان ، حيث تتزاح عليهم ، وقرع شهبهم من أنفسهم ، ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام مُتَبَكِّعَةً لعيسى عليه السلام وعلى يديه ، ولهذا قال تعالى : (وَإِنْ مِنْكُمْ لَفَرَقَةٌ إِلَّا لِلْهَيْبَةِ بِهِ قَوْلُ اللَّهِ) الآية ؛

وله الآية كثره ؛ (والله أعلم الساعة) (١) وقرئ : (حَكَمَ) (٢) بالضرب ، أي إشارة ودليل على اقتراب الساعة ، وذلك لأنه يتزل بعد خروج المسيح الدجال ، فيقطعه الله على يديه ، كما ثبت في الصحيح ، أن الله لم يخلق داه إلا أنزل له شفاعة (٣) . ويمجد الله في أيامه بأجرج ومأجرج ، فيهلكهم الله ببركة دعائه ، وقد قال تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا فُشِعَتْ فَأَجْرَجَ وَأَجْرَجَ وَمِمَّنْ لَا يَلْعَلُ لَهَا جَنَّةُ مَأْوَىٰ) (٤) الآية ؛

صلة عيسى عليه السلام

قد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة : « فإذا رأيتموه فاصرفوه ؛ رجل مربوع إلى الحمرة والياخس ، عليه ثوبان مصران ، كأن رأسه ينظر وإن لم يصبه بلل » ؛ وفي حديث الثواس بن سميان : « فيتزل عند لثارة البيضاء شرق حفاق ، بين متهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تنحدر منه مثل طلال الثور » ، ولا يحل لكافر يحد وجه نفسه إلا مات وتكفنه ينتهى حيث ينتهى طرفه » ؛

وروى البخاري ومسلم ، من طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أسرى بي لقيت [موسى] ، قال فَنَمَعْتَهُ إِذَا رَجَلَ - حسبته قال : مضطرب ، رجل الرأس (٥) ، كأنه من رجال شومة . قال : ولقيت (٦) عيسى ، فنته النبي صلى الله عليه وسلم فقال : رَبِّعَهُ أَحَرُ ، كأنما خرج من دعاس - يعني الحمام - ورأيت إبراهيم وأنا أنشبه ولده به ... (٧) . الحديث .

وروى البخاري ، من حديث مجاهد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت موسى وعيسى وإبراهيم ، فأما عيسى فأخبر جسد عريض الصدر ، وأما موسى فأقام جسيم سبط ، كأنه من رجال الزط (٨) » . وله وسلم من طريق موسى بن عتبة ، عن ثافة قال : قال عبد الله بن عمر : « ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوما بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال : « إِنْ لَمْ يَلِدْ يُمُتْ ، إِنْ لَمْ يَمُتْ يُلِدْ » ، ألا إن المسيح الدجال أمور اثنين النبي . كان

(١) الزخرف : ٦١ .

(٢) هذه قراءة مكرمة ، ينظر البحر المحيط لأبي حيان : ٢٦ / ٨ .

(٣) سنن أبي حنبل ، كتاب الطب : ٣ / ٤ .

(٤) رجل الرأس : يعني أنه شره ليس شديد للجودة ، ولا شديد السيولة ، بل وسط بينهما .

(٥) سبط من المتولة ، والنت من البخاري .

(٦) البخاري ، كتاب الأتية : ٢٠٢ / ٤ . وسلم ، كتاب الإيمان : ١٠٦ / ٦ .

حيه حببة طافية وأراني الله عند الكعبة في المنام ، فإذا رجل آدم ، كأحسن ما قرى من آدم الرجال ، فضربني (أ) بين منكبَيْه رجل الشعر ، بقطر رأسه ماء ، واضعاً يديه على منكبي رجلين ، وهو يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيح ابن مريم ، ثم رأيت رجلاً وراءه جثثاً مقطعة ، أعور عن اليمنى ، كأشبه من رأيت باين قطع ، واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ قالوا للمسيح النجلاء : نابعه حيد الله عن ناعم (ب) ثم رواه البخاري عن أحمد بن محمد المكي ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه قال : لا ، والله ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لميسى : أهر ، ولكن قال : بينا أنا نائم أطوف بالكعبة ، فإذا رجل آدم سبط الشعر ، يتهاذى بين رجلين يتخطف رأسه ماء - أو يهترق رأسه ماء - فقلت : من هذا ؟ قالوا : ابن مريم ، فلعبت أنفث ، فإذا رجل أهر جسم ، جعد الرأس ، أعور صفة اليمنى ، كأن فيه حبة طافية . قلت : من هذا ؟ قالوا : النجلاء ، وأقرب الناس به فيها ابن قطن . قال الزهري : رجل من خزاعة هلك في الجاهلية (ج) .

مله كلها ألفاظ البخاري ، رحمه الله ، وقد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة : أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة ، ثم يمتوئ ، ويصل عليه المسلمون . وفي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم أنه يمكث سبع سنين ، فيحمل الله أعلم أن يكون المراد ببله في الأرض أربعين سنة مجموع إقامته فيها قبل رده وبعد نزوله ، فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح ، وقد ورد ذلك في حديث في صفة أهل الجنة أنهم على صورة آدم وميلاد عيسى ثلاثاً وثلاثين سنة : وأما ما حكاه ابن حساكر من بعضهم أنه رفع وله مائة وخمسون سنة ، فشاذ قريب بعيد . وذكر الحافظ أبو القاسم بن حساكر في ترجمة عيسى ابن مريم من تاريخه ، عن بعض السلف : أنه يلقن مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجره : قل الله أعلم .

وقوله تعالى : (ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) ، قال قتادة : يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله ، وأمر بالعبودية لله ، عز وجل . وهذا قوله تعالى في آخر سورة المائدة : (وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم : أنت قلت للناس) إلى قوله : (العزيز الحكيم) (د) .

فَيُظْهِرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا طَهُرًا مَبْنُوتًا أَحَلَّتْ لَهُمْ وَوَسَّيْمٌ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَعْلَمُ الزَّيْطُ وَقَدْ تَبَرَّأَ عَنْهُ وَأَكْبَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَيْتِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ لَكِنَّ الرَّاغِبِينَ فِي الْإِلَهِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالصَّادِقِينَ الصَّالَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُسْتِرِينَ بِاللَّهِ وَالْمُسْرِفِينَ أَلَيْسَ أُولَئِكَ سَائِرِينَ ۖ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ

غير تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من الذنوب العظيمة ، حرم عليهم طيبات كان أسخطها لهم ، كما قال ابن أبي حاتم :

(١) الله : الشعر للثعلب الذي جاوز حصة الأتقين .

(٢) البخاري : كتاب الأنبياء : ٢٠٧ / ٤ . ٢٠٣ . ومسلم : كتاب الإيمان : ١٠٧ / ١ .

(٣) البخاري : كتاب الأنبياء : ٢٠٣ / ٤ .

(٤) الآيات : ١١٦ • ١١٧ • ١١٨ .

حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن حيينة ، عن عمرو قال : قرأ ابن عباس : (طيبات كانت لأهلك ثم) .

وهذا التحريم قد يكون قدراً ، بمعنى : أنه تعالى قيضهم لأن يأكلوا في كتابهم ، وحَرَّغُوا ويدلوا أشياء كانت حلالاً لهم ، فحرَّموها على أنفسهم ، تشديداً منهم على أنفسهم وتضييقاً وتنظيماً . ويحتمل أن يكون شرعياً بمعنى : أنه تعالى حَرَّمَ عليهم في التوراة أشياء كانت حلالاً لهم قبل ذلك ، كما قال تعالى : (كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تترك التوراة) : [وقد قدمنا الكلام على هذه الآية (١) وأن المراد : أن الجميع من الأطعمة كانت حلالاً لهم ، من قبل أن تترك التوراة] ما عدا ما كان حراماً لإسرائيل على نفسه من لحم الإبل وألبانها . ثم إنه تعالى حرم أشياء كثيرة في التوراة ، كما قال في سورة الأنعام : (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحوبهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحرايا أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببنيهم وإننا لصادقون) (٢) أي : إنما حرمنا عليهم ذلك ، لأنهم يستحقون ذلك بسبب بنيهم وطغيانهم ومخالفتهم رسولهم واختلافهم عليه : ولهذا قال : (فيظلم من البين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم من سيل الله كثيراً) : أي : صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق . وهذه سجية لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه ، ولهذا كانوا أعداء الرسل ، وقتلوا خشكاً من الأنبياء ، وكذبوا عيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهما .

وقوله : (وأحلَّهم الربا وقد نهوا عنه) ، أي : أن الله قد نهاهم عن ربا ففتنوا لوه وأحلَّوه ، واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه ، وأكلوا أموال الناس بالباطل . قال الله تعالى : (وأعدنا للكافرين منهم عذاباً ألياً) .

ثم قال تعالى : (لكن الراسخون في العلم منهم) ، أي : الثابتون في الدين لم يقدم واسخة في العلم النافع . وقد تقدم للكلام على ذلك في سورة آل عمران (٣) .

(والمؤمنون) عطف على الراسخين ، وخبره (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) .

قال ابن عباس : أنزلت في عبد الله بن سلام ، وتلمية بن سمية (٤) ، وأسود وزيد بن سمية (٥) وأسد بن عبيد ، الذين دخلوا في الإسلام ، وصدقوا بما أرسل الله [به] محمداً صلى الله عليه وسلم .

وقوله : (والمقيمين الصلاة) هكذا هو في جميع المصاحف الأئمة ، وكذا هو في مصحف أبي بن كعب . وذكر ابن جرير أنها في مصحف ابن مسعود (٦) : (والمقيمون الصلاة) ، قال : والصحيح قراءة الجميع . ثم ردَّ على من زعم

(١) ينظر : ٦١/٢ - ٦٢ .

(٢) آية : ١٤٦ .

(٣) وذلك عند الآية السابعة من هذه السورة . ينظر : ٤/٢ - ١١ .

(٤) ينظر الآية رقم ١١٣ من سورة آل عمران : ٨٧/٢ .

(٥) يقال أيضاً : سمته . بالثنون ، ينظر أسد الغابة : ٢٨٨٨/٢ ، ٢٨٩٨ بتحقيقنا .

(٦) تفسير المقرئ : ٣٩٥/٩ .

أن ذلك من غلط الكتاب ، ثم ذكر اختلاف الناس فقال بعضهم : هو منصوب على الملح ، كما جاء في قوله : (والمؤمنون بعضهم إذا صادوا والمصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا) ، قالوا : وهذا سائل في كلام العرب ، كما قال الشاعر (١) :

لَا يَتَخَذَنَّ قَوِيَّ الَّذِينَ هَمُّوْا
سَمَّ (٢) الْعِلَادَةِ وَأَقَّةَ الْجَزْرِ (٣)
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَسَاكِدَ الْأَزْرِ (٤)

وقال آخرون : هو غفوس عطف على قوله : (بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) يعني : والمقيمين الصلاة ، وكأنه يقول : وإقامة الصلاة ، أي : يعرفون بوجودها وكتابتها عليهم ، أو أن المراد بالمقيمين الصلاة الملائكة ، وهذا اختيار ابن جرير (٥) ، يعني : يؤمنون بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك ، وبالملائكة ، وفي هذا نظر (٦) والله أعلم .

وفوه : (والمؤمنون الزكاة) جعل أن يكون المراد زكاة الأموال ، ويجعل زكاة النفوس ، ويجعل الأمرين ، والله أعلم .
(والمؤمنون بالله واليوم الآخر) أي : يصدقون بأنه لا إله إلا الله ، ويؤمنون بالبعث بعد الموت ، والجزاء على الأعمال خير ما وشرها .

وقوله : (أولئك) هو الخبر عما تقدم (ستؤتيهم أجرًا عظيما) يعني : الجنة :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنُّوحَيْنِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَصِيعًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ زُورًا ۖ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۖ رُسُلًا بَشِيرِينَ وَنَذِيرِينَ لَقَدْ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ ٢٤ ۝ ﴾

قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال سبحانه وهديناهم بن زبد : يا محمد ، ما علم أن الله أنزل (٢) على بشر من شيء بعد موسى فأقول الله في ذلك من قولها : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنُّوحَيْنِ مِنْ بَيْنِهِمْ) إلى آخر الآيات .

(١) كلما ، والجانة قد اختلفت في بعضها إلى آخره بنت بدر بن هذان ، وهما في ديوانها : ٢٩ .

(٢) في الخطوة : « أمة العادة » ، ولا تسمى له ، والكتب من القرآن .

(٣) تنى الشاعر : أن قرعها لأعدائهم كالسم ، وهم أمة الجزر - جمع جزر - لأنهم يتسرحونها للأضياف .

(٤) تزيه بهم أسماء الفروع . والأزور : جمع لذار .

(٥) تفسير الطبري : ٣٩٧/٩ .

(٦) ذلك أن الملائكة لا يعرفون جهلا الوصف ، ولا أنصف إليهم في غير جله الآية . وإنما هو وصف المؤمنين من بني آدم ، قال تعالى : (الذين يؤمنون بالكتاب ويتتبعون أحسنه) وقال : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) إل غير ذلك من الآيات .

(٧) في الخطوة : « ما علم أنزل الله » ، والكتب من سيرة ابن هشام : ٥٦٢/١ . وتفسير الطبري : ٤٠٩/٩ .

وقال ابن جرير : حدثنا الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا أبو معشر . عن محمد بن كعب القرظي قال : أنزل الله : (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) إلى قوله : (وقولهم على مريم بناتها عظيماً) فلما تلاها عليهم - يعني على اليهود - وأتبعهم بأعالم الخبيثة ، جعلوا كل ما أنزل الله ، وقالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، ولا موسى ، ولا عيسى ، ولا حل نبي من شيء . قال : فحمل حجته (١) ، وقال : ولا على أحد .. فانزل الله عز وجل : (وما قلروا الله حتى قلوه إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء) :

وفي هذا الذي قاله محمد بن كعب القرظي نظر ، فإن هذه الآية مكية في سورة الأنعام (٢) ، وهذه الآية التي في سورة النساء مدنية ، وهي رد عليهم لما سألوها التي صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، قال الله تعالى : (فقد سألو موسى أكبر من ذلك) ، ثم ذكر فضائلهم ومعاييرهم وما كانوا عليه ، وما هم عليه الآن من الكلب والافتراء ، ثم ذكر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى غيره من الأنبياء المقصدين ، فقال : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى قوله : (وآتينا داود زبوراً) .

والزبور : اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام . ومنذ كر ترجمة كل واحد من هؤلاء الأنبياء ، عليهم من الله الصلاة والسلام ، عند تفصيصهم في السور الآتية ، إن شاء الله ، وبه الثقة ، وعليه التكلان .

وقوله : (ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً قم قصصهم عليك) أي : من قبل هذه الآية ، يعني : في السور للكية وغيرها .

وهذه تسمية الأنبياء الذين نخص على أسمائهم في القرآن ، وهم : آدم ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، ويونس ، ودود ، وسليمان ، وإلياس ، وإليشع ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وكلوا ذوالكفل عند كثير من المفسرين ، وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم :

وقوله : (ورسلاً قم قصصهم عليك) أي : خلقاً آخرين لم يذكر في القرآن ، وقد اختلفت في عدة الأنبياء والمرسلين ، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل ، وذلك فيما رواه ابن مردويه رحمه الله في تفسيره . حيث قال : حدثنا إبراهيم بن محمد ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن والحسين بن عبد الله بن يزيد قالوا : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى البغلي ، حدثني أبي عن جدتي ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله . كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً . قلت : يا رسول الله ، كم المرسل منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جئهم غفير . قلت : يا رسول الله ، من كان أولهم ؟ قال : آدم . قلت : يا رسول الله ، نبي مرسل ؟ قال : نعم ، خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ثم سواه قبلاً . ثم قال : يا أبا ذر أربعة سريانيون : آدم وشيث ، ونوح ، وخشوخ ، وهو إدريس ، وهو

(١) : الحبة - بنم الحام وتضمها ، وسكون الباء - الثوب الذي يمتد به . والاحتباء : أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه يخرج جسمها به مع ظهره ، ويشده عليها . وقد يكون الاحتباء باليدين موقفاً من الثوب .

أول من خط بقلم. وأربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيك يا أبا ذر ؛ وأول نبي من أنبياء بني إسرائيل موسى ، وآخرهم عيسى . وأول التينين آدم وآخرهم نبيك » .

وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي (١) في كتابه « الأنواع والقصص » وقد وسعه بالصحة ، وخالفه أبو الفرج بن الجوزي ، فذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات ، وأنهم به إبراهيم بن هشام هذا ، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتصديق من أجل هذا الحديث ، فاقه أعلم .

وقد روى الحديث من وجه آخر ، عن صحابي آخر ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معان بن رفاع ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال ، قلت : يا نبي الله ، كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، من ذلك للأئمة وخمسة عشر جمداً ظهراً .

معان بن رفاع السلمي ضعيف ، وحلي بن يزيد ضعيف ، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضاً .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أحمد بن إسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري ، حدثنا مكى بن إبراهيم ، حدثنا موسى بن عبيدة الربذي ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعث الله ثمانية آلاف نبي ، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل ، وأربعة آلاف إلى سائر الناس » .

وهذا أيضاً إسناد ضعيف ، فيه الربذي ضعيف (٢) ، وشيخه الرقاشي أضعف منه أيضاً ، والله أعلم .

وقال أبو يعلى : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا محمد بن ثابت العمري ، حدثنا محمد بن خالد الأصباري ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي ، لم كان عيسى ابن مريم ، لم كنت أنا » .

وقد روينا عن أنس من وجه آخر ، فأخبرني الحافظ أبو عبد الله الذهبي ، أخبرنا أبو الفضل ابن صاكر ، أنبأنا الإمام أبو بكر القاسم بن أبي سعيد الصغار ، أخبرنا حماد بن عاصم ، أخبرنا حماد بن منصور بن الصغار ، أخبرنا الشريف أبو السنايك هبة الله بن أبي الصهباء محمد بن حيدر القرشي ، حدثنا الإمام الأستاذ أبو إسحاق الأسفرائيني قال : أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي ، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا أحمد بن طارق حدثنا [مسلم] ابن خالد ، حدثنا زياد بن سعد ، عن محمد بن المنكدر ، عن صفوان بن سليم ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله

(١) هو محمد بن حبان بن أحمد بن سعد بن معاذ التيمي ، أبو حاتم البستي . ولحقه بيت من بلاد سجستان . وكان مؤرخاً . جفرانياً ، علامة محدثاً ، وله مصنفات كثيرة منها المست الصحيح ، يقال : إنه أسح من سنن ابن ماجه . وكتابه الأنواع والقصص مخطوط (الأعلام : ٦ - ٣٠٦) .

(٢) ذكره الحافظ في جميع الزوائد : ٢١٠/٨ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، وفيه موسى بن عبيدة الربذي ، وهو ضعيف جداً » .

صل الله عليه وسلم : « بعثت على أثر من ثلاثة آلاف نبي من بني إسرائيل (١) » . وهذا غريب (٢) من هذا الوجه وإسناده لا بأس به ، وجاله كلهم مروفون إلا أحمد بن طارق هذا لأن لا أعرفه بعدالة ولا جرح ، والله أعلم .

[حديث أبي ذر الغفاري الطويل في عدد الأنبياء عليهم السلام]

قال محمد بن الحسين الأجرى ، حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد بن القيرباني إسماعيل في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين ، حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الفصاني ، حدثنا أبي ، عن جده عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر قال : « دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده ، فجلست إليه فقلت : يا رسول الله ، إنك أمرتني بالصلاة : قال : الصلاة خير موضوع فاستكثر أو استقل . قال قلت : يا رسول الله ، فأى الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله وجهاد في سبيله . قلت : يا رسول الله ، فأى المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم خلقا . قلت : يا رسول الله ، فأى المسلمين أسلم ؟ قال : من سلم الناس من لسانه ويده . قلت : يا رسول الله ، فأى امرأة أفضل ؟ قال : من هجر السيئات . قلت : يا رسول الله ، أى الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت . قلت : يا رسول الله ، فأى الصيام أفضل ؟ قال : فرض جزئى وموعد الله أصعاف كثيرة . قلت : يا رسول الله ، فأى الجهاد أفضل ؟ قال : من هجر جواده وأهريق دمه . قلت : يا رسول الله ، فأى الرقاب أفضل ؟ قال : أخلاها لئلا وأنفسها عند أهلها . قلت : يا رسول الله ، فأى الصدقة أفضل ؟ قال : جهد من مقل ، وسر إلى فقير . قلت : يا رسول الله ، فأى آية ما أنزل عليك أعظم ؟ قال : آية الكرسي : ثم قال : يا أبا ذر ، وما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض غلاة ، وفصل العرش على الكرسي كفضيل القلادة على الحلقة . قال قلت : يا رسول الله ، كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا . قال قلت : يا رسول الله ، كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة ، وثلاثة عشر جم غفير كثير طيب . قلت : فمن كان أولهم ؟ قال : آدم . قلت : أنبي مرسل ؟ قال : نعم ، خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وسواه قبيل .

ثم قال : يا أبا ذر ، أربعة مريانيون : آدم ، وشيث ، وخنوخ ، وهو إدريس ، وهو أول من خط بقلم ، ولوح ، وأربعة من العرب : : هود ، وشعيب ، وصالح ، ونبيك يا أبا ذر . وأول أنبياء بني إسرائيل موسى ، وآخرهم عيسى ، وأول الرسل آدم ، وآخرهم محمد : قال قلت : يا رسول الله ، كم كتاباً أنزل الله ؟ قال : مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة ، وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، وأنزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف ، والإنجيل والزبور والفرقان .

قال قلت : يا رسول الله ، ما كانت صحيفة إبراهيم ؟ قال : كانت كلها : يا أيها الملك المسلط المبتلي المغرور ، إني لم أبئك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكني بمثلك ترد عني دعوة المظلوم ، فأني لا أرددها ولو كانت من كافر ، وكان فيها مكال : « وعلى العاقل أن يكون له ساعات : ساعة يتأذى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفكر

(١) كلما ورد في خطوطنا . وفي جميع أقرواته : ٢١٠/٨ : من أنس بن مالك قال : « بعث نبي الله صلى الله عليه وسلم بعد ثمانية آلاف نبي ، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل » .
(٢) في الخطوط : « غريب » ، وفي خط : « غريب » .

في صنع الله ، وساعة عثر فيها لحاجته من المعلم والشرب . وعلى العاقل أن لا يكون غافلاً (١) إلا ثلاثاً ، تروى لماد ، أو مرتبة (٢) لحاش . أو لذة في غير محرم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً لسانه ، ومع حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه .

قال قلت : يا رسول الله ، فما كانت صحف موسى ؟ قال : كانت حبراً كلها : وصفت لمن أبقى بالوثق بالحق ، يفرح ، وصفت لمن أبقن بالقدر ثم هو يتنصب (٣) ، وصفت لمن يرى الدنيا وتكتسبها بأهلها ثم يلمنهم إليها ، وصفت لمن أبقن بالحساب غداً ثم هو لا يحمل .

قال قلت : يا رسول الله ، فهل في ألبيتا شيء مما كان في أبدي إبراهيم وموسى ، وما أترك الله عليك ؟ قال : لم ، اقرأ يا أبا ذر : (قد أطلع من تركي . وذكر اسم ربه فصل . بل توترن الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى . إن هذا لفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى) .

قال قلت : يا رسول الله ، فأوصني : قال : أوصيك بقوى الله ، فإنه وأسن أمرك .

قال قلت : يا رسول الله ، زدني . قال : عليك بتلاوة القرآن ، وذكر الله ، فإنه أذكر لك في السماء ، ونور لك في الأرض .

قال قلت : يا رسول الله ، زدني . قال : عليك وكثرة الضحك : فإنه يمت القلب ، ويسمى بنور الوجه .

قلت : يا رسول الله ، زدني . قال : عليك بالجهاد ، فإنه رهبانية أمي .

قلت : زدني : قال : عليك بالصمت ، إلا من خير ، فإنه مطردة للشيطان ، وعون لك على أمر دينك .

قلت : زدني . قال : انظر إلى من هو تحتك ، ولا تنظر إلى من هو فوقك ، فإنه أجدر لك أن لا تردى لعمة الله عليك .

قلت : زدني : قال : أعجب المساكين وجالسهم ، فإنه أجدر أن لا تردى لعمة الله عليك .

قلت : زدني . قال : صل قرابتك وإن تلتزمك . قلت : زدني . قال : قل الحق وإن كان مرا .

قلت : زدني . قال : لا تحف في الله لومة لائم .

قلت : زدني : قال : برّدك من الناس ما تعرف من نفسك ، ولا تجد حليم (٤) فيا نجح ، وكفى بك حياً أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك . أو تجد حليم فيا نجح .

(١) ضللتنا = ما اتلا .

(٢) مرتبة : إصلاح .

(٣) ينصب : يها ويصيب .

(٤) وجد عليه : غضب .

ثم ضرب يده صغرى ، فقال : يا أباذر ، لا تقتل كائناتك ، ولا تورج كالنكف ، ولا حسب كحسب الخلق .
وروى الإمام أحمد ، عن أبي المنيرة ، عن معاذ بن رفاعه ، عن حنبل بن يزيد ، عن أنس ، عن أبي أمامة : أن
أباذر سأله النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر أمر الصلاة ، والصيام ، والصدقة ، وفضل آية الكرسي ، ولا حول ولا قوة
إلا بالله ، وفضل الشهادة ، وأفضل الرقاب ، ونوبة آدم ، وأنه مكلم ، وعدد الأنبياء والمرسلين ، كنعوا ما تقدم (١) .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : وجدت في كتاب أبي غنطه : حدثني عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا يحيى بن
سعيد الأموي ، حدثنا جالد عن أبي الورداء قال : قال أبو سعيد : هل تقول الخوارج بالرجال ؟ قال قلت : لا . فقال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني خاتم الأنبياء أو أكثر ، وما بعث نبي بعث إلا وقد جلد أمة منه ، وإنني قد
بئت في ما لم يبين [لأحد] (٢) ، وإنه أمر ، وإن ربكم ليس بأعور ، وعينه اليسرى عوراء جاحضة لا تخفى ، كأنها تحفة
في حائط مجصص ، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري ، معه من كل لسان ، ومعه صورة الجنة خضر إمام يجرى فيها الماء ،
وصورة النار سواد تكسح (٣) » .

وقد رويته في الجزء الذي فيه رواية أبي بلي الموصلي ، عن يحيى بن معين ، حدثنا مروان بن معاوية ، حدثنا جالد ،
عن أبي الورداء ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني أنعم أنعم الأنبياء أو أكثر ، ما بعث الله
من نبي إلا قومه إلا طهرهم الرجال : وذكر تمام الحديث ، هذا لفظه بزيادة «أنعم» وقد تكون مقسمة ، والله أعلم .
وسبق رواية الإمام أحمد أثبت وأول بالصحة ، ورجال إسناده هذا الحديث لا بأس بهم يروى هذا الحديث من طريق
جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه ، قال الحافظ أبو بكر البزار :

حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا جالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : «إني لخاتم الأنبياء أو أكثر ، وإنه ليس منهم نبي إلا وقد ألقى قومه للرجال ، وإنه قد بين لي ما لم يبين لأحد
منهم ، وإنه أمر ، وإن ربكم ليس بأعور » .

وقوله : (وكلم الله موسى تكليما) ، وهذا تشريف لموسى عليه السلام بهذه الصفة ، ولهذا يقال له : التكليم .
وقد قال الحافظ أبو بكر بن منزه : حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان المالكي ، حدثنا مسيع بن حاتم ، حدثنا عبد الجبار
ابن عبد الله قال : جاء رجل إلى أبي بكر بن عياش فقال : سمعت رجلا يقرأ : «وكلم الله موسى (٤) تكليما» فقال
أبو بكر : ما قرأ هذا إلا كافر ، قرأت على الأعمش ، وقرأ الأعمش على ابن وثاب ، وقرأ يحيى بن وثاب على أبي
عبد الرحمن السلمي ، وقرأ أبو عبد الرحمن ، على علي بن أبي طالب ، وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (وكلم الله موسى تكليما) .

(١) مستأخذ : ٥ / ٢٦٥ .

(٢) من مستأخذ .

(٣) مستأخذ : ٣ / ٧٩ .

(٤) يفتح الجاء من لفظ الخلق .

وإنما الله غضب أن يذكر به حياض رحمته الله على من قرأ ذلك ، لأنه حرف لفظ القرآن ومناه ، وكان هذا مع المعتزلة (١) الذين ينكرون أن الله كلم موسى عليه السلام أو يكلم أحدا من خلقه ، كانوا عنه عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ : « وكلم الله موسى تكليما » فقال له : يا ابن السخنة (٢) ، فكيف تصنع بقوله تعالى : (ولما جاء موسى ليقاتل وكلمه ربه) : يضى : أن هذا لا يحتمل التصريف ولا التأويل .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا أحمد بن الحسين بن برم ، حدثنا محمد بن مروق ، حدثنا حاتم بن يحيى ، عن الحسن بن أبي جعفر ، عن قتادة ، عن يحيى بن وثاب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما كلم الله موسى كان يصير ديبه للذل على الصفا في الليلة الظلمة » وهذا حديث غريب ، وإسناده لا يصح ، وإذا صح موقوفا كان جبلا .

وقد روى الحاكم في مستدركه وابن مردويه ، عن حديث حيد بن قيس الأحمري ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان على موسى يوم كلمه ربه جبة صوف ، وكساء صوف ، وسراويل صوف ، وعلان من جلد حلو غير ذكي » ،

وقال ابن مردويه بإسناده عن جوير ، عن الفضل بن ابن حباس قال : إن الله ناجى موسى بماء أكت كلمة وأربعين ألف كلمة ، في ثلاثة أيام ، وضحايا كلها ، فلما صبح موسى كلام الآدميين مكتتهم ما وقع في مسامحه مع كلام الرب ، حل وجل .

وهذا أيضا إسناده ضعيف ، فإن جويرا ضعيف ، والفضل لم يدرك ابن حباس ، رضي الله عنه . فلما أكره الله ربه ابن حاتم وابن مردويه وغيرهما من طريق الفضل بن يحيى الرقائى ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن حيد الله قال : « لما كلم الله موسى يزم الطور ، كلمه بغير الكلام الذى كلمه يوم نجاه ، فقال له موسى : يا رب ، هذا كلامك الذى كلمتني به ؟ قال : لا يا موسى ، أنا كلمتك بقرة عشرة آلاف لسان ، ولى قوة الألسنة كلها ، وأنا أقوى من ذلك ، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا : يا موسى ، صيفت لنا كلام الرحمن ، قال : لا أستطيعه . قالوا : فتدعيه لنا ؟ قال : ألم تسموا إلى صوت السموات فلما قربته منه ، وليس به

وهذا إسناده ضعيف ، فإن الفضل هذا الرقائى ضعيف مرة .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، عن جوه بن جابر التميمي ، عن كسبة قال : « إن الله لا كلم موسى [كلمه] بالألسنة كلها سوى كلامه ، فقال له موسى : يا رب ، هذا كلامك ؟ قال : لا ، ولو كلمتك بكلامي لم تستم له . قال : يا رب ، فهل من خلقك [فى] شبه كلامك ؟ قال : لا ، ولقد خلقى شيئا بكلامي أشد ما تصنعون من السموات »

(١) صحيح الزوائد ١٧/٢ : ١٧٠

(٢) اللعن : اللعن .

لها معرفت على كتب الأحبار ، وهو يحكى من الكتب المتضمنة المشتعلة على أنبار بني إسرائيل ، وفيها الفت والسميع .

وقوله : (رسلا مبشرين ومنكرين) أى : يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات ، وينكرون من مخالف أمره وكذب رسله بالمقاب والمذاب .

وقوله : (فلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيم) أى : إنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالهشارة ، ولقدارة ، وبه ما يحبه ويرضاه عما يكرهه ويأباه ، فلا يبنى لمنظر حله ، كما قال تعالى : (ولولا أنا أهلكتهم بذاب من قبله لفلأولوا) وبنا ، لولا أرسلت إلينا رسولا فتبع آياتك من قبل أن نذل ونغزى ، وكذا قوله تعالى : (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قلتمت أيديهم) :: الآية .

وقد ثبت في الصحيحين ، عن ابن مسعود (١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أحد أحب من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، من أجل ذلك مدح نفسه ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنكرين :: وفى لفظ : من أجل ذلك أرسل رسله ، وأنزل كتبه .

لَٰكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ وَالْمَلَكُ الْمَكِينُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا أَمْرَ اللَّهِ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥٧﴾ إِلَّا مَنَافِيَهُمْ فَجَنَّمْ لَهُمْ جَهَنَّمَ نَبِإًا أُبْنًى وَأَكَّنْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِ اللَّهِ لِيُفَسِّرَهُ لِلنَّاسِ قَدْ جَاءَكَ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكَ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ يَدَيَّ إِلَهِكُمْ مَبْنُوعَتَانِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾

ما تضمن قوله تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) :: إلى آخر السياق ، إثبات لوجه صلى الله عليه وسلم ، والرد على من أنكروا لوجه من المشركين وأهل الكتاب ، قال الله تعالى : (لكن الله يشهد بما أنزل إليك) ، أى : وإن كفر به من كفر به من كليلك وخالفك ، فانه يشهد لك بأهلك رسوله الذى أنزل عليه الكتاب ، وهو القرآن العظيم الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ، ولهذا قال : (أنزل علمه) أى : فيه علمه الذى أراد أن يطلع العباد عليه ، من اللينات والمهدى والقرآن ، وما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه ، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضى والمستقبل ، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقتضا ، الذى لا يطمها لى مرسل ولا ملك مقرب ، إلا أن يعلمه الله به ، كما قال : (ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء) ، وقال : (ولا يحيطون به علما) .

(١) البخارى ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأنعام : ٧٢/٦ ، والأمراء : ٧٤/٦ ، وسلم ، كتاب التوبة : ٨ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا الحسن بن سهل البصري وعزوز بن المبارك قالوا : حدثنا
 عمران بن حُمَيْمَةَ ، حدثنا عطاء بن السائب قال : أُرِيتُ أبا عبد الرحمن السلمي القُرَآنَ ، وكان إذا قرأ عليه أحدنا
 القرآن قال : قد أُخِبت علم الله ، فليس أحد اليوم أنفصل منك إلا بعمل ، ثم قرأ : (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِعَاتُ مِثْلَ
 مَا كَانَ لَهُ الْبَاقِعَاتُ) .

وقوله : (واللائكة يشهدون) أي : يصدق ما جاءك وأوحى إليك وأتذكرك عليك ، مع شهادة الله تعالى لك بذلك (وكفى بالله شهيداً) .

وقد قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبشتر ، عن أبي عباس قال :
 دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود ، فقال لهم : « إني لأعلم ، والله أنكم تعلمون ، أني رسول
 الله . فقالوا : ما تعلم ذلك . فأقول الله هو وجلي » (لكن الله يشهد بما أقول ليلى أنه أقره يعلمه (١) : الآية .

وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا) ، أَيْ : كَفَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ، فَلَمْ يَبْقِ لَهُمُ الْخَلْقُ ، وَسَعَىٰ فِي صَدِّ النَّاسِ عَنْ أَنْبَاءِهِ وَالْإِكْتِنَاعِ بِهِ ، قَدْ خَرَجُوا مِنَ الْخَلْقِ وَضَلُّوا عَنْهُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يَهْدِي عَنِ طَرِيقِ شَأْنِهِ ،

ثم أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله ، فقالين لأنفسهم بذلك ، وبالصدق من سيده ولولا كتاب
مآكله وأنثاهك عماره ، بأنه لا يضر لم ولا يجديهم طريقاً أى : ميلاً إلى الخير (إلا طريق جهنم) وهذا استعارة
مقطعة (خالدين فيها أبداً) ... الآية .

ثم قال تعالى : (يا ايها الناس ، قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم ، فآمنوا خيرا لكم) اي : قد جاءكم هذه صلوات الله وسلامه عليه بالهدى ودين الحق ، والبيان الثاني من الله ، عز وجل ، فآمنوا بما جاءكم به واتبعوا به هديا لكم .

ثم قال : (وإن تكفروا فإن الله ما في السموات والأرض) أي : فهو خفي عنكم وعن إيمانكم ، ولا يتصور بكمفركم ، كما قال تعالى : (وقال موسى : إن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لن يهدي) . وقال ما هنا : (وكان الله علياً) أي : عن يستحق منكم الهداية فيهديه ، وعن يستحق التوكل فيوثقه (حكياً) أي : أي أن قوله وأعماله وشرعه وقدره :

(١) شهد الله على هذه الآية بسند ما تؤول من معصية صل الله عليه وسلم ، وكذلك شهدت الملائكة ، وكفى بالله شهيداً ، فلا تكرار بأهل الكتاب للذين يأمرون في ذلك ، ومن أجل هذا جاءت الآية الثانية أذ الكافرين الذين يسمعون من سبيل الله غارقون في الضلال ، وأولهم فرعون بنصفه السفيرة وفلانة الآية .

يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ قُدُّسٍ فَعَلِمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَبِهُوا خَيْرَ الْكَلِمَاتِ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ مُبْتَدَعُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧﴾

بني تعالى أهل الكتاب من الفخر والإطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى ، حتى رفعوه فوق الملائكة التي أعطاه الله إياها ، فقلوه من حيز النبوة إلى أن انقلبوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه . بل قد غلوا في أبناؤه وأشياعه ، من زعم أنه على عتبة ، فادعوا فيهم المصمة واليهوم في كل ما قالوه ، سواء كان حقا أو باطلا ، أو ضلالا أو رذالا ، أو صحيحا أو كذبا ، ولهذا قال تعالى : (اتخذوا أجبازهم وريهانهم أربابا من دون الله) ٢٥٥ الآية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم قال : زعم الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، عن حمزة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله (١) » .

لم يرواه (٢) هو وحده بن المديني ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري كذلك وقال علي بن المديني : هذا حديث صحيح سنده . وهكذا رواه البخاري ، عن الحميدي ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، به . ولعله : فإنما أنا عبد الله قولوا عبد الله ورسوله (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حجاج بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك : أن رجلا قال : [يا محمد] ياسيدنا وابن سيدنا ، وغيرنا وابن غيرنا : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أباها فأناس عليك قولكم ولا يستهزئكم الشيطان » أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي الذي أنزلني الله عز وجل » .

فرد به من هذا الوجه (٤) .

وقوله : (ولا تقولوا على الله إلا الحق) أي : لا تفتروا عليه ويجعلوا له صاحبة وولدا ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وتزهو وتعلم وتوحد في مؤمنه وكبرياه وعظمته ، فلا إله إلا هو ، ولا رب سواه . ولهذا قال : (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) ، أي : إنما هو عبد من عباد الله وشككت من خلقه ، قال له : كن ، فكان ، ورسول من رسله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، أي : خلقته بالكلمة التي أرسل بها

(١) مسنده أحمد : ٢٣ / ١ .

(٢) مسنده أحمد : ٢٤ / ١ .

(٣) البزار ، كتاب الأنبياء : ٢٠٤ / ٤ .

(٤) مسنده أحمد : ١٥٣ / ٢ . وفيه : « عليكم بتقواكم » .

جبريل عليه السلام إلى مريم ، فضع فيها من روحه بإذن ربه عز وجل ، فكان عيسى بإذن الله عز وجل ، وصارت تلك النسخة التي نضعها في جيب درعها ، فتزلت حتى وُلِّدت فرجها — بميزة لقاح الأب الأم والجسم مخلوق لله عز وجل ، ولهذا قيل لعيسى : إنه كلمة الله وروح منه : لأنه لم يكن له أب تولد منه ، وإنما هو لائق من الكلمة التي قال له بها : كن ، فكان : والروح التي أرسل بها جبريل ، قال الله تعالى : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) : وقال تعالى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن ، فيكون) . وقال تعالى : (وإلى أحصنت فرجها فضعنا فيها من روحنا وجعلناها وابنتها آية للعالمين) . وقال تعالى : (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) ، إلى آخر السورة ، وقال تعالى إنخارا عن المسيح : (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) : الآية .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : (وكلمته ألقاها إلى مريم) ، هو كقوله : « كعب » ، فكان هـ
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن ستان الواسطي قال : سمعت شاذان بن يحيى يقول : في قول الله : (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) قال : ليس الكلمة صارت عيسى ، ولكن بالكلمة صار عيسى .

وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير (١) في قوله : (ألقاها إلى مريم) أي : ألقاها بها ، كما ذكره في قوله : (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يختارك بكلمة منه) أي : يملك بكلمة منه ، ويجعل ذلك كما قال تعالى : (وما كنت ترجو أن ياتي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) — بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم ، فضع فيها بإذن الله ، فكان عيسى عليه السلام .

وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا الوليد ، حدثنا الأزاعي ، حدثني حمير بن هاني ، حدثني جندب بن أبي أمية ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » قال الوليد : فحدثني عبد الرحمن بن يزيد عن جابر هـ
عن حمير بن هاني هـ ، عن جندب زاد : « من أبواب الجنة الثمانية من أبها شام » .

وكذا رواه مسلم ، عن حاد بن ربيعة ، عن الوليد ، عن ابن جابر هـ ، ومن وجه آخر ، عن الأزاعي (٢) هـ ، فقوله في الآية والحديث : « وروح منه » ، كقوله : (وسفر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) أي : من خشقته ومن عنده ، وليست « من » تهجيز ، كما تفعله النصارى — عليهم لعائن الله المتتابعة — بل هي لاجتماع الغاية ، كما في الآية الأخرى .

وقد قال جامد في قوله : (وروح منه) أي : ورسوله منه : وقال غيره هـ : وعبه منه : والأظهر الأول أنه مخلوق من روح مخلوق ، وأضيف الروح إلى الله على وجه التشريف ، كما أضيف الناقة والبيت إلى الله ، في قوله : (هلم

(١) ينظر تفسير البكري : ٩ / ٤١٨ ، ٤١٩ .

(٢) البخاري ، كتاب الأنبياء : ٤ / ٢٠١ .

(٣) مسلم ، كتاب الأنبياء : ١ / ٤٧ .

ثالثه (الله) : وفق قوله : (وطهر بيني للطائفتين) ، وكما ورد في الحديث الصحيح : « فادخل على ربي في داره » ، وأضافها إليه إضافة تشريعت لما ، وهذا كله من قبيل واحد وتمتد واحد .

وقوله : (فأتينا بالله ورسوله) ، أي : فصلبوا بأن الله واحد أحد ، لا صاحبة له ولا ولد ، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله ، ولهذا قال : (ولا تقولوا : ثلاثة) : أي : لا تعبدوا عيسى وأمه مع الله شريكين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وهذه الآية والتي تآتى في سورة المائدة حيث يقول تعالى : (لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة : وما من إله إلا إله واحد) ، وكما قال في آخر السورة المذكورة : (وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريم ، أنت قلت للناس : اتخذوني أئمةً بينهم ، وقال في أولها : (لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم) .. الآية ، فالتنصاري - عليهم لعنة الله - من جهلهم ليس لم ضابط ، ولا لكفرهم حد ، بل أن أولهم وضلائهم منتشر ، ففهم من يعتقدونه إلهاً ، ومنهم من يعتقدون شريكاً ، ومنهم من يعتقدون ولداً : وهم طوائف كثيرة لم آراء مختلفة ، وأقوال غير موثقة ، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال : لو اجتمع عشرة من التنصاري لافترقوا على أحد عشر قولاً : ولقد ذكر بعض طوائف المشاهير ، وهو سعيد بن بطريق ، بترك الأسكندرية في حدود سنة أربع مائة من الهجرة النبوية - أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لم ، وإنما هي الجباية الخيرية الصغيرة ؟ وذلك في أيام قسطنطين بالقسطنطينية المشهورة ، وأتهم اختلقوا عليه اختلاقاً لا ينضبط ولا ينحصر ، فكانوا أزيد من اثنين أسقفاً ، فكانوا أحراباً كثيرة ، كل حبيب منهم على مقالة ، وعشرون على مقالة ، ومائة على مقالة ، وسبعون على مقالة ، وأزيد من ذلك وأضعف : فلما رأى عصاة منهم قد زادوا على الثلاثمائة ببائنة عشر نفراً ، وقد توافقوا على مقالة ، فأخذها الملك ولصرها وأبدعها - وكان فيلسوفاً ذا هيئة - وعق ما عدلها من الأقوال ، وانتظم دست أولئك الثلاثمائة والثلاثمائة عشر ، وبنت لهم المكتائس ، ووضعوا لهم كتباً وقوانين ، وأخذوا الأمانة التي يلتفتونها الولدان من الصغار ، ليبتدوها ويصنعونها عليها ، وأبغض هؤلاء هم الملكية : ثم إنهم اجتمعوا عجماً ثانياً فحدث فيهم البيقونية ، ثم جمعاً ثالثاً فحدث فيهم التسطورية : وكل هذه الفرق ثبتت الأقسام الثلاثة في المسيح ، ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم ؟ هل أملاً ، أم ما أملاً ، بل امتزجاً أو حل فيه ؟ على ثلاث مقالات ، وكل منهم يكثر لفرقة الأخرى ، ونعم تكفر الثلاثة ، ولهذا قال تعالى : (انتهاوا عني لكم) أي : يكن خيراً لكم (إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد) أي : تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً : (له ما في السموات وما في الأرض وكني بالله وكبلاً) ، أي : الجميع ملكه وخلقه ، وجميع ما فيها عبيده ، وهم تحت تدبيره وتصريفه ، وهو وكيل على كل شيء ، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد ؟ كما قال في الآية الأخرى : (يدع السموات والأرض أنى يكون له ولد) .. الآية ، وقال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً : لقد جئتم شيئاً إداً) (إلى قوله : (فرحاً) .

أَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِرْ مِنْ جَهْدٍ ۖ وَيَسْتَكْفِرْ
فَيَسْخَرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٣٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ
وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لِنَفْسِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يَصْرِفُهُ ﴿١٣٤﴾

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن
ابن عباس قوله : (لن يستكف المسح أن يكون عبدا لله) ، لن يستكبر .

وقال قتادة : لن يعتشم (المسح أن يكون عبدا لله ولا للملائكة المقربين) وقد استدل بعض من ذهب إلى تقبيل
الملائكة على البشر بهذه الآية حيث قال : « ولا للملائكة المقربين » . وليس له في ذلك دلالة ، لأنه إنما عطف الملائكة
على المسح ، لأن الاستكاف هو الامتناع ، والملائكة أنكر على ذلك من المسح ، ولهذا قال : (ولا للملائكة المقربين)
ولا يلزم من كرههم أقوى وأقندر على الامتناع أن يكونوا أفضل .

وقيل : إنما ذكروا ، لأهم اتخذوا كلمة مع الله ، كما اتخذ المسح ، فأعبر تعالى أنهم عبيد من عباده وخلق
من خلقه ، كما قال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه ، بل عباد مكرمون) الآيات .

ثم قال : (ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) أى : فيجمعهم [إليه] يوم القيامة ،
وفصل بينهم بحكمة العدل ، الذى لا يجوز فيه ولا يحيف : ولهذا قال : (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفى لهم
أجورهم ويزيدهم من فضله) ، يعنى : فيعطيه من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة ، ويزيدهم على ذلك من فضله
وإحسانه وسعة رحمة وامتنانه .

وقد روى ابن مرددويه عن طريق بقية ، عن إسماعيل بن عبد الله الكندي ، عن الأعشى ، عن سفيان ، عن عبد الله
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فيوفى أجورهم ويزيدهم من فضله) قال : وأجورهم : أدخلهم (١) الجنة
(ويزيدهم من فضله) قال : الشفاعة فيمن وجبت له النار عن صنع إليهم المعروف في دنياه .

وهذا إسناد لا يثبت ، وإنما روى عن ابن مسعود موقوفا فهو جيد .

(وأما الذين استنكفوا واستكبروا) ، أى : امتنعوا من طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك (فيعذبهم عذابا
إليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) كما قال تعالى : (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين) ، أى : صاغرين حقيرين ذليلين ، كما كانوا متمسكين يستكبرين .

(١) في النسخة : « يدخلهم الجنة » .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٧﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
بِحَبْلِ آلِهِمْ فِي بَحْرٍ مِمَّنْ وَفَضَّلَ إِلَيْهِمْ سِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٨﴾

يقول تعالى مخاطباً جميع الناس ، وخبراً بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم ، وهو الدليل القاطع للمعذر ، والحجة
المؤيدة للشبهة ، ولهذا قال : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) أى : ضياء واضحا على الحق ، قال ابن جرير وغيره : وهو
القرآن .

(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ) ، أى : حموا بين مقايى العبادة والترك على الله فى جميع أمورهم . وقال
ابن جرير : آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن . ورواه ابن جرير .

(فَيُخْطِطُ لَهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ) ، أى : يرحمهم فيخطط لهم الجنة ويؤيدهم ثوابا ومضاعفة لوفاء فى درجاتهم ،
من فضله عليهم وإحصائه إليهم (ويهديهم إليه صراطا مستقيما) : أى : طريقا واضحا قصدا قواما لا اعوجاج فيه
ولا انحراف : وهذه صفة المؤمنين فى الدنيا والآخرة ، فهم فى الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة فى جميع
الاحتضادات والمعاملات ، وفى الآخرة على صراط الله المستقيم المقصود إلى روضات الجنات : وفى حديث الحارث الأحمر ،
عن حل بن أبى طالب رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القرآن صراط الله المستقيم ، وحبل الله
المشيد » (١) : « ولقد تقدم الحديث بآياته فى أول التفسير ، والله اعلم والمثلث :

يَسْتَفْتُونَكَ عَلَى اللَّهِ فَبِغَيْرِكَ عَلَى الْكَلْبَةِ إِنَّ أَمْرَهُمَا هَكَذَا لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ إِخْوَةٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَلَنْ كَاتِبَاتَيْنِ فَلَهُمَا الْفُلَانُ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذِي تَرَكَ
بِالْأَخِيْنِ مِمَّنْ أَفْعَلُكَ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَظِيمًا ﴿١٧٩﴾

قال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا شعبة ، عن أبى اسحاق قال : سمعت البراء قال : آخر سورة
زلزلت « برامة » ، وآخر آية زلزلت « يستفتونك » (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابر بن عبد الله
قال : دخل عيسى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا مريض (٣) لا أقول ، قال : فوضأ ، ثم صبأ عيسى - أو قال :
صبأوا عليه - فتمسكت فتمسكت : إله لا يرقى إلا كلاله ، فكيف الميراث ؟ [قال] : فزلزلت آية التراض (٤) .

(١) الحديث رواه الترمذى فى كتاب فضائل القرآن ، ينظر تحفة الأحرار : ٨ / ٢١٨ - ٢٢١ .

(٢) البخارى ، كتاب التفسير ، تفسير سورة القصص : ٦٣ / ٦٣ .

(٣) فى المسند : « وأنا راجع » .

(٤) مسند أحمد : ٢ / ٢٩٨ ، وفيه : « فزلزلت آية التراض » .

أخرجاه في الصحيحين (١) من حديث شعبة ، ورواه الجماعة من طريق سفيان بن عيينة ، عن عماد بن المنكدر ، عن جابر ، به . وفي بعض الألفاظ : فزت آية لليراث : (يستغنونك قل الله يفتيكُم في الكلالة) ٥ الآية .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد ، حدثنا سفيان : وقال أبو الزبير قال - يعني جابر - :
نزلت في : (يستغنونك قل الله يفتيكُم في الكلالة) .

وكان معنى الكلام - والله أعلم - يستغنونك (من الكلالة) قل الله يفتيكُم فيها ، فذلك المذكور على المروء .
وقد تقدم الكلام (٢) على الكلالة واشتقاقها ، وأنها مأخوذة من الإكليل الذي يحيط بالرأس من جوانبه ، ولهذا
فسرها أكثر العلماء . بن يموت وليس له ولد ولا والد : ومن الناس من يقول : الكلالة من لا ولد له ، كما دلته
عليه هذه الآية : (إن أمروا هناك ليس له ولد) ٦

وقد أشكل حكم الكلالة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال :
« ثلاث وِدِدْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ حَبْدًا لِي فِيهِنْ هَذَا نَتَهَى إِلَيْهِ : الجِد ، والكلالة ، وأبواب
من أبواب الربا (٣) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن مسدد
ابن أبي طلحة قال : قال عمر بن الخطاب : ما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سأله عن الكلالة ،
حتى طعن بأصبعه في صدرى وقال : « يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء (٤) » .
هكذا رواه غصنر وأبو عبد الله أخرجه [مسلم] مطولا أكثر من هذا (٥) .

طريق أخرى ، قال أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مالك - يعني ابن مغول سمعت الفضل بن عمرو ، عن إبراهيم ،
عن عمر قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلالة ، فقال : يكفيك آية الصيف ، فقال : لأن أكون
سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها أحب إلي من أن يكون لي حُصْر (٦) التعم » .
وهذا إسناد جيد إلا أن فيه انقطاعا بين إبراهيم وبين حُصْر ، فإنه لم يتركه .

(١) صحيح البخارى ، كتاب الميراث : ١٥٧ / ٧ . وسلم ، كتاب الفرائض : ٦٠ / ٦٠ ، ٦١ . وقطعة الأحول ، كتاب
الفرائض : ٢٧٣ / ٦٠ .

(٢) ينظر : ٢ / ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) مسلم ، كتاب الفتح : ٨ / ٢٤٥ . والبخارى ، كتاب الأعراب : ٩ / ١٣٧ .

(٤) مسند أحمد : ١ / ٢٦ . وسيت آية الصيف لأنها نزلت في الصيف ، وقال الواحدي : أنزل الله في الكلالة آيتين :
إحداهما في الشتاء ، وهي التي في أول النساء ، والأخرى في الصيف ، وهي التي في آخرها .

(٥) مسلم ، كتاب الفرائض : ٥ / ٢١ .

(٦) مسند أحمد : ١ / ٢٨ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا أبو بكر ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الكلالة ، قال : يكنيك آية الصيف (١) وحلها إسناد جيد ، رواه أبو داود (٢) والترمذي من حديث أبي بكر بن عياش ، به . وكان المراد بآية الصيف أنها قولت في فصل الصيف ، والله أعلم .

ولما أوردناه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قهقهة - فإن فيها كتابة - لمى أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن معناها ، ولهذا قال : « فلأن أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها أحب إلى من أن يكون لي حمر النعم » .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا جرير [عن] الشيباني ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن المسيب قال : سأل عمر بن الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلالة ، قال : أليس قد بين الله ذلك ؟ فترلت : (يستفتونك) . . . الآية وقال قتادة : « ذكر لنا أن أبا بكر الصديق قال في خطبته ألا إن الآية التي أنزلت في أول سورة النساء » في شأن القرائن ، أنزلها الله في الولد والوالد . والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والأخوة والأم . والآية التي غتم بها صورة النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم ، والآية التي غتم بها صورة الأفعال أنزلها في أولى الأرحام ، بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، مما جرت الرحمة من المحبة . رواه ابن جرير (٣) .

ذكر الكلام على معناها والله المستعان ، وعليه التكلان

قوله تعالى : (إن امرؤ زلات) أي : مات ، قال الله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) كل شيء يفتن ولا يبقى إلا الله ، عز وجل ، كما قال : (كل من عليها فان : ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) .

وقوله (ليس له ولد) تحمله به من ذهب إلى أنه ليس من شرط الكلالة انشاء الوالد ، بل يكفي في وجود الكلالة انشاء الولد ، وهو رواية عن عمر بن الخطاب ، رواها ابن جرير عنه بإسناد صحيح (٤) إليه . ولكن الذي رجح إليه هو قول الجمهور وقضاء الصديق أنه من لا ولد له ولا والد ، ويدل على ذلك قوله : (وله أخت فلها نصف ما ترك) ولو كان معها أب لم ترك شيئا ، لأنه يصحبها بالإجماع ، فدل على أنه من لا ولد له ينص القرآن ، ولا والد بالنص عند التامل أيضا ، لأن الأخت لا يفرض لها النصف مع الوالد ، بل ليس لها ميراث بالكلية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا أبو بكر بن عبد الله ، عن مكحول (٥) وعطية وحزمة (٦) ورashed ،

(١) سنن أحمد : ٤ / ٢٩٤ .

(٢) أبو داود ، كتاب القرائن : ٣ ، ونسخه الأحوص ، تفسير سورة النساء : ٨ / ٥٠٦٧ .

(٣) تفسير الطبري : ٩ / ٤٢٦ .

(٤) المصدر السابق : ٩ / ٤٣٧ .

(٥) في السنن : ٥ / ٢٢٢ مكحول .

(٦) في السنن : ٥ / ٢٢٢ وحزمة .

عن زيد بن ثابت : أنه سُئِلَ عن زوج ولئت لأب وأم ، فأعطى الزوج النصف والأخت النصف : فكُنْتُمْ في ذلك ، فقال : حشرت رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بذلك : (١) .

فرد به أحمد من هذا الوجه ، وقد نقل ابن جرير (٢) وغيره عن ابن عباس وابن الزبير أنهما كانا يقولان في المبت ترك بنتاً وأختاً : إنه لأمي للأخت ، قوله : (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك) : قال : فإذا ترك بنتاً فقد ترك ولداً ، فلا شيء للأخت : وعنفهما الجمهور ، فقالوا في هذه المسألة : البنت النصف بالفرض ، وللأخت النصف الآخر بالتعصيب ، بدليل غير هذه الآية وهذه نصت أن يفرض لها في هذه الصورة ، وأما ورائها بالتعصيب لما رواه البخاري من طريق سليمان ، عن إبراهيم ، عن الأسود قال : قضى فيها معاذ بن جبل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : النصف للإبنة ، والنصف للأخت : ثم قال سليمان : قضى فيها ولم يذكر : هل عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وفي صحيح البخاري أيضاً عن هُرَيْلِ بْنِ شَرَحْبِيل قال : سئل أبو موسى الأشعري عن ابنة وابنة ابن [ولئت] ، فقال : للإبنة النصف ، وللأخت النصف وأنت ابن مسعود فبينا بهي : فسئل ابن مسعود - وأخير يقول أبو موسى - فقال : فتعصبك أنت إذا وما أنا من المهملين ، أنقض فيها عما قضى النبي صلى الله عليه وسلم للإبنة النصف ، ولإبنة الإبن السمس ، بكلمة التلخيص ، وما بيني وللأخت ، [فأنبتا أبا موسى] فأخبرناه بقوله ابن مسعود - فقال : لا تسألوني ما دام هذا الصبر فيكم (٤) .

وقوله : (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) أي : والأخ يرث جميع ما إذا ماتت كلاله ، وليس لها ولد ، أي : ولا والد ، لأنه لو كان لها والد لم يرث الأخ شيئاً ، فإن فرض أنه ممة من له فرض ، صرّفت إليه فرضه ، كزوج ، أو أخ من أم ، وصرّفت الباقي إلى الأخ ، لما ثبت في المسيحيين ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« إذا ألفتوا أقرانهم بأهلها ، لما ألفت أقرانهم فلا يرث رجل رجل ذكر »** .

وقوله : (فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أي : فإن كان ابن عمت كلاله ، أختان ، ففرض لهما الثلثان ، وكذا ما زاد على الأختين في حكمهما ، ومن هاهنا أصل الجماعة حكم البنتين كما [استفيد] حكم الأخوات من البنات ، في قوله : (فإن كن نساء فولي الأختين الثلثان مما ترك) .

وقوله : (وإن كانوا إحداهن رجلاً ونسأ فذلك كله) : هذا حكم المصحات من البنت وبني البنت والإخوة إذا اجتمع ذكروهم وإناثهم ، أعطى الذكر منهم مثل حظ الأنثيين .

وقوله : (بين الله لكم) أي : يفرض لكم فرأى الله ، ويحد لكم حدوده ، ويوضح لكم شرائعه .

(١) سنة أسبه ١٨٨ % .

(٢) تفسير الطبري ١ : ٤٤٢ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب القران ١ : ١٨٩ % .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب القران ١ : ١٨٨ % .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب القران ١ : ١٨٨ % ، ١٨٧ % ، ١٨٨ % ، ١٨٩ % ، ١٩٠ % ، ١٩٠ % ، ١٩٠ % ، ١٩٠ % ، ١٩٠ % ، ١٩٠ % .

وقوله : (أن تفضلوا) أي : تفضلوا عن الحق بعد البيان . (والله بكل شيء عليم) أي : هو عالم بما يقابله الأمور ومصلحتها وما فيها من الخير لمعادها ، وما يستحقه كل واحد من القربات بحسب قربه من الحق .

وقد قال أبو جعفر بن جرير : حدثني يعقوب ، حدثني ابن حبان ، أنبأنا ابن حبان ، عن محمد بن سيرين قال : كانوا في سير ، وأمس رحلة حليفة عند ردف رحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمس رحلة عمرو عند ردف رحلة حليفة : قال : وقلت : (يستفتونك قال الله بفتحكم في الكلالة) فلقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم حليفة ، فللقاها حليفة حمر ، فلما كان بعد ذلك سأل حمر عنها [حليفة] قال : والله إنك لأحق إن كنت ظننت أنه لتأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتيتكما كما لتأنيها ، والله لأأريكم عليها شيئاً أبداً قال : فكان عمرو يقول : اللهم إن كنت يصعبا له فلأنهما لم يثبتوا في (١) .

كلما رواه ابن جرير : ورواه أيضاً عن الحسن بن يحيى ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين كذلك بقصه : وهو مقطع بين ابن سيرين وحليفة ، وقد قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في منسبه : حدثنا يوسف بن حماد الحنفى ، ومحمد بن مرزوق قالوا : أخبرنا عبد الأمل بن عبد الأمل ، حدثنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي حنيفة بن حليفة ، عن أبيه : (قلت للكلالة حل لتني صلى الله عليه وسلم وهو في مسيره ، فقلت النبي صلى الله عليه وسلم وإذا هو حليفة ، وإذا رأس ناقة حليفة عند موكرز النبي صلى الله عليه وسلم ، فللقاها إياه ، فظفر حليفة فإذا هو رضى الله عنه ، فللقاها إياه ، فلما كان في خلافة عمر نظر عمر في الكلالة ، فدعا حليفة فسأله عنها ، فقال حليفة : لقد لتأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتيتكما كما لتأني والله إني لصادق ، والله لأأريكم حل ذلك شيئاً أبداً » .

ثم قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم [أحداً] رواه إلا حليفة ، ولا نعلم له طريقاً عن حليفة إلا هذا الطريق ، ولا رواه عن هشام إلا عبد الأمل ، وكلما رواه ابن مرة وفيه من حديث عبد الأمل :

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا جرير ، عن الشياخ ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن المسيب : (أن عمر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يموت الكلالة ؟ قال : فأقول الله : (يستفتونك) . الآية ، قال : فكان عمر لم يفهم : فقال لخصه : إذا رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب نفس فليبه عنها ، فربأت منه طيب نفس فسأته عنها ، فقال : أبوك ذكر لك هذا ؟ ما أرى أبأك يعلمها . قال : وكان عمر يقول : ما أراها أعلمها ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال » .

رواه ابن مردويه ، ثم رواه عن طريق ابن حنيفة ، عن عمرو ، عن طلوس (٢) : (أن عمر أمر خصصة أن تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلالة ، فأملأها عليها في كتف ، فقال : من أمرك بهذا ؟ أمرك ؟ ما أراه يقيمها ، لو ما تكتفي

(١) تفسير الطبري ١ : ٤٣٠ ، ٤٣٦ .

(٢) في المخطوط : عمرو بن طلوس . ولعل الصواب : ما كتبه في حنيفة ، بروى عن عمرو بن دينار ، وروى بروى عن طلوس ، ونظر التاج ٢ : ٢٨٨ ، ٢٩٠ .

آية الصبغ؟ [قال: (١) صيفان] وآية الصبغ التي في النساء: (وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة) - فلما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم تزلت الآية التي هي غائبة النساء، فأتي [عمر] الكنف: كلما قال في هذا الحديث، وهو مرسل.

وقال ابن جرير: حدثنا [أبو] كريب، حدثنا هشام، عن الأعمش، عن نيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: «أخذ عمر كتباً وجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: لألقي في الكلالة قطباء تحدث به النساء في عبورهن. فخرجت حيثما حبته من البيت، ففرقوا، فقال: لو أراد الله من رجل أن يتم هذا الأمر لأتمه.»

وهذا إسناد (٢) صحيح.

وقال الحاكم أبو عبد الله التميمي: حدثنا علي بن محمد بن حبة الشيباني بالكوفة، حدثنا الحليم بن خاله، حدثنا أبو نعيم، حدثنا ابن حينة، عن عمرو بن دينار، سمعت محمد بن طلحة بن يزيد بن زكاة يحدث عن عمر بن الخطاب قال: «لأن أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثلاث أحب إلي من حُمْر النعم: من الخطبة بعده؟ وعن قوم قالوا: نقر بالزكاة في أموالنا ولا نؤديها إليك، أحب قائلهم؟ وعن الكلالة: «ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» (٣). ثم روى بهذا الإسناد إلى صيفان بن حينة، عن عمرو بن مرة، عن مرة، عن عمر قال: «ثلاث لأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يَنْتَهَنُ لنا أحب إلي من الدنيا وما فيها: البخل، والكلالة، والربا، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» (٤).

وبهذا الإسناد إلى صيفان بن حينة قال: سمعت سليمان الأحول يحدث، عن طاوس قال: سمعت ابن عباس قال: كنت أقرأ الناس عهداً بمر، فسمعت يقول: ألقول ما قلت؛ قلت: وما قلت؟ قال قلت: للكلالة، من أوله له. ثم قال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه» (٥).

وهكذا رواه ابن مردويه من طريق زمة بن صالح، عن عمرو بن دينار وسليمان الأحول، عن طاوس، عن ابن عباس قال: «كنت أقرأ الناس عهداً بمر بن الخطاب، قال: اختلفت أنا وأبي بكر في الكلالة، وأقول ما قلت؛ قال: وذكر أن عمر شارك بين الأخوة للأب والأُم وبين الأخوة للأُم في القتل إذا اجتمعا، وخالفه أبي بكر رضي الله عنهما.»

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا محمد بن حُميد المديني (٦) عن معمر عن الزهري، عن سعيد بن المسيب: أن عمر كتب إلى الجند والكلالة كتاباً، فكُتِبَ يستخير الله [فيه] يقول: اللهم إن علمت فيه خيراً فأمنه، حتى إذا

(١) من القدر للثور: ٢٤٩/٢

(٢) تفسير القرطبي ٤/٣٩٩.

(٣) المستدرک، كتاب التفسير: ٣٠٤/٢.

(٤) المصدر السابق، كتاب التفسير: ٣٠٢/٢.

(٥) المصدر نفسه، كتاب التفسير: ٣٠٤/٣٠٢/٢.

(٦) في المخطوطة: «المديني». والمختار من تفسير المقرئ: «وهو قيل له: والمديني» لأنه وصل إلى مصر. ينظر التلخيص.

طعن دما بكتاب تسحي، ولم يدر أحد ما كتبه فيه : فقال : إني كنت كتبت في الجدل والكلاسة كتاباً ، وكنت استخفرت الله فيه ، فرأيته أن أترككم على ما كنتم عليه (١) .

قال ابن جرير : وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : إني لأستحي أن أخالف فيه أبابكر . وكان أبو بكر ، رضي الله عنه يقول : هو ماعدا الولد والوالد (٢) .

وهذا الذي قاله الصديق عليه جمهور الصحابة والتابعين والأئمة ، في قدم الزمان وحديثه ، وهو مذهب الأئمة الأربعة والفتهاء السبعة : [وقول علماء الأمصار] قاطبة ، وهو الذي يدل عليه القرآن ، كما أرشد الله أنه قد بين ذلك ووضعه في قوله : (يفتح الله لكم أن تغلبوا والله بكل شئ عليم) .

(١) تفسير الطبري : ١/ ٤٢٨ .

(٢) تفسير الطبري : ١/ ٤٢٧ .

فهرس موضوعى أبجدي

لتفسير سورة آل عمران .

حسد اليهود للمؤمنين : ٤٨ ء

الحكم : ٤ ء

الحلف الكاذب : ٥٢ ء

الحلال : ٤ ء ٥٥ ء

الحياة : ١٥٥ ء

(خ)

خلق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاءه الله به :

: ١٢٨ ء ١٢٧ ء

خلق الإنسان : ٤ ء

خلق السموات والأرض : ١٥٩ ء - ١٦٢ ء

الليل : ١٦ ء

(٥)

الدعاء : ١٠١ ء ١١ ء ١٧ ء ٢٩ ء ١٥٩ ء - ١٦٥ ء

الدعوة إلى الحق : ٢١ ء ١٢٧ ء ١٥٠ ء .

دعوى اليهود والنصارى في التحليل عليه السلام : ٤٧١ ء ٤٧١ ء

الدين : ١٩ ء

(٥)

الذكر : ١٥٩ ء - ١٦٢ ء :

(ر)

الرباط في سبيل الله : ١٧٠ ء ١٧٧ ء

الربا : ٩٨ ء

رحمة الله : ٢٥ ء

الراستون في العلم : ٨١ ء ٩ ء

(س)

سهب نزول آل عمران : ٤٦ ء

(١)

بنو إسرائيل : ٤٨ ء ٥٠ ء ٥٤ ء ١٥٣ ء

الأمر بالمعروف : ٧٥ ء ٨٧ ء

أمة محمد صلى الله عليه وسلم : ٧٧ ء - ٨٦ ء ١١٣ ء

الإيمان : ١٢ ء ١٧ ء ٥٧ ء ٧١ ء ٨٧ ء

أهل الكتاب : ٢١ ء ٢٢ ء ٦١ ء ٧٠ ء ٧١ ء ٨٧ ء

. ١٥٥ ء ١٥٧ ء ١٦٨ ء .

آيات الله : ١٣ ء ٢٦ ء ١٥٩ ء

(ب)

البطل : ١٥١ ء

البني : ٣٠ ء

المياهلة : ٤٠ ء - ٤٦ ء

(ت)

التوبة : ١٠٦ ء

(ج)

جدال الكفار : ٢٠ ء

الجنة : ١٧ ء ٩٨ ء ١٥٥ ء .

الجهاد : ١٠٧ ء ١١٠ ء ١٢٧ ء ١٣٦ ء

(ح)

حبة الله : ٢٥ ء

الحج : ٦٧ ء - ٧٠ ء

الحروف المقطعة : ٥٠ ء

تحريف اليهود للكلم : ٥٤ ء

الحرام : ٤ ء ٥٠ ء .

(ش)

الشهادة : ٤٤ ، ٥٠ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٨٠
الشهداء : ١٣٩ - ١٤٣
الشهوات : ١٤٠

(ص)

الصبر : ٩٣ ، ٩٤ ، ١٧٠

(ط)

طالع اليهود : ٤٩ ، ٥٠
الطعام : ٦١

(ع)

المجرات : ٣٦
المطابخ : ٣ ، ١١ ، ٢١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٦ ، ٨٧ ،
١٥٣ ، ١٥٩
الاحتصام : جبل الله : ٧٣ ، ٧٤
علم الله : ٤٤ ، ٧٤
الحقيقة : ٢٧
الطفر : ١٠٠ - ١٠٣

(غ)

غزوة أحد : ٩١ ، ٩٣ ، ١١٣ - ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٤٤
غزوة بدر : ٩٢ ، ٩٣ ، ١٣٧
الغضب : ١٠٠ - ١٠٣
الغلل : ١٣٠ - ١٣٦
الغيب : ٧٧ ، ١٥١

(ق)

قبرة الله : ٤٠
القرآن : ٧٣ ، ١٠٧
القيامة : ٢٢ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٧٦ ، ٨٧ ، ١٥٤

(ك)

الكبر : ٢١
الكتب المنزلة : ٣ ، ٥٠ ، ٣٥ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٥٤
كَيان العلم : ١٥٧
الكلب : ٦١
الكمة : ٦٣
الكفر : ٣ ، ١١ ، ١٢ ، ٢١ ، ٣٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
٧٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٥٠ ، ١٦٦

(ل)

الاصحاح : ١٥٠ ، ١٥٥
الملح : ١٥٨
مكة : ٦٤ - ٦٧
الموت : ١٠٨ - ١١٠ ، ١٥٤

(ن)

الأنبياء : ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ١٥١
التلخيرة : ٢٦ ، ٢٨
التسخ : ٤٤ ، ٥٠
النصر : ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٣٠
لم الله : ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩
الإفلاق : ٦٠ ، ٩٩ ، ١٥٢
لنناقون : ٨٨ - ٩٠ ، ١٣٧ - ١٣٩ ، ١٥٨

(هـ)

الميثاق : ٥٥
التوحيد : ١٨ ، ٢٠
الوضوء : ١٠٤
الوفاء بالعهد : ٥١
توفى عيسى عليه السلام : ٣٨
التقوى : ١٧ ، ٥١ ، ٧١ ، ٩٣
التقية : ٧٤
موالاة الكافرين : ٢٣ ، ٨٨ ، ١١٢

فهرس موضوعى امجدى

لتفسير سورة النساء

الحلال : ١٨٠ ، ٤١٩	(ا)	بنو اسرائيل : ٢٨٤ .
(خ)		للاذنة : ٣٦٧ .
خلق الانسان : ١٧٩ .		الإيمان : ٤٣٤ ، ٤٢٩ ، ٤٢١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥ .
خطب الله لإبراهيم : ٣٧٤ - ٣٧٦ .		الأمانات : ٢٨٩ .
الخمر : ٢٧١ :		أهل الكتاب : ٣٩٦ ، ٣٨٣ ، ٣٦٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ .
(د)	(ب)	
تدبر القرآن : ٣٢٠ .		البخل : ٢٦٥ ، ٢٩٥ .
الدنيا : ٣٨٨		الر : ١٨٧ .
(ذ)		البلوغ : ١٨٧ ،
للذكر : ٣٩٠		اليهتان : ٣٦٣ .
(ر)	(ت)	
الأرحام : ١٧٩ .		القوة : ٢٠٥ - ٢٠٨ ، ٢٣٣ .
الربا : ٤٢٠	(ج)	
(ز)		الجزاء : ٣٧٠ - ٣٧٣ ، ٣٨٣ .
الزكاة : ٤٢١		الجنة : ٧٠٣ ، ٤٢١
الزنا : ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢٢٨ - ٢٣٣ .		الجهاد : ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٣٩ - ٣٤٢ .
(س)		الجهر بالسوء : ٣٩٤ - ٣٩٦
السفهاء : ١٨٦ .		الجار : ٢٦١ .
السلام والصحة : ٣٢٤ - ٣٢٦ .	(ح)	
(ش)		حدود الله : ٢٠٣ .
الشرك : ١٧٨ ، ٢٨٦ ، ٣٦٦ ،		تعريف اليهود للكلم : ٢
الشهادة : ٢٨٥		الحرام : ١٨٠ ، ٤١٩
الشهوات : ٢٣٣ :		تحريم الخمر : ٢٧١ .
الشیطان : ٣٦٧ ، ٣٦٨ :		أفرومات من النساء : ٢١٤ - ٢٢٦
(ص)		الحسد : ٢٩٥ .
صلىات النساء : ١٨٥ ، ٢١٣ .		تحقق الأمور : ٣٢١ ، ٣٣٦ - ٣٣٩ ، ٤٣٠
الصالح : ٢٨٣ ، ٢٥٩ .		الحكم : ١٩٢ ، ١٩١ .
الصلاة : ٢٧٠ ، ٢٤٧ ، ٣٥٧ ، ٣٨٩ ، ٤٢٠		الحكم بالكتاب : ٣٥٨ .
صلاة الخوف : ٢٤٧ - ٣٥٦ .		

الكفر : ٧٦٧ ، ٧٨٤ ، ٧٩٦ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٢٩

كفارة القتل : ٣٢٩ - ٣٣١ .
الكلام : ٣٦٤ .

(ل)

ملازمة النساء : ٧٧٥ - ٧٧٩ .

(م)

الملح : ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

للرأفة في الجاهلية : ١٧٨ .

المسيح : ٣٩٩ - ٤١٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣

المعصية : ٢٠٣ .

المهور : ١٨٥ ، ٢١٣ ؛

للموت : ٣١٦ .

الأموال : ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٣٣ ؛

(ن)

الأنبياء : ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٢١ - ٤٢٨

النسخ : ١٩٢ - ١٩٣ .

النساء : ١٨٦ .

النشور : ٧١١ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٣٧٨ ؛

الإنفاق : ٢٦٥ .

للمنفقين : ٣١٣ ، ٣٢٦ - ٣٢٨ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ - ٣٩٣

النكاح : ١٨١ - ١٨٤ ، ٢١٤ ، ٣٧٧ ،

النار : ٢٩٦ .

(هـ)

المهجرة : ٣٤٢ - ٣٤٦ ؛

الموى : ٣٨٥ ، ٣٩٦ .

(و)

الميثاق : ٣٩٩

الوحد : ١٧٩ ، ٢٦٠ ، ٢٨٦ ، ٤٣٢

الوحى : ٤٢١

لليراث : ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢٠٨ ، ٢٥٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠

الوصية للأقرباء : ١٩٢ - ٢٠٢ ؛

التقوى : ١٧٩ .

الأولاد : ١٨٦ ، ٢٦٠ ، ٣٧٧ ؛

الموالة : ٢٥٢ - ٢٥٨ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢

(ي)

اليانصيب : ١٨٠ ، ١٨٧ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٦١ ، ٣٧٦

التبسم : ٢٧٩ - ٢٨٣ .

اليهود : ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤١٩

(ض)

ضمنت الإنسان : ٢٣٣ .

(ط)

طاعة الله ورسوله : ٢٠٣ - ٣٠١ ، ٣١٣ ، ٣١٩ ؛
الطعام : ٤٢٠

(ظ)

النظم : ١٧٨ ، ٢٣٣ ، ٢٦٧ ، ٣٩٤ ، ٤١٩

(ع)

العمل : ١٨٤ ، ٢٩٨ - ٣٠٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٤٢٠

العذاب : ٢٠٣ ، ٢٩٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧

العزة : ٣٨٦

معاشرته للنساء : ٢١١

الاستغاثات : ١٩٠ ،

العلم : ٤٢٠

علم الله : ١٧٩ ، ١٩١ ، ٤٢٨

للمعاملات : ٢٣٣ ؛

(غ)

الغسل : ٢٣٣ ؛

الاستغفار : ١٧٨ ، ٣٦٢ ؛

للغزاة : ٢٨٦ - ٢٩١ ، ٣٦٦ ؛

(ف)

فصل الله : ٣٤٩ ؛

للقاحضة : ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢٢٨ ؛

(ق)

القتل : ٢٢٩ - ٢٣٥ ؛

قتل النفس : ٢٣٥ ؛

القتال : ٣١٥ ، ٣٢٢ ؛

القتل : ١٨٨ .

القرآن : ٣٢٠ ؛

قصر الصلاة : ٣٤٧ ؛

قراءة الرجال على النساء : ٢٥٦ ؛

للقائمة : ٢٦٨ ، ٢٨٨ ، ٤٢١

(ك)

الكبائر : ١٧٨ ، ٢٢٦ - ٢٤٩ ؛

الكتب : ٣٨٥ ، ٣٩٨

للكتب : ٢٩٣ ؛

للكره : ٢١٢ .

غريب اللغة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
(ث)		(ا)	
٣١٣	ثبات ...	١٧	أبيرة : ...
٦٨	الشيخ ...	١٤٦	أبيل : ...
١٦٢	تج أوداجهم دما ...	١٢٩	أبنوا أهل ...
٢٢٩	ولا يتربى ...	١٨٩	أبتائل ...
٤١٠	ثندوة ...	٣٩٢	أذى ...
(ج)		١٤٦	أزبة ...
٢١٣	الجيت ...	١١٨	الأسكل ...
٣٠٦	الجدر ...	٣٥٩	أضمو ...
٣٠٢	مجدع الأطراف ...	٢٦٤	أكلت ...
٢٣١	جكة ...	١٧	أهنة مأمورة ...
١٤٦	الجرد ...	٢٨٣	أولات الجيش ...
٦٦	جباري هم الأهواء ...	(ب)	
٢٨٣	الجرج ...	١٥٦	أبحرة ...
٣٠٢	ومنا من هو في يتكسر ...	٤١٥	أكانق البخت ...
١٢٣	الجفكر ...	١١٨	أبرك ...
٢٩٨	الجلحاء ...	١٤٦	أيسل ...
٣٦٨	جمعة جسماء ...	٣١٣	أيسطن ...
٢٩٨	الجسماء ...	٨٨	أيلانة ...
٤١٥	جمن ...	٤٦	أهناق الطلبة ...
٩٢	جمنوما ...	٣٣٢	أيلح ...
٣٦٨	أجنتهم ...	١٨٨	أيلهار ...
٤١٠	جمنوى الأرض ...	٣٠١	أكر براس ...
١٨٠	جمنو القلو ...	١٨٨	أيلبار ...
٩٢	جاش الزنا لوت ...	٩٢	أيلباد والبيض ...
١٤٦	الجيميل ...	(ت)	
(ح)		٦٨	أشعل ...
٣٧٩	حبة ...	٢٨٦	أشعل على الأمر ...
٤١٠	أياب الحبروت ...	٤١٠	أشعل ...
٤٠٦	أشعل ...	١٤٦	أشعل ...

الصفحة الموضوع

١٧١	دَاكَا
٣٦٠	دَخَلَ
٣١٢	دَعَا
٣٥٩	دَعَاكَ
٧	دَعَاكَ
٤١٨	دَعَاكَ
١١٠	دَعَاكَ (شيطان)

(ذ)

٧٤	ذُحُول
٦٦	ذُحُول
١٧٦	ذُحُول

(ر)

١١١	رَبَّيْتَنِي
٢٠٤	رَبَّيْتَنِي وَجِهَهُ
٣٩١	رَبَّيْتَنِي
٣٢٩	رَبَّيْتَنِي
٦٤	رَبَّيْتَنِي
٩٤	رَبَّيْتَنِي
١٤٦	رَبَّيْتَنِي
٣٧	رَبَّيْتَنِي
٤٠٠	رَبَّيْتَنِي
٤١٥	رَبَّيْتَنِي
١٩١	رَبَّيْتَنِي
٣٤٠	رَبَّيْتَنِي
٢٨٣	رَبَّيْتَنِي
١٨٢	رَبَّيْتَنِي
٣٤٤	رَبَّيْتَنِي
٣٠٣	رَبَّيْتَنِي
١٠٠	رَبَّيْتَنِي
١٣٣	رَبَّيْتَنِي
١١٨	رَبَّيْتَنِي

الصفحة الموضوع

٣٤٥	رَبَّيْتَنِي
٣٢٠	رَبَّيْتَنِي
١٢٥	رَبَّيْتَنِي
٢٩٩	رَبَّيْتَنِي
١٩	رَبَّيْتَنِي
١١٨	رَبَّيْتَنِي
١٢٠	رَبَّيْتَنِي
٣١	رَبَّيْتَنِي
٣١٧	رَبَّيْتَنِي
١١٨	رَبَّيْتَنِي
٣٣٠	رَبَّيْتَنِي
٣٦٥	رَبَّيْتَنِي
٣٧٥	رَبَّيْتَنِي
٢١٣	رَبَّيْتَنِي
٨١	رَبَّيْتَنِي
٤٠٦	رَبَّيْتَنِي
٤٧	رَبَّيْتَنِي
٢٧	رَبَّيْتَنِي
١٨١	رَبَّيْتَنِي

(خ)

١٧٤	رَبَّيْتَنِي
١١٦	رَبَّيْتَنِي
٣٦٠	رَبَّيْتَنِي
٣٢٥	رَبَّيْتَنِي
٢٨٥	رَبَّيْتَنِي
٦٦	رَبَّيْتَنِي
٦٦	رَبَّيْتَنِي
١٥٦	رَبَّيْتَنِي
٢٧٣	رَبَّيْتَنِي
٣٤	رَبَّيْتَنِي

(د)

١٢	رَبَّيْتَنِي
----	--------------

الصفحة	الوصف	الصفحة
١٣٤	شكر	١٣١
١٣٧	شكر	١٣٠
٣١٦	شكر	٣٩٠
(ص)		٣٢٩
٣٢٨	صحت	(ق)
٨٨	صرد	٥٠
١٠٠	صرح	٤١٥
١٤٥	صفت	١٧٧
٣٦٤	صبر	٤١٥
(ض)		
٧	ضابحا	٣٩٤
١٤١	ضاح	٥٢
٢٢٩	ضفر	٢١٨
٣٥٩	ضبط	٣٥٨
(ط)		١٦٢
٦٥	طاع	١٧٧
١٦	طهم	١٠٢
١٧٧	طوق	٩٤
١٧٧	طوق	٤١٠
(ظ)		٤١٧
٧١	ظرب	١٥١
٤١٢	ظرب	١٠٩
٩٠	ظفر	٣٣٣
(ع)		١١٦
٦٨	صبيح	١١٩
١٥١	صباح	٣٣٤
٣٧١	صلى	٣٥٩
٢١٢	صرق	٣٠٦
٣١٠	صرق	١٧٥
٣٧٩	صرف	٦٨
١٤٦	صرك	١٢١
٤١٤	صرب	٢١٢
٣٣٠	صرب	١٠٤

الصفحة	الوصف	الصفحة
١٣١	وقو	١٣١
١٣٠	وقو	١٣٠
٣٩٠	وقو	٣٩٠
٣٢٩	وقو	٣٢٩
(ق)		
٥٠	قبح	٥٠
٤١٥	قبح	٤١٥
١٧٧	قبح	١٧٧
٤١٥	قبح	٤١٥
(س)		
٣٩٤	سبح	٣٩٤
٥٢	سبح	٥٢
٢١٨	سبح	٢١٨
٣٥٨	سبح	٣٥٨
١٦٢	سبح	١٦٢
١٧٧	سبح	١٧٧
١٠٢	سبح	١٠٢
٩٤	سبح	٩٤
٤١٠	سبح	٤١٠
٤١٧	سبح	٤١٧
(ش)		
١٥١	شبح	١٥١
١٠٩	شبح	١٠٩
٣٣٣	شبح	٣٣٣
١١٦	شبح	١١٦
١١٩	شبح	١١٩
٣٣٤	شبح	٣٣٤
٣٥٩	شبح	٣٥٩
٣٠٦	شبح	٣٠٦
١٧٥	شبح	١٧٥
٦٨	شبح	٦٨
١٢١	شبح	١٢١
٢١٢	شبح	٢١٢
١٠٤	شبح	١٠٤

الوصف الموضوع

١٤٣	١٨٩	٣٦٩	١٢٤	٣٧	٢٦٤	٣٧٢
١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١

(ق)

٢٥٨	١١٨	٢٢٨	٢٢٢	٢٨٧	٣٤	٢٠٠	١٣٢	٣٧	٢٩
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١

٣٧١	٤١١	٣٤٢	٣٣٧	٣٤٥	٩١	١٠٦	٢٦٤	٣٢٤
١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١

(ك)

٢٢٦	٤١٦	٧٩
١	١	١
١	١	١
١	١	١
١	١	١
١	١	١
١	١	١
١	١	١
١	١	١
١	١	١

الموضوع الوصف

٦٦	١٤٤	٩٣	١٦٩	١٤٢	٢١٢	١٨٦
١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١

٥٠	٤٠٨	١٤٩	١٧٨	٣٣٢	٢٢٩	٩٤	١٤٥	٣٩١	١٨٤	٣٠٣
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١

(خ)

٣١٢	٣٣١	٣٧٤	٢٠٦	١٤٦	٢٠٨
١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١

(ث)

٢٦٠	٤١٥	٤١٣	١٥٦	٤١٥	٢١٢	٢٧١	٣٧١
١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١
١	١	١	١	١	١	١	١

الترقيم	الموضوع	الصفحة
٣٥٩	تحلة القرد ..	٩٩
٢٨	تكريرة ..	١٧٠
٢٤	ت ..	٢٤
٤١٥	التخفيف ..	٢٠٤
٩٠	الآمال ..	(د)
١٧٢	يتسمى له عمله ..	١٢٤
١٨٩	تأمله في المكتبة ..	٣٧٠
١٧٩	تجبل تهتمتها في الرجل ..	٣٣٠

(هـ)

٣٢١	هجرة إليه ..	هجر
١١٢	هجري ..	١
١٤٦	كالت تهد ..	هدد
٤١٤	مهر فوئق ..	هرد
١٨٩	وتهاجر باها ..	هنا
٨٠	يهووشون ..	هوش
١٥٤	لا يهبطك ..	هيد

(و)

٣٣٦	أوجب الرجل ..	وجبه
٧٠	من كان له جملة ..	وجد
٣٣٣	الأوحاج ..	ودج
٣٣٨	حكة ..	وحن
١٤٦	وعش ..	وعش

(ي)

٣٢٧	يلى ..	يلى
١٣٢	قاة تيمر ..	ير

الترقيم	الموضوع	الصفحة
٩٩	الكرد ..	٩٩
١٧٠	الكرك ..	١٧٠
٢٤	إنا تكتشر ..	٢٤
٢٠٤	كرب لك ..	٢٠٤

(ل)

١٢٤	مستلشمو العلاج ..	لام
٣٧٠	أوله ..	لاى
٣٣٠	ابن لبون ..	لبن
٣٥٨	الحن عبيته ..	لحن
٦٦	لقتله ..	لقط
١٥٢	يتكلم ..	لفظ
١٥١	أخذ بكلمة مقيته ..	لزم
١١٧	لاؤوا ..	لوث
١٨٩	تكوط حوشها ..	لوط
٣٠٦	لزون وجهه ..	لزن
٥٤	يلوون السهم ..	لوى
٣٣٧	مقيح ..	لوع
٣٣٠	بت مخاض ..	لغض
١٦	مسك النور ..	مسك
٤٠٨	نوبان مستمران ..	مصر
٢١٧	الإملاجة ..	ملج
١١٥	لن غير ملامة ..	ملا
٣٦٥	سبي للكتكة ..	ملك
١٨٩	أمنح في ليل ..	منع
١٤٦	ميل ..	ميل

(ن)

٢٨	نبيع لم ملك ..	نوع
١٨٥	نحلة ..	نحل

اعلام المفسرين والفقهاء

(أ)

إبراهيم بن إسماعيل ابن حبة : ٣٥٤ ، ٣٥٣ .

إبراهيم التميمي : ٢٨ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،

١٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٥٨ .

أبي بن كسبة : ٨ ، ١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٧٥ ،

٢٩٨ ، ٣٦٧ .

أحمد بن حنبل : ١٢٣ ، ١٣٥ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،

٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٥٤ ،

٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧٩ ، ٣٥٢ .

إسحاق بن راهويه : ٢٠١ ، ٢١٧ ، ٣٥٢ .

الأسود بن يزيد : ٢٢٨ .

الأعمش : ١٩ ، ٩٩ .

أمن بن مالك : ١٨ ، ٦٨ ، ١٤٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦ ،

٢٤٦ ، ٢٧٣ .

(ب)

الباقر (أبو جعفر محمد بن علي) : ٧٥ .

البخاري : ٢٠٢ .

البراء بن عازب : ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

بريدة : ٢٤٦ .

أبو بكر الصديق : ٢٠١ .

(ت)

ابن تيمية : ٢٢٠ ، ٣١٨ .

(ث)

ثابت بن الحجاج : ٢٧٦ .

الثوري : ٢٤٤ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٧٨ ، ٣٤٤ ،

٣٤٧ ، ٣٦٤ .

أبو ثور : ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٦٠ .

ص

(ج)

جابر بن عبد الله : ١٣٩ ، ٢٢٤ ، ٣٥٢ .

ابن جريج : ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ،

٤٣٤ ، ٣٩٨ .

جرير : ٣٩٩ ، ٤٠٥ .

(ح)

ابن حزم : ٢٢٠ ، ٣٥٢ .

الحسن البصري : ٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٥٤ ،

٥٥ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٨٨ -

٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ،

١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ،

١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ،

٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ ،

٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ،

٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣١٦ ،

٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٣٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٧ ،

٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٩٤ ، ٤٠٤ .

الحسن بن زياد : ٢٠٢ .

الحسن بن صالح : ١٣٨ .

الحسن بن محمد : ٢٢١ .

الحسن بن مسلم : ٢٧٤ .

الحكم بن حنيفة : ٢٧٤ ، ٣٥٢ ، ٣٦٨ ، ٣٨٠ .

حماد : ٣٥٢ .

أبو حنيفة : ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ ،

٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٢٧٥ ، ٣٤٧ .

(د)

داود بن علي الظاهري : ٢٠٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٦٠ ،

٣٤٧ .

(د)

الربيع بن أنس : ٣٠٤ : ١٦٠٨ : ٤٠٤ : ٣٠٤ : ٧٨٠ : ٣٠٤
 ٩٣ : ٨٨ : ٨٦ : ٧٧ : ٧٢ : ٦٨ : ٥٦ : ٥٤ : ٩٣
 ٢١٤ : ٢٠٨ : ١٤١ : ١٣١ : ١١٨ : ١١١ : ٩٤ : ٢١٤
 ٢٩٧ : ٢٩٨ : ٣١٠
 الربيع بن حاتم : ٧٢
 ويحيى بن أبي عبد الرحمن : ١٩٠ : ١٩٣ : ٢٢٧
 ويحيى بن عمرو الجعفي : ٢١٥
 أبو ذؤيب : ١٨٥
 الروياني (القاضي) : ٢٤٩

(ز)

زبد بن حيش : ٢٧٨
 زفر بن الحليل : ٢٠٧
 الزهري : ٤٦ : ١٨٠ : ٢١٠ : ٢١٦ : ٢١٩ : ٢٢١
 ٢٧٣
 زيد بن أسلم : ٧٢ : ١٩٣ : ٢٠٤ : ٢٠٩ : ٢١١ : ٢١٦
 ٢٥١ : ٢٦٠ : ٢٦٣ : ٣٠٠ : ٣٥٧
 زيد بن ثابت : ١٩٩ : ٢٠٩ : ٢١٨ : ٢١٩ : ٣٣٣

(س)

سالم بن عبد الله : ٢٢٨ : ٣٥٧
 السدي :

[ملاحظة : سقط سهواً من فهرسة الجزء الأول إثبات
 هذه الأرقام] : [٥٧ : ٦٠ : ٧٠ : ٧٣ : ٧٧ : ٧٩ : ٨١ : ٩١ : ١٠٠ : ١٠٦ : ١١١ : ١١٢ : ١١٤ : ١١٨ : ١١٩ : ١٢٠ : ١٢٨ : ١٣٠ : ١٣٢ : ١٣٣ : ١٣٤ : ١٣٨ : ١٣٩ : ١٤٠ : ١٤٥ : ١٤٦ : ١٤٧ : ١٤٩ : ١٥٠ : ١٥٢]

فهرسة السدي في الجزء الثاني :

٦٤ : ٦٢ : ٥٦ : ٣٤ : ٣٠ : ٧٨ : ١٦ : ٥٤ : ٦٤
 ١١١ : ٩٤ : ٩٠ : ٨٨ : ٨٧ : ٨٦ : ٧٢ : ٦٥ : ١١١
 ١١٢ : ١١٨ : ١٢٤ : ١٣٨ : ١٤٣ : ١٤٨ : ١٦٠ : ١٦١
 ١٨٥ : ١٨٧ : ١٩٠ : ٢٠٥ : ٢٠٦ : ٢١١ : ٢١٣ : ٢٢٥ : ٢٢٦ : ٢٢٧ : ٢٢٨ : ٢٥٠ : ٢٥٣ : ٢٥٧ : ٢٥٨ : ٢٩٢ : ٢٩٣ : ٢٩٧ : ٣٠٩ : ٣١٣ : ٣١٦ : ٣١٧ : ٣١٨ : ٣٢٧ : ٣٢٨ : ٣٢٩ : ٣٤٣ : ٣٥١ : ٣٥٧ : ٣٦٧ : ٣٦٨ : ٣٦٩ : ٣٧٧ : ٣٩٩ : ٤٠٥
 سديد بن أبي وقاص : ٢٠١
 سديد بن جابر : ٤ : ١٦ : ٥٤ : ٢٨ : ٣٠ : ٦٤ : ٦٥ : ٦٨ : ٧٢ : ٨٨ : ١١١ : ١٣٨ : ١٤٣ : ١٨٠ : ١٨٥ : ١٨٨ : ١٩٠ : ١٩١ : ١٩٢ : ٢٠٤ : ٢١١ : ٢١٤ : ٢١٧ : ٢٢٦ : ٢٢٨ : ٢٢٩ : ٢٣٠ : ٢٣٢ : ٢٤٧ : ٢٥١ : ٢٥٣ : ٢٦٣ : ٢٦٨ : ٢٧٤ : ٢٧٥ : ٢٩٣ : ٣٢٤ : ٣٣٩ : ٣٧٣ : ٣٧٧ : ٣٨٠ : ٣٩٣ : ٣٩٩
 سديد بن السائب : ١٨٠ : ١٩٣ : ٢٠١ : ٢١١ : ٢١٦ : ٢٢٤ : ٢٥٣ : ٢٥٥ : ٢٦٩ : ٣٨١
 سديد بن جابر : ٢١١
 سفيان بن حسين : ١٨٠
 سفيان بن حنيفة : ١٩٦
 أبو سلمة بن عبد الرحمن : ١٧١ : ٣٣٣ : ٣٦٧
 سفيان بن عمار : ٢١٧ : ٣٨١
 أبو سنان : ١٦ : ٧٢
 سهل بن حنيف : ١٧
 السهيلي : ١١١ : ١٩٧ : ٢١٥
 (ش)
 شاذ بن يحيى : ٤٣١
 الشاذلي : ٢٠١ : ٢٠٢ : ٢١٦ : ٢١٩ : ٢٢٢ : ٢٢٥

٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٤٠٤ .

عبد الرحمن بن عبد الله بن أبيزي : ١٦٤ :

عبد الرحمن بن حوف : ١٢٣ .

عبد السيد بن محمد أبو نصر بن الصباغ : ٣٠٦ .

عبد الكريم بن مالك الخزري : ٣٩٤ .

عبد الكريم بن محمد الرافعي : ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

عبد الله بن رباح : ٣٢٤ .

عبد الله بن عباس : ٤٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٠ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٧ ،

٦٨ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ،

٩٩ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤٣ ،

١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،

١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ،

١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ — ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ،

٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،

٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ — ٢٥٣ ، ٢٥٣ ،

٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،

٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ — ٢٩٨ ، ٢٩٨ ،

٣٠٣ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ،

٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٦ ،

٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٣ ،

٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ،

٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ،

٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٣٣ ،

عبد الله بن عمر : ٦١ ، ٩٦ ، ١١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٦٧ ،

٢٧٦ ، ٣٥١ ، ٣٦٨ .

عبد الله بن عمرو : ٢٤٠ ، ٢٤٥ .

عبد الله بن كثير : ٢٥٠ ، ٢٧٤ ، ٣٢٤ ،

عبد الله بن المبارك : ٢١٠ =

عبد الله بن مسعود : ٨١ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ٩٠ ، ١١١ ،

١٢٥ ، ١٧٨ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢١١ ،

٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ،

٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٩٨ ، ٣٥٧ ، ٣٦٨ ، ٣٩٢ ،

٣٩٣ ، ٤٣٣ .

عبد الله بن واقد بن رجاء الهروي : ٢٦٥ .

٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،

٢٨٠ .

شرح القاصص : ٢٠١ .

شريك : ٢٠١ .

الشعب (حاصر) : ٥٤٤ ، ٩٣ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ،

٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ،

٢٥٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٩٣ ، ٣١٠ ، ٣٣٠ ،

٣٨٠ .

أبو الشعثاء (جابر بن زيد) : ٧ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ،

١٩٣ ، ٢٠١ .

أبو شوشب : ٣٠٠ .

أبو شوب : ٣٣١ .

(حصر)

أبو صالح : ٣ ، ٩٤ ، ١٣٨ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ،

٢١١ ، ٢٥١ ، ٢٩٧ ، ٣١٩ ،

(حصر)

الفضائل : ٤ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ،

٥٥ ، ٦٢ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،

١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،

٢٢٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ،

٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣١٣ ، ٣٣٣ ، ٣٤٣ ،

٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٣٩٣ ، ٤٠٥ ،

(ط)

طالوت : ٥٦ ، ٧٢ ، ١٣١ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٩ ،

٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٧٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،

(ط)

أبو العالية : ٣٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٥ ،

٢٩٣ ، ٣٠٣ .

حاشية : ٧٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢١٧ ، ٣٦٧ .

عبد الرحمن بن أبي بكر : ١٩٢ .

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ٣٠ ، ١١١ ، ١١٢ ،

١١٨ ، ١٨٥ ، ٢١١ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ،

مقاتل بن حيان : ٤٤ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ،

١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،

٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥ ، ٣١٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٧ ،

٣٨٢ ، ٣٨٧ ،

مقسم : ٢٥٨ .

مكحول : ٩٤ ، ١٩٢ ، ٢٢١ ،

ابن أخت مليكة : ٣٨٢ .

أبو موسى : ١٨٧ ، ١٩٢ ،

ميمون بن مهران : ٦٤ ، ٢٦١ ،

(ن)

نافع بن يزيد : ٩ ،

النصر بن عرق : ٣٩٣ ،

أبو نوح : ٧ ،

نوف البكالي : ٢٦١ ،

(هـ)

نقروى (أبو سعيد) : ٢٤٩ ،

أبو هريرة : ١٨٧ ، ٢٢٧ ، ٢٦٨ ، ٣٩٣ ،

(و)

وهبة بن مليه : ٣٨ ، ٥٤ ، ١٦٠ ، ٤٠١ ،

(ي)

يحيى بن زيد الحضرمي : ٢٩٦ ،

يحيى بن سعيد الأنصاري : ١٩٠ ، ٢٧٣ ،

يحيى القطان : ٢٧٨ ،

يحيى بن أخت كثير : ٣٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٧ ،

يحيى بن يعمر : ٥ ، ١٩٢ ،

أبو يوسف : ٣٥٣ ،

٢١٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ،

٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،

٢٨٥ ، ٢٩١ — ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ،

٣٠٤ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٤٣ ،

٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٧ ، ٣٥٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ،

٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٣١ ،

أبو ملجل : ٢١٠ ،

محمد بن إسحاق : ٥٠ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٦ ،

٧٤ ، ٩٦ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٧١ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ،

١٤٤ ، ٣٢٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،

محمد بن جرير الطبري : ٨ ، ١٣ ، ٢٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،

١٩٣ ، ٢١١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٥٥ ،

٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٤ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ ، ٤٠٣ ،

٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٢١ ،

محمد بن جعفر بن الزبير : ٥٨ ،

محمد بن سيرين : ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢١١ ، ٢٢٣ ،

٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٤٠٥ ، ٤٣٨ ،

محمد بن عبد الله بن الهبان البصري أبو الحسين : ١٩٨ ،

٧٠٢ ،

محمد بن حلي : ٣٥٧ ،

محمد بن كسبة القرظي : ١٧٠ ، ٢٥٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٧ ،

٤٢٢ ،

محمد بن نصر المروزي : ٣٥٢ ،

مرة الممداني : ٧٢ ،

مسروق : ٢٠١ ، ٢٧٣ ، ٣٦٩ ،

مطر الوراق : ٣٨ ،

معاذ بن جبل : ١٩٨ ، ٢٩٦ ،

مغيرة بن حاكم الصنعاني : ٢٤٨ ،

فهرس الشعر

الصفحة	الشاعر	القافية	الصفحة	الشاعر	القافية
	(ب)			(ب)	
١٨٤	أحيحة بن الجلاح	يَعْلِيْ	١٦٥	كعب بن سعد الفزري	عجيب
١٢	أمرؤ القيس	وَحْمَل	١٧٦	عبد الله بن المبارك	تلعب
١٢	أبو طالب	عَاسِل	١٧٦	د د د	تخضب
٦٥	أبو طالب	فَاعِل	١٧٧	د د د	تصب
١٨٥	د د	عَاسِل	١٧٧	د د د	الأطيب
١٤٦	محمّد الخزاعي	الأبَاح	١٧٧	د د د	يكذب
١٤٦	د د	مَعَانِل	١٧٧	د د د	تكتب
١٤٦	د د	عَلُول	١٧٧	د د د	يكذب
١٤٦	د د	بالجمل	٣١٦	أبو مسهر	نصيب
١٤٦	د د	مَقُول	٣١٦	د د	قريب
١٤٦	د د	بالقيل	٣٤٤	ثابتة بن جعدة	للهراب
١٦٦	د د	يَاسِي		(د)	
١٨٢	جرهم	وَعَال	١٦٥	د د د	عبرة
٣٢٩	د د	مَرَحَل		(ح)	
١١٨	عبد الله بن الزهير	قَد فَعِل	٣٢٢	الطرماح بن حكيم	والقادة
١١٨	د د د	فَعِل		(د)	
١١٨	د د د	الأسفل	٢٦٦	علي بن زيد	يقننى
١١٨	د د د	الأسفل		(د)	
١١٨	د د د	للجبل	٣١٧	علي بن زيد	الحماير
١١٨	د د د	فاحتك	٣١٧	د د د	وكور
	(ع)		٣١٧	د د د	مهجور
٣٠٦	-	الأكمر	٩٥	د د د	العشرا
٣٠٦	-	الكرم	١٨٨	الكثير	إبتارا
٢٧٩	أمرؤ القيس	دَاسِم	٤٢١	الخرنق	الجزر
٢٧٩	د د	طَام	٤٢١	د	الأرد
٣١٦	زهير بن أبي سلمى	بَحْم	١٦١	الحسين بن عبد الرحمن	العبر
	(هـ)		١٦١	د د د	على خطر
٢٥٢	القنصل بن النحاس	مَدْلُوقَا	١٦١	د د د	وما شعر
	(هـ)		١٦١	د د د	الزهر
٢٥٩	ابن الأبرق	كَلَا	١٦١	د د د	الشجر
	قصائد الأبيات		١٦١	د د د	الشعر
٣٧٧	وَأَلَسْتُ كَفَى كَفْهُ أَطْلَبُ لَنَى		١٦١	د د د	بالعبر
	فهرس الرجال		١٦١	د د د	لمعبر
١٤٩	محمّد بن أبي سعيد	مُحَمَّد	١٦١	د د د	اعتبر
١٤٩	د د د	كَالسَّجْد		(ع)	
١٤٩	د د د	الألد	٣١٧	د د د	ومريما
١٤٩	د د د	مَوْعَى	٣١٧	د د د	ما
١٤٩	د د د	لنشد			

فهرس البلدان والمواضع والوقائع

(د)

داريا : ١٦٠
مشرق : ٤١٤ ، ٤١٧ ، ٤١٨

(ذ)

ذات الحيش : ٢٨٧
ذات القراع : ٣٥٣
ذو اللجاز : ١٧١

(ر)

الروحاء : ١٤٥
الروم : ١٣٥ ، ١٧٦

(س)

سجستان : ٤٢٣
السنج : ١٠٩

(ش)

الشام : ٣٧ ، ٨٦ ، ١٠٣ ، ١٦٠ ، ٣٤٢ ، ٤١٠
٤١١ ، ٤١٧ ، ٤١٤ ، ٤١٧

(ص)

الصفراء : ١٤٥
الصفاء : ١٥٩ ، ١٦٤

(ض)

ضابرج : ٢٧٩
ضجستان : ٣٥١

(ط)

الطائف : ١٨٧ ، ٢١٩
طبرية : ٤١٥
طرسوس : ١٧٦
طقار : ٢٨٣

(ع)

حلب : ٤١٧
الحراق : ٤١١ ، ٤١٤
حُصْنَان : ٣٥١
حصلان : ١٦٢
عكاظ : ١٤٦

(ف)

فلك : ١٥٦
فلسطين : ٤١٢

(ق)

قلبيد : ٨٢ ، ١٤٩
القسطنطينية : ٣٩

(أ)

أحد : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٠ ، ٢٥٠

الأردن : ٣٤ ، ٤١٠

الإسكندرية : ٤٣٢

أصفهان : ٨٦

إزم : ٣٣٧

ألفي : ٤١٠

(ب)

باب لت : ٢٠٦
بئر مروة : ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣

البحرين : ٤١٠

بدر : ١٣ ، ١٤ ، ٤٦ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٦

١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٣٢٧

بركة النباد : ١٢٨

بست : ٤٢٣

البصرة : ١١١ ، ١١٣ ، ٢٩٣

بطن رابع : ١٢١

بعلث : ٧٤

بنباد : ١٦١

بيت القلمس : ٢٦ ، ٣٤ ، ٢٨٥ ، ٤١٢

(ج)

الجبية : ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٣٤٦

الجلبية : ٤٦ ، ١٢٩ ، ٣٢٨

الجرة : ٧٤

الحضير : ٣١٧

حضر موت : ٥٢

حبراء الأسد : ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧

حنج : ٩٢

حوران : ٤١٠

الحيرة : ٤١٠

(ح)

الحلق : ٩١ ، ١٢٩ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤

حمير : ١٣٤ ، ٢٢٤ ، ٣٥٣

٢٩٤، ٢٥٣، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٢٩، ٣٤٢، ٣٤٨، ٤١٢، ٤١٢

نقى : ٣٤٩

(د)

نجران : ٣، ٤٠، ٤٧، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧

٤٧، ٥٤

سروان : ٧

(هـ)

حملان : ٤٣

(و)

وراء النهر : ١٤٣

(ى)

البرموك : ٦٤

البيد : ٢٣٩

اليرقان : ٢٨

(ك)

الكبيد : ٨٧

الكرة : ١٩، ١١١

(د)

ك : ٤١٧، ٤١٧، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧

(م)

للنبية : ١٧، ٤١، ٤٤، ٥٨، ٦٠، ٧٥، ٧٧

٨٦، ٩١، ٩٧، ١٠٩، ١٢٩، ١٣٨، ١٤٣

١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨

٢٨٥، ٢٨٦، ٢٤١، ٣٤٢، ٣٤٨، ٣٥٩، ٤١٢

مصر : ١٢٦

مكة : ١١، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧٦، ٧٧، ٩١

١١٣، ١١٧، ١٢٠، ١٣٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩

١٥٩، ١٧٧، ١٨٢، ٢١١، ٢٢٢، ٢٢٦

القبائل والطوائف ونحوها

(خ)

حيد الأشعل : ١١٨، ١٣٣، ١٤٤

حيد اللار : ٩١، ١٢١

حيد القيس : ١٤٦

بنو عدى : ١١٧

بنو عمرو بن حوف : ٩١

(ق)

قريش : ١٢، ١٣، ٣٢، ٩٢، ١١٥، ١١٧

١٤٦، ١٤٩، ١٥٦، ٢١١، ٣٢٨، ٤١٣

بنو قريظة : ٥٦، ٨٦، ١٥٩، ١٦٤

بنو قيس : ١٢، ٨٦

(ك)

كنانة : ٥٧

(د)

قوم لوط : ٢٠٥

(م)

مضر : ٩٧

للهاجرون : ١٠٩، ١١٧، ١٢٢

(ن)

بنو النجار : ٩١، ٣٥٤

بنو النضير : ٨٦، ٢٨٧

الأزد : ١٣٧

الأصهار : ٣٧، ٤٨، ٥٨، ٧٣، ٧٤، ١٠٩

١١٥، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٣٣، ١٦٥

الأوس : ٧٤

(ث)

ثقف : ١٨٢

(ج)

جميع : ١٧٠

(ح)

بنو الحارث بن الخزرج : ١٥٦

بنو حارثة : ٩٢

حصير : ٤٣

(خ)

خزاعة : ١٤٥

الخزرج : ٧٤

(س)

بنو سلمة : ٩٧، ١٣٨

بنو سليم : ٣٣٦

تصويبات

صفحة	سطر	الخطا	التصويبات
١٣	٥	وَمَسْكُورٌ	وَمَسْكُورٌ
١٤	الثاني من التعليق	كتاب الكفاح	كتاب الكفاح
٧٦	٣	ثُجَارِب	ثُجَارِب
٨٢	١٢	وَأَذَى	وَأَذَى
١٠٢	١٥	رُوحٌ هـ	رُوحٌ هـ
١٢٠	٢٢	أَيُّ	أَيُّ
١٣٥	١٠	الْأَكْدَوِيَّة	الْأَكْدَوِيَّة
١٧٠	١٤	يُرَابُطُونَ (٣)	يُرَابُطُونَ
١٨٠	٢	النَّمَكُ	النَّمَكُ
١٨٥	الرابع من التعليق	لَا يَحْصِي	لَا يَحْصِي
٢١٥	٢٥	الْجَرْمَى	الْجَرْمَى
٢١٦	١٩	عَمْرُو حَزَم	عَمْرُو حَزَم
٢٢٣	٥	[عَل] (١)	[عَل]
٢٢٣	٩	الْعَدَد	الْعَدَد (١)
٢٣١	١٩	صِفَة	صِفَة
٢٣٨	الأول من التعليق	سَدُّ أَيْ دَاوُدَ	سَدُّ أَيْ دَاوُدَ
٢٤٥	٢٣	مَنْ مَسْرُوقٌ	مَنْ مَسْرُوقٌ
٢٤٩	١٧	قَالَ : أَمِيرًا أَيْنَ الْمُبَارَكِ	قَالَ : أَمِيرًا أَيْنَ الْمُبَارَكِ
٣٦٥	١٣	سَرِيحٌ أَيْ يُونُسَ	سَرِيحٌ أَيْ يُونُسَ
٢٨٥	٢٢	لِلْحَكَمِ بَيْنَ حَتِيَّةَ	لِلْحَكَمِ بَيْنَ حَتِيَّةَ

استدراكات

الصفحة	السطر	
٨٠	٣	السطر الثالث متصل بالسطر الثاني ، فكلمة « أئ » وما بعدها موضعها في السطر الثاني .
٢٢١	١٤	السطر الثالث من التعليق ، تكمله : « الحديث ٢٧٤٣ : ٢٧٧٣ » .
٢٤٠	١٤	وضعت هذه العبارة : « غريب من هذا الوجه » في منتصف السطر ، وصوابا أن توضع في أوله ، فيين تعليق على حديث ابن أبي حاتم ،
٢٤٣	٨	ذكر ابن أبي حاتم في سننه : « أحمد بن حنبل في حاتم » ، وقد حلقتا حل هذا الروي في التعليق رقم (٥) بأننا لم نجده . وقد ترجم له ابن أبي حاتم في البحر والتبديل ١٧/١٦١ وقال : سمعت منه ، وكان صدوقا .
٢٥٩	٢٠	في بداية هذا السطر ، وقع هذا النص : « لو كما قال الرجل - وقالوا : ابن الأثير قلنا » . كلما ورد النص في خطوطنا والرملي : وقد حلقتا عند كلمة الرجل ، قلنا من صاحب نسخة الأحوزي ، قلنا : « لو : قلنا من الروي ، يعني : قال لفظ الحديث ، أو قال : لفظ الرجل » : ويبدو أن الصواب ماورد في رواية الطبري ، فصبه - بعد كلمة الحديث - : « وقال » لو كما قال الرجل فصبه . أضمو ، وقالوا : ابن الأثير قلنا فقد جرف البيت في الرملي ، وحصل فيه سقط .

تفسير سورة المائدة

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو معاوية شيعة، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسامة بنت يزيد قالت: «إني لأخلة بزمان المصباح ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ قرئت عليه «المائدة» كلها، وكانت من قلها تدق حصد الناقة» (١).

وروى ابن مردويه من حديث صالح بن سهيل، عن حاصم الأحول قال: حدثني أم حرو، عن عها: «أنه كان في سبيل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأت عليه «سورة المائدة»، فالتفت حتى لم يبق لها شيء» وقال أحمد أيضاً: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حبيب بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: «أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم «سورة المائدة» وهو راكب على راسه، فلم تصطح أن تحمله، فقرأ عنها».

فرد به أحمد (٢): وقد روى الترمذي عن قتبية، عن عبد الله بن وهب، عن حبيب، عن أبي عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو قال: «أكثر سورة أنزلت: [سورة المائدة والفتح] ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن» وقد روى عن ابن عباس أنه قال: «أكثر سورة أنزلت» إذا جاء نصر الله والفتح» (٣).

وقد روى الحاكم في مستدركه، من طريق عبد الله بن وهب بإسناده، نحو رواية الترمذي، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٤).

وقال الحاكم أيضاً: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر قال: قرئ على عبد الله بن وهب، لم يبق معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جابر بن نفير قال: «حجبت فدخلت على عائشة فقالت لي: يا جابر، اقرأ المائدة؟ قلت: نعم. فقالت: أما إنها أكثر سورة قرئت، فما وجدت فيها من جلال فاستحارها، وما وجدت فيها من حرام فحرمها» (٥). ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ورواه الإمام أحمد، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، وزاد: «وسألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم» قالت: القرآن (٦). ورواه النسائي من حديث ابن مهدي.

(١) مسند أحمد: ٦/٤٥٥، وفيه: «فك حصد الناقة».

(٢) مسند أحمد: ١٧٧/٢.

(٣) تحفة الأحوي، تفسير سورة المائدة: ٤٣٧/٨، ٤٣٧. وما بين القوسين مقتطع من مخطوطة الأثر.

(٤) المستدرک، تسميع سورة المائدة: ٣١/٢.

(٥) مسند أحمد: ١٥٥/٦.

في آية الحرام

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ مَا بَلَغَتْ لَكُمْ رِجْسَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا بَلَغَ عَلَيْكُمْ غَيْرُ حَيْلِ الصِّيدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ
 إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّعْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ
 وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَفُونَ فُضُلًا مِنْ رِيسِمٍ وَرِضْوَانًا وَإِنَّا حَاطَمٌ فَاصِقَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقُ
 قَوْمٍ أَنْ صَبَحَكُمْ مِنَ الصَّيْدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعْلَوْا عَلَى الْيَرِّ وَالنَّقْصِ وَلَا تَعْلَوْا عَلَى الْإِنْعَامِ
 وَالْعُتُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ②

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يمين بن حماد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا مسعر ، حدثني من وعرف -
 أو أحدهما - : أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود قال : أهدد لي . فقال : إذا سمعت الله يقول : (يا أيها الذين آمنوا)
 فآرعها سمك ، فآره غير يأمر به ، أو شر يحيى عنه .

وقال : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم - دحيم - ، حدثنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي ، عن الزهري
 قال : إذا قال الله (يا أيها الذين آمنوا) فاعلوا ، فالتبى صلى الله عليه وسلم منهم .

وحدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا الأعمش ، عن عيشة قال : كل شيء في القرآن (يا أيها
 الذين آمنوا) فهو في العروة : « يا أيها المساكين » .

فأما ما رواه عن زيد بن إسحاق الصائغ البغدادي ، حدثنا معاوية - يحيى ابن هشام - عن عيسى بن راشد ، عن
 حل بن بكعة ، عن حكيمه ، عن ابن عباس قال : « ما في القرآن آية (يا أيها الذين آمنوا) إلا أن حليا مبدعا وشرطها
 وأمرها ، وما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد إلا قد عوب في القرآن إلا حل بن أبي طالب ، فإنه لم يكتب
 في شيء منه » .

فهو أثر غريب ، وقلقه فيه تكارة ، وفي إسناده نظر ، قال البخاري : عيسى بن راشد هذا مجهول ، وغيره منكره
 قلت : وحل بن بكعة - وإن كان ثقة - إلا أنه شيعي غال ، وغيره في مثل هذا فيه تهمة فلا يقبل . وقوله : « ولم يبق
 أحد من الصحابة إلا عوب في القرآن إلا حليا » إنما يشير به إلى الآية الأخرى بالصلة بين يدي النجوى ، فإنه قد ذكر غير
 واحد أنه لم يصل بها أحد إلا حل ، وتزل قوله : (ألعنهم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلم ففعلوا وتاب الله
 عليهم) (١) ... الآية . وفي كون هذا حثيا نظر ، فإنه قد قيل : إن الأمر كان ندبا لا إيجابا ، ثم قد نسخ ذلك منهم قبل
 الفعل ، فلم ير من أحد منهم خلافه . وقوله من حل : « إنه لم يمان به شيء من القرآن » ، فيه نظر أيضا ، فإن الآية
 التي في الأفعال التي فيها الممانعة على أخذ القداء عمت جميع من أشار بأعبله ، ولم يسلم منها إلا عسر بن الخطاب رضي الله
 عنه ، فلم بهذا ، وما تقدم ضمنت هذا الأثر ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث ، حدثني يونس قال ، قال محمد بن مسلم : قرأت كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه لعمر بن حزم حين بعث إلى نجران ، وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم ، فيه : « هذا بيان من الله ورسوله : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) » ، فكتب الآيات منها حتى بلغ : (إن الله سريع الحساب) (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا محمد بن إصحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه قال : « هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ، الذي كتبه لعمر بن حزم ، حين بعث إلى اليمن يفتكهم أهلها ويعلمهم السنة ، وأخذ صنفاتهم . فكتب له : كتابا وهذا ، وأمره فيه بأمره ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله ورسوله : (يا أيها الذين آمنوا ، أوفوا بالعقود) عهد من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم ، حين بعث إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

قوله تعالى : (أوفوا بالعقود) ، قال ابن عباس وعجايد وغير واحد : يعني بالعقود : اليهود : وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك (٢) ، قال : « اليهود ما كانوا يتعاملون عليه من الحلف وغيره . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يعني باليهود ، يعني ما أحل الله وما حرم ، وما فرض وما حذر في القرآن كله ، فلا تفردوا ولا تنكروا ، ثم شدد في ذلك فقال : (والذين يتفخرون عهد الله من بعد ميثاقه ويفطنون ما أمر الله به أن يوصل) ... إلى قوله : (صوة النار) (٣) » .

وقال الضحاك : (أوفوا بالعقود) قال : ما أحل وما حرم ، وما أخذ الله من الميثاق على من أقر بالإيمان بالنبي والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من القرائن من الحلال والحرام .

وقال زيد بن أسلم : (أوفوا بالعقود) ، قال : هي سنة . عهد الله ، وعقد الحلف ، وعقد الشركة ، وعقد البيع ، وعقد الكفاح ، وعقد اليمين ،

وقال محمد بن كعب : هي خمسة ، منها : حلف الجاهلية ، وشركة المقارضة . (٤) ،

وقد استدل بعض من ذهب إلى أنه لا خيار في مجلس البيع بهذه الآية : (أوفوا بالعقود) ، قال : فلوما بدل حل لزوم العقد ولزومه ، فيقتضي نفي خيار المجلس ، وهذا مذهب أبي حنيفة ، ومالك . وخالفهما الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والجمهور . والحجة في ذلك ما ثبت في الصحيحين ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » وفي لفظ البخاري (٥) : « إذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا » . وهذا صريح بالخيار ما لم يتفرقا .

(١) تفسير الطبري : ٤٠٤/٩ .

(٢) تفسير الطبري : ٤٤٩/٩ .

(٣) تفسير الطبري : ٤٠٢/٩ .

(٤) شركة المقارضة : هي التي يكون جميع ما يملكه بينهما .

(٥) البخاري ، كتاب البيوع : ٧٦/٤ . ومسلم ، كتاب البيوع : ٩/٥ .

(٦) كتاب البيوع : ٨٤/٣ .

في إباحة حمار الغنم المنصب لمقد البيع ، وليس هذا منافياً لزوم العقد ، بل هو من مقتضياته شرعاً ، فالترامه من تمام الوقوف بالعقد .

وقوله تعالى : ﴿ حِلٌّ لَكُمْ جِذَاءُ الْأَنْعَامِ ﴾ هي : الإبل ، والبقر ، والغنم ، قاله الحسن زكاة وغير واحد : قال ابن جرير : « وكله هو عند العرب » ، وقد استدل بن عمر ، وابن عباس ، وغير واحد بهذه الآية على إباحة الجذير إذا وجد منها في بطن أمه إذا ذبح ، وقد ورد في ذلك حديث في السنن ، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، من طريق جهالة ، عن أبي الرواحن جبر بن نوح ، عن أبي سعيد ، قال قلنا : « يا رسول الله ، نلصق البقرة أو الشاة في بطنها الجذير ، ألقية أم لا كله ؟ قال : كلوه إن شئتم ، فإن ذكاه ذكاة أمه » ، وقال الترمذي : حديث حسن (١) .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عتاب بن بشير ، حدثنا هيب الله ابن أبي زياد قتلحاح للمكي ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذكاة الجذير ذكاة أمه .

فرد به أبو داود (٢) .

وقوله : ﴿ إِنْ مَا يَبْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني بذلك : الميتة ، والدّم ، وأحم الخنزير ، وقال قتادة : يعني بذلك الميتة ، وما لم يذكر اسم الله عليه .

والظاهر - والله أعلم - أن المراد بذلك [قوله] : (حرمت عليكم الميتة ، والدّم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، وللمنطق ، وللقردة ، والقرية ، والطحمة ، وما أكل السبع) ، فإن هذه وإن كانت من الأنعام إلا أنها تحرم بهذه العوارض ، ولما قال : ﴿ إِنْ مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصَبِ ﴾ يعني منها ، فإنه حرام لا يمكن استوائه ، وتلاحقه ، ولما قال تعالى : ﴿ أُسْلِتَ لَكُمْ جِذَاءُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يَبْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ ، أي : إلا ما سبّل عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال .

وقوله : ﴿ خَيْرُ مَسْجَلٍ الْعَيْدُ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ ، قال بعضهم : هذا منصوب على الحال : والمراد من الأنعام : ما يمس الإتيان من الإبل والبقر والغنم ، وما يمس الوحش كالغنم والبقر والحمر . فاستثنى من الإتيان ما تقدم واستثنى من الوحش العبد في حال الإحرام .

وقيل : المراد أطلق الأنعام لكم في جميع الأحوال ، فحرموا العبد في حال الإحرام ، فإن الله قد حكم بهذا وهو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه ، ولما قال : ﴿ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَا يَبْلَى ﴾ .

ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ ، قال ابن عباس : يعني بذلك مناسك الحج .

وقال مجاهد : الصفا والمروة ، والمذئذ والبُئذ ، من شعائر الله .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأغناس : ١٠٢/٢ ، ونسقة الأحوش ، كتاب الصيد : ٤٨/٥ ، وابن ماجه ، كتاب القبايح ، الحديث ١٠٦٧/٢ : ٣١٩٩ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأغناس : ١٠٢/٢ : ١٠٤ .

وقيل : شعائر الله عماره ، أي لا تلغوا عمار الله التي حرمها تعالى ، ولهذا قال : (ولا الشهر الحرام) يعني بذلك تحريمه والأحزاب بتعظيمه ، ونزك ما نهي الله عن تعاطيه فيه ، من الابتلاء بالقتال وتأكيد اجتناب المحارم ، كما قال تعالى : (يستأنفونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) . وقال تعالى : (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) .. الآية .

وفي صحيح البخاري ، عن أبي بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع : « إن الزمان قد استفرغ كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمغرب ، ورجب مضى الذي بين جمادى وشعبان » (١) ،
وهذا يدل على استمرار تحريمها إلى آخر وقت ، كما هو ملحق طائفة من السلف :

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : (ولا الشهر الحرام) يعني : لا تستحلوا قتالا فيه : وكلما قال مقاتل بن حيان ، وعبد الكريم بن مالك الجزري ، واختاره ابن جرير (٢) أيضا وقد ذهب الجمهور إلى أن ذلك منسوخ ، وأنه يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم ، وأصحوا بقوله : (فاذا انسلك الشهر الحرام فاقطعوا للشركيين حيث وجدتمهم) قالوا : والمراد أشهر التيسير الأربعة ، قالوا : فلم يستثن شهرا حراما من غيره :

وقد حكى الإمام أبو جعفر الإجماع على أن الله قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم ، وغيرها من شهور السنة (٣) ، قال : « وكذلك أجمعوا على أن للشرك لو قُتل حقه أو ذراهيه بدماء جميع أشجار الحرم ، لم يكن ذلك له أمانا من القتل ، إذ لم يكن قتلهم له حقد فدية من المسلمين أو أمانا » (٤) . ولعله للمساواة بحث آخر ، له موضع أبسط من هذا :

وقوله : (ولا للمدنى ولا القلاد) ، يعني : لا تتركوا الإهداء إلى القلاد ، فإن فيه تعظيما لشعائر الله ، ولا تتركوا تقليدها في أعتاقها لتتميز به عما عداها من الأتنام ، وليعلم أنها هدنى إلى الكعبة فيجتنبها من يريدها بسوء ، ويثبت من يراها على الإيمان بطلها ، فإن من دعا إلى هدنى كان له من الأجر مثل أجر من أتبعه ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا . ولهذا لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهى على الكعبة ، وهو وادى الحقيق ، فلما أصبح طاف على نسائه ، وكن نساء ، ثم اغسل وتطيب وصلى ركعتين ، ثم أشعر هدنىه وقلدته ، وأهل بالطح والسمرة وكان هدبه بإلا كبرة تيسف على السنين ، من أحسن الأشكال والألوان ، كما قال تعالى : (ذلك ومن يظم شعائر الله : فإنها من تقوى القلوب) .
قال بعض السلف : إصطفاها : استصفاها واستمعناها .

وقال علي بن أبي طالب : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستشرف العين والأذن » . رواه أهل السنن (٥)

(١) صحيح البخاري ، تفسير سورة برائة : ٨٢/٦ ، ورجب حرم : شهر كانت حرم شهر تحريم فيه القتال .

(٢) تفسير الطبري : ٤٦٥/٩ .

(٣) ينظر تفسير الطبري : ٣١٤/٤ ، عنه قوله تعالى في سورة البقرة : (وما أولئك من الشهر الحرام قتال فيه)

(٤) تفسير الطبري : ٤٧٩/٩ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الأضحية : ٩٧/٣ . ونسخة الإعراف ، كتاب الأضحية : ٨٩/٥ . وابن ماجه ، كتاب

الأضحية أيضا ، الحديث ٣١٤٣ : ١٠٥٠/٢ . وصححه أجه : ٩٥/٦ .

وقال مقاتل بن حيان : (ولا اقتلوا) فلا تستلوا . وكان أهل الجاهلية إذا خرجوا من أوطانهم في غير الأشهر الحرم ، قتلوا أنفسهم بالشمر والوبر ، وقتلوا مشركو الحرم من لواء شجر الحرم ، فيأمنون به ، ورواه ابن أبي حاتم ، ثم قال :

حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، عن مقيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : نسخ من هذه السورة آيتان : آية القتل ، وقوله : (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) ، وحدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن ابن عون قال ، قلت للحسن : نسخ من المائدة شيء ؟ قال : لا .

وقال عطاء : كانوا يقتلون من شجر الحرم ، فيأمنون ، فنهى الله عن قطع شجره . وكذا قال مطرف بن عبد الله ، وقوله : (ولا آمين البيت الحرام يضيئون فضلا من ربهم ورضوانا) ، أي : ولا تستلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام ، الذي من دخله كان آمنا ، وكذا من قصد طائفا فضل الله وراحمها في رضوانه ، فلا تصلوه ولا تمنعوه ولا تحيروه .

قال مجاهد ، وعطاء وأبو العالية ومطرف بن عبد الله ، وعبد الله بن حبيب بن عيسى ، والربيع بن أنس وقنادة ومقاتل بن حيان في قوله : (يضيئون فضلا من ربهم) ، يعني بذلك : التجارة .
وملأ كما تقدم في قوله : (ليس عليكم جناح أن تصفوا فضلا من ربكم) (١) ،
وقوله : (ورضوانا) ، قال ابن عباس : يرضون الله سبحانه .

وقد ذكر عكرمة ، والسدي ، وابن جرير : أن هذه الآية نزلت في الخطل من عند البكرى ، كان قد أغار على مرسح المدينة ، فلما كان من العام المقبل احتضر إلى البيت ، فأراد بعض الصحابة أن يرضوا في طريقه إلى البيت ، فأثرت الله عز وجل : (ولا آمين البيت الحرام يضيئون فضلا من ربهم ورضوانا) (٢) .

وقد حكى ابن جرير (٣) الإجماع على أن المشرك يجوز قتله ، إذا لم يكن له أمان ، وإن أم البيت الحرام أو بيت المقدس ، فإن هذا الحكم ممتنع في حقهم ، والله أعلم . فاما من قصد بالإغدا فيه والشرك عنده والكفر به ، فهبنا يمنع كما قال : (يا أيها الذين آمنوا ، إنما للمشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) . ولهذا يثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم عام نجس - لا أمر الصديق على المسيب - حكياً ، وأمره أن ينادى على سبيل النياحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرامة ، وأن لا يصيح بعد العام مشرك ، ولا يطوفن " بالبيت حريان " (٤) .

(١) ينظر فيما تقدم : ٣٤٩/١ من سورة البقرة .

(٢) تفسير الطبري : ٤٧٢/٩ ، ٤٧٣ .

(٣) تفسير الطبري : ٤٧٩/٩ .

(٤) رواه البخاري من تفسير سورة براءة عن أبي هريرة : ٨١/٦ .

.. وقال ابن أَرُو: مألوفة عن ابن عباس قوله : (ولا آمين البيت الحرام) : يعني من توجه قبيل البيت الحرام ، فكان المؤمنون والمؤمنات يصحون البيت الحرام ، فنهى الله المؤمنين أن يصنعوا أصلاً يصح البيت أو يمرضوا له من مؤمن أو كافر ، ثم أنزل الله بصلتها : (إنما للمشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد ما همموا) ، وقال تعالى : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) ، وقال : (إنما يعمروا مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) . فنهى للمشركين من المسجد الحرام .

وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر ، عن قتادة عن في قوله : (ولا تقبلوا ولا آمين البيت الحرام) ، قال : متوخ ، كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تفكك من الشجر ، فلم يمرض له أحد ، وإذا رجع فقلد قلادة من شجر فلم يمرض له أحد . وكان المشرك يؤمد لا يمد من البيت ، فأمروا أن لا يقاتلوا في الشهر الحرام ولا عند البيت ، ففسخها قوله : (فاقبلوا للمشركين حيث وجدتموهم) .

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله : (ولا تقبلوا) (١) يعني : إن قلد قلادة من الحرم فأمره قال ولم يرك العرب صبر من أخفر قلداً ، قال الشاعر (٢) :

الْمَنْ تَقَشَّلَا الْحَرَجَيْنِ إِذَا حُورَ لَكُمْ (٣) . . . بَرَّانٍ بِالْأَيْدِي الْأَحْيَاءِ الْمُسْتَمِرَّةِ

وقوله : (وإذا حلقت فاصطادوا) ، أي : إذا فرض من إحرامكم وأحلقت من ، قد أصابكم ما كان حرماً عليكم في حال الإحرام من الصيد . وهذا أمر بعد الخطر ، والصحيح الذي يثبت على السبب (٤) : أنه يريد المحرم إلى ما كان عليه قبل النهي ، لأن كان واجباً وده واجباً ، وإن كان مسعياً فمستحب ، أو مباحاً فباح . ومن قال : (إنه على الوجوب) ، ينقض عليه بآيات كثيرة ، ومن قال : (إنه للإباحة) يريد عليه آيات أخرى ، والذي يتنم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه ، كما اختاره بعض علماء الأصول ، والله أعلم .

وقوله : (ولا يَجْزِيكُمْ شَتَاؤُكُمْ) إن صدوكم من المسجد الحرام أن تتطوا : ومن القرء من قرأ : (أن صدوكم) (٥) بفتح الألف من « أن » ، ومعتابها ظاهر ، أي : لا يحملكُم بفض قوم قد كانوا صدوكم عن الوصول إلى

(١) تفسير الطبري : ٤٧٨/٩ .

(٢) البيت لحليفة بن أسد الملقب ، ينظر ديوان الملقب : ١٩٤/٣ .

(٣) رواية الديوان : « ألم تقبلوا الحرجين إذا حوراك » . والحرجان : متى خرج - بكسر الحاء وسكون الراء - وهي الدومة . ومتى بالحرجين رجلين ، شبههما بالدومة في بياضها ، وأحوراك لكم : بدت لكم حورتها . وأمر الحبل : فله ، والعله ، فخر الشجر . والمضطر : الذي يهلك سفائر . ويروى : « حوراك لكم » بتشديد الواو . وفي تفسير الطبري : ٤٧٠/٩ : « حوراك » . (٤) . مير الأمر بجهه سراً : جهره ولعبره .

(٥) قال أبو حسان في البسر المصيط : ٤٢٢/٣ : « وقرأ أبو عمرو وابن كثير (إن صدوكم) بكسر المزة على أنها شرطية ، ولكن ابن جرير والشمس وغيرهما قراءة كسر » إن » وقالوا : إنما صد للمشركين الرسول والمؤمنين عام المدينة ، والآية أنزلت عام الفتح سنة ثمان والمدينة سنة ست ، كيف يصحون ضاوي في أيهم ؟ وهذا الإنكار منهم مله القراءة سبب جدا ، لأنها قراءة متواترة ، إذ هي في السبعة . والمضى منها صحيح ، والتقدير : إن وقع صد في المستقبل مثل ذلك الصمد الذي كان زمن المدينة . وهذا القبي تنزع في المستقبل ، وليس نزول هذه الآية عام الفتح جميعاً عليه ، بل ذكر البزي أنها أنزلت قبل أن يصوم ، قبل هذا القول يكون الشرط وانصافاً . وقرأ باقي السبعة « أن » بفتح المزة : بطلوه تطلبا لفتان وهي قراءة واحدة ، أي : فتلك قوم من أجل أن صدوكم عام المدينة عن المسجد الحرام ... » .

المسجد الحرام ، وذلك عام الحديبية ، على أن تعدوا حكم الله فيكم فقتضوا منهم ظمأ وعدواناً ، بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في كل أحد ، وهذه الآية كما سيأتي من قوله تعالى : (ولا يجرمكم شركان قوم على أن لا تعدوا ، اعتدوا هو أقرب تقوى) ، أى : لا يحلنكم بغض أقوام على ترك العدل فإن العدل واجب على كل أحد ، في كل أحد ، في كل حال ، وقال بغض السلف : ما عاملت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، والعدل به قامت السموات والأرض .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سهل بن عثمان (١) ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن زيد بن أسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدبية وأصحابه حين صد هم المشركون عن البيت ، وقد اشتد ذلك عليهم ، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق ، يريدون العمرة ، فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم : فأقول الله هذه الآية .

والشأن هو : البغض : قاله ابن عباس وغيره ، وهو مصدر من « شَتَّاهُ أَشْتَرُهُ شَتَانًا » بالتحريك ، مثل قولهم : « جَمَزَكَ ، وَدَرَجَكَ وَفَلَّكَ » ، من « جَمَزَ ، وَدَرَجَ » ، قال ابن جرير : من العرب ينسقط التحريك في شَتَان ، فيقول : شَتَان قال : ولم أعلم أحداً قرأ بها ، ومنه قوله الشاعر (٢) :

وَمَا الْبَيْشُ إِلَّا مَاتِحِبٌّ وَتَشْتَهِي وَكَانَ لَامٌ فِيهِ ذُو الشَّتَانِ وَفَتَدُ

وقوله : (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) ، يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات ، وهو البر ، وترك المنكرات وهو التقوى ، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمغرم

قال ابن جرير : الإثم : ترك ما أمر الله بفعله ، والعدوان : تجاوزة ما حذر الله في حينكم ، وجاوزة ما فرض عليكم في أنفسكم وفي حركم (٣) ،

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا حبيد الله بن أبي بكر بن أنس ، [عن جده أنس] بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . قيل : يا رسول الله ، هذا ينصرته مظلوماً ، فكيف أنصره إذا كان ظالماً ؟ قال : تحبزه تحبزه فإن ذلك نصره » (٤) ،

(١) في الخطوط : « سهل بن عثمان » ينظر البحر : ٢٠٣/١٧ . والتهذيب : ٢٥٥/٤ ، ٢٥٦ .

(٢) في المتن : « رجل يرمي رطله ورفلاً وأرطل : جر ذيله وتبخر » .

(٣) هو الأحوس بن محمد الأنصاري ، وهو شاعر إسلامي من شعراء المدينة ، لم يدخل البادية قط ، ولقصيدة التي منها هذا البيت قصة ، ينظر غيرها في كتابه والفتية على أروام أبي علي لقتال في أماليه : ٢٧ . والبيت كذلك في الشعر والشعراء : ٥١٩ ، واللسان : مادة : شَتَا . وتفسير الطبري : ٨٨٧/٩ . وفي كل حله للمراجع .

• وما البيش إلا ما تله وتفتى •

ولقد من التقديد ، وهو : القوم وتسميتهم للرأي .

(٤) تفسير الطبري : ٤٩٠/٩ .

(٥) مسند أحمد : ٩٩/٣ .

انفرد به البخارى من حديث ، هشيم بن نحوه (١) وأخرجه عن طريق ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتصر أخاك ظالما أو مظلوما . قيل : يا رسول الله ، هذا نصرته مظلوما ، فكيف أنصره ظالما ؟ قال : تمتعه من الظالم فذلك نصرته لياه »

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا صفيان بن سعيد ، عن يحيى بن وكاب ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن الذى يغتالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من الذى لا يغتالط الناس ولا يصبر على أذاهم (٢) » وقد رواه أحمد أيضا فى مسند عبد الله بن عمر : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة عن الأعمش ، عن يحيى بن وثاب ، عن شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمن الذى يغتالط الناس ويصبر على أذاهم ، خير من الذى لا يغتالطهم ولا يصبر على أذاهم (٣) »

وهكذا رواه الترمذى ، من حديث شعبة - وابن ماجه (٤) من طريق إسحاق بن يوسف - كلاما عن الأعمش ، به وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد أبو شيبة الكوفى ، حدثنا بكر بن عبد الرحمن ، حدثنا عيسى بن إسماعيل ، عن ابن أبي ليلى ، عن فضيل بن عمرو ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدال على الخير كفاعله » . ثم قال : لاتبعله يروى إلا بهذا الإسناد ،

قلت : وله شاهد فى الصحيح : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من أجروا من اتبعه إلى يوم القيامة ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا (٥) » وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء (٦) بن زريق الحمصى ، حدثنا أبو ، حدثنا عمرو بن الحارث ، عن عبد الله بن سالم ، عن الزبير بن عدي ، قال عباس بن يونس : إن أبا الحسن نمران بن خنجر حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مشى مع ظالم ليعينه ، وهو يعلم أنه ظالم ، فقد خرج من الإسلام »

حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَيْزُرِ وَمَا امْلَأَ لِلْفَيْرِ اللَّهُ بِهِ وَالْمُخَنَّفَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمَقْدَرَةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذِكْرُكَ فَقَدْ الْيَوْمَ يَهْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكَ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٠﴾

غير تعالى حياده خبرا متضمنا للنهي عن تعامله هذه المحرمات من لئيت ، وهى : ما مات من الحيوان حَتَفَتْ أُنْفُهُ ،

(١) صحيح البخارى ، كتاب اللطائم : ١٦٨/٣ . وكتاب الإكراه : ٢٨/٩ : ٢٩ .

(٢) مسند أحمد : ٣٦٥/٥ .

(٣) مسند أحمد : ٣٢٢/٢ .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، الحديث ٤٠٣٢ : ١٣٢٨/٢ .

(٥) سنن أبى داود كتاب السنة : ٢٠١/٤ .

(٦) من المجموع الصغير للطبرانى : ٢٥٨/١ .

من غير ذكاة ولا اعتقاد ، وما ذلك إلا **لأنهما** من **اللحمة** ، **لأن** فيها من **الدم** المحتقن ، **فهي** عذرة **للذين** **والذين** **فألقاها** سرهما **الله عز وجل** ، ويستثنى من **اللحمة** **لحمك** فإنه حلال سواء مات بتلكية أو غيرها ، **لأن** رواه مالك في موطنه ، **والشافعي** وأحمد في مستنهما ، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في مستنهما ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما ، عن أبي هريرة : **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ماء البحر** ، فقال : **هو الطهور ماؤه الحل ميتته** (١) .

وهكذا البراء ، لما سأل: من الحديث ، وقوله : (والأدم) يعني : المنفوح ، لقوله : (أودمأ.منفوحاً) . قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ٢ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا كبير بن همام اللخمي ، حدثنا محمد بن سعيد بن سابق ، حدثنا عمرو - يعني ابن قيس - عن مالك ، عن حكيم ، عن ابن عباس : أنه سئل عن الطحال قال : كلوه فقالوا : إنه دم . فقال : إنما حرم عليكم الدم المنفوح .

وكلنا رواء حماد بن سلمة ، عن يحيى بن سعيد عن القاسم ، عن عائشة قالت : [عاشى من الدم السالف ؟

وقد قال أبو عبد الله محمد بن إدریس الشافعی : حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم ، عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أول لنا ميثاق ودمان ، فأما الميثاق فالخوف والنجاة ، وأما الدمان فالكذب والطمع» (١)

وكذا رواه أحمد بن (٢) حنبل ، وابن ماجه : والدارقطني ، والبيهقي ، من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف . قال الحافظ البيهقي : ورواه إسماعيل بن أبي إدريس ، عن أسامة ، وعبد الله ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر ، مرفوعا .

قلت: وثلاثتهم ضطأء ، ولكن بعضهم أصلح من بعض : وقد رواه سليمان بن بلال أحد الأثبات ، عن يزيد بن أسلم عن ابن عمر ، قال فوقه بعضهم عليه ، قال الحافظ أبو زرعة الرازي : وهو أصح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسن ، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشلوبن ، حدثنا بشر بن سريع ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة - وهو صدق بن حجلان - قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومي أدعوهم إلى الله ورسوله ، وأعرض عليهم شرائع الإسلام ، فأتيتهم ، فبينا نحن كذلك إذ جاءوا بقصة من دم ، فاجتمعوا عليها

(١) سوطاً مالك ، كتاب الطهارة : ٢٢/١ ، ومستمعاً : ٣٣٧/٢ ، وسنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٢١/١ ، وعنفة الأسروسي ، كتاب الطهارة : ٢٢٥/١ ، والسناني ، كتاب المياه : ١٧٦/١ ، وابن ماجه ، كتاب الطهارة : المحدث ٣٨٦ : ١٣٦/١ .

(٢) مسته الشافى مل كتاب الأم : ٢٥٧/٦ ، ونصه «أحلت لنا ميتتان ودمان ، الميتتان : الخوت والجراد ، والدمان : أحسبه قال - : الكبد والطحال .

(٢) مستأجد : ٩٧/٧ ، وابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، الحديث ٣٣٦٤ : ١١٠١/٢ : ١١٠٢ .

يأكلونها ، قالوا لهم يا مبدئى ، فكُلْ : قال قلت : وبكم ! إنما أتيتكم من عند محرمٍ هذا عليكم ، وأمر الله عليه قالوا : وما ذلك ؟ قال : بخلت عليهم هذه الآية : (حرمت عليكم الميتة والدم) : : الآية .

ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث ابن أبي الشروب بإسناده مثله ، وزاد بعد هذا السياق : قال : فبطلت أدمعهم إلى الإسلام ، وأبوين على : فقلت لهم : وبكم ، أسقوني شرية من ماء فاني شديد العطش . قال : وعلى عافيتي . فقالوا : لا ، ولكن نذهب حتى نموت عطشاً . قال : فاضمت وضريت برأسي في العباد ، ونمت على الرضاة في حر شديد ، قال : فأتاني آت في منى بقدح من زجاج لم ير الناس أحسن منه ، وفيه شراب لم ير الناس ألد منه ، فامكنني منها فشربتها ، فحيث فرغت من شرابي استيقظت ، فلا والله ما عطشت ولا حريت بعد تلك الشرية .

ورواه الحاكم في مستدركه ، من حديث بن حشاش ، عن [عبد الله بن] (١) أحمد بن حنبل ، حدثني عبد الله بن سلمة ابن عياش (٢) العامري حدثنا صفقة بن هرم (٣) ، عن أبي طالب ، عن أبي أمامة قد ذكر نحوه ، وزاد بعد قوله : بعد تلك الشرية : : فسمعتهم يقولون : أتاكم رجل من سراة قومكم ، فلم تمشجوه (٤) بمسككة ، فأتوني غلظة (٥) ، فقلت : لا حاجة لي فيها ، إن الله أطمئن وسقاني ، وأرهبهم بطنى فأسلموا من أترهم (٦) ، وما أحسن ماأنشد الأعمش في قصيدته التي ذكرها ابن إسحاق : (٧) ،

وإلا والله والميتات [لا تفرينها] : ولا تأخذن حطماً حديداً فتفصدا

أي لا تفعل كما يفعل الجاهلية ، وذلك أن أحمداً كان إذا جاع أخذ شيئاً عسداً من عظم ولحمه ، فيفصد به بغيره أو حيواناً من أى صنف كان ، فيجمع مايفرغ منه من الدم ليفشره ، ولهذا حرم الله الدم على هذه الأمة ، ثم قال الأعمش :

وإذا التمسبب للصبوب لا تكافئته . ولا تعبد الأصنام والله قاصدا

وقوله : (ولحم الخنزير) ، يبنى : إليه ووحشه ، والقسم بم جميع أجزائه حتى اللحم ، ولا يحتاج إلى تعليق الظاهرية في جمودهم هاهنا وتصفهم في الاحتجاج بقوله : (فإنه رجس أو فسقاً) يمتون قوله تعالى : (إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس) أحادوا الضمير ليا فهموه على الخنزير ، حتى بم جميع أجزائه ، وهذا

(١) سقط من خطوطنا ، وللتثبت من المسند .

(٢) كذا في المطبوعة ، وفي المسند : « عباس » . بالياء والسين .

(٣) في المطبوعة : « هرم » . وللتثبت من المسند ، والبرج : ٤٣١/١/٢ .

(٤) الجمع والتامع : أكل أتر الياض ، ويجمع جمعاً ، أكل أتر يالين ماء ، وقيل : هو أن يأكل أتر ويشرط عليه اللبن . ولللق : الشرية من اللبن .

(٥) في المسند : « فأتوني بياضهم » .

(٦) للمسند ، كتاب معرفة الصحابة : ٦١٢/٢ .

(٧) مسند ابن هشام : ٣٨٨/٣٨٦/١ .

يميد من حيث الله ، فإنه لا يعود للتفسير إلا إلى المضاف دون المضاف إليه ، والأظهر أن اللحم يعم جميع الأجزاء كما هو المقهور من لغة العرب ، ومن العرف للطراد ، وفي صحيح مسلم ، عن يَرْبُودِ بْنِ الصَّغْبِ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَبَسَ بِالْتَّرَدِّ كَثِيرًا فَكَأَنَّمَا صَبَّحَ بِدَمٍ فِي لَحْمٍ لَتَقْرِيرٍ وَدَمُهُ (١) » ، فإذا كان هذا التفسير لمجرد اللحم ، فكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد على أكله والتغلب به . وفيه دلالة على شمول اللحم لجميع الأجزاء من اللحم وغيره .

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ لَمْ يَحْرَمْ بَيْعُ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخَزِيرِ وَالْأَصْنَامِ ، قَتِيلٌ ؛ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ شَحْمَ الْمَيْتَةِ ، فَإِنَّهَا تَطْلَى بِهَا السُّفْنُ ، وَتَلْعَنُ بِهَا الْجُلُودُ ، وَيَسْتَصْبِغُ بِهَا النَّاسُ ؟ فَقَالَ : لَا ، هُوَ حَرَامٌ (٢) » ،

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سفيان : أَنَّهُ قَالَ لِمُرْقَلٍ مَلَكَ الرُّومِ : « نَبَاتَانِ مِنَ الْمَيْتَةِ وَالِدَمِ » ، وقوله : (وما أهل لغير الله به) أى : ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله ، فهو حرام ؛ لأن الله أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم ، فمن حُدِّثَ بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طائفة أو وثن أو غير ذلك ، من سائر المخلوقات ، فإنها حرام بالإجماع . وإنما اختلف العلماء في المروك الصبية عليه ، إما عدلاً أو نسياناً ، كما سيأتي تفريره في سورة الأصنام .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسن المستعاني ، حدثنا نعم بن حماد ، حدثنا ابن فضيل ، عن الوليد ابن جميع ، عن أبي الطفيل قال : نَزَلَ آدَمُ بِصَحْرٍ أَرْبَعٍ : لِلْمَيْتَةِ ، وَالِدَمِ ، وَلَحْمٍ لَتَقْرِيرٍ ، وَمَا أَهَلَ لغير الله به ، وإن هذه الأربعة الأقسام لم تخل قط . ولم تزل حراماً منذ خلق الله السموات والأرض ، فلما كانت بنو إسرائيل حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بدينهم ، فلما بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام نزل بالأمر الأول الذي جاء به آدم ، وأحل لهم ما سوى ذلك ، فكلذبيوه وعصوه .

وهذا أثر غريب .

وقال ابن أبي حاتم أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زكريا بن عبد الله قال : سمعت الجارود بن أبي سبرة - قال : هو جدى - قال : كان رجل من بني رباح يقال له ابن زكيل (٣) وكان شاعراً نافعاً وحكماً ، أباً القريظ بماء بظهر الكوفة ، على أن يعقر مائة من إبله [وهذا مائة من إبله] إذا وردت الماء ، فلما وردت الماء قاما إليها بالسيف ، فحصلا يكسفان عراقيهما (٤) . قال : فخرج الناس على الحمرات والخيال يريدون اللحم - قال : وعكس بالكوفة - قال : فخرج [على] على بطة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وهو يتأذى : يا أيها الناس ، لا تأكلوا من لحومها فإنما أهل بها لغير الله .

(١) مسلم ، كتاب القدر : ٥٠/٧ .

(٢) البخاري ، كتاب البيوع : ١١٠/٣ ، ومسلم ، كتاب البيوع أيضاً : ٤١/٥ .

(٣) هو سم بن زويل . ينظر خبر هذه المنافرة في أسأل التتال : ١١٧/٢ ، ٥٤/٣٠ ، والاقول : ٧٤٦ و ٧٤٧ .

(٤) كتب عرقوب الناقة : تنزه بالسيف . والشرعوب : هو الوتر الذي خلف الكتفين بين لمعدل القدم والساق ، من شوات الأرجح ، وهو من الإنسان فوق الكتف .

جلدًا أثر غريب ، وشهد له بالصبي ما رواه أبو داود :

حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا حماد بن مسعدة ، عن عوف ، عن أبي ربيعة ، عن ابن عباس قال : « نبي النبي صلى الله عليه وسلم من معاوية الأعراب » .

ثم قال أبو داود : محمد بن جعفر - هو غندَر - أوقفه على ابن عباس ، فنرد به أبو داود (١) ،

وقال أبو داود أيضا : حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء ، حدثنا أبي ، حدثنا جرير بن حازم ، عن الزبير ابن عرينة قال : سمعت عكرمة يقول : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي من طعام النصارى أن يؤكل » .

ثم قال أبو داود : « أكثر من رواه عن جرير لا يذكر فيه ابن عباس » : فنرد به أيضا (٢) .

وقوله : (والمتنقضة) ، وهي التي تموت بالحق إما قصدا أو اضفاما ، بأن تتخبر في وقتها لموت به ، فهي حرام .

وأما (الموقوفة) فهي التي تضرب : [بشيء قليل غير محدد حتى تموت ، كما قال ابن عباس وغير واحد : هي التي تضرب] بالتحسب حتى تؤكل . (٣) تموت ،

وقال قتادة : كان أهل الجاهلية يسيرون بها بالصبي حتى إذا مات أكلوها .

وفي الصحيح أن علي بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله ، إن أرى بالمراس الصيد فأصيبه : قال : إذا ميت بالمراس فزق فكُلْهُ ، وإن أصابه برصه فإمّا هو وقيل فلا تأكله (٤) : ففرق بين ما أصابه بالسهم ، أو بالزرق (٥) ونحوه بعده فأكله وما أصابه برصه فجعله وقيلًا فلم يكله ، وقد أجمع الفقهاء على حلا الحكم هاهنا وانطلقوا فيها إذا صدم الجارحة الصيد فقتله بقتله ولم يجرسه ، على قولين هما قولان للشافعي ، رحمه الله :

أحدهما : لا يكل ، كما في السهم ، والجامع أن كلا منهما ميت بغير جرح ، فهو وقيل .

والثاني : أنه يكل ، لأنه حكم بإباحة ما صاده الكلب ، ولم يستحصل ، فكل على إباحة ما ذكرناه ، لأنه قد دخل في العموم . وقد قررت هذه المسألة فصلا فليكتب هاهنا .

[فصل]

انتظف العلماء وحدهم الله تعالى فيها إذا أرسل كلبا على صيد فقتله بقتله ولم يجرسه ، أو صلبه ، هل يكل أم لا ؟ على قولين :

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأسماك : ١٠١/٣ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأسماك : ٣٤٤/٣ .

(٣) في المتطورة : « حتى يرتد بها » والكتب من تفسير الطبري : ٤٩٦/٩ .

(٤) مسلم ، كتاب الصيد : ٦٦/٩ .

(٥) للزرقان : ومع تصديره .

أجمعنا : أن ذلك حلال ، لم يومر قوله تعالى : (فكلوا مما أسكن عليكم) : وكلما عومات حديث عدي (١) ابن حاتم : وهذا قول حكاه الأصحاب عن الشافعي ، رحمه الله ، وصححه بعض المتأخرين كالنور والرافعي .

قلت : وليس ذلك بظاهر من كلام الشافعي في الأم والمختصر ، فإنه قال في كلا الموضعين : « يحل منين » : ثم وجه كلا منهما ، فحمل ذلك الأصحاب منه فأطلقوا في المسألة قولين عنه ، اللهم إلا أنه في محله حكايته لقول بالحل وشحه قليلا ، ولم يصرح بواحد منهما ولا جزم به : والقول بذلك ، أعني الحل ، نقله ابن الصباغ عن أبي حنيفة ، من رواية الحسن بن زياد ، عنه ، ولم يذكر غير ذلك : ولما أبو جعفر بن جرير فحكاه في تفسيره عن سلمان الفارسي ، وأبي هريرة ، وسعد بن أبي وقاص ، وابن عمر : وهذا غريب جدا ، وليس يوجد ذلك مصرحا به عنهم ، إلا أنه من تصرفه رحمه الله ، ورضي عنه .

والقول الثاني : أن ذلك لا يحل ، وهو أحد القولين عن الشافعي ، رحمه الله ، واختاره اللزقي : ويظهر من كلام ابن الصباغ ترجمته أيضا ، والله أعلم ، ورواه أبو يوسف وعبد بن أبي حنيفة ، وهو المشهور عن الإمام أحمد بن حنبل ورضي الله عنه : وهذا القول أقبح بالصواب ، والله أعلم ، لأنه أجري عن القواعد الأصولية ، وأساس الأصول الشرعية ، واحتج ابن الصباغ له بحديث رافع بن خديج قلت : يا رسول الله ، إنا لا نقر المدوغا وليس مما مدي ، أفندب بالقصب قال : « ما أهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » . الحديث بتمامه وهو في الصحيحين (٢) .

وهذا وإن كان واردا على سبب خاص ، فالعبرة بمعوم اللفظ عند جمهور من العلماء في الأصول والقروص ، كما سئل عليه السلام عن البئح - وهو نيد الصل - فقال : « كل شراب أسكر فهو حرام » (٣) ، أفيقول قبي : إن هذا اللفظ مخصوص بشراب الصل ؟ . وهكذا هذا سألوه عن شيء من الذكاة فقال لم كلما حاميا يشمل ذلك للمسول عنه وغيره ، لأنه عليه السلام قد أوتي جوامع الكلم :

« إذا هزر هذا ، فما صدمه الكلب أو ختمه بقله ، ليس بما أهر دمه ، فلا يحل لشهوه هذا الحديث . فإن قيل : هذا الحديث ليس من هذا القبيل بشيء ، لأنهم إنما سألوا عن الآلة التي يدكئ بها ، ولم يسألوا عن الشيء الذي يدكئ ، ولهذا استثنى من ذلك السن والظفر ، حيث قال : « ليس السن والظفر ، وسأحدنكم عن ذلك : أما السن فسلم ، وأما الظفر فمدي الحية » . والمستثنى يدل على جنس المستثنى منه ، وإلا لم يكن متصلا ، فدل على أن للمسول عنه هو الآلة ، فلا يبقى فيه دلالة لا ذكرتم » .

فالجواب عن هذا : بأن في الكلام ما يشكك عليكم أيضا ، حيث يقول : « ما أهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » ، ولم يقل : « فاذبحوا به » ، فهذا يؤخذ منه الحكمان معا ، يؤخذ حكم الآلة التي يدكئ بها ، وحكم للذي ، وأنه لا بد من إظهار دمه بأكل ليست مئا ولا ظفرا . هذا مسلک .

(١) روى مسلم في صحيحه عن حنبل بن حاتم ، قال : « سألت رسول الله صل الله عليه وسلم ، قلت : إنا قوم نسيب بهه للكلاب ، فقال : إنا أرسلت كلا بك الحلفة ، وذكرت اسم الله عليه ، فكل ما أسكن عليك وانتقل ، إلا أن يأكل الكلب فإن أكل فلا تأكل ... » . ونظر كتاب الصيد : ٥٦/٦ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الشركة : ١٨١/٢ ، ١٨٦ . وكتاب الطبايع : ١١٨/٧ ، ١٢٠ . وصحيح مسلم ، كتاب الأضغى : ٧٨/٦ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأضغى : ١٣٧/٧ .

وللسلك الثاني : طريقة المُرْتَبِّ ، وهي أن السهم جاء التصريح فيه بأنه إن قتل برعشه فلا تأكل ، وإن عرق فكل . والكلب جاء مطلقا ، فيحمل على ما قيد هناك من العرق ، لأتهما اشتراكا في الموجبة ، وهو الصيد ، فيجب الحمل هنا وإن اختلف السبب ، كما وجب حمل مطلق الإعتاق في الظهار (١) على تقييده بالإعان في القتل ، بل هذا أولى . وهذا يوجه له على من يسلم له أصل هذه القاعدة من حيث هي ، وليس فيها خلافا بين الأصحاب قاطبة ، فلا بد لهم من جواب عن هذا : وله أن يقول : هذا قتله الكلب بقله ، فلم يحل قياسا على ما قتله السهم برعشه ، والجامع أن كلا منهما آلة للصيد ، وقد مات بقله فيهما . ولا يطعن ذلك بعموم الآية ، لأن القياس مقدم على العموم ، كما هو ملحق الأئمة الأربعة والجمهور ، وهذا مسلك حسن أيضا .

مسلك آخر ، وهو أن قوله تعالى : (فكلوا مما أسكن عليكم) عام فيما تثنى بجرح أو غيره ، لكن هذا مقتول على هذه الصورة المتنازع فيها لا ينحو : إما أن يكون نطيحا أو في حكمه ، أو منتحنا أو في حكمه ، وإياها كان فيجب تقديم هذه الآية على تلك لوجوه :

أولها : أن الشارع قد اعتبر حكم هذه الآية حالة الصيد ، حيث يقول لَمَدَى بن حاتم : « وإن أصابه برعشه فإفهامه وكيد فلا تأكله » . ولم يعلم أحدا من العلماء فصل بين حكم وحكم من هذه الآية ، فقال : إن الرقيد معتبر حالة الصيد ، والنطيح ليس معتبرا فيكون القول بحل المتنازع فيه عرقا للإجماع لا قائل به ، وهو عتق عند كثير من العلماء ،

الثاني : أن تلك الآية : (فكلوا مما أسكن عليكم) ليست حل عومها بالإجماع ، بل مخصوصة بما صدق من الحيوان للأكل ، وخرج من عموم قتلها الحيوان غير للأكل بالاتفاق ، والعموم المفظوظ مقدم على غير المفظوظ :

وللسلك الآخر : أن هذا الصيد والحالة هذه في حكم الميتة سواء ، لأنه قد احتقن فيه النداء وما يتبعها من الرطوبات ، فلا يحل قياسا على الميتة .

وللسلك الآخر : أن آية التحريم أخص قوله : (حرمت عليكم الميتة) إلى آخرها ، بحكمة لم يدخلها نسخ ولا تخصيص ، وكلما ينبغي أن تكون آية التحليل بحكمة ، أخص قوله : (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات) . الآية ، فينبغي أن لا يكون بينها تعارض أصلا ، وتكون السنة جاءت لبيان ذلك ، وشاهد ذلك قصة السهم ، فإنه ذكر حكم ما دخل في هذه الآية ، وهو ما إذا عرقه المعترض فيكون حلالا ، لأنه من الطيبات ، وما دخل في حكم تلك الآية آية التحريم ، وهو ما إذا أصابه برعشه فلا يؤكل ، لأنه وقيد ، فيكون أحد أفراد آية التحريم ، وهكذا يجب أن يكون حكم هذا سواء ، إن كان قد جرحه الكلب فهو داخل في حكم آية التحليل ، وإن لم يجرحه بل صدمه أو قتله بقله فهو طيبح أو في حكمه فلا يكون حلالا .

فإن قيل : فلم لا تقتصر في حكم الكلب ، فقال ما ذكرتم : إن جرحه فهو حلال ، وإن لم يجرحه فهو حرام ؟ فالجواب : أن ذلك نادر ، لأن من شأن الكلب أن يقتل بقله أو يابه أو يها بها ، وأما اصطدامه هو والصيد فنادر ،

٣ الظهار : أن يشه امرأته من لا يحل له نكحتها . وحكمه : حرمة الجماع وهواميه حتى يتكرر ، والكفارة حتى وثقة . وقد ورد حكم الظهار في أول سورة المجادلة . والأحناف يجزئ عنهم مطلق الرقبة السلية .

وكذا قوله إياه بقله ، فلم يجمع إلى الاحترار من ذلك لتدوره ، أو لظهور حكمه عند من علم تحريم الميتة والمنقحة والموقوفة والمترية والتبعية ، وأما السهم والمراس فارة شتى لسوء رى رايه أو الهواه أو نحو ذلك ، بل خطؤه أكثر من إصابته ، فلهذا ذكر كلا من حكميه منفصلا ، والله أعلم . ولهذا لا كان الكلب من شأنه أنه قد يأكل من الصيد ، ذكر حكم ما إذا أكل من الصيد ، قال : « إن أكل فلا تأكل ، فإنه أخاف أن يكون أمسك على نفسه » (١) . ولهذا صحيح ثابت في الصحيحين وهو أيضا مخصوص من عموم آية التحليل عند كثيرين ، فقالوا : لا يحل ما أكل منه الكلب ، حكى ذلك من أبي هريرة ، وابن عباس ، وبه قال الحسن ، والشعب ، والبخاري ، وإليه ذهب أبو حنيفة وصاحبه ، وأحمد بن حنبل ، والشافعي . قال المشهور عنه : وروى ابن جرير أنه تفسيره على ، وسعد ، وسليمان ، وأبو هريرة ، وابن عمر ، وابن عباس : أن الصيد يؤكل وإن أكل منه الكلب ، حتى قال سعد ، وسليمان ، وأبو هريرة وابن عمر ، وغيرهم : يؤكل ولو لم يبق منه إلا بقية ، وإلى ذلك ذهب مالك والشافعي في قوله القديم ، وأومأ في الجليل إلى قولين ، قال ذلك الإمام أبو نصر (٢) الصباغ وغيره من الأصحاب [عنه] .

وقد روى أبو داود بإسناد جيد قوى ، عن أبي لمية الشافعي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صيد الكلب : « إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه ، وكل ما ردت عليك » (٣) . يذكروا أيضا الثمان من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن أضرابا يقال له أبو لمية ، قال : يا رسول الله : ؟ فذكر نحوه .

وقال محمد بن جرير في تفسيره : حدثنا حمران بن بكار الكلابي ، حدثنا عبد البر بن موسى — هو اللاحق — ، حدثنا محمد بن دينار — هو الطاسي — ، عن أبي إياس — وهو معاوية بن قرة ، عن سعيد بن المسيب ، عن سليمان التماري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أرسل [الرجل] كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه ، فليأكل ما بقي » .

ثم إن ابن جرير رحمه الله قد رواه قتادة وغيره عن سعيد بن المسيب ، عن سليمان موقفا : (٤) وأما الجمهور فقد علموا حديث « عدى » على ذلك ، ورواوا تضعيف حديث أبي لمية وغيره : وقد حمله بعض العلماء على أنه [إن] أكل بعد ما انتظر صاحبه وطال عليه الفصل ولم يجئ ، فأكل منه لجوعه ونحوه ، فإنه لا بأس بذلك ، لأنه والحالة هذه لا يخشى أنه أمسك على نفسه ، بخلاف ما إذا أكل منه أول وهلة ، فإنه يظهر منه أنه أمسك على نفسه ، والله أعلم .

فأما الجوارح من الطير فنفس الشافعي على أنها كالكلاب ، فيحرم ما أكلت منه عند الجمهور ، ولا يحرم عند الآخرين . واختار المذنب من أصحابنا أنه لا يحرم أكل ما أكلت منه الطيور والجوارح ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد ، قالوا : لأنه لا يمكن تعليمها كما يعلم الكلب بالضرب ونحوه ، وأيضا فلها لا تنم إلا بأكلها من الصيد ، فيبقى عن ذلك : وأيضا فانصحا إنما ورد في الكلب لاني الطير . وقال الشيخ أبو علي في الإفصاح . إذا قلنا يحرم ما أكل منه الكلب ففي تحريم ما أكل منه

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصيد : ٥٦٦ . والبخاري ، كتاب البهيمة : ١١١/٧ .

(٢) ينظر : ٣٠٦/٢ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الصيد : ١٠٩/٤ .

(٤) تفسير الطبري : ٥٦٥/٩ ، ٥٦٦ .

الطير وبهائم ، وأكره القافض أبو الطيب هذا الترميم والترتيب ، لنص الشافعي رحمه الله على التسمية بينها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما (المتردية) فهي : التي تقع من شاهق أو موضع حال قصوت بملك ، فلا تحل ، قال حنبل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (المتردية) التي تسقط من جبل . وقال قتادة : هي التي تردى في يتر ، وقال السدي : هي التي تقع من جبل أو تردى في يتر :
وأما (النطيحة) فهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها ، فهي حرام ، وإن جرحها القترن وغرغ منها الدم ولو من من ملصها .

والنطيحة فبيلة بمعنى مفقولة ، أي منطوحة : وأكثر ما ترد هذه البنية في كلام العرب بدون تاء التأنيث ، فيقولون : « كَفَّ خَصِيْبٌ » و « حِنْ كَحِيلٌ » ، ولا يقولون : « كَفَّ خَضِيْعَةٌ » ولا : « حِنْ كَحِيْلَةٍ » : وأما هذه فتقال بعض النحاة : إنما استعمل فيها تاء التأنيث لأنها أجريت مجرى الأسماء كما في قولهم : « طريقة طويلة » : وقال بعضهم : إنما أتى بناء التأنيث فيها لتدل على التأنيث من أول وهلة ، بخلاف : « حِنْ كَحِيلٍ » وكف خضيب : لأن التأنيث مستفاد من أول الكلام .

وقوله : (وما أكل السبع) أي : ما عدا عليها أسد ، أو فهد ، أو نمر ، أو ذئب ، أو كلب ، فأكل بعضها فماتت بملك ، فهي حرام وإن كان قد سال منها المماء ولو من ملصها . فلا تحل بالإجماع . وعند أهل الجاهلية يأكلون ما أنفصل السبع من الشاة أو البعير أو البقرة ونحو ذلك . فحرم الله ذلك على المؤمنين .

وقوله : (إلا ما ذكيت) حاله على ما يمكن حوده عليه ، مما انتقد سبب موته فأمكن تملكه بلكاة ، وفيه حياة مستقرة ، وذلك إنما يعود على قوله : (والمتخفة والموقوفة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع) .

وقال حنبل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (إلا ما ذكيت) ، يقول : إلا ما ذكيت من هولاء وفيه روح فكلوه ، فهو ذكي . وكلنا روى عن سعيد بن جبير ، والحسن البصري ، والسدي .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن غياث حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن حنبل قال : (وما أكل السبع إلا ما ذكيت) قال : إن مصمت (١) يلذها ، أو ركضت ، برجلها ، أو طرفت بينتها فكل .

.. وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا هشيم وعباد قالا : حدثنا حجاج ، عن حصين ، عن الشعبي ، عن الحارث ، عن حنبل قال : إذا أدركت ذكاة للموقوفة والمتردية والنطيحة ، وهي تحرك بدأ أو رجلا ، فكلها (٢) .

وهكذا روى عن طاوس ، والحسن ، وقاتدة ، وعبيد بن عمير ، والضحك وغير واحد : أن للذكاة متى تحركت بحركة تدل على بقاء الحياة فيها بعد الذبح ، فهي حلال . وهذا منعب جمهور الفقهاء ، وبه قال أبو حنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل .

(١) مصمت يلذها : أي حركه .

(٢) تفسير الطبري : ٥٠٣/٩ .

وقال ابن وهب : سئل مالك عن الشاة التي يخرق جوفها السجح حتى تخرج أمعاؤها ؟ فقال مالك : لأرى أن تكون أي شيء يكدس منها ؟ .

وقال أشهب : سئل مالك عن الفصع يمدو على الكبيش ، فيدق ظهره ، أترى أن يلكي قبل أن يموت ، فيؤكل ؟ قال : إن كان قد بلغ السحرة ، (١) فلا أرى أن يؤكل . وإن كان أصاب أمراهه ، فلا أرى بذلك بأساً . قيل له : وثب عليه فلق ظهره ؟ فقال : لا يسيجي ، هذا لا يعيش منه . قيل له : فالذئب يمدو على الشاة فيشق بطنها ولا يشق الأمعاء ؟ فقال : إذا شق بطنها فلا أرى [أن] تؤكل .

هذا منسوب لمالك رحمه الله ، وقاهر الآية عام فيها استثناء مالك ، رحمه الله ، من الصور التي بلغ الحيوان فيها إلى حالة لا يعيش بعدها ، فيحتاج إلى دليل غصص للآية ، والله أعلم (٢) .

وفي الصحيحين من رافع بن خديج أنه قال : « قلت : يا رسول الله ، إنا لآكلو البدو طعاماً ، وليس معنا مدني ، فالتطبخ بالنصب ؟ » قال : ما أهر الدم وذكر اسم الله عليه فأكوه ، ليس السن والظفر ، وسأحدثكم عن ذلك ، أما السن فعضم ، وأما الظفر فلدن الحبيثة (٣) .

وفي الحديث الذي رواه الدارقطني مرفوعاً ، وفيه نظر ، وروى عن عمر موقوفاً ، وهو أصح : « ألا إن الذكاة في الخلق والآية ، ولا تسجلوا الأنفس أن ترحم » .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن ، من رواية حماد بن سلمة ، عن أبي العشاء الداري ، عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، أما تكون الذكاة إلا من آية والخلق ؟ فقال : « لو علمت في فعلها لأجزأ عنك » (٤) .

وهو حديث صحيح ، ولكنه محمول على ما [لا] يقدر [على] فعله في الخلق والآية .

وقوله : (وما ذبح على النصب) ، قال مجاهد وابن جريج [كانت النصب حجارة حول الكعبة] : قال ابن جريج وهي ثلاثمائة وستون نصبا ، كان العرب في جاهليتها يلجئون عندها ، وينضحون (٥) ما أقبل منها إلى البيت بنماء تلك النبايح ، ويشترحون (٦) اللحم ويضعونه على النصب .

(١) كلما في ضلوعنا . والسحرة القلب .

(٢) يمدو من كلام مالك رضي الله عنه ، أنه يفصل فيما أكل منه السجح ، فإن كان يمكن أن يحيا بعد ولوئه عليه وذكرى فهو جائز ، وإن كان لا بد ميت بعد هذا الوروب فلا يحل أكله بالذبح ، لأنه سيئله يكون ملصقاً بالميتة المحرمة في أول الآية . ويبدو من قول مالك : « لا يسيجي » ، ولا أراه « عصا سئل من الشاة يقطع للذئب بطنها ولا تسقط أمعاؤها ، أنه غير قاطع بتحرص أكلها إذا حي ذكيت ، فلا يكون بين وبين الجمهور كثير خلاف ، والله أعلم .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النبايح : ١١٨ / ٧ ، ١٢٠ ، وسلم ، كتاب الأضاحي : ٧٨ / ٦ .

(٤) مسند أحمد : ٣٣٤ / ٤ ، وأبو داود ، كتاب الأضاحي : ١٠٣ / ٣ . ونسقة الأحرسي ، كتاب الصيد : ٥٠ - ٥٦ .

وإن ماجه ، كتاب النبايح ، الحديث ٣١٨٤ : ١٠٦٣ / ٢ .

(٥) نضح : رش . ونضض الطيرى عن ابن جريج : ٥٠٨ / ٩ ، « فكانوا إذا ذبحوا نضضوا اللحم على ما أقبل من البيت » .

(٦) لحي : يحمله شرائح رفيعة .

وكذا ذكره غير واحد ، فهي الله المؤمنين من هذا الصنيع ، وحرم عليهم أكل هذه اللبائع التي فُلت عند التصيب [حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في اللبغ عند التصيب] من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ، وينبغي أن يحمل هذا على هذا ، لأنه قد تقدم نحر مائل به لغير الله .

وقوله تعالى : (وأن تستمسوا بالأزلام) ، أي : حرم عليكم أيها المؤمنون الاستمساق بالأزلام : واحدا ، وزُلم . وقد فُتح الزاي ، يقال : زُلم . وقد كانت العرب في جاهليتها يتماطلون ذلك ، وهي حجارة من قنح ثلاثة ، على أحدها مكتوب : « الفل » ، وعلى الآخر : « لا قمل » ، والثالث غُفْل ليس عليه شيء . ومن الناس من قال : مكتوب على الواحد « أمرى ربي » ، وعلى الآخر « نفاى ربي » : والثالث غُفْل ليس عليه شيء ، فإذا أجهلوا فطلع السهم الأمر فعله ، أو التامى تركه ، وإن طلع الفارغ أحاد .

والاستمساق : مأخوذ من طلب التمسك من هذه الأزلام : هكذا قرر ذلك أبو جعفر ابن جرير (١) . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا الحجاج بن محمد ، أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس : (وأن تستمسوا بالأزلام) قال : والأزلام قنح ، كانوا يستمسكون بها في الأمور . وكذا روى عن مجاهد ، وإبراهيم التيمي ، والحسن البصري ، ومقاتل بن حيان .

وقال ابن عباس : هي القنح ، كانوا يستمسكون بها في الأمور : وذكر محمد بن إسحاق وغيره : أن أعظم أصنام قريش صنم كان يقال له هُكَل ، وكان داخل الكعبة ، منصوب على بر فيها توضع الحلايا وأموال الكعبة فيه ، وكان عنده صبة أزلام مكتوب فيها ما يتحاكون فيه ، مما أشكل عليهم ، فأخرج لهم منها رجلا إليه ولم يملأوا عنه .

وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة ، وجد إبراهيم وإسماعيل مصورين فيها ، وفي أبيهما الأزلام ، فقال : « قاتلهم الله لقد علموا أنها لم يستمسك بها أبدا » (٢) .

وفي الصحيح : أن سراقه بن مالك بن جُعشم لما خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، وها ذاهبان إلى المدينة مهاجرين ، قال : فاستمسكت بالأزلام هل أضرمهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره : لا تضرمهم ، قال : فصعبت الأزلام . واتبعهم ، ثم إنه استمسك بها ثانية وثالثة ، كل ذلك يفرج الذي بكره : لا تضرمهم ، وكان كذلك ، وكان سراقه لم يسلم إذ ذلك ، ثم أسلم بعد ذلك (٣) .

وروى ابن مردويه عن طريق إبراهيم بن يزيد ، عن وكبة ، عن عبد الملك بن حبر ، عن رجاء بن حيوة ، عن أبي الفراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن يلج النار من فككت أو استمسك أو رجع من سفر طائرا » (٤) .

(١) تفسير الطبري : ١٠/٩ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي : ١٨٨/٥ .

(٣) سنن أحمد : ١٧٥/٤ ، ١٧٦ .

(٤) صحيح الزوائد : ١١٨/٥ . ومن طائرا : مطيرا . وكذا وردت الرواية ، في جميع الزوائد ، قال السيوطي : رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات .

وقال مجاهد في قوله: (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) قال: هي سهام العرب، وكماب فارس والروم، كانوا يتقارون بها (١)؛ وهذا الذي ذكر عن مجاهد في الأزلَام أنها موضوعة للقرار، فيه نظر، اللهم إلا أن يقال: إنهم كانوا يستعملونها في الاستخارة قارة، وفي القرار أخرى، والله أعلم. فان الله سبحانه قد فرق بين هذه وبين القرار وهو اليسر، فقال في آخر السورة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْيَيْسُ وَالْأَسْبَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ حَمْلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم المداوة والبغضاء إلى قوله: (مُتَّهِونٌ). وهكذا قال هاجتا: (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ لَكُمْ يَسْرٌ) أي: [تعاطيه يسر] وغى وضلال وجهالة وشرك، وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستغيروه بأن يسهلوه، ثم يسألوه بالخبرة في الأمر الذي يريدونه، كما رواه الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن، من طرق [عن] عبد الرحمن بن أبي الموالي، عن عبد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلتنا الاستخارة كما يعلتنا السورة من القرآن، يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، لم يقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدر بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فالتك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب [اللهم] إن كنت تعلم هذا الأمر— ويسميه باسمه— شيراً في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه (٢)، [اللهم] وإن كنت تعلمه شراً في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفني عنه، واصرفه عني، والقلول أثير حيث كان، ثم رضى به».

لفظ أحمد (٣)، وقال الرملى: هذا حديث حسن صحيح قريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي الموال (٤).

قوله: (اليوم ينس الجبن كفروا من دينكم)، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني يسوا أن يرجعوا بينهم (٥).

وكنا روى عن عطاء بن أبي رباح، والسدي ومقاتل بن حيان، وحمل هذا المعنى يرد الحديث الثابت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشيطان قد ينس أن يبيده المصلون في جزيرة العرب، ولكن بالتحرش بينهم (٦)».

ويحتمل أن يكون المراد: أنهم يسوا من مشافة المسلمين، بما تميز به الملبسون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله، ولهذا قال تعالى آمرًا عباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار، ولا يخافوا أحداً إلا الله، فقال: (لَا تَحْزَنْهُمْ

(١) تفسير الطبري: ٥١٢/٩.

(٢) لفظ الحديث: «ثم يبارك لي فيه».

(٣) مسند أحمد: ٣٤٤/٣.

(٤) تحفة الأحوف: كتاب الوتر: ٥٩٤/٢.

(٥) تفسير الطبري: ٥١٦/٩.

(٦) رواه مسلم في صحيحه عن جابر، في كتاب صفة القبيلة: ١٣٨/٨.

ومعنى: «ولكن بالتحرش بينهم» يعني: لكن الشيطان غير يأس من إغراء المؤمنين، وعلمهم حل الفتن، بل له مطع في ذلك.

واغشون) أى لا تغافروا منهم فى عاقبتكم إياهم واغشون ، أنصركم عليهم وأغشركم بهم ، وأغش صغورك منهم ، وأجعلكم فرغهم فى الدنيا والآخرة .

وقوله : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) هذه أكبر نعم الله ، هو جعل حل هذه الأمة ، حيث أكمل تعالى لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء ، وبهت إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شئ أخر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف ، كما قال تعالى : (وتمت كلماتى) وبك صدقاً وعدلاً) أى : صدقاً فى الأخبار ، وعدلاً فى الأوامر والنواهي ، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم ، ولهذا قال : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) ، أى : فارضوه أنتم لأنفسكم ، فإنه الدين الذى رضىه الله وأحبه ، وبهت به أفضل رسله الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه .

قال حل بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : (اليوم أكملت لكم دينكم) وهو الإسلام ، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان ، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد آتاه الله فلا يقصه أبداً ، وقد رضىه الله فلا يستغنى أبداً (٢) .

وقال أسباط بن السدى : قلت هذه الآية يوم حرفة ، فلم يزل بعدها حلالاً ولا حرام ، ووجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأت . قالت أسماء بنت عميس : حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحجة ، فبينما نحن يسير ، إذ تجلى لى جبريل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة ، فلم تطق الراحلة من قتل ما عليها من القرآن ، فبركت ، فألقته فصحبت عليه برحاً كان على (٣) .

قال ابن جريج (٣) وغير واحد : مات رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعد يوم حرفة بأحد ولما بقى يومه .

رواهما ابن جرير ،

ثم قال : حدثنا سليمان بن وكيع ، حدثنا ابن فضيل ، عن هارون بن حنيفة ، عن أبيه قال : لا قلت (اليوم أكملت لكم دينكم) ، وذلك يوم الحج الأكبر ، بكى عمر ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ قال : أبكاني أنى كنا فى زيادة من ديننا ، فإما إذ أكملت فانه لم يكمل شئ إلا نقص . فقال : صدقت ،

ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت : (إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً ، فطوبى للغريباء) (٤) .

(١) كلما فى مخطوئتنا . ويقول أبو حيان فى البحر المحیط ٢/٢٠٩ : « وقرأ الكوفيون حلاً وفى يونس ، فى المؤمن ١ وفى المؤمن » كلمة بالإنفراد . وتلغ جميع ذلك : « كليات » بالجمع ، تلغ أبو عمرو وابن كثير هنا .

(٢) تفسير الطبرى ١/١٨٠ .

(٣) فى المخطوطة : « ابن جرير » . وهو خطأ ، ينظر تفسير الطبرى : ١/١٩٠ .

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة ، وعن ابن عمر ، فى كتابه الإيمان : ٩٠/١ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العباس ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنكم تهرمون آية في كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت لا تخلفنا ذلك اليوم حينئذ : وأى آية ؟ قال قوله : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) . قال عمر : والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [قلت] حكيمة حرة في يوم (١) جمعة :

ورواه البخاري عن الحسن (٢) بن الصباح ، عن جعفر بن عون ، به : ورواه أيضا مسلم والترمذي والنسائي (٣) ، عن طرق عن قيس بن مسلم ، به . ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية من طريق سفیان الثوري ، عن قيس ، عن طارق قال : قالت اليهود لسمر : إنكم تهرمون آية لو نزلت لينا لا تخلفنا حينئذ . فقال عمر : إني لأعلم حينئذ نزلت (٤) ، وأين أنزلت ، وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنزلت : يوم حرة ، ولئن والله بحرة — قال سفیان : وأشك كان يوم الجمعة أم لا : (اليوم أكملت لكم دينكم) ... الآية (٥) :

وهذا سفیان، رحمه الله، إن كان في الرواية فهو نروح ، حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا ؟ وإن كان شكاً في كون الوقت في حجة الوداع كان يوم جمعة ، فهذا ما إسناده يصدر عن الثوري، رحمه الله ، فإن هذا أمر معلوم مقطوع به ، لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسيرة ولا من الفقهاء ، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها ، والله أعلم ، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر :

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، أخبرنا رجاء بن أبي سلمة ، أخبرنا عباد بن نسي ، أخبرنا أمبرنا إسحاق — قال أبو جعفر بن جرير : هو إسحاق بن عرفة (٦) — عن قبيصة — يعني ابن ذؤيب قال : قال كعب : لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية ، لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم ، فالتفتوا حينئذ يجمعون فيه . قال عمر : أى آية يا كعب ؟ قال : (اليوم أكملت لكم دينكم) . قال عمر : قد علمت اليوم الذي أنزلت [فيه] ، وللكان الذي أنزلت فيه : نزلت في يوم جمعة ، ويوم حرة ، وكلاهما بحمد الله لنا عيد .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا قبيصة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حماد — هو مولى بني هاشم — أن ابن عباس فرأ : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي) ، ورضيت لكم الإسلام ديناً . قال يهودي : لو نزلت هذه الآية علينا لا تخلفنا يومها حينئذ . قال ابن عباس : فأنها نزلت في يوم عيدين اثنين : يوم عيد ويوم جمعة (٧) .

(١) مسند أحمد : ٢٨/١ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان : ١٨/١ .

(٣) مسلم ، كتاب التفسير : ٢٣٨/٨ . ونسخة الأحرشي ، كتاب التفسير : ٤٠٧/٨ ، ٤٠٨ . واللساني ، كتاب الإيمان :

١١٣/٨ ، ١١٤ .

(٤) لفظ الصحيح : « حيث أنزلت » .

(٥) صحيح البخاري ، تفسير سورة المائدة : ٦٢/٦ .

(٦) رجح عقق تفسير البخاري ٥٢٧/٩ : أن ابن عرفة إنما هو « مكان بن إسحاق بن عرفة » ، ولما إسحاق المقصود في

هذا الخبر فهو : « إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب » ، فهو يروي عن أبيه قبيصة بن ذؤيب .

(٧) تفسير البخاري : ٥٢٥/٩ ، ٥٢٦ .

وقال ابن مَرْدُويه : حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا موسى بن هارون ، حدثنا يحيى بن الحُمَاق ، حدثنا ليس ابن الربيع ، عن إسماعيل بن سَلَمَانَ ، عن أبي عمر البَزْكَر ، عن ابن الحنفية ، عن علي قال : قلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما قائم عشية حرة (١) (اليوم أكملت لكم دينكم) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو حاتم إسماعيل بن عمرو السكوني ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن عباس ، حدثنا عمرو بن ليس السكوني : أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر يتلى (١) هذه الآية : (اليوم أكملت لكم دينكم) حتى ختمها ، فقال : أزلت في يوم حرة ، في يوم جمعة .

وروى ابن مَرْدُويه ، عن طريق محمد بن إسحاق ، عن عمر بن موسى بن وجهه ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة قال : أزلت هذه الآية : (اليوم أكملت لكم دينكم) وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً (اليوم حرة) ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على الموقف .

فأما ما رواه ابن جرير ، وابن مردويه ، والطبراني من طريق ابن لُحَيْمة ، عن خالد بن أبي هريرة ، عن حم حنكس ابن عبد الله الصنعاني ، عن ابن عباس قال : ولد ليكم صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ، وخرج من مكة يوم الإثنين ، ودخل المدينة يوم الإثنين وأزلت سورة المائدة يوم الإثنين : (اليوم أكملت لكم دينكم) ورفع الذكر يوم الاثنين (٢) قاله أبو غريب ، وإسناده ضعيف ، وقد رواه الإمام أحمد .

حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لُحَيْمة ، عن خالد بن أبي هريرة ، عن حم حنكس الصنعاني ، عن ابن عباس قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ، واستبقي يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الإثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، ووضع الحجر الأسود يوم الاثنين .

هذا لفظ أحمد ، ولم يذكر نزول المائدة يوم الاثنين ، فافقه أهل . ولعل ابن عباس أراد أنها أزلت يوم هذين الاثنين كما تقدم ، فاشبهه على الراوي ، والله أعلم .

قال ابن جرير : وقد قيل ليس ذلك يوم معلوم عند الناس ، ثم روى من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله : (اليوم أكملت لكم دينكم) يقول : ليس ذلك يوم معلوم عند الناس . قال : وقد قيل : إنها أزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى حجة الوداع . ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس . (٣) .

قلت : وقد روى ابن مَرْدُويه من طريق أبي هارون التميمي ، عن أبي سعيد الخدري : أنها أزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ظهير (٤) خُصَم ، حين قال لعل : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، ثم رواه عن أبي هريرة ، وقيل : أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع .

(١) يعني : يمتلئ .

(٢) تفسير الطبري : ٥٣٠/٩ .

(٣) مسند أحمد : ٢٧٧/١ .

(٤) تفسير الطبري : ٥٣١/٥ .

(٥) ظهير غم : موضع بين مكة والمدينة ، به مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

حلبة ، عن مسلم ، بن يزيد ، عن أبي واقد ، به : ومنهم من رواه ، عن الأوزاعي ، عن حسان [عن مرثد - أو ابن مرثد - عن أبي واقد ، به . ورواه ابن جرير عن هشام بن السري ، عن عيسى بن يونس ، عن حسان ، عن رجل قد سمى له .. فكرهه (١) . ورواه أيضا عن هشام ، عن ابن لياريك ، عن الأوزاعي ، عن حسان ، مرسلًا .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن طلبة ، عن ابن حوالة قال : وجدت عند الحسن كتابه سَمَرَة ، فقرأته عليه ، فكان فيه : « وَيُجْزَى مِنَ الْأَصْطِرَارِ خَبُوقٌ أَوْ صَبُوحٌ (٢) » .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا هشيم ، عن الخصيب بن زيد القيمي ، حدثنا الحسن : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال : « متى يحل الحرام ؟ قال : قال . إلى متى يترَوَّى أهلك من اللين ، أو يحبىء ميرتهم (٣) » .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، حدثني عمر بن عبد الله بن حروة ، عن حروة ، عن جده حروة بن أبيهر ، عن جده : أن رجلا من الأعراب أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستئذنه في الذي حرم الله عليه ، وللذي أحل له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : محل لك الطيبات ، وتحرم عليك التلباث ، إلا أن تغتر إلى طعام [لا يحل (٤)] لك ، فأكل منه حتى تسفيى عنه . فقال الرجل : وما قرى الذي يحل لي ؟ وما غنى الذي يغني عن ذلك ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : [إذا كنت ترجو تناجا ، فبلغ بالحرم ماشطك إلى تناجك ، أو كنت ترجو غنى ، فطلبه ، فتبلغ من ذلك شيئا ، فأطعم أهلك ما بدا لك حتى تسفيى عنه . قال الأعرابي : ما غنى الذي أدمه إذا وجدته ؟ قال صلى الله عليه وسلم (٥) : إذا أدريت أهلك غنيًا من الليل ، فاجنب ما حرم الله عليك من طعام [وأما (٦)] مالك فانه ميسور كله ، ليس فيه حرام .

ومعنى قوله : « ما لم تصطبخوا » يعني به : « الفناء » وما لم تتنبخوا : « يعني به المشاء » أو تخطبخوا بقلأ فشاكنم بها . فكلوا منها . وقال ابن جرير : يروى هذا الحرف - يعني قوله : « أو تخطبخوا » على أربعة أوجه : « تخطبخوا بالهمزة » وتخطبخوا بتخفيف الياء والحاء ، « وتخطبوا بتشديد » ، ويختصوا بالحاء وبالتخفيف ، ويعتمد المزمع كلها ذكره في التفسير .

حديث آخر ، قال أبو داود : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا عقبة بن وهب بن حبة العامري ، سمعت أبي يحدث عن الفصيح العامري : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما يحل لنا من الميتة ؟ قال : ما طعامكم ؟ قلنا نبتق وتصطبغ . قال أبو نعيم : فسره لي حبة : قدح خلوة ، وقدح عشية . قال : ذلك وأبي الجرح .. وأصل لحم الميتة على هذه الحال (٥) .

(١) تفسير الطبري : ٤١٧/٩ .

(٢) المصدر السابق : ٤١/٩ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٩/٩ . وفيه : « إل أن يروى ... والميرة : الطعام ونحوه ، ما يجلب الجوع .

(٤) من تفسير الطبري : ٤١٠/٩ .

(٥) من سنن أبي داود . وينظر الخلاصة . وسيأتى قوله أبي نعيم وهو الفضل بن دكين . وسره لي حبة .

فرد به (١) أبو داود : وكأثم كانوا يصليحون ويتيقنون شيئاً لا يكتبهم ، فأحل لهم الميتة لتمام كتابهم ، وقد يفتح به من يرى جواز الأكل منها حتى يبلغ حد الشيع ، ولا يقيد ذلك بسد الرق ، والله أعلم .

حديث آخر ، قال أبو داود : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، حدثنا مساك ، عن جابر بن سمرة : « أن رجلاً من آل فرعون ، ومعه أهله وولده ، فقال له رجل : إن ثاقباً لي ضلكت ، فإن وجدتها فأمسكها ، فوجدتها ولم يجد صاحبها ، فمرضت فقال : امرأته انحرها ، فإن ، فتشقت ، قالت له امرأته : اسلخها حتى تكفد شحمها ولحمها لتأكله . فقال : حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فسأله ، فقال : هل عندك شيء يفتيك ؟ قال لا ، قال : فكلوها . قال : فجاء صاحبها فأخبره الخبر ، قال : هلاكتن نحرها ؟ قال : استحييت منك » .

فرد به (٢) : وقد يفتح به من يجوز الأكل والشيع ، والتزود منها مدة يظل على ظله الإحياج إليها ، والله أعلم . وقوله : (غير متجانث لإثم) أي : متماط لمصيبة الله ، فإن الله قد أباح ذلك له وسكت عن الآخر ، كما قال في سورة البقرة : (لمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) (٣) .

وقد استدل بهذه الآية من يقول بأن الماعى يفسره لا يترخص بشيء من رخص السفر ، لأن الرخص لا تنال بالماعى ، والله أعلم .

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَكُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِثِ عَلَيْنَّ فَعَلَيْنَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

ما ذكر تعالى ما حرّمه في الآية المتقدمة من الطيبات الضارة لمتناولها ، إما في بدنه ، أو في دينه ، أو فيهما ، واستثنى ما استثناه في حالة الضرورة ، كما قال : (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) . قال بعدها : (يسألونك ماذا أحل لكم) . قل : أحل لكم الطيبات) ، كما في سورة الأعراف في صفة محمد صلى الله عليه وسلم : أنه (يحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني عبد الله بن لمية ، حدثني عطاء ابن دينار ، عن سعيد بن جبير ، عن عدى بن حاتم ، وزيد بن المهلهل الطالبي سالا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالا : يا رسول الله ، قد حرم الله الميتة ، فماذا يحل لنا منها ؟ فتركت : (يسألونك : ماذا أحل لكم ؟ قل : أحل لكم الطيبات) ، قال سعيد : يعني الذبائح الحلال الطيبة لهم . وقال مقاتل : فالطيبات ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه ، وهو الحلال من الرزق : وقد مثل الزهري عن شرب البول فتلاوى قال : ليس هو من الطيبات .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأطعمة : ٣٥٨/٢ ، ٣٥٩ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأطعمة : ٣٥٨/٣ .

(٣) ينظر آية ١٧٣ : ٢٩٣/١ ، ٢٩٤ .

(٤) آية : ١٥٧ .

رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن وهب : سئل مالك عن بيع الطين الذي يأكله الناس : فقال : ليس هو من الطينيات • وقوله تعالى : (وما علمم من الجوارح مكلين) ، أى : أحل لكم الدواب التي ذكر اسم الله عليها والطينيات من الرزق ، وأحل لكم ما اصطدوه بالجوارح ، وهي من الكلاب والقطود والصقور وأشياء ذلك ، كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة ، وعن قال ذلك : حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (وما علمم من الجوارح مكلين) • ومن الكلاب الطمعة ، والبازي ، وكل طير يعلم الصيد ، والجوارح : يبنى الكلاب للضواري والقطود والصقور وأشياءها .

رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال : وروى عن عثينة ، وطاوس ، وجاهد ، ومكحول ، ويحيى بن أبي كثير ، نحو ذلك . وروى عن الحسن أنه قال : الباز والصقر من الجوارح • وروى عن حل بن الحبيب عنه • ثم روى عن جاهد أنه كره صيد الطير كله وقرأ قول الله : (وما علمم من الجوارح مكلين) . قال : وروى عن سعيد بن جبير نحو ذلك • وقله ابن جرير عن الفضالك والسدي : ثم قال :

حدثنا هناد ، حدثنا ابن أبي زائدة ، أخبرنا ابن جريج ، عن ثاقب ، عن ابن عمر قال : أما ما صاد من الطير البراءة وغيرها من الطير ، فما أدركت فهو لك ، وإلا فلا تعلمه : (١)

قلت : وانحكي عن الجمهور أن صيد الطيور كصيد الكلاب لأنها تكلب الصيد بمخالبها ، كما تكلب الكلاب • فلا فرق . وهذا مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم ، واختاره ابن جرير ، واحتج في ذلك بما رواه عن هناد ، حدثنا عيسى ابن يونس ، عن جاهد ، عن الشعبي ، عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازي ، فقال : ما أسك عليك فكله : (٢) .

واستثنى الإمام أحمد صيد الكلب الأسود ، لأنه عنه ما يجب لله ولا يحل اقتناؤه ، لا ثبت في صحيح مسلم من أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقطع الصلاة الحمار والراة والكلب الأسود . قلت : ما بال الكلب الأسود من الأحمر ؟ فقال : الكلب الأسود شيطان (٣) » . وفي الحديث الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب ، ثم قال : ما يلهم ويال الكلاب ، القوا منها كل أسود جيم (٤) .

وسميت هذه الحيوانات التي يصطاد بها : جوارح ، من الجرح ، وهو : الكعب . كما تقول العرب : فلان جرح أهله خيرا ، أى : كسبهم خيرا . ويقولون : فلان لا جرح له ، أى : لا كسب له ، وقال الله تعالى : (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالهار) ، أى : ما كسبتم من خير وشر .

وقد ذكر [في] سبب نزول هذه الآية الكريمة للحديث الذي رواه ابن أبي حاتم :

(١) تفسير الطبري : ٥٤٩/٩ .

(٢) تفسير الطبري : ٥٥٠/٩ .

(٣) مسلم ، كتاب الصلاة : ٥٩/٢ .

(٤) مسلم ، كتاب البرج : ٣٦/٥ . ومثله الأوصاف : كتاب الصيد : ٦٨/٥ . وسنن ابن ماجه ، كتاب الصيد ، الحديث ٣٢٠٥ : ١٠٦٩/٢ . ومسنده أحمد : ٢٣٢/٢ .

حدثنا حجاج بن حمزة ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني موسى بن عبيدة ، حدثني أبان بن صالح ، عن القمع
ابن حكيم ، عن سلمى أم رافع ، عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر بقتل الكلاب فقتلت ، فبجاء الناس فقالوا : يا رسول الله ، ما عمل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ؟ قال : فسكت ،
فأقول الله : (يسألك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما حلتكم من الجوارح مكليين) .. الآية . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إذا أرسل الرجل كلبه وسعى ، فأمسك عليه ، فليأكل ما لم يأكل .

وهكذا رواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن زيد بن الحباب بإسناده ، عن أبي رافع قال : جاء جبريل إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ليستأذن عليه ، فأذن له فقال : قد أذن لك يا رسول الله (١) . قال : أجل ، ولكن لا ندخل بيتا فيه
كلب : قال أبو رافع : فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة [فقتلت] (٢) ، حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب يشبع عليها ،
فكرهته رحمة لها ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فأمرني فرجعت إلى الكلب فقتلته . فجعوا
فقالوا : يا رسول الله ، ما عمل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
فأقول الله عز وجل : (يسألك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما حلتكم من الجوارح مكليين) .

ورواه الحاكم في مستدركه من طريق محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح ، به . وقال : صحيح ولم يخرجاه (٣) ،
وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث أبا رافع في قتل الكلاب ، حتى بلغ العوالي (٤) فدخل حاصم بن عدي ، وسعد بن عبيدة ،
وعمر بن ساعدة ، فقالوا : ماذا أحل لنا يا رسول الله ؟ فقلت : (يسألك ماذا أحل لهم ؟ قل : أحل لكم الطيبات وما
حلتكم من الجوارح مكليين) .

ورواه الحاكم من طريق مالك ، عن عكرمة ، وهكذا قال محمد بن كعب القرظي في سبب نزول هذه الآية أنه
في قتل الكلاب (٥) .

وقوله تعالى : (مكليين) يحتمل أن يكون حالا من الضمير في (علمتم) فيكون حالا من القاعل ، ويحتمل أن يكون
حالا من المفعول وهو « الجوارح » أي : وما علمتم من الجوارح في حال كونهن مكليات الصيد ، وذلك أن تقتنصه بمخالبها
أو أظفارها . فيستدل بذلك - والحالة هذه - على أن الجارحة إذا قتل الصيد بصدته أو بمخالبه وظفره أنه لا يعل ، كما
هو أحد قول الثاقبي وطائفة من العلماء ، ولما قال : (تعلمونن مما علمكم الله) ، وهو أنه إذا أرسله استرسل ، وإذا
أشلاه استشل (٦) ، وإذا أخذ الصيد أمسكه على صاحبه حتى يجيء إليه ولا يمسكه لنفسه ، ولما قال تعالى : (افكروا مما
أسكنكم عليهم واذكروا اسم الله عليه) ففي كان الجارحة معلما وأمسك على صاحبه ، وكان قد ذكر اسم الله عند إرساله
حل الصيد ، وإن قتله بالإجماع .

(١) يعني برسول الله جبريل .

(٢) عن تفسير الطبري : ٤٤٥/٩ .

(٣) المستدرک ، تفسير سورة المائدة : ٣١١/٢ .

(٤) العوالي : أماكن بأهل أراضى المدينة ، وأندلس من المدينة على أريمة أميال ، وأبديها من جهة نجد ثمانية أميال .

(٥) تفسير الطبري : ٤٤٦/٩ .

(٦) أكلت الكلب ونحوه : دمونه إللك .

وقد وردت السجدة بطل ما دلت عليه الآية الكريمة ، كما ثبت في الصحيحين عن عيسى بن حاتم قال ، قلت : يا رسول الله ، إني أرسل الكلاب الملعنة وأذكر اسم الله : فقال : إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك . قلت : وإن قتل ؟ قال : وإن قتل ما لم يشركها كلب ليس منها ، فأنك إنما سميت حل كلبك ولم تسم على غيره . قلت له : فإني أرمى بالمرأض الصيد فأصيب ؟ فقال : إذا رميت بالمرأض فتخزق ، فكله ، وإن أصابه بمرض لاله وقيد ، فلا تأكله . وفي لفظ لهما : « إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فإن أمسك عليك فأدركه حيا فأذبحه ، وإن أدركه قد قتل ولم يأكل منه فكله ، فإن أخذ الكلب ذكاه » : وفي رواية لهما : « فإن أكل فلا تأكل ، فإن أضاف أن يكون أمسك على نفسه » (١) .

فهذا دليل للجمهور ، وهو الصحيح من مذهب الشافعي ، وهو أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقا ، ولم يستصحبوا كما ورد بذلك الحديث . وحكى عن طائفة من السلف أنهم قالوا : لا يحرم : مطلقا

[ذكر الآثار بذلك]

قال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قال : قال سلمان التماري : « كل وإن أكل لثيبي - يعني الصيد - إذا أكل منه الكلب » : وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة ، وعمر بن حامر ، عن قتادة . وكذا رواه محمد بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان .

ورواه ابن جرير أيضا عن مجاهد بن موسى ، عن يزيد ، عن بكر بن عبد الله المزني والقاسم : أن سلمان قال : إذا أكل الكلب فكل ، وإن أكل لثيبي .

وقال ابن جرير : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عزمة بن بكر ، عن أبيه عن حميد ابن مائل بن عثمة الدؤلي : أنه سأل سعد بن أبي وقاص عن الصيد يأكل منه الكلب ، فقال : كل ، وإن لم يبق منه إلا حذقة - يعني : بقصة .

ورواه شعبة ، عن عبد ربه بن سعيد ، عن بكر بن الأشج ، عن سعيد بن المسيب ، عن سعد بن أبي وقاص قال : « كل وإن أكل لثيبي » .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن المنذر ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا داود ، عن حامر ، عن أبي هريرة : قال « لو أرسلت كلبك فأكل منه ، فإن أكل لثيبي وبقي ثلثه فكل » .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر قال ، سمعت عبيد الله - وحدثنا هناد ، حدثنا عبيدة ، عن عبيد الله بن عمر - عن نافع ، عن عبد الله [بن عمر] قال : « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك ، أكل أو لم يأكل » .

وكذا رواه عبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب وضر واحد ، عن نافع .

(١) مسلم ، كتاب الصيد ، ٥٦/٦ . والبخاري كتاب الطهارة والصيد ، ١١١/٧ .

فهذه الآثار ثابته (١) من سلمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي هريرة ، وابن عمر : وهو يحكي عن حل ، وابن عباس : واختلف فيه من عطاء ، والحسن البصري . وهو قول الزهري ، وربيعة ، ومالك . وإليه ذهب الشافعي في التلحم ، وأوما إليه في الجليد :

وقد روى من طريق سلمان الفارسي مرفوعا ، قال ابن جرير :

حدثنا عمران بن بكار الكلابي ، حدثنا عبد العزيز بن موسى اللاحقي ، حدثنا محمد بن دينار - هو الطائي - عن أبي لياس مطوية بن قرة ، عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان الفارسي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه ، وقد أكل منه ، فليأكل ما بقي » .

ثم قال ابن جرير : وفي إسناد هذا الحديث نظر ، « وسعيد » (٢) غير معلوم له معاه من سلمان ، والفتات يروونه من كلام سلمان غير مرفوع .

وهذا الذي قاله ابن جرير صحيح ، لكن قد روى هذا المعنى مرفوعا من وجه آخر ، فقال أبو داود :

حدثنا محمد بن ميثاق الضرير ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا حبيب الملم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : « أن أضرابا - يقال له : أبو ثعلبة - قال : يا رسول الله ، إن لي كلابا مسكينة ، فألفيتني صيها . قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن كان لك كلاب مسكينة ، فكل ما أسكن عليك . قال : ذكبا وغير ذكبي ؟ قال نعم . قال : وإن أكل منه ؟ قال : نعم ، وإن أكل منه . قال : يا رسول الله ، أفتى في قومي . قال : كل ما ردت عليك فركسه : قال : ذكبا وغير ذكبي ؟ قال : وإن تيب عتك ما لم يصل ، أو تجد فيه أثر غير سهمك . قال : أفتى في آنية الهرس إذا اضطررنا إليها . قال : اغسلها وكل فيها » (٣) .

هكذا رواه أبو داود ، وقد أخرجه النسائي . وكذا رواه أبو داود ، من طريق بشر بن عبيد الله (٤) ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ثعلبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل ، وإن أكل منه ، وكل ما ردت عليك يدك » .

وهذان إسنادان جيدان ، وقد روى القوري ، عن ميثاق بن حرب ، عن عدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كان من كلب ضار أسكك عليك ، فكل . قلت : وإن أكل قال : نعم » .

وروى عبد الملك بن حبيب : حدثنا أسد بن موسى ، عن ابن أبي زائدة ، عن الشعبي ، عن عدي ، مثله .

(١) تفسير الطبري ٥٦١/٩ .

(٢) المصدر السابق ٥٦٢/٩ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الصيد ١١٠/٣ ، ١١١ . وما بين القوسين هنا . ويصل : ينته . وفي السنن : « يدل »

بالضاد ، وهو خطأ .

(٤) مكانه في المخطوطة : « يوسف بن سيف » ويوسف عرقه من « يونس » ورواية يونس بن سيف عن أبي إدريس الخولاني هي كما في سنن أبي داود ١١٠/٣ . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ثعلبة : « يا أبا ثعلبة ، كل ما ردت عليك قوسك وكلبك » والذي أجهه ابن كثير هو رواية يسر بن عبيد الله ، كما في سنن أبي داود ١٠٩/٣ ، فابتهلنا بيونس ابن سيف : يسر بن عبيد الله .

فهذه آثار حالة حل أنه يشتر أن أكل منه الكلب . وقد احتج بها من لم يحرم الصيد بأكل الكلب وما أشبهه ، كما تقدم من حكيته عنهم ، وقد توسط أكثرهم فقالوا : إن أكل حقه ما أسكبه فانه يحرم لحديث حدى بن حاتم : ولعله أنى أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم : « فان أكل فلا تأكل فانى أخاف أن يكون أسك على نفسه » ، وأما إن أسكبه لم ينتظر صاحبه فطال عليه وجاع ، فأكل من الصيد لجوعه ، فانه لا يؤثر فى التحريم ، وحملوا على ذلك حديث أبى ثعلبة الخفسي ، وهذا فريق حسن ، وجمع بين الحديثين صحيح ، وقد نعى الأستاذ أبو المصلح الجويني فى كتابه « النهاية » أن لو فصل لفصل هذا التفصيل ، وقد حقق الله أميته ، وقال بهذا القول والفريق طائفة من الأصحاب منهم ، وقال أكثرهم قولاً رابحاً فى المسألة ، وهو التفرة بين أكل الكلب فيحرم لحديث حدى ، وبين أكل الصقور ونحوها فلا يحرم ، لأنه لا يقبل التسليم إلا بالأكل .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا أبو إسحاق الشيباني ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس أنه قال فى الطير : « إذا أرسلته قتل فكل . فان الكلب إذا ضربته لم يحد » وإن تمسك الطير أن يرجع إلى صاحبه وليس يضرب ، فإذا أكل من الصيد وثقت الريش فكل (١) .

وكذا قال إبراهيم الخفي ، والثعلبي ، وحماد بن أبي سليمان .

وقد يحتاج هؤلاء بما رواه ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو سعيد ، حدثنا المغيرة ، حدثنا عماد ، عن الشعبي ، عن حلى بن حاتم قال ، قلت : يا رسول الله ، إذا قوم لصيد بالكلاب والبراة ، فما يحل لنا منها ؟ قال : يحل لكم ما حل من الجوارح مكبلين تعلمون بما حكمكم الله فكلوا مما أسكن عليكم ، واذكروا اسم الله عليه ، ثم قال : « ما أرسلت من كلب وذكر اسم الله عليه فكل ما أسكبه عليك . قلت : وإن قتل ؟ قال : وإن قتل ما يأكل . قلت : يا رسول الله ، وإن غالت كلابها غيرها ؟ قال : فلا تأكل حتى تعلم أن كلبك هو الذى أسكبه . قال ، قلت : إنا قوم نرى ، فما يحل لنا ؟ قال : ما ذكرت اسم الله عليه وشترت فكل » .

فوجه الدلالة لهم أنه اشترط فى الكلب أن لا يأكل ، ولم يشترط ذلك فى البراة ، فكل حل التفرة بينهما فى الحكم ، والله أعلم .

وقوله : (فكلوا مما أسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) أى : عند الإرسال ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم : « إذا أرسلت كلبك المعلم ، وذكرت اسم الله ، فكل ما أسكبه عليك » . وفى حديث أبى ثعلبة الخفري فى الصحيحين أيضاً : « إذا أرسلت كلبك ، فاذكر اسم الله ، وإذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله » (٢) ولما اشترط من الأئمة كأحمد - فى المشهور عنه - التسمية - عند إرسال الكلب والرمى بالسهم لهذه الآية وهذا الحديث ، وهذا القول هو المشهور من الجمهور : أن المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الإرسال ، كما قال السدي وضري واحد .

(١) تفسير الطبري : ٥٥٧/٩ .

(٢) مسلم ، كتاب الصيد ، ٥٨/٦ . والبشارى ، كتاب الأسماك : ١١٢/٧ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (واذكروا اسم الله عليه) ، يقول : إذا أرسلت جارك لقل ، باسم الله ، وإن نسيت فلا حرج .

وقال بعض الناس : المراد بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الأكل كما ثبت في الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عظم ربييه عمر بن أبي سلمة فقال : « سَمَّ الله ، وكلَّ يمينك ، وكلَّ مما يليك » (١) . وفي صحيح البخاري ، عن عائشة أنهم قالوا : يا رسول الله ، إن قوما يأتونا - حديث عهد بهم بكفر - بلحْمان لا ندرى أذكر اسم الله عليها أم لا ؟ قال : سموا أنتم واكلوا » (٢) .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا هشام ، عن يَـدَيْل ، عن عبد الله بن عبيد بن حمير ، عن عائشة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه ، فجاء أعرابي فأكله بقلمتين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إنه لو كان ذكر اسم الله لكفاكم ، فإذا أكل أحدكم [طعاما] فليذكر اسم الله ، فإن نسي أن يذكر اسم الله [في] أوله ، فليقل : باسم الله أوله وآخره » (٣) .

وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، به . وهذا منقطع بين عبد الله بن عبيد بن حمير وعائشة ، فإنه لم يسمع منها هذا الحديث ، بدليل ما رواه الإمام أحمد :

حدثنا عبد الوهاب ، أخبرنا هشام - يعني ابن أبي عبد الله الدستوائي - عن يَـدَيْل ، عن عبد الله بن عبيد بن حمير ، أن امرأة منهم - يقال لها : أم كلثوم - حدثته ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل طعاما في ستة من أصحابه ، فجاء أعرابي جامع فأكله بقلمتين ، فقال : أما إنه لو ذكر اسم الله لكفاكم ، فإذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله ، فإن نسي اسم الله في أوله فليقل : باسم الله أوله وآخره » (٤) .

رواه أحمد أيضاً (٥) ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي من غير وجه عن هشام الدستوائي ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

حديث آخر : وقال أحمد : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا جابر بن صبح ، حدثني القتي ابن حبلان عن الحسن انطراعي - وصحبه إلى واسط - فكان يسمى في أول طعامه ، وفي آخر لقمة يقول : باسم الله أوله وآخره . [قلت له : إنك تسمى في أول ما تأكل ، رأيت قولا في آخر ما تأكل : باسم الله أوله وآخره] (٦) قال : أخبرك [عن ذلك] (٧) إن جدي أمية بن غنم - وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [سمعته يقول : إن رجلا كان

(١) البخاري ، كتاب الأطعمة : ٨٨/٧ . ومسلم ، كتاب الأضحية : ١٠٩/٦ .

(٢) البخاري ، كتاب التوحيد : ١٤٦/٩ .

(٣) مسند أحمد : ١٤٢/٦ . وسنن ابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، الحديث ٣٢٦٤ : ٣٢٦/٢ .

(٤) مسند أحمد : ٢٦٥/٦ .

(٥) مسند أحمد : ٢٤٦/٦ . وسنن أبي داود ، كتاب الأطعمة : ٢٤٧/٣ ، ونعطة الأسوذي ، كتاب الأطعمة : ٥٩٤/٥ .

ياكل ، والتي ينتظر ، لم يسم ، حتى كان في آخر طعامه قامة ، فقال : باسم الله أوله وآخره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم [(١) : والله ما زال الشيطان يأكل معه حتى سمى ، فلم يبق شيء في بطنه حتى قامه ، (٢)]

وهكذا رواه أبو داود والنسائي ، من حديث جابر بن صبح الراسي أبي بشر البصري ، ورواه ابن مبيع والنسائي ، وقال أبو الفتح الأزدى : لا تقوم به الحجة .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن خبيشة ، عن أبي حنيفة - قال أبو حنيفة الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد : واسمه سلمة بن الميثم بن صهيب ، من أصحاب ابن مسعود - عن حنيفة قال : وكنا إذا حضرا مع النبي [على طعام ، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله فيضع يده ، وإذا حضرا معه] (٣) طعاما فجاءت جارية كأنها تكضع (٤) للعبث تضع يدها في الطعام ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدها ، وجاء أعرابي كأنما يكضع فذهب يضع يده في الطعام ، فأخذ رسول الله يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان يستعمل الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها ، فأخلفت يدها ، وجاء بهذا الأعرابي ليستحل به ، فأخلفته يده ، والذي نعى يده ، إن يده في يدي مع يدهما : يعني للشيطان (٥) ، وكذا رواه (٦) مسلم وأبو داود والنسائي ، من حديث الأعمش ، به .

حديث آخر : روى مسلم وأهل السنن إلا الترمذي ، من طريق ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله [عن النبي صلى الله عليه وسلم] قال : إذا دخل الرجل بيته ، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، فإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركتم اللبث والعشاء .

لقط أبي داود (٧) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن وحشى بن حرب بن ابن وحشى بن حرب ، عن أبيه ، عن جده : أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إذا نأكل وما نشبع ؟ قال : فلعلكم تأكلون مغرلين ، اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله ، يبارك لكم فيه (٨) .

ورواه أبو داود ، وابن ماجه ، من طريق الوليد بن مسلم .

(١) من مسند أحمد .

(٢) مسند أحمد : ٣٣٦/٤ ، وسنن أبي داود : كتاب الأضحية : ٣٤٧/٣ ، ٣٤٨ .

(٣) سقط من غيرنا ، وأثبتناه من المسند .

(٤) كأنما تكضع : أي يدهنها دافع .

(٥) مسند أحمد : ٢٨٢/٥ ، ٢٨٢ .

(٦) مسلم : كتاب الأضحية : ١٠٨ ، ١٠٧/٦ ، وسنن أبي داود : كتاب الأضحية : ٣٤٧/٣ .

(٧) سنن أبي داود : كتاب الأضحية : ٣٤٧/٣ وسلم : كتاب الأضحية : ١٠٨/٦ .

(٨) مسند أحمد : ٥٠١/٣ ، وسنن أبي داود : كتاب الأضحية : ٣٤٦/٣ . وابن ماجه : كتاب الطعام : الحديث

٣٢٨٦ ، ١٠٩٢/٢ .

الْيَوْمَ أَهْلُ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكَ وَطَعَامُكَ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمَحْصَنَاتُ
مِنَ الْيَهُودِ وَالْمَحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ إِذَا قَالَتُمُوهنَّ أَجْرَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ
مُسْتَفْضِينَ وَلَا مَبْغِيَاتٍ غَضْبَانَ مِمَّنْ يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ قَدْ حَبِطَ عَمَلُهُمْ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٤١﴾

ذكر تعالى ما حرمه على عباده المؤمنين من الطيبات ، وما أحله لهم من الطيبات ، قال بعده : (اليوم أحل لكم

الطيبات) .

لم ذكر حكم ذباح أهل الكتابين من اليهود والنصارى ، فقال : (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) . قال
ابن حبان ، وأبو أمة ، ومجاهد ، وسعد بن جبير ، وعكرمة ، وعطاء ، والحسن ، ومكحول ، وإبراهيم النخعي
والسدي ، ومقاتل بن حنبلان : « يعني ذبائحهم » .

وهذا أمر جميع عليه بين العلماء : أن ذبائحهم حلال للمسلمين ، لأنهم يقتلون محرماً للربح لغير الله ، ولا يذكرون
على ذبائحهم إلا اسم الله ، وإن احتضروا فيه تعالى ما هو مذكور من قولهم ، تعالى يقتل . وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله
ابن مفل قال : « دكتي جرباب من لحم يوم غير فاضلته وقلت : لا أعطى اليوم من هذا أحداً ، واقتضت فاذا النبي
صلى الله عليه وسلم يتهم (١) » .

لما استدل به الفقهاء على أنه يجوز تناول ما يحتاج إليه من الأطعمة ونحوها من الغنمية قبل القسمة ، وهذا ظاهر ، واستدل
به الفقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة على أصحاب مال في منعهم أكل ما يعتقد اليهود تحريمه من ذبائحهم ، كالشحوم
ونحوها مما حرم عليهم ، فلما لكتبة لا يجوزون للمسلمين أكله ، لقوله تعالى : (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) ، قالوا :
وهذا ليس من طعامهم . واستدل عليهم الجمهور بهذا الحديث ، وفي ذلك نظر ، لأنه قضية عين ويعمل أنه كان شحاً
يقتلون حله ، كشم الظهور والمرايا ونحوها ، والله أعلم :

وأجود منه في الدلالة ما ثبت في الصحيح : أن أهل خيبر أهلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسكينة ،
وقد سموا ذراعها ، وكان يجبهه اللراع ، فتأوله فتش منه تهشة ، فأخبره اللراع أنه مسموم ، فلفظه وأثر ذلك
السم في ثيابا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي آجره ، وأكل منه منها بشر بن البراء بن معمر ، فمات ، فقتل اليهودية
التي سمها ، وكان اسمها زيب ، فقتلت ببشر بن البراء (٢) .

ووجه الدلالة منه أنه حرم على أكلها ومن معه ، ولم يسألهم هل تزرعوا منها ما يقتلون تحريمه من شحمها أم لا ،

(١) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد : ٦٥/٣ . ومسلم ، كتاب الجهاد : ١٦٣/٥ .

(٢) بنظر سنن أبي داود ، كتاب الطيبات : ١٧٣/٤ . ومسلم ، كتاب السلام : ١٥٩٤/٧ . وفاة حنبلية : مطبوعة . والأجود :
وريد في الحق .

وفي الحديث الآخر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أضافه يهودى على عهز شعير وإمالة صبيحة ، يبنى ، ودكا زكخا(١) .

وقال ابن أبي حاتم : قرئ على العباس بن الوليد بن مزيد ، أشعرنا محمد بن شعيب ، أشعركي الصبان بن الخثر ، عن مكحول قال : أنزل الله : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ثم فسختها الرب عز وجل ، ورحم المسلمين ، فقال : (اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) ، ففسختها بذلك ، وأحل طعام أهل الكتاب ،

وفي هذا الذي قاله مكحول ، رحمه الله ، فانه لا يلزم من إباحة طعام أهل الكتاب إباحة أكل ما لم يذكر اسم الله عليه ، لأنهم يذكرون اسم الله على ذبائحهم [وقرائبتهم] وهم معبدون بذلك ، ولما لم يبح ذبائح من عبادهم من أهل الشرك ومن شابههم ، لأنهم لم يذكروا اسم الله على ذبائحهم [بل ولا يقرءون بها يأكلونه من اللحم حل ذكاة ، بل يأكلون الميتة] بخلاف أهل الكتابين ومن شاكلهم من السامرة والصابئة ، ومن تمسك بدين إبراهيم وشيت وغيرهما من الأنبياء ، حل أحد قول العلماء ، ونصارى العرب كبنى تغليب وتشوش ويهتركة وجلماد وتغنم وعكبة ومن أشبههم ، لا يؤكل ذبائحهم عند الجمهور .

قال أبو جعفر بن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علكية ، عن أبيوب ، عن محمد ، عن عبيدة قال : قال حل : لا تأكلوا ذبائح بني تغلب ، لأنهم إنما يتمسكون من النصرانية بشرب الخمر (٢) ،

وكذا قال غير واحد من الخلف والسلف ،

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة عن سعيد بن المسيب والحسن : أنها كانت لا يريان بأسا بديعة نصارى بنى تغلب (٣) ، وأما المجوس ، فأنهم وإن أخذت منهم الجزية تبعا وإلحاقا لأهل الكتاب ، فأنهم لا يؤكل ذبائحهم ولا تتكع أسلهم ، خلا لا لأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل ، ولا قال ذلك واشتهر عنه أنكروا عليه الفقهاء ذلك ، حتى قال عنه الإمام أحمد : أبو ثور كاسمه [يبنى في هذه المسألة] ، وكأنه تمسك بموضع حديث روى مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سئوا بهم سنة أهل الكتاب (٤) » ، ولكن لم يثبت بهذا اللفظ ، وإنما الذي في صحيح البخاري ، عن عبد الرحمن بن عوف : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الجزية من متجنوس هجرت (هـ) ، ولو سلم صحة هذا الحديث فمفهومه مخصوص بمفهوم هذه الآية : (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) ، فدل بمفهومه — مفهوم مخالفة — على أن طعام من عبادهم من أهل الأديان لا يحل .

-
- (١) سنة أحد عن أنس بن مالك : ١٣٣/٣ ، ١٨٠ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ .
والإمالة : كل شيء من الأديان ما يؤتمن يسمى إمالة . وقيل ، هو ما أوجب من الآية والشعر . وقيل : اسم الإمالة .
والسنة : المتغيرة للريح . والوردك : اسم للجن .
(٢) تفسير الطبري : ٥٧٥/٩ .
(٣) المصدر نفسه : ٥٧٤/٩ .
(٤) الموطأ : كتاب الزكاة : ٢٧٨/١ .
(هـ) صحيح البخاري ، باب الجزية والموادعة : ١١٧/٤ .

وقوله : (وطعامكم حل طم) ، أى : ويحل لكم أن تطعموهم من ذبائحكم ، وليس هذا إخبارا عن الحكم عنهم ، اللهم إلا أن يكون خبرا عما أمروا به من الأكل من كل طعام ذكر اسم الله عليه ، سواء كان من أهل ملتهم أو غير ما . والأول أظهر فى المعنى ، أى : ولكم أن تطعموهم من ذبائحكم ، كما أكلتم من ذبائحهم . وهذا من باب المكافأة والمقابلة والمجازاة ، كما أليس النبي صلى الله عليه وسلم ثوبه لعبد الله بن أبى بن سلول حين مات ودلته فيه ، قالوا : لأنه كان قد كسا العباس سبع قدام للنبية ثوبه ، فجازاه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بملك ، فأما الحديث الذى فيه : لا تصحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي (١) : فمحذوف عن التذنب والاصحاب ، والله أعلم :

وقوله : (والمصنعات مع المؤمنين) ، أى : وأحل لكم لكاح الحرائر المغافلات من النساء المؤمنات ، وذكر هذا ترجمة لما بعده ، وهو قوله : (والمصنعات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) ، القليل : أولاه بالمصنعات : الحرار دون الإماء ، حكاه ابن جرير من مجاهد (٢) : وإنما قال مجاهد : المصنعات الحرار فيحمل أن يكونوا أدماعا عنه ، ويحصل أن يكون أراد بالحررة العفيفة كما قاله مجاهد فى الرواية الأخرى (٣) عنه : وهو قول الجمهور ما هنا ، وهو الأشبه ، فلما يجمع فيها أن تكون ذمية وهي مع ذلك غير حقيقية ، فيفسد حلها بالكالية ، ويحصل زوجها على ما قيل فى المثل : حششا وسوء كيلة (٤) ، والظاهر من الآية أن المراد بالمصنعات : العفيفات عن الزنا ، كما قال فى الآية الأخرى : (مصنعات غير مسافحات ولا متطلمات أخدان) (٥) .

ثم اختلف المفسرون والمألف فى قوله : (والمصنعات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) : هل يعم [كل] كتابية حقيقية ، سواء كانت حرة أو أمية ؟ حكاه ابن جرير من طائفة من السلف ، بمن فسر المصنعة بالعفيفة (٦) . وقيل : المراد بأهل الكتاب ما هنا الإسرائيليات (٧) ، وهو ملحق بالشافى . وقيل : المراد بذلك : للميمات دون الحرريات ، لقوله : (قالوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) : الآية .

وقد كان عبد الله بن عمر لا يرى التزويج بالنصرانية ، ويقول : لا أعلم شركا أعظم من أن تقول : إن ربنا عيسى ، وقد قال الله تعالى : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) : الآية .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن حاتم بن سليمان المؤدب ، حدثنا القاسم بن مالك - يحنى الثرى - حدثنا إسحاق بن سميع ، عن أبى مالك النخارى ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : (ولا تنكحوا المشركات

(١) مسند أخيه من أبى سيد القدرى : ٣/٣٨٧ .

(٢) تفسير الطبرى : ٩/٥٨٢ .

(٣) المصدر السابق : ٩/٥٨٥ .

(٤) جميع الأمثال البيهقي : ١/٢٠٧ ، للمثل رقم ١٠٩٨ . وقد روى بصيغة الاستفهام الإنكارى : « أحطفا وسوء كيلة » . والمشتق : أردأ اثر - وكيلة - بكسر الكاف - وهى تلك حل الحال التى يكون عليها الكليل ، أى : إن فيها بشا وبهنا . والمعنى : أتجمع الحشف وسوء الكليل ؟ ! ويفسر هذا المثل أن يجمع بين غصنين مكروحين .

(٥) التيسار : ٢٥ . ينظر : ٢/٢٢٧ .

(٦) ينظر تفسير الطبرى : ٩/٥٨٤ - ٥٨٧ .

(٧) السبب فى قصر المصنعات من الذين أوتوا الكتاب على الإسرائيليات - منه أسماها هذا القول - هو أن لا يشرك مع الله أسدا ، بخلاف النصرانيات ، فإن منهن من تقول بالتنطيط ، ومن تقول بالوعدة معنى وأنه .

حتى يؤمن) ، قال : فحجز الناس عنهم حتى نزلت إلى بعدنا : (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) ، فذلكم الناس نساء أهل الكتاب .

وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى ولم يروا بذلك بأساً ، أخطأ بهذه الآية الكريمة : (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) ، فجعلوا هذه مخصصة للآية التي [في سورة] البقرة : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) (١) إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها ، وإلا فلا معارضة بينها وبينها ، لأن أهل الكتاب قد يفتصل في ذكركم من المشركين في غير موضع ، كما قال تعالى : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) ، وكفوله : (وقال الذين أوتوا الكتب والأمين : أسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا) .. الآية . وقوله : (إذا آتيتهمون أجورهم) ، أي : مهوورهم ، أي : كما من عصنات صفائف طابلقوا لمن المهور عن طيب نفس : وقد أفق جابر بن عبد الله ، وإبراهيم النخعي ، وعامر الشعبي ، والحسن البصري بأن الرجل إذا نكح امرأة كثر قبل دخوله بها ، أنه يفرق بينه وبينها ، وتردد عليه ما يملك لها من المهر . ورواه ابن جرير عنهم (٢) .

وقوله : (محصنات غير مسافحين ولا متخذى أخدان) ، فكما شرط الإحصان في النساء - وهي العفة من الزنا - كذلك شرطها في الرجال وهو أن يكون الرجل أيضاً عصتاً خفيهاً ، ولهذا قال : (غير مسافحين) وهم : الزناة الذين لا يرتدعون عن مصيبة ، ولا يردون أنفسهم عن جامعهم ، (ولا متخذى أخدان) أي : ذوى المشيقات الذين لا يهتمون إلا بمهون ، كما تقدم في سورة النساء سواء (٣) . ولهذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، إلى أنه لا يصح نكاح المرأة البغي حتى تنوب ، وما دامت كذلك لا يصح تزويجها من رجل عفيف ، وكذلك لا يصح عنده عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى يتوب ويقلع عما هو فيه من الزنا ، لهذه الآية وللحديث الآخر : (لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله (٤))

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا أبو هلال ، عن قتادة ، عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : وقد حميت أن لا أدع أحداً أصاب فاحشة في الإسلام أن يتزوج عصية ، فقال له أبي بن كعب : يا أمير المؤمنين ، الشرك أعظم من ذلك ، وقد يقبل منه إذا تاب (٥) .

وسباني الكلام على هذه المسألة مستقصى عند قوله : (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين) (٦) ولهذا قال تعالى هاهنا : (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين) .

(١) البقرة : ٢٢١ . وينظر : ٢٧٥/١ - ٢٧٧ .

(٢) تفسير الطبري : ٥٨٦/٩ .

(٣) النساء : ٢٥ . ينظر : ٢٢٧/٢ .

(٤) مسند أحمد عن أبي هريرة : ٢٢٤/٢ .

(٥) تفسير الطبري : ٥٨٤/٩ .

(٦) النور : ٣ .

يُنَادِيَا إِلَيْنَا أَنْتُمَا إِنْ أَنْتُمَا إِلَى الصَّلَاةِ فَاتَّخِذُوا بِجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ رَبِّكُمْ وَأَرْجِلُكُمْ إِلَى الْمَسْبُتِينَ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ تَمْسِكُوا إِلَيْهَا فَمَلَأُوا بِهَا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ الْبَصِيرُ ۝

قال كثيرون من السلف [في] قوله : [إذا قم إلى الصلاة] ، معناه وأنتم سجدون .

وقال آخرون : إذا قم من التزم إلى الصلاة ، وكلامها قريب .

وقال آخرون : بل المعنى أم من ذلك ، فالآية آمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة ، ولكن [هو] في حق المحدث على سبيل الإيجاب ، وفي حق المظهر على سبيل التنب والامتناع . وقد قيل : إن الأمر بالوضوء لكل صلاة كان واجبا في ابتداء الإسلام ، ثم نسخ ؟

قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة ، فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه ، وصل الصلوات بوضوء واحد . فقال له عمر : يا رسول الله ، إنك فعلت شيئا لم تكن تفعله ؟ قال : [إنني فعلت ما فعله يا عمر (١)]

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد (٢) . ووقع في سنن ابن ماجه ، عن سفيان عن عمار بن ماري - بطل علقمة بن مرثد - كلاًهما عن سليمان بن بريدة ، به . وقال الرملي : حسن صحيح .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عباد بن موسى ، أخبرنا زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي ، حدثنا الفضل بن المُبَشَّر قال : رأيت جابر بن عبد الله يصل الصلوات بوضوء واحد ، فاذا بال أو أحدث ، توضأ ومسح بفضل يده ثم سجد . فقلت : أبا عبد الله ، شيء تصنعه برأيتك ؟ قال : بل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصنعه [فأنأ أصنعه ، كما رأيت رسول الله (ص) يصنع]

وكذا رواه ابن ماجه ، عن إسحاق بن زبابة ، عن زياد البكائي ، به (٤) . وقال أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان الأنصاري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قال : [قلت له] : رأيت

(١) مسند أحمد ، ٣٥٨/٥ .

(٢) مسلم ، كتاب الطهارة ، باب المسح على الخفين ، ١٦٠/١ . وأبو داود ، كتاب الطهارة ، ٤٤/١ . ومجلة الأسدي ، كتاب الطهارة ، ١٩٨/١ . وسنن ابن ماجه ، كتاب الطهارة ، الحديث ٥١٠ ، ١٧٠/١ .

(٣) تفسير الجبري ، ١١/١٠٠ - وما بين القوسين منه .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الطهارة ، الحديث ١١١ ، ١٧٠/١ .

وضوء عبد الله بن عمر لكل صلاة طاهراً [كان] (١) أو غير طاهر ، حَسْبُ (٢) هو ؟ قال حدثته أميائه بنت زيد بن الخطاب أن عبد الله بن حنظلة [بن أبي عامر] (٣) [بن النسيب] حدثنا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر ، فلما شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسواك عند كل صلاة ووُضِعَ عنه الوضوء ، إلا من حدث . فكان عبد الله يرى أن به قوة على ذلك ، كان يفعله حتى مات (٤)

وكلما رواه أبو داود ، عن محمد بن هوف الحمصي ، عن أحمد بن خالد اللهي ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر . ثم قال أبو داود : ورواه إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق فقال : عبيد (٥) [ابن عبد الله] بن عمر ، يعني كما تقدم في رواية الإمام أحمد .

وأما ما كان فهو إسناده صحيح ، وقد صرح ابن إسحاق فيه بالتحديث والسياح من محمد بن يحيى بن حَبَّان ، فزال غلور التدليس . لكن قال الحافظ ابن حساكر : رواه سلمة بن الفضل وعلي بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن زُكَّانة ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، به . والله أعلم ، وفي لعل ابن عمر هذا ، ومدلوه على إسحاق الوضوء لكل صلاة ، دلالة على استحباب ذلك ، كما هو ملهب الجمهور .

وقال ابن جرير : حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، حدثنا أزهر ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين : أن النطفاء كانوا يوضؤون لكل صلاة .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن الحنفى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت مسعود بن حل الشيباني ، سمعت حكيمه يقول : كان على رضى الله عنه وضوء عند كل صلاة ، ويفرأ هذه الآية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ) : : الآية .

وحدثنا ابن الحنفى ، حدثني وهب بن جرير ، أخبرنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة ، [عن] الثَّوَالِ بن سبرة قال : رأيت علياً صلى الله عليه وسلم ، ثم بعد الناس في الرَّحْبَةِ ، ثم أتى بماء فغسل وجهه ويديه ، ثم مسح برأسه ورجليه ، وقال : هذا وضوء من لم يحدث :

وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : أن علياً أكال (٦) من حُبٍّ ، فوضأ وضوءاً له فنجزى فقال : هذا وضوء من لم يحدث . وهذه طرق جيدة عن علي يقرى بعضها بعضها .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال : « توضأ عمر بن الخطاب وضوءاً له تجزى ، خطيفاً ، فقال : هذا وضوء من لم يحدث » . وهذا إسناده صحيح .

(١) عن المسند .

(٢) لفظ المسند : م هو ؟

(٣) مسند أحمد : ٢٢٥/٥ .

(٤) مسند أبي داود ، كتاب الطهارة : ١٢/١ ، ١٣ .

(٥) في المخطوطة : « أدار من حب » . والمثبت من تفسير الطبري : ٧/١٠ . والحب - بضم الحاء - : البركة القسبية .

وقال محمد بن سيرين : كان الخلفاء يوشعرون لكل صلاة :

وأما مارواه أبو داود الطيالسي ، عن أبي حنبل ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب [أنه قال : الوضوء من غير حدث اعتداء : فهو غريب عن سعيد بن المسيب] : ثم هو مهول على أن من اعتقد وجوبه فهو مبتدع ، وأما مشروعيه استحباباً فقد دلت السنة على ذلك ، وقال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سليمان ، عن عمرو بن عامر الأنصاري ، سمعت أنس بن مالك يقول : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة » قال قلت : فأنتم كيف كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نصل الصلوات بوضوء واحد ما لم يحدث (١) .

وقد رواه البخاري وأهل السنن (٢) من غير وجه عن هشرو بن عامر ، به .

وقال ابن جرير : حدثني أبو سعيد البغدادي ، حدثنا إسحاق بن منصور ، عن هشرم ، عن عبد الرحمن بن زياد . هو الأفرقي . عن [أبي] خنيس ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات (٣) » .

ورواه أيضاً من حديث عيسى بن يونس ، عن الأفرقي ، عن أبي خنيس ، عن ابن عمر ، فذكره ، وفيه قصة (١) . وهكذا رواه أبو داود (٥) ، وأبو حنبل ، وابن ماجه من حديث الأفرقي ، به نحوه . وقال الترمذي : وهو إسناده ضعيف

قال ابن جرير : وقد قال قوم : إن هذه الآية نزلت إعلاما من الله أن الوضوء لا يجب إلا عند القيام إلى الصلاة ، دون غيرها من الأعمال ، وذلك لأنه عليه السلام كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سليمان ، عن جابر ، عن عبد الله بن أبي بكر بن هشرو بن حرم ، عن عبد الله بن حلقمة بن القشواء ، (٦) عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراق (٧) البول نكلمه فلا يكلمنا ، وسلم عليه فلا يرد علينا ، حتى نزلت آية الرخصة : (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ...) الآية

(١) مسند أحمد : ١٣٢/٣ .

(٢) البخاري ، كتاب الوضوء ، ٦٤/١ . وسنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٤٤/١ ، ونجدة الأحول ، كتاب الطهارة : ١٩٣/١ . وابن ماجه ، كتاب الطهارة : ٥٠٩ . الحديث ١٧٠/١ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٧/١٠ .

(٤) المصدر السابق : ٢٧/١٠ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ١٦/١ . ونجدة الأحول ، كتاب الطهارة : ١٩٣/١ . وابن ماجه ، كتاب الطهارة : الحديث ٥١٢ : ١٧٠/١ . ١٧١ .

(٦) كلما في غلطنا ، وهو السواب . وفي سائر النسخات : « حلقمة بن وقاص » وهو خطأ . ينظر تفسير الطبري : ٢٤ ، ٢٣/١٠ .

(٧) في النسخة : « أود البول » . وللتفت من المصدر السابق .

ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم ، عن أبي كريب ، به نحوه : وهو حديث شريف جليل ، وجابر هذا هو ابن يزيد (١) للجعفي ضعفه .

وقال أبو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا إسحاق ، حدثنا أيوب ، عن عبد الله بن أبي مئكة ، عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الخلاء ، فقدم إليه طعام ، فقالوا : ألا تأتلك بوضوء فقال : إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة (٢) .

وكذا رواه الترمذي (٣) عن أحمد بن منيع والنسائي عن ياد بن أيوب ، عن إسحاق وهو ابن حنبل ، به : وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وروى مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن سفیان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن الحويرث ، عن ابن عباس قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتى الخلاء ، ثم إنه رجع فأتى بطعام ، فقيل : يا رسول الله ، ألا تأتأ ؟ فقال : لم ؟ أصل فأوتأ ؟ (٤) .

وقوله : (فاضلوا وجوهكم) قد استعمل طائفة من العلماء بقوله : (إذا قمتم إلى الصلاة فاضلوا وجوهكم) حل وجوب ثنية في الوضوء ، لأن تقدير الكلام : (إذا قمتم إلى الصلاة فاضلوا وجوهكم لها) ، كما تقول العرب : (إذا رأيت الأمير قمه أي : له . وقد ثبت في الصحيحين حديث : (الأضال بالثبات) وإنما لكل امرئ ما نوى (٥) . ويستحب قبل غسل الوجه أن يذكر اسم الله تعالى على وضوئه ، لا ورد في الحديث من طرق جيدة ، عن جماعة من الصحابة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه (٦) . ويستحب أن ي غسل كله قبل إدخاله في الإناء ، ويتأكد ذلك عند القيام من النوم ، لا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يغمس يده في الإناء قبل أن يغسلها ثلاثاً لأن أحدكم لا يدري أين باتت يده (٧) .

وحديث الترجه عند الفقهاء : ما بين منابت شعر الرأس - ولا اعتبار بالصلع ولا بالتميم (٨) - إلى منتهى العجين والثلث

(١) في المطبوعة : (بن زيه) وللتب من العبارة ، وأخرج : ٤٩٧/١ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأضحية : ٣١٥/٢ .

(٣) تحفة الأحرص ، كتاب الأضحية : ٥٧٩/٥ ، ٥٨٠ . والنسائي ، كتاب الطهارة : ٨٥/١ ، ٨٦ .

(٤) مسلم ، كتاب الطهارة : باب جزاء أكل الحدث الطعام : ١٩٤/١ ، ١٩٥ . وفي المطبوعة : (لم أصل فأوتأ) وللحديث من صحيح مسلم .

(٥) البخاري ، باب يده القوس : ٢/١ . ومسلم ، كتاب الإمارة : ٤٨/٦ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٣٥/١ . وتحفة الأحرص ، كتاب الطهارة : ١١٣/١ ، ١١٤ . وابن ماجه ، كتاب الطهارة كذلك : الأحاديث من ٣٩٧ - ٤٠٠ : ١٣٩/١ ، ١٤٠ . ومسنن أحمد عن أبي هريرة : ٤١٨/٢ .

(٧) البخاري ، كتاب الوضوء : ٥٢/١ . ومسلم ، كتاب الطهارة : ١٦٠/١ .

(٨) القم - يفتح للثمن وللم - : أن يسيل الشعر من الرأس في لوجه والفتا ، حتى تنقي البنية ويصغر الفتا ، يقال لرجل إذا كان كذلك : ألم ، والمرأة : غاه . وعليه قول البصري الجلسي :

فلا تنكحى إن فرق الشعر يفتا . ألم الفتا والوجه ليس بالفتا

والأنزع : الذي انزع الشعر من جلته ناسيته يفتا ، وفهلا . ينظر كتابه علق الإنسانه لأبي عبد الله : ٩٩ .

طولا ، ومن الأذن إلى الأذن عرضا ، وفي التَّزَحُّنِ (١) والتَّحْلِيفِ خلاف ، حل هما من الرأس أو الوجه ، وفي المسترسل من اللحية عن عمل القرض قولان ، أحدهما : أنه يجب إفاضة الماء عليه لأنه يقع به اللواجعة . وروى في حديث : « أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا مغفليا لحية ، فقال : اكشفها ، فإن اللحية من الوجه » . وقال مجاهد : هي من الوجه ، ألا تسمع إلى قول العرب في الغلام إذا نبت لحية : طلع وجهه .

ويستحب المتوضيء أن يغسل لحيته إذا كانت ككثرة ، قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل عن عامر بن شقيق بن جَمْرَةَ [عن أبي وائل] قال رأيت عثمان توضأ - فذكر الحديث - قال : وغسل اللحية ثلاثا حين غسل وجهه ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل الذي رأيتوني فعلت (٢) .

رواه الترمذي ، وابن ماجه من حديث عبد الرزاق وقال الترمذي : حسن صحيح ، وحسنه البغاري .

وقال أبو داود : حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا أبو المليح ، حدثنا الوليد بن زُوْرَكَنَ ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أخذ كفا من ماء فأدخله تحت عنقه ، يغسل به لحيته ، وقال : « هكذا أمرني به ربِّي عز وجل (٣) » ،

نورد به أبو داود . وقد روى هذا من غير وجه عن أنس : قال البيهقي : وروينا في تحليل اللحية عن عامر ، وحاشية ، وأم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عن علي وغيره ، وروينا في الرخصة في تركه عن ابن عمر ، والحسن ابن علي ، ثم عن النخعي ، وجماعة من التابعين .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه في الصبوح وغيرها : أنه كان إذا توضأ تمضمض واستنشق ، فاختلف الأئمة في ذلك : هل هما واجبان في الوضوء والغسل ، كما هو مذهب أحمد بن حنبل ، رحمه الله ؟ أو مستحبان فيها ، كما هو مذهب الشافعي ومالك ؟ لا ثبت في الحديث الذي رواه أهل السنن وصححه ابن خزيمة ، عن رفاعة بن رافع الزُّرقي : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسميء في صلاته : « توضأ كما أمرك الله » أوجبان في الغسل دون الوضوء ، كما هو مذهب أبي حنيفة ؟ أو يجب الاستنشاق دون المضمضة كما هو رواية عن الإمام أحمد لا ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من توضأ فليستغشِّر (٤) » وفي رواية : « إذا توضأ أحدكم فليجعل في منخريه من الماء ثم ليستر » والاعتكاف هو المبالغة في الاستنشاق .

(١) التزعة : موضع التزح من الرأس ، وقد ندر في الأثر . ولما التحيف فيذكره صاحب المصباح كثير بقوله : « والتحليف من الرأس ما يحد للشد تنبيه الشعر » ، وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه ، مهما وضع طرف يمينه على رأس الأذن ، والمثلث الثاني على زاوية الجبين » .

(٢) لم نجده في مسند أحد . والحديث رواه الترمذي وابن ماجه في كتاب الطهارة ، ينظر تحفة الأحرف : ١٣٢/١ . وابن ماجه الحديث : ٤٣٠ ، ١٤٨/١ ، ١٤٩ . وما بين القوسين من هذه المصادر .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٣٧/١ .

(٤) البخاري ، كتاب الوضوء : ٥٢/١ . ومسلم ، كتاب الطهارة : ١٤٦/١ . وفي القبطية : « وليستغشِّر » ولم نجده في الصحيح بهذا اللفظ ، ولعلها محرفة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سلمة الخزازي ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس : أنه ترويضاً لفصل وجهه [تم] (١) أخذ غرفة من ماء فتمضمض بها واستنثر ، ثم أخذ غرفة فغسل بها فكلمها ، يعني أضافها إلى يده الأخرى ، فغسل بها وجهه . ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى ، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى ، ثم مسح رأسه (٢) ثم أخذ غرفة من ماء ، ثم رش على رجليه اليمنى حتى غسلها ، ثم أخذ غرفة أخرى فغسل بها رجليه اليسرى ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) يعني يترويضاً .

ورواه البخاري ، عن محمد بن عبد الرحيم ، عن أبي سلمة منصور بن سلمة الخزازي ، به (٤)

وقوله : (وأبديكم إلى المراق) أي : مع المراق ، كما قال تعالى : (ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم إنه كان حراماً كبيراً)

وقد روى الحافظ الماروقني وأبو بكر البيهقي ، من طريق القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جده ، [عن] جابر بن عبد الله قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ترويضاً أحلر الماء على مرقفيه . ولكن القاسم هذا مروي عن الحديث وجهه ضعيف ، والله أعلم .

ويستحب للمترضى أن يشرع في العبد فيضله مع ذراعيه ، لا روى البخاري ومسلم ، من حديث لُحَيْمِ الْمُجَشَّمِ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أمتي يُدْعَوْنَ يوم القيامة خُرّاً عجولين من آكل الرضوء ، فمن استطاع منك أن يطيل خُرَّتَهُ ليقبل (٥) » :

وفي صحيح مسلم ، عن ثقيبة ، عن خلف بن خليفة ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : سمعت خليل صلى الله عليه وسلم يقول : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الرضوء (٦) » .

وقوله : (واسموا بروسكم) اختلفوا في هذه « الباء » هل هي للإصااق وهو الأظھر ، أو للتبقيص ، وفيه نظر ، حل قولين : ومن الأصوليين من قال : هذا مجمل فليرجع في بيانه إلى السنة ، وقد ثبت في الصحيحين من طريق مالك ، عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه (٧) : أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد بن حاصم - وهو جد عمرو بن يحيى ، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - : هل [تستطيع أن تربي كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم] (٨)

(١) عن المسند .

(٢) لفظ المسند : « ثم مسح برأسه » .

(٣) مسند أحمد : ٢٦٨/١ .

(٤) البخاري ، كتاب الرضوء : ٤٧/١ ، ٤٨ .

(٥) البخاري ، كتاب الرضوء : ٤٧/١ ، ومسلم ، كتاب الطهارة : ١٤٩/١ .

وغير مجملون : يفسر موضع الرضوء ، من الأيدي والرجل والاكتمام ، شبه باليافس الذي يكون في وجه الفرس ويده ورجليه .

(٦) مسلم ، كتاب الطهارة : ١٥١/١ .

(٧) لفظ الموطأ : « من أبيه أنه قال » ولفظ مسلم ، كتاب الطهارة : ١٤٥/١ .

(٨) سقط من خطوطنا ، وللتبقيص من الموطأ .

يقرباً ؟ فقال عبد الله بن زيد : نعم ، فلما برئوه ، فأفرغ على يديه ، فمسح عليه مرتين [مرتين] ، ثم مضى واستنشق ثلاثاً (١) ، وضل وجهه ثلاثاً ، ثم غسل يديه مرتين [مرتين] إلى الرقبتين ثم مسح يديه ، فأقبل بهما وأدير بدأ بقدم رأسه ثم خضع بهما إلى قدمه ، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه ، ثم غسل رجليه (٢) .

وفي حديث عبد خير ، عن علي في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا . وروى أبو داود ، عن معاوية وللقدام بن معد يكرب ، في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم مظه (٣) .

ففي هذه الأحاديث دلالة لمن ذهب إلى وجوب تكميل مسح جميع الرأس ، كما هو مذهب الإمام مالك وأحمد ابن حنبل ، لا سيما على قول من زعم أنها خرجت بخرج البيان لا أجل في القرآن . وقد ذهب الحنفية إلى وجوب مسح ريع الرأس ، وهو مفكر الناصية .

وقد ذهب أصحابنا إلى أنه إنما يجب ما يطلق عليه اسم مسح ، لا يقتدر ذلك بمقدار ، بل لو مسح بعض شعره من رأسه أجزاء .

واصح الأقربان بحديث المغيرة بن شعبة ، قال : « تخلف النبي صلى الله عليه وسلم فتخلخت معه ، فلما قضى حاجته قال : هل معك ماء ؟ لأتيه بمطهرة فمسح كفيه ووجهه ، ثم ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كرم الحجة ، فأخرج يديه من تحت الحجة وألقى الحجة على منكبيه ، فمسح ذراعيه ومسح بياضته ، وحل العمامة وحل خفيه » وذكر باقي الحديث . وهو في صحيح (٤) مسلم وغيره .

فقال لهم أصحاب الإمام أحمد : إنما اقتصر على مسح الناصية لأنه كمل مسح بقية الرأس على العمامة ، ونحن نقول بذلك ، وأنه يقع من اللوع كما وردت بذلك أحاديث كثيرة ، وأنه كان يمسح على العمامة وحل الخفين ، فهذا أولى ، وليس لكم فيه دلالة على جواز الاكتفاء على مسح الناصية أو بعض الرأس من غير تكميل على العمامة ، والله أعلم .

ثم اختلفوا في أنه هل يصحب تكرار مسح الرأس ثلاثاً ، كما هو المشهور من مذهب الشافعي ، أو إنما يستحب مسح واحدة كما هو مذهب أحمد بن حنبل ومن تابعه على قولين . فقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عطاء بن يزيد اللبني عن حمران بن أبان قال : رأيت عثمان بن عفان توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً فغسلهما ، ثم مضى واستنشق (٥) ، ثم غسل وجهه ثلاثاً ، ثم غسل يده اليمنى إلى الرقبتين ثلاثاً ، ثم غسل اليسرى مثل ذلك ، ثم مسح برأسه . ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثاً ، ثم اليسرى ثلاثاً مثل ذلك ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم قال : من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه (٦) .

(١) لفظ الموطأ : « ثم تيمم واستنشق » .

(٢) الموطأ : باب العمل في الوضوء : ١٨/١ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، حديث عبد خير : ٢٧/١ ، وصحيف للقتاد : ٢٠/١ ، وصحيف معاوية : ٢١/١ .

(٤) مسلم : كتاب الطهارة : ١٥٨/١ ، ١٥٩ .

(٥) في السنة : « واستنشق » .

(٦) في السنة : « من توضأ وضوئي وكلمة ونحوه » .

(٧) سنن أحمد : ٥٩/١ .

أخرج البخاري ومسلم^(١) في الصحيحين من طريق الأثرى به نحو هذا ، وفي سنن أبي داود من رواية عبد الله بن حبيب الله بن أبي مليكة ، عن عثمان في صفة الرضوء : « مسح برأسه مرة واحدة^(٢) » ، وكلنا من رواية عبد غير ، عن حل مثله ،

واخرج من استجب تكرار مسح الرأس يعموم الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، عن عثمان ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوماً ثلاثة ثلاثاً^(٣) » .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن الحنفى ، حدثنا الضحاك بن عكلد ، حدثنا عبد الرحمن بن وردان ، حدثني أبو سلمة ابن عبد الرحمن ، حدثني حمزان قال : « وأبى عثمان بن عفان ترضاً ... قد ذكر نحوه ، ولم يذكر المضمضة والاستنشاق ، قال فيه : « ثم مسح رأسه ثلاثة ، ثم غسل رجليه ثلاثة ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ترضاً هكذا » وقال : « من ترضاً [دون] هذا كفاه^(٤) » .

نورد به أبو داود ، ثم قال : « وأحدث عثمان الصباح تدل على أنه مسح الرأس مرة واحدة » وقوله (ولرجلكم إلى الكعبين) ، قرئ (ولرجلكم) بالنصب صفحا على (فاضلوا وجوهكم وأيديكم) ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا وهيب ، عن خالد ، عن حكمة ، عن ابن عباس : أنه قرأها (ولرجلكم) يقول : رجعت إلى النفس .

وروى عن عبد الله بن مسعود ، وعروة ، وعطاء ، وحكمة ، والحسن ، وبجاءد ، وإبراهيم ، والضحاك ، والسندي ومقاتل بن حيان ، وإبراهيم ، وإبراهيم التيمي — نحو ذلك .

وهذه فرامة ظاهرة في وجوب الفسل ، كما قاله السلف ، ومن هاهنا ذهب من ذهب إلى وجوب الترتيب ، كما هو ملحق الجمهور ، خلافاً لأبي حنيفة حيث لم يشترط الترتيب ، بل لو غسل لحيته ثم مسح رأسه وغسل يديه لم وجهه أجزاء ذلك ، لأن الآية أمرت بفسل هذه الأعضاء ، « والواو » لا تدل على الترتيب . وقد سلك الجمهور في الجواب عن هذا البحث طرقتا ، فمنهم من قال : الآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء عند القيام إلى الصلاة ، لأنه مأمور به بفناء التعقيب ، وهي مقتضية الترتيب ، ولم يقل أحد من الناس بوجوب غسل الوجه أولاً ثم لا يجب الترتيب بعده ، بل يقال لثان ، أحدهما : بوجوب الترتيب ، كما هو واقع في الآية . والآخر يقول : لا يجب الترتيب مطلقاً ، والآية دلت على وجوب غسل الوجه ابتداء ، فوجب الترتيب فيها بعده بالإجماع ، حيث لا فارق . ومنهم من قال : لا نسلم أن الواو لا تدل على الترتيب ، بل هي دالة — كما هو ملحق طائفة من الصحابة وأهل السنة وبعض الفقهاء . ثم نقول — بتقدير [تسليم] كونها لا تدل على الترتيب القوي — : هي دالة على الترتيب شرعاً فيما من شأنه أن يرتب ، والدليل على ذلك أنه صلى الله

(١) البخاري ، كتاب الرضوء : ٥١/١ ، ومسلم ، كتاب الطهارة : ١٤١/١ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٢٦/١ ، ٢٧ .

(٣) مسلم ، كتاب الطهارة : ١٤٢/١ ، ١٤٣ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٢٦/١ ، ٢٧ . وما بين القوسين هنا .

عليه وسلم ﷺ ثلاث بالبيت ، خرج من باب الصفا وهو ينزل قوله تعالى : (إن الصفا والمروة من شعائر الله) ثم قال : « أبداً بما بدأ الله به ، فلفظ (١) مسلم ، ولفظ التَّحْبِيب : « ابدعوا بما بدأ الله به ، وهذا لفظ أسر ، وإسناده صحيح ، فلفظ على وجوبه البداة بما بدأ الله به ، وهو معنى كونها تدل على التَّحْبِيب فرحاً ، والله أعلم »

ومتهم من قال : لا ذكر تعالى هذه الصفة في هذه الآية على هذا التَّحْبِيب ، قطع النظر عن النظر ، وأدخل للمسوح بين المنسولين ، ذلك ذلك على زيادة التَّحْبِيب .

ومتهم من قال : لا شك أنه قد روى أبو داود وغيره من طريق عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضعاً مرة » ، ثم قال : هذا وضوء لا يقتل الله الصلاة إلا به (٢) . قالوا : فلا يخفى إما أن يكون توضعاً مرتباً فيجب التَّحْبِيب ، أو يكون توضعاً غير مرتب فيجب عدم التَّحْبِيب ، ولا قال به ، فوجب ما ذكره .

وأما القرامطة الأخرى ، وهي قرامطة من قرأ (وأرجلكم) بالتلفظ . فقد احتج بها الشيعة في قولهم بوجود مسح الرجلين ، لأنها عندهم معطوفة على مسح الرأس . وقد روى عن طائفة من السلف ما يؤم بالقول بالمسح ، فقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، حدثنا حميد قال : قال موسى بن أسد لأبي الحسن وعنه : يا أبا حمزة ، إن الحجاج غطيتنا بالأحواز ونحن معه ، فذكر الطهور فقال : « اغسلوا وجوهكم وأيديكم ، واسحوا برؤوسكم وأرجلكم ، وإله ليس شيء من ابن آدم أقرب من غيبته (٣) من قدميه ، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعرسكهما » . قال أنس : صدق الله وكتب الحجاج ، قال الله : (واسحوا برؤوسكم وأرجلكم) : قال : وكان أنس إذا مسح قدميه بكليهما (٤) .

إسناده صحيح إليه .

وقال ابن جرير : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد ، حدثنا حاتم الأحول ، عن أنس قال : « نزل القرآن بالمسح ، والسنة للنسب (٥) » .

وهذا أيضاً إسناده صحيح .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب (هـ) حدثنا محمد بن قيس الكوراني ، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن حكيم ، عن ابن عباس قال : « الوضوء خمسستان ومسحتان » .

وكذا روى سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة .

وقال ابن حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو معمر المقرئ ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا علي بن زيد ، عن يوسف ابن مهران ، عن ابن عباس : « واسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » قال : « هو للمسح » . ثم قال : وروى عن

(١) مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم : ١٠/٤ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة .

(٣) نسـ البخاري : « أقرب إلى عيه » .

(٤) تفسير المقرئ : ٨٨/١٠ .

(هـ) في المنطوق : « أبو كريب بن مسرة » ، عن ابن جريج ... « ويظهر أن فيه سقطاً ، وقد أثبتنا ما في تفسير المقرئ » ويقول المصنف : ٨٨/١٠ « محمد بن قيس الكوراني » لم يرد له ذكر ، ولم يعرف من يكون ، وصح أن يكون مخرفاً .

ابن عمر ، وعقبة ، وأبي جعفر محمد بن علي ، والحسن - في إحدى الروايات - وجابر بن زيد ، وعجاءد - في إحدى الروايات - نحوه .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن حبان ، حدثنا أبو برة ، قال : رأيت حكمة يسبح على رجله ، قال : وكان يقول (١) .

وقال ابن جرير : حدثني أبو الصائغ ، حدثنا ابن إدريس ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : ترك جبريل بالمسح . ثم قال الشعبي : ألا ترى أن التيمم أن يسبح ما كان ضللاً ، ويلبى ما كان مسحاً (٢) ؟ .

وحدثنا ابن أبي زياد ، حدثنا يزيد ، أخبرنا إسماعيل ، قلت لسامر ، إن ناساً يقولون : إن جبريل نزل بسمل الرجلين ؟ فقال : نزل جبريل بالمسح (٣) .

فهذه آثار غريبة جداً ، وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو غسل الخفيف ، لا ستكره من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين . وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض إما على المجاورة وتناسب الكلام ، كما في قول العرب : « جَسْرُ حَبْشَةٍ شَرْبٌ » وكقولهم تعال : (عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْسَنِ خَضْرٌ وَاسْتَرْقُ) وهذا صالح ذائع ، في لغة العرب شائع : ومنهم من قال : هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان ، قاله أبو عبد الله الشافعي رحمه الله . ومنهم من قال : هي دالة على مسح الرجلين ، ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف ، كما وردت به السنة . وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضاً ، لا به من الآلة والأحاديث التي سنوردها ، ومن أحسن ما يستدل به على أن المسح يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي ، حيث قال :

أخبرنا أبو علي الروذباري ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمود المصكري ، حدثنا جعفر بن محمد التلاني ، حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، حدثنا عبد الملك بن ميسرة ، سمعت النزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب : أنه صلى الظهر ، ثم قعد في حجاج الناس في رَحْبَةِ الكوفة حتى حضرت صلاة العصر ، ثم أتى بكوز من ماء ، فأخذ منه حنطة واسلعة ، فسبح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه ، ثم قام فشرب فضله وهو قائم ، ثم قال : إن ناساً يكرهون الشرب لأنما ، وإن رسول الله صنع ما صنعت . وقال : « هذا وضوء من لم يحدث » .

رواه البخاري في الصحيح ، عن آدم ، يعنى معناه (٤) .

ومن أوجب من الشيعة مسحهما كما يسبح الخفيف ، فقد ضل وأضل : وكلما من جوز مسحهما وجز غسلهما فقد انحط أيضاً ، ومن نقل عن أبي جعفر بن جرير أنه أوجب غسلهما للأحاديث ، وأوجب مسحهما للآلة ، فلم يحقق ملحقه في ذلك ، فإن كلامه في تفسيره إنما يدل على أنه أراد أنه يجب ذلك الرجلين من دون سائر أعضاء الوضوء ،

(١) لم نجده في تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري : ٥٩/١٠ .

(٣) المصدر السابق : ٦٠/١٠ .

(٤) سنن البيهقي ، كتاب الطهارة : ٧٥/١ .

لأنهما يلبان الأرض والطين وغير ذلك ، فأوجب ذلكهما ليأبى ما عليهما ، ولكنه حذر من ذلك بالمسح ، فاعتقد من لم يتأمل كلامه أنه أراد وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما ، فحكا من حكاه كذلك ، ولهذا يستشكله كثير من الفقهاء وهو معلوم ، فإنه لا معنى للجمع بين المسح والغسل سواء تغلمه أو تأخر عليه لا لتأخره فيه ، وإنما أراد الرجل ما ذكرته ، والله أعلم ، ثم تأملت كلامه أيضاً فإذا هو يحاول الجمع بين القراءتين ، في قوله : (وأرجلكم) خفضاً على للمسح وهو التلك ، ونصباً على الغسل ، فأوجبهما أدخل بالجمع بين هذه وهذه .

[ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لا بد منه]

قد تقدم في حديث أميري المؤمنين عثمان وعلى ، وابن عباس ومعاوية ، وعبد الله بن زيد بن حاصم والمقداد بن معديكرب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل الرجلين في وضوئه ، إما مرة ، وإما مرتين ، أو ثلاثاً ، على اختلاف رواياتهم .

وفي حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فغسل قدميه ، ثم قال : « هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به » .

وفي الصحيحين ، من رواية أبي حنيفة ، عن أبي بشر ، عن يوسف بن مارك ، عن عبد الله بن عمرو قال : سألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مفرة سافرها ، فأدركنا وقد أركبنا الصلاة صلاة العصر ونحن نترضاً ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فتأدى بأعلى صوته : « أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار » (١) .

وكذلك هو في الصحيحين عن أبي هريرة (٢) ، وفي صحيح مسلم ، عن عائشة ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار » (٣) .

وروى الألبان بن مسدد ، عن حنيفة بن شريح ، عن عتبة بن مسلم ، عن عبد الله بن الحارث بن جزي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ويل للأعقاب ويظنون الأقدام من النار » رواه البيهقي والحاكم ، وهذا إسناد صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق أنه سمع سعيد بن أبي كريب - أو شعيب بن أبي كريب - قال : سمعت جابر بن عبد الله وهو على جمل يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ويل [للأعقاب من النار] » (٤) .

وحدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن أبي كريب ، عن جابر بن عبد الله قال : « رأى النبي صلى الله عليه وسلم في رجلين رجلين [من] مثل الدرهم لم يشله » فقال : « ويل للأعقاب من النار » (٥) .

(١) البيهقي ، كتاب العلم : ٢٣/١ ، ٣٥ . وكتاب الوضوء : ٥٢١ . ومسلم كتاب الطهارة : ١٤٨/١ .

(٢) البيهقي ، كتاب الوضوء : ٥٢/١ . ومسلم ، كتاب الطهارة : ١٤٨/١ .

(٣) مسلم ، كتاب الطهارة : ١٤٧/١ .

(٤) مسند أحمد : ٣٦٩/٢ .

(٥) مسند أحمد : ٣٩٠/٢ .

ورواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن الأحموس ، عن أبي إسحاق عن سعيد ، به نحوه (١) : وكلما رواه ابن جرير من حديث سفیان الثوري وشعبة بن الحجاج وغير واحد عن أبي إسحاق السبيعي ، عن سعيد بن أبي كرب ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله (٢) : ثم قال :

حدثنا علي بن مسلم ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا حفص ، عن الأعمش ، عن أبي سفیان ، عن جابر : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قوما يتوضئون ، لم يصب أحفاهم الماء ، فقال : ويل للراقيب من النار (٣) » :

وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أيوب بن عتبة ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن معتب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للأعقاب من النار » : فترده أحمد (٤) .

وبال ابن جرير : حدثني علي بن عبد الأعلى ، حدثنا الطائي ، عن مطر بن يزيد ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للأعقاب من النار » : ويل للأعقاب من النار . قال : فما بيني وبين المسجد شريف ولا وضيق ، إلا نظرت إليه قلبت هزموه ينظر إليهما (٥) :

وحدثنا أبو كرب ، حدثنا حبيب ، عن زائدة ، عن ليث ، حدثني عبد الرحمن بن سابط ، عن أبي أمامة — أو عن أنس بن أبي أمامة — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر قوما يتوضئون وفي عقبه أحدهم — أو كعب أحدهم — مثل موضع الترم — أو : موضع الظفر — لم يسه له ماء ، فقال : « ويل للأعقاب من النار » : قال : فيجل الرجل إذا رأى في عقبه شيئاً لم يصبه ماءً أماد وضوءه (٦) »

وجه الدلالة من هذه الأحاديث ظاهرة ، وذلك أنه لو كان فرض الرجلين مسحهما ، أو أن يجوز ذلك فيهما لا تؤخذ على تركه ، لأن المسح لا يفرق بين جميع الرجل ، بل يجري فيه ما يجري في مسح الحيف وهكذا وجه الدلالة على الشيعة الإمام أبو جعفر بن جرير ، رحمه الله :

وقد روى مسلم في صحيحه ، من طريق أبي الزبير ، عن جابر ، عن عمر بن الخطاب : أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه ، فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ارجع فأحسن وضوءك (٧) » .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد ابن إسحاق الصائغ ، حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا جرير بن حازم : أنه سمع قتادة بن دعامة قال : حدثنا أنس بن مالك أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد توضأ ، وترك على قدمه مثل موضع الظفر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارجع فأحسن وضوءك (٨) » .

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الطهارة ، الحديث ٤٥٤ : ١٥٥/١ .

(٢) تفسير الطبري : ٧٠/١٠ .

(٣) تفسير الطبري : ٧١/١٠ .

(٤) مسند أحمد : ٢٧٦/٣ . وفي المسطورة : « أيوب بن عتبة » . بالثقاف ، وهو خطأ ، ينظر المرح : ٢٥٣/١/١ .

(٥) تفسير الطبري : ٧٣/١٠ .

(٦) للمصدر السابق : ٧٤/١٠ . وفي المسطورة مكان « يتوضئون » ، « ويسلمون » ، وما أثبتناه من الطبري .

(٧) مسلم ، كتاب الطهارة : ١٤٨/١ .

(٨) سنن البيهقي ، كتاب الطهارة : ٧٠/١ .

وهكذا رواه أبو داود (١) عن هارون بن معروف ، وابن ماجة ، عن حملة بن يحيى ، كلاهما عن ابن وهب ، به ،
وهذا إسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات ، لكن قال أبو داود : ليس هذا الحديث بمعروف ، لم يروه إلا ابن وهب ،
وحديثنا موسى بن إسماعيل ، حديثنا حماد ، أخبرنا يونس وحميد ، عن الحسن : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بي
بعض حديث قتادة (٢) » .

وقال الإمام أحمد : حديثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حديثنا بقية ، حديثنا يسحج بن سعد عن خالد بن معدان ، عن
بعض أزواج (٣) التي صلى الله عليه وسلم [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم] رأى رجلا يصلي ويظهر لثامه لمحة
فمن الدم لم يصبها الماء ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيد الوضوء (٤) » .

ورواه أبو داود (٥) من حديث بقية ، وزاد : « والصلاة » . وهذا إسناده جيد قوى صحيح ، والله أعلم ،

وفي حديث حمران ، عن عثمان ، في صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه غطى عن أصابعه » . وروى
أهل السنن من حديث إسماعيل بن كثير ، عن حاتم بن قتيب بن صبرة ، عن أبيه قال ، قلت : يا رسول الله ، أخبرني
عن الوضوء فقال : « أمسح بالوضوء ، واخلل بين الأصابع ، وبالغ في الاستنشاق [لأن تكون صائغا (٦)] » .

ولان الإمام أحمد : حديثنا عبد الله بن يزيد ، أخبرنا الرحمن المقرئ ، حديثنا هكرمة بن هار ، حديثنا شداد
ابن عبد الله التميمي قال : قال أبو أمامة : حديثنا حمز بن عيسى قال ، قلت : « يا نبي الله ، أخبرني عن الوضوء » .
قال : « ما منكم من أحد يقرب وضوؤه ، ثم يغمض ويستنشق ويستتر ، إلا غفرت (٧) خطاياه من له وغياشبهه مع
للاه حين يستتر ، ثم يغسل وجهه كما أمره الله [إلا غفرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين ،
إلا غفرت خطايا يديه من أطراف أظفارها] ، ثم يمسح رأسه ، إلا غفرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل
قدميه إلى الكعبين كما أمره الله ، إلا غفرت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ، ثم يقوم فيحمد الله ويغنى [عليه]

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٤٤/١ ، وابن ماجة ، كتاب الطهارة ، الحديث ٦٦٥ : ٢١٨/١ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٤٤/١ ، ٤٥ .

(٣) في السنن : « عن بعض أصحابي ... » .

(٤) مسند أحمد : ٤٢٤/٣ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٤٥/١ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ٣٥/١ ، ولفظة الأضراسي ، كتاب الصوم : ٤٩٩/٣ . وابن ماجة ، كتاب

الطهارة ، الحديث ٤٤٨ : ١٥٣-١ .

(٧) في السنن : « غرقت » ، « مكان » ، « غرت » ، « سبت » ، وردت في الحديث . وما في صحيح مسلم يوافق مخطوطتنا .

تفسير سورة المائدة

٥٢

باللّٰى هو له أهل ، ثم يدرك ويكتفى إلا يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه : قال أبو أمامة : يا عمرو ، انظر ما تقول ، سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أيسئى هذا الرجل كله في مقامه ؟ فقال عمرو بن حفصة : يا أبا أمامة ، لقد كبرت سنّى ، ورتق عظمى ، واقترب أجلى ، وما بين حاجبة أن أكلمه على الله ، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو لم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً ، لقد سمعته سبع مرات أو أكثر من ذلك (١) .

وهذا إسناد صحيح ، وهو في صحيح مسلم من وجه آخر ، وفيه : « ثم يسل قديمه كما أمره الله (٢) » ذلك على أن القرآن يأمر بالفضل .

وهكذا روى أبو إسحاق السبّعي ، عن الخارث ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « اغسلوا القديم إلى الكبيش (٣) كما أمرتم » .

ومن هاهنا يتضح لك المراد من حديث « حيد غير » من علي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركض على قدميه الماء وهما في الثملين فدلكنهما ، إنما أراد غسلهما خفيفاً وهما في الثملين ولا مانع من إيجاد الغسل والرجل في نعلها ، ولكن في هذا رد على التمسكين والتمسكين من الموسمين .

وهكذا الحديث الذي أورده ابن جرير على نفسه ، وهو من روايته ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حنيفة قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبّاعة قوم فيال [عليها] قائماً ، ثم دعا بماء فغرضاً ، ومسح على نعليه (٤) . » وهو حديث صحيح . وقد أجاب ابن جرير عنه بأن اللغات الحفاظ روي عن الأعمش عن أبي وائل ، عن حنيفة قال : « فيال قائماً ، ثم غرضاً ومسح على نعليه (٥) » .

قلت : ويشتمل الجمع بينهما بأن يكون في وجليه خفان ، وعليهما نعلان .

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى عن شعبة ، حدثني يعلى ، عن أبيه (٦) ، عن أوس ابن أبي أوس قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غرضاً ومسح على نعليه ، ثم قام إلى الصلاة (٧) » . وقد رواه أبو داود عن مسدد وحماد بن موسى كلاهما ، عن هشيم ، عن يعلى بن حطاه ، عن أبيه ، عن أوس بن أبي أوس قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سبّاعة قوم فيال ، وتوضأ ومسح على نعليه وقدميه (٨) » .

(١) سند أحمد : ١١٢/٤ من حديث طويل .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب إسلام عمرو بن حفصة : ٢٠٩/٢ .

(٣) تفسير الطبري : ٤٤/١٠ .

(٤) تفسير الطبري : ٧٥/١٠ . والسبّاعة - يسم السنين - : للوضوء الذي يرس فيه الثياب والأوسل وما يكس من اللنازل .

(٥) تفسير الطبري : ٧٨/١٠ .

(٦) في المسند : يعلى بن أمية . وهو خطأ . وهو يعلى بن حنبل يروي عن أبيه عن أوس . وسواء في كلام ابن كثير ما يزيد ذلك .

(٧) سند أحمد : ٨/٤ .

(٨) سنن أبي داود ، كتاب الملبدة : ٤١/١ . ولها : « أن - كلمة قوم يعلى - الملبدة » .

ولقد روى ابن جرير من طريق شعبة ومن طريق هشيم ، ثم قال : وهذا معمول على أنه ترويضاً كذلك وهو خبر محدث (١) ، إذ كان خبر جابر أن تكون فراقت الله وسنن رسول الله متنافية متعارضة ، وقد صرح عنه صلى الله عليه وسلم الأمر بمحوم غسل القدمين في الوضوء بالماء بالنقل المستفيض القاطع عُدَّ من انتهى إليه ويبلغه .

ولما كان القرآن آمراً بإسفل الرجلين كما في قراءة النصب ، وكما هو الواجب في حمل قراءة الخفض عليها - ثم يعض السلف أن هذه الآية ناسخة لرخصة المسح على الخفين ، وقد روى ذلك عن علي بن أبي طالب ، ولكن لم يصح إسناده ، ثم الثابت عنه خلافه ، وليس كما زعموه ، فانه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين بعد نزول هذه الآية الكريمة .

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زياد بن عبد الله بن علكة ، عن عبد الكريم بن مالك الجزري ، عن مجاهد ، عن جرير بن عبد الله البجلي قال : « أنا أسلمت بعد نزول المائدة ، وأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بعد ما أسلمت (٢) » فترده أحمد .

وفي الصحيحين ، من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن هُمام قال : « بال جرير ، ثم ترويضاً ومسح على خفيه ، قيل : فاعلم هذا ؟ فقال : نعم ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بال ، ثم ترويضاً ومسح على خفيه . قال الأعمش : قال إبراهيم : فكان يصيبهم هذا الخيط ، لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة فقط مسلم (٣) .

وقد ثبت بالحوادث من رسول الله صلى الله عليه وسلم مشروعية المسح على الخفين قولاً منه وفعلاً ، كما هو مقرر في كتابه الأحكام الكبير ، وما يحتاج إلى ذكره هناك ، من تأييد المسح أو عدمه أو التفصيل فيه ، كما هو مبسوط في موضعه . وقد خالفت الروايات ذلك كله بلا مستند ، بل مجهول وضلال ، مع أنه ثابت في صحيح مسلم ، من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٤) . كما ثبت في الصحيحين عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى عن نكاح الختم وهم يستحيونها (٥) . وكذلك هذه الآية الكريمة دالة على وجوب غسل الرجلين ، مع ما ثبت بالحوادث من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على وقت ما دلت عليه الآية الكريمة ، وهم مخالفون لذلك كله ، وليس لهم دليل صحيح في نفس الأمر ، والله الحمد .

وهكذا عاقلوا الأئمة والسلف في الكبيرين الثقلين في القدمين ، فتقدم أنهما في ظهر القدم ، فتقدم في كل رجل كعب ، وعند الجمهور أن الكبيرين هما السطبان الثنتان عند مفصل الساق والقدم . قال الربيع : قال القاضي : « لم أعلم مخالفاً في أن الكبيرين الثقلين ذكرهما الله [في كتابه في الوضوء هما الثنتان ، وما جمع مفصل الساق والقدم] ، هذا لفظه

(١) تفسير الطبري : ٧٦/١٠ .

(٢) مسند أحمد : ٣٦٣/٤ .

(٣) مسلم ، كتاب الطهارة : ١٥٦/١ ، ١٥٧ .

(٤) مسلم ، كتاب الطهارة : ١٥٩/١ ، ١٦٠ .

(٥) البخاري ، كتاب النكاح : ١٦/٧ ، ومسلم ، كتاب النكاح : ١٣٤/٤ .

فقد الأئمة وحدهم الله [في كل كلم] كما هو المعروف عند الناس ، وكذا دلت عليه السنة ، في الصحيحين من طريق حشرون عن عثمان : « أنه تروى بفضل رجله اليمنى إلى الكعبين ، واليسرى مثل (١) ذلك »

وروى البخارى تعليقاً جزءاً به ، وأبو داود وابن خزيمة في صحيحه ، من رواية أبي القاسم الحسين بن الحارث الجذلى ، عن الثمان بن بشير قال : « أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال : « أقيموا صفوفكم - ثلاثاً - والله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم » قال : لوأيت الرجل يكثركم بكعب صاحبه ، وركبته بركة صاحبه ، ومنكبه بمنكبه (٢) » لفظ ابن خزيمة

فليس يمكن أن يترك كعبه بكعب صاحبه إلا والمراد به السلم الثانى فى السابق ، حتى يجاذى كعب الآخر ، فدل ذلك على ما ذكرناه ، من أنها المظان الثنتان عند مفصل السابق [ولتقدم] كما هو ملحق أهل السنة :

وقد قال ابن أبي حاتم - حدثنا أبو - حدثنا إسماعيل بن موسى ، أخبرنا شريك ، عن يحيى [بن عبد الله] بن الحارث التميمي - يرمى الجابر - قال : نظرت في قتل أصحاب زيد ، فوجدت الكعب فوق ظهر القدم ، وهذه عقوبة حارب بها المشية بعد قتلهم ، لتكبلهم في مخالفتهم الحق وإصرارهم عليه :

وقوله : (وإن كنتم مرضى ، أو على سفر ، أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء ، فلم تجدوا ماء ، فمضوا صلباً طيباً ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) : كل ذلك قد تقدم الكلام عليه في تفسير آية النساء (٣) ، فلا حاجة بنا إلى إعادته ، لتلا بطول الكلام : وذكرنا سبب نزول آية التيمم هناك ، لكن البخارى روى هاهنا حديثاً خاصاً بهذه الآية الكريمة ، قال :

حدثنا يحيى بن سليمان ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه ، عن أبيه ، عن عائشة : سقطت صلاة في بالبيداء ، ونحن داخلون المدينة ، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل ، فسقى رأسه في حنجرى راتلاً ، أقبل أبو بكر فلكثرن لكمة شديدة ، وقال : حبست الناس في صلاة ، فبى الموت ! فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أوجس ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ وحفرت الصبح ، فاقمس الماء فلم يؤجس ، فزلت : (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) هذه الآية ، فقال أسيد بن الحضير : لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ، ما أنتم إلا بركة لم (٤) :

وقوله : (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) ، أى : فلهذا سهل عليكم ويسر ولم يمسر ، بل أباح التيمم عند المرض ، وعند فقد الماء ، توسعةً عليكم ورحمةً بكم ، وجعله في حق من شرع له يقوم مقام الماء إلا من بعض الوجوه ، كما تقدم بيانه ، وكذا هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير (٥) :

(١) البخارى ، كتاب الوضوء : ٥١/١ . ومسلم : كتاب الطهارة : ١٤٠/١ .

(٢) البخارى ، كتاب الأذان : ١٨٠/١ . وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : ١٧٨/١ .

(٣) الآية : ٤٢ ، ينظر : ٢٧٠/٢ - ٢٨٣ .

(٤) البخارى ، تفسير سورة المائدة : ٦٤/١ .

وقوله : (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) [أى : لعلكم تشكرون] لعمه عليكم لما شرحه لكم من التوسمة والرائحة والرحمة والتسهيل واليساسة ، وقد وردت السنة بالحث على المصاه عقب الوضوء ، بأن يجعل قاعه من المصطهرين للدخول في امتثال هذه الآية الكريمة ، كما رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن ، عن حبة بن عامر قال : كانت علينا رعاية الإبل ، فجمعت نوبتي فترجوها بعنق ، فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يحدث الناس ، فأدركت من قوله : « ما من مسلم يوضأ فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلي ركعتين مغتلباً عليهما بقلبه ووجهه ، إلا وجبت له الجنة . قال قلت : ما أجود هذه ! فإذا قائل بين يدي يقول : اللّٰهُ أَجود منها . فنظرت فإذا عمر رضي الله عنه ، فقال : إني قد رأيتك جئت ألفاً ، قال : « ما منكم من أحد يوضأ فيبلغ - أو : فيسبغ - الوضوء ، يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء . » فقط (١) مسلم .

وقال مالك ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا توضأ العبد المسلم - أو : المؤمن - فغسل وجهه ، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء - أو : مع آخر قطر الماء - فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة يطشتها يده مع الماء - أو : مع آخر قطر الماء - فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجليه مع الماء - أو : مع آخر قطر الماء - حتى يخرج نقياً من الذنوب (٢) . »

رواه مسلم عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، عن مالك ، به (٣) ،

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن كعب بن مرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل يوضأ فيغسل يديه ، أو ذراعيه - إلا خرجت خطاياهما ، فإذا غسل وجهه خرجت خطاياهما من وجهه ، فإذا مسح رأسه خرجت خطاياهما من رأسه ، فإذا غسل رجليه خرجت خطاياهما من رجليه (٤) . »

هذا لقظه ، وقد رواه الإمام أحمد ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن منصور ، عن سالم ، عن مرة بن كعب ، أو كعب بن مرة السلمي ، عن أبيه صلى الله عليه وسلم قال : « وإذا توضأ العبد فغسل يديه ، خرجت خطاياهما من يديه ، وإذا غسل وجهه خرجت خطاياهما من وجهه ، وإذا غسل ذراعيه خرجت خطاياهما من ذراعيه ، وإذا غسل رجليه خرجت خطاياهما من رجليه . » قال شعبة : ولم يذكر مسح (٥) الرأس ، وهذا إسناد صحيح .

وروى ابن جرير من طريق آخر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ أحسن الوضوء ، ثم قام إلى الصلاة ، خرجت ذنوبه من سمه وبصره ويديه ورجليه (٦) . »

(١) كتاب الطهارة : ١٤٤/١ .

(٢) الموطأ ، كتاب الطهارة : الحديث ٣١ / ١ .

(٣) مسلم ، كتاب الطهارة : ١٤٨/١ ، ١٤٩ .

(٤) تفسير الطبري : ٨٧/١٠ .

(٥) مسند أحمد : ٢٣٤/٤ ، ٢٣٥ ، من حديث طويل . وفيه « خرجت خطاياهما » مكان « خرجت » .

(٦) تفسير الطبري : ٨٧/١٠ .

وروى مسلم في صحيحه ، من حديث يحيى بن أبي كثير ، عن زيد بن سلام ، عن جده مطهر ، عن أبي مالك الأشجري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الظهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان [وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء] والقرآن حبة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبإحدى نفسه قبضها ، أو موثقها (١) » .

وفي صحيح مسلم ، من رواية سفيان بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله صلقة من خلل ، ولا صلاة بغير طهور (١) » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، سمعت أبا الليث المكي يحدث عن أبيه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ، فسمعت يقول : « إن الله لا يقبل صلاة من غير طهور ، ولا صلقة من خلل » . وكلما رواه أحمد ، وأبو داود ، والشافعي وابن ماجه ، من حديث شعبة (٢) .

وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّيْ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَائِ قَوْمٍ عَلَى أَنْ تَتْلُوا
أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَلَامٌ مُبَارَكًا وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِعَآيِنَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠٢﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أُنْزِلَتْ إِلَيْهِمْ حَنْكَةٌ وَأَتَوْا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى مذكراً عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لم هذا الدين العظيم ، وإرساله إليهم هذا الرسول الكريم ، وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مابته على متابته ومناصرتة وموازرتة ، والقيام بدينه وإبلاغه عنه وقبوله منه ، فقال : (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واتقكم به ، إذ قلتم سمعنا وأطعنا) ، وهذه هي القيمة التي كانوا يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها عند إسلامهم ، كما قالوا : « ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا ، وآثرة علينا ، وأن لا تنازع الأمر أهله » ، وقال تعالى : (وما لكم لا تؤمنون بالله ، والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ؟) ، وقيل : هذا تذكار لليهود بما أخذ عليهم من المواثيق والعهود في متابعة محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه ، رواه عن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وقيل : هو تذكار بما أخذ تعالى من العهد على نرية آدم حين استخرجهم من حبه وأشهدهم على أنفسهم : (أأست بربكم ؟) قالوا : بلى ، شهدنا) ، قاله جاهد ، ومقاتل بن حيان . والقرول الأول أظهر ، وهو المحكى عن ابن عباس ، والسدى . وانظره ابن جرير (٣) .

(١) مسلم ، كتاب الطهارة : ١٤٠/١ . وما بين القوسين عنه .

(٢) مسند أحمد : ٧٤/٥ ، وسنن أبي داود ، كتاب الطهارة : ١٧/١ . والشافعي ، كتاب الزكاة : ٥١/٥ . .

وابن ماجه ، كتاب الطهارة ، الحديث ٢٧١ : ١٠٠/١ .

(٣) تفسير الطبري : ٩٣/١٥ .

ثم قال تعالى : (واتقوا الله) تأكيد وتحريض على مواظبة التقوى في كل حال .

ثم أعلمهم أنه يعلم ما يخافون من الضائر والسرائر والأمرار والخواطر ، فقال : (إن الله علم بذات الصدور) .
وقوله : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) أي : كونوا قائمين بالحق لله ، عز وجل ، لا لأجل الناس والسمعة ،
وكونوا (شهداء بالقسمة) ، أي : بالملك لا بالجور ، وقد ثبت في الصحيحين ، عن النعمان بن بشير أنه قال : « نحى
أبي تحلاً » ، فقالت أبي عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فجاءه ليشهده على
صديق ، قال : أكل ولديك لحماً قلت له ؟ قال : لا . قال : اتقوا الله ، واعملوا في أولادكم ؟ وقال : إني لا أشهد على
جور . قال : فرفع أبق فرد تلك الصدقة » (١) .

وقوله : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) ، أي : لا يجعلكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل
استعملوا العدل في كل أحد ، صديقاً كان أو عدواً ، ولهذا قال : (اعملوا هو أقرب للتقوى) ، أي : هكذا كنتم أقرب
إلى التقوى من تركه : ودل العمل على المصدر الذي عاد للضمير عليه ، كما في نظائره من القرآن وغيره ، كما في قوله :
(وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم) .

وقوله : هو أقرب للتقوى ، من باب استعمال الفعل التفضيل في الفعل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء ، كما
في قوله : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) وتكول بعض الصحابييات لعمر : « أنت أفكأ وأغلظ
من رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٢) .

ثم قال تعالى : (واتقوا الله إن الله عليم بما تعملون) ، أي : وسيجزيكم على ما علم من أفعالكم التي عملتموها ،
إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . ولهذا قال بعده : (وعند الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) أي : للتوبهم
(وأجر عظيم) ، وهو : الجنة التي هي من رحمته على عباده ، لا يتألفونها بأعمالهم ، بل برحمته منه وفضله ، وإن كان
سبب وضوئ الرحمة إليهم أعمالهم ، وهو تعالى الذي جعلها أسباباً إلى ثل رحمة وفضله وعفوه ورضوانه ، فالكل منه
وله ، لله الحمد والمنة .

ثم قال : (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) ، وهذا من عدله تعالى ، وحكمته وحكمته
الذي لا يجر فيه ، بل هو الحكم العدل الحكيم القدير .

وقوله : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ هم قوم أن يسفلوا إليكم أيديهم ، فكف أيديهم
حينئذ) .

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، ذكره عن أبي سلمة ، عن جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم
نزل منزلاً ، وتفرق الناس في المشاة (٣) يستظلون تحتها ، وعلق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة ، فجاء

(١) مسلم ، كتاب المبادئ ، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في المية : ٦٧/٦٥/٥ . والبخاري ، كتاب المية : ٢٠٦/٣ .

(٢) البخاري ، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ١٢/٥ . ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة : ١١٤/٧ .

١١٥ . وسنة أنه : ١٧١/١ من سنة بن أبي وقاص .

(٣) المشاة : واحدة مشاة - بكسر الميم - وهي أحط المشاة .

أعربني إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطيه لسلته ، ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من يملك مني ؟ قال : الله ! قال الأعرباني مرتين أو ثلاثاً : من يملك مني ؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : الله ! قال : فنام (١) الأعرباني السيف ، فعدا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فأخبرهم خبر الأعرباني ، وهو جالس إلى جنبه ولم يلقه - قال مصر : وكان فائدة يذكر نحو هذا ، وذكر أن قوماً من العرب أرادوا أن يقتلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا هذا الأعرباني ، وتأول : (اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسلطوا عليكم أنيسهم) :: الآية (٢) .

وقصة هذا الأعرباني - وهو غوثوث بن الحارث - ثابتة في الصحيح (٣) :

وقال الموق : عن ابن عباس في هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا ، اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ هم قوم أن يسلطوا عليكم أنيسهم ، فكف أنيسهم حكم) : وذلك أن قوماً من اليهود صنعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاماً ، ليقتلوهم فأوحى الله تعالى إليه بشأنهم ، فلم يأت الطعام ، وأمر أصحابه [فلم يأتوه] (٤) :

رواه ابن أبي حاتم .

وقال أبو داود : قلت في كعب بن الأشرف وأصحابه ، حين أرادوا أن يقتلوا محمد وأصحابه في دار كعب ابن الأشرف :

رواه ابن أبي حاتم .

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار ، ومجاهد وعكرمة ، وغير واحد : أنها تزلت في شأن بني النضير ، حين أرادوا أن يقتلوا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحى ، لما جاءهم يستعينهم في دية البامريتين ، ووكلا عمرو بن جحاش ابن كعب بذلك ، وأمره إن جلس النبي صلى الله عليه وسلم تحت الجدار واجتمعوا عنده أن يلقى تلك الرحى من فوقه ، فأطلع الله رسوله على ما تخالطوا عليه ، فرجع إلى المدينة وتبعه أصحابه ، فأقول الله في ذلك : (يا أيها الذين آمنوا ، اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ هم قوم أن يسلطوا عليكم أنيسهم ، فكف أنيسهم حكم ، واقفوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (٥) ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتل إليهم فحاصروهم ، حتى أقرهم فأجلاهم .

وقوله تعالى : (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) : يعنى : من توكل على الله كفاه الله ما أهمه ، وحفظه من شر الناس

وعصمه ؟

(١) شام السيف : أهداه .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٦/١٠ .

(٣) البيهقي ، كتاب الجهاد : ٤٧/٤ ، ٤٨ ، وسنة أحمد : ٣١١/٣ . وينظر الإسنائة لابن حجر : ١٨٥/٣ .

(٤) الأثر رواه السيوطي في ألف الملتزم : ٢٦٦/٢ . وما بين قنوسين منه ، ومكاته في المضطربة : « فأقره » ولا يعنى

الكلام عليه ، وينظر كذلك تفسير الطبري .

(٥) تفسير الطبري : ١٠١/١٠ ، وينظر سيرة ابن هشام : ١٩٠/٢ .

« وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ إِن أَتَمُّتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّيْتُمْ وَأَقْرَبْتُمْ إِلَى اللَّهِ قَرُبًا حَسَنًا لَا كُفْرًا عَنْكُمْ سِعَاتِكُمْ وَلَا دُخْلَكُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ » ﴿١﴾ فَمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَلَبِثُوا حَفَاطًا ذُرُوبًا بِهِ وَلَا تَأَلُّ تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفَ عَنْهُمْ وَاصْفَحَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ وَبَيْنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ أَطْلَانًا مِيثَقَهُمْ قَسُوا حَظًّا فَمَا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَيُصِيبُ يَوْمَئِذٍ النَّاسَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣﴾

لما أمر تعالى عباده المؤمنين بالوفاة بعهده وميثاقه ، الذي أعطاه عليهم حل لسان عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل ، وذكرهم بحمته عليهم الطاهرة والباطلة ، فبا هدايتهم لمن الحق والهدى ، شرع بين لم كيف أخذ اليهود والموائق حل من كان قبلهم من أهل الكتابين : اليهود والنصارى ، فلما نقضوا عهدهم وموالاتهم أعتقهم ذلك [لمأ] مه لم ، وطردا عن بابه وجنابه ، وحجابا قلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق ، وهو العلم النافع والعمل الصالح ، فقال تعالى : (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) يعنى : هرؤاء حل قبلهم بالمبايعه والسمع ، والطاعة لله ، ورسوله ولكتاباه :

ولقد ذكر ابن حباس ومحمد بن إصحاق وغير واحد أن هذا كان لا توجه موسى عليه السلام لقتال الجبارية ، فأمر بأن يقيم القباء ، من كل سبط نقيب - قال محمد بن إصحاق : فكان من سبط روبيل : « شامون بن زكود (١) » ، ومن سبط شمعون : « شافاط بن حري » ، ومن سبط يهوذا : « كالب بن يوشا » ومن سبط أبن « فيخايل بن يوسف » ، ومن سبط يوسف ، وهو [سبط] أفرايم : « يوشع بن نون » ومن سبط بنيامين : « فطلي بن رفون » ومن سبط زبولن : « جدى بن سدى » ومن سبط يوسف وهو منشا بن يوسف : « جدى بن « سوسى » ومن سبط دان : « حملايل بن جمل » ومن سبط أسير : « ساطور بن ملكيل » ومن سبط نفتالى : « نحى بن وفسى » ومن سبط جاد : « جولاييل بن مكي » .

وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد القباء على أسباط بني إسرائيل وأسماء مخالفة لا ذكره ابن إصحاق ، والله أعلم ، قال فيها : فطلي بن روبيل « الصوى بن سادون » ، وحلي بن شمعون : « هموال بن صورشكى » وحلي بن يهوذا : « عشتون بن عبياذاب » وحلي بن يساخر : « شال بن صاهون » وحلي بن زبولن : « الباب بن حانوب » وحلي بن يوسف إفرايم : « منشا بن همتود » وحلي بن منشا : « حملايل بن يرحصون » وحلي بن بنيامين : « أيدن ابن جدعون » وحلي بن دان : « جبيلر بن عيشلى » وحلي بن أسير : « نحاييل بن عجران » وحلي بن حاز : « السيف ابن دهوايل » وحلي بن نفتالى : « أجزح بن عيتان » .

(١) أخذنا في ضبط بعض هذه الأسماء حل الموازنة التي قام بها الأستاذ محمود شاكر في تحقيقه لتفسير الطبرى ، بين كتب التورم وبين لسان ابن جرير . ينظر تفسير الطبرى : ١١٤/١٥ - ١١٦ .

وهكذا لا يابع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ليلة النخبة ، كان فيهم اثنا عشر نقيباً ، ثلاثة من الأوس وهم : أسيد بن الحضير ، وسعد بن خنيصة ، ورفاعة بن عبد المنذر - ويقال بدله : أبو الميثم بن النيثان - رضى الله عنهم وتسعة من الخزرج ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زُرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن ربيعة ، ورافع بن مالك بن العنجلان والبراء بن معمر ، وعبد الله بن الصامت ، وسعد بن عبيدة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، والمنذر بن عمرو ابن خنيس رضى الله عنهم . وقد ذكرهم كتب بن مالك في شعره ، كما أورده ابن إسحاق رحمه (١) الله .

والقصود أن هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتذ عن أمر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لم بذلك ، وهم الذين ولوا الميابة والمعاينة عن قومهم للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، على السمع والطاعة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن زيد ، عن مجاهد ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : « كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود ، وهو يقرئنا القرآن ، فقال له رجل . يا أبا عبد الرحمن ، هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم ملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبد الله : ما سألني عنها أحد منذ فُتحت العراق قبلك ، لم قال : نعم ، ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اثنا عشر كملت نقيابة بني إسرائيل (٢) » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال أمر الناس ما ضيأ ما وليهم اثنا عشر رجلاً . ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عني » ، فسألت لبي : ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : « كلهم من قریش » .

وهذا لفظ مسلم (٣) ، ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً ، يقيم الحق ويعمل فيهم ، ولا يلزم من هذا تراليهم وتتابع إمامهم ، بل قد وجد منهم أربعة [حل] نسق ، وهم الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وحل ، رضى الله عنهم ، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة ، وبعض بني العباس . ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا عمالة ، والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره : أنه يواطئ اسمه اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، واسم أبيه اسم أبيه ، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، وليس هذا بانتظار الذي يتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب « سائرآ » . فان ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية ، بل هو من هوس العقول السخيفة ، وتوهم الخيالات الضعيفة ، وليس المراد هؤلاء الخلفاء الاثني عشر الأئمة الذين يعتقد فيهم الاثنا عشرية من الروافض ، لجعلهم وثقة عقولهم . وفي التوراة البشارة بإسماعيل عليه السلام ، وأن الله يقيم من صلبه اثني عشر عظيماً ، وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود (٤) ، وجابر بن سمرة : وبعض الجهلة من أسلم من اليهود إذا اقترن بهم بعض الشيعة يرمونهم أنهم الأئمة الاثنا عشر ، فيتشيع كثير منهم جهلاً وسفهاً ، قللة علمهم وعلم من لقنهم ذلك بالسنة الثابتة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم .

(١) ينظر سيرة ابن هشام : ٤٤٢/١ - ٤٤٥ .

(٢) مسند أحمد : ٣٩٨/١ . ورواه أحمد عن أبي النضر ، عن أبي حنبل ، عن مجاهد ، به نحوه . ينظر المسند : ٤٠٦/١ .

(٣) مسلم ، كتاب الإمارة : ٣/٦ . ورواه أحمد في مسند جابر بن سمرة : ٩٩/٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ .

(٤) رواه أحمد في مسند عبد الله بن مسعود ، ينظر : ٣٧٦/١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٤٤٨ .

وقوله تعالى : (وقال الله : إني معكم) أى : بحفظي وكتلاتي ونصري (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي) أى : صدقتموه فيما يجيئوكم به من الوحي (وعزونيهم) أى : نصرتهم وأزونيهم على الحق (وأقرضهم الله قرضاً حسناً) وهو : الإيثاق في سبيله وإيتاء مرضاته (لأكثرن حكم سياتكم) أى : ذنوبكم أسيروا وأسرها ، ولا تأخذكم بها (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) أى : أدفع حكم المخلوق ، وأحصل لكم المقصود .

وقوله : (لئن كفر بعد ذلك منكم لقد ضل سواه السبيل) ، أى : لئن خالف هذا الميثاق بعد عهده وتوكيده وشكده ، وجحدته وعامله معاملة من لم يعرفه ، فقد أضل الطريق الحق ، وحل من الهدى إلى الضلال .

ثم أخبر تعالى عما حل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده ، فقال : (فإني نقضهم ميثاقهم لمتأثم) أى : فيسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لمتأثم ، أى : أبعدناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى ، (وجعلنا قلوبهم قاسية) ، أى : فلا يظنون بمروعة لفظتها وقساوتها ، (يعرفون الكلام عن مواضعه) ، أى : فسدت فهمهم . وساء تصرفهم في آيات الله ، وتاولوا كتابه على غير ما أنزله ، وحملوه على غير مراده ، وقالوا عليه ما لم يقل . حياداً بالله من ذلك ، (ونسوا حظاً مما ذكروا به) ، أى : وتركوا العمل [به] رغبة عنه .

قال الحسن : تركوا حريتهم ووظائف الله التي لا يقبل العمل إلا بها . وقال غيره : تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة ، فلا قلوب سليمة ، ولا فطر مستقيمة ، ولا أعمال قريبة .

(ولا تزال تطلع على خائنة منهم) يعني : مكرهم وغدرهم لك ولأصحابك ؛

قال مجاهد وغيره : يعني بذلك مخالفتهم على القنن بالذي ، صلى الله عليه وسلم

(فاعف عنهم واصفح) وهذا هو عين النصر والظفر ، كما قال بعض السلف : « ما عاملت من عصي الله قبلك بمثل أن تطيع الله فيه » . ولهذا حصل لهم تأليف وجمع على الحق ، ولعل الله أن يهديهم ، ولهذا قال تعالى : (إن الله يحب المحسنين) ، يعني به : الصبر عن أساء إليك .

وقال قتادة : هذه الآية (فاعف عنهم واصفح) متسوخة بقوله : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) .. الآية .

وقوله : (ومن الذين قالوا : إنا نصارى ، أخلصناهم) ، أى : ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارى يتابعون المسيح ابن مريم عليه السلام ، وليسوا كذلك ، أخلصنا [عليهم] اليهود والمواثيق على متابعة الرسول ومناصرتهم وموازرتهم واقتفاء آثاره ، والإيمان بكل نبى يرسله الله إلى أهل الأرض ، أى : فعلوا كما فعل اليهود ، خالفوا المواثيق ونقضوا العهد ، ولهذا قال : (نسوا حظاً مما ذكروا به ، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) ، أى : فآلقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضاً ، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة . وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين ، يكره بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضاً ، فكل فرقة تُحرّم الأخرى ولا تدعها لتكسب مبيحها ، فالملكية تكفر بالعقوبية ، وكذلك الآخرون ، وكذلك النسطورية والآريوسية ، كل طائفة تكفر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهداء ؛

ثم قال تعالى : (وسوف ينظرونهم الله عاقلونا يستنصرون) : وهما تهديد ووعد أكد التصاري على المالكين من الكلاب
على الله وحمل رسوله ، وما نسبوه إلى الرب عز وجل ، وتعالى وتقدس عن قولهم علوا كبيرا ، من جعلهم له صاحبة
وولنا ، تعالى الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ عَظِيمًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ عَنْ أُغْلُصَاتِهَا يُنْفَخُ عَنْهَا ذُنُوبُ غُلَامٍ مُرْتَدِّينَ وَعَنْ زُجْرٍ مَعْلُومٍ
وَعَنْ عَجْزٍ كَبِيرٍ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْفِتْنَةَ يَتَّبِعِ الْفِتْنَةَ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْفِتْنَةَ يَكُنْ مِنْ الْخَاسِرِينَ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ عَظِيمًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ عَنْ أُغْلُصَاتِهَا يُنْفَخُ عَنْهَا ذُنُوبُ غُلَامٍ مُرْتَدِّينَ
وَعَنْ زُجْرٍ مَعْلُومٍ وَعَنْ عَجْزٍ كَبِيرٍ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْفِتْنَةَ يَتَّبِعِ الْفِتْنَةَ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْفِتْنَةَ يَكُنْ مِنْ الْخَاسِرِينَ

يقول تعالى خبراً عن نفسه الكريم : انه قد أرسل رسوله معلماً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل
الأرض ، هرهم وحجهم ، أمهم وكابيتهم ، وأنه يشه بالبينات والفرق بين الحق والباطل - فقال تعالى : (يا أهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) أى : بين ما بدت كونه وحرقوه وأولو ،
والفرار على الله فيه ، ويسكت عن كثير مما خبروه ولا تالفة في بيانه .

وقد روى الحاكم في مستدركه ، من حديث الحسين بن والده ، عن يزيد النحوى ، عن حكيمه ، عن ابن عباس قال :
« من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحسب » ، قوله : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم
تخفون من الكتاب) ، فكان الرجم مما أخفوه .
ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١) .

ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذى أنزل على ليه الكريم فقال : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين : يهدي به الله
من اتبع رضوانه سبل السلام) ، أى : طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة (ويخرجهم من الظلمات إلى النور بأذنه ،
ويهديهم إلى صراط مستقيم) ، أى : ينجيهم من المهالك ، ويوضح لهم أبين المسالك ، فيصرف عنهم الغلور ، ويحصل
لهم أنجيب الأمور ، ويغنى عنهم الضلالة ، ويرشدهم إلى أقوم حالة .

لَقَدْ كَرَّمْنَا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ قَتَلَ مَلِكٌ مِنْ آلِ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ الْمَسِيحَ
إِنَّ مَرْيَمَ وَأُمَّهُمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ الْمَلَكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ
خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ الْمَلَكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ
يقول تعالى خبراً وحاكماً بكفر التصاري في ادعائهم في المسيح ابن مريم - وهو عي من عباد الله ، وخلق من خلقه - أنه
هو الله ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

ثم قال غيراً عن قدرته على الأفياء وكبريائها تحت قهره وسلطانه : (قل : فمن علك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً) ، أي : لو أراد ذلك ، فمن ذا الذي كان يمتعه ؟ أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك ؟

ثم قال : (وفي ملك السموات والأرض وما بينهما خلق ما يشاء) أي : جميع الموجودات ملكه وخلقته ، وهو القادر على ما يشاء ، لا يسأل عما يفعل ، لقهره وسلطانه ، وعذله وعظمته ، ولهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة .

ثم قال تعالى واحداً على اليهود والنصارى في كتبهم والقرآنهم : (وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه) أي : نحن مستتبون إلى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية ، وهو يحينا . وتلقوا عن كتابهم أن الله قال لعبد إسرائيل : « أنت ابني بكري » . فحملوا هذا على غير تأويله ، وخرتوه . وقد رد عليهم خير واحد من أسلم من حقائهم ، وقالوا : هذا يطلق عنهم على التشريف والإكرام ، كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم : إني ذاهب إلى أبي وأبيكم ، يعني : دبراً وركباً . وسأولم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من البينة ما ادعوا في عيسى عليه السلام ، وإنما أرادوا بذلك معزتهم لديه وحفظونهم عنده ، ولهذا قالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه » .

قال الله تعالى واحداً عليهم : (قل : فلم يطلعكم بلنوبيكم ؟) أي : لو كنتم [كما تدعون أبنائه وأحباؤه ، فلم أكد لكم ثل جهنم] هل فكرتم وكتبكم والقرآنكم ؟ . وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء : أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يجب عليه ؟ فلم يرد عليه ، فلا الصوفى هذه الآية : (قل : فلم يطلعكم بلنوبيكم ؟) . ولهذا الذي قاله حسن ، وله شاهد في السند للإمام أحمد حيث قال :

حدثنا ابن أبي حنبل ، عن حميد ، عن أنس قال : « مر النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، وصبي في الطريق فلما رأته أمه القوم خشيت على ولدها أن يؤمها ، فأقبلت تسمى وتقول : ابني ابني ! وسست فأخذه ، فقال القوم : يا رسول الله ، ما كانت هذه تلقى ابنها في النار . قال فحسبهم (١) النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا ، والله ما يلقى حبيبه في النار . فترده (٢) » .

(بل أنتم بشر من خلق) أي : لكم أسوة أمثالكم من بني آدم ، وهو تعالى هو الحاكم في جميع عبادته (يقدر لمن يشاء ، ويطلب من يشاء) ، أي : هو فعال لا يريد ، لا متعبد لحكمه وهو سريع الحساب . (وفي ملك السموات والأرض وما بينهما) أي : الجميع ملكه ونعت قهره وسلطانه ، (وإليه المصير) ، أي : المرجع والمآب إليه ، فيحكم في عبادته بما يشاء ، وهو العادل الذي لا يجرور .

قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي حمزة ، عن حكيم بن عمار ، عن ابن عباس قال : « وآى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنان بن أعباء (٣) وبغري بن عمرو ، وشاس بن عدي ، فكلموه وكلهم رسول الله صلى الله عليه

(١) خففهم : سكرم وحطهم .

(٢) سنة أحد : ١٠٤/٣ .

(٣) في المطبوعة : « بن أساء » . محمد بن عمرو ، والكتب من نسخة ابن هشام : ١٠٤/١ .

وسلم ، ودعاهم إلى الله وحلهم لعمته ، فقالوا : ما نحن فاعلمنا يا محمد ! نحن والله أبناء الله وأحبوه ، كفركم النصراني ، فانزل فيهم : (وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه) .. إلى آخر الآية ،

رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (١) ،

وروي أيضا من طريق أسباط عن السدي في قول الله (وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه) : أما قولهم : (نحن أبناء الله) فأنهم قالوا : إن الله أوحى إلى إسرائيل أن ولدك - بكرك من الولد - فليدخلهم النار (٢) ، فيكونون فيها أربعين ليلة حتى تظهرهم وتاكل عظامهم ، ثم ينادى مناد : أن أخرجوا كل غنث من ولد إسرائيل - فخرجهم ، فذلك قولهم : (لن نؤمننا النار إلا أياما معدودات) .

يَأْكُلُ الْعِصْبَ فَتَأْكُلُ رُسُولَنَا يَبِينُ لَكَ عَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ شَيْءٍ وَلَا يُذِيرُ فَفَعَلَهُ
جَاءَهُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۖ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى غاطبا أهل الكتاب من اليهود والنصارى : إنه قد أرسل إليهم رسوله محمدا خاتم النبيين ، الذي لا به بعده ولا رسول ، بل هو المعقب لجميعهم ، ولهذا قال : (على قِطْعَةٍ مِنَ الرُّسُلِ) أى : بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم .

وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة ، كم هي ؟ قال أبو حنيفة النخعي وقطادة - في رواية عنه - كانت سبعمائة سنة ورواه البخاري عن سليمان الفارسي . وعن قتادة : خمسمائة وستون سنة . وقال معمر ، عن بعض أصحابه : خمسمائة وأربعين سنة . وقال الضحاك : أربعمائة وبضع وثلاثون سنة ،

وذكر ابن عساکر في ترجمة عيسى عليه السلام ، من الشئب أنه قال : ومن رجع المسيح إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة .

والمشهور هو الأول ، وهو أنها سبعمائة سنة : ومنهم من يقول : سبعمائة وعشرون سنة : ولا منافاة بينهما ، لأن القائل الأول أراد سبعمائة سنة شمسية ، والآخر أراد قمرية ، وبين [كل مائة] سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين . ولهذا قال تعالى في قصة أصحاب الكهف : (ولبنوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) ، أى : قمرية ، لتكميل الثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب . وكانت الفترة بين عيسى ابن مريم وآخر أنبياء بني إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الإطلاق ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أولي الناس بابن مريم [لأن] لأنه لا نبي بيني وبينه » (٣) . ولهذا فيه رد على من زعم أنه بحث بعد عيسى نبي ، يقال له : « خاله بن سنان » كما حكاه القاضي وغيره .

(١) تفسير الطبري : ١٥٠/١٥ ، ١٥١ -

(٢) كلما في مشروطتنا . ونص ابن جرير : « أنه ولدا من ولدك أدخلهم النار » .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء : ١٠٣/٤ .

والمقصود أن الله بعث محمداً، صلى الله عليه وسلم، على فترة من الرسل، وطُغوس من السبل، وتغيب الأديان، وكثرة حيازة الأوثان والبران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أحر حتم، فان الفساد كان قد همّ جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلاً من المتسكين يبقوا من دين الأنبياء الأكابر، من بعض أحيار اليهود وعباد النصارى والصابئين، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا هشام، حدثنا قتادة، عن مطرف، عن حياض بن حار المجاشعي، رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم خطبه ذات يوم فقال في خطبه : « وإن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يوم هذا » كل ماك تحته عبادة حلال، وإنى خلقت عبادة حياء حفاء كلهم، وإنهم أتهم الشياطين فأضلّتهم عن دينهم، وحرّست عليهم ما لحقت بهم، وأمرتهم أن يشركوا به ما لم أترك به سلطاناً. ثم إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض ففتنهم جميعهم وحرّهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال : إنما يشترك لأبليك وأبلي بك، وأولت عليك كتاباً لا يغفله الماء تقرؤنهُ نائماً وقظاناً : ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت : يارب، إني أنكر أن أرى أمة يهدوه شجرة : فقال : استخرجهم كما استخرجوك واخرهم لئلا يتركوا (١)، وأتفق عليهم فاستنق حليكم، وأبعث جنداً نبئت خمسة أمهاله وقاتل بين أطاحك من حصاك، وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مستنق متصدق موق، ورجل رحيم يقين القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل طيف قدير متصدق، وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر (٢)، له الدين هم فيكم تيمناً لو تيمناه - شك يحيى - لا يصفون أملاً ولا مالا، (٣)، ولئان الذي لا يغنى له طمع وإن دق إلا غناه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يتأدك من أمك ومالك، وذكر البخيل أو الكلب، والشنظير : التناحش (٤)

ثم رواه الإمام أحمد، ومسلم، والنسائي من غير وجه، عن قتادة، عن مطرف بن حيد الله بن الشخير، وفي رواية سيب، (٥) عن قتادة الصريح سماع قتادة هذا الحديث من مطرف (٦) : وقد ذكر الإمام أحمد في مسنده : أن قتادة لم يسمعه من مطرف، وإنما سمعه من أريسة، عنه (٧) : ثم رواه هو، عن روح، عن حوث، عن حكيم الأكرم، عن الحسن قال : حدثني مطرف، عن حياض بن حصار، فذكره (٨) ورواه النسائي من حديث غندر، عن حوث الأعرابي، به

والمقصود من إيراد هذا الحديث قوله : « وإن الله نظر إلى أهل الأرض ففتنهم » حرّهم وجميعهم إلا بقايا من يهت إسرئيل : « وفي لفظ مسلم » « من أهل الكتاب (٩) » : وكان الذين قد تيسر على أهل الأرض كلهم، حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فهدي الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وتركهم على المحضة البيضاء، والشرية الفراء،

(١) يلقوا : يلقوا . ويهدوه شجرة : أي مكسورة كالكبرة .

(٢) لترك : نيتك حل عروم .

(٣) لا زبر له : أي لا حلال له يزيه وجهه من الإكرام حل ما لا يليق .

(٤) أي : لا يسون في تحصيل مقمة دينية ولا نفسية ولا دنيوية .

(٥) مسند أحمد : ١٦٢/٤ . ومسلم : كتاب الجنة : ١٥٩/٨ .

(٦) في الخطوط : « شعبة » بك « سبه » . والكتب عن المسند .

(٧) مسند أحمد : ٢٦٦/٤ .

(٨) وهذا لفظ مسند أحمد أيضاً . ولفظ غطرمة الأثر عنه .

وقال ميمون بن مهران ، عن ابن عباس قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار ، سمى ملكا (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أنبأنا ابن وهب ، أنبأنا أبو حاتم : أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص - وسأله رجل فقال : ألسنا من قراء المهاجرين ؟ فقال عبد الله : ألك امرأة تأوى إليها ؟ قال : نعم . قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم . قال : فأنت من الأغنياء . فقال : إن لي خادما . قال : فأنت من الملوك (١) .

وقال الحسن البصري : هل الملك إلا مركب وخادم ودار ؟

رواه ابن جرير . ثم روى عن منصور والحكم ، وعجاجة ، وسفيان الثوري نحوه من هذا . وحكاه ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران .

وقال ابن شويب : كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له متول وخادم ، واستوفد عليه ، فهو ملك . وقال قتادة : كانوا أول من ملك لخدم .

وقال السدي في قوله (وجعلكم ملوكا) قال : جعلكم الرجل منكم نفسه وأهله وماله . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الميهم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وذابة وامرأة ، كتب ملكا » . وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال ابن جرير : حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا أبو شمرة أنس بن حياض ، سمعت زيد بن أسلم يقول : (وجعلكم ملوكا) ، فلا أعلم إلا أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان له بيت وخادم فهو ملك . وهذا مرسل غريب .

وقال مالك : بيت وخادم وزوجة .

وقد ورد في الحديث : « من أصبح منكم معافى في جسده ، آتيا في سريره ، حنطه قوت يومه ، فكانما حيزت له الدنيا بحلافها » (٢) .

وقوله : (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) يعني عاكسي زمانكم ، فكانهم كانوا أشرف الناس في زمانهم ، من اليونان والقيط وسائر أصناف بني آدم ، كما قال : (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ، ورزقناهم من

(١) تفسير البغوي : ١٦٢/١٠ ، ١٦٢ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، الحديث ٤١٤١ : ١٣٨٧/٢ . وسره : نفسه . وحيزت : جمعت .

الطيبات ، وفصلناهم حل العالمين) ، وقال تعالى إخبارا عن موسى **إِذْ قَالُوا : (اجعل لنا إلهًا كما لم يكن إلهًا لكُم قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال : أغير الله أبنيكم إلهًا ، وهو فضلكم على العالمين) .** والمقصود : أنهم كانوا أفضل أهل زمانهم ، وإلا فلهذه الأمة أشرف منهم ، وأفضل عند الله ، وأكمل شريعة ، وأقوم منهاجًا ، وأكرم نبيًا وأعظم ملكًا ، وأغزر أرزاقًا ، وأكثر أموالًا وأولادًا، وأوسع مملكة ، وأودم عزًا قال الله : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقال : (وكللك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) ، وقد ذكرنا الأحاديث المتواترة في فضل هذه الأمة وشرفها وكرمها ، عند الله ، عند قوله عز وجل : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) من سورة آل عمران (١) :

ودرى ابن جرير عن ابن عباس ، وأبي مالك وسعيد بن جبير أنهم قالوا في قوله : (وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين) يعنى : أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكانهم أرادوا أن هذا الخطاب في قوله : (وآتاكم ما لم يؤت أحدًا) مع هذه الأمة ، والجمهور على أنه خطاب من موسى لقومه ، وهو محمول على عالمي زمانهم كما قلنا :

وقيل : المراد (وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين) يعنى بذلك ما كان تعالى توله عليهم من المن والسلوى ، وتظللهم من الظلم وغير ذلك ، مما كان تعالى يخصهم به من غوارق المعاديات ، فآله أعلم .

ثم قال تعالى خبرا عن تحريض موسى عليه السلام لبني إسرائيل على الجهاد وال دخول إلى بيت المقدس ، الذى كان يأبىهم في زمان أبيهم يعقوب ، **إِذْ أَرْحَلْهُمُ اللَّهُ إِلَى بِلَادٍ مُّصْرَ** أيام يوسف عليه السلام [ثم لم يزلوا بها حتى خرجوا مع موسى] فوجدوا فيها قومًا من العاقلة الجاهلين ، فلبست حوشوا عليها وتكلموا ، فأمرهم رسول الله موسى عليه السلام بالدخول إليها ، وقتل أعدائهم ، ويشرهم بالنصرة والتفكر عليهم ، فتكلموا وعصوا وخالفوا أمره ، فمؤقبا بالهلب في الشبه والتمادى في سيرهم حائزين ، لا يدرون كيف يتوجهون فيه إلى مقصد ، مدّة أربعين سنة ، عقوبة لهم على تفرطهم في أمر الله ، فقال تعالى خبرا عن موسى أنه قال : (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) أى : المطهرة :

قال سليمان الثوري ، عن الأعشى ، عن جاهد ، عن ابن عباس في قوله : (ادخلوا الأرض المقدسة) قال : هي الطور وما حوله . وكلما قال جاهد وغير واحد .

وقال سفيان الثوري ، عن أبي سعيد الخدري ، عن جكرمة ، عن ابن عباس قال : هي أريحا : وكلما ذكر غير واحد من المفسرين :

وفى هذا نظر ، لأن أريحا ليست هي المقصود بالفتح ، ولا كانت في طريقهم إلى بيت المقدس وقد قتلوا من بلاد مصر ، حين أمرك الله عديم فرعون ، إلا أن يكون المراد [بأريحا أرض بيت المقدس ، كما قاله السدي] فيها رواء ابن جرير عنه . — لأن المراد [بها هذه البائدة المعروفة في طرف التّغوّز شرق بيت المقدس (٢)] :

(١) ينظر : ٧٧/٢ - ٨٦ .

(٢) سبق للمفسر حديث عن هذه القرية ، حقه الآية ٥٨ من سورة البقرة ، ينظر : ١٣٩/١ - ١٤٠ .

وقوله تعالى : (التي كتب الله لكم) أي : التي وعدكوها الله على لسان أنبيكم إسرائيل : أنه ورثة من آمن منكم ، (ولا تزلوا على أدياركم) أي : ولا تتكلموا عن الجهاد (فتتلقوا خاسرين . قالوا : يا موسى ، إن فيها قوماً جبارين ، وإننا لندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) ، أي : اعتدوا بأن في هذه البلدة - التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها - قوماً جبارين - أي : ذوي خلقٍ حائلة ، وقوى شديدة ، وإننا لا نقدر على مقاومتهم ولا مصالحتهم ، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها ، فإن يخرجوا منها دخلناها ، وإلا فلا علاقة لنا بهم .

وقد قال ابن جرير : حدثني عبد الكريم بن المهيشم ، حدثنا إبراهيم بن بشار ، حدثنا سفيان قال ، قال أبو سعيد ، قال عكرمة ، عن ابن عباس قال : أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين : قال : فسار موسى بن معه حتى نزل قريباً من المدينة - وهي أريحا - فبعث إليهم النبي عشر عتة ، من كل سبط منهم عين ، ليأتوه بخير القوم : قال : لدخلوا المدينة ، فأروا أمراً عظيماً من هيبتهم وجشعهم وعظمتهم ، فدخلوا حائطاً لبعضهم ، فجاء صاحب الحائط ليجنئ الثمار من حائطه ، فجعل يجنئ الثمار وينظر إلى آثارهم ، فتبعهم ، فكلما أصاب واحداً منهم أخذته فجعله في كفه مع الفاكهة ، حتى القط الثاني عشر كلهم ، فجعلهم في كفه مع الفاكهة ، وذهب إلى ملكهم فترحم بين يديه . فقال له الملك : قد رأيتم شأننا وأمرنا ، فاذبحوا فأعبروا صاحبكم : قال : فرجعوا إلى موسى ، فأعبروه بما هابوا من أمرهم (١) .

وفي [هذا] الإسناد نظر .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : لما نزل موسى وقومه ، بعث منهم النبي عشر رجلاً - وهم النبهاء الذين ذكر الله فيهم ليأتوه بخيرهم : فساروا ، فلقيهم رجل من الجبارين ، فجعلهم في كسائه ، فجعلهم حتى أتى بهم للمدينة ، ونادى في قومه فاجتمعوا إليه ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : نحن قوم موسى ، بعثنا تأتيه بخيركم : فأعطوهم حبة من حنطة تكفي للرجل (٢) ، فقالوا لهم : اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا لهم : اقدروا تدنر فأكهنتهم . فلما أقروهم قالوا : يا موسى ، (اذهب أنت وريك فقاتلنا إنا هابنا فاعلمون) .

رواه ابن أبي حاتم (٣) ، ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا يحيى بن أيوب ، عن يزيد بن الحارث ، حدثني يحيى بن عبد الرحمن قال : رأيت أنس بن مالك أخذ حصاً ، فذرع فيها بئساً ، لا أخرى كم ذرع ، ثم قال : بها في الأرض خمسين أو خمسين وخمسين ، ثم قال : هكذا طول العماليق .

وقد ذكر كثير من المفسرين هابنا أنهاراً من وضع بني إسرائيل ، في حطمة خلق هؤلاء الجبارين ، وأنه كان فيهم هوج ابن حنق ، بنت آدم عليه السلام ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع ، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلاث ذراع ، تخبر

(١) تفسير الطبري : ١٧٣/١٠ .

(٢) في تفسير الطبري : « يزرع [يني] بحمل ويقتل [الرجل] » .

(٣) وكذا رواه ابن جرير في تفسيره : ١٨٠/١٠ .

الحساب ! وهذا شيء يستحي من ذكره . ثم هو يخالف لما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً (١) » ثم لم يزل الخلق يتقص حتى الآن » .

ثم قد ذكرنا أن هذا الرجل كان كافراً ، وأنه كان ولد زنية ، وأنه امتنع من ركوب السفينة ، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته . وهذا كذب وإفراء ، لأن الله ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين ، فقال : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) ، وقال تعالى : (فأنجينا ومن معه في الفلك المشحون : ثم أغرقنا بعد الباقين) ، وقال تعالى : (لا حاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) ، وإذا كان ابن نوح الكافر غرق ، فكيف يبقى حوج بن عتي ، وهو كافر وولد زنية ؟ ! هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع . ثم في وجود رجل يقال له : « حوج بن عتي » نظر ، والله أعلم .
وقوله : (قال رجلان من الذين يخافون أنهم الله عليهما) ، أي : فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى عليه السلام حرّضهم رجلان قد عليهما نعمة عظيمة ، وهما من يخاف أمر الله ويخشى عقابه .

وقرأ بعضهم : (قال رجلان من الذين يخافون) (٢) ، أي : من لم يهاب موضوع من الناس . ويقال : إنيما « يوشع بن نون » « وكالب بن يونا » ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطية ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وغير واحد من السلف ، واختلف رحيمهم الله ، فقالوا : (ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فاتكم غالبون ، وحمل الله فركلوا إن كنتم مؤمنين) أي : متى تركتم حمل الله واتبعتم أمره ، ووافقتم رسوله ، نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم ، ودخلتم البلدة التي كتبها الله لكم . فلم يتبع ذلك منهم شيئاً . قالوا : يا موسى ، إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها ، فذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . وهذا نكول منهم عن الجهاد ، ومخالفة لرسولهم ، وتختلف عن مقاتلة الأعداء .

ويقال : إنهم لما نكروا على الجهاد هزموا على الانصراف والرجوع إلى بلادهم ، سجد موسى وهارون عليهما السلام قدام ملا من بني إسرائيل ، إعظاماً لما هموا به ، وشق « يوشع بن نون » « وكالب بن يونا » ثيابهما ولأما قومهما على ذلك ، فيقال : إنهم رجسوهما . وجرى أمر عظيم وخطر جليل .

وما أحسن ما أجاب به الصحابة رضي الله عنهم ، يوم بدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين استشارهم في قتال النضر ، الذين جاءوا لفتح العبر الذي كان مع أبي سفيان ، فلما فات اختص العبر ، واقترب منهم النضر ، وهم في جمع ما بين السعمنة إلى الألف ، في العدة والبقيس واليكب (٣) ، فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأحسن ، ثم تكلم [من تكلم] من الصحابة من المهاجرين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أشيروا على أبيها للمسلمون » وما يقول ذلك إلا ليستعلم ما عند الأنصار ، لأنهم كانوا جمهور الناس يومئذ ، فقال سعد بن معاذ : « كأنك تعرض بنا يا رسول الله ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا

(١) البستاني : كتاب الألباء ١٥٩/٤ : ١٦٠ .

(٢) نسب أبو حيان في البحر المحیط ٥٥/٤ : هذه القراءة إلى ابن عباس ، وابن جبر ، ومجاهد .

(٣) البياض : واسمها بيشة ، وهو الخوذة ، واللب : الدروع .

عنوا غدا ، إنا نصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله (١) ،
قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سعد ، وتغسله ذلك .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عن ابن الحسين ، حدثنا أبو حاتم الرازي ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ،
حدثنا حميد بن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار إلى بدر استشار المسلمين ، فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم
فأثارت الأنصار : يا معشر الأنصار ، إياكم يريد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . قالوا : إذا لا نقول له كما قالت بنو
إسرائيل ل موسى : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) [والى يهلك بالحق لو ضربت أكبادنا إلى بركة
الغمام (٢) لا يفتاك] .

ورواه الإمام أحمد ، عن حميد بن حميد ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، به ، ورواه الترمذي ، عن محمد بن المنذر ، عن خالد
ابن الحارث ، عن حميد به ، ورواه ابن حبان عن أبي يعلى ، عن عبد الأهل بن حماد ، عن معمر بن سليمان ، عن حميد ، به .
وقال ابن مردويه : أخبرنا عبد الله بن جعفر ، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا
محمد بن شعيب ، عن الحسن (٣) بن أبيوب ، عن حميد بن ناسح ، عن حبة بن عبد السلمي قال : قال النبي صلى الله
عليه وسلم لأصحابه : « ألا فقاتلوا ؟ » قالوا : نعم ، ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل ل موسى : (اذهب أنت وربك فقاتلا
إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون .

وكان من أجاب يرميهم للقتاد بن عمرو الكندي ، رضي الله عنه ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن غثاق بن عبد الله الأحمسي ، عن طارق - هو ابن شهاب - : أن للقتاد قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : يا رسول الله ، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ل موسى : (اذهب أنت
وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون .

هكذا رواه أحمد من هذا الوجه ، وقد رواه من طريق أخرى قال :

حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا إسرائيل ، عن غثاق ، عن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله - هو ابن مسعود -
رضي الله عنه : « لقد شهدت من للقتاد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما حبل به : أنت رسول الله وهو يدعو
على المشركين ، قال : والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل ل موسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا
قاعدون » ، ولكننا نقاتل عن دينك وعن يسارك ، ومن بين يديك ومن خلفك . فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشرق للباك ، وصره بباك (٤) .

(١) سورة ابن حاتم : ٦١٥/١ .

(٢) بركة البلاد : موشع وراه مكة بمس لقال ما إلى البحر ، وقيل : بكة باليمن .

(٣) في المخطوطة : « الحكم بن أبيوب » ولم نجد . والمثبت عن البحر : ١/٢/١ ، قال ابن أبي حاتم : « الحسن بن أبيوب
الخرمي . روى عن عبد الله بن بسر ، وجه الله بن قيس الخرمي . روى عنه محمد بن شعيب بن شاذان ، كما ينظر المشبه
للأصبغ : ٦٢٨ .

(٤) مسند أحمد : ٣٨٩/١ ، ٣٩٠ .

وهكلا رواه البخارى « فى المغازى » (١) وفى التفسير « من طرق عن عمارق » به : ولقظه فى « كتاب التفسير » من جد الله قال : قال المقداد يوم بدر « يا رسول الله ، إنا لا نقر لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ، ولكن افض ونحن معك » فكانه سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) »

ثم قال البخارى : ورواه وكيع ، عن سفیان ، عن عمارق ، عن طارق : « أن المقداد قال للنبي صلى الله عليه وسلم : » وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم الحديبية ، حين صدت للشركون المكذبي وحيل بينهم وبين متأسكهم : إني ذاهب بالمكذبي فثأره عند البيت . فقال له المقداد بن الأسود : أما والله لا يكون كالكلام من بنى إسرائيل إذ قالوا لنبيهم : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون . فلما سمعها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تابها على ذلك « (٣) » .

وهذا إن كان محفوظا يوم الحديبية ، فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر »

وقوله : (قال رب إني لأملك إلا أنسى وأخسى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) ، يعنى : لا نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام ، وقال داعيا عليهم : (رب إني لأملك إلا أنسى وأخسى) ، أى : ليس أسد يطعن منهم فيمثل أمر الله ، ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخسى هارون ، (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) » قال العوفي ، عن ابن عباس : يعنى افض بيني وبينهم . وكذا قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : [وكذا قال القسماك : افض بيننا وبينهم ، واقض بيننا وبينهم . وقال غيره : افرق] : الفصل بيننا وبينهم ، كما قال الشاعر :

يا كُوبَ فافرق بَيْنَهُ وَيَتِيَهُ . أَشَدَّ مَا قُرِئَتْ بَيْنَ اثْنَيْنِ (٤)

وقوله تعالى : (فإنها عرمة عليهم أربعين سنة يهيمون فى الأرض) .. الآية ، لا دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله عليهم بتحريم دخولها فقرأوا مدة أربعين سنة ، فوقصوا فى الله يسبرون دائما لا يبتلون بالخروج منه ، وفيه كانت أمور صعبة ، وغارات كثيرة ، من تغلبهم بالغمام وإزال الما والسوى عليهم ، ومن إخراج الماء الجارى من صخرة صماء تحمل معهم على حابة ، فإذا ضربها موسى بمصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة حينا تجرى لكل شعب حرن ، وغير ذلك من المعجزات التى أيد الله بها موسى بن عمران . وهناك أنزل التوراة ، وشرعت لهم الأحكام ، وعملت قبة العهد ، ويقال لها : قبة الزمان .

قال يزيد بن هارون ، عن أصح بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جبر : سألت ابن عباس عن قوله : (إنها عرمة عليهم أربعين سنة يهيمون فى الأرض) الآية . قال : فاهرا فى الأرض أربعين سنة ، يصبسون كل يوم يسبرون ليس لهم قرار ، ثم ظلل عليهم الغمام فى الله ، وأزل عليهم لمان السوى . وهذا قطع من حديث القسطنطين

(١) البخارى : ١٢/٥ .

(٢) البخارى ، كتاب التفسير : ٦٤/٦ ، ٦٥ .

(٣) تفسير الطبرى : ١٨٦/١٠ .

(٤) البيت فى تفسير الطبرى : ١٨٨/١٠ ، وحاز القرآن فى حيدة : ١٦٠/١ .

لم كانت وفاة هارون عليه السلام ، ثم بعده بمدة ثلاث سنين مات موسى الكليم عليه السلام ، وأقام الله فيهم « يوشع بن نون » عليه السلام نبيا خليفة من موسى بن عمران ، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك الليلة ، ويقال إنه لم يبق منهم أحد سوى « يوشع » و « كaleb » ، ومن هاهنا قال بعض المفسرين في قوله : « قال لها بمعمة عليهم » : هذا وقف تام ، وقوله : « أربعين سنة » منصوب بقوله : « يتيهون في الأرض » : فلما انقضت المدة عرج بهم « يوشع بن نون » عليه السلام ، أو بمن بقي منهم ويسمى بني إسرائيل من الجيل الثاني ، قصد بهم بيت المقدس فحاصرها ، فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر ، فلما تضيفت (١) الشمس للغروب ، وغشى دخول السبت عليهم قال : « إلك مأمورة وأنا مأمورة ، اللهم احبسها حل » . فحبسها الله طول حتى فتحها ، وأمر الله « يوشع بن نون » أن يأمر بني إسرائيل ، حين يدخلون بيت المقدس ، أن يدخلوا بابا سجدنا ، وهم يقولون : حطك ، أي : حط عناذونا ، فدخلوا ما أمروا به ، فدخلوا يزحفون على أستاههم ، وهم يقولون : حية في شجرة ، وقد تقدم هلاكه في سورة البقرة (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي حمر البجلي ، حدثنا سفيان ، عن أبي سعيد ، عن حكيم ، عن ابن عباس قوله : « فلما عرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض » قال : فها هو أربعين سنة ، فهلك موسى وهارون في الله وكل من جاوز الأربعين سنة ، فلما مضت الأربعون سنة فاعرضهم « يوشع بن نون » وهو الذي قام بالأمر بعد موسى ، وهو الذي افتتحها ، وهو الذي قيل له : « اليوم يوم الجمعة » فها هو بالفتحها ، وحدثت الشمس للغروب ، فخشى إن دخلت ليلة السبت أن يسيرا ، فنادى الشمس : إلى مأمور وإلك مأمورة فوفقت حتى افتتحها ، فوجد فيها من الأموال ما لم ير مثله قط فقبضه إلى النار فلم تأت فقال : فيكم النول ، فلما رمسوا الأسباط ، وهم اثنا عشر رجلا فإيهم ، وانصقت يد رجل منهم بيده ، فقال : النول عندك ، فأخرجه ، فأخرج رأس بقرة من ذهب ، لها صنان من باقوت ، وأستان من لؤلؤ ، فوضعه مع القربان فألت النار فأكلتها (٣) .

وهذا السياق له شاهد في الصحيح . وقد انتظر ابن جرير أن قوله : « فلما عرمة عليهم » هو العامل في « أربعين سنة » (٤) ، وأنهم مكثوا لا يدخلونها أربعين سنة ، وهم تأهون في البرية لا يتنولون لقصد . قال : ثم خرجوا مع موسى عليه السلام ، ففتح بهم بيت المقدس . ثم احتج على ذلك قال : بانجماع علماء أخبار الأولين أن « حوج بن عتي » كنه موسى عليه السلام ، قال : فلما كان قبله ليلة قبل الله ما رحبت بنو إسرائيل من المعاليق ، فدل على أنه كان بعد الله ، قال : وأجمعا أن « بلعام بن باعورا » أمان الجبارين بالداح على موسى ، قال : وما ذلك إلا بعد الله ، لأنهم كانوا قبل الله لا يتأخرون من موسى وقومه . هذا استدلاله ، ثم قال :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عطية ، حدثنا تيس ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت عصا موسى عشرة أذرع ، ووثقت عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، فوثب فأصاب كعب « حوج » فقتله ، فكان جسدا لأهل النيل سنة :

(١) تضيفت : حطت .

(٢) ينظر : ١٢٦/١ - ١٥٠ .

(٣) الأثر في قدر المتثور : ٢٧١/٢ ، ٢٧٢ .

(٤) تفسير السعدي : ١٩٨/١٢ .

وروى أيضا عن محمد بن بشر ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ثوبان البجلي قال : كان سرير هوج ، ثمانية ذراع وكان طول موسى عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ووثب في المياه عشرة أذرع ، فغرب هوجا ، فأصاب كعبه ، فسقط ميتا ، وكان جسرا لثاني عرون عليه .

وقوله تعالى : (فلأنا على القوم القاسقين) تسلية لموسى عليه السلام عنهم ، أي لا تنأسف ولا تحزن عليهم فهما حكمت عليهم به فانهم يستحقون ذلك .

وهذه القصة تضمنت تفرج اليهود وبيان فضائهم ، وعنايتهم لله ولرسوله وتكريمهم عن طاعتها ، فإيا أمرهم به من الجهاد ، فصغت أنفسهم عن مصابرة الأعداء وبجائلتهم ، ومقاتلتهم مع أن بين أظهرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتيبه وصليبه من خلقه في ذلك الزمان ، وهو يقدم بالنصر والنظر بأعدائهم ، ولما وقد شاهدوا ما أحل الله بعلوم فرعون من العذاب والكال والفرق له ولجنوده في آية ، وهم ينظرون لتكثر به أعيانهم وما يهللهم من قلم ، ثم يتكلمون عن مقاتلة أهل بلديهم بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي حشر المشار في حدة أهلها وعقدتهم ، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام ، وانفضحوا بفسحة لا يغطيها الليل ، ولا يسترها الليل ، ولما وهم في جهلهم بعمهون ، وفي خيهم بترددون ، وهم اليأساء إلى الله وأعدائه ، ويقولون مع ذلك : نحن أبناء الله وأحباؤه ، قبح الله وجههم إلى مسخ منها الخنازير والقرود ، وأزيمهم لعمه تصحهم إلى النار ذات الرقود ، ويقضى لهم فيها بتأييد الخلود ، وقد فعل وله الحمد من جميع الوجوه .

﴿ وَأَنْتَ عَلِيمٌ بِمَا أَنَىٰ آدَمُ بِأَخِي ۖ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٥﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيْ يَدِكَ لَتَمُوتَنِي مَا أَنَا بِبَاسِعٍ بِدَىٰ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّكَ أَكَاثِبٌ ۖ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ إِنْ أَرِيدُ أَنْ نَبْنِي بُرًّا لِّبَنِي وَإِلَيْكَ تَعْسُكُونَ مِنْ أَحْسَنِ الْبَنَىٰ ۖ وَذَٰلِكَ جَزَاؤُ الْمُتَكِبِينَ ﴿١٧﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ فَبَحَثَ اللَّهُ عُورًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَىٰ سَوْدَةُ أَخِيهِ قَالَ يُرَىٰ بِتَوْبَتِهِ ۖ أُجْرِتَ أَنْ أَسْكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُورَىٰ سَوْدَةُ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ ۝

يقول تعالى ميتا ونعيم حاقبة البني والحسد والظلم في خبر إبن آدم لصلبه - في قول الجمهور - وما هابيل وقايل كيف عدا أحدهما على الآخر ، قتلته بنيا عليه وحسدا له ، فإيا وجهه الله من النعمة وتكبر القربان الذي أحلص فيه لله عز وجل ، فلما القتل بوضع الآثام وال دخول إلى الجنة ، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الفاسدة في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : (وأنت عليهم بما إبن آدم بالحق) ، أي : واقصص على هؤلاء البغاة الحسلة ، إنسان الخنازير والقرود من اليهود وأمثالهم - خبر إبن آدم ، وما هابيل وقايل فإيا ذكره غير واحد من السلف والخلف .

وقوله : (بالحق) أي : على الجلية والأمر الذي لا يس فيه ولا كذب ، [ولا وهم] ولا تهييل ، ولا زيادة ولا نقصان ، كما قال تعالى : (إن هذا هو القصص الحق) وقال تعالى : (نحن نقص عليك لأهم بالحق) ، وقال تعالى : (ذلك حيسى إبن مريم قول الحق) .

وكان من غيرهما قبا ذكروه غير واحد من السلف والخلق ، أن الله تعالى كان قد شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بنيه من بينه لضرورة الخلق ، ولكن [قالوا] : كان يؤلّد له في كل بطن ذكر وأنثى ، فكان يزوج أنثى هذا البطن للذكر البطن الآخر ، وكانت أخت هابيل دميّة ، وأخت قابيل وضيفة ، فأراد أن يستأثر بها حل أخيه ، فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قربانا ، فن تقبل منه فهي له ، فقربا فتقبّل من هابيل ولم يتقبّل من قابيل ، فكان من أمرهما ما قص الله في كتابه :

[ذكر أقوال المفسرين هاهنا]

قال السدي - قبا ذكر - عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود - وعن ثاس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية ، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر ، حتى ولد له ابنان يقال هما : قابيل وهابيل ، وكان قابيل صاحب زرع ، وكان هابيل صاحب شترح ، وكان قابيل أكبرهما ، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل : وأن هابيل طلب أن يتكحّل أخت قابيل ، فأبى عليه وقال : هي أختي ، ولدت مني ، وهي أحسن من أخطك ، وأنا أحقّ أن أتزوج بها . فأمره أبوه أن يزوجه هابيل ، فأبى . وأمهّا قربا قربانا إلى الله عز وجل أبهما أحقّ بالجارية ، وكان آدم عليه السلام قد غاب عنهما ، أتى مكة ينظر إليها ، قال الله عز وجل : هل تعلم أن لي بيتا في الأرض ؟ قال : اللهم لا . قال : إن لي بيتا في مكة فاته . فقال آدم للسياة : « احفظي ولدي بالأمانة » ، فأبى . وقال للأرض ، فأبى . وقال للجال ، فأبى . فقال لقابيل ، فقال : نعم ، تلعب وقرج ويجد أهلك كما يسرك . فلما انطلق آدم قريبا قربانا ، وكان قابيل يمشي عليه فقال : أنا أحقّ بها منك ، هي أختي ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصي والدي . فلما قربا ، قرب هابيل جكتة (١) سمينة ، وقرب قابيل حزمة سبيل ، فرجدها سنبلة عظيمة ، ففركها فأكلها . فترلت النار فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لا أكفلك حتى لا يتكحّل أختي . فقال هابيل : إني أقتبل الله من لقيت »

رواه ابن جرير (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عمدة بن الصباح ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني ابن شريك قال : أكلت مع سعيد بن جبّير صفحني عن ابن عباس قال : نهي أن تتكحّل المرأة أخاها تزوّجها ، وأمر أن يتكحّل غيره من إخوانها ، وكان يولد له في كل [بطن رجل] وامرأة ، فبيتا [هم] كذلك ولد له امرأة وضيفة ، وولد له أخرى قبيحة دميّة ، فقال أبو الدميّة : أنتكحني أخطك وأكحلك أنتي . قال : لا ، أنا أحقّ بانثي . فقربا قربانا ، فقبل من صاحب الكيش ، ولم يقبل من صاحب الزرع ، فقتله . « إسناد جيد .

(١) البلغة من اللسان : ما تمت له سنة .

(٢) تفسير الطبري : ٢٠٦/١٠ : ٢٠٧ .

وحدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سميد بن جبر ، عن ابن عباس ، قوله : (إذ قربا قرباناً) قربا قربانها ، فجاء صاحب الغنم بكيش أضيق (١) أقرن أبيض ، وصاحب الحنث بصيرة (٢) من طعام ، فقبل الله الكيش فخرته في الجنة أربعين خريفاً ، وهو الكيش الذي ذبحه إبراهيم صلى الله عليه وسلم : إسناد جيد .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا حوف ، عن أبي المفيرة ، عن عبد الله بن عمرو قال : « إن ابني آدم اللحين قربا قرباناً فقبل من أحدهما ولم يقبل من الآخر ، كان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، ولهما أمرا أن يقربا قرباناً ، وإن صاحب الغنم قرب أكرم غنمه وأسننها وأحسنها ، طيبة بها نفسه ، وإن صاحب الحرث قرب أشعر حرته الكودن (٣) والآخر كان غير طيبة بها نفسه ، وإن الله حر وجل فقبل قربان صاحب الغنم ، ولم يقبل قربان صاحب الحرث ، وكان من قصتهما ما قص الله في كتابه . قال : وإم الله ، إن كان المقتول لأشد الرحلين ، ولكن منه التصريح أن يسهل إلى أخيه » .

وقال إسماعيل بن رافع اللخمي القاصي : بلغني أن ابني آدم لما أمرا بالقربان ، كان أحدهما صاحب غنم ، وكان أنتج له حنك في غنمه ، فأجبه حتى كان يوتره بالليل ، وكان يحمله على ظهره من حبه ، حتى لم يكن له مال أحب إليه منه . فلما أمر بالقربان قرب به ، حر وجل ، فقبله الله منه ، فما زال يرتع في الجنة حتى فدى به [ابن] إبراهيم عليه السلام .

رواه ابن جرير : (٤)

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الأنصاري (٥) ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن ، حدثنا محمد بن علي بن الحسين قال : قال آدم عليه السلام هابيل وقايل : إن رب عهدي إلى الله كائن من ذريتي من يكرب القربان ، قرباً قرباناً حتى تقر حتى إذا فكك قربانكما ، قربا . وكان هابيل صاحب غنم قرب أكلة (٦) غنمه ، غنمها له ، وكان قاييل صاحب زرع ، قرب مشاقة (٧) من زوجه ، فانطلق آدم معهما ، ومعهما قربانها ، فصعدا الجبل فوضعا قربانها ، ثم جلسوا للآلئهم : آدم وهما ينظران إلى القربان ، فبست الله ناراً حتى إذا كانت فوقهما دنا منها حتى ، فاحمل قربان هابيل وترك قربان قاييل ، فانصرفوا . وعلم آدم أن قاييل مسخوط عليه ، فقال : وبك يا قاييل رد عليك قربانك . فقال قاييل : أحييت فصليت على قربانه ، ودعوت له ، فكك قربانه ، ورد على قرباني . وقال قاييل لهابيل : لأقتلك

(١) الأصم : الواسع العين ، وكيش أقرن : كبير القرنين .

(٢) البصرة : الطعام المجمع كالكومة ، أي قدم طعاماً من غير وزن ولا كيل .

(٣) كذا في غلطونا . وليس له منسوب القربان ، فالكودن : الفأس . وفي تفسير الطبري ٢٠٣/١٠ : والكودن : وليس له منى وأما الزوان - فهو الزنى وكسرهما - فهو ما يخرج من الطعام فيرمى به ، وهو الرصه منه .

(٤) تفسير الطبري : ٢٠٢/١٠ .

(٥) هو محمد بن عبد الله الأنصاري ، ينظر المبرج والتعديل لابن أبي حاتم : ١١٧/٢/٣ .

(٦) الأكلة : التي تسمن للأكل .

(٧) أي بقية .

فأستريح منك ، دما لك أبوك فصيل على قربائك ، فقبل منك : وكان يتواعده بالقتل ، إلى أن احتبس هابيل ذات حمية في غنمه ، قال آدم : يا قابيل ، أين أخوك ؟ قال : وبعتني له راعيا ؟ لا أخرى ؟ قال آدم : ويحك يا قابيل ، اطلق فاطلب أشعك ، فقال قابيل في نفسه : « أهيلة أقتله » ، وأخذ معه حديدة فاستقبله وهو مغتلب ، فقال : يا هابيل ، تقبل قربائك ورد على قربائك ، لأقتلك : فقال هابيل : قربتُ أطيعه مالي ، وقربتُ أنت أحببت مالك ، وإن الله لا يقبل إلا الطيب ، إنما يقبل الله من المتقين : فلما قالما غضب قابيل فرغ الحليطة وضربه بها ، فقال : ويحك يا قابيل ، أين أنت من الله ؟ كيف يجزيك بملك ؟ فقتله فطرحه في جثوة (١) من الأرض ، وحشي عليه شيئا من التراب :

وقال محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : « أن آدم أمر ابته قيثا (٢) ، أن يذبح أضحية ثؤمنة هابيل ، وأمر هابيل أن يذبح أضحية ثؤمنة قين ، فسلم لذلك هابيل ورضى ، وأبى ذلك قين وكره ، تكرما من أخت هابيل ، ورغبة بأخته عن هابيل ، وقال : نحن ولادة البجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحسن بأختي . - ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قين من أحسن الناس ، فقتن بها عن أخيها ولزاحدا لنفسه : فأنه أعلم أي ذلك كان - فقال له أبوه : يا بني ، إنما لا تحمل لك ثاين قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه فقال له أبوه : يا بني ، قرب قربانا ، وقرب أخوك هابيل قربانا ، فأيكما تفضل قربانه فهو أحسن بها ، وكان قين على بكر الأرض ، وكان هابيل على رعاية الماشية ، فحسب قين قمحا ، وقرب هابيل أبكارا من أبكار غنمه - وبعضهم يقول : قرب بقرة - فأرسل الله نارا يبيضاء ، فأكلت قربان هابيل ، وترك قربان قين ، وبذلك كان يفضل القربان إذا قبله » :

رواه ابن جرير (٣) .

وقال النوق ، عن ابن عباس قال : [كان] من شأنهما أنه لم يكن مسكين يفتقد على ، وإنما كان القربان يقر به الرجل : فبينما ابتاد آدم فاصدان إذ قالا : « لو قربنا قربانا » : وكان الرجل إذا قرب قربانا فرضيه الله ، وأرسل إليه نارا فأكله : وإن لم يكن رضى الله عتبت النار ، فقربا قربانا ، وكان أحدهما راعيا ، وكان الآخر حرا ، وإن صاحب النعم قرب خير غنمه وأسمتها ، وقرب الآخر بعض زوجه ، فجمعت النار فقتلت بينهما ، فأكلت الشاة وترك التورع ، وإن ابن آدم قال لأخيه : أمتحن في الناس وقد علموا أنك قربت قربانا فتقبل منك ورد على ؟ فلا والله لا ينظر الناس إليك وإلى وأنت خير مني . فقال : لأقتلك . فقال له أخوه : ما ذنبني ؟ إنما يقبل الله من المتقين .

رواه ابن جرير (٤) .

فهذا الأثر يقتضي أن تزيب القربان كان لآعن سبب ولا عن تداريء في امرأة ، كما تقدم عن جبهة من تقدم ذكرهم ، وهو ظاهر القرآن : (إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يقبل من الآخر ، قال : لأقتلك ، قال : إنما يقبل الله من المتقين) : فالساق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده ليقول قربانه دوله .

(١) الجثوة : المغرة .

(٢) كذا ورد في خطوطنا ، وخطوة البليز : ٢٠٦/١٠ . وتبين هو قابيل .

(٣) تفسير البليز : ٢٠٥/١٠ ، ٢٠٦ .

(٤) المصدر السابق : ٢٠٣/١٠ ، ٢٠٤ .

